

مركز البحوث الإسلامية

إستانبول

سِلْسِلَةُ عيونِ التُّراثِ الإسْلَامِيِّ

تتمة الكشاف

(حَاشِيَةُ الجارْبَرْدِي علَى الكَشَّاف)

فَخْرُ الدِّينِ أبو المكارِمِ أحمدُ بنُ الحسَنِ بن يُوسُف الجارْبَرْدِي

(ت. ٧٤٦هـ/ ١٣٤٦م)

تحقيق

أ.م. ضياء الدين القالِش

محمَّد عماد النابلسي

إشراف

أ.م. محمد طه بويالق

المجلد الثامن

نشريات وقف الديانة التركي

نشريات وقف الديانة التركي
رقم النشر ١٤٣١
نشريات إسام ٢٦٧
سلسلة عيون التراث الإسلامي ٦٢

تتمة الكشّاف (حاشية الجارَبَرْدي على الكشّاف)
فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجارَبَرْدي

المجلد الثامن

تحقيق أ.م. ضياء الدين القالش، محمد عماد النابلسي

تم إعداد تتمة الكشّاف (حاشية الجاربردي على الكشّاف)
بإشراف اللجنة العلمية للتحقيق
بمركز البحوث الإسلامية (İSAM) التابع لوقف الديانة التركي.
İcadiye - Bağlarbaşı Cad. 38 Uskudar/İstanbul
الهاتف: 50 08 474 216 90+ www.isam.org.tr yayin@isam.org.tr

التحرير أوقان قدير يلماز
المراجعة العلمية محمد طه بويالق، عبد الرحمن رضوان خَرْش
التدقيق النهائي لقسم الدراسة سعيد قاياجي (العربي)، مصطفى دَميرآي (التركي)
التصحيح (العربي) عبد الناصر حكيمي (الإملاء والفهارس والمصادر)، نور الحيلة (الإملاء)،
علي حيدر أولوصُويْ (الإملاء والفهارس)، آزاد سارْسانْبَايُوفْ (الإملاء)،
(التركي) عيسى قايا ألْبْ (الإملاء)، إسماعيل أَزِيلْكِين (المصادر)
التصميم علي حيدر أولوصُويْ، إبراهيم درويش مؤذن (تطبيق)،
حسن حسين جان (غلاف)، رمزي حاج مصطفى (خط الغلاف)

تم إعداد هذا الكتاب
من قبل مركز البحوث الإسلامية (إسام / İSAM)
في إطار مشروع العصور المتأخرة من الحضارة الإسلامية.

تم طبع هذا الكتاب بقرار مجلس إدارة إسام
بتاريخ ٢٧/١٢/٢٠٢٤ ورقم ١١/٢٠٢٤.

الطبعة الأولى: إستانبول، ديسمبر ٢٠٢٤م / ١٤٤٦هـ
ISBN 978-625-428-633-9 (مجموعة)
978-625-428-643-8 (المجلد الثامن)

الطباعة والنشر والتوزيع
TDV Yayın Matbaacılık ve Tic. İşl.
Ostim OSB Mahallesi, 1256 Cadde, No: 11 Yeni Mahalle / Ankara
الهاتف: 9131 354 312 90+ الفاكس: 9132 354 312 90+ bilgi@tdv.com.tr

فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي
تتمة الكشّاف (حاشية الجاربردي على الكشّاف) / فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي؛ تحقيق: ضياء الدين القالش، محمد عماد النابلسي. إستانبول؛ أنقرة: مركز البحوث الإسلامية (إسام)؛ وقف الديانة التركي، ٢٠٢٤.
المجلد الثامن (٦٧٢ صفحة)؛ ٢٤ سم. – (نشريات وقف الديانة التركي؛ ١٤٣١. نشريات إسام؛ ٢٦٧. سلسلة عيون التراث الإسلامي؛ ٦٢)
يحتوي على الفهارس والمصادر
(المجلد الثامن) 978-625-428-643-8 (مجموعة) ISBN 978-625-428-633-9

فهرس المحتويات

سورة الشعراء

مكيةٌ إلا قولَه: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ﴾ إلى آخِرِ السورة.

وهي مئتان وسبعٌ وعشرون آيةً، وفي روايةٍ: ستٌّ وعشرون آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٣﴾

﴿طسٓمٓ﴾ بتفخيم الألِف وإمالتِها، وإظهارِ النُّونِ وإدْغامها.

﴿ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾: الظَّاهرِ إعجازُهُ وصحَّةُ أنَّه مِن عند الله، والمرادُ به السُّورةُ أو القرآن، والمعنَى: آياتُ هذا المُؤلَّفِ من الحُروف المَبسُوطة تلك آياتُ الكتاب المُبين.

سورة الشعراء

بسم الله الرحمن الرحيم، ربّ تمّم بالخير[1]

قوله: (﴿ٱلۡمُبِينِ﴾: الظاهر) فهو مِن: أبان، بمعنى: بان.

قوله: (آيات هذا المؤلَّف مِن الحروف المبسوطة) إشارة إلى حاصل معنى ﴿طسٓمٓ﴾، وبيان ذلك: أنّ ﴿طسٓمٓ﴾[2] اسم للسورة كما اختاره في أوّل الكتاب، وبيّن هناك أنّ معنَى تسمية السورة بهذه الألفاظ خاصّة: الإشعار بأنّ الفرقان ليس إلّا كَلِمًا عربيّةً معروفةَ التراكيب مِن مسمَّيات هذه الألفاظ، كما قال: ﴿قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف ١٢/٢]، فلولا أنّه كلام الله تعالى وأنّه معجز لقدَروا على الإتيان بمِثله، ولمّا عجَزوا عن معارضته مع تركُّبه مِن هذه الحروف ظهَر أنّه

---

[1] ف ن – ربّ تمم بالخير.

[2] ف – وبيان ذلك أن طسم.

"البخعُ": أَن يَبلغ بالذَّبحِ البِخاعَ -بالباء-، وهو عِرقٌ مُستبطَنُ الفِقَارِ، وذلك أقصَى حدِّ الذَّابح، ....

ليس مِن كلام البشر، وبالجملة تكون التسمية بها إشارة إلى قوله: "آياتُ هذا المؤلَّف مِن الحروف المبسوطة"، فعلى هذا يكون ﴿طسٓمٓ﴾ مبتدأ، و﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ ثانٍ، و﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ خبره، وهذه الجملة خبر المبتدأ الأوّل، وتمام بيانه أن نقول: لمّا كان ﴿طسٓمٓ﴾ اسمًا للسورة كان معناه: المؤلَّف مِن الحروف البسيطة، ويحتاج إلى تقدير المضاف -وهو "آيات"- ليصحّ حمل ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ عليه. ثمّ إن كان ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ عبارة عن السورة كان المراد تعظيم هذه السورة، أي: آيات هذه السورة آيات السورة البيّن إعجازها، الظاهر -لإعجازها- كونُها مِن عند الله تعالى، وإن كان ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ عبارة عن القرآن كان إشارة إلى تعظيم القرآن، أي: آيات هذا[1] المؤلَّف آيات القرآن البيّن إعجازه.

قوله: (البِخاع بالباء) إنّما قيّد بالباء؛ لأنّ بعض الناس يرويه بالنون، قال المطرّزي في المُغرب: «النِّخاع -يعني: بالنون-: خيط أبيض في جوف عظم الرقبة يمتدُّ إلى الصُّلب،[2] ومَن قال: هو عِرْق فقد سها، إنّما هو البِخاع بالباء؛ يكون في القفا، ومنه: بَخَعَ الشاة إذا بلغ بالذبح ذلك الموضِع، فالبَخْع أبلغ مِن النَخْع».[3]

قوله: (مستَبْطَن الفَقار) اعلم أنّ الصواب: "مستبطَن القَفا" بتقديم القاف على الفاء بدون الراء، يدلّ على ذلك ما نقلناه مِن المُغرب،[4] ويؤيّده قول المصنِّف: (وذلك أقصى حدِّ الذابح)،[5] والظاهر أنّه مراد المصنِّف، والغلط إنّما وقع مِن زَيْغ القلم أو مِن / بعض النُّسّاخين. وقوله: "مستَبطَنُ الفَقار" أي: مُدْخَل في الفَقار، [٢٠٩ظ]
وهي عظام الظهر، والواحدة: فَقارة.

---

[1] ن: هذه.

[2] في المُغرب: "والفتح والضمّ لغةٌ في الكسر".

[3] المُغرب للمطرّزي، «نخع».

[4] وهو قوله: «إنّما هو البِخاع بالباء؛ يكون في القفا، ومنه: بَخَعَ الشاة إذا بلغ بالذبح ذلك الموضِع». المُغرب للمطرّزي، «نخع».

[5] في بعض مطبوعات الكشاف: "حدّ الذبح".

و"لعَلَّ" للإشْفاق، يعني: أشفِقْ على نفسك أَنْ تَقتُلَها حَسْرةً على ما فاتَكَ من إسلام قومِكَ.

﴿أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾: لئلا يُؤمِنُوا ولامتناعِ إيمانِهم، أو: خَيْفةَ أَنْ لا يُؤْمِنُوا.

وعن قتادةَ: "باخِعُ نفسِكَ" على الإضافة.

﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤﴾

أرادَ: آيةً مُلجِئَةً إلى الإيمان قاسِرةً عليه.

قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ مفعول له؛ لأنّ عدم إيمانهم عِلّة البَخْع، وإن لم يكن غرضًا.

قوله: (و"لعلّ" للإشفاق) "لعلّ" لتوقّع مَرجوّ أو مَخوف، تقول:[١] لعلّ زيدًا يكرمني، أي: أرجو إكرامَه، وتقول:[٢] لعلّ زيدًا يُهينني، أي: أخاف إهانته، وفي الآية للإشفاق،[٣] أي: الخوف. فالمعنى: أنّ الله تعالى يأمره أن يخاف على نفسه فلا يتحسّر؛ لئلّا تؤدِّيَه[٤] الحسرةُ إلى الهلاك.

قوله:[٥] (لئلّا يؤمنوا)... إلخ؛ إشارة إلى أنّه يجوز أن لا يكون قوله: ﴿أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ فعلًا لفاعل الفعل المعلّل، بناء على أنّ عدم الإيمان فعل الكفار، والبَخْع فعل النبيّ عليه الصلاة والسلام، فيكون[٦] حذف اللام لِما ثبت مِن أنّ حذف اللام مع "أنْ" و"أنّ" قياس مستمِرّ، لا لكونه مفعولًا له، ويجوز أن يكون فعلًا لفاعل الفعل المعلَّل بحذف المضاف، أي: خيفة، فإنّ الخوف والبَخع كلاهما فعل النبيّ عليه الصلاة والسلام، فحذفُ اللام حينئذٍ لأنّ المفعول له حينئذٍ فعل لفاعل الفعل المعلَّل. وقوله: (ولامتناع[٧] إيمانهم) عطف على (لئلّا يكونوا) بطريق البيان.

قوله: (قاسرةً[٨] عليه) كما نتقَ الجبل فوق بني إسرائيل.[٩]

---

١ ف: يقول.
٢ ف: ويقول.
٣ ف: الإشفاق.
٤ د: يؤدّيه.
٥ ف ن – قوله.
٦ ن + حذف.
٧ في بعض مطبوعات الكشّاف: "أو لامتناع".
٨ في بعض مطبوعات الكشّاف: "قاصرة" بالصاد.
٩ قال أبو عبيدة: «قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾ [الأعراف ١٧١/٧]، أي: زَعزَعناه». الصحاح للجوهري، «نتق».

﴿فَظَلَّتْ﴾ مَعطوفٌ على الجزاء الذي هُو ﴿نُنَزِّلْ﴾؛ لأنّه لو قِيل: "أَنزلنا" لكان صحيحًا، ونَظِيرُه: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن﴾ [المنافقون ٦٣/١٠]، كأنّه قيل: أَصَّدَّقْ.

وقد قرئ: "لو شئنا لأنزلنا"، وقرئ: "فتَظْلَلْ أعناقُهم".

فإن قلتَ: كيف صحَّ مجيءُ ﴿خَاضِعِينَ﴾ خبرًا عن الأَعناق؟

قلتُ: أصْلُ الكلام: فظَلُّوا لها خاضِعِين، فأُقحِمَتِ الأعناقُ لبيَانِ مَوضِعِ الخضُوعِ، وتُرِكَ الكلامُ على أَصْلِه؛ كقولهم: "ذَهَبَتْ أَهْلُ اليَمامةِ"؛ كأنَّ الأهلَ غيرُ مذكُور.

قوله: (﴿فَظَلَّتْ﴾ معطوف) وإنّما جيء به ماضيًا؛ لتحقّق كون أعناقهم خاضعين حينئذٍ.

قوله: (وقد قرئ: "لو شِئنا")[1] هذه القراءة تؤيّد المعنى الذي ذكره، وكذا قراءة "فتَظْلَلْ"،[2] والحاصل أنّ الماضي في معنى المضارع، أو المضارع في معنى الماضي.

قوله: (وقرئ: "فتَظْلَلْ") على فكّ الإدغام؛ كقوله:

أنّي أجود لأقوامٍ وإن ضَنِنوا[3]

وكقوله:

الحمد لله العظيم الأجْلَلِ[4]

قوله: (وتُرِك الكلام) تُرِك حيث قيل:[5] ﴿خَاضِعِينَ﴾، ولم يغيَّر إلى خاضعة، أو خاضعاتٍ.

---

[1] شاذّة، وعبارة أبي حيّان: «وفي بعض المصاحف: لو شئنا لأنزلنا». انظر: البحر المحيط لأبي حيّان، ١٤٠/٨ (الشعراء، ٤/٢٦)

[2] شاذّة. انظر: شواذّ القراءات للكرمانيّ، ص ٣٥٢.

[3] في الأصول الخطّيّة: "وإن ظننوا" بالظاء، ولم أجد من ذكره كذلك، وهو لقَعنب بن أمّ صاحب في الصحاح للجوهري، «ضنن»، وتمامه:

مَهلًا أعاذِلَ، قد جَرَّبتِ من خُلُقي
أنّي أجود لأقوامٍ، وإن ضَنِنوا

[4] هو لأبي النجم في لسان العرب لابن منظور، «جلل»، وتمامه:

الحمد لله العليّ الأجلَلِ
أعطى فلم يَبخَل ولم يُبخَّلِ

[5] ف: قال.

أو: لمَّا وُصفتْ بالخُضُوع الذي هو لِلعُقلاء قِيل: ﴿خَٰضِعِينَ﴾ كقوله: ﴿لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف ١٢/٤].

وقيل: أعناقُ النَّاس: رُؤسَاؤهُم ومُقَدَّمُوهم، شُبِّهوا بالأعناق كما قيل لهم: الرُّؤوسُ، والنَّواصي، والصُّدُورُ، قال:

في مَحفلٍ من نَواصِي النَّاسِ مَشهُودِ

وقيل: جماعَاتُ الناس، يُقال: "جَاءنَا عُنُقٌ من النَّاس" لفَوجٍ منهم.

وقرِئ: "فظلَّت أعناقُهم لها خاضعَةً".

قوله: (لمَا وصِفتْ) أي: الأعناق.

قوله: (كقوله تعالى: ﴿لِي سَٰجِدِينَ﴾) ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف ١٢/٤].

قوله: (وقيل: أعناق) عطف على قوله: (أصل الكلام)... إلخ.

قوله:

(في مَحفِلٍ مِن نواصي الناس مَشهودِ)

أوّله:

وموقِفٍ قد كَفيتُ الغائبين به[1]

أي: رُبَّ مشهدٍ قمتُ فيه مقام الغائبين في المناظرة والمخاصمة. وقوله: "به" متعلّق بـ"كَفيت". و"المَحفِل": مجتمع الناس، يقال: حَفَل الناس حَفْلًا، أي: اجتمعوا.

قوله: (وقيل: جماعات) أي: وقيل: أعناق الناس: جماعات الناس، فهو عطف على "رؤساؤهم".

---

[1] بغير نسبة في أساس البلاغة للزمخشري، ٢٧٧/٢. ولأمّ قُبيس الضبيّة في لسان العرب لابن منظور، «نصا»، لكن قال: "ومشهد" بدل "وموقف".

وعن ابن عبَّاس: نزلتْ هذه الآية فينَا وفي بني أُمَيَّةَ، قال: سَتكُون لنا عليهم الدَّولة، فَتذِلُّ لنا أَعنَاقُهم بعد صُعُوبةٍ، ويَلحقُهم هوانٌ بعدَ عِزَّة.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥﴾

أي: وما يُجدِّدُ لهُمُ اللهُ بوَحيِهِ مَوعِظةً وتذكيرًا إلَّا جَدَّدُوا إعْراضًا عنه وكُفرًا به.

فإن قلتَ: كيف خُولِفَ بين الألفاظ والغرضُ واحدٌ، وهي الإعراضُ والتكذيبُ والاستهزاء؟

قلتُ: إنما خُولفَ بينَها لاختِلاف الأَغراضِ؛ كأنَّه قيل: حين أَعرضُوا عن الذِّكر فقد كذَّبُوا به، ....

قوله: (وعن ابن عبّاس رضي الله عنه)[1] هذا المرويّ عنه يؤيّد تفسير "الأعناق"[2] بالجماعات، كما قال: «فتَذِلّ لنا أعناقهم».[3]

قوله: (فإن قلتَ: كيف خولف)... إلخ؟ وجه السؤال أن يقال: لمّا ذكَر أنّهم كانوا يُعرِضون عند حدوث كلّ / نزول؛ كان المناسب أن يقال بعده: فقد أعرضوا فسيأتيهم جزاء إعراضهم؛ ليتناسب الكلام ويتلاءم بعضه لبعضٍ، فلِمَ عُدِل عنه؟ فأجاب: بأنّ سبب العدول عمّا ذكرت أن يقال: لمّا أعرضوا عنه عند نزوله صار إعراضهم سببًا لتكذيبهم؛ لأنّهم لو لم يُعرضوا عنه وأقبلوا عليه بقلوبهم وتأمّلوا فيه لعلِموا أنّه حقّ ولصدَّقوه، ولكن لمّا لم يتوجَّهوا إليه لم يعلموا أنّه حقّ فكذبوه، ولمّا كذّبوه واعتقدوا أنّه ليس كلام الله تعالى منزَّلًا مِن عنده؛ بل هو كلام البشر مفترًى مِن عنده؛[4] صارَ عندهم محلّ الاستهزاء، فاستهزءوا به،[5] فإنّهم لو لم يكذِّبوه؛ بل كانوا مصدِّقين أنّه كلام الله تعالى منزَّلٌ مِن عنده؛ لما كان محلَّ الاستهزاء، وما استهزءوا به البتّة. والحاصل أنّ إعراضهم صار سببًا للتكذيب، وأن تكذيبهم صار سببًا للاستهزاء. وقوله: [٢١٠و]

---

[1] د - رضي الله عنه.
[2] ن: للأعناق.
[3] الكشف والبيان للثعلبي، ٢٠/٢٠ (الشعراء، ٤/٢٦).
[4] ف: عندهم.
[5] ف - فاستهزءوا به.

وحينَ كذَّبوا به فقد خَفَّ عندهم قَدْرُه وصار عُرضَةً للاستهزاء والسُّخريَة؛ لأنَّ مَن كان قابِلًا للحَقِّ مُقْبِلًا عليه كان مُصدِّقًا به لا مَحالةَ ولم يُظنَّ به التَّكذيبُ، ومَن كان مُصَدِّقًا به كان مُوقِّرًا له.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦﴾

﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ وعيدٌ لهم وإنذارٌ بأنَّهم سيُعْلمُون إذا مسَّهُم عَذابُ الله يومَ بَدْر ويومَ القِيامة ﴿مَا﴾ الشَّيءُ الَّذي كانوا يَستَهزِؤُون به وهو القرآن، وسيأتيهم أنبَاؤُه وأحوالُه التي كانت خافيةً عليهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾

وصَفَ الزَّوجَ -وهو الصِّنفُ من النَّباتِ- بالكَرم، والكريمُ صِفةٌ لكلِّ ما يُرضَى ويُحمَدُ في بابِه، يقال: وَجهٌ كريمٌ: إذا رُضِيَ في حُسنِه وجماله، وكتابٌ كريمٌ: مَرضيٌّ في معَانيهِ وفوائدِه، وقال:

حَتَّى يشُقَّ الصُّفُوفَ مِن كَرَمِهْ

(لأنَّ مَن كان) تعليل لقوله: (كأنّه)... إلخ. وقوله: (كأنّه) تحقيق لاختلاف الأغراض، فحاصل الجواب: منع قوله في السؤال: "والغرض واحد".

قوله:[1]

(حتَّى يَشُقَّ الصفوفَ مِن كرمِه)

قبله:

لا يُسلِمون الغداةَ جارَهم حتّى يزولَ الشِّراكُ عن قدَمه
ولا يَخيمُ اللقاءَ فارسُهم حتّى يشقّ... البيتَ[2]

---

[1] ف + قبله: لا يسلمون... البيتَ. وأوله: ولا يخيم... إلخ.

[2] ن – حتّى يشقّ... البيتَ. | الأبيات لرجل مِن حِمير في وقعة كانت لبني عبد مناة وكلب على حِمير. انظر: شرح ديوان الحماسة للتبريزي، ١/١٢٣.

أَي: مِن كَونه مَرضِيًا في شجَاعَتِه وبَأسِه، والنَّباتُ الكرِيمُ: المَرضيُّ فيما يتعَلَّقُ به من المنافع.

﴿إِنَّ فِي﴾ إنْبَاتِ تلك الأَصنافِ ﴿لَآيَةً﴾ على أَنَّ مُنبِتَها قادرٌ على إحيَاء المَوتى، وقد عَلِم اللهُ أَنَّ أكثَرهُم مطبُوعٌ على قلُوبِهم غيرُ مَرْجُوٍّ إيمانُهم.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في انتِقامه من الكَفرة ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ لمَن تابَ وآمنَ وَعمِل صَالِحًا.

فإن قلتَ: ما مَعنى الجَمعِ بَينَ ﴿كَمْ﴾ و﴿كُلِّ﴾ ولو قِيل: كم أنبتنَا فيها مِن زوج كريم؟

"لا يسلمون"، أي: لا يخذلون ولا يتركون غداة الحرب جارَهم ليؤدّي خِذلانهم إلى أن يزلَّ قدم جارهم فيزول شِراك نعله عن قدَمه؛ بل يعينونه وينصرونه حتّى يثبُت في مظانّ زلَل[١] الأقدام. قوله: "ولا يَخيم"، أي: ولا يَجْبُن عن اللقاء -وهو الحرب- إلى أن يَشُقَّ صفوف الحرب مِن جهة كرمه. يعني: لا يرضى بأدْوَن المنزلتين؛ بل يأبى إلّا النهاية في باب الحرب والغُلوّ في شأنه مِن جهة كونه مرضيًّا في شجاعته، محمودًا في بأسه ونجدته. وقوله: "اللقاءَ" ينتصب على المفعول، والأصل: عن اللقاء.[٢]

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾. اعلم أنّ في هذا الكلام حذفًا، تقديره: أوَلم يرَوا ليعلموا كم أنبتنا؟ ثمّ[٣] لمّا كان هذا الاستفهام للتحريض والبعث على النظر المؤدّي إلى العلم أشار إلى أنّهم لو نظروا لاطّلعوا على آيات كثيرة، ففي الآيات المنزّلة المخلوقة كثرة،[٤] لكنهم لا ينظرون ولا يتفكّرون، فيبقّون جاهلين، فلذلك لا يؤمنون.

قوله: (ولو قيل: كم)... إلخ، جوابه محذوف أي: لكان كافيًا.

---

[١] ن: ذلك.
[٢] انظر: شرح شواهد الكشّاف لمحبّ الدين أفندي، ص ٢٩١.
[٣] ن – ثمّ.
[٤] ن: كثيرة.

قلتُ: قد دلَّ ﴿كُلِّ﴾ على الإحاطةِ بأزوَاج النَّباتِ على سبيل التفصيل، و﴿كَمْ﴾ على أنَّ هذا المُحِيطَ مُتكَاثِرٌ مُفرِطُ الكَثرَة، فهذا مَعنى الجَمع بَينهما، وبه نَبَّه على كمَال قُدرتِه.

قوله: (قلت: قد دلَّ "كلّ")... إلخ، على ما ذكره المصنِّف رحمه الله[1] يكون ﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿مِن كُلِّ﴾ للبيان، وأظنّ أنّ الأولى -والله أعلم- أن يقال: ﴿مِن﴾ للتبعيض أو للابتداء، أي: أنبتنا مِن كلّ صنف كريم أفرادًا كثيرة ونباتاتٍ متعدِّدةً، فيكون إشارة إلى كثرة الأفراد مِن كلّ صنف، فيكون ﴿كُلِّ زَوْجٍ﴾ إشارةً / إلى [٢١٠ظ] الإحاطة بجميع الأصناف، و﴿كَمْ﴾ إشارة إلى كثرة الأفراد مِن أيّ زوج فُرض مِن هذه الأصناف. ويجوز أن يكون هذا المعنى هو مراد المصنِّف وإن كان ظاهر لفظه يوهم خِلافه، فتأمّل؛ هل يمكن التوفيق بين ما ذكرتُ وبين ما ذكره؟ وعلى ما ذكرتُ مميِّزُ ﴿كَمْ﴾ محذوف، أي: كم نباتٍ أنبتنا، و﴿مِن﴾ متعلِّق بـ﴿أَنۢبَتْنَا﴾.

معنى التبعيض الذي ذكرنا في الحاشية معنى لطيف؛ لأنّه تعالى ما أنبت جميع أفراد كلِّ صنف؛ بل أنبت مِن كلّ صنف بعضَ أفراده، وهذا المعنى مطابق لمعاني التنزيل، قال المصنِّف في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [البقرة ٢٢/٢]:

> ﴿مِن﴾ في ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ للتبعيض، بشهادة[2] قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الأعراف ٥٧/٧]، ولأنّ المُنكَّرين -أعني: ﴿مَآءً﴾ و﴿رِزْقًا﴾- يكتنفانه، وقد قُصِد بتنكيرهما معنى البعضيّة، كأنّه قيل: وأنزلنا مِن السماء بعضَ الماء، فأخرجنا به بعضَ الثمرات؛ ليكون بعضَ رزقكم، وهذا هو المطابق لصحّة المعنى؛ لأنّه لم يُنزل مِن السماء الماء كلَّه، ولا أخرج بالمطر كلَّ الثمرات، ولا جعل الرزق كلَّه في الثمرات.[3]

وأنا أقول: فهذا هو معنى الجمع بينهما، لا ما فُهم مِن كلام المصنِّف، فتأمّل. وقوله: (بأزواج النبات) أي: بأصناف النبات.

---

[1] د - رحمه الله.
[2] ن: شهادة.
[3] انظر قول الزمخشري في تفسير سورة البقرة، ٢٢/٢.

فإن قلتَ: فما مَعنى وصفِ الزَّوجِ بالكرِيم؟

قلتُ: يَحتمِلُ معنَيين:

أحدهما: أن النَّبات على نوعَين: نافِعٌ وضَارٌّ، فَذكرَ كثرَةَ ما أنبَتَ في الأَرض من جميع أَصْنَافِ النَّبَاتِ النَّافِعِ وخَلَّى ذِكرَ الضَّارِّ.

والثاني: أَنْ يَعُمَّ جمِيعَ النبات نافعَهُ وضارَّهُ، ويَصِفَها جميعًا بالكرم، ويُنبِّهَ على أنَّه ما أنبَتَ شَيئًا إلَّا وفيه فائدةٌ؛ لأنَّ الحكيمَ لا يَفعَلُ فِعْلًا إلَّا لِغَرضٍ صحيحٍ ولحكمةٍ بالِغةٍ، وإنْ غَفَل عنها الغَافلون، ولـم يتَوصَّلْ إلى مَعرفتها العَاقِلُون.

فإن قلتَ: فحِين ذَكر الأزوَاجَ ودَلَّ عليها بِكلمَتَي الكَثْرة والإحاطة، وكانت بحيثُ لا يُحصِيها إلَّا عَالـمُ الغَيب، كيفَ قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ وهَلَّا قال: آياتٍ؟

قوله: (فإن قلتَ: فما معنى وصف الزوج؟) أي: ما وجهه؟ ولمَ وصفه به؟

قوله: (مِن جميع أصناف النبات) فإن كان ﴿مِن﴾ ابتدائيّةً أو تبعيضيّةً فالمعنى موافق لما كتبنا في الحاشية آنفًا. وإن كان بيانيّةً فالمعنى بخلاف ما في الحاشية، وموافقٌ لظاهر لفظ المصنِّف قبلُ، كما أشرنا إلى ذلك في الحاشية.

في هذه الحاشية نظر؛ لأنّ ما ذكره ههنا إنّما هو لوصف "الزوج" بـ"الكريم"، وما مرّ لبيان الجمع بين ﴿كَمْ﴾ و﴿كُلِّ﴾.

قوله: (والثاني: أن يَعُمَّ)... إلخ، يكون الصفة على الأوّل فارقة، وعلى الثاني مادحة.

قوله: (وإن غَفَل عنها) أي: عن الحكمة، يريد: أنّ الغافلين يَغفُلون عن أنّ لكلّ شيء حكمةً، ويتوهّمون أنّه قد يخلو بعض الأشياء عن الحكمة. وأمّا العاقلون فيعلمون أنّ لكلّ شيء حكمةً، وإن لم يعرفوا تلك الحكمة بعَينها، فلذلك ذكَر عند ذكْر الغفلةِ عنها،[1] وعند ذكْر العقل معرفتَها، فتأمّل.

قوله: (دلّ عليها) أي: على الأزواج، وهو موافق لِما ذكَره مِن أنّ ﴿كُلِّ﴾[2]

---

[1] كذا العبارة في الأصول الخطيّة، ولعلّ الصواب في العبارة: "فلذلك ذكَر عند ذكْر الغَفلةِ الغَفلةَ عنها".

[2] ن: لكل.

قلتُ: فيه وجهان:

أن يكون ذلك مُشارًا به إلى مَصْدَرِ ﴿أَنۢبَتۡنَا﴾؛ فكأنّه قال: إنَّ في الإنباتِ لآيةً أيَّ آيةٍ.

وأن يُراد: إنَّ في كلِّ أحَدٍ من تلك الأزواج لآيةً، وقد سبَقَتْ لهذا الوجه نَظَائرُ.

﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ۝١١﴾

سَجَّلَ عليهم بالظُّلم بأَنْ قَدَّم ﴿ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ثمَّ عَطفَهُم عليهم عَطفَ البيان؛ كأنَّ مَعنى ﴿ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وتَرجَمتَه: ﴿قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ﴾، وكأنَّهما عبارتانِ تَعتقِبَانِ على مُؤدًّى واحِدٍ: إنْ شاء ذاكِرُهُم عَبَّرَ عنهم بالقوم الظَّالمين وإن شاء عَبَّر بقومِ فرعَون، وقد استحقُّوا هذا الاسمَ من جهتَين: من جهَةِ ظُلْمِهم أنفسَهُم بكُفرهم وشَرارَتِهم، ومن جهةِ ظُلمِهم لبَني إسرئيل باستعبَادِهِم لهم.

دلّ على الإحاطة بأزواج النبات، و﴿كَمۡ﴾ على أنّ هذا المحيط متكاثر. وأمّا على ما ذكرت فدلّ بـ﴿كُلِّ﴾ على الإحاطة بجميع[1] الأصناف، ودلّ بـ﴿كَمۡ﴾ على كثرة[2] الأفراد مِن كلّ صنف مِن تلك الأصناف.

قوله: (وأن يُراد: أنّ في كلِّ / واحد مِن تلك الأزواج) أو في كلِّ واحد مِن [٢١١و]
أفراد تلك الأزواج، فإنّ لكلّ واحد مِن الأزواج أفرادًا،[3] ولفظة ﴿كَمۡ﴾ إشارة إلى تلك الأفراد، وفي كلّ واحد مِن تلك الأفراد آيةٌ، قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأعراف ١٨٥/٧]، وقال الشاعر:

فـفـي كـلِّ شـيء لـه آيـةٌ تـدلُّ عـلـى أنّـه واحـدُ[4]

قوله: (وكأنّهما عبارتان) هذا كما ذكره في: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ﴾... إلخ [الفاتحة ٦/١-٧].

قوله: (وقد استحقُّوا هذا الاسم) أي: استحقّ قوم فرعون اسم الظالمين، أي: استحقُّوا أن يُسمَّوا ظالمين.

---

١ ف: على جميع.

٢ ن – كثرة.

٣ ف: أفراد.

٤ لأبي العتاهية في ديوانه، ص ١٠٤.

قرئ: "ألا يتَّقونِ" بكسر النونِ، بمَعنى: أَلَا يَتَّقُونَنِي، فحُذفتِ النُّون لاجتِماع النُّونين والياءُ للاكتِفاء بالكَسرة.

فإن قلتَ: بمَ يتعَلَّق قوله: ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾؟

قلتُ: هو كلامٌ مستأنَفٌ أَتبعَه عزَّ وجَلَّ إرسالَه إليهم للإنذار والتَّسجيلِ عَلَيْهم بالظُّلم، تَعجيبًا لموسى عليه السلام من حالهم التي شَنُعتْ في الظُّلم والعَسْف، ومِن أَمنِهم العَواقبَ وقلَّةِ خوفهم وحَذَرِهم مِن أيَّامِ الله.

ويحتمِل أَن يكون ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ حالًا من الضمير في ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: يَظلِمُون غيرَ مُتَّقِين الله وعِقابَه، فأُدْخِلت همزةُ الإنكارِ على الحال.

وأمَّا مَن قَرأ: "أَلا تتَّقُون"، على الخِطاب، فعلى طريقةِ الالتفاتِ إليهم وجَبْهِهِم وضربِ وجُوهِهم بالإنكار والغَضبِ عليهم؛ كما تَرى مَن يَشكُو مَن ركِبَ جنايةً إلى بعضِ أخصَّائه والجَاني حاضِرٌ، فإذا اندفعَ في الشكاية وحَرَّ مزاجُه وحَمِيَ غضَبُه قطع مُبَاثَّةَ صاحبِهِ وأقبَلَ على الجانِي يُوبِّخُه ويُعنِّفُ به ويقُول له: "أَلَمْ تَتَّقِ الله، أَلَمْ تَستَحْيِ من النَّاسِ".

فإن قلتَ: فما فائدةُ هذا الالتفاتِ والخطابُ مع موسى عليه السلام في وقت المناجاة والمُلتفَتُ إليهم غُيَّبٌ لا يشعُرون؟

قوله: (تعجيبًا لموسى) أي: أَتبعَه للتعجيب.

قوله: (شَنُعت) الشناعة: الفظاعة،[١] وقد شَنُع الشيء فهو شنيع، أي: شديد.[٢] والعَسْف: الأخذ على غير الطريق.[٣]

قوله: (مِن أيّام الله) أي: مِن وقائعه.

قوله: (وجَبههم) يقال: جَبَهه، أي: ضرب جبهته، كما يقال: بطَنَه ورأَسَه، أي: ضرب بطْنَه ورأْسَه.

قوله: (فإذا اندفع) أي: شرع. وقوله: (وحَرَّ) عطف.

---

[١] ف: الفضاعة.

[٢] انظر: الصحاح للجوهري، «شنع».

[٣] الصحاح للجوهري، «عسف».

قلتُ: إجْراءُ ذلك في تَكْلِيم المُرسَل إليهم في معنى إجرائه بحضرتهم وإلقائه إلى مسامِعهم؛ لأنَّه مُبَلِّغُه ومُنهيهِ وناشِرُهُ بين النَّاس، وله فيه لُطفٌ وحَثٌّ على زيادة التَّقوَى، وكم من آيةٍ أُنزلَت في شأن الكافرين وفيها أَوفَرُ نَصيبٍ للمؤمنينَ تَدبُّرًا لها واعتبارًا بمَوردها.

وفي "ألا يتقونِ" بالياء وكسر النُّون وَجهٌ آخَرُ، وهو أن يكون المعنى: أَلَا يا ناسُ اتَّقونِ، كقوله: ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ﴾ [النمل ٢٧/٢٥].

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَيَضِيقُ﴾ و﴿يَنطَلِقُ﴾ بالرَّفع لأنهما معطوفانِ على خبر "إنَّ"، وبالنَّصب لعَطفهما على صلةِ "أنْ"، والفرقُ بينهما في المعنى: أنَّ الرَّفع يفيدُ أنَّ فيه ثلاثَ عِلَلٍ:

قوله: (قلت: إجراءُ) مبتدأ، وقوله: (في معنى) خبره. وقوله: (ذلك) أي: الالتفات. وقوله: (في المرسَل)[1] ضمير مستتر يعود إلى اللام،[2] أي: في تكليم الشخص الذي أُرسل إليهم. وقوله: (إجرائه) أي: الالتفات. وقوله: (وله فيه لطف) أي: لموسى عليه السلام. وهذا عطف على قوله: (إجراء ذلك)... إلخ، فذكر فائدتين لهذا الالتفات: إحداهما: للقوم. والثانية: لموسى عليه السلام.

قوله: (كقوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ﴾ [النمل ٢٧/٢٥]) تقديره: ألَا -يا هؤلاء- اسجدوا.[3]

قوله: (بالرفع) سبعة. وقوله: (بالنصب) شاذٌ.[4]

قوله: (فيه ثلاث) أي: في موسى عليه السلام.

---

١ العبارة في مطبوع الكشّاف: "في تكليم المرسل". ولعلّ العبارة هنا وقع فيها تقديم وتأخير، والأصل أن يقول: وفي قوله: (المرسل) ضمير...

٢ يريد لام التعريف في "المرسل" باعتبارها اسمًا موصولًا.

٣ هذا على قراءة الكسائي وأبي جعفر ورُوَيس، حيث قرءوا بتخفيف اللام ووقفوا في الابتداء "ألَا يا"، وابتدءوا: "اسجدوا" بهمزة مضمومة على الأمر. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٣٧.

٤ قراءة النصب قراءة صحيحة قرأ بها يعقوب أحد العشرة. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٣٥.

خَوفَ التكذيب، وضِيقَ الصَّدر، وامتناعَ انطلاقِ اللِّسانِ. والنصبَ على أنَّ خَوفه مُتعَلِّقٌ بهذه الثلاثة.

فإن قلتَ: في النَّصْب تَعليقُ الخوف بالأمُور الثلاثة وفي جُملتها نفيُ انطلاق اللِّسان، وحقيقةُ الخوف إنما هيَ غمٌّ يلحقُ الإنسانَ لأمرٍ سيَقَعُ، وذلك كان واقعًا فكيفَ جاز تعليقُ الخوف به؟

قلتُ: قد عُلِّق الخوفُ بتكذيبهم وبما يَحصُل له بسببِه من ضِيق الصَّدْر والحُبْسةِ في اللِّسان زائدةً على ما كان به، على أن تلك الحُبسَةَ التي كانت به قد زالت بدَعْوته، وقيل: بقِيَتْ منها بقيَّةٌ يَسِيرةٌ.

فإن قلتَ: اعتذَارُكَ هذا يَرُدُّهُ الرَّفعُ؛ لأن المعنى: إني خائفٌ ضَيِّقُ الصَّدْر غيرُ مُنطَلِقِ اللِّسان.

قوله: (والنصبَ على أنّ) عطف على قوله: (الرفعَ) أي: وأنّ النصب يدلّ على أنّ خوفه، فعلى هذا يكون فيه علّة واحدة، وهو الخوف المتعلّق بهذه[1] الثلاثة.

قوله: (وذلك) أي: نفي انطلاق اللسان.

قوله: (بسببه) أي: بسبب تكذيبهم.

قوله: (زائدةً) حال مِن "الحُبسة". وقوله: (على ما كان به) أي: على الذي كان به مِن الحُبسة، يعني: لا بمطلق الحُبسة. وقوله: (به) أي: بموسى. وقوله: (على أنّ تلك) أي: هذا الجواب مع أنّا نقول: إنّ تلك الحُبسة...

قوله: (فإن قلتَ: اعتذارك هذا)[2] يريد بقوله: "هذا": أنّ تلك الحُبسة قد زالت. وقوله: (لأنّ المعنى) أي: على تقدير الرفع. وقوله: (غير منطلق اللسان) وإذا كان المعنى على أنّه غير منطلق اللسان لزِم أن تكون تلك الحُبسة باقيةً غيرَ زائلة.

---

[1] ن: لهذه.

[2] ف + قوله: (هذا) إشارة إلى الاعتذار الواقع في الجواب.

قلتُ: يجوزُ أَن يكون هذا قَبل الدَّعوَة واستجَابَتِها، ويجوزُ أَن يُريدَ القَدْرَ اليَسيرَ الذي بَقِيَ به، ويجوزُ أَن لا يكونَ مع حَلِّ العُقدة من لسَانِه من الفصَحَاء المَصَاقِع الذين أُوتُوا سَلاطَةَ الألسنَة وبَسْطَةَ المقَال، وهارُونُ كان بتلك الصِّفة فأراد أن يُقرَنَ به، ويدُلُّ عليه قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا﴾ [القصص ٣٤/٢٨].

ومَعنى ﴿فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾: أرسِلْ إليه جبريلَ واجعَلْه نبيًّا وآزِرْني به واشدُدْ به عَضُدي، وهذا كلامٌ مختصَرٌ وقد بسَطْتُه في غير هذا الموضع، وقد أحسَنَ في الاختصار حيثُ قال: ﴿فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾ فجاء بما يتضَمَّنُ معنى الاستنباءِ، ومثلُه في تَقصير الطَّويلة والحُسْنِ قولُه تعالى: ﴿فَقُلۡنَا ٱذۡهَبَآ إِلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرۡنَٰهُمۡ تَدۡمِيرٗا﴾ [الفرقان ٣٦/٢٥] ....

قوله: (قلتُ: يجوز أن يكون هذا) أي: هذا الكلام؛ وهو قوله: ﴿أَخَافُ﴾... إلخ، هذا جواب أوّل. وقوله: (ويجوز أن يريد) أي: يريد بقوله: ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾، وهذا جواب ثانٍ. وقوله: (ويجوز أن لا يكون) الجواب الثالث. وقوله: (مِن الفُصحاء) فلذا قال: ﴿وَلَا يَنطَلِقُ﴾. وقوله: / (المَصاقع) صقَع الديك، أي: [٢١١ظ] صاح، وخطيب مِصْقَع، أي: بليغ.[١] ورجل سليط، أي: فصيح حديد اللسان بيّن السَّلاطة والسُّلوطة.[٢] وقوله: (بتلك الصفة) يعني: الفصاحة التي أشار إليها بقوله: "مِن الفصحاءِ المصاقع"...[٣] إلخ.

قوله: (وآزِرني به) آزَرْتُ فلانًا: عاونته، والعامّة تقول: وازَرْتُه.[٤]

قوله: (في غير هذا الموضع) يريد قوله تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝ هَٰرُونَ أَخِي ۝ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾ [طه ٢٩/٢٠-٣٢].

قوله: (قوله[٥] تعالى: ﴿فَقُلۡنَا ٱذۡهَبَآ﴾ [الفرقان ٣٦/٢٥]) الخطاب في ﴿ٱذۡهَبَآ﴾ لموسى وهارون.

---

١ الصحاح للجوهري، «صقع».
٢ الصحاح للجوهري، «سلط».
٣ ف: والمصاقع.
٤ الصحاح للجوهري، «أزر».
٥ ف - قوله.

حيْث اقتصَر على ذكرِ طرفي القِصَّة أوَّلِها وآخِرِها، وهما: الإِنذارُ والتَّدميرُ، ودَلَّ بذكرهما على ما هو الغَرَضُ من القصَّة الطَّويلة كُلِّها، وهو أَنَّهم قومٌ كذَّبُوا بآيات الله، فأَرَادَ اللهُ إلزامَ الحُجَّةِ عَليهم فبَعث إليهم رسُولَين فكذَّبُوهما فأَهْلكهم.

فإن قلتَ: كيف ساغ لموسى عليه السلام أَنْ يأمرَه اللهُ بأمْرٍ فلا يَتقبَّلَهُ بسَمْعٍ وطاعةٍ من غيْرِ توقُّفٍ وتَشبُّثٍ بعِلَلٍ وقد عَلم أنَّ الله مِن وَرائه؟

قلتُ: قد امتَثَلَ وتَقبَّلَ، ولكنَّه التَمَسَ من ربِّه أنْ يَعضُدَه بأخِيه حتَّى يتعَاوَنَا على تنفيذ أمره وتَبليغِ رِسَالته، فمهَّد قبلَ التماسِهِ عُذرَه فيما الْتَمَسَه ثمَّ التَمَسَ بَعد ذلك، وتَمْهيدُ العُذرِ في التماسِ المُعِينِ على تنفيذ الأمْرِ ليس بتَوقُّفٍ في امتثال الأمْرِ ولا بِتَعلُّلٍ فيه، وكفَى بطَلَبِ العَوْنِ دليلًا على التَّقبُّلِ لا على التَّعلُّل.

﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ١٤﴾

أراد بالذَّنب: قتْلَهُ القِبْطيَّ، وقيل: كان خبَّازَ فرعون واسمُه فَاتُونُ، يعني: ولَهُم عَليَّ تَبِعَةُ ذنْبٍ وهي قَوَدُ ذلك القَتلِ، فأَخاف أَن يَقتلُوني به، فحُذِف المضاف، أو سُمِّي تَبِعةُ الذَّنبِ ذنبًا كمَا سمِّي جزاءُ السَّيِّئةِ سيِّئةً.

فإن قلتَ: قد أَبَيْتَ ....

قوله: (فأراد) أي: أراد الله تعالى. وقوله:[١] (رسولين) وأشار إليه هناك بقوله: ﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَا﴾ [الفرقان ٢٥/٣٦].

قوله: (فمهَّد) عطف على قوله: (التمس) ومعنى "التمس": أراد أن يلتمس، أي: أراد أن يلتمس[٢] فمهَّد العذر، ثمّ التمس -أي: مهَّد عذره- بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾.

قوله: (ولهم عليّ تبِعةُ ذنبٍ)؛ لأنّ تبِعة الذنب وجزاءه كالدَّين على المذنب يجب عليه أداؤه.

---

[١] ن - وقوله.
[٢] ف - أي: أراد أن يلتمس.

أن تكونَ تلك الثَّلاثُ عِلَلًا، وجعَلتَها تَمهيدًا للعُذرِ فيما الْتَمسَه، فما قولُك في هذه الرَّابعَةِ؟

قلتُ: هذه استدْفاعٌ للبَليَّةِ المتُوقَّعةِ، وفَرَقٌ مِن أن يُقتَلَ قبْلَ أداء الرِّسالة، فكيف يكون تَعلُّلًا؟ والدَّليلُ عليه ما جاء بعدَهُ من كلمةِ الرَّدع، والمَوْعِدِ بالكَلاءة والدَّفع.

﴿قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ١٥﴾

جمَع اللهُ له الاستِجَابتَينِ معًا في قوله: ﴿كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا﴾ لأنَّه استَدفعَه بلاءَهم فوعَدَه الدَّفعَ بِردْعِه عن الخَوف، والتَمَسَ منه المُؤازَرةَ بأخِيه فأجابه بقوله: ﴿اذهبا﴾؛ أي: اذهَبْ أنتَ والذي طَلَبْتَهُ وهو هارونُ.

فإن قلتَ: علامَ عُطِف قولُه: ﴿فَٱذۡهَبَا﴾؟

قوله: (عِلَلًا) أي: في منع القبول.

قوله: (وفَرَقٌ) أي: خوفٌ.

قوله: (والدليل عليه) أي: والدليل على أنّ ما قاله موسى عليه السلام مِن كلمته الرابعة استدفاع لا تعلّل: أنّه تعالى قال بعد ذلك: ﴿كَلَّا﴾، أي: ارتدع[١] عن خوف القتل، فإنّي أحفظك منهم، ولا يقدرون على قتلك.

قوله: (والكِلاءة) كلَأَه[٢] الله كِلاءةً -بالكسر-: حَفِظَه.

قوله: (الاستجابتين) أي: الإجابتين، ويقال: استجابه، أي: أجابه، قال:

وداعٍ دعا يا مَن يُجيبُ إلى النَدَى فلم يستجِبه عند ذاك مُجيبُ[٣]

قوله: (لأنّه استدفعه) أي: لأنّ موسى استدفع الله تعالى.

---

١ ف: ان تدع.

٢ في الأصول الخطيّة: "كلأ"، وأثبتُ الضمير ليناسب قوله: "حفظه"، وهو كذلك في الصحاح للجوهري، «كلأ».

٣ مِن قصيدة لكعب بن سعد الغنَوي يرثي أخاه شبيبًا. انظر: شرح شواهد المغني للسيوطي، ٦٩١/٢؛ ولسان العرب لابن منظور، «جوب».

قلتُ: على الفعل الذي يدُلُّ عَليه ﴿كَلَّا﴾؛ كأنَّه قيل: ارتَدِعْ يا مُوسَى عمَّا تَظُنُّ فاذهَب أنْتَ وهارون.

وقوله: ﴿مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ من مجَاز الكلام، يُرِيدُ: أنَا لكُمَا ولِعَدُوِّكُمَا كالنَّاصِرِ الظَّهِيرِ لكُما عليه إذا حَضَرَ واستَمعَ ما يَجْرِي بَينكُما وبَينَه، فأظهَرَكُمَا وغَلَّبَكُما وكَسَرَ شَوكتَه عنكما ونكَسَهُ.

ويجوز أن يكُونَا خَبرين لـ"إنَّ"، أو يكونُ ﴿مُسْتَمِعُونَ﴾ مستقِرًّا و﴿مَعَكُم﴾ لغوًا.

فإن قلتَ: لمَ جعلْتَ ﴿مُسْتَمِعُونَ﴾ قرينةَ ﴿مَعَكُم﴾ في كونهِ من باب المجاز، واللهُ تعالى يُوصف على الحقيقة بأنَّه سميعٌ وسَامِعٌ؟

قوله: (مِن مَجاز الكلام) بيّنه بقوله: (أنا لكما)... إلخ، يعني: شبّه تعالى نصرته لهما -أي: لموسى وهارون- على فرعون بمَن يكون مع المتخاصمَين المحِقّ والمبطل، فيعين المُحِقَّ على المبطِل، وينتصر المظلوم مِن الظالم، وإنّما حمل على المجاز لامتناع مفهوم ﴿مَعَكُم﴾ و﴿مُسْتَمِعُونَ﴾ مِن الله تعالى حقيقة، وإنّما يتصوّر بطريق المجاز.

قوله: (لكما ولِعدوّكما) أشار بقوله: "لكما ولعدوّكما" إلى أنّ الضمير في قوله تعالى: ﴿مَعَكُم﴾ لموسى وهارون وفرعون، فهو تعالى معهما بالعون والنصر، ومع فرعون بالكسر والقهر. وقوله: (الظهير) بمعنى: المظاهر، يقال: ظاهره أي: عاونه، فهو ظهيره.

قوله: (إذا حضر) ظرف ينازع فيه "الناصر" و"الظهير"، أي: كالذي ينصر ويظاهر إذا حضر.

قوله: (مستقَرًّا)[١] أي: خبرًا. وقوله: (و﴿مَعَكُم﴾ لغوًا) سمّاه: لغوًا؛ لأنّه زائد، ليس جزءًا مِن الكلام.

قوله: (قرينة ﴿مَعَكُم﴾) إشارة إلى أنّ ﴿مَعَكُم﴾ مجاز قطعًا.

---

[١] ن: مستقر.

قلتُ: ولكنْ لا يُوصَفُ بالمُستَمِع على الحقيقةِ؛ لأنَّ الاستماع جارٍ مَجْرَى الإصْغاءِ، والاستماعُ من السَّمع بمنزلةِ النظرِ من الرُّؤية، ومنه قولُه تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن ١/٧٢]، ويقالُ: استَمعَ إلى حَديثِه وسمع حديثَهُ؛ أي: أَصْغَى إليه وأَدركَه بحَاسَّةِ السَّمع.

ومنه قولُه عليه السلام: «مَن استَمعَ إلى حديثِ قوم وهُم له كارهُونَ صُبَّ في أُذنَيه البَرَمُ».

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾

فإن قلتَ: هَلَّا ثَنَّى "الرسول" كما ثَنَّى في قوله: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾؟

قلتُ: الرسولُ يكون بمَعنى المرْسَلِ وبمعْنى الرِّسالةِ، فجُعِل ثَمَّ بمَعْنى المُرسَلِ فلم يَكن بُدٌّ من تَثنِيَتِه، وجُعِل هنا بمعنى الرسالةِ فجازَت التَّسويةُ فيه

قوله: (قلت: ولكن) عطف على محذوف، كأنّه قال: بلى يوصف بكونه سميعًا وسامعًا، ولكن لا يوصف بكونه مستمعًا. وقوله: (مِن السَّمع) وقوله: (مِن الرؤية) "مِن" فيهما[1] للابتداء، أي: الاستماع مبتدِئًا أمره مِن السمع بمنزلة
[٢١٢و] النظر مبتدئًا مِن الإبصار. والنظر: / تقليب الحدَقة نحو المرئيّ التماسًا للرؤية.[2] والاستماع: توجيه حاسّة السمع وصرفها نحو المسموع التماسًا لسماعه. ويقال: سمعتُ الشيء سمعًا وسَماعًا.

قوله: (ويقال: استمع إلى حديثه)... إلخ، فيه لفّ ونشر. وقوله: (حاسّة السمع) مِن إضافة العامّ إلى الخاصّ للبيان، إذ السمع إحدى الحواسّ، لكنه في الأصل مصدر؛ فلذا يطلق على الواحد والجمع، قال تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة ٧/٢].

قوله: (البَرَم) البَرَم: الكُحل المذاب، والآنُك.[3]

---

١ ن: فهما.

٢ انظر: الكلّيّات لأبي البقاء، ص ٩٠٤.

٣ الآنُك: هو الرصاص الخالص، ويقال: الرصاص الأسود. المصباح المنير للفيّومي، «أنك».

-إذا وُصف به- بينَ الواحِد والتَّثنية والجمعِ؛ كما يُفعَل في الصِّفَة بالمصَادر نحو: صَوْمٍ وزَوْرٍ؛ قال:

أَلِكْنِي إِلَيْهَا وخَيرُ الرَّسُو ل أَعلَمُهُم بنَواحِي الخبَرْ

فجعله للجماعَة، والشَّاهدُ في الرَّسُول بمَعنى الرِّسالةِ قوله:

لقد كذَبَ الواشُونَ ما فُهْتُ عندهُمْ بِسِرٍّ ولا أرسَلتُهم برَسُولِ

قوله:

(أَلِكْني إليها وخيرُ الرسو لِ أعلَمُهم بنواحي الخَبز)[1]

المألُكة والألوك: الرسالة، قاله في مُجمل اللغة.[2] وقال في صِحاح اللغة: «الألوك:[3] الرسالة، وكذلك المألُك والمألُكة، بضم اللام فيهما».[4] وقال أيضًا في مجمل اللغة: «أَلِكني أي: تحمّل رسالتي إليه، قال أبو زيد: أَلَكتُه أَلِيكُه إلاكةً إذا أرسلته، وذكر ناس أنّ الألوكة مِن[5] قولك: يُؤلَك الشيء في الفم، مثل: يُعْلَك».[6] وقوله: "وخير الرسول"، أي: خير الرسل بدليل إضافة "خير" إليه، ولقوله: "أعلمهم". وقوله: (فجعله للجماعة) يعني: أنّ المراد به الجماعة، لكنّه لمّا كان مصدرًا وُصِف به أفراده.

وقوله:

(لقد كذَبَ الواشون)... البيتَ[7]

كأنّهم نقلوا عن الشاعر كلامًا، فقال: كذبوا عليَّ وبَهتوني بهذا الكلام، فإنّي ما تكلّمتُ بشيء مِن هذا الكلام الذي نقلوه عنّي، ولا أرسلتُهم برسالة ليبلّغوا عنّي هذا الكلام الذي نقلوا عنّي. ويجوز أن يكون المعنى: ما أرسلتهم برسالة لا لهذا الكلام ولا لغيره.

---

[1] ن: الخير. | لأبي ذؤيب الهذلي في لسان العرب لابن منظور، «لوك».

[2] مُجمل اللغة لابن فارس، «ألك».

[3] ن: للألوك.

[4] الصحاح للجوهري، «ألك».

[5] ن: مو.

[6] مُجمل اللغة لابن فارس، «ألك».

[7] لكُثَيِّر عَزّة في ديوانه، ص ١١٠؛ بلفظ: "برسيلِ"، قال أبو عليّ القالي: «ويروَى: برسول، والرسول والرسيل: الرسالة هاهنا». الأمالي لأبي عليّ القالي، ٦٣/٢.

ويجوز أن يُوَحَّدَ لأن حُكمَهما -لتسانُدِهما، واتِّفاقِهما على شريعةٍ واحدةٍ، واتِّحادهما لذلك وللأُخوَّة- كان حُكمًا واحِدًا، فكأنَّهما رسولٌ واحدٌ.

أو أُريد: إن كل واحدٍ مِنَّا.

﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ١٧﴾

﴿أَنْ أَرْسِلْ﴾ بمَعنى: أيْ أَرْسِلْ؛ لتضَمُّنِ "الرَّسُول" مَعنى الإرسال، وتقولُ: "أَرْسَلتُ إليكَ أنِ افْعَلْ كذا" لِمَا في الإرسال من معنى القول كما في المُنَادَاةِ والكِتبَة ونحوِ ذلك.

ومَعنى هذا الإرسال: التَّخلِيةُ والإطْلاقُ؛ كقولك: "أَرسِلِ البَازِيَّ"، يُريدُ: خَلِّهم يَذهبُوا معنا إلى فِلَسطينَ، وكانَتْ مَسكَنَهما.

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ١٨﴾

ويروَى: أنَّهما انطَلقَا إلى بَابِ فرعَون فَلم يُؤذَنْ لهما سَنةً، حتَّى قال البَوَّابُ: إنَّ هاهُنا إنسانًا يَزعُم أنَّه رسُولُ ربِّ العَالمين؟ فقال: ائذَن له لعَلَّنا نَضْحَكُ منه، فأدَّيَا إليه الرسَالةَ، فعَرفَ موسَى فقال له: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ﴾ حُذفَ: "فأَتيا فرعَونَ فقَالا لهُ ذلك" لأنَّه معلومٌ لا يَشتبِهُ، وهذا النوعُ من الاختصَار كثيرٌ في التَّنزيل.

قوله: (لذلك) أي: لتساندهما واتفاقهما.

قوله: (لتضمّن الرسول معنى الإرسال) فكأنّه قيل: أرسلَنا ربُّ العالمين، ثمّ فسّر الإرسال، فكأنّه قيل: أُرسِلنا لهذا المهمّ؛ وهو أن ترسل معنا، أو أُرسِلنا لتبليغ هذا الأمر؛ وهو أرسل معنا بني إسرائيل، وهذا الكلام مِن المصنِّف إشارة إلى جواب سؤال؛ وهو أن يقال: إذا كان الرسول بمعنى الرسالة أو المرسل كيف ساغ تفسيره بـ﴿أَرْسِلْ﴾... إلخ؟ فأجاب: بأنّ ذلك لتضمّنه معنى الإرسال.

قوله: (فأدَّيا إليه الرسالة) فاء فصيحة، أي: فأُذِن فدخلا فأدَّيا. وقوله: (فعرف) أي: فرعون.

"الوليدُ": الصَّبيُّ؛ لقُرْب عَهْدِه من الوِلادة.

وفي روايةٍ عن أبي عمرو: "مِن عُمْرِكَ" بسُكون الميم.

﴿سِنِينَ﴾ قيل: مكثَ عندهم ثلاثينَ سَنةً، وقيل: وكَزَ القِبْطيَّ وهو ابنُ ثنتي عشرةَ سنةً وفَرَّ منهم على أَثَرِهَا، واللهُ أَعْلم بصَحيحِ ذلك.

وعن الشَّعبيّ: "فِعْلتَكَ" بالكسْر، وهي قِتْلةُ القِبْطيّ؛ لأنَّه قَتلهُ بالوَكزَةِ وهو ضَرْبٌ من القَتل، وأما الفَعْلة فلأنَّها كانَت وَكزةً واحِدَةً.

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٩﴾

عَدَّدَ عَليه نعمتَهُ من تَربيَته وتَبليغِه مَبلغَ الرِّجالِ، ووَبَّخهُ بما جَرى على يَدِه من قَتل خبَّازِه، وعَظَّمَ ذلك وفظَّعه بقوله: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ﴾.

﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يجُوز أنْ يكُونَ حَالًا؛ أي: قتَلتَهُ وأنت لذاك من الكافرين بنعمتِي، أو: وأنتَ إذْ ذاك ممن تُكفِّرُهم السَّاعةَ. وقَد افتَرى عليه أو جَهِلَ أَمْرَه؛

قوله: ("الوليد": الصبيّ) يقال للصغير: وليد ومولود، وإن كان الكبير مَولودًا أيضًا؛ لقرب عهده مِن الولادة، كما يقال: لبن حليب، ورُطَب جَنيّ، للطريّ منهما؛ وذلك لقرب عهدهما مِن الجَنْي والحَلْب.

قوله: (وقد افترى عليه) أي: افترى فرعون على موسى. وقوله: (أو جهِلَ) عطف على "افترى"، وفي الكلام حذف، أي: افترى عالِمًا بأمره، أو ظنّ أنّه كان كافرًا فافترى عليه جاهلًا، وإنّما قدّرنا كذلك؛ / لأنّه وإن كان جاهلًا بحاله يكون [٢١٢ظ] كلامه افتراءً، أي: كذبًا؛ لأنّه ليس مطابقًا، ويحتمل أن يكون المصنّف قد ذهب هنا إلى أنّ الصدق هو الكلام المطابق لاعتقاد المتكلّم، والكذب ما يخالفه، سواء كان الاعتقاد[١] خطأً أو صوابًا، والظاهر أنّ الافتراء لا يقال إلّا فيما يعلم القائل[٢] أنّه كذب، وأنّه ليس ما يقوله كما يقوله، بخلاف الكذب، ولذلك عطف المصنّف قوله: "أو جَهِل" على قوله: "افترى".

---

[١] ن: للاعتقاد.

[٢] ن: العامل.

لأنَّه كان يُعَايِشُهم بالتَّقيَّة، فإنَّ الله عزَّ وعلا عَاصِمُ مَن يُريد أَن يَستَنبئهُ مِن كُلِّ كبيرةٍ ومِن بَعض الصَّغائر، فما بالُ الكُفر؟

ويجوز أن يكون قولهُ: ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ حُكمًا عليه بأنَّه من الكافرين بالنِّعم، ومَن كانَت عَادتُه كُفرانَ النِّعم لم يكُنْ قَتلُ خَواصِّ المُنْعِم علَيه بِدْعًا مِنه.

أو: بأنَّه من الكافرين بفرعَون وإلاهيَّته.

أو: من الَّذين كانوا يُكفِّرونَ في دِينِهم، فقد كانت لَهُم آلِهةٌ يَعْبُدونَهم، يشهَدُ لذلك قولُه تعالى: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف ١٢٧/٧] وقرئ: "وإلاهَتَكَ".

﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾

فأجَابه موسى صَلواتُ الله عليه بأن تلك الفَعلة إنما فَرَطَتْ منه وهو ﴿مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾؛ أي: الجاهِلين، وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه: "مِنَ الجَاهِلين" مُفسِّرةٌ،

وقوله: (بالتقيّة) "التقيّة": اسم مِن الاتّقاء، وتاؤها بدل مِن الواو؛ لأنّها "فَعِيلة"[١] مِن وَقَيت؛ وهي أن يقيَ نفسه مِن اللائمة أو مِن العقوبة بما يُظهِر، وإن كان على خلاف ما يُضمر، وعن الحسَن رحمه الله:[٢] «التقيّة جائزة إلى يوم القيامة».[٣] وقوله: (فإنّ الله عزّ وعلا)[٤] متعلّق بقوله: "افترى أو جَهِل". وقوله: (بعضِ الصغائر) يعني ما يدلّ على الخِسّة، كالتطفيف بحبّةٍ، وسرقة لقمة، وسرقة باقة بقلةٍ.

قوله: (ويجوز أن يكون) فعلى هذا يكون[٥] الواو للعطف،[٦] وكان على الوجه الأوّل للحال.

قوله: (خواصّ المنعِم) في "المنعِم" ضمير يعود إلى اللام.[٧]

---

١ ن: فعلة.

٢ د – رحمه الله.

٣ تمامه: «إلّا أنّه كان لا يجعل في القتل تقيّة». مصنَّف ابن أبي شيبة، ٤٧٤/٦ (٣٣٠٤٢).

٤ ن: عزّ وجلّ.

٥ ف: كون.

٦ ن: للعصف.

٧ أي: لام التعريف باعتبارها اسمًا موصولًا.

والمعنَى: من الفاعِلين فِعْلَ أُولي الجَهل والسَّفهِ، كما قال يُوسف لإخوته: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ [يوسف ١٢/٨٩].

أو: المُخطِئِينَ؛ كمَن يَقتُلُ خطأً مِن غيرِ تعمُّدٍ للقَتلِ.

أو: الذَّاهِبِينَ عن الصَّواب.

أو: النَّاسِين، مِن قوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة ٢/٢٨٢].

وكذَّبَ فرعونَ ودفَع الوَصْفَ بالكُفر عَن نفسِه وبَرَّأ سَاحَته بأَنْ وضَع ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ مَوضع ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ رَبْئًا بمحَلِّ مَن رُشِّحَ للنُّبوَّة عن تلك الصِّفَة، ثمَّ كرَّ على امتنَانه عليه بالتَّربيةِ فأبطَلَه من أصله واستأصلَه من سِنْخِه، وأَبَى أَن يُسمِّيَ نِعمتَه إلَّا نِقْمةً، حيث بيَّن أنَّ حقيقةَ إنعَامهِ عليه تَعبيدُ بَنِي إسرائيل؛ لأن تَعبيدَهم وقصْدَهم بذبْح أبنائهم هو السَّببُ في حصُوله عنده وتَربيتِه، فكأنَّه امتنَّ عليه بتَعبيدِ قَومِه إذا حُقِّقَتْ.

وتَعبيدُهُم: تَذليلُهم واتِّخاذهم عَبيدًا، يُقال: "عَبَدْتُ الرجُلَ وأعبدْتُه": إذا اتَّخذتَه عَبدًا، قال:

عَـلامَ يُعْبِدُنِي قَومي وقد كَثُرَتْ فيهم أَباعِرُ ما شاءُوا وَعُبْدانُ

قوله: (وكذّب) أي: موسى.

قوله: (رَبْأً) رَبَأ به، أي: رفعه.

قوله: (رُشِّح) الترشيح:[١] أن ترشِّح الأمُّ ولدها باللبن القليل تجعله في فيه شيئًا بعد شيء إلى أن يقوى على المصّ. ويقال: فلان يُرشَّح للوزارة؛ أن يُربَّى ويؤهَّل لها.[٢]

قوله: (مِن سِنخه) أي: أصله.

قوله: (إذا حُقِّقَتْ) الضمير مِن "حقِّقت" للتربية أو النِّعمة.

قوله:

(عـلامَ يُـعـبِـدُنـي)... البيتَ[٣]

---

١ ن: الترشيح.

٢ الصحاح للجوهري، «رشح».

٣ للفَرزدق في لسان العرب لابن منظور، «عبد»، ولم أجده في ديوانه.

فإن قلتَ: "إذن" جوابٌ وجزاء معًا، والكلامُ وقَع جوابًا لفرعون، فكيف وقَع جزاءً؟

قلتُ: قولُ فرعون ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ﴾ فيه مَعنى: إنكَ جازَيتَ نعمتِي بما فعلتَ، فقال له موسى: "نَعم فَعلتُها مُجازِيًا لك" تَسليمًا لقوله؛ لأنَّ نعمتَه كانَت عنده جديرةً بأن تُجَازَى بنحو ذلك الجزاء.

"البعير" مِن الإبل بمنزلة الإنسان مِن الناس، يقال للجمل: بعير، وللناقة: بعير، وحُكي عن بعض العرب: صرَعتْني بعيري، أي: ناقتي، والجمع: أبعرة وأباعر وبُعران.[1] و"العبد" معروف، والجمع: أعبُد وعَبيد وعِباد وعِبْدان وعُبْدان -بالكسر والضمّ- وعِبِدّان -بكسرتين وتشديد الدال- وعِبِدّى بكسرتين والقصر والمدّ.[2] وقوله: "ما شاءوا" في محلّ المصدر مِن قوله: "كثُرَتْ"، أي: كثُرتْ كثرةً شاءوها. وأمّا معنى البيت: فيجوز أن يقول الشاعر بطريق التهكّم أنّهم ليسوا محتاجين إلى أن يتّخذوني عبدًا؛ لأنّ لهم أموالًا كثيرة مِن الأباعر والعبيد، فلِمَ اتّخذوني عبدًا مع استغنائهم عن ذلك؟ وفيه إشارة إلى أنّه إنّما يصلح لإعبادهم الأباعر والعِبدان، لا نحن. ويجوز أن يكون المعنى: أنّهم بَطِروا وتجبَّروا وطغَوا بسبب كثرة أموالهم، وظلَموا عليّ واتّخذوني عبدًا، فيُنكر ذلك الفعل عليهم في تلك الحال، وهي كثرة الأموال؛ لأنّ تلك الحال حملتهم على تَعبيدهم إيّاه، فكأنّه قال: ألِأن كثُرتْ أموالهم عبّدوني؟[3]

قوله: (قلت: قول فرعون)... إلخ، هذا الذي ذكره المصنِّف في معنى المجازاة في ﴿إِذًا﴾ لا يلائم قوله: ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾؛ لأنّ هذا الكلام يدلّ على أنّه اعترف / بأنّه فعل ذلك جاهلًا أو ناسيًا، فلا يلائمه قول المصنِّف: "كانت نعمته جديرةً بنحو ذلك". والذي يَرِد في الخاطر -والله أعلم- أنّ المعنى: أنّ فرعون لمّا قال: جازيتَ نعمتي بما فعلتَ، أجابه موسى عليه السلام بأنّي جازَيتُه بذلك، [٢١٣و]

---

١ الصحاح للجوهري، «بعر».

٢ بالمدّ: وعِبِدّاء. انظر: الصحاح للجوهري، «عبد»؛ وشرح شواهد الكشّاف لمحبّ الدين أفندي، ص ٣٢٠.

٣ انظر: شرح شواهد الكشّاف لمحبّ الدين أفندي، ص ٣٢٠.

فإن قلتَ: لِمَ جُمع الضميرُ في ﴿مِنكُمْ﴾ و﴿خِفْتُكُمْ﴾ مَع إفراده في ﴿تَمُنُّهَا﴾ و﴿عَبَّدتَّ﴾؟

قلتُ: الخوفُ والفِرارُ لم يكونَا منه وحده، ولكنْ منه ومِن مَلَئِه المُؤتَمِرينَ بقتلِه، بدليلِ قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [القصص ٢٨/٢٠]، وأمّا الامتِنانُ فمنه وحده، وكذلك التَّعبيدُ.

فإن قلتَ: ﴿وَتِلْكَ﴾ إشارةٌ إلى ماذَا؟ و﴿أَنْ عَبَّدتَّ﴾ ما محَلُّهَا منَ الإعرابِ؟

قلتُ: ﴿وَتِلْكَ﴾ إشارةٌ إلى خَصْلةٍ شَنْعَاءَ مُبْهَمةٍ لا يُدرَى ما هي إلّا بتفسيرها،

وتلك المجازاة كانت صادرةً مِن الجهل أو النسيان، لا مِن العلم والقصد، وكنتُ إذ ذاك جاهلًا، فخفتُ مِن ذلك الفعل السّوء ففَرَرتُ، فوهب الله تعالى لي النبوّة، والآن أنا نبيٌّ، والأمر بخلاف ما كنتَ عليه قبل ذلك.

قوله: (المؤتمرين) يقال: ائتمر الأمرَ، أي: امتثله، قال امرئ القيس:

ويَـعـدو عـلـى الـمَـرء مـا يـأتَـمِـرْ[١]

أي: ما تأمر به نفسه فيُرى أنه رُشد، فربّما كان هلاكه في ذلك، ويقال: ائتمَروا به إذا همُّوا به وتشاوروا فيه، والائتمار والاستِئمار: المشاورة.[٢]

قوله: (بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ﴾) ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ﴾... [القصص ٢٨/٢٠].

قوله: ("تلك" إشارة) اعلم أنّه لمّا قال في الجواب الأوّل: "﴿أَنْ عَبَّدتَّ﴾ بيان" آلَ المعنى كما ذكَر إلى قولك: "تعبيدك نعمة"، ولا شبهة أنّ التعبيد ليس نعمة؛ بل النعمة هي التربية إلى البلوغ مَبلغَ الرجال، لكن لمّا كان تلك التربية مُسبَّبة عن التعبيد، وضع التعبيد موضع التربية؛ إقامةً للسبب مقام المُسبَّب، وهو معنى قوله فيما مرّ: "حقيقةُ إنعامه تعبيد بني إسرائيل"، أي: أصل تلك التربية ذلك التعبيد، فإنّ سبب الشيء أصله وحقيقته الذي هو مبنيّ عليه،

---

[١] ديوان امرئ القيس، ص ١٥٣.
[٢] الصحاح للجوهري، «أمر».

ومَحلُّ: ﴿أَنْ عَبَّدتَّ﴾ الرَّفعُ عَطفُ بيَانٍ لـ﴿وَتِلْكَ﴾، ونظيرُهُ قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ﴾ [الحجر ١٥/٦٦]، والمَعنى: تَعْبيدُكَ بني إسرائيل نِعمةٌ تَمنُّها عَليَّ.

وقال الزَّجَّاجُ: ويجوز أَنْ يكون ﴿أَنْ﴾ في مَوضِع نصبٍ، المعنَى: إنَّما صَارتْ نِعمةً عَليَّ لأَنْ عَبَّدْتَ بني إِسْرائيل؛ أي: لو لم تَفعَلْ ذلك لكفَلَني أهلي ولم يُلقُوني في اليمِّ.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾

فإنَّ ما يتفرّع عليه الشيء يسمّى: حقيقةً. وأمّا الجواب الثاني فمعناه: أنّ تلك التربية إنّما كانت نعمة لتعبيدك بني إسرائيل، إذ لولا التعبيد لما حصل التربية أصلًا، فلم يكن نعمة منك؛ لعدمها حينئذٍ.

قوله: (ونظيره قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ﴾... [الحجر ١٥/٦٦]) أي: نظيره في أنّ اسم الإشارة إلى شيء مبهم يبيّنه ما بعده. وقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ [الحجر ١٥/٦٦]، أي: إلى لوط عليه السلام.

قوله: (وقال الزجّاج: ويجوز)[1] الواو في قول المصنِّف: "وقال" للعطف على قوله: ("تلك" إشارة إلى خصلة)، والواو في قوله: "ويجوز" هو الواو الذي ورد في لفظ الزجّاج؛ لأنّ الزجّاج ذكر الوجه الأوّل، ثمّ عطف هذا الوجه الثاني عليه، والمصنِّف أتى بهذا[2] الواو ليُعلِم أنّ الزجّاج ذكر الوجهين. وعلى ما ذكر الزجّاج: ﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ إشارة إلى "النِّعمة" التي عدَّدها فرعون، و﴿نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ خبره، و﴿أَنْ عَبَّدتَّ﴾ مفعول له مِن معنى الفعل في ﴿نِعْمَةٌ﴾.

---

[1] معاني القرآن وإعرابه للزجّاج، ٨٧/٤.

[2] ن: هذا.

لمّا قال له بوَّابُه إنَّ هاهُنا مَن يَزعُم أنَّه رسُولُ ربِّ العالمينَ، قال له عند دخُوله: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؟ يُريدُ: أَيُّ شيءٍ ربُّ العَالمين؟ وهذا السُّؤالُ لا يخلو:

إمَّا أن يُريد به: أَيُّ شيءٍ هو من الأشياء التي شُوهِدَتْ وعُرِفَتْ أَجناسُها؟ فأجابَ بما يُستدَلُّ به عليه من أَفعَاله الخاصَّةِ؛ ليُعرِّفَه أنَّه ليس بشيءٍ ممَّا شُوهِدَ وعُرِفَ من الأَجْرام والأَعراض، وأنَّه شيء مُخالفٌ لجَميعِ الأشيَاء: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى ١١/٤٢].

وإمَّا أن يُريدَ به: أيُّ شيءٍ هو على الإطلاق؟ تفتيشًا عن حَقيقتِه الخاصَّة ما هي؟ فأجابَه بأن الذي إليه سبيلٌ -وهو الكافي في مَعرفتِه-: مَعرفةُ ثباتِه بصفَاتِه استدلالًا بأفعالِه الخاصَّة على ذلك، وأمَّا التفتيشُ عن حقيقتهِ الخاصَّة التي هي فوقَ فِطَنِ العُقول فتفتيشٌ عمَّا لا سبيلَ إليه، والسَّائلُ عنه ....

قوله: (لمّا قال بوّابه: إنّ ههنا مَن يزعُم أنّه رسول ربّ العالمين، قال له عند دخوله: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾) كلام غير منقّح؛ لأنّه يوهم أنّ موسى حين دخل على فرعون سأله فرعون قائلًا: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وليس كذلك؛ لِما مرَّ مِن أنّهما لمّا دخلا أدّيا الرسالة، ووقع التقاوُل بينهما إلى أن انتهى الكلام إلى قول موسى: ﴿عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، ثم قال فرعون: / ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ لقول [٢١٣ظ]
موسى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ أَنْ أَرْسِلْ﴾.

قوله: (على الإطلاق) أي: مِن غير التقييد بالأشياء التي شوهدت.

قوله: (ما هي) أي: ليُعلم ما هي.

قوله: (ثباته بصفاته) المراد بثباته: وجوده وبقاؤه الدائم الأزليّ الأبديُّ. وقوله: (بصفاته) متعلِّق بالمعرفة أو الباء بمعنى "مع". وقوله: (معرفة ثباته) خبر "أنّ". وقوله: (استدلالًا) مفعول له مِن "معرفة".

قوله: (والسائل عنه) يجوز أن يكون جملة معطوفة على قوله: (لا سبيل إليه)، فكأنّه[١] قال: تفتيش عن الشيء الذي السائل عنه متعنّت، ويجوز أن يكون

---

[١] ن: وكأنّه.

مُتَعنِّتٌ غيرُ طالبٍ للحقِّ.

والذي يليقُ بحالِ فرعَون ويدُلُّ عليه الكلامُ: أَن يكُونَ سُؤالُه هذا إنكارًا لأنْ يكون للعالَمِينَ رَبٌّ سواهُ؛ لادِّعائهِ الإلهيَّة، فلمَّا أجابَ موسى بما أجابَ عجَّبَ قومَه من جوابه حيثُ نسَب الرُّبوبيَّةَ إلى غيره، فلمَّا ثنَّى بتقريرِ قَوله جَنَّنَهُ إلى قَومه وطَنَزَ به حيث سمَّاه رسُولَهم، فلمَّا ثلَّثَ بتَقريرٍ آخَر احتدَّ واحتَدَمَ وقال: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي﴾ وهذا يَدُلُّ على صحَّة هذا الوَجه الأخِير.

جملة معترضة. وقوله: (متعنِّت) العنَت: المشقَّة والشدَّة، وتعنُّته في السؤال إذا سأله على جهة التلبيس عليه.[١]

قوله: (والذي يليق بحاله) عطف على قوله: (وهذا السؤال)... إلخ، يعني: أنّ السؤال على أحد الوجهين المذكورين محتَمل كما مرّ، لكن الأليق هذا الأخير.

قوله: (لادّعائه الإلهيّة) يجوز أن يكون متعلِّقا بقوله: (إنكارًا) بطريق التعليل، ويجوز أن يكون تعليلًا للجملة، يعني: إنّما يليق ذلك لإنكاره الإلهيّة.

قوله: (حيث نَسب) يجوز أن يكون متعلِّقا بقوله: (جوابه) ظرفًا له، ويجوز أن يكون بقوله: (عجَّب) تعليلًا له. وقوله: (جنَّنه إلى قومه) أي: أُنهِي جُنونَه إلى قومه، كقولهم: أحمدُ فلانًا إليك، أي: أُنهِي إليكَ[٢] حمدَه. وقوله: (حيث سمّاه) متعلِّق بقوله: (طَنَز)، والطَّنْز:[٣] السخريّة، يعني: سَخِر منه بتسميته رسولًا؛ لأنّه ما كان اعتقاده ولا اعتقادهم أنّه رسول. وقوله: (احتدَّ) أي: غضِب، الحدّة: ما يعتري الإنسان مِن الغضب والنَزَق،[٤] أي: الخِفّة والطيش. وقوله: (واحتدَم) أي: احترَق، احتدَمتِ النار، أي: التهبت واشتدّ حرُّها.[٥] وقوله: (وهذا) يعني:[٦] أنّ غضبَه وخفَّته وطَيشَه. وقوله تعالى: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ﴾ [الشعراء ٢٦/٢٩] يدلّ على أنّ سؤاله لإنكار أن يكون ربٌّ سواه، فإنّه لمّا أثبت ربًّا سواه صدَر منه ما صدَر.

---

١ انظر: المُغرب للمطرّزي، «عنت».

٢ في الأصول الخطّيّة: "إليكم".

٣ د: الطنز.

٤ الصحاح للجوهري، «حدد».

٥ انظر: الصحاح للجوهري، «حدم».

٦ ن: معنى.

فإن قلتَ: كيف قِيل: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ على التَّثنية والمرجوعُ إليه مَجموعٌ؟
قلتُ: أُريدَ: "وما بينَ الجِنسَيْن" فُعِل بالمُضمَر ما فَعَل بالظاهر مَن قال:

عند التفرُّقِ في الهَيجَا جِمالين

فإن قلتَ: ما مَعنى قوله: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾، وأينَ عن فرعونَ ومَلَئِه الإيقانُ؟

وأمّا على الوجه الأوّل فإنّما قال: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء ٢٩/٢٦]؛ لأنّه لمّا لم يتطابق السؤال والجواب عندَه لجهله ظنّ أنّ موسى مختلُّ العقل، خالٍ عن العلم، لا يقدر على الجواب الصحيح للسؤال، فمِثله لا يكون نبيًّا؛ بل هو مفْترٍ مُتنبٍّ، فزَجَره وردَعه وأوعده بالسجن لَئن عاد إلى ما ادّعى ولا يعترف[1] إلى ربوبيّته.

قوله: (فإن قلتَ: كيف قيل: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾؟) أي: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾. وقوله: (والمرجوع إليه مجموع) أي: ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

قوله:

(في الهَيجا جِمالَينِ)

سعَى عِقالًا فلم يترُك لنا سَبَدًا فكيفَ لو قد سعَى عَمرو عِقالَينِ
لأصبَح الحيُّ أوبادًا فلم يَجدوا عند التفرّق في الهَيجا جِمالَينِ[2]

وحاصل هذه المسألة: أنّه يجوز تثنية الجمع على تأويل الجَماعتين. و"السَّبَد":
[٢١٤و] الشيء القليل. / و"العِقال": صدقة العام، وانتصاب "عِقالًا" على الظرف.[3] و"أوبادًا" جمع: وَبْد،[4] أي: هَلْكى، يعني: صار عمرو ساعيًا -أي: عاملًا للزكاة- في زكاة سنة واحدة، فظلم وأخذ أموالنا حتّى لم يَبقَ لنا شيء قليل مِن المال، فكيف يكون حالنا؟ أو كيف يبقى لأحد مال لو صار عمرو عاملًا في زكاة عامين؟

---

[1] ن: معترف.
[2] لعمرو بن العدّاء الكلبي في لسان العرب لابن منظور، «وبد». وقال: «وقوله: "جِمالين" يريد قطيعين مِن الجِمال، وأراد جِمالًا هاهنا وجِمالًا هاهنا».
[3] ف: ظرف.
[4] الوَبْدُ: الحاجة إلى الناس. والوَبَدُ -بالتَّحريك: شدّةُ العيش. لسان العرب لابن منظور، «وبد».

قلتُ: مَعناه: إن كان يُرْجَى منكم الإيقانُ الذي يُؤدِّي إليه النَّظرُ الصحيحُ نَفَعَكم هذا الجوابُ وإلَّا لم يَنفع.

أو: إن كنتُم مُوقِنينَ بشيءٍ قَطُّ فهذا أوْلَى ما توقنون به لظهُوره وإنارَةِ دَليله.

فإن قلتَ: ومَن كان حَولَهُ؟

قلتُ: أشرافُ قومه، قيل: كانوا خمسَ مئة رجُلٍ عليهم الأسَاوِر، وكانت للملوك خاصَّةً.

فإن قلتَ: ذِكرُ السماوات والأرض وما بينَهما قد استَوْعَب به الخلائقَ كُلَّها، فما مَعنى ذِكرِهم وذِكْرِ آبائهم بعد ذلك، وذِكْرِ المَشرق والمغرِب؟

ثمّ أقسَم فقال: والله لو صار عاملًا سنتين لصار القبيلةُ هَلْكى، فلا يكون لهم عند التفرّق في الحَرب جِمالان، فيختلُّ أمرُ الغزوات.[1]

قوله: (قلت: معناه: إن كان)... إلخ، حاصل الجواب الأوّل: أنّه لم يصفهم بأنّهم موقنون في الحال؛ بل المعنى على الاستقبال بالمعنى المذكور، ومعنى الجواب الثاني: أنّه مبنيٌّ على الفرْض والتقدير، أي: لو كان لكم إيقان بشيء ما لكان لكم الإيقان بهذا، لكن لمّا لم يثبت لكم الإيقان بشيء ما قطّ فلا إيقان لكم بهذا، ولذا استعمل المصنِّف "قطُّ" ههنا،[2] فإنّه مختصّ بالماضي المَنفيّ.

قوله: (فإن قلت: ومَن كان حوله؟) "مَن" استفهاميّة.

قوله: (عليهم الأساوِر) السِّوار: سِوار المرأة، والجمع: أسوِرة، وجمع الجمع: أساور وأساوِرة، قال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾ [الكهف ٣١/١٨]، وقرِئ: ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ﴾[3] [الزخرف ٥٣/٤٣]. وقوله: (وكانت للملوك) يريد: أنّ ملوكهم كانوا يَتسوَّرون بالأساور دون غيرهم مِن السُّوقة وأوساط الناس.

قوله: (قد استوعَب) "استوعَب" بمعنى: أوعَب، يقال: جاء فلان موعِبًا،

---

[1] انظر: شرح شواهد الكشّاف لمحبّ الدين أفندي، ص ٣٢٠.

[2] ف: هاهنا.

[3] وهي قراءة الجمهور غير يعقوب وحفص عن عاصم. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٦٩/٢.

قلتُ: قَد عَمَّ أَوَّلًا، ثمَّ خَصَّصَ من العَامّ -للبيَان- أنفسَهم وآباءَهم، لأنَّ أقربَ المنظُور فيه من العَاقِل نَفسُه ومَن وُلِدَ منه، وما شَاهَد وعاينَ من الدَّلائل على الصَّانع والنَّاقِل مِن هيئةٍ إلى هيئةٍ وحالٍ إلى حالٍ من وقْتِ ميلادهِ إلى وقتِ وفاتهِ، ثمَّ خصَّصَ المشرقَ والمغربَ لأن طلوعَ الشمس من أحَد الخافقَين وغروبَها في الآخر على تقديرٍ مُستقيمٍ في فصُولِ السَّنة وحسَابٍ مُسْتوٍ مِن أظهرِ ما استُدِلَّ به، ولظهُوره انتقَل إلى الاحتجاج به خَليلُ الله عن الاحتِجاج بالإحيَاء والإمَاتَةِ على نمرُوذَ بنِ كنعَانَ فبُهتَ الذي كفَر.

وقرِئ: "ربُّ المشارِقِ والمغارب"، و: "الذي أَرْسَلَ إليْكم" بفتح الهمزة.

فإنْ قلتَ: كيف قال أوَّلًا: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ وآخِرًا ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾؟

قلتُ: لَايَنَ أَوَّلًا، فلمَّا رأى منهم شدَّةَ الشَّكيمة في العِناد وقلَّةَ الإصْغاء إلى عَرْضِ الحُجَج خاشَنَ وعارَضَ "إنَّ رسُولَكم لمَجنُونٌ" بقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

أي: جمَع ما استطاع مِن جمْع، يعني: جمَع موسى بقوله: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ جميعَ[1] الخلائق، فما معنى ذِكْر موسى فرعونَ ومَن حوله، وذِكْر آبائهم بقوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؟

قوله: (مِن الدلائل) بيان "ما".

قوله: (مِن هيئة)... إلخ "مِن" في "مِن هيئة" صِلة للنَّقل، وفي "مِن وقتِ" للابتداء في الزمان.

قوله: (مِن أحد الخافقَين) يقال: خَفَق النجم، أي: غاب، وآتيك خُفوقَ النجم، أي: وقتَ خُفوق الثريَّا، ومنه: الخافقان؛ للمشرق والمغرب.[2]

قوله: (شدّة الشَّكيمة) الشكيم والشكيمة في اللِّجام: الحديدة المعترِضة في فَم الفرَس التي فيها الفأس، وفلان شديد الشكيمة إذا كان شديدَ النفْس؛[3]

---

[1] ن: جمع.

[2] انظر: الصحاح للجوهري، «خفق».

[3] الصحاح للجوهري، «شكم».

فإن قلتَ: ألَم يكُن: "لأسجُنَّنك" أخصَرَ من ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ ومُؤَدِّيًا مُؤدَّاهُ؟

قلتُ: أمَّا أخصَرُ فنعَم، وأمَّا مُؤَدٍّ مُؤدَّاهُ فلا؛ لأنَّ معناه: لأجْعَلنَّكَ واحِدًا ممَّن عَرفْتَ حالَهم في سُجُوني، وكان من عادته أن يأخذ مَن يريدُ سَجْنَه فيَطرَحَهُ في هُوَّةٍ ذاهِبَةٍ في الأرض بعيدةِ العُمقِ فرْدًا لا يَبصُرُ فيها ولا يسمَعُ، فكان ذلك أشدَّ من القَتل وأشَدَّ.

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ۝٣٠ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٣١ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۝٣٢ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ۝٣٣﴾

الواوُ في قولِهِ: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ﴾ وَاوُ الحَال دخَلتْ عليها هَمزةُ الاستفهام، معناه: أتفعَلُ بي ذلك ولو جِئتُكَ ﴿بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: جَائيًا بالمُعجزة.

وفي قوله: ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أنَّه لا يَأتي بالمُعجزةِ إلَّا الصَّادقُ في دعوَاه؛ لأنَّ المُعجزة تصْديقٌ مِن الله لمُدَّعِي النُّبوَّة، والحَكيمُ لا يُصَدِّقُ الكاذبَ.

وذلك لأنّ شكيمة الفرَس إنّما تُجعل شديدةً إذا كان صعبًا، فيُطلق ويُراد به الرجل الشديد النفْس الأَنِف الأبيُّ.

قوله: (مؤدَّاه) أي: معناه.

قوله: (قلتُ: أمّا أخصَر) أي: أمّا أنّه أخصَر، فحذَف "أنّ" مع اسمها، وحذَف أيضًا بعد "نعَم" الجملة، فكأنّه قال: أمّا اختصاره فنعم هو حاصلٌ، وأمّا أنّه مؤَدٍّ مؤدَّاه فلا، أي: ليس بحاصل.

قوله: (في هُوَّةٍ) الهُوّة: الوَهْدة العميقة، والوَهْدة: المكان المطمئنّ، أي: المنخفض مِن الأرض، والجمع: وَهْد ووِهاد.[١] وقوله: (فردًا) حال مِن الضمير في "يطرحه".

قوله: (وفي قوله: ﴿إِن كُنتَ﴾) أي: في قول فرعون.

قوله: (أنّه لا يأتي) ضمير الشأن.

---

١ الصحاح للجوهري، «وهد».

ومِن العَجَب أنَّ مِثلَ فرعَونَ لم يَخْفَ عليه هذا وخفِيَ على ناسٍ من أهْلِ القِبْلةِ حيث جَوَّزُوا القبيحَ على الله تعالى حَتَّى لزمَهُم تصديقُ الكاذِبينَ بالمُعجزات.

وتَقديرُه: إن كنتَ من الصَّادقين في دعْوَاك أتَيتَ به، فحُذِف الجزاءُ لأنَّ الأَمْر بالإتيانِ به يدلُّ عليه.

﴿ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾: ظاهرُ الثُّعبانيَّة، لا شَيءٌ يُشبهُ الثعبَانَ كما تكُونُ الأشياء المزوَّرةُ بالشَّعوَذة والسِّحر، وروي أنَّها انقَلبَتْ حَيَّةً ارتفعَتْ في السماء قَدْرَ مِيلٍ

[٢١٤ظ] قوله: / (تصديقُ الكاذبين) مصدر مضاف إلى المفعول، أي: لزمهم تصديق الله الكاذبين بإظهاره تعالى المعجزةَ على أيديهم، وأقول: فساد ذلك ظاهر؛ إذ لا يلزم منه هذا، وإن قال: المراد: أنّه يلزم جوازه فهو ممنوع أيضًا؛ لأن مَدْرك امتناعه عندنا ليس مسألة الحُسن والقبح العقليَّين، فافهم. لا يلزم أهلَ السنّة والجماعة ما قاله المصنِّف عفا الله عنه؛ لأنهم يقولون: أجرى الله تعالى العادة بأنّه لا يُظهِر المعجزة على يد الكاذب للطفه تعالى بعباده وإحسانه إليهم، لا لأنّه قبيح منه، فكلّ شيء أراد أن يفعله ففِعلُه منه حسَنٌ، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء ٢١/ ٢٣].

قوله: (ظاهر الثُّعْبانيّة) يعني: أنّ ﴿مُبِينٌ﴾ مِن: أبان بمعنى: ظهَر، فيعود المعنى إلى قولك: ثعبان ظاهر، فأشار المصنِّف إلى أنّ المراد بظهوره: ظهور صِفته؛ وهي ثُعبانيّته.

قوله: (المزوَّرة) الزور: الكذِب، والتزوير: تزيين الكذب، وزوَّرتُ الشيءَ: حسَّنته وقوّمته، والازورار[١] عن الشيء: العدول عنه.[٢]

قوله: (في السماء) أي: في جهة العلوّ، والسماء: كلّ ما علاك وأظلّك،[٣] ومنه قيل لسَقف البيت: سماء.[٤]

---

[١] ن: والازوراد.

[٢] انظر: الصحاح للجوهري، «زور».

[٣] ن: والهلك.

[٤] الصحاح للجوهري، «سما».

ثمَّ انحَطَّتْ مُقْبِلةً إلى فرعون وجَعَلَت تقولُ: يا موسى مُرْني بما شئتَ، ويَقُول فرعون: أَسألُكَ بالَّذي أَرسَلَكَ إلَّا أَخَذْتَها، فأَخَذَها فعَادت عصًا.

﴿لِلنَّـٰظِرِينَ﴾ دَليلٌ على أنَّ بيَاضَها كان شيئًا يَجتمِعُ النَّظَّارةُ على النَّظر إليه لخرُوجِهِ عن العَادةِ، وكان بياضًا نوريًّا.

رُوي: أنَّ فرعون لمَّا أَبصَر الآيةَ الأُولى قال: فهل غيرُهَا؟ فأخرَجَ يده فقال له: ما هذه؟ قال: يدُكَ فما فيها؟ فأَدخلها في إبْطِه ثُمَّ نزعَها ولها شعاعٌ يكادُ يُغْشي الأبصَار ويَسُدُّ الأُفقَ.

قوله: (إلّا أخذتَها) أي: إلّا أخذَها، واعلم أنّه قد يوقَع الفعل موقع الاسم المستثنى، نحو: نشدتُك بالله إلا فَعلتَ، والمعنى: ما أطلب منك إلّا فِعلَك، ووقوع[1] الفعل موقع الاسم المستثنى يكون في ألفاظ الحَلِف على سبيل الاستعطاف للاختصار، كقولك: نشدتُك بالله إلّا فَعلتَ،[2] وفيه اختصاران: أحدهما: وضع الإثبات والمراد معنى النفي. والآخر: وقوع الفعل موقع المصدر، فقوله: "نشدتك" معناه: ما أطلب، وقوله: "فعلتَ" معناه: فِعلَك؛ لأنّ باب القسَم بابٌ اتّسع فيه الاختصار[3] لكَثرته في الكلام، فجاز فيه ما لا يجوز في غيره، هكذا ذكروه.[4] وأنا أقول: التحقيق في هذا الموضع: أنّ في الكلام حذفًا، تقديره: أسألك شيئًا، ثم قال: إلّا أخذتَها، أي: ما أسألك[5] إلّا أخذتَها، أي: إلّا أخذَك إيّاها، فحذَف آخِرُ الكلام الأوّلَ، وأوّلُ الكلام الآخِرَ. ثمّ إنّ الفعل بعد "إلّا" صار في تأويل الاسم؛ لأنّ المستثنى لا يكون إلّا اسمًا.

قوله: (فقال له) أي: فقال موسى لفرعون.

قوله: (قال: يدك) أي: قال فرعون. وقوله: (فما فيها) هذا مِن جملة المَقول، أي: هو يدك، فأيّ شيء فيها؟

---

[1] ن: ووقع.

[2] ف – والمعنى: ما أطلب منك إلّا فِعلَك، ووقوع الفعل موقع الاسم المستثنى يكون في ألفاظ الحَلِف على سبيل الاستعطاف للاختصار، كقولك: نشدتُك بالله إلّا فَعلتَ.

[3] ف: للاختصار.

[4] انظر: الإيضاح شرح المفصّل لابن الحاجب، ١/٣٥٣.

[5] ن: أسلك.

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾

فإن قلتَ: ما العاملُ في ﴿حَوْلَهُۥ﴾؟

قلتُ: هو منصوبٌ نصبَيْنِ: نصبٌ في اللفظ ونصبٌ في المحلِّ، فالعاملُ في النَّصب اللَّفظي: ما يُقدَّرُ في الظَّرف، والعاملُ في النَّصْب المَحلِّي وهو النَّصب على الحَال: ﴿قَالَ﴾.

ولقَد تحيَّر فرعَونُ لمَّا أبصَر الآيتَين وبَقيَ لا يَدْرِي أَيُّ طَرفيه أطوَلُ، حَتى زَلَّ عنه ذِكرُ دَعوى الإلاهيَّة وحَطَّ عَن منكبَيه كِبرياءَ الرُّبوبية، ....

قوله: (فالعامل اللفظيّ: ما يقدّر في الظرف) يعني: أنّ تقدير ﴿لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ﴾: للملأ مستقرّين حوله، أو حاصلين حوله، فلفظه منصوب به، وأمّا مَحلّ ﴿حَوْلَهُۥ﴾ فنصب على الحال مِن "الملأ"، قال: فهو العامل في هذه الجملة الحاليّة؛ لأنّ العامل في الحال وذي الحال واحد. وهذا الكلام في قوله: ﴿لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ﴾، لا في ﴿لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ﴾، فإنّه منصوب لفظًا لا محلًّا؛[1] لأنّ صِلة الموصول لا محلَّ لها.

قوله: (أيُّ طرفيه[2] أطول) هذا مَثَل في التحيّر، قال في الصحاح: «قال ابن الأعرابي: قولهم: لا يدري / أيُّ طرفيه[3] أطولُ؛[4] طرفاه: ذكَره ولسانه. وعن أبي عُبيدة: لا يملِك طرفيه -يعني:[5] فمَه وأسْتَه- إذا شرب الدواء وسَكِر»، هكذا في الصحاح.[6] وأنا أقول: مناسب أن يقال: طرفاه: طوله -أي: مِن رأسه إلى قدمه- وعرضه -أي: مِن يمينه إلى يساره-؛ كأنّه تحيَّر بحيث لا يَفرُق بين امتداد طوله وعرضه، كأنّه لا يَفرُق بين الرأس والقدَم، وبين اليمين والشمال، كما يقال: لا يعرف يمينَه مِن شِماله. [٢١٥و]

[1] ف: محللًا.
[2] ن: طرفية.
[3] ن: طرفية.
[4] انظر: مجمع الأمثال للميداني، ٢/٢١٤، وفيه: «قال الأصمعي: معناه: لا يدري أنَسَبُ أبيه أفضلُ أم نسبُ أمّه».
[5] ف: أي.
[6] الصحاح للجوهري، «طرف».

وارتَعَدتْ فرائصُه وانتَفَخَ سَحْرُه خَوفًا وفَرَقًا، وبَلغَتْ به الاسِتكانةُ لقومه الذين هم بزغمِه عَبيدُهُ وهو إلهُهم: أَن طَفِقَ يُؤامِرُهم ويَعترفُ لهم بما حَذِر منه وتوَقَّعَه وأحسَّ به من جهةِ موسى عليه السلام وغَلَبَتِه على مُلكه وأَرضه، وقَولُه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ قولُ باهِتٍ إذا غُلب ومُتمحِّلٍ إذا أُلزِمَ.

﴿تَأْمُرُونَ﴾ من المُؤامَرة وهي المشَاوَرةُ، أو من الأمر الذي هو ضِدُّ النَّهي، جعَلَ العبيدَ آمِرينَ وربَّهم مأمورًا لِمَا استَولى عليه مِن فَرْط الدَّهَش والحَيْرة، و"ماذا" منصُوبٌ: إمَّا لِكَونه في مَعنى المَصْدَر، وإمَّا لأنه مَفعُولٌ به من قَوله:

أَمَـــــرتُـــــكَ الـــخَـــيـــرَ

قوله: (فرائصُه) الفريصة: اللحمة بين الجَنب والكَتِف،[١] وهي تضطرب وتتحرَّك[٢] عند الفزَع، ويقال: أرعدت فرائصه عند الفزع والاضطراب، يقال: أرعده فارتعد.

قوله: (وانتفج سَحْره) كانت العرب تقول في الجاهليّة إذا وُلِد لأحدهم بنت: هنيئًا لك النافِجة، أي: المُعظِّمة لمالِك؛ لأنك تأخذ مهرَها وتضمُّه إلى مالِك فينتَفِج،[٣] أي: فيَعظُم، فقوله: "وانتفج" بالجيم. والسَّحْرُ: الرئة. ويقال للجَبان: انتفخ[٤] سَحْره؛[٥] وذلك لأنّ الرجُل إذا خاف انتفخ سَحْره، ويرتفع القلب حينئذٍ عن مَقرّه حتّى يكاد يبلغ ظاهر الفم لولا ضيق الحَنْجَرة، قال تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب ٣٣/١٠]. والباء في: (بلغت به الاستكانة) للتعدية. و(أن طَفِقَ)[٦] مفعول (بلغَتْ). فقوله: "انتفخ"[٧] بالخاء المعجمة، وأمّا بالجيم فليس بشيء.

قوله: (وغَلَبته على مُلكه) عطف على "ما حَذِر منه" بطريق البيان؛ لأنّ الذي حَذِر منه هو أن يَغلبَه موسى على مُلكه، ولا يجوز أن يكون عطفًا على "جهة"

---

١ قاله الأصمعي. انظر: الصحاح للجوهري، «فرص».
٢ ن: ويتحرّك.
٣ الصحاح للجوهري، «نفج».
٤ ن: انتفج.
٥ انظر: الصحاح للجوهري، «سحر».
٦ في الأصول الخطّيّة: "أن طَفِقت"، وأثبتُّ ما في نسخ الكشّاف، وهو أنسب للسياق.
٧ ف – انتفخ.

قرئ: ﴿أَرْجِئه﴾ و: ﴿أَرْجِهِ﴾: بالهَمز والتخفِيف وهما لُغتَانِ، يقَال: أَرجَأتُه وأَرْجَيْتُه: إذا أخَّرْتَه، ....

أو على "موسى"؛ إذ لا يساعد عليه المعنى، فتأمّل.[١] وقوله: "على مُلكه" حال مِن الهاء في "غَلَبته"، أي: مستقِرًّا على مُلكه، وهذا[٢] إذا قلنا: الضمير في "غَلَبته" عائد إلى فرعون، كما أنّ الضمير في "مُلكه" وأرضه" عائد إلى فرعون قطعًا، أي: أن[٣] يَغلِب[٤] موسى فرعونَ حالَ استقرار فرعون على مُلكه، كما يقال في قولهم: "لا تَذهبْ به تُغلَبُ عليه"،[٥] وأمّا إن قلنا: الضمير في "غَلَبته" لموسى وفي "مُلكه" لفرعون فقوله: "على مُلكه" يتعلَّق بـ"غَلَبته". ويقال: تمحَّل إذا احتال، فهو مُتمحِّل.

قوله: (لأنّه مفعول به) أي: ﴿فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ﴾.

قوله: (بالهمز[٦] والتخفيف)[٧] يريد: أنّ "أرجأتُ" جاء مهموزًا وناقصًا، ولا يريد به تخفيفَ الهمزة وإن كان لفظه أوّلًا يُوهِم ذلك، وقد صرّح به حيث قال: (هما لغتان). قال في الصِّحاح: «أرجأتُ الأمر إذا أخّرته، يُهمَز[٨] ولا يُهمَز».[٩]

---

١ ن: عامل.

٢ ن: ولهذا.

٣ ف - أن.

٤ ف: تغلِبَ.

٥ قال ابن يعيش: «'لا تذهبْ به تُغلَبُ عليه' الجزمُ فاسدٌ، والرفع جيّد». وقال: «وذلك أنّ الجزم هاهنا على الجواب لا يصحّ لفساد المعنى؛ إذ يصير التقدير: إن لا تذهبْ به تُغلَبْ عليه، فيصير عدمُ الذهاب به سببَ الغَلَب عليه، وليس المعنى عليه، فكان مستأنفًا، كأنّك أخبرت أنّه ممّن يُغلَب عليه على كلّ حال». شرح المفصل لابن يعيش، ٧/٥٠-٥١.

٦ ن: بالهمزة.

٧ في ﴿أرجِهْ﴾ ستّ قراءات صحيحة: قرأ قالون وابن وَردان بخلف عنه بترك الهمز وبكسر الهاء مِن غير صِلة. وقرأ ورش والكسائي وخلَف في اختياره وابن جمّاز وابن وَردان في وجهه الثاني بترك الهمز وبكسر الهاء مع صِلتها. وقرأ ابن كثير وهشام بخلف عنه بهمزة ساكنة بعد الجيم وبضمّ الهاء مع الصِّلة. وقرأ البصريّان وشعبة بخلف عنه وهشام في وجهه الثاني كذلك ولكن مِن غير صِلة للهاء. وقرأ ابن ذكوان بهمزة ساكنة بعدَ الجيم وبكسر الهاء مِن غير صِلة. وقرأ حمزة وحفص وشعبة في وجهه الثاني بترك الهمز وبإسكان الهاء. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣١١؛ والمهذّب في القراءات لمحمد سالم محيسن، ص ٢٤٧.

٨ ف ن: بهمز.

٩ ف ن: بهمز. | الصحاح للجوهري، «رجأ».

ومنه: المُرْجِئة، وهم الذين لا يقطَعُون بوَعيدِ الفسَّاق ويَقُولونَ: هُم مُرْجَؤُونَ لأمْر الله، والمَعْنَى: أَخِّره ومُنَاظرتَه لوقتِ اجتماع السَّحَرة، وقيل: احْبِسهُ.

﴿حَٰشِرِينَ﴾: شُرَطًا يَحشُرون السَّحرةَ، وعَارَضُوا قولَه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ﴾ بقولِهم: ﴿بِكُلِّ سَحَّارٍ﴾ فجاؤوا بكلمةِ الإحاطة وصفةِ المبالغةِ ليُطَامِنُوا مِن نفْسِه ويُسَكِّنُوا بعضَ قلقِه.

وقرأ الأعمشُ: "بكلِّ سَاحرٍ".

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ۝٣٨ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ۝٣٩ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ۝٤٠﴾

"اليَومُ المعْلُوم": يومُ الزِّينة، وميقاتُه: وقتُ الضُّحَى؛ لأنه الوقتُ الذي وَقَّته لهم مُوسى عليه السلام من يَوم الزينة في قوله: ﴿مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى﴾ [طه ٥٩/٢٠]، والميقَاتُ: ما وُقِّتَ به -أي: حُدِّدَ- مِن زمَانٍ أَو مكانٍ، ومنه: مواقيتُ الإحرَام.

قوله:[١] (ومنه: المُرجئة) والنسبة إلى المَهموز: مُرجئيٌّ، وإلى غيره: مُرجيٌّ؛ بياء مشدّدة عقيب الجِيم فقط.

قوله: ﴿حَٰشِرِينَ﴾ شُرَطًا.

قوله: (ليُطَأْمِنوا) يقال: طأمنتُ منه، أي: سكَنتُ.[٢] فقوله: (ويُسكِّنوا) عطف للبيان.

قوله: (و"الميقات": ما وقِّتَ به)[٣] "الميقات": الوقت المضروب للفعل، والموضع، يقال: "هذا ميقات أهل الشام" للموضع الذي يُحرِمون منه، وأصله أن يكون للزمان، فاستُعير للمكان، فأُضيف في قوله تعالى: ﴿لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ﴾ الميقاتُ إلى اليوم؛ لأنّ الميقات / جزء مِن ذلك اليوم، فبُيِّن بالإضافة إليه، كأنّه قيل: الميقات الذي هو في ذلك اليوم. [٢١٥ظ]

---

١ ن – قوله.

٢ الصحاح للجوهري، «طمن».

٣ ف – به.

﴿هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ﴾ استِبْطاءٌ لهم في الاجتماعِ، والمرادُ منه: استعجَالُهم واستِحْثَاثُهم؛ كما يقول الرجلُ لغُلامه: "هل أَنْتَ منطلقٌ": إذا أرَاد أَن يُحرِّكَ منه ويَحُثَّه على الانطِلاق كأنَّما يُخيِّلُ له أَنَّ الناس قد انطلقُوا وهو وَاقفٌ، ومنه قولُ تأبّط شرًّا:

هل أَنـتَ باعـثُ دينـارٍ لحَاجَتِنَا   أو عَبْـدَ رَبٍّ أخَـا عَـوْنِ بـن مخـراقِ

يريد: ابعَثْهُ إلينا سريعًا ولا تُبطئ به.

﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾ أي: في دينهم إنْ غَلَبُوا مُوسى، ولا نتَّبِعُ مُوسى في دِينِهِ، وليس غرَضُهم باتِّباع السَّحَرة وإنَّما الغرضُ الكلِّي أن لا يتَّبعُوا موسى، فسَاقُوا الكلامَ مَسَاقَ الكنايةِ لأنَّهم إذا اتَّبعُوهم لم يَكُونوا مُتَّبِعينَ لمُوسى.

قوله: (كأنّما)... إلخ، هذا بيان الاستبطاء في: "هل أنت منطلِق؟". وقوله: (يُخيِّل) أي: الرجل. وقوله: (له) أي: للغلام.

قوله:

(هـل أنـتَ باعـثُ دينـارٍ لحاجتنـا   أو عبدَ ربٍّ أخا عـونِ بن مِخْـراقِ)[١]

"أو عبدَ ربٍّ" عطف على محلِّ "دينار"، و"دينار" اسم رجل، وكذا "عبد ربٍّ". و"دينار" مجرور في اللفظ منصوب في المعنى؛ فلذلك عطف عليه عبدَ ربٍّ بالنصب. و"أخا عَونٍ" منادى، أي: يا أخا عَون. يريد: ابعثه سريعًا ولا تبطئ به، ويجوز أن يكون "أخا عَون" نصبًا على الصِّفة لـ"عبد ربٍّ"؛ لأنّه علَم كـ"عبد الله".

قوله: (باتّباع السَّحرة) الباء في "باتباع" زِيدَ في خبر "ليس".

قوله: (الكناية)... إلخ، فعدم اتّباع موسى يستلزم اتّباع السحرة، فيكون كناية، ولم يقل: هو مجاز؛ بناءً على أنّ اتّباع السحرة يستلزم عدم[٢] اتّباع موسى؛

---

[١] قال البغدادي: «البيت مِن أبيات سيبويه الخمسين التي لم يُعرف قائلها. وقال ابن خلَف: وقيل: هو لجابر بن رألان السنبسي. ونسبه غير خدمة سيبويه إلى جرير وإلى تأبط شرًا وإلى أنّه مصنوع». خزانة الأدب للبغدادي، ٢١٩/٨.

[٢] ن – عدم.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ٤١ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٢﴾

وقرئ: ﴿نَعِمْ﴾ بالكَسر، وهما لغتان.

ولمَّا كان قولُه: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا﴾ في مَعنى جزاءِ الشرط لدَلالته عليه، وكان قولُه: ﴿وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ معطوفًا عليه ومُدْخَلًا في حُكْمه، دخلَتْ ﴿إِذٗا﴾ قارَّةً في مكانها الذي تقتضِيه من الجوابِ والجزاء، وَعَدهم أن يجمَع لهم إلى الثواب على سِحْرهم الذي قَدَّروا أنَّهم يَغلبُون بهِ مُوسى: القُربةَ عنده والزُّلفى.

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ٤٣ فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٤٤ فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ٤٥ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ٤٦ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٤٨ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ فَلَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٤٩﴾

لأنَّ المَجاز منافٍ لإرادة[1] الحقيقة، وههنا إرادة متابعة السحرة ليست بمُمتنعة، فلا يمكن حمله على المَجاز، فلذا[2] حمَله على الكناية.

قوله: (ولمّا كان قوله)... إلخ، يريد: أن يبيّن أنَّ ﴿إِذٗا﴾ يكون جوابًا وجزاء، وقد وقع ههنا في موضعه، وتقريره: ﴿إِن كُنَّا﴾ شرط لا بدّ له مِن الجزاء، وإنّما حذف لدلالة قوله: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا﴾ عليه، والتقدير: إنْ كنّا نحن الغالبين فإنّ لنا لأجرًا، فيكون ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا﴾ في حُكم الجزاء، ﴿وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ عطف على محذوف، هو في معنى الجزاء، والتقدير: نعم إنّ لكم لأجرًا وإنكم إذًا لمِن[3] المقرّبين، فيكون ﴿إِذٗا﴾ واقعًا في الجواب والجزاء كما يقتضيه. وقوله: (معطوفًا عليه) أي: على ما هو في معنى جزاء الشرط،

---

[1] ن: الإرادة.

[2] ف: فكذا.

[3] د ف - لمن.

أقسمُوا بعزَّة فرعونَ وهي مِن أيمان الجَاهليَّةِ، وهكذا كلُّ حَلِفٍ بغير الله، ولا يَصحُّ في الإسلام إلَّا الحَلِفُ بالله مُعلَّقًا ببَعضِ أسمائه أو صفاته؛ كقولك: بالله، والرَّحمنِ، وربِّي، وربِّ العرش، وعزَّةِ اللهِ، وقدرةِ الله، وجَلالِ الله، وعَظمةِ اللهِ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تَحلِفُوا بآبائكم ولا بأمَّهاتكم ولا بالطواغيتِ، ولا تَحلِفُوا إلَّا بالله، ولا تَحلِفُوا بالله إلَّا وأنتم صَادقون».

فهذا الضمير يعود إلى ما دلّ عليه الكلام، لا إلى قوله: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾؛ لأنّه لا يصحّ أن يكون عطفًا عليه، وهو ظاهر، وأيضًا لا يصحّ أن يكون التقدير: نعم إنّ لنا لأجرًا وإنكم إذن لمِن المقرّبين؛ بل التقدير: إنّ لكم لأجرًا وإنكم...، واختصر المصنِّف في اللفظ اعتمادًا على المعنى. وقوله: "معطوفًا عليه"؛ لأنّ التقدير: نعم إنّ لكم لأجرًا.[1]

قوله:[2] (مِن أيمان الجاهليّة)[3] أي: مِن أيمان الملّة الجاهليّة.

قوله: (ببعض أسمائه أو صفاته) يريد بـ"الأسماء": ما يطلق عليه تعالى، كـ"الله" و"ربّ العرش"، وبـ"صفاته": المعاني، أي: ما لا يحمل عليه تعالى؛ بل يُشتقّ منه ما يطلق عليه، كالقدرة. وقوله: (بالله) هو اسم الله الخاصّ. وقوله: (والرّحمن) هو اسم الله الخاص.

قوله: (وربّي وربِّ العرش) هما اسما الله تعالى الغالبان. وقوله: (وعِزّةِ الله) صفة. وقوله: (وقدرةِ الله) صفة. وقوله: (وجلالِ الله) صفة. وقوله: (وعَظمةِ الله) صفة.

قوله: (ولا بالطواغيت) الطاغوت: يطلق على كلّ رأسٍ في الضلالة، كالكاهن والشيطان، فقد يكون واحدًا، كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى / ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النساء ٦٠/٤]، وقد يكون جمعًا، كقوله تعالى: [٢١٦و] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة ٢٥٧/٢].

---

١ ن: أجرًا.

٢ ف + إنّ.

٣ ن: الجاهل.

ولقد استحدثَ الناسُ في هذا الباب في إسْلامِهم جاهِليَّةً نُسيَتْ لهَا الجاهليَّةُ الأُولى، وذلك أنَّ الواحد منهم لو أقسَم بأسماءِ الله كلِّهَا وصِفاته على شيءٍ لم يُقبَل منه ولم يُعتَدَّ بها حَتى يُقسِمَ برأس سُلطانه، فإذا أقسَمَ به فتِلك عندهم جَهْدُ اليَمين التي ليس وراءها حَلِفٌ لحالِفٍ.

﴿مَايَأْفِكُونَ﴾: ما يَقلِبُونه عن وَجهه وحَقيقتِه بسِحْرِهم وكيْدِهم، ويُزوِّرُونه فيُخيِّلُون في حبَالهم وعصِيِّهم أنها حيَّاتٌ تسعَى بالتَّمْويه على الناظرين.

أو: أَفْكَهم؛ سمَّى تلك الأشيَاءَ إفكًا مُبَالغةً.

رُويَ أنَّهم قالوا: إنْ يكُ ما جاء به موسى سحرًا فلن يَغلِبَ، وإنْ يكُ من عند الله فلَن يخفَى علينا، فلمَّا قذف عصَاه فتَلقَّفَت ما أتَوا به عَلمُوا أنَّه من الله فَآمنُوا.

و"طاغوت" وإن جاء على وزن "لاهوت" فهو مقلوب؛ لأنّه مِن "طغَى"، و"لاهوت" غير مقلوب؛ لأنّه مِن "لاه"، بمنزلة الرَّغَبُوت والرَّهبوت، والجمع: الطواغيت، وأصل "طاغوت": طَغَيُوت مِن الطغيان، قدّم الياء على الغين، وقلبت ألفًا، فصار طاغوتًا. وقوله: (في هذا الباب) ظرف (استَحدثَ). وقوله: (في إسلامهم) حال مِن الناس.

قوله: (أو أَفْكَهم)[١] بفتح الهمزة عطف على قوله: (ما يقلبونه)، يريد: أنّ ﴿مَا﴾ إمّا أن يكون[٢] موصولة، فيكون التقدير: ما يأفكونه، والعائد إلى ﴿مَا﴾ محذوف، والمراد بـ"ما يأفكونه": الحِبال والعصيّ التي قلبوها عن وجوهها. وإمّا أن يكون مصدريّة، فيكون التقدير: أَفكَهم، فسمّيَ الحبال[٣] بالأفك مبالغةً، كأنّها عين الأَفك. يقال: لقِفْتُ الشيء وتَلقّفتُه،[٤] أي: تناولته[٥] بسرعة.[٦] و"الأفك" -بالفتح- مصدر أفكَه، أي: قلَبه وصرَفه.

---

١ ن: أو أَفَلَهم.
٢ ف: تكون.
٣ ف: الجبال.

٤ وقع في الأصول الخطيّة: "لفِقتُ الشيء وتَلفّقتُه" بتقديم الفاء على القاف.
٥ ف: تناوله.
٦ الصحاح للجوهري، «لقف».

وعن عكرمةَ: أصبحُوا سَحرةً وأَمسَوْا شهداء.

وإنما عُبِّر عن الخُرور بالإلقاء لأنه ذُكِرَ مع الإلقاءاتِ فسُلك به طريقُ المشاكلةِ، وفيه أيضًا مع مُراعَاة المُشاكلةِ أنهم حينَ رَأوا ما رَأَوا لم يتمَالكُوا أَنْ رَمَوا بأنفُسِهم إلى الأرض ساجدِين كأنَّهم أُخذُوا فطُرِحُوا طرحًا.

فإن قلتَ: فاعلُ الإلقاء ما هو لو صُرِّح به؟

قلتُ: هو اللهُ عزَّ وجلَّ بما خَوَّلهم من التوفيق، أو إيمانُهم، أو ما عَايَنوا من المُعجزة الباهرة، ولك أن لا تُقدِّر فاعِلًا لأنَّ "أُلقوا" بمَعْنى: خَرُّوا وسَقطُوا.

﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ عطفُ بيانٍ لـ"ربِّ العالمين" لأنَّ فرعون لَعنَه الله كان يدَّعي الربُوبيَّة فأرَادُوا أَن يَعزِلُوه، ومَعنى إضافتِه إليهما في ذلكَ المقَامِ: أنَّه الذي يَدعُو إليه هذان، والذي أجرَى على أَيْديهمَا ما أَجْرَى.

﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: وَبالَ ما فعَلْتُم.

﴿قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝٥٠﴾

الضَّرُّ والضَّيرُ والضَّوْرُ: واحدٌ، أرَادُوا: لا ضَرَر علينا في ذلك ....

قولـه: (فـإن قلـتَ: فاعـل الإلقـاء) يعنـي: فاعـل "أُلقِـي" فـي قولـه تعالـى: ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ﴾.

قوله: (ولك أن لا تُقدِّر) يعني: ولك أن تقول: ليس المعنى على أنَّ مُلقيًا ألقاهم حتّى يحتاج إلى بيان ذلك المُلقي مَن هو؛ بل المعنى خَرُّوا وسقطوا لكن عدَل إلى أُلقوا للمشاكلة وإفادة أنّهم لم يتمالكوا. وقوله: (لأنّ) متعلّق بمحذوف، أي: بيّن "ربِّ العالَمين" بـ﴿رَبِّ مُوسَىٰ﴾؛ لأنّ...، أو أتى بعطف البيان لأنّ...

قوله: (هذان) أي: موسى وهارون.

قولـه: (الضَّرُّ والضَّيْر)... إلـخ، "الضَّرُّ" خلاف النفع، وقد ضارَه يَضيره ويَضوره ضَيرًا وضَورًا، أي: ضَرَّه.

بل لنا فيه أَعظَمُ النَّفْع؛ لِمَا يَحْصُلُ لنا في الصَّبْر عليه لوَجْهِ الله مِن تكفيرِ الخطايا والثوابِ العَظيم مع الأعواض الكَثيرة.

أو: لا ضَيْرَ علينا فيما تتَوعَّدُنا به من القتلِ، وإنَّه لا بدَّ لنا من الانقلاب إلى ربِّنا بسَببٍ من أسبَاب المَوتِ، والقَتلُ أَهونُ أسبابِه وأرجَاها.

أو: لا ضَير عَلينا في قتلِك، إنكَ إنْ قتَلتَنا انقَلبنَا إلى رَبِّنا انقلابَ مَن يَطمعُ في مَغفرته ويَرجُو رحمتَه لِمَا رُزقنا من السَّبْقِ إلى الإيمان، وخبرُ ﴿لَا﴾ محذوفٌ، والمعنى: لا ضيرَ في ذلك، أو: عَلينا.

﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥١﴾

﴿أَن كُنَّآ﴾ مَعناه: لِأَنْ كنَّا، وكانوا أوَّلَ جماعةٍ مُؤمنين من أهلِ زمانِهم، أو من رَعيَّة فرعونَ، أو من أهل المشهَد.

قوله: (وأوحاها)[١] أي: أسرَع أسباب القتل، أو يحصل به الموت سريعًا مِن غير معالجة السَّكرات ونزع الروح. والوَحَى -بالقصر والمدِّ-: السرعة، ومنه: موت وحِيٌّ، وذَكاة[٢] وَحِيَّةٌ؛ سريعة، ومعنى قولهم: القتل بالسيف أوحَى، أي: أسرع، وقولهم: السمُّ يقتُل إلّا أنّه لا يُوحي، صوابه: لا يَحِي، مِن: وَحَى الذبيحة إذا ذبحها ذَبحًا وَحِيًا، ولا يقال: أوحى.[٣]

قوله: (أو لا ضَير علينا)... إلخ، الفرق بين الوجوه الثلاثة: أنّ نفيَ الضَّير في الأوّل: باعتبار الصَّبر[٤] على أذى القطع والصَّلب. وفي الثاني: باعتبار أنّ الموت واقع البتّة، والقتل نوع مِن أنواعه. وفي الثالث: باعتبار أنّه مستلزِم للانقلاب إلى مَن نَطمَع رحمتَه لما وفَّقنا[٥] مِن السَّبْق إلى الإيمان.

قوله: (أو مِن أهل المَشهد) أي: مِن أهل ذلك المَشهد.

---

١ ف: وأوجاها. | وفي مطبوع الكشّاف: "وأرجاها".
٢ في الأصول الخطّيّة: "ذكوة".
٣ المُغرب للمطرّزي، «وحي».
٤ في الأصول الخطّيّة: "باعتبار الضير"، والأصوب المفهوم مِن السياق ما أثبتّه.
٥ د: وقّقنا.

وقرئ: "إنْ كنّا" بالكسر، وهو من الشَّرط الذي يَجيء به المُدِلُّ بأَمْرِه المتحقِّقُ لصحَّتِه، وهم كانوا متحقِّقينَ أنَّهم أوَّلُ المؤمنينَ، ونظيرُه قولُ العامِلِ لمن يُؤخِّرُ جَعْلَه: إن كنتُ عمِلتُ لك فَوفِّني حقِّي، ومنه قولُه عزَّ وجل: ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى﴾ [الممتحنة ١/٦٠] مع عِلْمِه أنَّهم لم يخرجُوا إلَّا لذلك.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ۝٥٢ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝٥٣ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ۝٥٤ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ۝٥٥ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ۝٥٦﴾

قرئ ﴿أَسْرِ﴾ بقَطع الهمزة ووَصْلها، و: "سِرْ".

﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ علَّلَ الأمرَ بالإسراء باتِّباع فرعونَ وجنُودِه آثارَهم، والمعنى: إنِّي بَنيتُ تدبيرَ أمرِكم وأمرِهم على أن تَتقدَّمُوا ويَتَّبِعُوكم حَتَّى يدخلوا مَدخَلكم ويَسْلكوا مَسْلكَكم من طريق البَحر فأُطبِقَه عليهم فأُهلِكَهُم.

قوله: (المُدِلُّ) هو يُدِلُّ بفُلان،[١] أي: يثِق به.

قوله: (ومنه: قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ﴾) قال تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن / كُنتُمْ﴾... [الممتحنة ١/٦٠]. [٢١٦ظ]

قوله: (إلّا لذلك) أي: للجهاد وابتغاء المَرضاة.[٢]

قوله: (﴿أَسْرِ﴾ بقطع الهمزة) مِن: أسرى. (وبوَصلها)[٣] مِن: سرى، (وسِرْ)[٤] مِن: سار يسير.

---

[١] في الأصول الخطّيّة: "يدِلّ فلان"، وأثبتُّ ما في الصحاح وغيره مِن كتب اللغة. انظر: الصحاح للجوهري، «دلل».

[٢] ف: المرضات.

[٣] وهي قراءة نافع وأبي جَعفر وابن كثير، وقرأ باقي القرّاء بقطع الهمزة. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٢٩٠.

[٤] وهي قراءة شاذّة. انظر: مختصر شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٠٨.

ورُوِي: أنَّه مات في تِلك اللَّيلة في كلِّ بَيتٍ من بيوتهم وَلدٌ فاشتَغَلوا بموتاهم حتى خرَج موسى بقَومه.

وروي: أنَّ الله أَوحى إلى موسى: أنِ اجْمَع بني إسرائيل كلَّ أربعةِ أبيَاتٍ في بيتٍ، ثم اذبحُوا الجِدَاءَ واضِرْبُوا بدمائها على أَبوابكم، فإنِّي سَآمُر الملائكةَ أَن لا يدخلوا بيتًا على بابه دَمٌ، وسآمُرهُم بقَتل أَبْكار القِبْط، واخبِزُوا خُبزًا فطيرًا فإنَّه أسرَعُ لكم، ثم أَسْرِ بعبَادي حَتى تَنتَهيَ إلى البحر فيأتِيَكَ أَمْري، فأرسلَ فرعونُ في أثرِه ألفَ ألفٍ وخَمسَ مئةِ ألْفٍ [وخمسَ مئةِ] مَلِكٍ مُسَوَّرٍ، مع كلِّ ملِكٍ أَلْفٌ، وخرجَ فرعَونُ في جَمْعٍ عظيم، وكانت مقدِّمتُه سَبعَ مئة ألفٍ: كُلُّ رجُلٍ على حصَانٍ وعلى رأسه بَيضةٌ.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: خرج فرعون في ألفِ ألفِ حصَان سوَى الإناثِ، فلذلك استَقلَّ قومَ موسى وكانوا ستَّ مئةِ ألفٍ وسبعين ألفًا وسمَّاهُم شِرذمةً قَلِيلينَ.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ محكيٌّ بَعد قولٍ مُضمَر، والشِّرذمةُ: الطَّائفةُ القَليلةُ، ومنها قولُهم: ثَوبٌ شَراذِمُ، لِلَّذي بَليَ وتقَطَّع قِطعًا.

ذكَرَهُم بالاسمِ الدَّالِّ على القِلَّة، ثم جَعلهم قليلًا بالوَصف، ثم جَمع القَليل

قوله: (الجِداء) الجَدْيُ: مِن ولد المَعز، وثلاثة أجدٍ، وإذا كثُرت فهو الجِداء.[١]

قوله: (فطيرًا) الفطير: خلاف العجين،[٢] وهو الذي لم يختَمر، وكلُّ شيء أعجلته عن إدراكه فهو فَطير.[٣]

قوله: (على حِصانٍ) فرَسٌ حِصان؛ وهو الذكَر مِن الخَيل، يقال: فرَسٌ حِصان بَيِّن التحصين والتحصُّن،[٤] ويقال: سُمّي حصانًا؛ لأنّه ضُنَّ بمائه، فلم يُنْزَ إلّا على كَريمةٍ، ثمّ كثُر ذلك حتّى سمَّوا كلَّ ذكَر مِن الخَيل: حِصانًا.[٥]

---

١ الصحاح للجوهري، «جدى».
٢ في الصحاح: "خلاف الخَمير".
٣ الصحاح للجوهري، «فطر».
٤ ن – والتحصّن.
٥ الصحاح للجوهري، «حصن».

فجعَل كلَّ حزبٍ منهم قليلًا، واختارَ جمعَ السَّلامةِ الَّذي هو للقلَّة، وقد يُجمَعُ القَليلُ على أقِلَّةٍ وقُلُلٍ.

ويجوز أن يُريد بالقلة: الذِّلَّةَ والقَمَاءةَ ولا يريدَ قِلَّةَ العَدد، والمَعنى: إنَّهم لِقلَّتهم لا يُبالَى بهم ولا يُتوقَّعُ غَلبَتُهم وعُلوُّهم، ولكنَّهم يفعَلون أفعالًا تَغِيظُنَا وتُضيِّق صُدورَنا، ونحن قومٌ من عادَتنَا التَّيقُّظُ والحَذرُ واستعمالُ الحَزْم في الأمور، فإذا خرَج علَينَا خارجٌ سَارَعْنا إلى حَسْم فسَادِهِ. وهذه مَعَاذيرُ اعتذر بها إلى أَهْل المَدَائنِ لئَلَّا يُظنَّ به ما يَكسرُ من قَهْره وسُلطانه.

وقرئ: ﴿حَذِرُونَ﴾ و: ﴿حَاذِرُونَ﴾، و: "حَادِرون" بالدَّال غيرِ المعجمة. فالحَذِر: اليقِظُ، والحَاذرُ: الذي يُجَدِّدُ حَذَرَه، وقيل: المُؤدِّي في السِّلاحِ،

قوله: (والقَماءة) أي: الصَّغار.

قوله: (تَغِيظُنا) الغيظ: غضبٌ كامِنٌ، يقال: غاظه يغيظه فهو مَغيظ، قالت قُتَيلة بنتُ النَّضر بن الحارث وقد قتلَ النبيُّ عليه الصلاة والسلام أباها صَبرًا:

ما كان ضَرَّكَ لو مَنَنْتَ وربّما مَنَّ الفتى وهو المَغيظُ المُحْنَقُ[1]

قال ابن السِّكِّيت: لا يقال: أغاظه.[2]

قوله: (والحاذِر الذي)... إلخ،[3] قال الفرّاء: «الحاذر: الذي يحذَرُك الآن، والحَذِر: المَخلوق كذلك، لا تلقاه إلّا حَذِرًا».[4] وقال الزجّاج: «الحاذر: المستعِدُّ، والحذِر: المتيقِّظ».[5] وقوله: (المُؤدي) الأداة: الآلة، والجمع: الأدوات، وآدى الرجل: قَوِي، مِن الأداة، فهو "مؤدٍ" بالهمز، وأمّا "مودٍ" بلا همز فهو مِن أَوْدى أي: هلك.[6] قال في التفسير الوسيط: «يقولون في تفسير ﴿حَذِرُونَ﴾: مُؤدون مُقوون،

---

[1] ن: المُحنَّق. | الصحاح للجوهري، «غيظ». وانظر القصيدة في السنن الصغير للبيهقي، ٣/٣٨٤ (٢٨٢٦)؛ وسيرة ابن هشام، ٢/٤٣.

[2] الصحاح للجوهري، «غيظ».

[3] اختلف القرّاء في ﴿حَذِرُونَ﴾، فقرأ الكوفيون وابن ذكوان وهشام بخلف عنه بألِف بعد الحاء، وقرأ الباقون بغير ألف. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٣٥.

[4] انظر: غريب الحديث للحربي، «حذر».

[5] انظر: لسان العرب لابن منظور، «حذر».

[6] الصحاح للجوهري، «أدا».

وإنَّما يفعَل ذلك حَذَرًا واحتِياطًا لنَفسه، والحادرُ: السَّمينُ القَويُّ، قال:

أُحِبُّ الصَّبيَّ السَّوءَ مِن أجْلِ أُمِّه وأُبغضُهُ من بُغضِهَا وهو حَادرُ

أرَادَ أنهم أَقويَاءُ أشِدَّاء، وقيل: مُدَجَّجُونَ في السِّلاح قد كسَبَهُم ذلك حَدارَةً في أجسَامهم.

﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٥٨ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٥٩﴾

وعن مجاهد: سمَّاهَا كنوزًا لأنهم لَم يُنفِقُوا منها في طَاعة الله.

و"المقامُ": المكانُ، يُريد: المنازلَ الحَسنةَ والمجالسَ البهيَّةَ.

وعنِ الضحاك: المنابرُ.

وقيل: السُّرُرُ في الحجَالِ.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ يَحتمِلُ ثلاثةَ أَوجهٍ:

النصبَ على: أَخرَجناهم مثلَ ذلك الإخراج الذي وصَفنَا.

أي: ذَوو[1] أداةٍ وقوّة، مستعدّون شاكّون[2] في السلاح».[3] يقال: أقوى الرجل إذا كانت دابّته قويّة، يقال: فلان قويٌّ مُقْوٍ،[4] فالقوي في نفسه، والمُقْوي في دابّته.[5]

قوله: (والحادِر: السمين) وبه سمّي الأسد: حَيدرًا؛ لِغِلَظ رقبته.

قوله: (مدجَّجون) يقال: رجل مدجَّجٌ ومدَجَّجٌ، أي: شاكٌ في السلاح، تقول[6] منه: تدجَّجَ في شِكَّته، أي: دخل في سلاحه.[7]

قولـه: (يريـد المنـازل)... إلـخ؛ لأنّ الكريـم مِـن كلِّ شـيء هـو المحمـود منـه المرضـيّ.

---

[1] ن: ذو؛ د: ذووا.

[2] الشاكُّ في السِلاح: هو اللابس للسِّلاح التامّ. الصحاح للجوهري، «شكك».

[3] التفسير الوسيط للواحدي، ٣/٣٥٤ (الشعراء، ٢٦/٥٦).

[4] ن: مقوى.

[5] الصحاح للجوهري، «قوا».

[6] ن: يقول.

[7] الصحاح للجوهري، «دجج».

والجرَّ على أنه وَصفٌ لـ﴿وَمَقَامٍ﴾؛ أي: لمقامٍ كريمٍ مثلِ ذلك المقَامِ الذي كان لهُم.

والرفعَ على أنه خبرٌ لمبتَدإٍ محذوفٍ؛ أي: الأمرُ كذلك.

﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ۞ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۞ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۞﴾

﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾: فلَحِقُوهُمْ، وقرئ: "فاتَّبعُوهُم".

﴿مُّشْرِقِينَ﴾: داخلِينَ في وقت الشُّروق، من شَرَقَتِ الشمسُ شُرُوقًا: إذا طَلَعتْ.

﴿سَيَهْدِينِ﴾ طريقَ النجَاة من إدراكِهم وإضرارِهم.

وقرئ: "فلمَّا تراءتِ الفئتان".

"إنَّا لمُدَّركونَ" بتشديدِ الدَّالِ وكسرِ الراء، من ادَّرَكَ الشيءُ: إذا تتَابَع ففنيَ، ومنه قولُه تعالى: "بل ادَّرَكَ عِلمُهم في الآخرة" قال الحسن: جهلُوا عِلمَ الآخرة.

قوله: ("إنّا لمدَّرِكون")[١] قول المصنِّف: "إنّا لمُدَّرِكون" عطف على قوله: ("فلمّا تراءَتِ الفِئتان")،[٢] فعطف المصنّف هذه القراءة الشاذّة على تلك القراءة الشاذّة، ولم يذكر القراءة التي هي مِن السبعة فيهما، وهو قوله: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ بضمّ الميم وسكون الدال وفتح الراء الخفيفة، أي: لمّا تقابل الجمعان بحيث يرَى كلّ فريق صاحبَه وعاين بعضُهم بعضًا قال أصحاب موسى: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾، أي: سيدركنا جمع فرعون، ولا طاقة لنا بهم.

قوله: (قال الحسَن) أي: في تفسير ﴿ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ﴾ [النمل ٢٧/٦٦].[٣]

---

[١] بالتشديد قراءة شاذّة، مرويّة عن الأعرج وعبيد بن عمير. انظر: المحتسب لابن جنّي، ٢/١٢٩.

[٢] ذكرها ابن خالويه عن الأعمش عن عاصم، لكن قال: بلا همز. انظر: مختصر شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٠٨.

[٣] قول الحسن ذكره ابن جنّي وقال: «أي: لا علمَ عندهم في أمر الآخرة، معناه: بل أسرَعَ وخفَّ، فلم يثبت، ولم تطمئنّ لليقين به قدم». انظر: المحتسب لابن جنّي، ٢/١٢٩.

وفي معناه بيتُ "الحماسة":

أَبـعـدَ بَـنِـي أُمِّــي الـذِيـنَ تـتَـابعُـوا   أُرجِّـي الحَـيـاةَ أَمْ مـن المَـوتِ أَجـزعُ

والمعنى: إنَّا لمُتَتَابِعُون في الهلاك على أيديهم حتى لا يَبقَى مِنَّا أحدٌ.

﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٦٣ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ۝٦٤ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ۝٦٥ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ۝٦٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٦٧ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦٨﴾

"الفِرْقُ": الجزء المتفرِّقُ منه، وقرئ: "كُلُّ فِلْقٍ" والمعنى واحدٌ.

و"الطَّودُ": الجبَلُ العظيم المُنطادُ في السماء.

﴿وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ﴾ حَيثُ انفلَقَ البحرُ ﴿ٱلۡأٓخَرِينَ﴾: قومَ فرعون؛ ....

قوله:

(أَبَعْـدَ بني أمّـي الذيـن تتابعـوا)... البيـتَ[1]

يريد: تَبِع بعضُهم بعضًا في الهلاك. قوله: "أَبَعْدَ" لفظه لفظ[2] الاستفهام، ومعناه معنى التوجّع. يقول: أَأُرَجِّي الحياة أم مِن الموت أجزَع بعد إخواني / الذين انقرضوا، ومضى واحدٌ إِثْر واحدٍ، أي: لا يَحسُن الطمع في الحياة [٢١٧
بعدهم، ولا الجزَع مِن الموت عقيب التفجُّع بهم.[3]

قوله: (والمعنى) أي: في هذه القراءة الشاذّة.

قوله: ("الفِرْق": الجزء) فـ"الفِرْق" فِعلٌ بمعنى مفعول، كالطِّحن بمعنى المَطحون. وقوله: (منه) أي: مِن البحر.

قوله: (و"الطَّود") يقال: طوَّد في الجبال، مثل: طوَّف.[4] وقوله: (المُنطاد) أي: المُرتفِع والمُرتقي.

---

١ لأبي حناك البَراء بن رِبعي الفقعسي. انظر: شرح ديوان الحماسة للتبريزي، ٣٥١/١.

٢ ن – لفظ.

٣ شرح شواهد الكشّاف لمحبّ الدين أفندي، ص ١٧٧.

٤ الصحاح للجوهري، «طود».

أي: قرّبناهُم مِن بني إسرائيل، أو: أَدنَينَا بَعضَهم من بَعض وجَمَعْناهم حتى لا ينجُوَ منهم أَحدٌ، أو: قدَّمنَاهُم إلى البَحر.

وقُرئ: "وأَزْلَقْنا" بالقافِ؛ أي: أَزْلَلْنَا أَقدامَهُم، والمعنى: أذهَبْنا عزَّهم؛ كقوله:

تَدَارَكْتُما عَبْسًا وقد ثُلَّ عَرشُها وذُبيَانَ إذْ زلَّتْ بأَقدامها النَّعلُ

ويَحتمِلُ أَن يَجعلَ الله طريقَهم في البَحر على خِلافِ ما جعَلَه لبني إسرَائيل يَبَسًا فيُزلقَهم فيه.

عن عطاء بن السَّائب: أَنَّ جبريل كانَ بَينَ بني إسرائيل وبين آل فرعونَ، فكان يقولُ لبَني إسرائيل: لِيَلْحقْ آخرُكُم بأوَّلِكم، ويَستَقبلُ القِبطَ فيقول: رُوَيدَكُم يَلحقْ آخرُكم، فلمَّا انتهَى مُوسى إلى البَحر قال له مُؤمنُ آل فرعَون وكان بَين يدَي مُوسى: أَين أُمِرتَ؟ فهذا البَحرُ أَمامك وقَد غَشِيَك آلُ فرعون، قال: أُمِرْتُ بالبَحر، ....

قوله: (وقد ثُلَّ)[١] ثَلَلتُ البيتَ أَثُلّه، أي: هدَمتُه، وهو أن تحفِر أصل الحائط ثمّ تدفع فينقاضّ، وهو أهول الهدم، يقال: ثَلَّ الله عرشَهم، أي: هدم مُلكهم، ويقال للقوم إذا ذهب عِزُّهم: "قد ثُلّ عرشُهم".[٢] و"عبْس" و"ذبيان" قبيلتان. ويقال: "زَلّتْ قدَمه"[٣] إذا زال عِزُّه؛ يُضرب لمَن نُكِب وزالت نعمته. يقول: تداركتما حال القبيلتين[٤] بعد انهدامها.[٥]

قوله: (**ويحتمل أن يجعل الله**)... إلخ، يعني: كان طريقهما واحدًا، لكن جعلهما الله مختلفَين بالصِّفة، بأن كان ذلك الطريق يَبَسًا لبني إسرائيل، زلَقًا للقبْط، فكأنّهما طريقان؛ للاختلاف في الصفة، وذلك مِن آيات الله تعالى.

---

١ البيت لزهير بن أبي سلمى في الصحاح للجوهري، «عرش».

٢ الصحاح للجوهري، «ثلل». وانظر: مجمع الأمثال للميداني، ١٥٣/١.

٣ ذكره الميداني بلفظ: "زلّت به نعله". انظر: مجمع الأمثال للميداني، ٣٢٢/١.

٤ د ن: القبيلين.

٥ انظر: شرح شواهد الكشّاف لمحبّ الدين أفندي، ص ٢٤٤.

ولا يَدْري مُوسَى ما يَصنعُ، فأَوحى الله إلَيه: أَن اضرِبْ بعصَاك البَحر، فضَربه فصَار فيه اثنا عَشَرَ طَرِيقًا لكلِّ سِبْطٍ طَرِيقٌ.

وروي أَنَّ يُوشَع قال: يا كليمَ الله، أَين أُمرتَ؟ فقد غَشِيَنا فرعونُ والبحرُ أَمامَنَا، قال موسى: هاهُنا، فخاضَ يُوشعُ الماءَ وضربَ موسى بعصَاه البحرَ فدَخلوا.

وروي أنَّ موسَى قال عند ذلك: يا مَن كان قَبلَ كلِّ شيءٍ، والمُكَوِّن لكلِّ شيءٍ، والكائن بعدَ كلِّ شيء.

ويقال: هذا البَحرُ هو بَحرُ القُلْزُم.

وقيلَ: هُوَ بحْرٌ من وراء مصر يقال له: إِسَافٌ.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ أَيَّةَ آيَةٍ، وآيةً لا تُوصفُ، وقد عايَنَها الناسُ وشاع أمرُها فِيهم، وما تنبَّهَ عليها أكثرهُمْ ولا آمَنَ بالله، وبنو إسرائيل الذين كانُوا أصحابَ موسى المَخصُوصِين بالإنجاء قد سألوهُ بقرةً يَعبُدُونها واتَّخَذُوا العجلَ وطَلَبُوا رؤيةَ الله جَهرةً.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ المُنتقِمُ مِن أعدائه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بأوليائه.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾﴾

كان إبراهيمُ صلواتُ الله عليه يَعلمُ أَنَّهم عَبدةُ الأصنام، ولكنَّه سألهم لِيُرِيَهم أنَّ ما يَعْبدُونه ليس من استحقاقِ العبَادة ....

قوله: (ولا يدري موسى) يناقضه قوله: "إني بَيَّتُ تدبير أمركم" إلى قوله: "فأُطبِقُه عليهم فأهلِكهم"،[1] وكأن هذا رواية أخرى.

قوله: (والمكوِّن... والكائن) معطوفان على "قبلَ"، فإنَّ صفاته تعالى أزليّة أبديّة، كان تعالى ولم يكن شيء، والآن إلى الأبد على ما كان.

قوله: (ليس مِن استحقاق العبادة) يجوز أن يكون "مِن استحقاق العبادة"

---

[1] تقدّم مِن قول الزمخشري في تفسير الآية ٥٢.

في شَيءٍ؛ كما تقُول للتَّاجِر: "مَا مالُكَ؟" وأنت تَعلم أنَّ مالَه الرَّقيقُ، ثم تقُول له: "الرقيقُ جَمالٌ وليس بمالٍ".

فإن قلتَ: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ سؤالٌ عن المعبود فحسْبُ، فكان القياسُ أن يقولوا: ﴿أَصْنَامًا﴾ كقوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة ٢١٩/٢]، ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ ٢٣/٣٤]، ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا﴾ [النحل ٣٠/١٦].

قلتُ: هؤلاء قد جاؤوا بقصَّةِ أَمْرِهم كاملةً كالمُبتَهِجينَ بها والمُفتخِرينَ، فاشتملَتْ على جوابِ إبراهيمَ وعلى ما قصَدوهُ من إظهارِ ما في نفُوسهم من الابْتِهاج والافتِخار، ألَا تراهم كيف عطفُوا على قولهم: ﴿نَعْبُدُ﴾: ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ ولم يقتَصِروا على زيادة ﴿نَعْبُدُ﴾ وَحْدَهُ.

ومثالُه: أن تقولَ لبَعض الشُّطَّارِ: "ما تَلبَسُ في بلادِك؟" فيقولُ: "أَلبَسُ البُرْدَ الأتحمِيَّ فأَجُرُّ ذَيلَهُ بَينَ جِواري الحيِّ".

خبر "ليس"، و"مِن" فيه للاتصال، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [التوبة ٦٧/٩]، وكقوله عليه الصلاة والسلام: «ما أنا مِن دَدٍ ولا الدَّدُ مِنّي».[١] فكأنَّ المصنِّف قال: ليس لما تعبدونه تعلُّق واتّصال باستحقاق العبادة. وقوله: (في شيء) حال مِن الضمير المستتر في الخبر، أي: كائنًا هذا المعبود في أيِّ شيء كان مِن الأشياء، وفُرِض مِن الأمور؛ لكونه عالِمًا بعبادة العابدين أو غير عالم، راضيًا بالعبادة أو غيرَ راضٍ، ويجوز أن يكون قوله: "في شيء" هو الخبر، وقوله: "مِن استحقاق" حالًا مِن الضمير في هذا الخبر، و"مِن" فيه للابتداء، لكن يلزم مِن هذا تقديم الحال على العامل المعنويّ.

قوله: (ثمّ تقول) فيه حذف، يعني: فيقول التاجر: مالي رقيق، ثمّ تقول أنت: الرقيق ليس مالًا، فغرضك مِن سؤالك أن تبني على جوابه ما يدلّ على فساد اعتقاده، فكذلك في الآية.

قوله: (الأتحَميّ) "الأتْحَميُّ": ضَربٌ مِن البُرود، قال:

---

[١] السنن الكبرى للبيهقي، ١١٨/٢١ (٢١٠٠٦)؛ الأدب المفرد للبخاري، ٤٢١/١ (٧٨٥).

وإنما قالوا: "نظَلُّ"؛ لأنهم كانوا يَعبُدونها بالنَّهار دون اللَّيل.

﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾

لا بُدَّ في ﴿يَسْمَعُونَكُمْ﴾ من تقديرِ حَذفِ المضاف؛ معناه: هل يسمعُونَ دُعاءَكم، وقرأ قتادة: "يُسمِعُونكم"؛ أي: هل يُسمِعُونكم الجوابَ عن دعائكم؟ وهَل يَقدرُون على ذلك؟

وعليه أتَحَميٌّ نَسْجُه مِن نسج هَوزَم[1]
غَزَلَته أمُّ حِلْمَى[2] كلَّ يوم وزْنَ دِرهم[3]

قوله: (حذف المضاف) أمّا حذف المضاف على القراءة الأولى[4] فلدلالة ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾ عليه. وأمّا الحذف على القراءة الثانية[5] فلأنّ الجواب إنّما يكون جوابًا عن الدعاء، فيدُلّ أيضًا قوله: ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾ على أنّ المراد: "يُسمعونكم / الجواب عن دعائكم"، فحذِف، فعلى هذه القراءة فالمحذوف هو المفعول الثاني،[6] وأمّا المفعول الأوّل فمذكور مِن غير الاحتياج إلى تقدير المضاف، وهو ظاهر. [٢١٧ظ]

قوله: (أي: هل يُسمِعونكم الجواب)... إلخ، أشار المصنِّف بقوله: "هل يُسمِعونكم الجواب" إلى أنّ المفعول الثاني محذوف، وأشار بقوله: (وهل يقدرون؟) إلى أنّ المعنى يئول إلى: هل يقدرون على ذلك؟ كما تقول: هل يفعل زيد مثلَ ذلك؟ أي:[7] هل يقدِر عليه؟ فالعطف فيه ممّا ذكرنا مرارًا أنّه يكون للبيان.

---

[1] كذا في الأصول الخطّيّة؛ بالزاي، وفي المطبوع مِن لسان العرب والصحاح: "هورم" بالراء. ولم أجد معنى هوزم أو هورم، ولعله اسم مكان.

[2] كذلك ضُبِط في الأصول الخطّيّة؛ بالحاء في أوّله والألف في آخره، وضُبط في مطبوع لسان العرب: "أمّ حِلمِي" بالحاء وبالياء، وضُبط في مطبوع الصحاح: "أم خِلمِي" بالخاء وبالياء. والخِلْمُ -بالكسر-: الصَّديق. الصحاح للجوهري، «خلم».

[3] بغير نسبة في الصحاح للجوهري، «تحم»؛ ولسان العرب لابن منظور، «تحم».

[4] أي: القراءة الصحيحة: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾.

[5] وهي قراءة قتادة: "هل يُسمِعُونكم"، وهي قراءة شاذّة. انظر: انظر: المحتسب لابن جنّي، ١٢٩/٢.

[6] ن - هو المفعول الثاني.

[7] ف - هل يقدرون على ذلك؟ كما تقول: هل يفعل زيد مثل ذلك؟ أي.

وجاء مُضَارعًا مع إيقاعِه في ﴿إِذْ﴾ على حِكايةِ الحال الماضيةِ، ومعناه: استحضِرُوا الأَحوالَ الماضيةَ التي كنتُم تَدْعُونها فيها وقُولوا: هَل سَمعُوا أَو أَسْمعُوا قَطُّ، وهذا أبلغُ في التبكيت.

﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۝٨١﴾

لمَّا أجابوه بجوابِ المقَلِّدين لآبائهم قال لهم: رَقُّوا أَمرَ تَقليدِكم هذا إلى أقصَى غاياته -وهي عبادةُ الأَقدمين الأوَّلينَ من آبائكم- فإن التقدُّم والأوَّليَّةَ لا يكونُ بُرهَانًا على الصِّحَّةِ، والبَاطِلُ لا ينقلبُ حَقًّا بالقِدَم، وما عبادةُ مَن عَبَدَ هذه الأَصنامَ إلَّا عبادةُ أَعداءٍ له، ومعنى العَداوةِ قَولُه تعالى: ....

قوله: (مع إيقاعه) أي: مع إيقاع الله تعالى الإسماع[1] في "إذْ"، والمراد بإيقاعه في "إذ": أن جعل "إذ" ظرفًا له، يعني: لمَا كان ظرف هذا الفعل الزمان الماضي كان المناسب "سمِعوا"، فلِمَ عدَل إلى المضارع؟

قوله: (تدعونها) أي: الأصنام.

قوله: (في التَّبكيت) "التَّبكيت": كالتقريع والتعنيف، وبكّته بالحجّة، أي: ألزمه.

قوله: (رَقُّوا) مِن الترقية التي مطاوِعها الترقّي، كأنّه قيل: انقلوا الكلام إلى آبائكم المقلِّدِين.

قوله: (وما عبادة مَن عبَد) مصدر مضاف إلى الفاعل. وقوله: (عبادة أعداءٍ) مصدر مضاف إلى المفعول.

قوله: (ومعنى العداوة قوله تعالى) أي: معنى العداوة مضمون قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ [مريم ٨١/١٩]، أي: المعنى الذي تدلّ عليه هذه الآية: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ۝ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ﴾ [مريم ٨١/١٩-٨٢].

---

[1] ف: للإسماع.

﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم ٨٢/١٩]، ولأن المُغْرِيَ على عبَادتها أَعدَى أعداءِ الإنسانِ وهو الشَّيطان.

وإنما قال: ﴿عَدُوٌّ لِّي﴾ تصويرًا لِلمَسألة في نفسه على مَعنَى: أَنِّي فكَّرتُ في أَمري فرأيتُ عبَادَتي لها عبَادةً للعَدُوِّ، فاجتَنَبْتُها وآثَرْتُ عبادةَ مَن الخَيرُ كلُّه منه، وأَرَاهُم بذلك أنَّها نصيحَةٌ نصَحَ بها نفسَه أوَّلًا وبَنى عَليها تدْبيرَ أمره؛ ليَنظُروا فيَقولُوا: "ما نصَحَنا إِبْراهيمُ إلَّا بما نصَحَ به نفسَه، وما أرَاد لنَا إلَّا ما أرادَ لرُوحهِ"؛ ليَكون أَدْعَى لَهُم إلى القَبُول، وأبعثَ على الاستماع منه، ولو قال: "فإنَّهُ عدوٌّ لكُم" لم يكُن بِتلكَ المَثَابةِ، ولأنَّه دخَل في بابٍ مِن التَّعريضِ، وقد يَبلُغُ التَّعريضُ للمَنصُوحِ ما لا يَبْلغُه التَّصريحُ؛ لأنَّه يتَأمَّل فيه فربَّما قادَه التَّأمُّلُ إلى التَّقبُّل.

ومنه ما يُحكَى عنِ الشَّافعي رحمه الله: أَنَّ رجُلًا واجهَهُ بشيءٍ، فقال: لو كنتُ بحَيثُ أنتَ لاحتَجْتُ إلى أَدبٍ.

وسَمعَ رجُلٌ ناسًا يتحدَّثونَ ....

قوله: (ولأنّ المُغريَ) عطف مِن حيث المعنى على جملة قوله: "ومعنى العداوة"... إلخ.

قوله: (وأراهم) عطف على قوله: (قال)، والأصوب أن يكون عطفًا مِن حيث المعنى على (تصويرًا)، فكأنّه[1] قال: صوَّر المسألة في نفسه وأراهم.

قوله: (على الاستماع منه) تنازع في "منه": "القبول" و"الاستماع".

قوله: (التعريض) "التعريض" خلاف التصريح، والفرق بينه وبين الكناية أنّ التعريض: تضمين الكلام دلالة ليس لها ذِكر فيه، كقولك: ما أقبح البخل! تُعرِّض بأنّه بخيل، والكناية: ذكر الرَّديف، وإرادة المَردوف، كقولك: فلان طويل النِّجاد، يعني: أنّه طويل القامة.[2]

قوله: (وسمع رجل) وذلك الرجل قيل: كان مجاورًا للبيت، أي: للكعبة.

---

[1] ن: وكأنّه.

[2] المُغرب للمطرّزي، «عرض».

في الحِجْر، فقال: ما هو ببَيْتِي ولا ببَيْتكُم.

والعدوُّ والصَّدِيقُ: يجيئان في مَعنى الوَحدةِ والجماعة، قال:

وقَـــومٍ عَلـــيَّ ذوِي مِئـــرةٍ أَراهُـــم عَـــدوًّا وكـانــوا صَديقًـا

ومنه قولُه تعالى: ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [الكهف ٥٠/١٨]، شُبِّهَا بالمصَادر للمُوازنة؛ كالقَبُول والوَلُوع والحَنينِ والصَّهِيل.

﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ استثناءٌ منقطِعٌ؛ كأنَّه قال: لكنَّ ربَّ العالمينَ.

﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ يُريدُ: أنَّه حينَ أتَمَّ خَلْقَه ونفَخَ فيه الرُّوحَ عَقَّب ذلك هدَايتَه المتَّصلةَ -التي لا تَنقطِعُ- إلى كُلِّ ما يُصْلِحُه ويَعْنيه، وإلَّا: فمَن هَدَاهُ إلى أنْ يَغتَذِيَ بالدَّم في البَطن امتصَاصًا، ومَن هَداهُ إلى مَعْرفةِ الثَّدْي عِند الوِلادة

وقوله: (في الحِجر) المراد بـ"الحِجر" هنا: حِجْر الكعبة، وهو ما حواه الحطيم المُدار بالبيت جانب الشمال، وكلّ ما حجرتَه مِن حائط فهو حِجْرٌ.[١] وقوله: (ولا ببَيْتي) أي: حتّى يصلح فيه التحديث بالفضول.

قوله: (والجماعة) أي: فلذلك قال: "عدوًّا"،[٢] فأطلق على الجماعة.

قوله:

(وقـــومٍ علـــيّ ذوي مِئـــرةٍ أراهـــم عـــدوًّا وكانـــوا صديقًـــا)[٣]

أي: ربَّ قومٍ. و"المِئرة" -بالهمز-: الذَّحْلُ[٤] والعداوة، وجمعها: مِئَرٌ.[٥] والاستشهاد في أنّه أطلق "العدوّ" و"الصديق" على الجماعة.

قوله: (والوَلوع) ولَع بالشيء وَلوعًا، أي: غَرِي به.

قوله: (عقَّب) هو معنى الفاء في ﴿فَهُوَ﴾.

قوله: (وإلّا) أي: وإن لم يهدِه الله عَقيب ذلك.

---

١ الصحاح للجوهري، «حجر».

٢ أي: في البيت.

٣ بغير نسبة كذلك في تفسير الرازي، ١٤٣/٢٤ (الشعراء، ٧٧/٢٦).

٤ الذَّحْل: الحقد والعدواة. يقال: طلب بذَحْلِهِ، أي بثأره. والجمع ذحول. الصحاح للجوهري، «ذحل».

٥ الصحاح للجوهري، «مأر».

وإلى مَعرفة مكانِه، ومَن هَداه لكيفيَّةِ الارتضاع؟ إلى غيرِ ذلك من هدايات المعَاش والمعَاد.

وإنما قال: ﴿مَرِضْتُ﴾ دونَ: أَمرَضنِي؛ لأنَّ كثيرًا من أسبَابِ المَرض يَحدُثُ بتَفريطٍ من الإنسان في مَطَاعِمه ومَشَاربه وغيرِ ذلك، ومِن ثَمَّ قالَت الحكماءُ: لو قيل لأكثر المَوتى: ما سبَبُ آجَالِكم؟ لقَالُوا: التُّخَمُ.

﴿وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾

وقرئ: "خطَايَايَ" والمرادُ: ما يَندُرُ منه مِن بَعض الصَّغائر؛ لأنَّ الأنبياء معصومُون مختارُون على العالمين.

وقيل: هي قولُه: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ [الصافات ٣٧/٨٩] وقولُه: ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ﴾ [الأنبياء ٢١/٦٣] وقولهُ لسَارةَ: "هي أُختِي".

وما هي إلَّا مَعَاريضُ كلامٍ وتخيُّلاتٌ للكَفَرة، وليسَتْ بخطايَا يُطلَبُ لها الاستغفارُ.

فإن قلتَ: إذا لم يَندُرْ مِنهُم إلا الصَّغائرُ وهي تقعُ مكفَّرةً، فما له أَثبتَ لنفسِه خَطيئةً -أو خَطَايا- وطمِعَ أَن تُغفَر له؟

قوله: (والمراد ما يَبدر)[1] يشير به إلى أنّ الأنبياء معصومون مِن الخطايا، / وإنّما أسند الخطايا إلى نفسه إشارة إلى بعضِ الصغائر الذي يسبق منه، والحقّ [٢١٨و] أنّه قال كذلك لأنّ مرادَه بجميع هذه الكلمات التعريض بهم وبكلماتهم.

قوله: (وما هي إلّا معاريض)[2] ابتداء كلام مِن المصنِّف متعلِّق بالوجه الأخير، يعني: يريد بقوله: ﴿خَطِيٓـَٔتِى﴾: هذه الأمور الثلاثة مع أنّها ليست مِن الخطايا، لكن يعدُّها خطيئة: إمّا هَضْمًا لنفسه، وإمّا للإشارة إلى ما ذكرنا.[3]

قوله:[4] (خطيئة أو خطايا) وإنّما قال: "خطيئة أو خطايا" إشارة إلى القراءتين؛

---

[1] في مطبوع الكشّاف: "ما يندر".

[2] ن: معارض؛ ن + به.

[3] ن – خطيئة: إمّا هَضْمًا لنفسه، وإمّا للإشارة إلى ما ذكرنا.

[4] ن – قوله.

قلتُ: الجَوابُ ما سبقَ لي: أنَّ استغفارَ الأنبيَاء تَواضُعٌ منهم لربِّهِم وهَضمٌ لأنفسِهم، ويدلُّ عليه قولُه: ﴿أَطْمَعُ﴾ ولم يَجزِمْ القَولَ بالمَغفِرة، وفيه تَعليمٌ لأممِهم، وليَكون لُطْفًا لهم في اجتناب المعاصِي والحَذَرِ منها وطَلَبِ المَغفرة ممَّا يَفرُطُ مِنهُم.

فإن قلتَ: لمَ عَلَّقَ مَغفرةَ الخَطيئة بيَوم الدِّينِ وإنَّما تُغفرُ في الدُّنيَا؟

قلتُ: لأنَّ أثرهَا يَتبيَّنُ يَومئذٍ، وهو الآنَ خفيٌّ لا يُعلَم.

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾

"الحكمُ": الحكمةُ، أو: الحُكم بين النَّاسِ بالحقِّ.

إحداهما -وهي الأولى-[١] مِن السبعة، والثانية شاذّة.[٢]

قوله: (الحِكمة) أي: الفهم والفقه في الدين، قال في الصحاح:

الحكم: مصدر: حكَمتَ بينهم تحكُم، أي: قضيتَ،[٣] وحكَم له، وحكَم عليه، والحُكم أيضًا: الحِكمة مِن العلم، والحكيم: العالِم، وصاحب الحِكْمة، والحكيم: المتقِن بالأمور،[٤] وقد حَكُم إذا صار حكيمًا، قال النمِر بن تَوْلَبٍ:

وأبغِض بَغيضك بُغضًا رُويدًا ... إذا أنتَ حاولتَ أن تحكُما[٥]

قال الأصمعيّ: «أي: إذا حاولت[٦] أن تكون حكيمًا». قال: وكذلك[٧] قول النابغة:

واحكُم كحكْم فتاةِ الحيّ إذ نظَرتْ ... إلى حَمامٍ[٨] سِراعٍ وارد الثَّمَدِ[٩]

---

١ ن: الأوّل.
٢ انظر: الكامل للهذلي، ص ٦١١؛ وشواذّ القراءات للكرماني، ص ٣٥٥.
٣ في الصحاح: "حكمَ بينهم يَحكم، أي: قضى".
٤ في الصحاح: "المتقِن للأمور".
٥ انظر: غريب الحديث لإبراهيم الحربي، ١٠٦١/٣.
٦ ن: وحاولت.
٧ ف: ولذلك.
٨ ن: الحمام.
٩ الصحاح للجوهري، «حكم». وانظر: ديوان النابغة الذبياني، ص ٢٣.

وقيل: النبوَّةُ؛ لأن النبيَّ ذو حكمةٍ وذو حُكْمٍ بين عبَادِ اللهِ.

و"الإلحاقُ بالصَّالِحينَ": أَن يُوفِّقه لعَملٍ يَنتَظِمُ به في جُملتِهم، أو يجمعَ بَيْنهُ وبَينهُم في الجنَّة، ولقَدْ أجَابهُ حَيث قال: ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [البقرة ١٣٠/٢].

و"الإخزاء": مِن الخِزْيِ وهو الهَوانُ، ومِن الخِزَايةِ وهو الحيَاءُ، وهذا أيضًا من نحوِ استِغفارِهم ممَّا عَلمُوا أنَّه مَغفورٌ.

وفي ﴿يُبْعَثُونَ﴾ ضميرُ العِبَاد لأنَّه مَعلومٌ، أو ضميرُ الضَّالِّين، وأَن يُجعَلَ من جُملة الاستغفار لأبيهِ، يعني: ولا تُخزنِي يومَ يُبعَثُ الضَّالُّونَ وأبي فيهم.

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ﴾: إلَّا حَالُ مَن أَتى الله ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ وهو مِن قَوله:

قوله: (وقيل: النبوّة) وعلى هذا الوجه يكون كناية؛ لأنّ الحِكمة والحُكم بين الناس مِن لوازم النبوّة، فيكون كناية، ولذلك غيّر المصنِّف العبارة، وعلّل بقوله: (لأنّ).

قوله: (ولقد أجابه حيث قال) أي: استجابه الله تعالى هذا الدعاء كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ﴾ [البقرة ١٣٠/٢]، فقوله: "حيث قال" متضمّن لمعنى العِلّيّة، فكأنّه[1] قال: لأنّه قال تعالى.

قوله: (وهذا أيضًا) أي: قوله: ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾ شبيه استغفارهم، أي: استغفار الأنبياء؛ لأنّه طلب ترك الخِزي مع أنّه يعلم أنّ الله تعالى لا يُخزيه، وقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [التحريم ٨/٦٦]. وقوله: (لأنّه) متعلِّق بمحذوف، أي: جاز هذا الإضمار لأنّه معلوم، أو هو متعلِّق بقوله: (في ﴿يُبْعَثُونَ﴾)، كأنّه قال: استقرّ وثبت في ﴿يُبْعَثُونَ﴾ ضمير "العباد"؛ لأنّه...

قوله: (وأن يجعل) عطف على (ضمير ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾) قيد فيه، كما أنّ قوله: (وفي ﴿يُبْعَثُونَ﴾) قيد في قوله: (نحوِ استغفارهم)، فكأنّه[2] قال: ثبت وحصل

---

[1] ن: وكأنّه.

[2] ن: وكأنّه.

تـحـيَّـةُ بَـيـنِـهـم ضَـــربٌ وجِـيـعُ

و: "ما ثوَابُه إلَّا السَّيْفُ"، وبيانه: أن يُقَالَ لكَ: "هَل لِزَيدٍ مَالٌ وَبنُونَ؟" فتقول: "مالهُ وَبنُوهُ: سَلامَةُ قَلْبِهِ" تريد نَفيَ المالِ والبنِينَ عنه وإثبَاتَ سَلامةِ القَلْب لهُ بَدَلًا عن ذلك.

وإنْ شِئتَ حَملتَ الكلام على المعنى، وجَعَلْتَ المالَ والبنينَ في مَعنى الغِنَى؛ كأنَّه قيلَ: يومَ لا يَنفعُ غنًى إلَّا غنَى مَن أَتى اللهَ بقَلْبٍ سَليمٍ؛ لأنَّ غِنَى الرَّجُل في دِينه بسَلامةِ قلبِه كما أَن غِناه في دُنيَاه بمالهِ وبنِيه.

في ﴿يُبْعَثُونَ﴾ ضمير ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾،[١] وثبَت هذا المعنى؛ وهو أن يُجعل مِن جملة[٢] الاستغفار للأب، لا مِن جملة[٣] ما علموا أنَّه مغفور.

قوله:

(تـحـيّـة بيـنـهـم ضـــربٌ وجـيـع)[٤]

ومثله قول الشاعر:

أبـــي الإســـلامُ لا أبَ لـــي ســـواهُ إذا افتخـــروا بقيـــسٍ أو تميـــمِ[٥]

قوله: (في معنى الغنى)[٦] وإذا جُعل "المال والبنون" في معنى الغِنى يكون مجازًا؛ لأنَّهما يستلزمان الغِنى.

قوله: (لأنَّ غِنى الرجل في دينه)... إلخ، وإذا كان الغنى يحصُل بأحد[٧] الوجهين حالَ[٨] أن يُذكر "المال والبنون" ويُراد الغنى.

---

[١] ف - قيد فيه، كما أنَّ قوله: (وفي ﴿يُبْعَثُونَ﴾) قيد في قوله: (نحوِ استغفارهم)، فكأنَّه قال: ثبت وحصل في ﴿يُبْعَثُونَ﴾ ضمير ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾.

[٢] ف: حمله.

[٣] ف: حمله.

[٤] صدره:

وخيـلٍ قـد دلَـفـت لـهـا بِـخَـيـلٍ

وقال البغدادي: «وهذا البيت نسبه شرّاح أبيات الكتاب وغيرهم إلى عمرو بن معد يكرب الصحابي، ولم أرَه في شعره». خزانة الأدب للبغدادي، ٩/٢٦٥.

[٥] لنَهار بن توسعة اليشكري. انظر: الكامل للمبرد، ٣/١٠٩٧.

[٦] ف: الغنا.

[٧] ف: تحصل بأجد.

[٨] ف: جال.

ولك أَن تجعَل الاستثنَاءَ منقطِعًا، ولا بُدَّ لك مع ذلك من تَقديرِ المضاف وهو الحَالُ، والمرادُ بها: سَلامةُ القَلْب، وليسَتْ هي مِن جنس المَال والبنينَ حتَّى يَؤُولَ المَعنى إلى أَنَّ المالَ والبنينَ لا يَنفعَانِ وإنَّما تَنفعُ سَلامةُ القلبِ، ولو لم تُقَدِّرِ المضَافَ لم يتحصَّل للاستثناء مَعنًى.

وقَدْ جُعِل ﴿مَنْ﴾ مَفعُولًا لـ﴿يَنفَعُ﴾؛ أي: لا يَنفعُ مالٌ ولا بنُونَ إلَّا رَجُلًا سَلِم قَلبُه معَ مالِه حَيثُ أَنْفقَهُ في طَاعَةِ الله، ومَع بَنيهِ حَيثُ أَرشَدَهُم إلى الدِّين وعَلَّمهُم الشَّرائعَ.

ويجوز على هذا: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ من فتنةِ المال والبنين.

قوله: (ولا بدّ مع ذلك) أي:[١] مع أنّ الاستثناء منقطع في قوله، ولا بدّ / مع ذلك[٢] مِن تقدير المضاف. وقوله: (ولو لم يقدَّر المضاف لم يتحصَّل للاستثناء معنى) نظر؛ لأنّا إذا قدّرنا المضاف يكون التقدير: لكن حال مَن أتى الله بقلبٍ سليم ينفعه، ويستقيم المعنى، وكذلك لو لم يُقدّر المضاف -ونقول: التقدير: لكن مَن أتى الله بقلب سليم ينفعه حاله- يستقيم المعنى، وإذا استقام المعنى على التقديرين -بناء على أنّه لا بدّ في الاستثناء المنقطع مِن جَعل "إلّا" بمعنى "لكن"، وتقدير الخبر- فلا يتعيّن تقدير المضاف، ولا يفسُد المعنى إذا لم يقدَّر المضاف، ويقدَّر في الخبر المحذوف ما يستقيم به المعنى. وقوله: (والمراد بها) أي: بالحال. وقوله: (وليست هي مِن جنس المال والبنين) وإذا لم يكن مِن جنسهما يكون منقطعًا. وقوله: (ولو لم يقدَّر) بيان لقوله: (ولا بدّ)... إلخ. [٢١٨ظ]

قوله: (وقد جُعل) أي: وقد جُعل مِن الاستثناء المفرّغ،[٣] أي: لا ينفع المال والبنون أحدًا[٤] إلّا رجلًا. وقوله: (ويجوز على هذا) أي: على أن يُجعل ﴿مَنْ﴾ مفعول ﴿يَنفَعُ﴾.

---

١ ن – أي.

٢ ن – أنّ الاستثناء منقطع في قوله، ولا بدّ مع ذلك.

٣ ف: المرفوع.

٤ ف: أحد.

ومعنى سَلامةِ القلب: سَلامتُه من آفات الكفر والمعاصي.

وممَّا أكرَمَ اللهُ به خَليلَهُ ونبَّه على جَلالةِ محلِّه في الإخلاص: أن حَكى استِثناءَه هذا حكايةَ راضٍ بإصابتِه فيه، ثم جَعله صفةً له في قوله: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ۝ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات ٣٧/٨٤].

ومِن بِدَع التفاسير: تفسيرُ بعضهم السَّليمَ باللَّديغ من خشيَة الله، وقولُ آخرَ: هو الذي سَلِم وسَلَّمَ وأَسْلم وسَالَمَ واستَسلَمَ.

وما أحسنَ ما رتَّبَ إبراهيمُ عليه السلام كلامَه مَع المشركين حينَ سَألهُم أوَّلًا عمَّا يعبُدون سُؤالَ مُقرِّرٍ لا مُستفهِمٍ، ثم أَنحَى على آلهتهم فأَبْطَلَ أمرَها بأنَّها لا تَضُرُّ ولا تَنفعُ ولا تُبصِرُ ولا تَسمَعُ، وعلى تَقليدهم آباءَهُم الأقدمين

قوله: (ومعنى "سلامة القلب")... إلخ، ليس مختصًّا بهذا الوجه؛ بل تعلّقه بالوجوه المتقدّمة أظهَر، فالمصنِّف لمّا ذكر معاني الاستثناء ذكَر معنى ﴿سَلِيمٍ﴾.

قوله: (تفسير بعضهم "السليم") إنّما منع هذا التفسير لأنّه مع أنّه لم يثبت به النقل فهو استعمال غير مشهور، لا[1] ينبغي أن يُحمل عليه كلام الله تعالى.

قوله: (وقولُ آخر)... إلخ، وإنّما ردُّ هذا التفسير؛ لأنّه يكون مِن قبيل استعمال اللفظ الواحد في المعاني المختلفة، ومثله غير جائز، أو غير فصيح، مع أنّه لم ينقل، وإلى هذا المعنى أشار بقوله: (ومِن بِدَعِ التفاسير)، فإنّ التفسير لا يجوز إلّا بالنقل.

قوله: (وما أحسن ما رتّب!) "ما أحسنَ!" صيغةُ[2] التعجّب. و"ما" في "ما رتّب" مصدر.

قوله: (سؤالَ مُقرّر) يعني: يقرّر بهذا السؤال أنّهم ليسوا مِن تلك العبادة في شيء يعتدّ به؛ بل هم مشتغلون بما لا يعنيهم، ويَضرُّهم ولا ينفعهم.

قوله: (أنحى) يقال: أنحى عليه بالسيف، أي: ضربه.

---

[1] ف: فلا.
[2] ف: صفة.

فكسَرهُ وأَخرجَه من أَن يكونَ شُبهةً فَضْلًا أَن يكون حجَّةً، ثمَّ صَوَّر المَسألةَ في نفسِه دونهم حتَّى تخلَّصَ منها إلى ذِكر الله عزَّ وعَلا، فعَظَّمَ شَأْنَهُ وعدَّد نِعمتَه من لَدُنْ خَلْقِه وإنشائِه إلى حينِ وَفاتِه، مع ما يُرْجى في الآخرة من رحمتِه، ثم أَتْبَعَ ذلك أَنْ دعَاهُ بدعواتِ المخلِصين، وابتهَلَ إليه ابتهَالَ الأَوَّابينَ، ثمَّ وصَلَه بذِكرِ يومِ القيامة وثوابِ الله وعقابِه، وما يُدفع إليه المشركُون يَومئذٍ من النَّدم والحَسْرة على ما كانوا فيه من الضَّلال وتَمَنِّي الكرَّةِ إلى الدُّنيا ليؤمنُوا ويُطيعُوا.

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾

الجنَّةُ تكون قريبةً من مَوقف السُّعَداء ينظُرون إليها ويَغتَبِطُونَ بأَنَّهم المحشُورون إليها، والنَّارُ تكونُ بارزةً مكشوفةً للأشقيَاء بمرأى منهم يتحسَّرُون على أنهم المَسُوقُون إلَيها، قال الله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق ٣١/٥٠] وقال: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الملك ٢٧/٦٧] يُجمَعُ عَليْهم الغمومُ كلُّهَا والحسراتُ، فتُجعلُ النارُ بمَرأى منهم، فيَهلِكُون غمًّا في كلِّ لحظةٍ، وَيُوبَّخُونَ على إشرَاكهم فيُقالُ لهم: أينَ آلهتُكم هل يَنفعونكم بنُصرتهِم لكم؟

قوله: (فكسره وأخرجه) أي: أبطل تقليدهم وبيّن أن تقليدهم ليس في مرتبة الشبهة، فكيف يكون حجّة في العبادة وأصول الدّين؟

قوله: (حتّى تخلّص) أي: توصّل، قال في المُغرب: «الخلوص: الصفاء، ويستعار[١] للوصول».[٢]

قوله: (وتَمنّي الكرَّة) يعني: في قوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء ١٠٢/٢٦]، فأشار المصنِّف إلى معنى هذه الآيات إجمالًا.

قوله: (﴿سِيٓـَٔتْ﴾ [الملك ٢٧/٦٧]) يقال: ساءه ذلك، وهو نقيض: سرَّه.

---

[١] ن: وتستعار.

[٢] المُغرب للمطرّزي، «خلص».

أو هَل يَنفعُونَ أَنفسهم بانتصَارهِم؟ لأنَّهم وآلهتَهم وَقودُ النَّار، وهو قوله: ﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ﴾؛ أي: الآلهةُ ﴿وَٱلْغَاوُۥنَ﴾: وعَبَدتُهم الَّذين بُرِّزت لهم الجحيمُ.

و"الكبكبةُ": تكريرُ الكَبِّ، جَعَل التكريرَ في اللَّفظ دليلًا على التكرير في المعنى؛ كأنَّه إذا أُلقِيَ في جهَنَّم يَنكَبُّ مَرَّةً بَعد مَرَّةٍ حَتَّى يَستقرَّ في قَعرها، اللّٰهم أجِرْنا منها يا خير مُستجارٍ.

﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾: شيَاطينُه، أو مُتَّبِعُوه مِن عُصَاة الإنس والجنِّ.

﴿قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ۝٩٦ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩٨ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٩٩ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝١٠١ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٠٢ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٠٣ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٠٤﴾

يجوزُ أن يُنطِقَ اللهُ الأصنامَ حَتَّى يصحَّ التَّقاوُلُ والتخَاصُمُ، ويجوزُ أن يَجرِيَ ذلك بين العُصَاة والشياطين.

والمرادُ بالمُجرمين الذين أَضلُّوهُم: رؤسَاؤُهم وكبَراؤُهم؛ كقوله: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب ٦٧/٣٣].

وعن السُّديِّ: الأوَّلونَ الذين اقتدَينا بهِم.

وعن ابن جُريج: إبليسُ وابنُ آدم القَاتِلُ؛ لأنَّه أوَّلُ مَن سَنَّ القَتلَ وأنواعَ المعاصي.

قوله: (لأنَّهم وآلهتهم وَقود النار) اللام متعلِّق بمحذوف، يعني: إنَّما قال: ﴿يَنتَصِرُونَ﴾ لأنَّهم...

قوله: (الذين أضلُّوهم) صفة المجرمين.

[٢١٩و] قوله: (وعن ابن جُريج) نُسِب ابن جريج إلى جدِّه، قال في شرح / السنّة: «اسمه: عبد الملك بن عبد العزيز ابن جُريج»،[١] وأقول: ممَّن نُسِب إلى جدِّه

---

١ شرح السنّة للبغوي، ١٠٠/٤.

﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾ كما نَرى المؤمِنِينَ لهم شفعاءُ من الملائكة والنبيِّينَ.

﴿وَلَا صَدِيقٍ﴾ كما نَرى لهم أَصْدقاء؛ لأنه لا يَتَصادقُ في الآخرة إلَّا المؤمنون، وأمَّا أهلُ النَّار فبينَهُم التَّعَادي والتَّباغُض، قال الله عز وعلا: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف ٦٧/٤٣].

أو: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۞ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ مِن الذِين كنَّا نَعُدُّهُم شُفعاءَ وأصدِقاءَ؛ لأنَّهم كانُوا يَعتقدون في أَصنامهم أنَّهم شفعاؤُهم عند الله، وكان لهم الأَصْدِقاءُ من شياطين الإنس.

أَو أرادوا أنَّهم وَقعُوا في مَهلكة عَلمُوا أنَّ الشفعاءَ والأصدقاءَ لا يَنفعُونهم ولا يَدفعونَ عنهم، فقصَدُوا بنَفيِهم نفيَ ما يَتعلَّق بهم من النَّفع؛ لأنَّ ما لا يَنفعُ حكمُه حكمُ المعْدُوم.

و"الحميمُ" من الاحتِمام وهو الاهتِمامُ، وهو الذي يُهِمُّه ما يُهِمُّكَ، أو من الحَامَّة بمعنى الخاصَّةِ، وهو الصَّديق الخاصُّ.

فإن قلتَ: لم جُمِع الشافِعُ ووُحِّد الصَّديقُ؟

قلتُ: لكَثرة الشفعَاءِ في العادة وقلَّةِ الصَّديق، ....

ابن أبْزى، قال في شرح السنّة: «ابن أبْزى هو: سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى».[١]

قوله: (كما نرى المؤمنين) "كما" صفة مصدر محذوف؛ لأنّ معنى ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾: ما نرى لنا شفعاء، فكأنّه قال: ما نرى لنا شفعاء رؤيةً مثل رؤيتنا المؤمنين لهم شفعاء.

قوله: (لأنّه لا يتصادق) متعلِّق بمحذوف، والضمير للشأن، أي: قالوا ذلك لأنّهم...

قوله: (لأنّهم كانوا) متعلِّق بمحذوف، أي: قالوا ذلك لأنّهم...[٢]

---

[١] ف – هو سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى. | شرح السنّة للبغوي، ٩٨/٤.

[٢] ن – قوله: (لأنّهم كانوا) متعلِّق بمحذوف، أي: قالوا ذلك لأنّهم.

ألا تَرَى أَنَّ الرَّجل إذا امتُحِنَ بإرْهَاقِ ظَالِمٍ نهَضَت جماعةٌ وافرةٌ من أهل بَلدِه لشَفاعتِه رَحْمةً له وحِسْبةً وإن لم تَسبِقْ له بأكْثرِهم مَعْرفةٌ، وأمَّا الصَّديقُ وهو الصَّادِقُ في وِدادك الَّذي يُهِمُّهُ ما أَهمَّكَ فأعَزُّ مِن بَيْضِ الأَنوُقِ.

وعن بعض الحكماء: أنه سُئِلَ عن الصَّديق، فقال: اسمٌ لا مَعنًى له.

ويجوز أن يُريدَ بالصَّديق: الجَمع.

"الكرَّةُ": الرَّجعةُ إلى الدُّنيا، و"لو" في مِثل هذا الموضِع في مَعنى التَّمنِّي؛ كأنَّه قيل: فلَيتَ لنا كرَّةً، وذلك لِمَا بَيْنَ مَعنَى "لَو" و"لَيْت" من التَّلاقي في التقدير، ويجوز أن تكونَ على أصلها ويُحذفُ الجوابُ وهو: لَفعَلنَا كَيتَ وكيتَ.

قوله: (بإرهاق) أرهَقه عسرًا: كلَّفه إيَّاه، يقال: لا تُرهقني لا أرهقك الله، أي: لا تُعْسِرني لا أعسَرك الله.[١]

قوله: ("فأعزُّ مِن بَيضِ") قال الشاعر:

صادُ الصديق وكافُ الكيمياء معا   لا يوجدان فدَعْ عن نفسك الطمَعا[٢]

وقوله: ("الأَنوُقِ")[٣] "الأَنوُق": هو الأصل[٤] في جمع الناقة، ثمّ تقدّم الواو على النون؛ لكراهتهم الضمّة على الواو، فيصير: أونُقًا، وإذا وقع التغيير بالتقديم يغيّرون الواو بالقلب أيضًا، فيقولون: أينُق.

قوله: (مِن التلاقي) بيان "ما".

قوله: (في التقدير) متعلِّق بـ"التلاقي"، أي: هما يتلاقيان في أنّه يقدّر معهما غير الواقع واقعًا، أمّا في "ليت" فلأنّه للتمنّي، وذلك إنّما يكون في المستحيلات. وأمّا "لو" فلأنّه للمُضيّ؛ فلذلك قالوا: أمر الشرطيّة في "لو" تقديريّ لا تحقيقيّ.

---

١ الصحاح للجوهري، «رهق».

٢ بغير نسبة في الدر الفريد لابن أيدمر، ٥٥/٧.

٣ انظر: مجمع الأمثال للميداني، ٤٤/٢، وفيه: «قالوا: الأنُوق: الرَّخمة، وعزّ بيضها لأنّه لا يظفر به؛ لأنّ أوكارها في رءوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة».

٤ ف: الوصل.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٠٥ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٠٦ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٠٧ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٠٨﴾

"القومُ": مؤنَّثةٌ، وتَصْغيرُها: قُوَيمةٌ.

ونَظيرُ قوله: ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ -والمراد نوحٌ عَليه السَّلام- قولُك: "فلانٌ يَركبُ الدَّوابَّ ويلبَسُ البُرودَ" وما له إلَّا دابَّةٌ وبُرْدٌ.

وقيل: ﴿أَخُوهُمْ﴾؛ لأنَّه كان منهم، من قول العَرب: "يا أَخا بني تميمٍ" يُريدُونَ: يا وَاحِدًا منهم، ومنه بيتُ "الحماسة":

لا يَسْأَلُون أخاهُم حينَ يَنْدُبهُم ... في النَّائبَاتِ على ما قال بُرهَانا

كان أمينًا فيهم مشهُورًا بالأمانة كمحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم في قُريش.

﴿وَأَطِيعُونِ﴾ في نُصحي لكم وفيمَا أَدْعُوكم إلَيه من الحقِّ.

﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٩ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١١٠﴾

﴿عَلَيْهِ﴾: على هذا الأمر وعلى ما أنا فيه، يَعني: دُعَاءهُ ونُصحَهُ.

ومَعنى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾: فاتَّقوا الله في طاعتي، وكرَّرهُ ليُؤكِّدَه عَليهم ويُقرِّرَه في نفُوسِهم مع تَعليق كلِّ واحِدٍ منهما بعِلَّةٍ؛ جَعَلَ عِلَّةَ الأوَّل: كونَه أَمينًا فيما بينهم، وفي الثاني: حَسْمَ طَمَعِه عنهم.

﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ۝١١١﴾

وقرئ: ﴿وأتباعُك﴾: جَمعُ تابعٍ؛ كشاهِدٍ وأَشهادٍ، أو: جَمعُ تَبَعٍ؛ كبَطَلٍ وأَبْطَالٍ.

قوله: (والمراد: نوح) أي: والمراد بالمرسلين نوح عليه السلام.

قوله: (في ﴿وَٱتَّبَعَكَ﴾)؛ لأنه ماضٍ مثبَت، وإنَّما قيَّد بقوله: ﴿وَٱتَّبَعَكَ﴾؛ لأنه لا يقدَّر في ﴿وَأَتْبَاعُكَ﴾.[1]

---

[1] ﴿وَأَتْبَاعُكَ﴾ بقطع الهمزة وإسكان التاء مخفَّفة وضمّ العين وألف قبلها على الجمع؛ قراءة يعقوب أحد القرّاء العشر. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٣٥.

والواوُ للحَال، وحقُّهَا أن يُضْمَرَ بَعدهَا "قَد" في: ﴿وَٱتَّبَعَكَ﴾.

وقَد جُمِعَ الأَرذلُ على الصِّحَّة، وعلى التَّكسير في قَوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ [هود ٢٧/١١] والرَّذَالةُ والنَّذَالةُ: الخِسَّةُ والدَّناءةُ، وإنَّما استَرْذلوهُم لاتِّضَاعِ نَسَبِهم وقلَّةِ نَصيبِهم من الدُّنيا.

وقيل: كانوا من أهل الصِّناعات الدَّنيَّةِ كالحِيَاكةِ والحِجَامةِ، والصِّنَاعةُ لا تُزْرِي بالدِّيانةِ، وهكذا كانَتْ قرَيشٌ تَقولُ في أصحَاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما زَالَتْ أَتباعُ الأَنبياء كذلك حَتَّى صارَتْ مِن سمَاتِهم وأَمَاراتِهم، ألَا ترى إلى هِرَقْل حين سَأَلَ أبَا سفيانَ عن أَتْباع رسُول الله، فلمَّا قال: ضُعَفاءُ الناس وأَرَاذِلُهم، قال: ما زَالَتْ أَتباعُ الأنبياء كذلك.

وعن ابن عباس: هُم الغَاغَةُ. وعن عكْرمَة: الحَاكةُ والأَسَاكِفةُ. وعن مُقَاتلٍ: السَّفِلَةُ.

﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾

قوله: (على الصِّحة) أي: هنا.

قوله: (والصناعة) ابتداء كلام مِن المصنِّف.

قوله: (وما زالت) ابتداء كلام أيضًا مِن المصنِّف.

قوله: (هِرَقْل) هِرَقِل: ملك الروم، مثل: خِنذِف،[١] ويقال أيضًا: هو هِرَقْل، مثال: دِمَشْق.

قوله: (هم الغاغة) أي: العامّة.[٢]

قوله: (وعن عكرمة: الحاكة) حاكَ الثوب يحُوكه حَوكًا وحياكةً: نسجَه، فهو حائك، وقوم حاكة، وحَوَكة كما قالوا: خوَنة، تثبت الواو فيهما مع التحرّك.[٣]

---

١ ن: خندق. | قال الجوهري: «زعموا: خِنذِف امرأة إلياس بن مضر، واسمها ليلى، نُسِب ولد إلياس إليها، وهي أمّهم». الصحاح للجوهري، «خذف».

٢ الغَوْغاء والغاغة من الناس: هم الكثير المختلطون. الصحاح للجوهري، «غوى».

٣ الصحاح للجوهري، «حيك».

﴿وَمَا عِلْمِي﴾: وأَيُّ شيءٍ عِلْمِي؟ والمرادُ: انتفَاءُ علمِه بإخلاصِ أعمَالهم للهِ واطِّلاعِه على سِرِّ أمرِهم وباطنِهِ، وإنَّما قال هذا لأنَّهم قد طَعَنُوا -مع استرذالِهم- في إيمَانِهم، وأنَّهم لم يؤمِنُوا عن نَظَرٍ وبصِيرةٍ وإنَّما آمَنُوا هوًى وبَدِيهةً؛ كما حَكى اللهُ عنهم في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ﴾ [هود ٢٧/١١].

ويجوز أن يتغَابَى لهُم نوحٌ عليه السلام، فيُفسِّرَ لَهم "الأَرْذَلِينَ" بما هوَ الرَّذالةُ عِنده من سُوء الأَعمالِ وفسَادِ العقَائدِ، ولا يَلتَفِتَ إلى ما هُو الرَّذالةُ عِندهم، ثمَّ يَبْنِيَ جَوابَه على ذلك فيقُولَ: ما عَلَيَّ إلَّا اعتبَارُ الظَّواهِر دُونَ التَّفتيش عَن أَسْرارِهم والشَّقِّ عن قُلُوبهم، وإنْ كانَ لهم عَملٌ سَيِّئٌ فاللهُ مُحَاسبُهم ومُجازِيهم عليه وما أنا إلَّا مُنذِرٌ لا مُحَاسِبٌ ولا مُجَازٍ.

﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ ذلك، ولكنكم تَجهلُونَ فتنسَاقُونَ مع الجَهل حيث سَيَّرَكُم، وقصَد بذلك رَدَّ اعتقادِهم، وإنكارَ أَنْ يُسمَّى المؤمنُ رَذْلًا وإنْ كان أَفقرَ النَّاسِ وَأَوضَعَهُم نَسبًا، فَإِنَّ الغِنَى غِنَى الدِّين والنَّسَبَ نسَبُ التَّقوَى.

قوله: (وإنّما قال هذا)... إلخ، يعني: أنّ قول نوح عليه السلام: ﴿وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ لا يصلح أن يكون جوابًا عن قولهم: ﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾، فوجب أن يقال: إنّهم مع قولهم هذا طعنوا في إيمانهم وأعمالهم، فما التفت نوح عليه السلام إلى قولهم:[١] ﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾؛ إشارةً إلى أنّ قولهم هذا لا يستحقّ الجواب؛ لأنّه ليس فيما ذكروا مِن الاسترذال الدنيويّ نقصان، وأجاب عن الطعن في أعمالهم، ثمّ عطَف المصنِّف على قولِه: (لأنّهم) قولَه: (ويجوز أن يَتغابَى) أي: يتجاهل نوح عن قولهم هذا، وعمّا أرادوا بهذا القول، فحمَله على أنّهم طعنوا بهذا القول في دينهم وطاعتهم؛ لأنّ النقصان في ذلك هو الاسترذال. وقوله: (وأنّهم لم يؤمنوا) خبر مبتدأ محذوف، أي: وهو أنّهم...، يعني:[٢] / وطَعنُهم ذِكْرُ أنّهم... [٢١٩ظ]

قوله: (فإنّ الغِنى)... إلخ، هو معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «الحسَب المال،

---

١ ف - إلى قولهم.

٢ ف: أي.

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يُريدُ: ليس مِن شأني أَنْ أَتَّبِعَ شَهَواتِكُم وأُطَيِّبَ نُفُوسَكم بطَرْد المؤمنينَ الذين صَحَّ إيمانُهم طمَعًا في إيمانِكُم، وما عليَّ إلَّا أَنْ أُنذِرَكُم إنذارًا بيِّنًا بالبُرهان الصَّحيح الذي يتميَّزُ به الحقُّ من الباطلِ، ثُمَّ أَنتُم أَعلمُ بشَأنِكُم.

﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾

ليس هذا بإخبارٍ بالتكذيبِ؛ لعِلْمِه أَنَّ عالِمَ الغَيْبِ والشَّهادة أَعْلَمُ، ولكنَّه أرادَ: إنِّي لا أَدعُوكَ عليهم لِمَا غاظُوني وآذَوني وإنَّما أَدعوكَ لأَجلِكَ ولأَجلِ دينِك، ولأَنَّهم كَذَّبُوني في وَحْيِك ورسَالتِك فاحْكُم ﴿بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ﴾.

و"الفُتَاحَةُ": الحُكُومَةُ، والفَتَّاحُ: الحَاكِمُ؛ لأَنَّه يَفتَح المُستغلَقَ؛ كما سُمِّيَ فيْصَلًا لأنه يفصِلُ بَين الخصُوماتِ.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾

"الفُلْكُ": السَّفينَةُ، وجَمعُهُ: فُلْكٌ؛ قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ [فاطر ١٢/٣٥]، فالواحدُ بوَزْنِ "قُفْلٍ" والجمعُ بوَزنِ "أُسْدٍ"؛ ....

والكرَم التقوى».[١] يعني: أنّ الناس يحسِبون المال في إكرامهم واعتبارهم الغِنى، ويعتبرون المال، وأما الاعتبار عند الله تعالى فبالتقوى كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات ١٣/٤٩].

قوله: (بالبرهان) إشارة إلى أنّ "المُبين" مِن: أبانَ، بمعنى: أظهَرَ.

قوله تعالى: (﴿مَوَاخِرَ﴾ [فاطر ١٢/٣٥]) مَخَرَتِ السفينةُ تَمْخَر وتَمخُرُ مَخْرًا ومُخُورًا إذا جرَت تشقُّ الماء مع صَوتٍ.[٢]

---

١ سنن الترمذي، ٢٤٣/٥ (٣٢٧١).
٢ الصحاح للجوهري، «مخر».

كسَّرُوا "فُعْلًا" على "فُعْلٍ" كمَا كَسَّروا "فَعَلًا" على "فُعْلٍ"؛ لأنَّهما أخوان في قولك: "العَرَبُ والعُرْبُ" و"الرَّشَدُ والرُّشْدُ"، فقالوا: "أَسَدٌ وأُسْدٌ" و"فُلْكٌ وفُلْكٌ"، ونظيرهُ: بَعِيرٌ هِجَانٌ وإبلٌ هجَانٌ، ودِرْعٌ دِلَاصٌ ودُرُوعٌ دِلَاصٌ، فالواحِد بوَزنِ "كِنَازٍ" والجمعُ بوَزن "كِرَام".

و"المَشحُونُ": المَملُوء، يقالُ: شَحَنَهَا عليهم خَيْلًا ورجَالًا.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾﴾

قرئ ﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾ بالكَسر والفَتح: وهو المكانُ المُرتفِعُ، قال المُسيَّبُ بنُ عَلَس:

فِي الآلِ يَرفَعُهَا ويخفِضُهَا ... رِيعٌ يَلُوحُ كأنَّه سَحْلُ

ومِنه قولُهُم: كَم رَيْعُ أَرضِكَ؟ وهو ارْتِفَاعُها.

و"الآيةُ": العَلَمُ، ....

قوله: (كِناز) ناقة كِناز: مجتمعة اللحم.

قوله: (شحنها) شَحَنْتُ السفينة: ملأتها، وشحنْتُ البلد بالخيل: ملأته.

قوله:

(فِي الآلِ يَرفعُها ويَخفِضُها ... رِيعٌ يَلوح كأنّه سَحْلُ)[1]

"الآل" الذي تراه في أوّل النهار وآخره، كأنّه يرفع الشخوص، وليس السراب.[2] قال في الصِّحاح: «السَحْل: الثوب الأبيض مِن الكُرْسُف،[3] مِن ثياب اليَمن، قال المُسيَّب بن عَلَس يذكر ظُعُنًا:

فِي الآلِ يخفِضُها ويرفَعُها ... رِيعٌ يلوح كأنّه سَحْلُ

[1] الصحاح للجوهري، «سحل»؛ لسان العرب لابن منظور، «سحل».

[2] الصحاح للجوهري، «أول».

[3] الكرْسُف: القطن. الصحاح للجوهري، «كرسف».

وكانُوا مِمَّن يَهتَدُون بالنُّجُوم في أَسفارِهم، فاتَّخذُوا في طُرُقهِم أَعْلَامًا طِوَالًا، فعَبثُوا بذلك لأنَّهم كانوا مُستغْنِينَ عنها بالنُّجوم.

وعن مجاهدٍ: بَنَوا بكُلِّ رِيعٍ برُوجَ الحمَامِ.

و"المصَانِعُ": مآخذُ الماء، وقيل: القصُورُ المُشيَّدَةُ والحُصُونُ.

﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾: تَرجُونَ الخلُود في الدُّنيا، أَو تُشْبِهُ حَالُكم حالَ مَن يَخلُدُ، وفي حَرْفِ أُبيّ: "كأنّكم"، وقُرئ: "تُخلدون" بضمّ التاء مخفَّفًا ومُشَدَّدًا.

﴿وَإِذَا بَطَشْتُم﴾ بسَوْطٍ أو سَيْفٍ كان ذلك ظُلْمًا وعُلُوًّا.

وقيل: الجبّارُ: الّذي يَقتُلُ ويَضربُ على الغضَبِ.

وعن الحسن: تُبادِرُونَ تَعجيلَ العَذابِ لا تَتثبّتونَ مُتفكِّرِينَ في العواقبِ.

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ١٣٢ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ١٣٣ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ١٣٤ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٣٥﴾

بَالَغ في تَنبيههِم على نِعَمِ الله، حَيثُ أَجْملهَا ثم فصَّلهَا مُستشهِدًا بعِلْمهم، وذلك أنه أَيقظهُم عن سِنَةِ غَفلَتِهم عنها حينَ قال: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ ثم عَدَّدها عَليهم وعَرَّفهم المُنْعِمَ بتَعْديدِ ما يَعلمون من نعمتِه، ....

شبّه الطريقَ[1] بثوبٍ أبيض، والجمع: سُحول، ويُجمع أيضًا على سُحُلٍ، مثل: سَقْف وسُقُف».[2]

قوله: (يهتدون بالنجوم) أي: يهتدون في الطرق والبوادي بالكواكب في أسفارهم، فلم يكن لهم حاجة إلى بناء الأعلام في الطرق للاهتداء.

قوله: (وقرئ: "تُخلَدون") على ما لم يسمّ فاعله.[3]

---

١ في الأصول الخطّيّة: "شبّه الثوب"، وأثبتُّه كما في الصحاح، وكذلك نقل عنه في لسان العرب لابن منظور، «سحل». والريع: الطريق. الصحاح للجوهري، «ريع».

٢ الصحاح للجوهري، «سحل».

٣ قراءة شاذّة. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٣٥٥؛ والمحتسب لابن جنّي، ٢/١٣٠.

وأَنه كمَا قَدَر أَنْ يتفضَّلَ عَليكم بهذه النِّعمةِ فهُو قَادِرٌ على الثَّوابِ والعِقَابِ فاتَّقُوه، ونحوُه قَولُه تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران ٣/٣٠].

فإن قلتَ: كيْفَ قَرنَ البَنِينَ بالأَنعَام؟

قلتُ: هُم الَّذين يُعينُونَهم على حِفظِهَا والقيَامِ عليها.

فإن قلتَ: لو قيل: "أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَعِظْ" كانَ أخصَرَ، والمَعنَى واحدٌ؟

قوله تعالى: (﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران ٣/٣٠]) فقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران ٣/٣٠] إشارة إلى ثوابه ورحمته، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ﴾ [آل عمران ٣/٣٠] إشارة إلى عقابه وغضبه.

قوله: (**فإن قلت: لو قيل: أوعظتَ أو لم تَعِظْ؛ كان أخصَر**) اعلم أنّ أكثر النُّسخ: "أو لم تعِظ" بالهمزة المفتوحة والواو الساكنة بعدها، والصواب: "أم" بالميم، كما هو في بعض النُّسخ، يدلُّ عليه ما ذكر ابن الحاجب رحمه الله[1] في شرح المفصّل، فإنّه بعد ما شرح قوله: «إنّ 'أو' و'إمّا' تقعان[2] في الخبر والأمر والاستفهام، و'أم' لا تقع إلّا في الاستفهام إذا كانت متّصلة، والمنقطعة تقع في الخبر أيضًا»،[3] وقوله: «والفصل بين 'أو' و'أم' في قولك: أزيد عندك أو عمرٌو، وأزيد عندك أم عمرٌو؛ أنّك في الأوّل لا تعلم كونَ أحدهما عنده فأنت تسأل عنه، وفي الثاني تعلم أنّ أحدهما عنده إلّا أنّك لا تعلمه بعينه، فأنت تُطالبه بالتعيين»،[4] قال: «لا إشكال في الفرق بينهما في هذه المسائل، وإنّما الإشكال في استعمالها على غير ذلك»،[5] وذكر كلامًا حاصله يئول إلى:

> أنّهم إذا استعملوهما في غير هذا المعنى فإنّما استعملوا الهمزة و"أم" في معنى التسوية مِن غير استفهام، نحو: سواء عليّ أقمتَ أم قعدتَ، واستعملوا الجملتين والثانية معطوفة بـ"أو" في معنى الحال، كقولك:

---

[1] د – رحمه الله.

[2] ف: يقعان.

[3] المفصّل للزمخشري، ص ٤٠٤.

[4] المفصّل للزمخشري، ص ٤٠٤.

[5] الإيضاح شرح المفصّل لابن الحاجب، ٢/١٩٩.

قلتُ: ليس المَعنى بوَاحِدٍ وبَينهما فرْقٌ؛ لأن المراد: سَواءٌ علينا أَفَعلْتَ هذا الفِعْلَ الذي هو الوَعْظُ أم لم تكُنْ أَصْلًا من أَهلِه ومُبَاشِريه، فهُو أَبلَغُ في قلَّةِ اعتِدَادِهم بوَعْظِهِ مِن قولك: "أمْ لم تعِظْ".

أنا أضرب زيدًا قام أو قعد. ثمّ قال: فمِثل ذلك يلتبس[1] فيه موضع "أم" بموضع "أو". ثمّ قال: أورد سيبويه قوله:

ما أُبالي أنَبَّ[2] بالحُزن تَيسٌ أم[3] جَفاني[4] بظَهرِ غيبٍ لئيمُ[5]

على أنّه مختصّ بـ"أم"، وأورد قوله:

[٢٢٠و] ولستُ أبالي بعد مَوتِ[6] / مطرِّفٍ حتوفَ المنايا أكثَرتْ أو أقلَّتِ[7]

على أنّه مِن مواضع "أو"، والفرق بينهما أنّ قوله: "أنبَّ بالحُزْن تَيسٌ" مفعول "أبالي"، فوجب أن يكون مِن مواضع "أم"، إذ لا معنى للحال فيه، وإنّما المراد ههنا: المبالي به، وأيضًا فإنّه لا ضمير في "أنبَّ"، فيكون لصاحب[8] الحال، فيكون حالًا. وأما قوله: "حُتوفَ المنايا" فقد ذكر مفعول "أبالي"، وهو قوله: "حتوفَ المنايا" فلم يبقَ إلّا الحال، وفي[9] كلِّ واحد مِن الفعلين ضمير[10] صاحبه. ثمّ قال: فهذه المواضع التي يلتبس فيها موضع "أم" بموضع "أو"، وكثيرًا ما يقع فيها المتأخّرون في كلامهم وأشعارهم، فلا يفرّقون بينهما، وشرط استعمال "أم" في هذه المواضع أيضًا: أن يسبقَها الهمزة، وشرط استعمال "أو": أن لا يسبقها همزة، على ما تقدّم في الأمثلة.[11]

قوله: (مِن قولك: أم لم تَعِظْ) قول المصنِّف ههنا: "أم لم تعظ" يدلّ على أنّه

---

[1] ف: تلبيس.
[2] نبَّ التيس ينِبُّ نَبِيبًا، إذا صاح وهاج. الصحاح للجوهري، «نبب».
[3] ن + نَبَّ التيسُ.
[4] في مطبوع الإيضاح: "لحاني"، وكذا في الكتاب لسيبويه.
[5] لحسّان بن ثابت في الكتاب لسيبويه، ١٨١/٣.
[6] في مطبوع الإيضاح: "يوم"، وكذا في الكتاب لسيبويه. وذكر البغدادي الروايتين، وقال: "والمعنى واحد". انظر: خزانة الأدب للبغدادي، ١٧٢/١١.
[7] بغير نسبة في الكتاب لسيبويه، ١٨٥/٣، وهو لمَليح بن علاق القعيني يرثي ابنه في شرح أبيات سيبويه للسيرافي، ١٤٥/٢.
[8] في مطبوع الإيضاح: "فيكون كصاحب".
[9] في مطبوع الإيضاح: "في".
[10] ن: ضهر.
[11] الإيضاح شرح المفصّل لابن الحاجب، ١٩٩/٢-٢٠١.

﴿قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ١٣٦ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ
١٣٧ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ١٣٨ فَكَذَّبُوهُ فَأَهۡلَكۡنَٰهُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ
١٣٩ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٤٠﴾

مَن قرأَ: ﴿خَلْقُ الأَوَّلِينَ﴾ بالفَتح فمَعنَاهُ: أَنَّ ما جئتَ به اختِلاقُ الأوَّلينَ وتخَرُّصُهم؛ كما قالُوا: أساطيرُ الأوَّلينَ، أو: ما خَلْقُنَا هذا إلَّا خَلْقُ القرُونِ الخَالية نَحْيَا كما حَيُوا ونَمُوتُ كما مَاتُوا ولا بَعْثَ ولا حِسَابَ.

ومَن قرأ: ﴿خُلُقُ﴾ بضمَّتَين وبوَاحدةٍ، فمعناه: ما هذا الَّذي نَحنُ عليه من الدِّين إلَّا خُلُقُ الأوَّلين وعادَتُهم، كانوا يَدِينُونَه ويَعتَقِدُونَه ونحنُ بهم مُقْتَدُون، أو: ما هذا الَّذي نحنُ عليه من الحَياة والمَوت إلَّا عَادَةٌ لم يَزَلْ عليها النَّاسُ في قديم الدَّهرِ، أو: ما هذا الَّذي جئتَ به من الكذِب إلَّا عَادَةُ الأوَّلين كانوا يُلفِقُونَ مِثْلَه ويُسَطِّرُونَه.

﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٤١ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٤٢ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ
أَمِينٞ ١٤٣ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٤٤ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ
١٤٥ أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ١٤٦ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ١٤٧ وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ ١٤٨
وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ ١٤٩ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٥٠﴾

﴿أَتُتْرَكُونَ﴾ يجُوز أَن يكونَ إِنكارًا لِأَنْ يُترَكُوا مُخلَّدِينَ في نَعيمهم لا يُزالُون عنه،

كان قبل ذلك أيضًا: "أم لم تعظ"، فوقع هناك التغيير مِن الناسخ، أو وقع ابتداءً لذلك مِن المصنِّف سهوًا.

قوله: (مَن قرأ: ﴿خَلْقُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾)...[1] إلخ، يقال: خَلَق الإفكَ واختَلَقه وتَخَلَّقه: افتراه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًا﴾ [العنكبوت ١٧/٢٩]، ويقال: هذه قصيدة مَخلوقة، أي: مَنحولة إلى غير قائلها.[2] وخَرَصَ وتخرَّص، أي: كذَب.[3]

---

[1] وهي قراءة ابن كثير المكّي وأبي جعفر المدني. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٣٥/٢.

[2] الصحاح للجوهري، «خلق».

[3] الصحاح للجوهري، «خرص».

وأَن يكونَ تذكيرًا بالنِّعمة في تَخليَةِ الله إيَّاهُم وما يَتنعَّمونَ فيه من الجنَّات وغَيرِ ذلك مع الأَمن والدَّعَةِ.

﴿فِي مَا هَٰهُنَا﴾: في الذي استقرَّ في هذا المكانِ من النَّعيم، ثم فسَّره بقَوله: ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ وهذا أيضًا إجمالٌ ثُم تفصيلٌ.

فإن قلتَ: لمَ قال: ﴿وَنَخْلٍ﴾ بَعْدَ قوله: ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾ والجنَّةُ تتناولُ النَّخلَ أوَّلَ شيءٍ كما تَتناوَلُ النَّعَمُ الإبلَ كذلك من بين الأَزواج، حتَّى إنَّهم لَيَذكرُونَ الجَنَّةَ ولا يَقصِدُون إلَّا النخيل كَما يذكرُونَ النَّعَم ولا يُريدُونَ به إلَّا الإِبلَ، قال زهَيْرٌ:

تَسْقِي جَنَّةً سُحُقًا

قلتُ: فيه وَجْهان:

قوله: (وأن يكون تذكيرًا) فيكون الاستفهام للتقرير بطريق الامتِنان عليهم وعدِّ النِّعمة.

قوله: (والدَّعة) "الدَّعة": الخفض، والهاء عوض مِن الواو، تقول منه: وَدُع الرجل، فهو وَديع، أي: ساكن، ووادِع أيضًا، مثال: حمُضَ فهو حامِض، يقال: نال فلان المكارم وادِعًا، أي: مِن غير كُلفة، ورجل مُتَّدِع، أي: صاحب دَعة وراحة.[١]

قوله: (كذلك) أي: أوَّل شيء.

قوله:[٢] (الأزواج) يعني: الأزواج الثمانية:[٣] ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام ٦/١٤٣]، ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام ٦/١٤٤].

قوله:

(تسقي جنةً سُحُقا)

أوّله:

كأنَّ عينيَّ في غربَي مُقتَّلةٍ مِن النَّواضحِ...[٤]

---

[١] ن: وراع. | الصحاح للجوهري، «ودع».

[٢] ف – قوله.

[٣] ن: الثانية.

[٤] انظر: شرح شعر زهير لثعلب، ص ٤١.

أَنْ يَخُصَّ النَّخلَ بإفراده بَعد دُخُولهِ في جُملةِ سائر الشَّجر تنبيهًا على انفِرادِه عنها بفَضلِه عليها.

وأَنْ يُرِيدَ بالجنَّاتِ غيرَها من الشَّجر -لأنَّ اللَّفظَ يَصْلُحُ لِذلك- ثمَّ يَعْطِفُ عليها النَّخلَ.

"الطَّلعةُ": هي التي تَطْلُع مِن النَّخلة كنَصلِ السَّيف في جَوْفه شمَاريخُ القِنْوِ، والقِنوُ: اسمٌ للخَارج من الجِذْع كما هو بعُرْجُونهِ وشَماريخِهِ.

يصف بكاءَه. "الغَرْب": الدلو. و"مُقتَّلة"، أي: مذلَّلة. و"سُحُقًا" جمع سَحوق، أي: نخلٌ طويل.

قوله: (بإفراده) أي: بأن ذكَره مُفردًا.

قوله: (بفضله عليها) أي: كأنّه مِن جنسٍ آخر غير جنسها بسبب فضله عليها، ويقرُب منه[1] قول أبي الطيّب:

فــإن تَـفُــقِ الأنـــامَ وأنـــتَ منهـم فــإنّ الـمِسـك بـعـضُ دَمِ الـغـزالِ[2]

قوله: (الطَّلعة هي التي)... إلخ، "الطَّلعة": ما يطلع مِن النخلة؛ وهو الكِمُّ[3] قبل أن ينشقّ، وقد يقال لما يبدو مِن الكِمّ: طَلْع أيضًا؛ وهو شيء أبيض يشبِه بلونه الأسنان، وبرائحته المنيَّ.[4] وأطلَع النخلُ: خرَج طَلْعه.[5]

قوله: (القِنو) "القِنو" مِن التمر بمنزلة العُنقود مِن العِنب.

قوله: (بعُرجونه) "العُرجون": أصل العِذْق الذي يَعْوجُّ وتقطع منه الشماريخ، فيبقى على النخل يابسًا، / وعَرْجَنَه: ضربه بالعُرجون.[6] و"العِذْق" -بالكسر-: الكِباسة.[7] والكِباسة -بالكسر-: العِذْق، وهو مِن التمر بمنزلة العنقود مِن العنب.[8] [٢٢٠ظ]

---

١ ن - منه.
٢ ديوان المتنبّي، ص ٢٥٨.
٣ الكِمُّ والكِمّةُ بالكسر والكِمامة: وعاءُ الطَّلع. الصحاح للجوهري، «كمم».
٤ المُغرب للمطرّزي، «طلع».
٥ الصحاح للجوهري، «طلع».
٦ الصحاح للجوهري، «عرجن».
٧ الصحاح للجوهري، «عذق».
٨ الصحاح للجوهري، «كبس».

و"الْهَضِيمُ": اللَّطِيفُ الضَّامِرُ، من قَولهم: "كشحٌ هَضِيمٌ"، وطَلْعُ إناثِ النَّخلِ فيه لُطْفٌ، وفي طَلْع الفَحاحِيلِ جَفَاءٌ، وكذلك طَلْعُ البَرْنيّ أَلطَفُ من طَلْع اللَّونِ، فَذكَّرَهُم نِعمةَ الله في أَنْ وَهَبَ لهم أجوَدَ النَّخل وأنفعَه، لأنَّ الإنَاثَ ولَّادَةُ التَّمرِ.

والبَرْنيُّ: أَجوَدُ التَّمر وأَطيَبُه.

ويجوز أن يُريد: أنَّ نخيلَهم أصَابَتْ جَودَة المنَابِتِ وسَعَةَ الماء وسَلِمَتْ من العَاهَاتِ فحَملَت الحَملَ الكَثيرَ، وإذا كثُرَ الحَملُ هَضُمَ وإذا قلَّ جاء فَاخرًا.

وقيل: الهَضِيمُ: اللَّيِّنُ النَّضِيجُ؛ كأنَّه قال: ونَخْلٍ قد أَرْطَبَ تَمرُه.

قرأ الحسَنُ: "وتَنحَتُونَ" بفَتح الحَاء.

وقرئ: ﴿فَرِهِيْنَ﴾ و: ﴿فَارِهِينَ﴾.

والفَراهَةُ: الكَيْسُ والنَّشَاط، ومنه: خَيْلٌ فُرهَةٌ، استُعِير لامتِثال الأَمْر وارتِسامِه

والشِّمراخ والشُّمروخ: العِثكال والعُثكول.[١] والعِثكال: الشِّمراخ؛ وهو ما عليه البُسر مِن عيدان الكِباسة، وهو في النخل بمنزلة العنقود في الكَرْم.[٢]

قوله: (الفحاحيل) "الفُحَّال" للنخل، والجمع: الفحاحيل؛ وهو ما كان مِن ذكوره فَحلًا لإناثه.[٣]

قوله: (مِن طَلْع اللَّون) "اللَّون": الدَّقَل مِن النخل.[٤] والدَّقَل: أردَأ التمر.[٥]

قوله: (جاء فاخِرًا) نخلة فَخور، أي: عظيمة الجذع، غليظة السَّعَف، والفاخر: الشيء الجيد.[٦]

قوله: (استُعير)... إلخ، شبّه امتثال الأمر بطاعة الأمر، ثمّ ذُكِر الطاعة وأريد الامتثال، وقرينته نسبته إلى الأمر، فيكون استعارةً مُصرَّحًا بها، فيكون مِن أقسام المجاز في المفرد. وقوله: (وارتسامه) رسمتُ[٧] له بكذا فارتسمه، إذا امتثله. وقوله:

---

١ الصحاح للجوهري، «شمرخ».
٢ الصحاح للجوهري، «عثكل».
٣ الصحاح للجوهري، «فحل».
٤ الصحاح للجوهري، «لون».
٥ الصحاح للجوهري، «دقل».
٦ انظر: الصحاح للجوهري، «فخر».
٧ ن: رقيمت.

طَاعةُ الآمِر المُطَاع، أو جُعِلَ الأَمْرُ مُطَاعًا على المجَاز الحُكْميّ والمرادُ الآمِرُ، ومنه قَولُهُم: "لك عَليَّ إِمْرَةٌ مُطَاعَةٌ"، وقولُه تعالى: ﴿وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِى﴾ [طه ٢٠/٩٠].

﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٥١ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ١٥٢ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ١٥٣ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ١٥٤﴾

فإن قلتَ: ما فائدةُ قوله: ﴿وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾؟

قلتُ: فَائدتُه: أَنَّ فَسَادهم فَسَادٌ مُصْمَتٌ ليس معَهُ شَيءٌ من الصَّلاح؛ كما تكُونُ حالُ بَعضِ المُفْسِدينَ مخلُوطةً ببَعضِ الصَّلاحِ.

"المُسحَّرُ": الَّذي سُحِرَ كثيرًا حَتَّى غُلِبَ على عَقلِهِ.

وقيل: هو من السَّحْرِ: الرِّئةُ، وأنّه بَشَرٌ.

﴿قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ١٥٥ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥٦ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَـٰدِمِينَ ١٥٧ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٥٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٥٩﴾

(أو جُعل) فيكون مِن المجاز في المركّب، وإنّما حمل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ على المجاز، إمّا في المفرد، وإمّا في المركّب؛ لأنّ الطاعة تكون للشخص الآمر لا للأمر، وأمّا الامتثال فيكون للأمر، وهو المصدر. يقال: أمرَ زيدًا، فأطاعه زيدٌ، وأمرته فأطاعني. ويقال: امتثل أمره، أي: احتذاه، وعمل على مثاله.

قوله: (ليس معه شيء مِن الصلاح) كالتفسير لقوله: (مُصمَت)، يقال: ثوب مُصمَت، أي: على لونٍ واحدٍ.[١] والمُصمَت مِن الخيل: البهيم أيَّ لون كان، لا يخالط لونَه لون آخر.[٢]

قوله: (حتّى غُلِب على عقله) مِن قولهم: لا تذهبْ به تُغلَبُ عليه، أي: يؤخذ منك قهرًا، فمعناه: سُلِبَ عقله.

---

[١] المُغرب للمطرّزي، «صمت».

[٢] الصحاح للجوهري، «صمت».

"الشِّربُ": النَّصِيبُ من الماء نحوُ السِّقْي والقِيتِ، للحَظِّ من السَّقي والقُوتِ. وقرئ بالضم.

رُوِيَ أنَّهم قالوا: نُريدُ ناقةً عُشَرَاءَ تَخرُجُ من هذه الصَّخرةِ فتلِدُ سَقْبًا، فقعَد صَالح يتفكَّر، فقال له جبريل: صَلِّ رَكعتين وسَلْ رَبَّكَ النَّاقةَ، ففعَل فخرَجَتِ النَّاقةُ وبركَتْ بَين أيديهم ونُتِجَتْ سَقْبًا مِثلَهَا في العِظَمِ.

وعن أبي مُوسى: رَأيتُ مَصْدَرَها فإذا هُو سِتُّونَ ذراعًا.

وعن قتادةَ: إذا كانَ يَومُ شِرْبها شَرِبَتْ ماءَهُم كُلَّهُ، ولَهُم شِرْبُ يَومٍ لا تَشربُ فيه الماء.

﴿بِسُوٓءٍ﴾: بضَربٍ أو عَقْرٍ أو غيْرِ ذلك.

﴿عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ عَظَّم اليَومَ لحُلُولِ العَذاب فيه، ووَصْفُ اليَوم به أَبلَغُ مِن وَصْفِ العَذاب؛ لأنَّ الوقتَ إذا عُظِّمَ بسَببِه كان مَوقعُه من العِظَم أشَدَّ.

ورُوي: أَنَّ مِسْطعًا ألجَأهَا إلى مَضِيقٍ في شِعْبٍ فرماهَا بسَهْمٍ فأصَابَ رِجْلَها فسَقطتْ، ثمَّ ضَربَهَا قُدارٌ.

ورُويَ أَنَّ عَاقِرهَا قال: لا أَعقِرُهَا حَتى تَرضَوْا أَجمعينَ، فكانُوا يَدخُلونَ على المرأةِ في خِدْرهَا فيقُولُونَ: أَترضَيْنَ؟ فتقُولُ: نعَمْ، وكذلك صِبيَانهُم.

فإن قلتَ: لِمَ أَخَذهُمُ العذابُ وقد نَدِمُوا؟

قوله: (سَقْبًا) السَّقْب: ولد الناقة، ولا يقال للأنثى: سَقْبة، ولكن حائل.[١]

قوله: (مصدرَها) أي: موضع صدورها.

قوله: (لا تشرب فيه) أي: الناقة.

قوله: (قُدار) القُدار: الجزّار، وقُدار بن سالِف الذي يقال له: أحمر ثمودٍ؛ عاقر ناقة صالحٍ عليه السلام.[٢]

---

١ الصحاح للجوهري، «سقب».

٢ ن – القدار: الجزّار، وقُدار بن سالِف الذي يقال له: أحمر ثمودٍ؛ عاقر ناقة صالحٍ عليه السلام. | الصحاح للجوهري، «قدر».

قلتُ: لم يكُنْ نَدَمُهم ندمَ تَائبينَ، ولكن ندمَ خائِفين أن يُعَاقَبُوا على العَقْرِ عقَابًا عَاجِلًا؛ كمَن يَرى في بَعضِ الأمُورِ رَأيًا فاسِدًا ويَبْنِي عليه ثمَّ يَنْدَمُ ويتَحسَّرُ كنَدامة الكُسَعيِّ.

أو نَدِمُوا ندمَ التَّائِبين ولكنْ في غَيْر وقْتِ التَّوبة، وذلك عنْدَ مُعَاينة العَذابِ، وقال عزَّ وجَل: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الآية [النساء ١٨/٤].

وقيل: كانَتْ ندَامتُهم عَلى ترك الوَلدِ. وهو بَعيدٌ.

واللامُ في ﴿ٱلْعَذَابُ﴾: إشَارةٌ إلى ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾

قوله: (عقابًا عاجلًا) يشير إلى أنّهم لو كانوا خائفين عقاب الآخرة لكان ذلك الندم توبة، ولَمَا عُذِّبوا.

قوله: (الكُسَعيّ) الكُسَع: حيّ من اليمن، ومنه قولهم: "ندامة الكُسَعيّ"؛[1] وهو رجل ربَّى نَبْعةً[2] حتّى اتّخذ منها قوسًا، فرمَى الوحش منها ليلًا فأصاب، وظنّ أنّه أخطأ، فكسَر القوس، فلمّا أصبح رأى ما أصمَى مِن الصيد فندِم،[3] قال الشاعر:

نَدِمْتُ ندامةَ الكُسَعيِّ لمّا ... رأتْ عيناه ما فعلتْ يداه[4]

قوله: (وقال عزّ وجلّ: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾) ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء ١٨/٤].

---

١ انظر: مجمع الأمثال للميداني، ٣٤٨/٢، وفيه: "أندَم مِن الكُسَعي؛ قَالَ حمزة: هو رجل من كُسَع، واسمه مُحارب بن قَيْس".

٢ قال الجوهري: «النَّبْعُ: شجر تُتَّخذ منه القِسي، الواحدة: نَبعة، وتُتَّخذ مِن أغصانها السهام». الصحاح للجوهري، «نبع».

٣ ف + يقال: أصمَيْتُ الصيد إذا رميتَه فقتلتَه وأنتَ تراه. | الصحاح للجوهري، «صما».

٤ الصحاح للجوهري، «كسع». وانظر: لسان العرب لابن منظور، «كسع». والبيت فيهما بغير نسبة.

أراد بـ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: النَّاسَ؛ أي: أتَأْتُونَ من بين أَوْلادِ آدمَ على فَرْطِ كَثْرتِهم وتَفاوُتِ أَجناسهِمْ وغَلَبَةِ إِنَاثِهِمْ على ذُكُورِهم في الكَثْرة ذكرَانَهم كأنَّ الإناثَ قد أَعوَزْنكُم.

أو: أتأتونَ مِن بَينِ مَن عَدَاكُم من العالَمِينَ الذُّكرانَ، يَعْني: أنكُم يا قومَ لُوطٍ وَحْدكُم مُختَصُّونَ بهذه الفاحِشةِ، والعَالَمُونَ على هذا القَول: كلُّ مَا يَنكَحُ من الحيَوان.

﴿مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ يَصْلُح أَن يكون تَبيينًا لـ﴿مَا خَلَقَ﴾ وأن يكونَ للتَّبعيضِ ويُرادَ بـ﴿مَا خَلَقَ﴾: العُضْوُ المبَاحُ مِنهنَّ، وفي قراءةِ ابنِ مَسعُودٍ: "ما أَصْلحَ لكم رَبُّكُم من أزوَاجكُم"، وكأنَّهم كانُوا يَفعَلُونَ مِثْلَ ذلك بنسَائهِم.

"العَادِي": المتعَدِّي في ظُلمهِ، المتجَاوِزُ فيه الحَدَّ، ومَعناه: أَتَرتكِبُونَ هذه المعصيَةَ عَلى عِظَمهَا ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ في جَميعِ المعاصي، فهذا مِن جُمْلةِ ذاكَ.

أو: بَلْ أَنتُم قومٌ أَحقَّاءُ بأَن تُوصَفُوا بالعُدْوانِ حيث ارتكَبْتُم مثلَ هذهِ العَظِيمةِ.

قوله: (أو: أتأتون أنتم) على الوجه الأوّل: يكون ﴿مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ حالًا مِن ﴿ٱلذُّكْرَانَ﴾، وعلى الثاني: مِن واو ﴿أَتَأْتُونَ﴾.

قوله: (كلُّ ما يَنكِح) أي: يطأ.

قوله: (ويراد بـ﴿مَا خَلَقَ﴾ العضو) وكان المراد على الأوّل بـ﴿مَا خَلَقَ﴾: الأزواج.

قوله: (وفي قراءة ابن مسعود: "ما أصلح")[١] والمراد بـ"ما أصلح الله تعالى

[٢٢١و] / لهم": هو الفَرْج دون الدُّبر؛ لأنّ إتيان الفَرْج يقتضي التوالد والتناسل، دون الدُّبر، والمقصود مِن تركيب الشهوة في الإنسان هو التوالد والتناسل، وكذا سائر الحيوانات.

---

١ انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٣٦٥.

﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ
﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾
ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً
وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾

﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ عَن نَهْيِنَا وتَقبِيح أَمرِنَا ﴿لَتَكُونَنَّ﴾ من جُملةِ مَنْ أَخرَجْنَاهُ مِن بَيْنِ أَظهُرِنَا وطَرَدْنَاهُ مِنْ بَلَدِنا، ولعَلَّهُم كانُوا يُخرِجُونَ مَن أَخرَجوهُ على أَسْوَإِ حَالٍ: مِن تَعنيفٍ به واحتبَاسٍ لِأَمْلاكِه، وكما تكونُ حَالُ الظَّلَمَةِ إذا أَجلَوا بَعْضَ مَن يَغضَبُونَ عليه، وكمَا كان يَفعَلُ أَهْلُ مَكَّةَ بِمَنْ يُرِيد المُهَاجَرة.

﴿مِنَ ٱلْقَالِينَ﴾ أَبلغُ مِن أنْ يقولَ: "إِنِّي لِعَمِلِكُم قالٍ" كما تَقولُ: "فُلانٌ من العُلماء" فيكونُ أَبْلغَ من قولك: "فُلانٌ عَالمٌ" لأَنَّكَ تَشهَدُ له بكَوْنِه مَعْدُودًا في زُمْرَتِهِم ومَعْرُوفَةً مُسَاهَمتُه لَهُم في العِلْم.

ويجوز أَنْ يُرِيدَ: من الكامِلينَ في قِلَاكُم.

والقِلَى: البُغضُ الشَّديدُ كأَنَّهُ بُغْضٌ يَقلِي الفُؤادَ والكَبِدَ. وفي هذا دَليلٌ على عظم المَعْصِيَةِ، والمرادُ: القِلَى مِنْ حَيْث الدِّينُ والتَّقوَى، وقد تَقوَى هِمَّةُ الدِّين في دِينِ الله حَتَّى تَقرُبَ كراهَتُه للمعَاصِي منَ الكَراهةِ الجِبِلِّيَّةِ.

﴿مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾: من عُقُوبةِ عَملِهِم، وهو الظَّاهرُ، ويَحتمِلُ أَن يُريدَ بالتَّنجيَةِ: العِصْمةَ.

قوله: (ولعلّهم كانوا) يعني: إنّما قال: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾، ولم يقولوا: لنُخْرِجنَّك؛ إشارةً إلى أنّهم يفعلون به مِن الإخراج السَّيئة ما فعلوا بغيره، ولمّا احتمل هذا المعنى واحتمل أن يكون إشارةً إلى أنّهم أخرَجوا كثيرًا مِن الناس وهم قادرون على إخراجه أيضًا قال المصنِّف: "لعلّهم" بطريق الاحتمال. وهو مِثل ما حكَى الله تعالى عن فرعون: ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء ٢٦/٢٩].

قوله: (يَقلي الفؤاد) قليْتُ اللحم والسَّويق، فهو مَقليّ، وقلَوته فهو مَقلوٌّ.[١]

---

١ الصحاح للجوهري، «قلا».

فإن قلتَ: ما مَعنى قَولِه: ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عَجُوزًا﴾؟

قلتُ: معناه: أنَّه عصَمَهُ وأهْلَه من ذلك إلَّا العجُوزَ، فإنَّها كانت غيْرَ مَعْصُومةٍ منه؛ لكونها راضِيَةً به ومُعِينةً عليه ومُحَرِّشَةً، والرَّاضِي بالمعْصِيةِ في حُكم العَاصِي.

فإن قلتَ: كان أَهْلُه مُؤمِنينَ، ولولا ذلك لَمَا طَلَبَ لهُم النَّجاةَ، فكيْفَ استُثْنِيَتِ الكافرةُ مِنهُم؟

قلتُ: الاستثناءُ إنَّما وَقعَ من الأهلِ، وفي هذا الاسم لها معهم شِرْكةٌ بحقِّ الزَّواج وإنْ لم تُشَارِكْهم في الإيمان.

فإن قلتَ: ﴿فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ صفةٌ لها، كأنَّه قيل: إلَّا عجوزًا غابرةً، ولم يكن الغُبُورُ صفتَها وقتَ تَنْجيتِهِم.

قلتُ: مَعناه: إلَّا عَجُوزًا مقَدَّرًا غُبُورُها.

قوله: (**فإن قلتَ: فما معنى قوله؟**) هذا السؤال على تقدير تفسير "التنجِية" بالعِصمة، وأمّا على تفسيرها بالنجاة[1] مِن عقوبة عملهم فظاهر؛ لأنّ العجوز لم تكن مُنجَّاة مِن العقوبة، لكن كانت معصومة مِن عملهم.

قوله: (**مِن ذلك**) أي: مِن عملهم.

قوله: (**ومُحَرِّشةً**) التحريش: الإغراء بين القوم، وكذلك بين الكلاب.[2]

قوله: (**غابرةً**) أي: باقيةً في الهلاك. وقوله: (**ولم يكن الغبور صفتها**) لأنّ المراد بـ"الغُبور" البقاء في الهلاك، ولا شكّ أنّها لم تكن هالكةً وقت تنجيتهم، وأجاب بأنَّ المعنى: "كان هلاكها مقدَّرًا وقت تنجيتهم".

قوله: (**قيل: إنّها هَلَكتْ**)... إلخ، بيان للجملة المتقدّمة، فإنّه لمّا ذكر أنّ معنى ﴿ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: هو غير الناجين؛ بيّن بقوله: "قيل: إنّها"... إلخ أنّها كانت مع غير الناجين، والحاصل: أنّها هلكت بالحجارة التي وقعت عليها كما هلَك غيرها

---

[1] ف: بالنحاه.

[2] الصحاح للجوهري، «حرش».

ومَعنى الغَابرين في العَذاب والهَلاكِ: غَيْرُ النَّاجِين، قيل: إنَّهَا هَلكَتْ مَع مَن خرَج مِن القَرْيةِ بما أُمْطِرَ عليهم مِن الحجَارة.

والمرادُ بتَدميرِهم: الائْتِفَاكُ بهم، وأمَّا الإمْطَارُ: فعن قتادةَ: أَمْطرَ اللهُ على شُذَّاذِ القَوم حجَارةً من السماء فأَهْلكهُم.

وعن ابن زَيدٍ: لم يَرْضَ بالائتفَاك حَتى أَتبعَهُ مطرًا من حجَارة.

مِن قومه بالحجارة ممّن كانوا خارجين مِن تلك البلدة على ما سيجيء، وهذا هو المراد بكونها في الغابرين، لا أنّها كانت في البلدة المؤتفِكة المنقَلِبة على أهلها، والأظهر أن نقول: بيّن معنى وقوع ﴿فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ صفة ﴿عَجُوزٗا﴾، ثمّ شرَع في تقدير معنى ﴿ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ في نفسه، فقوله: (**معنى ﴿ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾**) مبتدأ، خبره (**في العذاب والهلاك**). وقوله: (**غير الناجين**) خبر بعد خبر؛ لزيادة التوضيح. ثمّ بيّن بقوله: (**قيل: إنّها هلكت**)... إلخ بأنّ معنى "تقدير غُبورها":[1] أنّ الله تعالى قدّر هلاكها مع الهالكين الخارجين مِن القرية بالأمطار.

قوله: (**الائتفاك بهم**) أفكَه عن الشيء يَأفِكه أَفْكًا: صرَفه، ومنه قوله تعالى: ﴿أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا﴾ [الأحقاف ٢٢/٤٦]، وائتَفَكت البلاد بأهلها، أي: انقلبت، و"المؤتفِكات": البلاد التي قلبها الله تعالى على قوم لوط.[2] والباء في قوله: "بهم" للتعدية أو للملابسة، والثاني أصوب، أي: ائتِفاك البلدة ملتبسة بهم.

قوله: (**على شُذَّاذ القوم**) المراد بـ"شُذّاذ القوم": هم الذين كانوا مِن قوم لوط لكن لم يكونوا في بلادهم؛ بل كانوا خارجين منها حين ائتَفَكت[3] البلاد بهم.

[٢٢١ظ] قوله: / (**وعن ابن زيد**) هذا وجه آخر غير ما ذكره قتادة،[4] يعني: أنّ الأمطار كان على مَن ائتفك البلاد بهم، لا على الشُذّاذ.

---

[1] ف: عبورها.

[2] الصحاح للجوهري، «أفك».

[3] ف: انقلبت.

[4] انظر: الدرّ المنثور للسيوطي، ٤٩٧/٣.

وفَاعِلُ ﴿ساء﴾: ﴿مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾، ولم يُرِدْ بـ﴿ٱلْمُنذَرِينَ﴾ قومًا بأعيانهم إنّما هو للجنس، والمخصوص بالذمّ محذوفٌ وهو: مَطرُهم.

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾﴾

قرئ ﴿أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ بالهمزة وبتخفيفها، وبالجرّ على الإضافة وهو الوجه، ومَن قرأ بالنّصب وزعم أنّ "لَيْكَة" -بوزن لَيْلَة- اسمُ بَلدٍ، ....

قوله: (ولم[١] يُرِدْ بـ﴿ٱلْمُنذَرِينَ﴾)؛ لأنّ فاعل فعل الذمّ يجب أن يكون معرّفًا بلام الجنس، أو مضافًا إلى المعرّف بذلك، دون لام العهد؛ ليحصل الإبهام المقصود، ثمّ التفصيل[٢] والتفسير بعد ذلك.

قوله: (بالهمزة) وبالجرّ. وقوله: (وبتخفيفها)[٣] أي: وقرئ[٤] بتخفيفها.[٥]

قوله: (ومَن قرأ بالنصب)... إلخ، قال الشيخ في الكواشيّ:

القراءة بألف ولام ساكنة وجرّ التاء إضافةً،[٦] وبتحريك اللام بحركة الهمزة الثانية وجرّ التاء،[٧] و﴿لَيْكَةَ﴾ أيضًا بلام ونصب التاء،[٨] غير مصروف؛ لتعريفه وتأنيثه؛ اسم علم للبلد. وزعَم بعضهم أنّ هذا لا يستقيم؛ لأنّه ليس في الكلام "لَيْكَة" حتّى يُجعل علَمًا، وهذا تحكّم ظاهر، ولعلّه كان مع آدم حين عُلّم الأسماء كلّها وضبطها إلى وقت دعواه. ونقل أبو عبيدة: أنّ "لَيْكَة" على "فعْلَة" اسم للقرية التي كانوا فيها، و"الأيكة" بالألف واللام اسم للبلد كلّه. وزعَم آخر أنّ مَن قرأ

---

١ ف: لم.

٢ ف: التفضيل.

٣ ف: بتخفيفها.

٤ ف: قرئ.

٥ ن - أي وقرئ بتخفيفها.

٦ د ف: إضافه. | وهي قراءة أبي عمرو وعاصم وحمزة والكسائي وخلَف ويعقوب. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٣٦/٢.

٧ شاذّة مرويّة عن الزهري. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٣٥٦.

٨ وهي قراءة نافع وأبي جعفر وابن كثير وابن عامر. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٣٦/٢.

فتَوهُّمٌ قادَ إليه خطُّ المُصحف حيث وُجِدَتْ مكتوبةً في هذه السُّورة وفي سورة "صَاد" بغَيرِ ألِفٍ، وفي المصحف أشيَاءُ كُتِبَتْ على خلافِ قياسِ الخطِّ المصْطَلَحِ عَليه، وإنَّما كُتِبَت في هاتين السُّورَتينِ على حُكم لَفظِ اللَّافظِ كما يَكتُب أصحابُ النَّحو "لانَ" و"لُولَى" على هذهِ الصُّورة لبيَانِ لَفْظ المُخَفَّفِ، وقد كُتبَتْ في سَائر القرآن على الأصْل، والقصَّةُ واحدةٌ على أَنَّ "لَيْكَةَ" اسمٌ لا يُعرَفُ.

ورُوي: أنَّ أصحابَ الأَيكة كانوا أصحابَ شَجرٍ مُلتفٍّ، وكان شَجَرُهم الدَّومَ.

فإن قلتَ: هَلَّا قيل: "أَخُوهم شُعَيْبٌ"، كما في سائر المواضع؟

قلتُ: قالوا: إنَّ شُعيبًا لم يكُن من أصحاب الأَيْكَةِ، وفي الحديث: أنَّ شعيبًا أخَا مَدْينَ أُرسِل إلَيهم وإلى أصحاب الأيْكة.

﴿لَيْكَةَ﴾[1] بوزن "لَيلة"[2] فتوهُّمٌ قاد إليه خطّ المصحف، وهذا يُشعر[3] أنّ الحَرمين وابن عامر إنّما نقلوها عن المصحف فحسب، وهذا سهو ظاهر؛ لأنّه يلزم هذا الطاعن في هذه القراءة الاعتراف بصحّة نقلها عن النبيّ عليه الصلاة والسلام؛ بل بتواتره؛ لأنّها مِن السبعة، والسبعة ما ثبت بالتواتر، فكيف يكون هذا توهّمًا قاد إليه خطّ المصحف مع تواتر نقلها؟[4]

وقوله: (فتوهُّمٌ) أي: قراءته توهّم.

قوله: (خطُّ المصحف) هذا الكلام غير صحيح؛ لأنّهم إنّما قرءوا بما ثبت عندهم تواترًا كما في القراءات السبع، أو آحادًا كما في الشواذّ، ولم يعتمدوا على مجرّد الكتابة.

قوله: (لانَ) (ولُولَى) أي: في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱلۡـَٔـٰنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [البقرة ٧١/٢]، وفي قوله تعالى: ﴿عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾ [النجم ٥٠/٥٣]. وقوله: (وقد كُتبَتْ) أي: ﴿لَيۡكَةَ﴾. وقوله: (الدَّوم) هو شجر المُقلِ.

---

١ ن: ليكة.
٢ د: ليكه.
٣ د ن: يسعى.
٤ تفسير الكواشي، ٣٧١ظ.

﴿أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾﴾

الكيْلُ على ثَلاثَةِ أَضرُبٍ: وافٍ وطفيفٌ وزائِدٌ، فأمَرَ بالواجبِ الذي هو الإِيفاءُ، ونهَى عن المُحرَّمِ الذي هو التَّطفيفُ، ولم يذكُرِ الزائدَ وكأنَّ تَرْكَه عن الأمر والنَّهي دليلٌ على أنَّه إنْ فعَله فقَد أحسَنَ وإن لم يَفعَلْه فلا عَليه.

قرئ ﴿بالقُسطاسِ﴾ مَضمومًا ومكسُورًا وهو الميزانُ، وقيل: القَرَسْطُونُ.

فإن كان من القِسط -وهو العَدلُ- وجُعِلَت العَيْنُ مُكرَّرةً فوَزنُه فُعْلاسٌ، وإلَّا فهُو رُباعيٌّ.

قوله: (وقيل: القرسطون) أي: القَبّان الكبير.

قوله: (فوزنه "فُعْلاس")[1] فيه نظر، والصواب أنّ وزنه "فُعْلاع"؛[2] لأنّ التكرير يقتضي أن يوزن بما قبله. فإن قلتَ: حُمِل على ذلك لعدم "فُعْلال"،[3] كما قيل في بُطْنان، قلتُ: ذلك لوجود "فُعْلان"، نحو: عثمان وزعفران.[4] وأمّا "فُعْلاس" فلم يوجد أصلًا، وأيضًا فقد نتكلّم هنا على فرض كونه مِن "القِسط" وتكرير العين، فعلى هذا يجب التعبير عنه بما تقدّمه جزمًا. فإن قيل: عدَل المصنِّف إلى أنّ وزنه "فُعْلاس" إشارة إلى أنّه ليس هذا بالحقيقة تكريرًا للعين، فإنّ العين لا يضاعف وحدها مع تخلّل اللام؛ لِما يلزم مِن الفَصل الممتنع عندهم، ولذلك قالوا: لا يُزاد الفاء وحدها مطلقًا، قلت: قد صرّح المصنِّف بتكرير العين،

---

١ في الأصل حرّكت الفاء بالضمّ والكسر إشارةً إلى القراءتين في ﴿بِٱلْقِسْطَاسِ﴾، وقرأ حمزة والكسائي وخلَف وحفص بكسر القاف فيها، وقرأ باقي القرّاء العشر بضمّها. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٠٧.

٢ كذا في أبنية الأسماء والأفعال والمصادر للصقلّي، ص ٢٣٠.

٣ قال الفارابي: «لم يأتِ على فُعْلال شيءٌ مِن أسماءِ العرب مِن الرُّباعي السالم إلّا مُكرّرًا، نحو: القسطاطِ والقرطاطِ. فإنْ جاءَ فهو قليلٌ نحو: قُرناس، وقُرْطاس. فأمّا 'القسطاسُ' فحرفٌ رُومي وقَعَ إلى العربِ فتكلّمتْ به». معجم ديوان الأدب للفارابي، ٢/٦٢.

٤ ف: ووغُفران.

وقيل: هُو بالرُّوميَّة العَدْلُ.

يُقال: بَخسْتُه حَقَّهُ: إذا نَقَصْتَهُ إيَّاه، ومنه قيل للمَكْسِ: البَخْسُ، وهو عَامٌّ في كلِّ حَقٍّ ثبتَ لأحَدٍ أن لا يُهْضَمَ، وفي كُلِّ مِلْكٍ أن لا يُغصَبَ عليه مالِكُهُ ولا يُتَحيَّفَ منهُ، ولا يُتَصرَّفَ فيه إلَّا بإذنِهِ تَصرُّفًا شَرعيًا.

يُقال: عَثِيَ في الأرض وعَثَى وعَاثَ، ....

فكيف يحمل على ذلك؟ فهو وارد عليه مِن هذا الوجه أيضًا إلّا أن يقال: في عبارته تساهل، / على أنّ الكوفيّين يُجوّزون مثلَ هذه الزيادة. [٢٢٢و]

قوله: (للمَكْسِ) "المَكْسُ": طلب نقصان الثمن في المبايعات، و"المَكْس" أيضًا: الجِباية، وهو فعل المَكّاس؛ العشّار.[١]

قوله: (أن لا يُهضَم) بدل مِن "كلّ حقّ".

قوله: (وفي كلّ مِلك) عطف على قوله: (في كلِّ حقّ). وقوله: (أن لا[٢] يُغصَب)[٣] بدل مِن "كلّ مِلك". وقوله: (عليه) حال مِن "مالكه"، وهو قائم مقام فاعل "يُغصَب"،[٤] والضمير المستتر في "عليه"[٥] يعود إلى "مالكه"، والبارز المجرور إلى "كلّ مِلك"، فكأنّه قال: عدم غصب[٦] المالك مستقِرًّا على المِلك. يقال: غصَبَه مِنه، وغصَبه عليه. وتحيَّفْتُ الشيء وتحوَّفته إذا تنقّصته مِن حافاته،[٧] أي: مِن جوانبه، وعدّاه المصنِّف بـ"مِن" لأنّه ضمّنه معنى الأخذ، أي: لا يؤخذ مِنه متنقّصًا مِن جوانبه، فكأنّه قال: لا يؤخذ كلّه ولا بعضه. ثمّ إنّ قوله: (وهو عامّ) عائد إلى النهي عن البَخس؛ لدلالة ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ﴾ عليه، فكأنّه قال: النهي عن البَخس عامّ في عدَم هضْم كلِّ حقّ، وفي عدم غصب كلّ مِلك، وعدم التنقّص مِن كلّ مِلك، وفي أن لا يتصرّف في كلّ مِلك إلّا بإذن مالكه.

قوله: (يقال:[٨] عثى في الأرض) العَثْيُ: الفساد.

---

١ انظر: المُغرب للمطرّزي، «مكس».
٢ ن – لا.
٣ ف: لا يُضب.
٤ ف: يُغضب.
٥ ف: علته.
٦ ن: عصم.
٧ الصحاح للجوهري، «حيف».
٨ ن: تعالى.

وذلك نحوُ قَطْعِ الطَّرِيقِ، والغَارَةِ، وإهْلاكِ الزُّروعِ، وكانوا يفعَلُونَ ذلك مَع تَولِّيهِم أنواعَ الفَسَاد فنُهُوا عن ذلك.

وقرئ: "الجُبُلَّةُ" بوَزن الأُبُلَّةِ، و: "الجِبْلةُ" بوزن الخِلْقَة، ومَعناهُنَّ واحدٌ؛ أي: ذَوِي الجِبِلَّةِ، وهو كقولك: والخَلْقَ الأوَّلِينَ.

فإن قلتَ: هل اختَلَفَ المَعنَى بإدْخال الواو هاهُنا وتَرْكِهَا في قصَّة ثَمُود؟

قلتُ: إذا دخَلت الواو فَقد قُصِد مَعنيان كلاهما مُنافٍ للرِّسالةِ عندهم: التَّسحيرُ والبَشريَّةُ، وأنَّ الرَّسُولَ لا يجُوز أن يكون مُسَحَّرًا ولا يجُوز أن يكونَ بشرًا، وإذا تُرِكَت الواوُ فلم يُقصَد إلَّا مَعنًى واحِدٌ وهو كونُه مُسَحَّرًا ثم قُرِّرَ بكَوْنه بَشرًا مِثْلَهُم.

فإن قلتَ: "إنْ" المخفَّفةُ من الثَّقيلة ولامُهَا كيْفَ تَفرَّقتَا على فِعْلِ الظَّنِّ وثانِي مَفعُولَيه؟

قلتُ: أصْلُهما أنْ يتفرَّقا على المُبتَدأ والخبَر؛ كقولك: "إنْ زيدٌ لمنطلِقٌ"

قوله: (وكانوا يفعلون ذلك) أشار المصنِّف بقوله رحمه الله:[١] "وكانوا يفعلون"... إلخ إلى فائدة قوله تعالى: ﴿مُفْسِدِينَ﴾ بعد قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْثَوْا﴾، والعَثْيُ: أشدّ الفساد، أي: لا تبالغوا في الفساد حال كونكم مفسدين.

قوله: (بوزن "الأُبُلَّةِ") "الأُبُلَّة" -بالضمّ وتشديد اللام-: فِدْرةٌ -أي: قطعةٌ- مِن التمر إذا كانت مجتمعة، و"الأُبُلَّة" أيضًا: مدينة إلى جنب البصرة.

قوله: (التسحير والبشريّة) "التسحير": أن يكون له سَحْر؛ وهو الرِّئة، أو أن سُحِر، أي:[٢] عُمِل له سِحر حتّى اختلّ عقله. وكلا المعنيين محتَمل ههنا.

قوله: (فإن قلتَ: "إن" المخفّفة)... إلخ، وجه السؤال: أنّه كان ينبغي أن يتفرّقا على مفعولَيه؛ لأنّهما في الأصل مبتدأ وخبر، فكيف تفرّقا على الفعل والمفعول الثاني؟

---

[١] د - رحمه الله.

[٢] ف - أي.

فلمَّا كانَ البَابانِ -أعني: بابَ كان وبابَ ظنَنتُ- مِنْ جنْسِ بابِ المُبتَدَأ والخَبر فُعِلَ ذلك في البابَين فقيل: "إن كانَ زيدٌ لمُنطلِقًا" و"إن ظنَنتُه لمُنطلِقًا".

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ١٨٥ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ١٨٦ فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٨٧﴾

قرئ ﴿كِسفًا﴾ بالسُّكونِ والحركةِ، وكلاهُما جمعُ كِسْفَةٍ نحو: قِطَعٍ وسِدْرٍ.

وقيل: الكِسْفُ والكِسْفَةُ كالرِّيعِ والرِّيعَةِ، وهي القِطعة، وكسَفَهُ: قَطعَهُ.

و"السَّماء": السَّحابُ، أو المُظِلَّةُ.

وما كان طَلَبُهم ذلك إلَّا لتَضميمهم على الجحُود والتَّكذيبِ، ولو كان فيهم أَدْنى مَيْلٍ إلى التَّصْديق لَمَا أَخْطرُوه ببالِهم فَضْلًا أَنْ يَطْلُبوه، والمَعنى: إن كُنتَ صادقًا أنَّكَ نَبيٌّ فادْعُ اللهَ أن يُسقِط عَلَينا كِسفًا من السَّماء.

﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨٨ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ١٨٩ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٩٠ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٩١﴾

قوله: (مِن جنس باب المبتدأ والخبر) وإنّما كان البابان مِن جنس باب المبتدأ والخبر؛ لأنّ الأصل في البابين هو المبتدأ والخبر، وإنّما دخل "كان وأخواته" عليهما[1] ليقرّر المبتدأ على مفهوم الخبر، ودخل "ظننت وأخواته" ليُبيّن أنّ[2] تلك الجملة عن العلم أو عن الظنّ، فالأصل في البابين هو المبتدأ والخبر، فهما[3] كالقيد الذي يكون في الجمل زائدًا على مفهومها الأصليّ.

قوله: (كالرِّيع) "الرِّيع" -بالكسر-: ما ارتفع مِن الأرض، والواحد: رِيعة، والجمع: رِياع.[4]

قوله: (لَما أَخْطَروه) أي: لَما أَخْطَروا هذا الطلب ببالهم، أي: بقلبهم.

---

١ ف: عليها.

٢ د + أنّ.

٣ ف ن: وهما.

٤ الصحاح للجوهري، «ريع».

﴿رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ يُريد: أنَّ الله أعْلَمُ بأعمالِكم وبما تستوجبُونَ عليها مِن العقَاب، فإن أراد أن يُعَاقِبَكُم بإسقاطِ كِسْفٍ من السماء فعَل، وإن أراد عقَابًا آخرَ فإليه الحُكمُ والمشِيئةُ.

﴿فَأَخَذَهُمۡ﴾ الله بنَحو ما اقترَحُوا من عذابِ الظُّلَّة إنْ أَرَادُوا بالسَّماء السَّحَابَ، وإن أرَادُوا به المُظلَّةَ فقَد خالَف بهم عن مُقتَرَحهم.

يُروَى: أنَّه حَبسَ عنهم الريحَ سَبْعًا وسَلَّط عليهم الوَمَد، فأخَذ بأنفَاسِهِمْ لا يَنفعُهُم ظِلٌّ ولا ماءٌ ولا شُربٌ، فاضطُرُّوا إلى أن خَرجوا إلى البَريَّةِ، فأظَلَّتهُم سَحابةٌ وَجَدُوا لهَا بَرْدًا ونَسِيمًا، فاجتمعُوا تَحتها فأمطَرتْ عليهم نارًا فاحتَرقُوا.

وروِي: أن شُعَيْبًا بُعثَ إلى أُمَّتَين: أَصْحَابِ مَدْينَ وأَصحَابِ الأَيْكَةِ، فأُهلِكَتْ مَدْينُ بصَيْحةِ جبريل وأصحَابُ الأيكةِ بعَذاب يوم الظُّلَّةِ.

فإن قلتَ: كيْفَ كُرِّر في هذِه السُّورة في أوَّلِ كُلِّ قصَّةٍ وآخِرها ما كُرِّرَ؟

قلتُ: كُلُّ قصَّةٍ منها كتنزيلٍ برَأسهِ، وفِيها من الاعتبَار مثلُ ما في غَيْرهَا، فكانت كلُّ واحدَةٍ منها تُدْلي بحَقٍّ في أنْ تُفتَتَح بما افتُتِحَتْ به صاحبَتُها وأنْ تُختَتَم بما اختُتِمَتْ به، ولأنَّ في التَّكرير تقريرًا للمعَاني في الأنفس، وتَثبيتًا لهَا في الصُّدُور، ألَا تَرى أنَّه لا طريقَ إلى تحَفُّظِ العُلُوم إلَّا تَرْديدُ ما يُرَادُ تحَفُّظُه منها،

قوله: (ما اقترحوا مِن عذاب الظُّلَّة) المراد بـ"الظُّلَّة" ههنا: السحاب الذي قد أظلّتهم، والمراد بـ"المُظِلّة" هنا: السماء المشهور، أعني: الخضراء.[١]

قوله: (الوَمَدَ) الوَمَدُ: شدّة حرِّ الليل.[٢]

[٢٢٢ظ] قوله: / (فإن قلتَ: كيف كُرِّر)... إلخ؟ المكرّر في أوّل كلّ قصّة: ﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ﴾، وفي آخرها: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

---

١ قال ابن دريد: «سمّيت السماء: خضراء، والبحر: أخضر؛ لألوانهما. وتقول العرب: لا أكلّمك أو تنطبق الخضراء على الغبراء، يعنون: السماء على الأرض». جمهرة اللغة لابن دريد، ٥٨٧/١.

٢ الصحاح للجوهري، «ومد».

وَكلَّمَا زاد ترديدُه كان أمكَنَ له في القَلْب وأرسَخَ في الفَهم وأَثبَتَ للذِّكر وأبعَدَ من النسيَان، ولأنَّ هذه القِصصَ طُرِقَتْ بها آذانٌ وُقْرٌ عن الإنصَاتِ للحقِّ، وقُلوبٌ غُلْفٌ عن تَدبُّره، فكُوثِرَتْ بالوَعْظِ والتَّذكير، ورُوجِعَتْ بالتَّرديد والتكرير، لعَلَّ ذلك يَفتَحُ أُذنًا، أو يَفتِقُ ذهنًا، أَو يَصْقُلُ عَقْلًا طال عَهْدُه بالصَّقْلِ، أو يَجْلُو فَهْمًا قد غَطَّى عليه تراكُمُ الصَّدَأ.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾

﴿وَإِنَّهُۥ﴾: وإنَّ هذا التَّنزيلَ، يعني: ما نُزِّل من هذه القصَصِ والآياتِ، والمرادُ بالتَّنزيل: المُنزَّلُ، والبَاءُ في ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ و: ﴿نَزَّل به الرُّوحَ﴾ على القراءتَين للتَّعدية.

ومعنى ﴿نَزَّل به الرُّوحَ﴾: جَعَل اللهُ الرُّوحَ نَازِلًا به.

﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾، أي: حَفَّظَكهُ وفَهَّمكَ إيَّاهُ وأَثبتَه في قَلبك إثباتَ ما لا يُنسى؛ كقَوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى ٨٧/٦].

قوله: (عهدُه بالصَّقل) يقال: عَهِدتُه بمكان كذا، أي: لَقِيته، وعهدي به قريب،[١] أي: زمان عهدي، بمعنى: زمان لقائي قريب، يعني: رأيته عن قريب، ومعنى طال عهده: طال زمان لقائه إياه، أي: مضى مدّة طويلة مِن وقت لقائه. والباء مِن "بالصَّقل" متعلِّق بقوله: "عهدُه".

قوله: (على القراءتين) كِلا القراءتين مِن السبعة.[٢]

قوله: (ومعنى ﴿نَزَّلَ﴾) يعني: بالتشديد.

قوله: (﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾) ابتداء تفسير لهذا اللفظ، غير متعلِّق بتفسير ﴿نَزَلَ﴾ و﴿نَزَّلَ﴾.

---

١ الصحاح للجوهري، «عهد».

٢ قرأ يعقوب وابن عامر وحمزة والكسائي وخلَف وأبو بكر بتشديد الزاي ونصب ﴿ٱلرُّوحَ﴾ و﴿ٱلْأَمِينَ﴾، وقرأ الباقون بالتخفيف ورفعهما. النشر لابن الجزري، ٢/٣٣٦.

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ﴾ إمَّا أن يَتعلَّق بـ﴿مُبِينٍ﴾ فيكُونَ المعنَى: لتَكونَ من الَّذين أَنذَرُوا بهذا اللِّسَانِ، وهم خَمسةٌ: هُودٌ وصالحٌ وشعيبٌ وإسماعيلُ ومحمَّدٌ صلوات الله عليهم.

وإمَّا أَنْ يَتعلَّق بـ﴿نَزَّلَ﴾ فيكونَ المَعنى: نزَّلَهُ باللِّسَان العربيِّ لتُنذِرَ به؛ لأنَّه لو نَزَّله باللِّسانِ الأعجميِّ لتجَافَوا عنه أَصْلًا ولَقالُوا: "ما نَصنَعُ بما لا نَفهمُه؟" فيَتعَذَّرُ الإنذارُ به.

وفي هذا الوجْه: أَنَّ تَنزِيلَهُ بالعربيَّة التي هي لِسَانُكَ ولسَانُ قومكَ تَنزيلٌ له

قوله: (وهم خمسة) أي: الذين أنذَروا باللسان العربيّ خمسة أنبياء عليهم السلام. اعلم أنّ هذا الذي ذكره المصنّف يخالف الماورديّ في كتاب أدب الدين والدنيا مِن أنّ أوّل مَن تكلّم -يعني: بعد زمان نوح- بالعربيّة إسماعيل، قال: وذلك لأنّ آدم عليه السلام كتبَ جميعَ اللغات بالطين، ثمّ طبَخ الطين حتّى صار خَزَفًا، فغرِق ذلك في طوفان نوح، فأوّل مَن اطّلع على لغة العرب بعد ذلك هو إسماعيل.[١] والله أعلم بالحقيقة مِن هذين القولين.

قوله: (هودٌ وصالح) هود وصالح عليهما السلام كانا بين نوح وإبراهيم عليهما السلام.

قوله: (وإمّا أن يتعلّق بـ﴿نَزَّلَ﴾) وإذا كان متعلِّقًا بـ﴿نَزَّلَ﴾ يكون مِن المنذِرين مطلقًا، أي: غير مقيّد بلسان.

قوله: (لأنّه لو نزّله)... إلخ، يعني: أنّ الباء إذا كان متعلِّقًا بـ"نزّله" يئول المعنى إلى: أنّه لو لم يكن منزّلًا باللسانِ[٢] العربيّ لم تكن أنتَ مِن المنذِرين، إذ[٣] كانوا يقتلونه، ولا يتوجّهون إليه، فيتعذّر عليه الإنذار. وقوله: (وفي هذا الوجه) أي: في تعلّق الباء[٤] بـ﴿نَزَّلَ﴾ معنى آخر.

---

١ انظر: أدب الدين والدنيا للماوردي، ص ١٠٧. وعزا هذا القول إلى كعب الأحبار، ثمّ ذكَر أقوالًا أخرى.

٢ في الأصول الخطّيّة: "باللساني".

٣ ف ن: إذا.

٤ ف: الياء.

على قَلبِكَ؛ لأنَّكَ تَفهَمُه وتُفهِّمُه قومَكَ، ولو كان أعجميًّا لكان نَازِلًا على سَمْعِك دونَ قلبك؛ لأنك تسْمَعُ أَجْراسَ حرُوفٍ لا تَفهَمُ مَعانيَها ولا تَعِيها، وقد يكون الرَّجلُ عارفًا بعِدَّةِ لُغَاتٍ فإذا كُلِّم بلُغتِهِ التي لُقِّنهَا أوَّلًا ونَشَأ عليها وتَطَبَّع بها لم يكُن قَلبُه إلَّا إلى مَعَاني الكلام يتَلقَّاهَا بقَلبهِ ولا يكادُ يفطُنُ للأَلْفاظ كيف جَرَتْ، وإنْ كُلِّمَ بغَير تلك اللُّغةِ وإن كانَ ماهرًا بمَعرفتهَا كان نظَرهُ أَوَّلًا في أَلْفاظِهَا ثمَّ في معَانِيها، فهذا تَقريرُ أنَّه نزَل على قلبِه لنُزولِه بلسَانٍ عرَبيٍّ مُبينٍ.

﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾

﴿وَإِنَّهُۥ﴾: وإنَّ القرآنَ -يَعْنِي: ذكرَه- مُثبَتٌ في سَائر الكُتب السَّماويَّة.

وقيل: إنَّ معَانيَه فيها، وبه يُحتَجُّ لأبي حنيفة رحمه الله في جَوازِ القراءةِ بالفارسيَّة في الصَّلاةِ على أَنَّ القرآن قُرْآنٌ إذا تُرجِمَ بغَير العَربيَّةِ حَيْثُ قيل: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ لكَوْنِ معَانيهِ فيها.

وقيل: الضميرُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك في ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾. وليس بوَاضحٍ.

قرئ: ﴿يَكُن﴾ بالتَّذكير، و﴿ءَايَةً﴾ بالنَّصب على أنَّها خَبرُه، و﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ هو الاسْمُ.

وقرئ: ﴿تَكُنْ﴾ بالتَّأنيث وجُعِلتْ ﴿آيةٌ﴾ اسمًا و﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ خبرًا، وليسَت كالأُولى؛ لِوُقوع النَّكِرةِ اسْمًا والمعرفةِ خبرًا.

قوله: (وقد يكون الرجل) عطف على قوله: (لأنّك تفهمه)... إلخ، فالحاصل: أنّه ذكر وجهين: الأوّل: أنّه لو لم يكن بلسان عربيّ لم يَفهم مِنه شيئًا أصلًا. والثاني: أنّه حينئذٍ تكون الألفاظ كالحاجز والحائل، فلا يَحصل المعنى كما ينبغي، أي: مِن غير توسّط اللفظ.

قوله: (وإن كان ماهرًا) جملة معترضة.

قوله: (والمعرفة خبرًا) فيكون مِن القلب، كقول الشاعر:

وقد خُرِّجَ لهَا وجْهٌ آخَرُ ليُتخَلَّصَ من ذلك؛ فقيل: في ﴿تَكُنْ﴾ ضميرُ القصَّةِ، و﴿آيةٌ أنْ يَعْلَمَه﴾ جُملةٌ واقِعةٌ مَوقعَ الخبَر، ويَجوزُ على هذا أن تكون ﴿لهم آيةٌ﴾ هي جُملَةُ الشَّأنِ و﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ بَدلًا عن ﴿آيةٌ﴾.

ويجُوز معَ نصْبِ الآية تأنيثُ ﴿تَكُنْ﴾ كقوله تعالى: ﴿ثم لم تَكُنْ فتنتَهم إلا أنْ قالوا﴾ [الأنعام ٦/٢٣] ومنه بيتُ لَبيدٍ:

فمضَى وقَدَّمَها وكانت عَادةً مِنه إذا هي عَرَّدَتْ إقْدَامُها

وقرِئ: "تَعْلَمَه" بالتاء.

و﴿عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: عبدُ الله بن سلام وغيرُه، ....

يكون مِزاجَها عسلٌ وماءُ[١]

أو جُوِّز ذلك في مثله؛ لأنّ تعريف المصدر وتنكيره متقاربان، وأيضًا فليس مصدرًا مضافًا صريحًا. وفيه نظر؛ لأنّه ذكَر في مواضع كثيرةٍ مِن هذا الكتاب: أنّ تعريفَه أقوى مِن المعرّف باللام.

قوله: (و﴿ءَايَةٌ أَن يَعۡلَمَهُۥ﴾)[٢] فعلى هذا يكون جملة الشأن: ﴿ءَايَةٌ أَن يَعۡلَمَهُۥ﴾.

قوله: (ويجوز على هذا) أي: على أن يجعل في ﴿تَكُن﴾ ضمير القصّة، ثمّ إنّ المصنّف أشار إلى أنّ الأوّل أولى؛ وذلك لموافقته للقراءة بالياء ونصب ﴿ءَايَةً﴾. وقوله: (و﴿أَن يَعۡلَمَهُۥ﴾ بدلًا) هذا مِن تتمّة هذا الوجه. وقوله: (ويجوز مع نصب) هذه فائدةٌ غير متعلِّقة بالقراءتين / المذكورتين. وقوله: (كقوله تعالى: [٢٢٣و]
﴿ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ [الأنعام ٦/٢٣]) والتأنيث باعتبار الخبر.

قوله: (ومِنه بيت لَبيد:

فمضى)... البيتَ[٣]

---

[١] لحسّان بن ثابت، وتمامه:

كأنّ سبيئةً مِن بيت رأسٍ
يكون مزاجَها عسلٌ وماءُ

قال الجوهري: «وإنّما نصب 'مزاجَها' على أنّه خبر 'كان'، فجعل الاسمَ نكرة والخبرَ معرفة، وإنّما جاز ذلك مِن حيث كان اسمَ جنس، ولو كان الخبر معرفة محضة لقبُح». الصحاح للجوهري، «رأس».

[٢] مبنيّ على قراءة ابن عامر: ﴿تَكُن﴾ بالتأنيث، و﴿ءَايَةٌ﴾ بالرفع. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٣٦.

[٣] ديوان لبيد بن ربيعة، ص ٣٠٦.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص ٥٣/٢٨].

فإن قلتَ: كيف خُطَّ في المصحَفِ ﴿عُلَمَـٰٓؤُا۟﴾ بواوٍ قَبل الألِف؟

قلتُ: خُطَّ على لغَةِ مَن يُميلُ الألِفَ إلى الواو، وعلى هذه اللُّغة كُتبَتِ الصَّلاةُ والزكاة والرِّبَا.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَـٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾

يقال: عرَّد، أي: انهزم وترك القصد.[١] أي: مضى العَير وقدَّم الأتان، وكانت إقدامُها -أي: إقدام الأتان- عادةً مِن العَير إذا هي عرَّدتْ، أي: تأخَّرت. و"الإقدام" ههنا بمعنى: التَّقدمة؛ ولذلك أنّث فِعلها، فقال: وكانت تَقدِمة[٢] الأتان عادةً مِن العَير، والمعنى: فمضى العَير نحو الماء، وقدَّم الأتان لئلّا تتأخَر، وكان تقدمة الأتان عادةً مِن العَير إذا تأخّرت هي، أي: إذا خاف العَير تأخُّرها، وقيل: أَنّث "كانت" لقرب "عادةً" إليه بتأويل: "مَن كانت أُمَّك".[٣] والوجه أنّ الخبر لمّا كان مؤنّثًا أنّث باعتباره كما في: "مَن كانت أُمَّك".[٤] عرَّد الرجل: فرَّ، وعرَّد، أي: جَبُن.[٥] معناه: مضى الحمار وقدّم الأتان، وكانت إقدامها عادةً مِنه تقديمُها، فأنّث "الإقدام"، وذلك باعتبار الخبر، وهو "عادةً".

قوله: (﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [القصص ٥٣/٢٨]) استشهاد.

---

١ مجمل اللغة لابن فارس، «عرد».

٢ ن: تقدِّمه.

٣ انظر: شرح شواهد الكشّاف لمحبّ الدين أفندي، ص ٢٩١.

٤ قال ابن يعيش: «قولهم -فيما حكاه يونس-: "مَن كانت أمَّك"؛ أُنِّث "كانت" حيث كان فيها ضمير "مَن" وكان مؤنّثًا؛ لأنّه هو الأمّ في المعنى. هذا إذا نصبت "أمَّك"، فإن رفعت "الأمّ" كان اسم "كان"، وكان التأنيث ظاهرًا، إذ كان الفعل مسندًا إلى مؤنّث ظاهر، وتكون "مَن" في موضع نصب خبر "كان". وعلى الوجه الأوّل تكون في موضع رفع بالابتداء». شرح المفصّل لابن يعيش، ١٤/٤. وانظر: الكتاب لسيبويه، ٥١/١.

٥ انظر: لسان العرب لابن منظور، «عرد».

"الأعجمُ": الذي لا يُفصِحُ، وفي لسَانه عُجمةٌ واستِعْجامٌ، والأعجميُّ مِثلُهُ، إلَّا أن فيه لزيادةِ ياءِ النِّسبةِ زيَادةَ تأكيدٍ.

وقَرأ الحسنُ: "الأعجمِيّينَ".

ولمَّا كان مَنْ يَتكلَّمُ بلسَانٍ غيْرِ لسَانهم لا يَفقَهُونَ كلامَهُ قالوا له: "أعجَمُ وأعجميٌّ" شَبَّهُوه بمَن لا يُفصِحُ ولا يُبِينُ، وقالوا لكلِّ ذِي صَوت من البَهائم والطُّيُور وغيرهَا: "أعجمُ"؛ قال حُميْدٌ:

ولا عَـربيًّـا شَـاقَـهُ صَـوتُ أعـجـمَـا

قوله: (الذي لا يُفصِح) أي: لا يكون بليغًا، ولا يبيِّن الكلام ولا يتكلّم بلسانٍ طَلْقٍ؛[1] بل يكون في لسانه حُبْسَة.

قوله: (ولمّا كان مَن يتكلم)[2] اعلم أنّه بيَّن أوّلًا معنى الأعجم[3] والأعجميّ بحسب الحقيقة، ثمّ ذكَر مَن يطلق عليه الأعجم[4] والأعجمي مجازًا.

قوله:

(ولا عربيًّـا شـاقَه صـوتٌ أعجَمـا)

أوّله:

وما هاج هذا الشوقَ إلّا حمامةٌ دعتْ ساقَ حُرٍّ تَرحةً وترنُّما
تغنَّت على غصنٍ عِشاءً فلم تدَع لنائحةٍ في نَوحها متلَوّما
عجبتُ لها أنَّى يكون غِناؤها فَصيحًا[5] ولم تَفْغَرْ لمَنطِقها فَما
فلم أرَ مثلي شاقَه صَوت مِثلها ولا عربيًا شاقَه صوتُ أعجما[6]

"ساقُ حرٍّ": الذكَرُ مِن الحمَام، وقيل: ذكَر القماريّ. و"المتلَوّم": اللائم. فَغَرَ فاه، أي: فتَحه. يصف الشاعر حمامة دعتْ حَمامًا بغِناء وترنُّمٍ. وإنّما قال:

---

[1] ف هامش د + رجل طَلْق اللسان، وطَلِيق اللسان، ولسانٌ طَلْقٌ ذَلْقٌ، وطَلِيقٌ ذَلِيقٌ، وطُلُقٌ ذُلُقٌ، وطُلَقٌ ذُلَقٌ؛ أربع لغات. | الصحاح للجوهري، «طلق».

[2] ف: تكلم.

[3] ن: الأعجمي.

[4] ن: للأعجم.

[5] ن: فصحًا.

[6] لحُميد بن ثور في الكامل في اللغة والأدب للمبرّد، ١٠٢٨/٣.

﴿سَلَكْنَٰهُ﴾: أَدْخلنَاهُ ومكَّنَّاهُ، والمَعنى: إنَّا أَنزلنَا هذا القرآنَ على رجُلٍ عربيٍّ بلسَان عَربيٍّ مُبينٍ، فسَمِعُوا به وفَهِمُوهُ وعَرفوا فصَاحتَه وأنّه مُعجزٌ لا يُعَارَض بكلامٍ مِثلِه، وانضمَّ إلى ذلك اتِّفاقُ عُلماء أهل الكُتُبِ المُنزَلةِ قَبله على أنَّ البشَارةَ بإنزالِهِ وتَحْليةَ المُنزَلِ عليه وصِفَتَهُ في كتُبهم وقد تَضمَّنت معَانِيَهُ وقِصَصَهُ، وصَحَّ بذلك أنّها من عند الله وليست بأسَاطِيرَ كما زعَمُوا- فَلم يُؤمِنُوا به وجَحَدُوه وسَمَّوهُ شِعرًا تارةً وسحرًا أُخرَى، وقالوا: هو مِن تَلفِيقِ محمَّدٍ وافتِرائهِ ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ﴾ الأعَاجِم الَّذي لا يُحسِنُ العربيَّة فضْلًا أن يَقْدِر عَلى نَظم مِثله ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم﴾ هكذَا فصيحًا مُعجِزًا متَحدًّى بهِ، لكَفرُوا به كمَا كَفرُوا، ولتَمحَّلُوا لِجُحودِهم عُذْرًا، ولَسمَّوهُ سِحرًا، ثمَّ قال: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ﴾؛ أي: مِثلَ هذا السَّلكِ سَلكنَاهُ في قلُوبِهم وهكذا مكنَّاه وقرَّرناه فيها،

"لم تَفْغَر"؛ لأنّ تغنّيَها يكون في صدرها مِن غير فتح الفَم، والترَح: ضد الفرَح.[١]

قوله: ﴿سَلَكْنَٰهُ﴾ أي: القرآن. وقوله: (والمعنى) أي: مِن قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلى هذا الموضع.

قوله: (وتحليةَ المُنزَلِ عليه) يقال: حلَّيت الرجلَ تَحليةً: وصفتُ حِليَتَه.[٢]

قوله: (ولو نزّلناه على بعضِ الأعاجم) يعني: يقولون: اختلقه محمَّد مِن تلقاء نفسه لفصاحته، فقال تعالى مخبرًا عن عنادهم: لو نزّلناه على رجل مِن الأعجَمين وقرأه عليهم ما آمنوا به. ثمّ ذكر سبب تركهم الإيمان، فقال: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ﴾.

قوله: (أي: مثل هذا السَّلك) يجوز أن يكون المراد به أنّ قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى معنى ﴿مَا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾؛ لأنّ معنى ﴿مَا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾: أنّا سلكناه في قلوبهم على صِفة الكفر والتكذيب. ويجوز أن يكون مراده: أنّ "ذلك" إشارة إلى مبهمٍ تفسيرُه قوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر ١٥/٦٦].

---

[١] انظر: شرح شواهد الكشّاف لمحبّ الدين أفندي، ص ٢٩٢.

[٢] الصحاح للجوهري، «حلي».

وعلى مِثل هذه الحال وهذه الصِّفة من الكُفرِ به والتكذيبِ لهُ وَضَعْناهُ فيهَا، فكيفَ ما فُعِل بهم وَصُنِعَ وعلى أيِّ وَجْهٍ دُبِّر أَمرُهُم فلا سبيل إلى أن يَتَغيَّرُوا عمَّا هم عَليه من جُحُودِه وإنكارِه؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام ٧/٦].

فإن قلتَ: كيف أَسْنَد السَّلْكَ بصِفَةِ التكذيبِ إلى ذاتِه؟

قُلتُ: أرَاد بهِ الدَّلالَة على تمَكُّنِه مكَذَّبًا في قلُوبهم أَشَدَّ التمكُّنِ وأَثبتَهُ، فجَعَله بمَنزلةِ أَمْرٍ قَد جُبِلُوا عَليه وفُطِرُوا، أَلَا ترى إلى قولهم: "هو مجبُولٌ على الشُّحِّ"، يُرِيدُونَ تمَكُّنَ الشُّحِّ فيه؛ لأنَّ الأمُورَ الخَلقيَّة أَثبَتُ من العَارضَةِ، والدَّليلُ عليه أنّه أَسنَد تَركَ الإيمانِ به إليهم على عقِبهِ، وهو قَولُه: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾.

فإن قلتَ: ما مَوقعُ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ من قَوله: ﴿سَلَكْنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾؟

[٢٢٣ظ] قوله: (فإن قلتَ: كيف أَسنَد)... إلخ؟ / هذا السؤال والجواب بناءً على مذهبه، وأمّا عند أهل السنّة، فهؤلاء الكفّار مجبولون على ذلك الكفر حقيقةً، والسَّلك بصفة التكذيب مستند إلى ذاته تعالى حقيقةً، وكذلك المثال الذي أورده، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [النساء ١٢٨/٤]؟

قوله: (لأنّ الأمور الخَلقيّة) متعلّق بقوله: (فجعله) مِن حيث المعنى، فكأنّه قال: أراد الدلالة على تمكّنه في قلوبهم مكذَّبًا، فجعل كونه مكذَّبًا في قلوبهم كالأمر الجِبليّ الذي خُلقوا عليه، فدلّ ذلك على تمكّنه في قلوبهم؛ لأنّ الأمور الخَلقيّة الجِبِلّيّة تكون أثبت مِن الأمور العارضة. وقوله: (مِن العارضة) أي: مِن الأمور العارضة.

قوله: (والدليل عليه) أي: والدليل على أنّه أُريد تمكّنه في قلوبهم -لا أنّهم خُلقوا على ذلك، ولا أنّ الله تعالى جعل ذلك في قلوبهم-: أنّ الله تعالى أسنَد ترك الإيمان إليهم، فعُلِم أنّ ذلك فِعلُهم لا فِعلُ الله تعالى بالحقيقة، وهذا مذهب المعتزلة.

قلتُ: مَوقعُه منه مَوقعُ المُوضِح وَالمُلخِّص؛ لأنَّه مَسُوقٌ لثَباتِه مكذَّبًا مجحُودًا في قلُوبهم، فأُتبعَ ما يُقَرِّرُ هذا المَعنى من أنَّهم لا يَزالُونَ على التكذيب به وجحُوده حَتَّى يُعَايِنُوا الوَعيد.

ويجوز أن يكُونَ حَالًا؛ أي: سَلكنَاه فيها غيرَ مُؤمَنٍ به.

وقرأ الحسنُ رحمه الله: "فتأتِيَهم" بالتاء يَعني: السَّاعةَ، و: "بَغَتَةً" بالتحريك.

وفي حَرفِ أُبيٍّ: "وَيَرَوْهُ بَغْتَةً".

فإن قلتَ: ما مَعنى التَّعقِيبِ في قوله: ﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً... فَيَقُولُواْ﴾؟

قلتُ: ليس المَعنى تَرادُفَ رُؤيةِ العذاب ومُفاجَأتَه وسُؤالَ النَّظِرة فيه في الوجُود، ....

قوله: (لأنَّه مَسوق لثباته) أي: لثبات القرآن.

قوله: (فأُتبِع) أي: فأُتبِع[1] قولُه: ﴿سَلَكْنَٰهُ﴾. قوله: (ما يُقرّر)[2] أي: قولَه: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾، يعني: أتى بقوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ عقيب قوله: ﴿سَلَكْنَٰهُ﴾؛ ليقرّر[3] معناه. وقوله: (مِن أنَّهم) بيان "ما".

قوله: (وفي حرفِ أُبيّ) أي: في قراءته، والحَرْف: الطَّرَف، ومِنه الانحراف والتَّحرُّف؛ المَيل إلى الحَرْف، قال تعالى: ﴿مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ [الأنفال ١٦/٨]، أي: مائلًا له، وأن يصير بحَرفٍ لأجله، وقوله عليه الصلاة والسلام: «نزَل القرآن على سبعة أحرف»،[4] يعني: وجوه القراءة[5] التي اختارَها القرّاء، ومِنه: فلان يقرأ بحرف ابن مسعود وحرف أُبيّ رضي الله عنهما.[6]

قوله: (فإن قلتَ: ما معنى التعقيب؟) حاصل السؤال: هو السؤال عن التعقيب في الفاءَين، وعمّا يلزم مِن ترتّب ثلاثة أمور.

---

[1] ن - أي: فأُتبع.
[2] ن: ما يقرب.
[3] ف ن: ليقرب.
[4] صحيح البخاري، ١٢٢/٣ (٢٤١٩)؛ صحيح مسلم، ٥٦٠/١ (٨١٨).
[5] ن: القرآن.
[6] انظر: المُغرب للمطرّزي، «حرف».

وإنَّما المَعنَى تَرتُّبها في الشِّدَّة كأنَّه قيل: لا يُؤمِنُونَ بالقرآن حَتَّى تكُونَ رُؤيتُهم لِلْعَذابِ، فما هو أشدُّ منها وهو لُحوقُه بهم مُفَاجَأةً، فما هو أشَدُّ منه وهو سُؤالُهم النَّظِرةَ، ومثالُ ذلك أن تقولَ لمَن تَعِظُه: "إنْ أَسَأتَ مَقَتَكَ الصَّالحُونَ، فَمقتَكَ اللهُ" فإنَّكَ لا تقصِدُ بهذا التَّرتيب أنَّ مقْتَ اللهِ يُوجَد عَقيبَ مَقْت الصَّالِحين، وإنَّما قَصْدُك إلى تَرتيب شدَّة الأمْر على المُسِيء، وأنَّه يَحصُل له بسَبب الإساءةِ مَقْتُ الصَّالِحين، فما هو أشَدُّ من مَقْتِهم وهو مَقتُ الله، وتَرى "ثُمَّ" يَقع في هذا الأُسلُوبِ فيَجِلُّ مَوقعُه.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ تبكِيتٌ لهم بإنكارٍ وتهَكُّمٍ، ومعناه: كَيف يَستعجِلُ العَذابَ مَن هو مُعَرَّضٌ لعَذابٍ يَسْأَلُ فيه من جِنسِ ....

قوله: (وإنّما المعنى: تَرتّبها) أي: ترتّب الرؤية والمفاجأة والسؤال. يريد بـ"الرؤية": قوله تعالى: ﴿يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾، وبـ"المفاجأة":[1] قوله تعالى: ﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾، وبـ"سؤال النَّظِرة": ﴿هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾. وقوله: (النَّظِرة) أي: الإمهال.

قوله: (وترى ﴿ثُمَّ﴾) أي: وأنت ترى لفظة ﴿ثُمَّ﴾ تقَع في هذا الموضع فَيَجِلّ موضعه؛ لأنّ "ثمّ" يدلّ مع الترتب على التراخي، فيكون دلالته على الشدّة أقوى مِن دلالة الفاء عليها.

قوله: (تبكيت) التبكيت: كالتقريع والتعنيف، وبكّته بالحجّة، أي: ألزمه.[2]

قوله: (مُعرَّض) التعريض للشيء: النَّصب له.

قوله: (طَرْفةَ عين) مفعول به لقوله: (يسأل)، أي: يسأل قدرَ طرفةِ عينٍ مِن جنس النَّظِرة والإمهال. وقوله: (مِن جنس) حال مِن "طَرْفة".

---

[1] ن - والسؤال. يريد بـ"الرؤية": قوله تعالى: ﴿يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾، وبـ"المفاجأة".

[2] الصحاح للجوهري، «بكت»، لكن فيه: "بَكَّتَهُ بالحجّة، أي: غلبه".

ما هو فيه اليَومَ من النَّظِرة والإمهَالِ طَرْفَةَ عَينٍ فلا يجَابُ إليها؟

ويحتمل أَن يكونَ هذا حِكايةَ تَوبيخٍ يُوبَّخُونَ به عِند استِنظَارِهم يومئذٍ، و﴿يَسْتَعْجِلُونَ﴾ على هذا الوجه حِكايةُ حالٍ ماضيةٍ.

ووجهٌ آخرُ مُتَّصلٌ بِمَا بَعدَه: وذلك أَنَّ استعجَالَهُم بالعَذاب إنَّما كان لاعتِقادِهم أَنَّه غيرُ كائنٍ ولا لاحِقٍ بهِمْ، وأَنَّهم مُمتَّعُونَ بأعمَارٍ طوالٍ في سَلامةٍ وأَمْنٍ، فقَال عزَّ وعَلا: أَفَبعَذابنَا يَستعجلُونَ أَشَرًا وبَطَرًا واستهزاءً واتِّكالًا على الأَملِ الطَّويل، ثمَّ قال: هَبْ أَنَّ الأَمْرَ كمَا يَعتقِدُونَ من تمتيعِهِمْ وتَعميرِهم، فإذا لَحِقَهُم الوعيدُ بَعد ذلك ما يَنفعُهُم حينئذٍ ما مضَى من طُولِ أَعمَارهم وطِيبِ معَايِشِهم؟

وعن ميمونَ بن مِهْرَانَ: أَنَّه لقيَ الحسنَ في الطَّواف وكانَ يتَمنَّى لِقَاءه، فقَال له: عِظْني، فلم يَزِدْه عَلى تِلاوةِ هذه الآية، فقال مَيمُون: لقد وعَظْتَ فَأَبلغْتَ.

وقرئَ: "يُمْتَعُونَ" بالتخفيف.

قوله: (مِن النَّظِرة والإمهال) بيان "ما" في قوله: (ما هو فيه).

قوله: (متَّصلٌ بما بعده) إنّما قال: "متّصل بما بعدَه"؛ لأنّ التفسيرين الأوَّلين كان على اتّصاله بما قبله، وهو قوله تعالى: ﴿فَيَقُولُواْ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾. ثمّ اعلم أنّه على الوجه الثاني -وهو أن يكون حكاية توبيخ- يكون المعنى: أنّهم يقال عند التوبيخ: أيقولون: هل نحن مُنظَرون؟ بعدما كانوا / بعذابنا يستعجلون؟ [٢٢٤و]
تأمّل، فإنّه دقيق، به يُعرف معنَى الفاء.

قوله: (أنّ الأمر)... إلخ، قائم مقام مفعولَي "هَبْ"، تقول: هبْ زيدًا منطلِقًا، بمعنى: احسِبْ، يتعدّى إلى مفعولين، ولا يستعمل مِنه ماضٍ ولا مستقبلٌ في هذا المعنى.

قوله: (فإذا لحِقهم[١] الوعيد) يريد بـ"الوعيد": ما أُوعِدوا به، وهو العذاب.

قوله: (إمّا لأنّ "أنذَر" و"ذكَّر") فيكون نصبًا على المصدر.

---

[١] ن: لجقهم.

﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾

﴿مُنذِرُونَ﴾: رُسُلٌ يُنذِرُونهم.

﴿ذِكۡرَىٰ﴾ منصوبةٌ بمَعنى: تذكرةً، إمَّا لأنَّ "أنذَرَ" و"ذَكَّر" مُتقارِبَانِ؛ فكأنَّه قِيل: مُذكِّرونَ تذكرةً، وإمَّا لأنَّها حَال من الضَّمير في ﴿مُنذِرُونَ﴾؛ أي: يُنذِرُونهم ذوِي تَذكرةٍ، وإمَّا لأنَّها مَفعُولٌ له على مَعنَى: أنَّهم يُنذِرُونَ لأجل المَوعظةِ والتَّذكرة.

أو مَرفوعَةٌ على أنهَا خبَرُ مُبتَدإٍ مَحذُوفٍ بمَعنى: هذه ذكرَى، والجُملةُ اعتراضيَّةٌ، أو صِفَةٌ بمَعنى: مُنذِرُونَ ذَوُو ذِكرَى، أو جُعِلُوا ذِكرَى لإمعَانِهم في التَّذكِرة وإطنَابِهم فيها.

ووَجهٌ آخَرُ: وهُو أن تكُونَ ﴿ذِكۡرَىٰ﴾ مُتعَلِّقةً بـ﴿أَهۡلَكۡنَا﴾ مفعُولًا له، والمعْنَى: وما أهْلكنا مِن أهْلِ قريَةٍ ظَالِمينَ إلَّا بَعْدَما أَلْزمنَاهُم الحجَّةَ بإرْسَال المُنذِرِينَ إلَيْهم ليَكُون إهْلاكهُم تَذكرةً وعِبْرةً لغَيْرهم فَلا يَعْصُوا مِثلَ عصْيَانِهم، وما كُنَّا ظَالمينَ فنُهلِكَ قَومًا غيرَ ظَالمينَ، وهذا الوجهُ عليه المُعوَّلُ.

فإن قلتَ: كيفَ عُزِلَت الواوُ عن الجُملة بعْد ﴿إِلَّا﴾ ولم تُعزَلْ عنها في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعۡلُومٌ﴾ [الحجر ١٥/٤]؟

قلتُ: الأَصلُ عَزلُ الواو لِأن الجُملةَ صِفَةٌ لـ﴿قَرۡيَةٍ﴾ وإذا زِيدَتْ فلتَأكيدِ وَصْلِ الصِّفَةِ بالمَوصُوف كما في قوله: ﴿سَبۡعَةٌ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾ [الكهف ١٨/٢٢].

﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾

كانوا يقولونَ: إنَّ محمَّدًا كاهِنٌ، وما يتنزَّلُ عَليه من جِنْسِ ما تَتنزَّلُ به

قوله: (ووجه آخر)... إلخ، حاصل الوجه الأخير: أنّ النفي لمّا صار منتقِضًا بـ"إلّا"، وكان المراد بـ"القرية": القرية الظالمة؛[1] آلَ المعنى إلى قولك: أهلكنا القرية الظالمة بعد إلزام الحجّة؛ ليكون إهلاكهم تذكرةً لغيرهم.

---

[1] ن: الصالمة.

الشياطينُ على الكهَنة، فكُذِّبُوا بأنَّ ذلك ممَّا لا يَتَسهَّلُ للشَّياطين ولا يَقدِرُون عليه؛ لأنَّهم مرجُومُون بالشُّهُبِ مَعزُولون عن استماع كلام أَهْلِ السماء.

وقرأ الحسن: "الشَّياطُونَ"، ووَجْهُه: أَنَّه رَأَى آخِرَه كآخِرِ يَبْرِينَ وفِلَسْطِينَ، فتَخيَّر بين أن يُجْرِيَ الإعرابَ على النُّون وبَين أن يُجْرِيَه على ما قَبله فيقولَ: الشَّياطينُ والشَّيَاطُونَ، كما تخَيَّرتِ العربُ بَين أن يقولوا هذه يَبرُونَ ويَبْرِينُ وفِلَسطُونَ وفِلسطينُ.

وحقُّه أن تشتقَّهُ من الشَّيطُوطَةِ وهي الهلاك كما قِيل له: البَاطِلُ، وعن الفرَّاء رحمه الله: غَلِطَ الشَّيخُ في قراءتِهِ "الشَّياطُون" ظَنَّ أَنَّها النُّونُ التي على هجَاءَيْنِ.

فقال النَّضْر بنُ شُمَيلٍ: إن جاز أَن يُحتجَّ بقَولِ العجَّاج ورُؤبةَ فهَلَّا جاز أَن يُحتجَّ بقول الحَسَن وصاحِبِهِ -يُريد: محمَّدَ بنَ السَّمَيْفَع- مع أنَّا نَعْلمُ أَنَّهما لم يَقْرأا به إِلَّا وقَد سَمِعَا فيه.

قوله: (لا يتسهَّل) فسَّر المصنِّف قوله تعالى: ﴿مَايَنۢبَغِى﴾ بقوله: "لا يتسهَّل"؛ وذلك لأنَّ[١] "ينبغي" مطاوع "يبغي"، يقال: بَغَيته فانبغى، أي: طلبته فانطلب، أي: فحصَل المطلوب. قال في المُغرب: «بغيته: طلبته، بُغاءً بالضمّ، وهذه بِغيَتي، أي: مطلوبي».[٢]

قوله: (يَبْرين) "يَبْرين": موضع، يقال له: رمل يَبْرين.

قوله: (وبين أن يُجريَه) لو لم يكرِّر المصنِّف "بين" -وقال: وأن يُجريَه- لكان أولى؛ لأنَّ "بين" يقتضي تعدّد[٣] المضاف إليه، نحو: المال بين زيد وعمرو، وأمّا قولهم: المال بينَك وبينَ زيد؛ فلامتناع العطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجارّ.

قوله: (على الهجاءَين) أهل الكوفة يسمُّون جمع السلامة: الجَمع على الهجاءَين، أي: الحرفين؛ الواو رفعًا، والياء نصبًا وجرًّا.[٤]

---

١ ن: لا.

٢ المُغرب للمطرّزي، «بغي».

٣ ن: بعده.

٤ ن – أي: الحرفين؛ الواو رفعًا، والياء نصبًا وجرًّا. | انظر: شرح المفصّل لابن يعيش، ٢/٥.

﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ٢١٣﴾

قد عَلم أنَّ ذلك لا يكُونُ، ولكنَّه أرَاد أن يُحرِّك منه لازدياد الإخْلاصِ والتَّقوى، وفيه لُطفٌ لسائر المكلَّفين؛ كما قال: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ﴾ [الحاقة ٦٩/٤٤]، ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [يونس ١٠/٩٤].

﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾

فيه وجهان:

أحَدهما: أنْ يُؤمرَ بإنْذار الأقْربِ فالأقْرَبِ من قومه، ويَبْدَأَ في ذلك بمَن هو أَوْلَى بالبُدَاءة ثمَّ بمَن يَليهِ، وأن يُقدِّم إنذَارَهم على إنْذارِ غَيْرهم؛ كما رُوي عنه صلى الله عليه وسلم أنه لمَّا دخَل مكَّةَ قال: «كُلُّ ربًا فِي الجَاهِليةِ مَوْضوعٌ تَحتَ قدَميَّ هَاتَيْنِ وَأَوَّلُ ما أَضَعُهُ ربَا العبَّاس».

والثاني: أنْ يُؤمَرَ بأنْ لا يَأخُذَه ما يأخذُ القريبَ للقَريب من العَطف والرَّأفَةِ، ولا يُحَابِيَهُم في الإِنذار والتَّخويف.

قوله: (قد علم) أي: قد علم الله تعالى.

قوله: (كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ﴾ [الحاقة ٦٩/٤٤]) ﴿لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ۝ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ﴾ [الحاقة ٦٩/٤٥-٤٦].

قوله تعالى: (﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ﴾) ﴿فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَ﴾ [يونس ١٠/٩٤].

قوله: («موضوع[1] تحتَ قدميَّ»)[2] معناه: إنِّي لا أواخذهم بذلك، ولا أطلبهم به؛ بل أتجاوز عن ذلك.

قوله: (ولا يُحابيهم) أي: لا يُساهلهم، هو مِن قولهم: حَبوْتُه حَبوًا، أي: أعطيته، ومِنه المُحاباة.

---

[1] ن: موضع.

[2] صحيح مسلم، ٨٨٦/٢ (١٢١٨).

ورُوي: أنَّه صَعِد الصَّفا لمَّا نزلَتْ فنَادى الأَقْربَ فالأقربَ فخِذًا فَخِذًا وقال: «يا بَنِي عبد المطَّلب، يا بني هَاشم، يا بني عبْد مَنافٍ، يا عبَّاسُ عَمَّ النبي، يا صَفيَّةُ عمَّةَ رسول الله، إنِّي لا أَملِكُ لكم مِن الله شيئًا، سَلُوني مِن مالِي مَا شئتُم».

ورُوي أنه جمعَ بني عَبد المطلب وهم يومئذٍ أربعون رجُلًا -الرَّجلُ منهم يأكلُ الجَذَعة ويشرَبُ العُسَّ- على رِجْلِ شَاةٍ وَقَعْبٍ من لَبَنٍ، فَأَكَلُوا وشَرِبُوا حَتَّى صَدَرُوا، ثم أَنذرهُم فقَال: «يا بنِي عبد المُطَّلب لَو أَخبَرْتُكم أنَّ بسَفْح هذا الجبَلِ خَيْلًا أَكُنتُم مُصَدِّقيَّ؟» قالوا: نَعم، قال: «فإنِّي نذيرٌ لكم بَينَ يدَي عَذابٍ شَديدٍ».

ورُويَ أنَّه قال: «يا بَني عَبْدِ المطلب، يا بني هاشمٍ، يا بني عبْدِ منافٍ، افتَدُوا أنفسَكم من النَّار فإنِّي لا أُغنِي عَنكم شيئًا» ثمَّ قال: «يا عائشةُ بنتَ أبي بكر، ويا حَفْصةُ بنتَ عُمَرَ، ويَا فاطِمةُ بنتَ محمَّدٍ، ويا صفيةُ عمَّةَ محمَّد اشتَرِينَ أَنفُسَكُنَّ من النَّار فإنِّي لا أُغنِي عَنكُنَّ شَيئًا».

﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥﴾

قوله: (فخِذًا فخِذًا) الفخِذ في العشائر: أقلُّ مِن البَطن. أوّلها الشَّعْب، ثمَ القبيلة، ثمَ الفَصيلة،[١] ثمَ العَمارة، ثمَ البَطْن، ثمَ الفَخِذُ.[٢]

قوله: («إنِّي لا أملك لكم مِن الله شيئًا»)[٣] أي: لا أملك لكم شيئًا مِن عذاب الله تعالى، أو مِن حكم الله تعالى، يعني: لا أقْدر على دَفع ذلك مِنكم.

قوله: (يأكل الجَذْعة) أي: مِن الضأن. وقوله: (العُسَّ) العُسُّ: القدَح العظيم.

قوله: (على رِجْل شاة)[٤] أي: جمَع بني عبد المطلب على رِجْل شاة وقَعْبٍ مضيفًا. وقوله: (وقَعْبٍ) أي: قدَح مِن الخشب.

---

١ ف: الفضيلة.

٢ الصحاح للجوهري، «فخذ».

٣ انظر: صحيح مسلم، ١٩٢/١ (٢٠٤) (٢٠٥).

٤ انظر أوّل الحديث في مسند البزار، ١٠٥/٢ (٤٥٦)، وآخرَه في صحيح مسلم، ١٩٢/١ (٢٠٤) (٢٠٥).

الطَّائرُ إذا أرادَ أَن ينحطَّ للوُقوع كسَر جَناحَه وخَفَضَه، وإذا أراد أن ينهَض للطَّيرانِ رَفَع جَناحه، فجُعل خَفْضُ جَناحِه عند الانحطَاطِ مَثَلًا في التَّواضُع ولِينِ الجَانبِ، ومنه قولُ بَعْضهم:

وأنت الشَّهيرُ بِخَفْض الجَناحِ فَلا تكُ في رَفْعِهِ أَجْدَلَا

يَنهَاهُ عَن التكبُّر بَعد التَّواضُع.

فإن قلتَ: المُتَّبعونَ للرَّسول هُم المؤمنون، والمؤمنونَ هم المتَّبِعُون للرَّسُول، فما مَعْنى قوله: ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؟

قوله:

(وأنت الشهير)... البيت[١]

"الأجدل": طيرٌ مِن الجوارح. أي: أنت المشهور بالتواضع، فلا تتكبَّر.

قوله: (فإن قلتَ: المتّبعون)... إلخ، وجه السؤال: أنّ المؤمنين والمتّبعين للنبيّ عليه الصلاة والسلام بمعنًى واحد؛ لأنّ مَن كان تابعًا للنبيّ عليه الصلاة والسلام فهو مؤمن، ومَن كان مؤمنًا فهو تابع للنبيّ عليه الصلاة والسلام.

[٢٢٤ظ] وإذا كانا / بمعنى واحدٍ فما معنى قوله تعالى: ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؟ فإنّه يدلّ على المغايرة بينهما. فأجاب: بمعنى[٢] أنّ المتّبعين[٣] والمؤمنين بمعنى واحد. وبيانه مِن وجهين: الأوّل: أنّ المراد بـ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ هم الذين شارفوا الإيمان وقربوا مِنه، وهم بصدد الإيمان، فسمّاهم الله تعالى باعتبار ما يئول إليه أمرهم: "مؤمنين"، والمراد بـ"المتّبعين": هم الذين أحدثوا الإيمان وباشروه. والوجه الثاني: أنّ المراد بـ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: هم الذين أظهروا الإيمان، وتلفّظوا بكلمة الشهادة، سواء وافق سرُّهم علنَهم وقولُهم فعلَهم أو لم يوافق، والمراد بـ"المتّبعين": هم الذين أظهروا الإيمان ووافق سرُّهم علنَهم وقولُهم فعلَهم.

---

١ لم أجده فيما رجعت إليه مِن مصادر الشعر، ولعلّه من نظم الزمخشري، وقد سبق من قول الجاربردي: أنّ طريقة الزمخشري في هذا الكتاب أنّ كلّ موضع أورد بيتًا قال فيه: "ولبعضهم" أراد به نفسه.

٢ ف ن: بمنع.

٣ ن: المعبعين.

قلتُ: فيه وجهان:

أن يُسمِّيَهم قبل الدُّخول في الإيمان مُؤمنينَ لمُشارَفتهم ذلك.

وأَن يُريدَ بالمؤمنين: المُصَدِّقِين بألسنتِهم، وهم صنفان: صِنفٌ صَدَّقَ واتَّبعَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به، وصنفٌ ما وُجِد منه إلَّا التَّصديقُ فحَسْبُ، ثمَّ إمَّا أن يكونوا منَافقين أو فاسِقين، والمنافقُ والفاسقُ لا يُخفَضُ لهُما الجناحُ.

والمَعنى: من المؤمنين من عَشِيرتِكَ وغيْرِهم، يعني: أَنذِرْ قومَك، فإن اتَّبعُوكَ وأطَاعوك فاخفِضْ لهم جَناحَك، فإن عصَوك ولم يتَّبعُوك فتبرَّأْ مِنهم ومِن أعمَالهم مِن الشِّرك بالله وغيْرِه.

﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾﴾

﴿وَتَوَكَّلْ﴾ على الله يَكفِك شَرَّ مَن يعصيكَ مِنهم ومِن غيرهم.

و"التوكُّلُ": تفويضُ الرَّجلِ أمْرَهُ إلى مَن يَملك أمرَه ويَقْدِرُ على نفْعِه وضرِّه.

وقالوا: المتوكِّلُ مَن إنْ دَهَمهُ أمرٌ لم يُحَاوِلْ دفعَه عن نفسِه بما هو معصِيةٌ لله تعالى، فعَلى هذا إذا وَقع الإنسانُ في محنَةٍ ثم سَأل غيرَه خلاصَه لم يخرُجْ مِن حَدِّ التَّوكُّلِ؛ لأنَّه لم يُحاوِل دفعَ ما نزل به عَن نفسِه بمَعصية الله.

وفي مصَاحِف أهْلِ المَدينة والشام: ﴿فَتَوَكَّلْ﴾ وبه قَرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ، وله مَحملانِ في العَطفِ: أَن يُعطَف على ﴿فَقُلْ﴾، أَو: ﴿فَلَا تَدْعُ﴾.

﴿عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾: على الذي يَقهَرُ أَعْداءكَ بعِزَّته، ويَنصُرُك عليهم برحمته.

قوله: (مؤمنين لمشارفتهم) فيكون جميعهم مسمَّيْنَ[1] بـ"المؤمنين" باعتبار ما يئول إليه، فمَن تَبِعه مِنهم يَخفض لهم الجناح، ومَن لم يتبعه لا يَخفض لهم الجناح، فالمراد بـ"المتَّبعين" الذين دخلوا في الإيمان، وأمّا "المؤمن" فيكون مطلَقًا على مَن شارف الإيمان وإن لم يدخل فيه.

---

[1] ف: يُسمَّين.

﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾

ثم أَتْبَعَ كونَه رحيمًا على رسُولِهِ ما هو من أسبابِ الرَّحمة، وهو ذِكرُ ما كان يَفعلُه في جَوف الليل: من قيَامِه للتَّهجُّدِ، وتَقَلُّبِه في تصَفُّحِ أَحوال المتهَجِّدِين من أصحابه ليَطَّلِع عليهم من حيث لا يَشعُرونَ، ويَستبطِنَ سِرَّ أَمْرِهم وكيف يَعبُدون الله وكيف يَعملُون لآخِرَتهم؛ كما يُحْكَى أنّه حينَ نُسِخَ فَرْضُ قيَام الليلِ طافَ تلك الليلةَ ببيُوتِ أصحابه ليَنظرَ ما يَصْنَعون؛ لِحرْصِه عليهم وعلى ما يُوجَد منهم من فعل الطاعاتِ وتكثِيرِ الحسنَاتِ، فوَجدَها كبيُوت الزَّنابير لِمَا سَمِع منها من دَندَنتِهِمْ بذكرِ الله والتِّلاوة، والمرادُ بـ﴿ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: المصَلُّونَ.

وقيل: معناه: ﴿يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ للصَّلاة بالنَّاس جَماعةً، وتَقَلُّبه ﴿فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: تَصرُّفهُ فيمَا بينَهم بقيَامِه وركُوعِه وَسجُوده وقعُودِه إذا أمَّهُم.

وعن مُقَاتلٍ: أنّه سأل أبا حنيفة رحمه الله: هل تَجِدُ الصَّلاةَ في الجماعة في القرآن؟ فقَال: لا يَحْضُرنِي، فتَلَا له هذه الآيةَ.

قوله: (وكيف يعملون)؟ عطف على (سرّ أمرهم)؛ لأنّ في الاستبطان معنى العِلم، فكأنّه قيل: يعلَم كيف يعبدون، والاستبطان: استعلام باطن الشيء، يقال: بَطَنْتُ هذا الأمر، أي: عرفتُ بطنه،[1] ومِنه: الباطن في صفة الله تعالى.[2]

قوله: (مِنها مِن دَندنتهم) "مِن" في "مِنها" للابتداء، وفي "مِن دَندنتهم" للبيان. والدَّندَنة: التكلّم بكلام يُسمع نغمةً ولا يُفهم، قال في الصِّحاح: «الدَّندَنة: أن تَسمع مِن الرجل نغمةً ولا تفهم ما يقوله. والدِّندِن -بالكسر-: ما اسودّ مِن النبات لقِدَمه، قال حسّان بن ثابت:

كالسَّيل يغشى أصول الدِّندِن البالي»[3]

قوله: (فتلا) أي: فقرأ مقاتل هذه الآية.

---

١ في الصحاح: "عرفت باطنه".

٢ الصحاح للجوهري، «بطن».

٣ الصحاح للجوهري، «دنن». والبيت في ديوان حسان بن ثابت، ص ٣١٤، وتمامه:

والمالُ يغشى أناسًا لا طَباخ لهم
كالسَّيل يغشى أصول الدِّندِن البالي

ويحتمِلُ أنَّه: لا يَخْفى عليه حَالُك كُلَّما قُمتَ وتَقَلَّبْتَ معَ السَّاجِدين في كفَاية أمُورِ الدِّين ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِمَا تقُوله ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما تَنوِيه وتعمَلُه.

وقيل: هُو تَقَلُّبُ بَصَره فيمَن يُصَلِّي خلفَه، من قوله عليه السلام: «أَتِمُّوا الركُوعَ والسُّجُودَ فوَالله إِنِّي لَأَرَاكُم من خلف ظَهْرِي إذا ركَعتُم وسَجَدتُم».

وقرئ: "ويُقلِّبُك".

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾

﴿كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾: هُم الكهَنةُ والمُتَنبِّئةُ كَشِقٍّ وسَطِيحٍ ومُسَيلمةَ وطُلَيحَةَ.

﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾: هم الشياطينُ، كانوا قَبل أن يُحجَبُوا بالرَّجم يَسَّمَّعُونَ إلى المَلأ الأَعلى فيَختطِفُون بعضَ ما يتكَلَّمونَ به ممَّا أُطلِعُوا عليه من الغيُوب، ثم يُوحُون به إلى أوليَائهم من أُولئك.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ فيما يُوحُونَ به إليهم؛ لأنَّهم يُسْمِعُونَهم ما لم يَسْمَعُوا.

وقيل: ﴿يُلْقُونَ﴾ إلى أولِيَائهِم ﴿ٱلسَّمْعَ﴾؛ أي: المسمُوعَ من المَلائكة.

وقيل: الأفَّاكُونَ يُلْقُون السَّمع إلى الشَّياطِين فيتَلقَّونَ وَحْيَهُم إلَيهم، ....

قوله: (كشِقٍّ)... إلخ، فيه لفّ ونشر، "شِقّ" و"سَطيح" اسم كاهنين، ومسيلِمة وطُليحة مُتنبِّئان.[1]

قوله: (يسَّمَّعون) أصله: يتسمَّعون، فأدغم التاء في السين.

قوله: (مِن أولئك) أي: الكهنة. وقوله: (إليهم) أي: الكهنة.

قوله: (لأنَّهم يُسمِعونهم) أي: يُسمِعون الكهنة.

قوله: (وقيل: الأفاكون)... إلخ، الحاصل: أنّ الضمير في ﴿يُلْقُونَ﴾؛ إمّا لـ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ﴾، وإمّا لـ﴿كُلِّ أَفَّاكٍ﴾، وعلى التقديرين فالمراد بـ﴿ٱلسَّمْعَ﴾: إمّا المسموع

[1] في الأصول الخطّيّة: "متنبئتان" بالتأنيث.

أَو يُلقُونَ المَسمُوع من الشياطين إلى الناس، وأكثرُ الأفَّاكين كاذِبُون يَفتَرُون على الشياطين ما لم يُوحُوا إليهم، وتَرى أكثَرَ ما يَحكُمونَ به باطلًا وزُورًا.

وفي الحَدِيث: «الكلِمةُ يخطَفُها الجِنيُّ فَيَقُرُّهَا في أُذنِ وَلِيِّهِ، فيَزِيدُ فيها أكثَر من مئة كَذبةٍ»، والقَرُّ: الصَّبُّ.

فإن قلتَ: كيف دخل حرفُ الجرِّ على ﴿مَن﴾ المتضمِّنةِ لمعنى الاستفهامِ، والاستفهامُ له صدرُ الكلام، ألا ترى إلى قولك: "أَعَلى زيدٍ مررتَ"؟ ولا تقول: "عَلى أزيدٍ مررتَ"؟

قلتُ: ليس معنى التَّضمُّنِ أَنَّ الاسم دلَّ على مَعنيين معًا: مَعنى الاسمِ ومَعنى الحرف، وإنَّما مَعناه: أَنَّ الأصْلَ: "أَمَن" فحُذفَ حرفُ الاستفهام واستمرَّ الاستعمالُ على حَذفِه؛ كما حُذفَ من "هَلْ" والأصْل: "أَهَلْ"، قال:

أَهَــلْ رَأَوْنَـــا بِسَفحِ القَـاعِ ذي الأكَـمِ

أو الحاسّة، والقاؤه:[1] الاستماع.

قوله: (ألا يُرى)[2] بيان "الصدر".[3] وقوله: (ولا تقول: على أزَيدٍ مررتَ؟) يعني: وإذ لا يجوز في "أعلى زيدٍ مررتَ؟" تقديم الجارّ بأن يقال: "على أزيد؟" كان الواجب أن لا يجوز "على مَن"؛ لأنّ الهمزة قبل "مَن" مقدّرة.

قوله:

(أهـلْ رأونــا بسَفـح القـاع ذي الأكـم)

أوّله:

سـائـلْ فــوارس يـربــوعٍ بشَـدّتـنـا[4]

"يربوع": أبو حيّ مِن اليمن، والشَّدة بفتح الشين، ويُروى: "بشِدّتنا" بكسر الشين؛ وهي القوّة. وسَفح الجبل: أسفله. و"القاع": المستوي مِن الأرض. و"الأكَمة": تلّ مِن القُفِ، والجمع: آكام وأُكُمّ وأكَمّ. و"القُفُّ": ما ارتفع مِن الأرض.

---

١ في الأصول الخطّيّة: "والقاه".

٢ ف ن: ترى.

٣ ف: المصدر.

٤ لزيد الخيل الصحابي في ديوانه، ص ١٥٥.

فإذا أدخلتَ حَرْفَ الجرِّ على "مَن" فقدِّرِ الهَمزة قبل حَرْف الجرِّ في ضميرك؛ كأنك تقول: أَعَلى مَن تَنزَّلُ الشياطينُ؟ كقَولك: أَعَلى زيدٍ مرَرْتَ؟

فإن قلتَ: ﴿يُلْقُونَ﴾ ما محَلُّهُ؟

قلتُ: يجوز أَن يكون في محلِّ النَّصب على الحالِ؛ أي: تَنزَّلُ مُلقينَ السَّمْعَ، وفي مَحلِّ الجَرِّ صِفةً لـ﴿كُلِّ أَفَّاكٍ﴾ لأنَّه في مَعنى الجمع، وأن لا يكُون له محَلٌّ بأنْ يُستَأنَف؛ كأنَّ قائلًا قال: لِمَ تَنزَّلُ على الأفَّاكِين؟ فَقِيل: يَفعَلون كيْتَ وكيْتَ.

فإن قلتَ: كيف قيل: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ بَعْدَ ما قضَى عليهم أَنَّ كُلَّ واحدٍ منهم أفَّاكٌ؟

قلتُ: الأفَّاكُونَ هم الذين يُكثِرُون الإفكَ، ولا يَدُلُّ ذلك على أنهم لا يَنطِقونَ إلَّا بالإفك، فأرادَ أَنَّ هؤلاء الأفاكينَ قَلَّ مَن يَصدُقُ منهم فيما يحْكِي عن الجِنِّي وأكثرُهم مُفْتَرٍ عَليْه.

فإن قلت: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء ١٩٢/٢٦]، ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [الشعراء ٢١٠/٢٦]، ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [الشعراء ٢٢١/٢٦]، لِمَ فُرِّقَ بينَهُنَّ وهُنَّ أَخوَاتٌ؟

قلت: أُريد التَّفريقُ بَينَهُنَّ بآياتٍ ليسَت في مَعناهُنَّ ليُرْجَع إلى المجيءِ بهنَّ وتَطْرِيةِ ذكرِ ما فِيهنَّ كرَّةً بعدَ كرَّة، فيُدَلُّ بذلك على أنَّ المعنَى الذي نَزَلْنَ فيه من المعَاني التي اشتَدَّتْ كراهةُ اللهِ لخلافِها.

/ قوله: (أي: تنزَّل مُلقِين) إشارة إلى أنّه حال مِن الضمير في ﴿تَنَزَّلُ﴾. [٢٢٥و]

قوله: (وهنّ أخوات) يريد بقوله: "هنّ أخوات": أنّ معانيها مرتبط بعضها ببعض، فكان[١] حقّها أن لا يُفصَل[٢] بينها بأن يقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾، و﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ﴾، فلِمَ فُصِل بينها؟.

---

[١] ن: وكان.

[٢] ن: نفصل.

ومثالُه: أن يُحَدِّثَ الرجُلُ بحَديثٍ وفي صَدْرِه اهتِمامٌ بشيءٍ منه وفضلُ عنَايةٍ، فتَراه يُعيدُ ذكرَهُ ولا يَنفكُّ عن الرجُوع إليه.

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ۝٢٢٤ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝٢٢٥ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۝٢٢٦ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ۝٢٢٧﴾

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ﴾ مبتدأٌ، و﴿يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ خبرُه، ومعناه: أنّه لا يَتَّبِعُهُم على باطِلِهم وكذِبهم وفُضُولِ قولهم، وما هُم عليه من الهِجَاء وتَمزيقِ الأَعْراض والقَدْحِ في الأنسَاب والنَّسيبِ بالحُرَم، والغَزَل والابتهَارِ، ومَدحِ مَن لا يَستَحِقُّ المَدحَ، ولا يَستحسِنُ ذلك منهم، ولا يَطربُ على قولهم= إلَّا الغاوُون والسُّفهاء والشطَّارُ.

وقيل: ﴿ٱلْغَاوُۥنَ﴾: الرَّاوُونَ، وقيل: الشَّياطين، وقيل: هم شعَرَاء قريشٍ:

قوله: (يُعيد ذكره) يعني: يَذْكُره أوّلًا، ثمّ يشتغل بكلام لا تعلُّقَ[1] له به، ثمّ يعود إلى ذِكره،[2] ثمّ يشتغل بكلام[3] آخر أجنبيّ عنه، ثمّ يعود إلى ذِكره، وهكذا يفعل، فإنّ هذه الطريقة تدلّ على أنّه لا يخلو بوجهٍ ما قلبُه عن ذِكره ولا باطنُه عن الخطور به؛ لأنّه ممّا عُنيَ به، فكلّما عدَل عنه يُجريه اعتناؤه به وكونُه مهمًّا عنده على لسانه، كما هو مستقرّ في جَنَانه.

قوله: (والنسيب بالحُرَم) معنى "النسيب": ذِكر صفات حُسن النساء وجمالهن، وذِكر حاله أيضًا معهنّ في الشِّعر، وأمّا "الغزَل" فمعناه: الاشتهار بمَودّات النساء والصَّبْوة إليهنّ. والمراد بـ"الحُرَم": حَرَمُ الرجل مِن نحو: زوجه وأمّه وابنته. ويقال: ابتَهَر فلان بفلانة؛ شُهِر[4] بها.[5]

قوله: (والغَزَل) ذِكر النساء بالفُحش.

قوله: (الراوون) أي: الذين يروون شِعرهم.

---

١ ن: يعلق.

٢ ف - ثمّ يشتغل بكلام لا تعلّقَ له به، ثمّ يعود إلى ذِكره.

٣ ف: بكلا.

٤ ف: وشهر.

٥ الصحاح للجوهري، «بهر».

عَبدُ الله بن الزِّبعْرَى، وهُبَيْرةُ بن أبي وَهْب المخزُوميُ، ومُسَافِعُ بنُ عبد منَافٍ، وأبُو عَزَّةَ الجُمَحيُّ، ومِن ثقيفٍ: أميَّةُ بنُ أبي الصَّلْتِ، قالوا: نحنُ نقولُ مثلَ قول محمَّدٍ! وكانوا يَهجُونَهُ ويَجتمِعُ إلَيهم الأعرَابُ من قومهم يَستمعُون أشعَارَهُم وأهَاجِيَّهم.

وقرأ عيسى بن عُمَر: "والشعراءَ" بالنصب على إضمَارِ فِعْلٍ يُفسِّره الظَّاهر، قال أبو عُبيدٍ: كانَ الغالبُ عليه حُبُّ النَّصب، قَرأ: ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ و: "السارقَ والسارقَةَ" و: "سورةً أنزلناها".

وقرئ: ﴿يَتْبَعُهم﴾ على التخفيف، و: "يَتَّبِعْهم" بسُكون العَينِ تَشبيهًا لِـ"بِعُه" بعَضُدٍ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ ذكرُ الوادِي والهُيومِ فيه تَمثيلٌ لذهَابِهم في كُلِّ شِعْبٍ من القَول، واعتسَافِهم وقِلَّةِ مُبَالاتِهم بالغُلوِّ في المنطق ومجَاوزةِ حَدِّ القَصْد فيه، حتى يفضِلُوا أَجْبَن النَّاس على عَنتَرةَ، وَأشَحَّهُم على حَاتم، وأن يَبْهَتُوا البَرِيَّ ويُفسِّقُوا التَّقِيَّ.

وعن الفَرزدق: أنَّ سُليمان بن عبدِ الملكِ سَمِع قوله:

قوله: (و"يَتْبَعْهم" بسكون العين)[١] جاز التخفيف في كَلِمتين،[٢] كما في قوله:

فاليوم أشربْ غير مُستَحْقِبٍ إثمًا مِن الله ولا واغلِ[٣]

ففي كلمةٍ أجدَر.

قوله: (ذكر الوادي)... إلخ، "الوادي" مستعار للأمر، و"الهَيَمان" للاشتغال به على سبيل التحيّر، فالمستعار مِنه حسّيّ، والمستعار له عقليّ.

---

[١] قراءة شاذة. انظر: مختصر شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٠٩. وقرأ نافع ﴿يَتْبَعُهُمُ﴾ بإسكان التاء وفتح الباء ورفع العين. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٢٧٤.

[٢] ف: كلهن. | أي: بين كلمتين.

[٣] لامرئ القيس في لسان العرب لابن منظور، «دلك»، والشاهد فيه جزم الباء مِن "أشربْ" وحقّها الرفع، وبعضهم يرويه:

فاليوم أسقى غير مُستَحْقِبٍ

وهو كذلك في ديوان امرئ القيس، ص ١٢٢.

فـبِـتْـنَ بـجَـانـبـيَّ مُـصَـرَّعَـاتٍ   وبِـتُّ أَفُـضُّ أَغْـلاقَ الـخِـتَـامِ

قوله:

(فـبِـتْـنَ بـجـانـبـيَّ مُـصـرَّعـاتٍ[١]   وبِـتُّ أفـضُّ أغـلاقَ الـخـتـامِ)

أوّله:

دُفِـعْـنَ إلـيَّ لـم يُـطْـمَـثْـنَ[٢] قبلي   وهـنّ أصـحُّ مِـن بَـيض الـنـعـامِ[٣]

قال أبو عليّ الفارسيُّ:

وأما قول الفرزدق فكأنّه مِن المقلوب، أي: أفُضُّ ختام الأغلاق، ألا ترى[٤] أنّ الأغلاق والأقفال المختوم عليها إنّما يُفضُّ الختم الذي عليها، والفضُّ إنّما هو تفريق أجزاء الختم، وتفريق غيره، وفي التنزيل: ﴿حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾ [المنافقون ٧/٦٣]، أي: حتّى يتفرّقوا، فيبقى رسول الله عليه الصلاة والسلام بلا نُصَّارٍ[٥] ولا أتباعٍ. و"الختامِ" في[٦] بيتِ الفرزدق لا يخلو مِن أن يكون واحدًا أو جمعًا، فإن قلتَ: إنّه في البيت جمع خَتمٍ؛ لأنّ لكل غَلَقٍ ختمًا، فجمَع الختمَ، فهو قَول؛ لأنّ المصادر قد تُجمع، كقوله:

هـل مِـن حُـلُـوم لأقـوامٍ...[٧]

هذا كلام أبي عليّ في الحجّة. ويقول أضعف عباد الله تعالى أحمد بن الحسن الجاربرديّ:[٨] إنّما قال أبو عليّ: "كأنّه مِن المقلوب"؛ لأنّه يحتمل أن لا يكون مِن المقلوب، وهو أظهر عندي؛ لأنّ فضّ ختم الغَلَق لا يوجب فضّ الغَلَق والوصول إلى المقصود، بخلاف فضّ الغَلَق[٩] فإنه يوجب فضّ الخَتْم، فحمله على ظاهره أبلَغ مِن حمله على القلب.

---

١ ن: مصرَّحاتٍ.

٢ ن: يطمثهن.

٣ انظر: المستقصى للزمخشري، ٢٠٤/١؛ ومجمع الأمثال للميداني، ٤١٤/١.

٤ د: يرى.

٥ في مطبوع الحجّة: "أنصار".

٦ د – في.

٧ الحجّة لأبي عليّ الفارسي، ٣٢٨/١، وقوله: "هل من حُلوم"... لجرير في لسان العرب لابن منظور، «حلم»، وتمامه:

هل مِن حُلُومٍ لأقوامٍ فتُنذِرهم
ما جرَّب الناس مِن عَضِّي وتَضريسي

٨ د: الجابردي.

٩ ن – لا يوجب فضّ الغلق والوصول إلى المقصود، بخلاف فضّ الغلق.

فقَال: قد وَجَب عليك الحَدُّ، فقالَ: يا أميرَ المؤمنينَ! قد دَرأ اللهُ عَنِّي الحَدَّ بقوله: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾.

استثنَى الشُّعَراءَ المؤمنينَ الصَّالِحينَ الذين يُكثِرُون ذكرَ اللهِ وتلاوةَ القرآن، وكان ذلك أغلبَ عَلَيْهم من الشِّعْر، وإذا قالوا شِعرًا قالوه في توحِيدِ الله والثنَاءِ عليه، والحِكمةِ والموعِظةِ، والزُّهْدِ والآدَابِ الحَسنةِ، ومَدْحِ رَسُول الله والصَّحابةِ وَصُلحاءِ الأُمَّة، ومَا لَا بأس به من المعَاني التي لا يتلطَّخُون فيها بذَنبٍ وَلا يتَلبَّسونَ بِشَائِنَةٍ ولا مَنقصَةٍ، وكانَ هجَاؤُهم على سبيل الانتِصار ممَّن يَهجُوهم، قال الله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء ١٤٨/٤]، وذلك مِن غيْرِ اعتِداءٍ ولا زيادَةٍ على ما هُو جوابٌ لقولهِ تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة ١٩٤/٢].

وعن عَمْرو بن عُبيد رَحمه الله: أنَّ رجُلًا من العَلَويَّة قال له: إنَّ صَدْري لَيَجِيشُ بالشِّعرِ، فقَال: فما يَمنعُك منه فيما لا بأس به؟

وَالقَولُ فيه: أنَّ الشِّعرَ بابٌ من الكلام فحَسَنُه كَحَسَنِ الكلامِ وقبيحُه كقبيحِ الكلام.

وقيل: المرادُ بالمُستثنَين: عَبدُ الله بنُ رَواحَة، وحسَّانُ بن ثابت، والكعبَانِ: كعبُ بن مالك وكعبُ بن زهَيْرٍ، والذين كانُوا يُنَافحُونَ عن رَسول الله صلى الله عليه وسلم ويُكافحُونَ هُجاةَ قُريش.

و"لم يُطمَثْن"، أي: لم يُجامَعْنَ، والطمث: المجامعة. و"الصَرْع": الطرح بالأرض. و"الفضّ": الكسر. و"الغَلَق": ما يُغلَق / به. يصف الشاعر أبكارًا افتَضَّهنّ. [٢٢٥ظ]

قوله: (لَيَجِيشُ) يريد: أنّه قادر على قَرْضِ الشِّعر،[١] وأنّه يتردّد مِنه في خاطره كثيرًا، لكنّه يجتنب عنه ولا يشتغل به.

قوله: (ينافِحون) أي: يدافعون.

قوله: (ويكافِحون) أي: يعارضون.

---

[١] القَرْض: قول الشِّعر خاصَّة. يقال: قَرَضْتُ الشِّعر أقرِضه، إذا قلته. والشِّعر: قريض. الصحاح للجوهري، «قرض».

وعن كعْب بن مالك أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال له: «اُهْجُهُم فوالَّذِي نَفسي بيَدِه لَهُوَ أَشَدُّ عَليهم من النَّبْلِ».

وكان يقول لحسَّانَ: «قُلْ ورُوحُ القُدُسِ معَكَ».

ختَم السُّورةَ بآيَةٍ ناطقةٍ بما لا شيءَ أَهيبُ منه وأهوَلُ، ولا أَنْكَى لقُلُوب المتأمِّلينَ، ولا أَصْدَعُ لِأكبادِ المتَدَبِّرينَ، وذلك قَولُه: ﴿وَسَيَعْلَمُ﴾ وما فيه من الوعيد البَليغ، وقَولُه: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ وإطلاقُه، وقولُه: ﴿أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ وإبهَامُه، وقَد تلاهَا أبُو بكْرٍ لعمر رضي الله عنهما حين عَهِدَ إليه، وكانَ السَّلفُ الصَّالح يتَواعَظون بهَا ويتَناذَرونَ شِدَّتَها.

وتَفسيرُ الظُّلْم بالكُفر تَعليلٌ، ولَأَنْ تخَافَ فتَبلغَ الأَمْنَ خيرٌ مِن أَن تَأْمَنَ فتَبلغَ الخَوفَ.

قوله: (مِن الوعيد البليغ) لأنّ السين تدلّ على أنّ ذلك كائن لا محالة.

قوله: (حين عهد إليه) أي: حين أوصاه، قال في المُغرب:

العهد: الوصيّة، يقال: عَهِد إليه إذا أوصاه، والعهد: العقد والميثاق،[1] ومِنه ذو العهد، للحربيّ يدخل بأمانٍ، وعَهِده بمكان كذا: لقيَه، ويقال: متى عَهدُك بفلان، أي: متى عهِدْتَه، وتعهَّد الضيعة وتعاهدها: أتاها وأصلَحها، وحقيقته: جدَّد العهد بها. وقولهم: عُهْدَته على فلان؛ فُعلة بمعنى مفعول مِن ذلك؛ لأنّ معناه: ما أدرَك فيه مِن دَرَك[2] فإصلاحُه عليه.[3]

قوله:[4] (ويتناذَرون) أي: يُنذِر بعضهم بعضًا، نحو: يتناهون، أي: ينهى بعضهم بعضًا.

قوله: (تعليلٌ) يريد: أنّ مَن فسَّر "الظلم"[5] في هذه الآية بالكفر، ويقول: هذا الوعيد ملحَق بالكافرين دون مَن سواهم؛ فإنّه يعلِّل بهذا التفسير أيّامه ويُطيِّب نفسه.

---

١ ن: والميثان.

٢ ن: در.

٣ المُغرب للمطرّزي، «عهد».

٤ ف – قوله.

٥ ن: الكلم.

وقرأ ابنُ عبَّاسٍ: "أيَّ مُنْقَلَتٍ يَنْفَلِتون"، ومَعناهَا: إنَّ الذين ظَلَمُوا يَطْمَعُونَ أَن يَنفلِتُوا من عذاب اللهِ، وسيَعْلمُون أَنْ ليس لَهُم وَجْهٌ من وُجُوه الانفلاتِ وهو النَّجاة.

اللّٰهم اجعَلْنا ممَّن جعَل هذه الآيةَ بين عَينيْه، فلم يَغفُل عنها وعَلِم أَنَّ مَن عَمِل سَيِّئةً فهو مِن الَّذين ظَلَمُوا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرأَ سُورة الشعراءِ كان له من الأَجْرِ عَشْرُ حسَناتٍ بعَدَد مَن صَدَّقَ بنُوحٍ وكَذَّبَ به، وهُودٍ وشُعَيْبٍ وصَالحٍ وإبراهيمَ، وبعَدَد مَن كذَّب بعيسى وصَدَّقَ بمحمَّدٍ عليهم السلام».

قوله: (وقرأ ابن عبّاس: "أيَّ مُنفَلَت")[١] الانفلات: خروج الشيء فَلتةً، أي: بَغتةً، وكذا الإفلات والتفلّت.[٢]

تمّت السورة بحمد الله ومنّه وكرمه.[٣]

---

[١] ن: منقَلب. | نسبها الكرماني إلى الحسن البصري. انظر: شواذ القراءات للكرماني، ص ٣٥٧.
[٢] المُغرب للمطرّزي، «فلت».
[٣] ف ن – تمّت السورة بحمد الله ومنّه وكرمه.

سورة النمل

مكيَّةٌ، وَهي ثلاثٌ وتِسْعُون آيةً، وقيلَ: أَرْبع وتسْعُون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١﴾

﴿طسٓ﴾ قرئ بالتفخيم والإمالة.

و﴿تِلۡكَ﴾ إشارةٌ إلى آيات السُّورة.

و"الكتابُ المُبينُ": إمَّا اللَّوحُ، وإبَانَتهُ: أَنَّه قَدْ خُطَّ فيه كلُّ ما هو كائِنٌ، فهو يُبِينُه للنَّاظِرين فيه إبَانَةً، وإمَّا السُّورةُ، وإمَّا القرآن، وإبَانتهما: أنَّهما يُبِينَانِ ما أُودِعَاه من العُلوم والحِكَم والشَّرائع، وأنَّ إعجازَهما ظاهرٌ مكشوفٌ.

سورة النمل

بسم الله الرحمن الرحيم، ربِّ يسِّر ولا تعسِّر[1]

قوله: (وإبانتُه)... إلخ، يريد: أنّ ثبوتَ صور الأشياء فيه على وجه يتبيّن به تلك الأشياء للناظرين، شبِّه بالإبانة ثمّ أطلِق الإبانة على ذلك الثبوت على الموصوف، ثمّ قيل: "المُبين"،[2] وأريد اتّصافه بثبوت الأشياء فيه، فهو مِن الاستعارة التبعيّة، والقرينة نسبة الإبانة إلى الكتاب. وهكذا يقول في (إبانتهما: أنّهما) إلى قوله: (الشرائع). وعلى هذه الوجوه: "المُبين" مِن: أبان، بمعنى: أظهَر. وأمّا قوله: (وأنّ إعجازَهما) فعطف على قوله: (أنّهما)، ولا استعارة في "المُبين" على هذا الوجه، و"المُبين" مِن: أبان، بمعنى: ظهَر.

---

[1] ف ن – ربِّ يسِّر ولا تعسِّر.

[2] ف: المنين.

وإضافةُ الآياتِ إلى القرآنِ والكتابِ المُبين على سَبيلِ التفخيمِ لها والتعظيمِ؛ لأن المُضافَ إلى العظيم يَعظُمُ بالإضافة إليه.

فإن قلتَ: لمَ نُكِّرَ "الكتابُ المبينُ"؟

قلتُ: لِيُبْهَمَ بالتنكيرِ فيكونَ أَفخَمَ له؛ كقوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر ٥٤/٥٥].

فإن قلتَ: ما وجهُ عطفِه على "القرآن" إذا أُريدَ به القرآن؟

قلتُ: كما تُعطفُ إحْدَى الصِّفتَين على الأُخرَى في نحوِ قولك: "هذا فعلُ السَّخيِّ والجوادِ الكريم"؛ لأنَّ القرآن هو المُنزَّلُ المبَاركُ المصَدِّقُ لِمَا بَين يدَيْه، فكان حكمُه حُكمَ الصفات المُستقِلَّة بالمَدْح؛ فكَأنَّه قيل: تلك الآياتُ آياتُ المُنزَّلِ المُبَارك وأيِّ كتاب مُبين.

وقرأ ابن أبي عَبلةَ: "وكتابٌ مبينٌ" بالرفع على تقدير: وآياتُ كتَابٍ مُبين، فحُذفَ المضافُ وأُقيم المضافُ إليه مُقامَه.

قوله: (فإن قلتَ: ما وجه عطفه؟) ظاهر قوله في السؤال: "ما وجه عطفِه؟" يقتضي أن يجاب بقوله: وجهه كذا وكذا، لكنَّ المصنِّف عدَل عن الظاهر وبنى الكلام على المعنى، فإن قوله: "ما وجه عطفِه؟" في معنى: كيف؟ فأجاب بقوله: (كما يُعطَف) أي: عطِف كما يُعطف، وذلك للميل مع المعنى، والتفنّن في العبارة.

قوله: (لأنَّ القرآن)... إلخ يريد: أنّه يُضمَّن[١] معنى الصفة تضمُّن: حاتم الجواد، وخالد الشجاع. وقوله: (وأيّ كتاب) هذا الإبهام استفيد مِن تنكير ﴿كِتَابٍ﴾، فقوله: "لأنَّ" متعلِّق مِن حيث المعنى بمعنى الفعل في "كما يُعطف"، فكأنّه[٢] قال: يُشبِه عطفَ / الصفات بعضها على بعض، وبيّن معنى الصفة فيه [٢٢٦و]
-أي: في القرآن- بقوله: "لأن القرآن"... إلخ، وبيّن معنى الصفة في ﴿كِتَابٍ﴾ بقوله: "وأيّ كتاب".

---

١ ف ن: تضمن.
٢ ن: وكأنّه.

فإن قلتَ: ما الفرقُ بين هذا وبَين قوله: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ﴾ [الحجر ١/١٥]؟

قلتُ: لا فرقَ بَينهما إلّا ما بَينَ المعطوف والمعطوفِ عليه من التقدُّم والتأخُّرِ، وذلك على ضَربين: ضربٌ جارٍ مَجرى التَّثنيةِ لا يتَرجَّحُ فيه جَانبٌ على جانبٍ، وضَربٌ فيه تَرجُّحٌ:

فالأوَّلُ: نحو قَوله: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾ [البقرة ٥٨/٢، الأعراف: ١٦١]، ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾ [البقرة ٥٨/٢، الأعراف: ١٦١]، ومنه ما نحن بصَدَده.

والثاني: نحو قوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران ١٨/٣].

قوله: (فإن قلتَ: ما الفرق بين)... إلخ؟ اعلم أنّ السؤال هنا يتوجّه مِن وجهين: الأوّل: التقديم والتأخير اللفظيّ، وقد أجاب عنه. والثاني: تعريف ﴿ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ وتنكير ﴿كِتَابٖ﴾ هنا، وتعريف ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾ وتنكير ﴿قُرۡءَانٖ﴾ ثمّة،[1] ولم يتعرّض له المصنف. فنقول -والله أعلم-: لمّا أريد تعظيم القرآن والكتاب معًا بأبلغ وجه عظّم ﴿ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ بتعريف الجنس، فكأنّه قيل: هو المنزَل المبارك المصدِّق، لا يوازيه شيءٌ مِن الكتب المنزَلة، وعظّم ﴿كِتَابٖ﴾ بأنّه كتاب مبهم أمره في شأن الإبانة، لا يشاركه في ذلك كتاب آخر، ولا يوازيه؛ بل هو منفرد بهذه الصفة. ثمّ عكس هذا التقرير ثمّة، فحصل منهما التفخيم مِن الوجهين مع التفنّن في العبارة والتلوّن في الكلام. ثمّ إنّه قدّم المعرّف ونكّر المؤخّر في الموضعين؛ لأنّ المقدَّم بالتعريف أولى، والمؤخّر بالتنكير أجدر. تأمّل ما أظهرنا مُبهمَه، وبيّنا مُشكِلَه، وفتحنا مُغلَقَه، ورفعنا حجابه، وكشفنا غطاءه؛ تنل الفوائد، وتصِبِ العوائد،[2] وتظفر بكلِّ ذخيرة، وتفُزْ بإصابة كلِّ فضيلة[3] بفضله العميم، إنّه هو الكريم الرحيم.

---

[1] أي: في قوله تعالى في سورة الحجر: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ﴾ [الحجر ١/١٥].

[2] ن: الفوائد.

[3] ن: فضله.

﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾

﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ﴾ في محلِّ النَّصب أو الرَّفع:

فالنَّصبُ على الحال؛ أي: هاديةً ومُبشِّرةً، والعاملُ فيها ما في ﴿تِلْكَ﴾ من معنى الإشارة.

والرفعُ على ثلاثةِ أَوْجُهٍ: على: هي هُدًى وبشرى، وعلى البَدل منَ "الآيَاتِ"، وعلى أن يكون خبرًا بَعد خَبرٍ؛ أي: جَمعَتْ أنَّها آياتٌ وأنها هُدًى وبُشْرى.

والمعنَى في كونها هُدًى للمؤمنين: أنها زائدةٌ في هُداهم، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة ١٢٤/٩].

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣﴾

فإن قلتَ: ﴿وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ كيف يتَّصلُ بما قَبْلَه؟

قلتُ: يَحتمِلُ أَن يكون من جُملةِ صِلَةِ الموصُول، ....

قوله: (أي: جمَعت) هذا المعنى على تقدير كونه خبرًا بعد خبر، إذ يكون كلُّ واحد مِن معنى ﴿ءَايَٰتُ﴾ و﴿هُدًى﴾ مقصودًا، بخلاف ما إذا كان بدلًا، فإن ذلك لا يفيد[1] معنى الجمع، إذ يكون الأوّل في حكم المَطروح.

قوله: (والمعنى) يشير إلى أنّ المؤمنين لمّا كانوا مهتدين[2] كان معنى كونها هاديًا لهم: أنّها تزيد هدايتهم، ثمّ أشار إلى أنّ "الهدى" على جميع الوجوه بمعنى: الهادي.

قوله: (قلتُ: يحتمل أن يكون مِن جملة صِلة الموصول) فإذا كان مِن جملة صلة الموصول كان الأصل: ويوقنون بالآخرة، فكأنّه قيل: الذين يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويوقنون بالآخرة، لكن قدّم ﴿بِٱلْأَخِرَةِ﴾ للتعريض بأنّ الآخرة التي يقول بها أهل الكتاب ليس مِن الآخرة في شيء. ثمّ قيل: ﴿هُم﴾

---

[1] ن: لا يقيد.

[2] ف ن: مهتدون.

ويَحتمِلُ أن تَتِمَّ الصِّلةُ عِنده ويكونَ جملةً اعتراضيةً؛ كأنّه قيل: وهؤلاء الذين يؤمنُون ويَعملُونَ الصَّالحات من إقَامةِ الصَّلاة وإيتاءِ الزكاة هم الموقِنُون بالآخِرة، وهو الوَجهُ، ويَدُلُّ عليه أنَّه عُقِدَ جُملةً ابتدائيَّةً وكُرِّرَ فيها المُبتدأُ الذي هُو ﴿هُم﴾ حتَّى صار مَعناها: وما يُوقِنُ بالآخرة حَقَّ الإيقانِ إلَّا هؤلاء الجامعُون بين الإيمان والعمل الصَّالح؛ لأنَّ خوف العاقبة يَحملُهم على تحمُّلِ المشاقِّ.

تعريضًا بأنّ غيرهم لا يوقنون بالآخرة. وإذا تأمّلت[1] في قوله تعالى: ﴿هُدَى﴾... إلخ وجدتّه مثلَ قوله تعالى في أوّل البقرة: ﴿هُدَى لِّلْمُتَّقِينَ﴾... إلخ [البقرة ٢/٢]، غير أنّه ذُكِر ثمةَ ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ووصف بـ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾... إلخ [البقرة ٣/٢] وصفًا للبيان والكشف، واكتفي هنا بذِكر الصفة، فإنّ قوله: ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ هنا مثل قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة ٣/٢] ثمّة.

قوله: (الصلة عنده) أي: عند ما قبله؛ بل الصواب أن نقول: لمّا كان "عند" عبارة عن المكان القريب قال: "عنده"، فلا حاجة إلى تقديره: ما قبله، ولو كان قال: تتمّ به؛ احتجنا إلى ذلك التقدير، فتأمّل. وقوله: (ويكون) أي: ﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾. وقوله: (وهؤلاء الذين يؤمنون) بيان مرجع الضمير.[2]

قوله: (وهو الوجه) اختيار للوجه الثاني، وبيّن رجحانه بـ(أنّه عقِد جملةً)... إلخ، لكن ما كتبنا لبيان الوجه الأوّل / يكشف عن حُسنه. [٢٢٦ظ]

قوله: (لأنّ خوف العاقبة) متعلّق بقوله: (الجامعون).

قوله: (المَشاقِّ) يعني: جميع التكاليف؛ لأنّ "إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة" دلّ على ذلك كما مرّ. ثمّ إنّ قوله: (لأنّ)... إلخ تعليل للذي دلّ عليه النفي والاستثناء، فكأنّه قيل: الموقنون يجمعون بين الإيمان والعمل؛ لأنّ الخوف يحملهم على ذلك. وكان الحقّ أن يقول: لأنّ الإيقان يحملهم على ذلك لكن اختصر وبيّن، فإنّ الإيقان يقتضي الخوف، والخوف يحمِل عليه. فالمصنِّف أسند الجمع إلى السبب القريب؛ وهو الخوف، دون السبب البعيد؛ وهو الإيقان الموجب للخوف.

---

[1] ن: ما قلت.

[2] ف + أي: "هم" في قوله تعالى: ﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ④﴾

فإن قلتَ: كيف أَسنَد تزيينَ أعمالِهم إلى ذاته وقد أسنَده إلى الشيطان في قوله: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ [النمل ٢٧/٢٤]؟

قلتُ: بَين الإسنادَيْنِ فرقٌ، وذلك أن إسنَادَه إلى الشيطان حقيقةٌ، وإسنادَهُ إلى الله عزَّ وجلَّ مجَازٌ، وله طريقان في علم البيَان:

أحَدُهما: أنْ يكون من المجاز الَّذي يُسَمَّى الاستِعَارة.

والثاني: أن يكونَ من المجازِ الحُكميِّ.

فالطَّريقُ الأوَّلُ: أنَّه لمَّا متَّعهُم بطُول العُمر وسَعَة الرِّزق، وجَعلوا إنعام الله بذلك عليهم وإحسَانَه إليهم ذريعةً إلى اتِّبَاع شَهواتِهم وبَطرِهم وإيثارِهم الرَّوحَ والتُّرفَةَ، ونِفَارِهم عمَّا تَلزَمُهم فيه التكاليفُ الصَّعبةُ والمشَاقُّ المُتعِبَةُ، فكَأنَّه زيَّنَ لهُم بذلك أعمالَهُم، وإليه أشارَتِ الملائكةُ عليهم السَّلامُ في قولهم: ﴿وَلَـٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ [الفرقان ٢٥/١٨].

قوله: (فالطريق الأوّل)... إلخ، حاصل الطريق الأوّل: أنّه لمّا متّعهم وجعلوا التَّمتيع وسيلةَ الأفعال القبيحة يشبِه ذلك التمتيع بالتزيين، فذُكِر التزيين وأُريد التمتيع، فهو استعارة مصرّحة تبعيّة،[١] وجواب "لمّا" محذوف، والتقدير كما ذكرنا، ودلّ على المحذوف قوله: (فكأنّه)... إلخ.

قوله: (والتَّرفُّه) "التَّرفُّه": التمتّع، ورجل رافِه ومترفِّه: مستريح، وعيش رافه، أي: واسع، وقد رَفُهَ -بالضمّ- رَفاهةً ورفاهيةً.[٢] وفي بعض النسخ: "التُّرفَة" بالضمّ؛ وهي النعمة، والمُترَف: الذي أبطرتْهُ النعمة وسَعةُ العيش.[٣]

قوله:[٤] (عمّا يلزمهم) المراد بـ"ما يلزمهم": امتثال الأمر، وطاعة الآمر، وشكر المُنعِم. وبـ"التكاليف": ما يُكلَّف به من الأعمال. والحاصل أنّهم نفروا

---

١ ن - تبعيّة.

٢ المُغرب للمطرّزي، «رفه».

٣ انظر: الصحاح للجوهري، «ترف»؛ والمُغرب للمطرّزي، «ترف».

٤ ف ن - قوله.

والطريقُ الثاني: أَنَّ إمهَالَه الشيطَان وتَخلِيتَهُ حَتَّى يُزيِّنَ لهم مُلابسةٌ ظاهِرَةٌ للتَّزيينِ، فأُسنِد إليه لأنَّ المجَاز الحُكميَّ يُصحِّحُه بَعضُ المُلابَسات.

وقيل: هي أَعمالُ الخَيْر التي وجَب عَليهم أَنْ يعمَلوهَا، زَيَّنهَا لَهُم اللهُ فعَمِهُوا عنها وضَلُّوا، ويُعزَى إلى الحَسَنِ.

والعَمَهُ: التَّحيُّرُ والتَّرَدُّدُ كما يكونُ حالُ الضَّالِّ عن الطَّريق.

وعن بعض الأَعراب: أنَّه دخلَ السُّوق وما أبصَرهَا قَطُّ، فقَال: رأيت النَّاس عَمِهِينَ.

أراد: مُتَرَدِّدينَ في أَعمالهم وأَشغالهم.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ۝٥﴾

﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾: القتلُ والأَسْرُ يومَ بَدْرٍ.

و﴿ٱلْأَخْسَرُونَ﴾: أَشَدُّ النَّاس خسْرَانًا؛ لأَنَّهم لو آمَنُوا لكانوا مِن الشُّهدَاء على جَميعِ الأُممِ، فخسرُوا ذلك مع خسرانِ النجاةِ وثوابِ الله.

عن الامتثال والطاعة؛ لأنّهم لو امتثلوا وأطاعوا لزمهم الإتيان بالأعمال الشاقّة.

قوله: (أنّ إمهاله الشيطان) يعني: أنّ إمهال الله تعالى للشيطان حتّى زيّن للناس أعمالهم، وكذا تخليتُه تعالى له حتى زيّن ملابَسة للتزيين، فأسند التزيين إلى الله تعالى، وإن لم يكن مزَيّنًا بالحقيقة؛ لأنّه تعالى لمّا أمهل فقد لابس التزيين.

قوله: (وقيل: هي أعمال الخير) أي: الأعمال في قوله تعالى: ﴿أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ هي أعمال الخير، وإدخال الفاء في ﴿فَهُمْ﴾ على هذا الوجه إشارة إلى تعكيسهم القضيّة؛ لأنّهم جعلوا تزيين الأعمال الصالحة سببًا لتركها، ويقرُب منه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت ١٧/٤١]. وقوله: (زيّنها) أي زيّنها الله تعالى لهم.

قوله: (ويُعْزى) أي: هذا القول.

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾

﴿لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾: لتُؤتاهُ وتُلَقَّنُه ﴿مِن﴾ عندِ أيِّ ﴿حَكِيمٍ﴾ وأيِّ ﴿عَلِيمٍ﴾ وهذا مَعنى مَجيئِهما نكِرتَين.

وهذه الآيةُ بِساطٌ وتمهيدٌ لِمَا يُريدُ أن يَسُوق بَعدها من الأقاصِيص، وما في ذلك من لَطائف حكمَتِه ودقَائقِ عِلْمه.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٧﴾

﴿إِذْ﴾ منصوبٌ بمُضمَرٍ وهُو "اذكُر"؛ كأنّه قال على أثَر ذلك: خُذْ من آثارِ حِكمتِه وعِلمه قصَّةَ مُوسى، ويجوز أن يَنتصِبَ بـ﴿عَلِيمٍ﴾.

رُوي: أنه لم يكن مع مُوسى صلوات الله عليه غيرُ امرأتِه، وقد كنَى اللهُ عنها بالأَهْلِ فتبِعَ ذلك ورُودُ الخطابِ على لفْظ الجَمع وهو قولُه: ﴿ٱمْكُثُوٓا۟﴾.

"الشِّهابُ": الشُّعْلَةُ، و"القَبَسُ": النارُ المَقبُوسَةُ، وأضافَ الشِّهابَ إلى القَبسِ لأنه يكونُ قبَسًا وغيرَ قبَسٍ، ومَن قرأَ بالتنوين جَعل القبَسَ بَدَلًا أو صِفةً؛ لِمَا فيه من مَعنى القَبْسِ.

و"الخبَرُ": ما يُخبَرُ به عن حالِ الطريق لأنه كان قد ضَلَّهُ.

فإن قلتَ: ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ و﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ [القصص ٢٨/٢٩] كالمُتَدافِعَيْنِ؛ لأنَّ أحَدَهما ترَجٍّ والآخَرَ تيقُّنٌ.

قوله: (أي: حكيم) يشير إلى أنّ تنوين ﴿حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ للتفخيم.

قوله: (وهو قوله: "امكُثوا") ليس في هذا الموضع: "امكُثوا"، كأنّه أشار إلى المذكور في موضع آخر،[1] ولفظ الجمع في هذا الموضع: ﴿سَـَٔاتِيكُم﴾ ﴿ءَاتِيكُم﴾ ﴿لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾.

---

[1] وهو في قوله تعالى في سورة طه: ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ [طه ٢٠/١٠]. وفي قوله في سورة القصص: ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ [القصص ٢٨/٢٩].

قلتُ: قد يَقُول الرَّاجي إذا قَوِيَ رَجَاؤُه: سَأفعلُ كذا، وسيَكونُ كذا، معَ تَجويزه الخَيْبةَ.

فإن قلتَ: كيف جاء بسينِ التَّسويفِ؟

قلتُ: عِدَةً لأَهْلِهِ أنَّه يَأتيهِم به وإنْ أبطَأ، أو كانَتِ المسافةُ بعيدَةً.

فإن قلتَ: فلِمَ جاء بـ﴿أَوْ﴾ دون الواو؟

قلتُ: بَنَى الرَّجاءَ على أنَّه إنْ لم يَظْفَرْ بحَاجتَيْه جميعًا لم يَعْدَمْ واحِدةً منهما: إمَّا هِدَايةَ الطَّريقِ وإمَّا اقتبَاسَ النَّار، ثِقةً بعَادةِ الله أنَّه لا يكادُ يَجمَعُ بينَ حِرمَانَيْنِ على عَبْدِه، وما أَدراهُ حِينَ قال ذلك أنَّه ظَافِرٌ على النَّارِ بحاجَتيْهِ الكُلِّيَّتينِ جميعًا، وهُما العِزَّانِ: عزُّ الدُّنيا وعِزُّ الآخرة.

﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨﴾

﴿أَن﴾ هي المُفسِّرةُ لأنَّ النِّداء فيه مَعنى القول، والمعنى: قِيل له: ﴿بُورِكَ﴾.

فإن قلتَ: هل يجوز أن تكون المخفَّفةَ من الثَّقيلة، وتقديرُه: نُوديَ بأنَّه بُورِكَ، والضميرُ ضميرُ الشَّأن؟

قلتُ: لا، لأنَّه لا بُدَّ مِن "قَد".

فإن قلتَ: فعَلى إضمارها؟

قلتُ: لا يَصِحُّ؛ لأنها عَلامةٌ لا تُحذَفُ.

ومَعنى: ﴿بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: بُوركَ مَن في مَكانِ النَّار ومَن حَولَ مكانِها، ومكانُها: البُقعَةُ التي حصَلَتْ فيها، وهي البُقعَةُ المُبارَكةُ المذكُورةُ في قوله تعالى: ﴿نُودِىَ مِن شَٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾ [القصص ٢٨/٣٠]، وتَدُلُّ عليه قِراءة أُبيّ: "تبارَكَتِ الأرضُ ومَن حولَها"، وعنه: "بُورِكَتِ النارُ".

والَّذي بُورِكَتْ له البُقعَةُ وبُورِكَ مَن فيها وحَوَاليها حُدوثُ أَمْرٍ دِينيّ فيها: وهو تَكليمُ الله موسى واستنبَاؤُه له، وإظهارُ المُعجزاتِ عليه، ورُبَّ خيْرٍ يتجَدَّدُ في بعض البقَاع فيَنشرُ اللهُ برَكَةَ ذلك الخَيْر في أقَاصِيها، ويَبُثُّ آثارَ يُمْنِهِ في أبَاعِدها، فكيف بمِثل ذلك الأمرِ العظيمِ الذي جَرَى في تلك البُقعَةِ؟

وقيل: المرادُ بالمبَارك فيهم: مُوسَى والملائكةُ الحَاضِرونَ.

والظَّاهرُ أنَّه عَامٌّ في كُلِّ مَن كان في تِلك الأَرض وفي ذلك الوادي وحَوالِيهما من أرض الشَّام، ولقد جعَل الله أَرضَ الشَّام بالبَركاتِ مَوْسُومَةً في قوله: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء ٧١/٢١] وحُقَّتْ أَن تكُون كذلك فهيَ مَبْعَثُ الأنبيَاء صلوات الله عليهم ومَهْبِطُ الوَحْيِ إليهم وكِفَاتُهم أَحيَاءً وأَمواتًا.

فإن قلتَ: فما مَعنى ابتداءِ خطابِ الله موسَى بذلك عند مَجيئِهِ؟

قلتُ: هي بِشَارةٌ له بأنَّه قد قُضيَ أَمْرٌ عَظيمٌ تنتَشِرُ منه في أَرض الشَّام كُلِّها البَركةُ.

﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تعجِيبٌ لمُوسى من ذلك، وإيذانٌ بأَنَّ ذلك الأَمْرَ مُرِيدُه ومُكَوِّنُه رَبُّ العَالمينَ؛ تَنْبيهًا على أنَّ الكائِنَ مِن جَلائلِ الأمُور وعَظَائم الشُّؤُونِ.

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٩﴾

الهاءُ في ﴿إِنَّهُۥ﴾ يجُوز أَن يكون ضميرَ الشَّأن والشأنُ: ﴿أَنَا ٱللَّهُ﴾ مُبتدأٌ وخَبرٌ، و﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ صِفتَان للخَبرِ.

قوله: (بالمبارك فيهم) الضمير مِن قوله: "فيهم" عائد إلى الموصول، وهو اللام في "المبارك"، إذ المعنى: الذين بورك فيهم.

قوله: (وحوالَيهما)[1] يقال: قعدوا حَولَه وحَوالَه وحَوْلَيه وحَوالَيه، ولا تقل: حوالِيه، بكسر اللام.[2]

قوله: (وكِفاتهم) الكِفات: الذي يُكفَتُ فيه شيء، أي: يُضَمُّ، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ [المرسلات ٢٥/٧٧].[3]

---

١ ف: وحواليها.

٢ الصحاح للجوهري، «حول».

٣ الصحاح للجوهري، «كفت».

وأَن يكون راجعًا إلى ما دَلَّ عليه ما قَبْلَه، يَعني: إنَّ مُكَلِّمَكَ أنا، و﴿ٱللَّهُ﴾ بيَانٌ لـ﴿أَنَا﴾، و﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ صفتَان للمُبيِّنِ.

وهذا تمهيدٌ لمَا أرادَ أنْ يُظهِرهُ على يَدِه من المعجزة، يُريدُ: أنا القَوِيُّ القادرُ على ما يَبْعُدُ مِن الأَوْهام كقَلْب العصا حَيَّةً، الفاعلُ كُلَّ ما أَفعَلُه بحكمةٍ وتَدبير.

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾﴾

فإن قلتَ: عَلَامَ عُطِفَ قولُه: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾؟

قلتُ: على ﴿بُورِكَ﴾؛ لأنَّ المَعنى: نُودِيَ أَنْ بُوركَ مَن في النَّارِ وأَنْ أَلْقِ عصَاك، كلاهُما تفسيرٌ لـ﴿نُودِىَ﴾، والمَعنى: قيل له: ﴿بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ وقيل له: ﴿ألق عصاك﴾، ....

قوله: (قلتُ: على ﴿بُورِكَ﴾) والتحقيق في هذا الموضع أن يقال: كلام الله مع موسى في البقعة / المباركة كان بغير العاطف هكذا: "بورِك مَن في النار، ألقِ عصاك"، والجملة الأولى تمهيد وتوطئة لذكر الجملة الأخيرة، فلم يتخلّل بينهما عاطف. ثمّ لمّا حُكيَ ذلك في القرآن زِيدَ في الأوّل: ﴿نُودِىَ﴾، وذُكِر الجملتان بعده[١] تفسيرًا لـ﴿نُودِىَ﴾، وتخلّل العاطف بين التفسيرين. واعلم أنّه لا يَبعُد أن يكون العطف واقعًا في كلام الله تعالى مع موسى بأن يكون هكذا:[٢] "بورِك مَن في النار، وسبحان الله -أي: سبِّح الله- وألقِ عصاك"؛ بل هذا هو الظاهر، الكلام مشتمل على تضمين الطلب معنى الخبر؛ وذلك أنّ قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ﴾[٣] معطوف على قوله: ﴿أَنۢ بُورِكَ﴾، والمعنى: فلمّا جاءها قيل: "بورك مَن في النار"، وقيل: "ألقِ عصاك"؛ لِما عرفت في علم النحو أنّ "أنْ" لا تأتي إلّا بعد فعل في معنى القول.[٤] [٢٢٧و]

---

١ د + بعده.

٢ ف ن: هلك أبورك.

٣ ف + عصاك.

٤ قال الزمخشري: «وأما 'أن' المفسِّرة فلا تأتي إلّا بعد فعل في معنى القول؛ كقولك: ناديته أنْ قُم، وأمرتُه أنِ اقعُد، وكتبت إليه أنِ ارجِع». المفصّل للزمخشري، ص ٤٢٨.

والدَّليلُ على ذلك قولهُ عزَّ مِن قائل: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [القصص ٣١/٢٨] بَعد قوله: ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القصص ٣٠/٢٨] عَلى تكرِير حَرْف التَّفسير؛ كما تقُول: "كتَبْتُ إلَيك أَن حُجَّ وأن اعتَمِرْ، وإن شئتَ أنْ حُجَّ واعْتَمِرْ".

قَرأ الحسَنُ: "جَأنٌّ" على لغَةِ مَن يَجِدُّ في الهَرَب من الْتقَاءِ السَّاكنَين، فيقُول: شَأبَّةٌ ودَأبَّةٌ، ومنها قراءةُ عَمْرو بْنِ عُبَيد: "ولا الضَّألِّين".

﴿لم يُعَقِّبْ﴾: لم يَرجِع، يُقالُ: عَقَّبَ المُقاتِلُ: إذا كرَّ بَعدَ الفِرَارِ، قال:

فما عَقَّبُوا إذْ قيل هَلْ مِن مُعَقِّبٍ ولا نَزلُوا يَومَ الكريهَةِ مَنْزِلَا

وإنما رُعِبَ ....

قوله: (والدليل عليه) يعني: أنّه تعالى لمّا قال تعالى في سورة القصص: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [القصص ٣٠/٢٨-٣١]، بإدخال حرف التفسير في ﴿أَلْقِ﴾ عُلِم بالجزم أنّ قوله تعالى: ﴿أَلْقِ﴾ تفسير للنداء ثمّة، فوجب أن يكون هنا أيضًا تفسيرًا له؛ لأنّ كلام الله تعالى يفسّر بعضه بعضًا، غير أنّه كُرّر ثَمّ حرفُ التفسير، ولم يكرَّر ههنا.

قوله:

(فما عقّبوا)... البيتَ[1]

"يومَ الكَريهة": يوم الحرب. يصِف فِرار قوم مِن المحاربة وهزيمتهم بحيث لا يرجعون بعد الفِرار، ولا ينزلون منزلًا مِن الخوف، كما قيل:

ففي الهَيجاءِ ما جرَّبتُ نفسي ولكن في الهزيمة كالغزالِ[2]

قوله: (وإنّما رُعِب) الرُّعْب: الخوف، تقول: رَعَبْته، فهو مَرعوب، ولا تقل: أرْعَبته.[3]

---

١ بلا نسبة في البحر المحيط لأبي حيّان، ٢١٣/٨ (النمل، ١٠/٢٧)؛ وشرح شواهد الكشّاف لمحبّ الدين أفندي، ص ٢٤٤.

٢ كذا في شرح شواهد الكشّاف لمحبّ الدين أفندي، ص ٢٤٤. والبيت بغير نسبة في الدرّ الفريد لابن أيدمر، ٢٧٦/١٠.

٣ الصحاح للجوهري، «رعب».

لظنِّهِ أَنَّ ذلك لأمْرٍ أُرِيدَ بهِ، ويَدُلُّ عليه: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾، و﴿إِلَّا﴾ بمعنَى "لكن"؛ لأنَّه لمَّا أُطلق نَفيُ الخَوفِ عن الرُّسُل كان ذلك مَظِنَّةً لطُروِّ الشُّبهة فاستُدركَ ذلك، والمعنى: ولكنْ ﴿مَن ظَلَمَ﴾ منهم؛ أي: فَرَطَتْ منه صَغيرةٌ ممَّا يجُوزُ على الأنبياء؛ كالذي فَرَط مِن آدمَ ويونسَ وداوُدَ وسليمانَ وإخوةِ يوسُفَ، ومِن موسى عليه السلام بوَكْزِهِ القِبْطيَّ، ويُوشِك أَن يُقصَدَ بهذا التَّعريضُ بما وُجِدَ مِن موسى، وهو من التَّعريضَات التي يَلطُفُ مَأخَذُهَا، وسمَّاهُ ظُلْمًا كما قال مُوسَى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ [القصص ٢٨/١٦].

و"الحُسْنُ والسُّوءُ": حُسْنُ التَّوبة وقُبْحُ الذَّنْبِ.

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾

وقرئ: "أَلَا مَن ظَلَم" بحَرْف التَّنبيه وعن أبي عمرٍو في روايةِ عِصْمَةَ: "حَسَنًا".

﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ كلامٌ مُستأنفٌ، وحرْفُ الجرِّ فيه يتعَلَّقُ بمَحذوف، ....

قوله: (لظنِّه) أي: لظنّ موسى أنّ قلب العصا[1] حيّة لضربٍ[2] أراد الله تعالى أن يصيبه بموسى.

قوله: (لأنّه) متعلّق بمحذوفٍ علّة له، أي: إنّما جاء بكلمة الاستدراك لأنّه...

قوله: (مظِنّةً) وذلك لأنّ بعض الأنبياء قد صدر منهم ذنبٌ، فعليهم أن يخافوا.

قوله: (ويوشك) عطف على قوله: "لأنّه"... إلخ، يعني: يحتمل أن لا يكون الإتيان بكلمة الاستدراك لاستدراك[3] المظِنّة المذكورة؛ بل الغرض منه التعريض بحال موسى، وبما وُجد منه مِن القتل.

قوله: (والحُسن والسُّوء)...[4] إلخ، فيه لفّ ونشر.

---

[1] ن: الغصا.

[2] في نسخة د كتب تحته بالمداد الأحمر تفسيرًا: "لأمر".

[3] ن: الاستدراك.

[4] ن: والسؤال.

والمعنَى: اذهَبْ في تسعِ آياتٍ ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ ونحوُه:

فقُلتُ إلى الطَّعامِ فقَال منهم فريقٌ نَحسُدُ الإنْسَ الطَّعاما

ويجوز أَنْ يكُون المَعنى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ﴾ ﴿فِي تِسْعِ ءَايَـٰتٍ﴾؛ أي: في جُملةِ تسعِ آياتٍ وعِدادِهِنَّ.

ولِقائلٍ أَن يقول: كانت الآياتُ إحدَى عشْرَة: ثِنتَانِ منها اليدُ والعصَا،

قوله: (والمعنى: اذهب في تسع آيات) كأنّه في الآيات التسع محفوظ بها، وهي مشتملة عليه، فهو محفوف بها.

قوله:

(فقلتُ إلى الطعام)

أوّله:

أتَوا ناري فقلتُ مَنونَ أنتم فقالوا الجنُّ قلتُ عِموا ظلاما
فقلتُ إلى الطعام فقال مِنهم فريق نحسُد الأنَسَ الطعاما[١]

قوله: (ويجوز أن يكون المعنى) عطف على قوله: (في تسع آيات)، كلام مستأنَف، والصواب أنّه عطف على قوله: "والمعنى"؛ لأنّه مستأنَف على التقديرين، ومتعلّق بمحذوف، وإنّما يختلف المعنى فيهما.

[٢٢٧ظ] قوله: (أي: في جملة) يعني: هما في جملة / تسع آيات، فالآيات تسع، وهما في جملتهنّ وعِدادِهِنّ. ثمّ أشار المصنّف إلى احتمال آخر؛ وهو أن يكون المراد: أنّ الآيات إحدى عشرة، وهما اثنتان، والباقية تسع، فكأنّه تعالى لمّا أراه[٢] هاتين الآيتين أشار إلى أنّ هنا تسعَ معجزات أُخر، هنّ مثلهما في الإعجاز، فيكون الكلام إشارة إلى وجه آخر، لا إلى الاعتراض كما كتب قبلُ مِن الجانب الآخر، وهذا هو الوجه.

قوله: (ولقائل أن يقول)... إلخ، كالاعتراض على هذا الوجه الثاني، أي:

---

١ ن: الطعام؛ ن + "الأنَس" لغة في الإنس، وأنشد الأخفش على هذه اللغة. | الصحاح للجوهري، «أنس»؛ لسان العرب لابن منظور، «أنس». قال ابن منظور: «قال ابن برّي: الشعر لشَمِر بن الحارث الضبّي».

٢ د: راه.

والتِّسع: الفَلْقُ، والطوفانُ، والجرادُ، والقُمَّلُ، والضَّفادعُ، والدَّمُ، والطَّمسة، والجَدْبُ في بَوادِيهم، والنُّقصَانُ في مَزارعهم.

﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١٣ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤﴾

"المُبْصِرَةُ": الظاهِرةُ البَيِّنةُ، جُعِل الإبصار لها وهو في الحقيقة لمُتأمِّليها؛ لأنَّهم لابَسوهَا وكانوا بسَببٍ ....

إذا كانت الآيات إحدى عشرة فكيف يصحّ أن يقال: هاتان الآيتان في جملة التسع؟ وجوابه: أنّه إذا كان ﴿فِي﴾ بمعنى المعيّة يكون المجموع أحدَ عشر؛ لأنّ العصا واليد إذا انضمّت إلى التسع تبلغ[١] أحدَ[٢] عشر، وهذا كما ذكر الأئمّة مِن أنّه إذا قال لزيد: عليّ عشرة في تسعة، وأراد المعيّة يلزمه تسعةَ عشر. والجواب الثاني: أن نقول: المراد بـ"الآيات التسع" هي الآيات التي بُعث موسى بها إلى فرعون، وهي تسع لا غير؛ لأنّ فَلْق البحر ليس مِن جملة تلك الآيات، فسقط واحد، وأمّا الجَدْب والنقصان فكالشيء الواحد؛ لأنّ الجَدْب كان بالنسبة إلى أهل البوادي، ونقصان الزرع بالنسبة إلى مزارعهم.

قوله: (والطَّمْسةُ) حيث دعا موسى بقوله عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ [يونس ٨٨/١٠]، فجعل الله تعالى[٣] أموالهم حجارة. والطموس: الدُّروس والانمِحاء، يقال: طمَسَ الطريقُ وطمسْتُه أنا، يتعدّى ولا يتعدّى، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ [يونس ٨٨/١٠]، أي: اقلبها حجارة، كما قال تعالى: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا﴾ [النساء ٤٧/٤].[٤]

قوله: (جُعل الإبصار لها) أي: للآيات.[٥] وقوله: (وهو في الحقيقة) الواو للحال. وقوله: (لابَسوها) أي: الآيات. وقوله: (وكانوا بسببٍ منها) كلّ ما يكون

---

١ ن: يبلغ.
٢ ن: إحدى.
٣ ف – تعالى.
٤ الصحاح للجوهري، «طمس».
٥ ن: الآيات.

منها بنظرِهم وتفكُّرِهم فيها، ويجوز أَنْ يُراد بحقِيقةِ الإبصَارِ: كُلَّ ناظرٍ فيها من كافَّة أُولِي العقل، وأنْ يراد إبْصَارُ فرعونَ ومَلَئه، لقوله: ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾.

أو جُعِلَتْ كأنها تُبْصِرُ فتَهدِي؛ لأنَّ العُمْيَ لا تَقدِرُ عَلى الاهتِداء ....

فضلةً بين الشيئين[١] ورابطًا بينهما يسمّى سببًا؛ تشبيهًا بالسبب الذي هو الحَبل. و"مِن" في قوله: "منها" -أي: مِن الآيات- تسمّى اتّصاليّة، أي: لمّا كان المتأمّلون ملابسين ومخالطين برابط له اتصالٌ بالآيات جعَل الآيات مبصِرةً مجازًا، وذلك الرابط بالحقيقة هو النظر، فقال: "بنظرهم في الآيات"، فيجوز أن يكون قوله: (بنظرهم) متعلِّقًا بقوله: (بسبب)، يعني: مخالطتهم بذلك الرابط بسبب نظرِهم، ويجوز أن يكون بدَلًا منه.

قوله: (ويجوز أن يراد بحقيقةِ الإبصار) لمّا بيّن أنّ استناد الإبصار إلى المتأمِّلين حقيقةٌ وإلى الآيات مجازٌ سمّى إبصار المتأمّلين "حقيقةَ الإبصار"، وإبصار الآيات "مجازَ الإبصار"، وحذَف المضاف مِن قوله: (كلُّ ناظر)، أي: يجوز أن يراد بحقيقة الإبصار إبصارُ كلِّ ناظر، فيكون المعنى: أنّ كلَّ ناظر يُبصرها ويَهتدي بسببها، ويدلُّ على حذف المضاف قوله: (وأن يُراد إبصار فرعون). أو نقول: لمّا قال: "الإبصار / حقيقة للمتأمّلين" صار المعنى إلى: أنّ الإبصار للمتأمِّلين حقيقة، فقال: يجوز أن يكون الإبصار بالحقيقة لكلِّ مَن نظَر كافّة. [٢٢٨و]

قوله: (أو جُعلت)... إلخ، الفرق بين الوجهين: أنّ الأوّل كان مِن المجاز في الإسناد، وهذا مِن الاستعارة، حيث شبّه كونُها واضحة بكونها مُبصرة؛ لأنّها إذا كانت واضحة يهتدي بها أحد[٢] غيره فكأنّها[٣] مبصرة تهدي غيره، وإذا لم تكن[٤] واضحة لا يهتدي بها أحد فكأنّها عُمْيٌ لا تهدي غيره. وبيانه: أنّ الإبصار سبب الهدى، فأطلِق الإبصار وأريد به الهدى، ثمّ قيل: ﴿مُبْصِرَةً﴾ وأريد: هاديةً، فهو مِن الاستعارة التبعيّة.

---

١ ف: السببين.
٢ ف ن – أحد.
٣ ن: وكأنّها.
٤ ن: يكن.

فَضْلًا أن تَهْدِيَ غيْرَها، ومنه قولُهم: "كلِمةٌ عَيناء" و: "كلمةٌ عَوْرَاء"؛ لأنَّ الكلِمةَ الحسَنةَ تُرْشِد والسَّيِّئةَ تُغْوِي، ونحوُه قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء ١٠٢/١٧] فوصَفَها بالبصَارة كما وصَفها بالإبصَار.

وقَرأ علِيُّ بن الحُسين وقتَادةُ: "مَبْصَرةً"، وهي نحوُ: مَجْبَنةٍ ومَبْخلَةٍ ومَجْفَرةٍ؛ أي: مكَانًا يَكثُر فيه التَّبصُّرُ.

الواوُ في ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَا﴾ واوُ الحال، و"قد" بَعْدَها مُضْمرةٌ.

و"العُلوُّ": الكِبْرُ والتَّرفُّعُ عن الإيمان بما جاء به مُوسى؛ كقوله: ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ۞ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ [المؤمنون ٢٣/٤٦-٤٧].

وقرِئ: "عُلِيًّا" و: "عِلِيًّا" بالضَّمِّ والكَسْر، كمَا قُرِئ: ﴿عُتِيًّا﴾ [مريم ٨/١٩].

وفائدةُ ذكر الأَنفُسِ: أنهم جَحدوهَا بألسِنتِهم واستَيقَنُوها في قُلُوبهم وضمائرِهم، والاستِيقَانُ أَبلغُ من الإيقانِ، وقد قُوبلَ بين المُبصِرَة والمُبينِ، وأَيُّ ظُلمٍ أَفحشُ من ظُلمِ مَن اعتقَد واستَيقَنَ أنَّها آيَاتٌ بيّنةٌ واضحَةٌ جاءَت من عندِ الله ثمَّ كابَر بتَسْمِيَتِها سِحرًا بيّنًا مكشُوفًا لا شُبْهَةَ فيه.

قوله: (كلمةٌ عَيناء) للكلمة الحسنة. وقوله: (كلمةٌ عَوراء) للكلمة السيّئة.

قوله: (فوصفها بالبصارة كما وصفها بالإبصار) "الإبصار" مِن البصر؛ وهو نور العين، و"البصائر" جمع البصيرة؛ وهو نور القلب.

قوله: (ومَجْفَرةٌ) جَفَر الفحل عن الضِّراب بسبب كثرته عنه، وانقطع عنه، ومنه: «الصوم مَجْفرة»،[1] أي: مقطعة للنكاح.[2]

قوله: (وقد قوبل بين "المُبصرة" و"المُبين") فكأنّه قيل: كانت آياتٍ مبصرةً، وهم سمَّوها سِحرًا مبينًا.

---

[1] من حديث لفظه عند الطبراني: «عليك يا ابن مظعون بالصيام، فإنّه مَجفرة». المعجم الكبير للطبراني، ٣٨/٩ (٨٣٢٠).

[2] انظر: الصحاح للجوهري، «جفر».

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾

﴿عِلْمًا﴾: طائفةً من العِلْم، أو: عِلمًا سَنِيًّا غَزِيرًا.

فإن قلتَ: أليس هذا موضعَ الفاءِ دُونَ الواو؛ كقَولِه: أعْطَيْتُه فشكَرَ ومنَعتُه فصَبر؟

قلتُ: بَلَى، ولكنْ عَطفُه بالواو إشعَارٌ بأنَّ ما قَالَاهُ بعضُ ما أحْدَثَ فيهما إيتاءُ العِلم وشيءٌ من مَوَاجِبِه، فأُضمِر ذلك ثم عُطِف عليه التحْميدةُ؛ كأنَّه قال: ولقد آتيناهُما عِلمًا فعَمِلَا به وعَلَّمَاه وعَرَفَا حَقَّ النِّعمةِ فيه والفضيلةِ ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ﴾.

والكثيرُ المُفضَّلُ عليه: مَن لم يُؤتَ علمًا، أو مَن لم يُؤتَ مثلَ عِلمهما.

وفيه: أنَّهما فُضِّلَا على كثيرٍ وفُضِّلَ عليهما كثيرٌ.

وفي الآيةِ دليلٌ على شَرف العِلم وإنَافةِ محَلِّهِ، وتَقَدُّمِ حَمَلتِه وأَهْلِه،

قوله: (سَنِيًّا غزيرًا) السنيُّ: الرفيع. والغزارة: الكثرة، وقد غَزُر الشيء -بالضمّ- يَغْزُرُ، فهو غزير.

قوله: (مِن مواجبه) المَواجب:[1] جمع مُوجَب؛ بضمّ الميم وفتح الجيم.

قوله: (فأضمر ذلك) "ذلك" إشارة إلى ما دلّ عليه قوله: (بعضُ) و(شيءٌ)، وهو البعض الآخر والشيء الآخر، وهما -أي: المُضمر والمذكور-[2] مندرِجان تحت "ما أحدَث"، وتحت "المَواجب"، فتأمّل فيه.

قوله: (المفضَّل) لا ضمير فيه.

قوله: (وإنافةِ محلِّه) النَّيف: الزيادة؛ يخفّف ويشدّد، وأنافتِ الدراهم[3] على المئة، أي: زادت.[4]

---

١ ن - المواجب.

٢ ن: والمذكر.

٣ في الأصول الخطّيّة: "الدرهم" وأثبت ما في مطبوع الصحاح.

٤ الصحاح للجوهري، «نيف».

وأَنَّ نغمةَ العِلْم من أجَلِّ النِّعم وأَجْزَلِ القِسَم، وأَنَّ مَن أُوتِيَهُ فقد أُوتيَ فَضْلًا على كثيرٍ من عبَاد الله؛ كما قال: ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة ١١/٥٨] وما سمَّاهم رسُولُ الله "ورَثةَ الأنبياء" إلَّا لمُدَاناتِهم لهم في الشَّرفِ والمَنزلة؛ لأنهم القُوَّام بما بُعِثُوا من أَجْله.

وفيها: أنَّه يَلزَمُهم لهذه النعمة الفاضِلة لوَازمُ؛ منها: أَن يَحمدُوا الله عَلى ما أُوتُوه من فَضْلِهم على غَيْرهم.

وفيها: التذكيرُ بالتواضُعِ، وأَنْ يَعتقِدَ العَالِمُ أنَّه إن فُضِّلَ على كثيرٍ فقَد فُضِّل عَليه مِثْلُهم، وما أَحْسَن قولُ عُمر: «كلُّ النَّاس أَفقهُ من عمَرَ»!

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾

ورِثَ منه النبوَّةَ والملكَ دون سَائر بَنِيهِ وكانوا تسْعةَ عشَر، وكان داوُدُ أكثرَ تَعبُّدًا، وسُليمانُ أقضَى وأَشكَرَ لنعمَةِ الله.

﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ تشهيرًا لنعمَـةِ الله، وتَنْويهًا بها، واعترافًا بمَكانها، ودُعَاءً لِلناس إلى التَّصديق بذكر المُعجزة التي هي عِلْمُ مَنطِق الطَّيرِ وغيْرُ ذلك ممَّا أُوتِيَهُ من عَظائم الأمُور.

و"المنطق": كلُّ ما يُصَوَّتُ به من المُفرَدِ والمؤلَّفِ المُفيدِ وغيرِ المُفيدِ، وقد ترْجَم يعقوبُ كتَابهُ بـإصْلاحِ المَنطق وما أَصلح فيه إلَّا مُفرداتِ الكَلِم، وقالت العربُ: "نَطقتِ الحمامَةُ".

قوله: (وفيها أنّه يلزمهم) أي: في الآية.

قوله: (وتنويهًا) ناه الشيء يَنوه إذا ارتفع، فهو نائه، ونوّهته تنويهًا إذا رفعتَه، ونوَّهتُ باسمه إذا رفعتَ ذِكره.[1]

قوله: (يعقوب)[2] أي: ابن السِّكّيت.

---

[1] الصحاح للجوهري، «نوه».

[2] في بعض مطبوعات الكشّاف: "يعقوب بن السكيت" مصرّحًا به.

وكُلُّ صِنفٍ من الطَّير يَتفَاهمُ أَصْواتَهُ، والذي عُلِّمه سليمانُ من مَنطق الطَّير: هو ما يَفهَمُ بَعضُه من بَعْضٍ من معَانيهِ وأَغراضِه.

ويُحكى أنَّه مرَّ عَلى بُلبلٍ في شجرَةٍ يُحرِّكُ رَأسه ويُميلُ ذنَبَهُ، فقَال لأصحَابه: أَتدرُونَ ما يقولُ؟ قالوا: اللهُ ونبيُّه أعلم، قال: يقولُ: أَكَلْتُ نصفَ تمرَةٍ فعَلى الدُّنيا العَفَاءُ، وصَاحَتْ فاخِتةٌ فأَخبَرَ أنها تقولُ: ليْت ذَا الخلقَ لم يُخلَقُوا، وصَاح طاوُوسٌ فقَال: يقول: كما تَدِينُ تُدَانُ، وصاح هُدهُدٌ فقال: يَقُولُ: استغفِرُوا اللهَ يا مُذنبُونَ، وصاح طِيطوَى فقال: يقُولُ: كُلُّ حيٍّ مَيِّتٌ وكُلُّ جديد بالٍ، وصاح خُطَّافٌ فقال: يقولُ: قدِّمُوا خيرًا تجدُوهُ، وصَاحَتْ رَخْمةٌ فقَال: تقولُ: سبحان ربِّي الأَعْلى مِلءَ سَمائه وأَرْضِه، وصَاح قُمريٌّ فأَخبَر أنَّه يقولُ: سُبْحان ربِّي الأَعْلى.

وقَال: الحِدَأُ يقولُ: كلُّ شيءٍ هالكٌ إلَّا الله، والقَطَاةُ تقولُ: مَن سَكَتَ سَلِم، والببغَاء يقولُ: وَيلٌ لمن الدُّنيا هَمُّه، والدِّيكُ يقولُ: اذكُروا اللهَ يا غَافِلُونَ، والنَّسرُ يَقولُ: يا ابن آدمَ عِشْ ما شئت آخِرُكَ المَوتُ، والعُقابُ يَقولُ: في البُعْد من النَّاسِ أُنسٌ، والضِّفدَعُ يقول: سبحان رَبِّي القُدُّوس.

وأرَادَ بقوله: ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾: كثرَةَ مَا أُوتي؛ كما تَقُولُ: "فلانٌ يقصِدُه كُلُّ أحَد ويَعْلمُ كلَّ شيء" تُريد كثرَةَ قُصَّاده ورُجُوعَه إلى غَزارةٍ في العِلم واستِكثارٍ منه، ومِثلُه قَوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل ٢٣/٢٧].

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ قولٌ وارِدٌ على سَبيل الشُّكر والمَحمَدةِ؛ كما قال رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «أنَا سَيِّدُ وَلد آدمَ ولا فخرَ»؛ أي: أَقُولُ هذا القولَ شُكرًا ولا أَقُولُه فخرًا.

فإن قلتَ: كيفَ قال: ﴿عُلِّمْنَا...وَأُوتِينَا﴾ وهو من كلام المُتَكبِّرِينَ؟

قوله: (العَفاء) "العَفاء" -بالفتح والمدّ-: التراب.

قولـه: (بـالٍ) اسـم فاعـل مِـن: بلـيَ الثـوب يبلَـى بِلًـى بكسـر البـاء، فـإن فتحتَها مددتَ.[1]

---

[1] الصحاح للجوهري، «بلا».

قلت: فيه وجهَان:

أحدُهما: أن يُريدَ نفسَه وأَباه.

والثاني: أَنَّ هذه النُّونَ يقال لها: نونُ الواحدِ المُطَاع، وكان مَلِكًا مُطَاعًا، فَكَلَّم أَهْلَ طاعَتهِ على صِفَتِه وحَالِه الَّتي كان عليها، وليس التَّكبُرُ من لَوازِم ذلك، وقد يَتَعَلَّقُ بتجمُّلِ المَلِك وتفَخُّمِه وإِظهَارِ آيينه وسيَاسَتِه مَصَالِحُ، فيَعُودُ تكلُّفُ ذلك واجبًا.

وقد كان رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يَفعَلُ نحوًا من ذلك إذا وفَدَ عَليْه وَفْدٌ أو احتَاجَ أَنْ يَزجَحَ في عَيْنِ عَدوٍّ، أَلَا ترى كيف أَمَر العبَّاسَ بأن يَحْبِسَ أبَا سُفيَان حَتَّى تَمرَّ عَليه الكَتَائبُ.

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٧﴾

رُوي أن مُعَسْكرَه كان مئةَ فَرسخٍ في مئةٍ: خمسةٌ وعشرونَ للجِنِّ، وخَمسةٌ وعشرونَ للإنس، وخمسةٌ وعشرونَ للطَّير، وخمسةٌ وعشرون للوَحْشِ، وكان له ألفُ بَيْتٍ من قَواريرَ على الخَشَبِ فيها ثَلاثُ مئةِ مَنكوحَةٍ، وسَبعُ مئة سُرِّيَّةٍ.

وقد نَسجَتْ له الجنُّ بسَاطًا مِن ذهَبٍ وإبرَيْسَمٍ فرسَخًا في فَرْسخٍ، وكان يُوضَعُ مِنبَرُهُ في وَسَطه وهو من ذهَبٍ، فيَقعُدُ عليه وحَوْلَه ستُّ مئةِ أَلْفِ كرسيٍّ من ذَهبٍ وفضَّةٍ، فيقعُد الأنبياءُ على كراسيِّ الذَّهبِ والعُلمَاءُ عَلى كَراسيِّ الفضَّةِ، وحَولَهُم النَّاسُ، وحَوْلَ الناس الجنُّ والشَّياطينُ، وتُظِلُّه الطَّيرُ بأَجنحتِها حتَّى لا تَقع عليه الشمسُ، وتَرفعُ ريحُ الصبا البِسَاطَ فتَسيرُ به مَسيرةَ شَهْرٍ.

ويُروَى: أنَّه كان يأمرُ الرِّيحَ العَاصفَ تَحمِلُه ويأمرُ الرُّخاء تُسيِّرهُ، فأَوْحَى الله إليه وهو يَسيرُ بيْنَ السَّماء والأَرض: إِنِّي قد زِدْتُ في مُلكِكَ: لا يَتكلَّمُ أحَدٌ بشَيءٍ إلَّا أَلْقَتْهُ الرِّيحُ في سَمْعِكَ.

قوله: (لا يتكلّم) جملة مستأنَفة، جواب سائل يقول: ما تلك الزيادة؟

قوله: (بشيء) أي: ممّا يتعلّق له به غَرض دينيّ أو دنيويّ.

فيُحكَى أنّه مَرَّ بحرّاثٍ فقال: لقَد أُوتي آلُ داوُد مُلكًا عظيمًا، فألقَتهُ الرِّيحُ في أُذُنِه، فنزل ومشَى إلى الحرّاثِ وقال: إنّما مَشَيتُ إليك لِئلّا تتمنّى مَا لا تَقدرُ عليه، ثم قال: لَتسبيحةٌ واحِدةٌ يقبَلُها الله خيرٌ ممّا أُوتي آلُ داود.

﴿يُوزَعُونَ﴾: يُحبَسُ أوّلُهم على آخِرِهم؛ أي: تُوقَفُ سُلّافُ العَسكر حتّى تلحَقَهُم التّوالي فيكونوا مُجتمِعينَ لا يتخلّفُ مِنهم أحَدٌ، وذلك للكثرة العَظِيمةِ.

قيل: هو وادٍ بالشّام كثيرُ النّمل.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝١٨﴾

فإن قلتَ: لم عُدِّيَ ﴿أَتَوۡاْ﴾ بـ﴿عَلَىٰ﴾؟

قلتُ: يتوَجّهُ على مَعنيين:

أحَدُهما: أنّ إتيانَهُم كان مِن فَوقُ فأُتِيَ بحَرف الاستعلاء، كما قال أبُو الطِّيب:

ولَشَدَّ ما قَرُبَتْ عَليك الأنجُمُ

قوله: (قال: لَتسبيحةٌ) ويُعلم مِن قوله عليه السلام:[١] "لَتسبيحةٌ"... إلخ: أنّه لم يكن راغبًا[٢] في تلك المملكة ومُعظِّمًا لتلك الأحوال، فلذلك[٣] يقول: إنّه زاهد في الدنيا مع كثرة هذه الأموال وعِظم هذه الأحوال، قال سفيان:[٤] «الزهد في الدنيا الزهد في الناس».[٥]

قوله: (سُلّاف) "السُّلّاف":[٦] جمع السالف؛ وهم المتقدِّمون. و"التوالي" جمع التالية؛ وهم الذين يتّبعونهم، أي: يتخلّفون عنهم.

قوله:

(ولَشَدَّ ما قَرُبَتْ عليك الأنجُمُ)

---

١ أي: مِن قول سليمان عليه السلام.
٢ ن: زاغبًا.
٣ ف: وكذلك.
٤ أي: سفيان الثوري.
٥ حلية الأولياء لأبي نعيم، ٦٩/٧.
٦ ن – السُّلّاف.

لمَّا كان قُرْبًا مِن فَوْقُ.

والثاني: أَن يُراد قَطْعُ الوَادِي وبُلوغُ آخرِهِ، مِن قولهم: أَتَى على الشيءِ: إذا أَنفَذَهُ وبَلَغ آخِرَه، كأَنَهم أرَادُوا أَن ينزِلُوا عند مَقْطع الوَادي؛ لأنّهم ما دامت الريحُ تحمِلُهُم في الهواء لا يُخافُ حَطيمُهم.

وقرئ: "نَمُلةٌ يا أيها النَّمُل" بضم الميم، وبضم النُّون والميم، وكأنَّ الأصْلَ: "النَّمُلُ"، بوزن: الرَّجُل، و"النَّمْلُ" الذي عليه الاستِعمال تخفيفٌ عنه؛ كقولهم: "السَّبْع" في "السَّبُع".

قيل: كانت تَمشي وهي عَرَجَاءُ تتكَاوَسُ فنادَتْ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ﴾ الآيَةَ فسَمِعَ سليمانُ كلامَها من ثلاثة أَمْيَال، قيل: كان اسمُها طَاخيةَ.

أوّله:

فلَشَدَّ ما جاوزتَ قدْركَ صاعِدًا[١]

يقول: ما أشدّ تجاوزك قدرَك حين تطلب منّي المديح. وعنى بـ"الأنجُم" أبياتَ شعره. ويهجو شخصًا طلب منه أن يمدحه.

قوله: (كأنّهم أرادوا) أي: سليمان وجنوده.

قوله: (تتكاوَس) / يريد: تمشي على ثلاث قوائم. اعلم أنّ "التكاوس" بهذا [٢٢٨ظ] المعنى لم يوجد في شيء مِن كتب اللغة، قال في الصِّحاح:

> كاسَ البعير إذا مشى على ثلاث قوائم وهو مُعَرْقَب،[٢] قالت عَمْرة -أخت العبّاس بن مِرداس، وأمُّها الخنساء- ترثي أخاها وتذكر أنّه كان يُعرقِب الإبل:[٣]
>
> فظلَّت تكُوس على أكْرُعٍ ثلاثٍ وغادَرنَ أخرى خَضيبا[٤]

---

[١] لأبي الطيّب المتنبّي في ديوانه، ص ٢٢٠.

[٢] في الصحاح: "عرقب"؛ وفي لسان العرب لابن منظور، «كوس»: "عرقبها".

[٣] العُرْقوب: العصب الغليظ المُوَتَّرُ فوق عَقِبِ الإنسان، وعُرقوبُ الدابة في رِجلها بمنزلة الرُّكبة في يدها. وقد عَرْقَبْتُ الدابة: قطعت عُرقوبها. انظر: الصحاح للجوهري، «عرقب».

[٤] الصحاح للجوهري، «كوس»؛ وهو في غريب الحديث لأبي عُبيد، ٤/٤١٢.

وعن قتَادةَ: أنَّه دَخل الكوفةَ فالتَفَّ عَليه الناسُ، فقال: سَلُوا عمَّا شئتُم، وكان أبو حنيفةَ رحمه اللهُ حاضِرًا وهو غلامٌ حَدَثٌ، فقال: سَلوهُ عن نَملةِ سليمانَ أكانتْ ذكرًا أم أُنثى؟ فسَألُوه فأُفحِمَ، فقال أبو حنيفة: كانت أُنثى، فقيل له: من أَينَ عرَفتَ؟ قال: من كتاب الله، وهو قوله: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ ولو كانت ذكرًا لقال: "قال نملةٌ".

تعني: القائمة التي عَرْقبه هي مخضّبة بالدَّم. والتكاوس: التراكم، يقال: عشبٌ متكاوِسٌ إذا كثُر وكثُف.[١]

وذكر أيضًا في المُجمل كذلك.[٢] وقال المطرّزي في المُغرب: «كاسَ البعير: مشى على ثلاث قوائم، كَوسًا».[٣] ولم يذكر المطرّزي فيه "التكاوس" بهذا المعنى؛ بل ذكروا الكَوس بهذا المعنى. وأنا أقول: لمّا جاء الكَوس بهذا المعنى يجوز[٤] بناء "تكاوَس" منه، نحو: تعارَج مِن عَرَج، قال في المقامة الحريريّة:

تعارَجْـتُ لا رغبـةً فـي العَـرَجْ ولـكـن لأقْـرَع بـاب الـفَـرَجْ[٥]

قوله: (ولو كانت ذكَرًا)... إلخ قال ابن الحاجب في شرح الكافية:

واللفظيّ -أي: المؤنّث اللفظيّ- بخلافه، وهو أن لا يكون بإزائه ذكَرٌ في الحيوان، كظُلمة وعَين، ولا فرق بين أن يكون حيوانًا أو غيره، كدجاجة وحمامة؛ إذا قصد به مذكّر فإنه مؤنّث لفظيّ، ولذلك كان قول مَن زعم أنّ النملة في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ أنثى لورود تاء التأنيث في ﴿قَالَتْ﴾ وهْمًا؛ لجواز أن يكون مذكّرًا في الحقيقة وورود تاء التأنيث، كورودها في فِعل المؤنّث اللفظي، ولذلك يقال عندي: ثلاث مِن البطّ ذكورٌ، فيأتون بالعدد مؤنّثًا وإن كان ذكورًا؛ لمّا كان مفرد البطّ بطّة، فالتأنيث لفظيّ.[٦]

وأنا أقول: ظهر لك مِن هذا أنّ إفحام قتادة خير مِن جواب أبي حنيفة، لكنّه لمّا كان حينئذٍ غلامًا حدَثًا فهو معذور، وكأنّ المصنّف لبيان هذا العذر قال:

---

١ الصحاح للجوهري، «كوس».
٢ مجمل اللغة لابن فارس، «كوس».
٣ المُغرب للمطرّزي، «كوس».
٤ ن: يخوز.
٥ مقامات الحريري، ص ٣٨.
٦ شرح الكافية لابن الحاجب. وانظر: الإيضاح شرح المفصّل لابن الحاجب، ٥٤٧/١.

وذلكَ أن النملةَ مثلُ الحمَامةِ والشَّاة في وقُوعِها على الذَّكرِ والأنثى، فيُميِّز بينهما بعَلامةٍ نحو قولهم: حمامةٌ ذكرٌ وحَمامَةٌ أُنثى، وهُو وَهيَ.

وقرئ: "مَسْكَنَكم"، و: ﴿لا يَحْطِمنْكم﴾ بتخفيف النون.

وقرئ: "لا يَحطِّمنّكم" بفتح الحاء وكسرها، وأَصْلُه: يَحْتَطِمَنّكم.

ولمَّا جعَلها قائلةً والنَّملَ مقُولًا لهم كما يكون في أُولي العَقل أَجْرَى خِطَابَهُم مُجرى خِطابِهم.

فإن قلتَ: ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾ ما هو؟

قلتُ: يَحتمِل أَن يكون جَوابًا لِلأمْر، وأَن يكونَ نهيًا بدَلًا مِن الأمْر، والذي جَوَّز أَن يكونَ بدَلًا مِنه أَنَّه في مَعْنَى: "لا تكونوا حَيثُ أَنتُم فيَحطِمَكُم" على طريقةِ: "لا أَرَيَنَّكَ هَاهُنا".

غلامًا حدَثًا. وأنا أقول: إنّما أُفحِم قتادة لقوله: "سلوا عمّا شئتم"، فمثل هذا الكلام لا يرضاه الله تعالى. وقوله: (فيُميِّز بينهما)... إلخ، يريد: أنّ التميز تارة يكون بالصفة، وتارة بإلحاق علامة المؤنّث في فِعله وترك العلامة.

قوله: (وقرئ: "مَسْكَنَكم")[1] أي: مُفردًا.

قوله: (والنمل مقولًا لهم) يعني: لمّا جعل الله تعالى[2] مقولًا لهم -أي: مخاطَبين بالقول- أجرى خطاب النمل مُجرى خطاب العقلاء.

قوله: (قلتُ: يحتمل أن يكون جوابًا) فيكون نفيًا.

قوله: (والذي جوَّز أن يكون بدلًا) إشارة إلى جواب سؤال مقدّر، وهو أن يقال: ﴿ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾ أمرٌ للنمل، و﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ﴾ نهي لسليمان وجنوده، فكيف يكون الثاني بدلًا مِن الأوّل مع أنّ مدلولهما مختلفان؟ فأجاب: بأنّ الطلب مِن حيث المعنى متوجّه إلى[3] النمل في الصورتين؛ لأنّ معنى ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾: لا تكونوا[4] في مكانكم الذي أنتم فيه فيحطمنّكم سليمان وجنوده،

---

[1] شاذّة. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٣٥٨.
[2] ن + لهم.
[3] ن – إلى.
[4] ن: لا تكون.

أرَادَ: لا يَحْطِمنَّكم جُنُودُ سُليمانَ فجَاء بما هو أَبلغُ ونحوُه:

عـجِبْـتُ مـن نـفْـسي ومــن إشـفَـاقـهَـا

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾

ومَعْنى "تَبَسَّمَ ضاحكًا": تبسَّم شارعًا في الضَّحِك وآخِذًا فيه، يعني: أَنَّه قد تجاوَزَ حَدَّ التَّبسُّم إلى الضحك، وكذلك ضَحِكُ الأنبيَاء.

وأمَّا ما رُويَ: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ضَحكَ حتى بَدَتْ نوَاجِذُه،

كما في قولهم: لا أرينَّك ههنا؛ النهي متوجّه -بحسب الظاهر- إلى المتكلِّم، والمعنى نهيُ المخاطَب مِن الوقوف في / مكانه، فيراه المتكلِّم. [٢٢٩و]

قوله:

(عجبتُ مِن نفسي ومِن إشفاقها) ومِـن ذيـادي[١] الطيرِ عن أرزاقِـهـا
في سنةٍ قد كشَفت عن ساقها حمراءَ تبري اللحم عن عُراقها[٢]

"الإشفاق": الخوف. والمعنى: عجبتُ مِن خوف نفسي، ولكن ذكَر النفس توطئةً وتمهيدًا لذكر[٣] الإشفاق؛ ليكون أبلغ، كما يقال: أعجبني زيد وكرمُه، ونحوه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأحزاب ٥٧/٣٣].

قوله: (نواجذُه)[٤] الناجِذ: آخر الأضراس، وللإنسان أربعة نواجذ في أقصى الأسنان بعد الأرحاء، ويسمّى ضِرس الحُلُم؛ لأنّه[٥] ينبت بعد البلوغ وكمال العقل.[٦]

---

[١] ن: زياد. | وفي غريب الحديث لابن قتيبة وغيره: "مطرادي"، وهما بمعنى واحد، قال الجوهري: «ذُدتُ الإبل: سُقتها وطردتها». الصحاح للجوهري، «ذود».

[٢] بغير نسبة في غريب الحديث لابن قتيبة، ٢٦٣/١، وقال: «قول الأعرابي وكان يطرد الطير عن زرع في سنة جَدب».

[٣] ن: وتمهيد الذكر.

[٤] ضحكه صلّى الله عليه وسلّم حتّى بدت نواجذه ورد في عدد مِن الأحاديث، انظر مثالًا على ذلك: صحيح البخاري، ١١٧/٨ (٦٥٧١)؛ وصحيح مسلم، ١٧٣/١ (١٨٦).

[٥] ف: لا.

[٦] الصحاح للجوهري، «نجذ».

فالغَرَضُ المبَالغةُ في وصْف ما وُجِد منه من الضَّحِك النَّبويِّ، وإلَّا فبُدُوُّ النَواجذِ على الحقيقة إنما يكون عِندَ الاستِغْراب.

وقَرَأَ ابنُ السُّمَيْفعِ: "ضَحِكًا".

فإن قلتَ: ما أَضحَكَه من قَولها؟

قلتُ: شَيئانِ:

إعجابهُ بما دَلَّ من قَولهَا على ظهُور رَحْمتهِ ورَحْمةِ جُنُوده وشَفَقتهم، وعلى شُهرةِ حالهِ وحالهِم في باب التَّقوَى، وذلك قولُها: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ تَعني: أنَّهم لو شَعَرُوا لم يَفعلُوا.

وسرُورُهُ بما آتاه اللهُ مِمَّا لم يُؤتِ أحَدًا: من إدْراكه بسَمْعِه ما هَمَسَ به بعضُ الحُكْلِ الذي هو مَثَلٌ في الصِّغَر والقِلَّةِ، ومِن إحاطتِه بمعناه.

ولذلك اشتَمَلَ دعاؤُه على استيزاعِ اللهِ شُكْرَ ما أنعَمَ به عليه من ذلك،

قوله: (عند الاستغراب) استغرب في الضِّحك: اشتدّ ضِحكه وكثُر.[١]

قوله: (مِن قولها) بيان "ما". وقوله: (رحمته) أي رحمة سليمان.

قوله: (بعض الحُكْلِ) "الحُكْل": ما لا يُسمع له صوت، قال:

لو كنتُ قد أوتيتُ علمَ الحُكلِ علمَ سليمان كلامَ النملِ[٢]

قوله: (بمعناه) أي: بمعنى ما همَس.

قوله: (ولذلك) أي: للإعجاب والسرور.

قوله: (على استيزاع الله) مصدر مضاف إلى المفعول. وقوله: (عليه) أي: على سليمان عليه السلام.

---

١ الصحاح للجوهري، «غرب».

٢ الصحاح للجوهري، «حكل». والبيت لرؤبة بن العجّاج، وهو في ديوانه، ص ١٣١، بلفظ:

فقلتُ قولَ مَرِسٍ ذي مَحلِ
لو أنّني أعطيت علمَ الحُكلِ
علمتُ منه مستبِرَّ الدخلِ
علمَ سليمان كلامَ النملِ

وعلى استيفَاقه لزيَادة العَمل الصالح والتَّقوَى.

وحَقيقةُ ﴿أَوۡزِعۡنِيٓ﴾: اجعَلني أَزَعُ شكرَ نِعمتك عِندِي وأكفُّهُ وأَرْتَبِطُهُ لا يَنْفلِتُ عَنِّي حَتَّى لا أَنفكَّ شاكِرًا لكَ، وإنما أَدْرَجَ ذِكرَ والِدَيْه لأن النِّعمةَ على الوَلد نِعمةٌ على الوَالدَين، خصُوصًا النِّعمةُ الرَّاجعَةُ إلى الدِّينِ، فإنَّه إذا كان تقيًا نَفعَهُما بدعَائه وشَفاعتِهِ وبدعاء المؤمنينَ لهما كُلَّمَا دَعَوْا لهُ وقَالُوا: رضيَ اللهُ عنك وعن والدَيْك.

ورُويَ: أنَّ النَّملة أحَسَّتْ بصَوْتِ الجنُود ولا تَعلمُ أنَّهم في الهَواء، فأمَر سليمانُ عليه السلام الرِّيحَ فوَقَفَتْ لئلَّا يُذعَرنَ، حَتَّى دَخَلْنَ مسَاكنَهُنَّ ثم دعَا بالدَّعوة.

ومَعنى ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: واجعَلني من أهل الجنة.

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ۝٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ۝٢١﴾

﴿أَمۡ﴾ هي المنقطِعة: نَظَرَ إلى مكانِ الهدْهُدِ فلم يُبْصِرْه، فقال: «ما لي لا أرَاهُ» على مَعْنى: أنَّه لا يَراهُ وهو حاضِرٌ لسَاترٍ سَتَره أو غيرِ ذلك، ثم لاحَ له أنَّه غائبٌ فأَضْربَ عن ذلك وأخَذَ يقول: أَهُو غائبٌ؟ كأنَّه يَسْألُ عن صحَّةِ ما لاحَ له، ونحوُه قولُهم: "إنَّها لإبِلٌ أمْ شَاءٌ".

قوله: (وعلى استيفاقه) أي: طلب التوفيق.

قوله: (﴿أَوۡزِعۡنِيٓ﴾ أي: اجعلني)... إلخ، قال في الوسيط: «﴿أَوۡزِعۡنِيٓ﴾: ألهمني، يقال: فلان موزَع بكذا، أي: مولعٌ به».[1] وقال في الصِّحاح: «وزَعتُه أَزَعُه وَزْعًا: كنفته، فاتَّزَع هو، أي: كفَّ، وأوزَعته بالشيء: أغريته به، فأوزِع به، فهو موزَع به، والاسم والمصدر جميعًا:[2] الوَزوع بالفتح، واستوزعتُ اللهَ شكرَه فأوزَعني، أي: استلهمته فألهمني».[3]

---

١ التفسير الوسيط للواحدي، ٣/٣٧٣ (النمل، ١٩/٢٧).

٢ ف: جمعًا.

٣ الصحاح للجوهري، «وزع».

وذُكِر من قصَّة الهُدهُد: أَنَّ سليمان عليه السلام حِينَ تمَّ له بناءُ بَيْت المَقْدِس تَجهَّزَ للحجِّ بحشرِه، فَوافى الحَرَم وأَقام به ما شاء، وكان يُقَرِّبُ كلَّ يوْمٍ طُولَ مُقَامِه بخمسةِ آلافِ ناقَةٍ وخمسةِ آلافِ بقَرةٍ وعشرين أَلْف شَاةٍ، ثم عَزَم على السَّيْر إلى اليَمن، فخَرج من مكة صَباحًا يَؤُمُّ سُهَيْلًا، فوَافَى صَنعَاءَ وقتَ الزَّوالِ وذلك مَسِيرَةُ شهْرٍ، فرَأى أرْضًا حَسْناءَ أَعجَبَتْهُ خُضْرتُهَا، فنزلَ ليتَغدَّى ويُصَلِّيَ فَلم يَجدُوا الماء، وكان الهُدهُدُ قُنَاقِنَهُ، وكان يَرَى الماء من تَحت الأرض كما يُرَى الماءُ في الزُّجاجَةِ، فتَجِيءُ الشَّياطينُ فيَسْلَخُونهَا كما يُسلَخُ الإهَابُ ويَستخرجُون الماء، فتَفقَّدَهُ لذلك.

وحينَ نزل سُليمانُ حَلَّقَ الهُدْهُدُ فرَأى هُدْهُدًا واقِعًا، فانحَطَّ إلَيْه فوَصَف له مُلكَ سليمانَ وما سُخِّر له من كلِّ شَيءٍ، وذكَر لَه صَاحِبُهُ مُلكَ بلقيسَ وأَنَّ تحْتَ يَدِهَا اثنَي عشَر أَلَفَ قَائِدٍ تَحْتَ كُلِّ يَد قائدٍ مئةُ أَلِفٍ، وذهَب مَعَه لِيَنظُرَ فما رجعَ إلّا بعدَ العصرِ.

وذُكرَ: أنَّه وقعت نفحةٌ من الشَّمسِ على رَأسِ سُليمانَ فنظَرَ فإذا مَوضعُ الهُدهُدِ خالٍ، فدَعَا عِفْريتَ الطَّيْر -وهو النَّسرُ- فسَأله عنه فلم يَجِدْ عِندهُ علمَهُ،

قوله: (تجهَّز للحجّ) أي: تهيّأ له بترتيب ما يحتاج إليه مِن الزاد والعَتاد. والحشر: الجمع.

قوله: (طولَ مقامِه) بدل مِن "كلّ يوم".

قوله: (يؤمُّ سُهيلًا) الأَمُّ: القصد، أي: يتوجّه إلى جانب سُهيل.[1]

قوله: (قُناقِنه) القِنْقِن: الدليل الهادي، والبصير بالماء في حفر القَنا، وكذلك "القُناقِن" بالضمّ، والجمع: القَناقِن.[2]

قوله: (حلّق الهدهد) تحليق الطائر: ارتفاعه لطيرانه.

قوله: (نفحةٌ) النفحة: القطعة.

قوله: (عفريتَ الطير) أي: عَريف الطير. العِفريت مِن الرجال: الخبيث المنكر الذي يُعفِّر أقرانه، ومِن الشياطين: الخبيث المارد.

---

[1] سهيل: نجم. الصحاح للجوهري، «سهل».

[2] الصحاح للجوهري، «قنن».

ثـم قال لِسَيِّدِ الطَّير وهو العُقَابُ: عَليَّ به، فارتفَعَتْ فنَظرَتْ فإذا هو مُقبِلٌ فقصَدَتْهُ، فنَاشَدَهَا اللهَ وقال: بحقِّ الله الَّذي قوَّاكِ وأَقدَرَكِ عَليَّ إلَّا رَحمْتِني، فَتركَتْه وقالت: ثَكلَتْكَ أُمُّكَ إنَّ نبيَّ الله قدْ حَلَفَ لَيُعذِّبنَّك، قال: ومَا استَثنَى؟ قالت: بَلَى "أو لَيَأتيَنِّي بعُذْرٍ مُبينٍ" فلمَّا قَرُبَ من سليمانَ أَرْخَى ذَنبَه وجَناحَيه يَجُرُّها على الأَرض تَواضُعًا له، فلمَّا دَنا مِنه أَخذ برأسِهِ فمَدَّهُ إليه فقال: يا نبيَّ الله، اُذكُرْ وُقُوفكَ بيْن يَدَيِ اللهِ، فارْتَعَد سُليمان وعَفا عنه ثمَّ سَأله.

"تَعْذِيبُه": أَن يُؤدَّبَ بما يَحتمِلُه حالُهُ ليَعْتَبِرَ به أبنَاءُ جِنسِه.

وقيل: كان عذابُ سُليمان للطَّير أَنْ يَنتِفَ رِيشَهُ ويُشمِّسَهُ.

قوله: (عليّ به) "عليّ" اسم فعل.

قوله: (إلّا رحِمتِني) اعلم أنّه قد يوقع الفعل موقع[1] المستثنى في ألفاظ الحَلِف على سبيل الاستعطاف، نحو: نشدتك بالله إلّا فعلت، ونحوه: "بحقّ الله إلّا رحِمتَني". وفيه اختصاران: أحدهما: وضع الإثبات والمراد معنَى النفي. والآخَر: وقوع الفعل موقع المصدر. فقوله: (بحق الله) معناه: ما أطلب منك، وقوله: (إلّا رحِمتِني) معناه: إلّا رحمتَك. وجاز ذلك؛ لأنّ باب القسَم باب اتّسَع فيه الاختصار؛ لكثرته في الكلام، فجاز فيه ما لا يجوز في غيره،[2] هكذا ذكروا. وأنا أقول: إن هنا حذفًا، فإنّه لمّا قال: "بحقِّ الله" / عُلِم أنّه يسأله شيئًا، فقال: "إلّا"، أي: ما أسألك إلّا رحمتَك. [٢٢٩ظ]

قوله: (بلى أو لَيَأتينّي) فيه حذف، والتقدير: قال: كيف استثنى؟ قال: أو ليأتينّي.

قوله: (أخذ برأسه) أي: أخذ سليمان برأس الهدهد.

قوله: (ثمّ سأله) أي: ثم سأل سليمان الهدهد عن حال غَيبته.

قوله: (تعذيبُه)... إلخ "تعذيبُه" مبتدأ، و(أن يؤدَّب) خبره، وهذا شروع في تفسير معنى ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ﴾.

---

[1] ف: موضع؛ ن - الفعل موقع.

[2] انظر: الإيضاح شرح المفصّل لابن الحاجب، ١/٣٥٣.

وقيل: أَن يُطْلَى بالقَطِرانِ ويُشمَّسَ.

وقيل: أن يُلقَى لِلنَّملِ تَأكُلهُ.

وقيل: إيدَاعَهُ القَفصَ.

وقيل: التفريقَ بَينه وبَين إلفهِ.

وقيل: لأُلزِمَنَّهُ صُحْبَةَ الأَضْداد، وعن بعضهم: "أَضْيَقُ السُّجُون مُعَاشرة الأَضداد".

وقيل: لأُلزِمَنَّهُ خِدْمةَ أَقْرانِه.

فإن قلتَ: من أين حَلَّ له تعذِيبُ الهُدهُد؟

قلتُ: يجوز أن يُبيحَ اللهُ لهُ ذلكَ لِمَا رأى فيه من المَصْلحةِ والمَنفَعة؛ كما أَباحَ ذَبْحَ البَهائم والطُّيور للأَكْلِ وغيْرِه من المنَافعِ، وإذا سُخِّرَ له الطَّيْرُ ولَم يَتِمَّ ما سُخِّر من أَجْلِه إلَّا بالتَّأْدِيب والسِّيَاسةِ جاز أَنْ يُبَاحَ له ما يُستَصْلَحُ به.

وقرئ: ﴿لَيَأْتِيَنَّنِى﴾ و: "لِيَأْتِيَنِّ".

والسُّلطانُ: الحجَّةُ والعُذْرُ.

فإن قلتَ: قد حلَفَ على ثلاثةِ أشياء: فَحلِفُه على فِعْلَيْه لا مقالَ فيه، ولكنْ كيْفَ صَحَّ حَلِفُه على فِعْل الهُدهدِ، ومِن أَيْنَ درَى أَنَّه يأتِي بسُلطانٍ حَتَّى يقُولَ: واللهِ لَيَأتينِّي بسُلطانٍ؟

قلتُ: لمَّا نَظَمَ الثلاثةَ بـ﴿أَوْ﴾ في الحُكم الذي هو الحَلِفُ آلَ كلامُه إلى قولك: "لَيَكُونَنَّ أَحَدُ الأُمُور" يعني: إن كان الإتيَانُ بالسُّلطَان لم يكُن تعذيبٌ ولا ذَبحٌ، وإنْ لم يكُن كان أَحدُهما، وليس في هذا ادِّعَاءُ درايةٍ، على أَنَّه يجُوز أن يَتَعقَّبَ حَلِفَهُ بالفعلَين وَحْيٌ من الله بأنَّه سيأْتِيهِ بسُلْطانٍ مُبينٍ، فثلَّثَ بقوله: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ عن درايةٍ وإيقانٍ.

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿فَمَكَثَ﴾ قُرئ بفتح الكاف وضمِّها.

﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: غيرَ زمانٍ بَعِيدٍ؛ كقولك: عَن قَرِيبٍ، ووَصْفُ مَكْثِه بِقِصَرِ المُدَّة للدَّلالة على إسْراعِه خَوفًا من سُليمَان، وليُعلَم كيف كان الطَّيرُ مُسَخَّرًا له، ولِبيَان ما أُعطي مِن المُعجزة الدَّالَّةِ عَلى نبُوَّتهِ وعَلى قُدرَةِ الله عزَّ وجلَّ.

﴿أَحَطتُ﴾ بإدْغام الطَّاء في التاء بإطبَاقٍ وبغيْر إطبَاقٍ.

أَلْهَم اللهُ الهُدهدَ فكافَح سُليمانَ بهذا الكلامِ على ما أُوتيَ من فَضلِ النُّبوَّةِ والحِكمةِ والعُلومِ الجَمَّةِ والإحَاطةِ بالمَعلُوماتِ الكثيرة؛ ابتلاءً له في عِلْمه، وتَنْبيهًا على أنَّ في أدْنَى خَلقهِ وأضعَفِه مَن أحاط عِلمًا بما لم يُحِط به؛

قوله: (﴿أَحَطتُ﴾ بإدغام)... إلخ، ذهب بعض العلماء إلى أنّ الحروف المطبَقة[١] تدغَم في غيرها مع بقاء الإطباق، وردَّه ابن الحاجب بأنّ:

> الإطباق صفة للمطبقة لا يكون إلّا بها، وإذا لم يكن إلّا بها تنافى مع الإدغام؛ لأنّه يجب إبدالها إلى المدغَم فيه، فيؤدّي أن تكون موجودة غير موجودة،[٢] وهو متناقض؛ وذلك لأنّ الإطباق: رفع اللسان إلى ما يحاذيه مِن الحنَك للتصويت بصوت الحرف المُخرَج عنده، فلا يستقيم إلّا بنفْس الحرف، وإذا كان كذلك فالتحقيق أنّ نحو: ﴿فَرَّطتُ﴾ [الزمر ٥٦/٣٩] و﴿أَحَطتُ﴾ بالإطباق، وليس معه إدغام، ولكنه لمّا اشتدّ التقارب وأمكن النطق بالثاني بعد الأوّل مِن غير نقل اللسان كان كالنطق بالمِثل بعدَ المثل، فأطلِق عليه الإدغام لذلك، ولذلك يحسّ الإنسان مِن نفسه ضرورة عند قوله: ﴿أَحَطتُ﴾ النطق بالطاء حقيقة وبالتاء بعدها، فلا يجوز أن يقال: إنّ الطاء مدغَمة؛ لأنّ إدغامها يوجب قلبها إلى ما بعدها.[٣]

قوله: (فكافَح) أي: قابَل وواجَه، وهو عطف على قوله: (ألْهَمَ)، أي: ألْهَمه الله المكافحة، فكافَح سليمان. وقوله: (على ما أوتي) حال مِن "سليمان".

قوله: (ابتلاءً له) يحتمل أن يكون "ابتلاء" جملة مستأنفة، فتقدير قوله:

---

١ الحروف المطبَقة أربعة: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء؛ سمّيت بذلك لأنّ طائفة مِن اللسان تنطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بها، مع استعلائها في الفم. انظر: التمهيد لابن الجزري، ص ٩٠.

٢ ن: جوده.

٣ الإيضاح شرح المفصّل لابن الحاجب، ٥٢٨/٢. وانظر: التمهيد لابن الجزري، ص ١٣٣.

لِتَتحَاقَر إلَيْه نَفسُه، ويتصَاغَر إليه عِلمُه، ويكُونَ لُطفًا له في ترك الإعجَابِ الذي هو فِتنةُ العُلماء وأَعْظِمْ بها فِتنةً!

والإحَاطَةُ بالشَّيء عِلْمًا: أَنْ يُعْلَم مِن جميع جِهَاته لا يَخفَى مِنه مَعْلومٌ، قالُوا: وفيه دليلٌ على بُطْلانِ قول الرَّافِضة: أَنَّ الإمَام لا يخفى عليه شَيءٌ، ولا يكون في زَمانِه أَحدٌ أَعْلَمُ مِنه.

﴿سَبَإٍ﴾ قُرِئ بالصَّرفِ ومنْعِه، وقَد رُوي بسُكون البَاء، وعن ابن كثيرْ في رواية: "سَبَا" بالألف؛ كقولهم: "ذَهَبُوا أَيْدِي سَبَا"، وهو سَبأُ بنُ يَشجُبَ بنِ يَعرُبَ بنِ قَحطَانَ، فمَنْ جَعله اسمًا للقَبيلة لم يَصْرِف، ومَن جَعله اسمًا للحيّ أو الأَبِ الأَكْبرِ صَرَف، قال:

مِن سَبَأَ الحَاضِرِينَ مَأرِبَ إذ   يَبْنُونَ مِن دُون سَيْلِهِ العَرِمَا

وقال:

"ابتلاء" أي: ابتلاه الله تعالى ابتلاءً، ونبَّهه تنبيهًا. واللام في (لِتتحاقَر) متعلِّق بهذا المحذوف بطريق التنازع.[١] وقوله: "ابتلاءً" مفعول له مِن "ألهَم". وقوله: "لِتتحاقر" متعلِّق بـ"ابتلاء".[٢]

قوله: (وأعظِم بها!) فعل التعجّب.

قوله:

(مِن سبأ الحاضرين [مأربَ][٣] إذ)... البيتَ[٤]

"الحاضرين" صفة "سبأ"؛ وهو اسم قبيلة. و"مأربَ" مفعوله. و"إذ" ظرفه. و"مأرب" موضع.

قوله:

---

[١] في ف وقعت هذه الحاشية قبل سابقتها.

[٢] في ن وقعت هذه الحاشية قبل سابقتها.

[٣] ساقطة مِن الأصول الخطيّة.

[٤] للنابغة الجعدي في الكامل للمبرّد، ١٢١٥/٣؛ ولسان العرب لابن منظور، «عرم».

الــــوَارِدُونَ وتَـيْـمٌ فـي ذرَى سَبَإٍ   قد عَـضَّ أَعنَاقَهُم جِلدُ الجَواميسِ

ثم سُمِّيت مَدينةُ مَأْرِبَ بسَبأ وبينها وبيْنَ صَنْعَاء مَسيرةُ ثلاثٍ كما سُمِّيتْ مَعَافرُ بمَعَافرَ بنِ أُدٍّ، ويحتمِل أن ترادَ المدينةُ والقومُ.

و"النَّبأُ": الخبَرُ الذي له شَأنٌ، وقولُه: ﴿مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٍ﴾ من جنسِ الكلام الَّذي سمَّاهُ المُحْدَثُونَ: "البَديعَ" وهو مِن محَاسِن الكلام التي تَتَعلَّقُ باللَّفظِ بشَرطِ أن يجيءَ مَطبُوعًا، أو يَصْنَعَه عَالِمٌ بجَوهَرِ الكلامِ يَحْفَظُ مَعَه صحَّةَ المَعنى وسَدادَه،

(الــواردون وتيــمٌ فــي ذَرى)... البيــتَ[١]

"الذَّرى" -بالفتح-: كلُّ ما استترت[٢] به، يقال: أنا في ظلِّ فلان وفي ذَراه، أي: في كنَفه وسَتره. وذُرى الشيء -بالضمّ-: أعاليه، الواحد: ذروة. ومعنى البيت: الواردون هم وتيمٌ في ذَرى أرض سبأ مَغلولين بأغلال مِن جلد الجواميس بحيث يَعضّ أعناقهم.[٣]

قوله: (مَعافر) حيّ مِن همْدان، وإليه يُنسب الثياب المعافريّة.

قوله: (بشرط أن يجيء مَطبوعًا) يعني: إنّما يَحسُن به الكلام إذا كان اللفظ تابعًا للمعنى، بأن / يقصَدَ المعنى المطلوب ثمّ يُجاء بشيء مِن هذه المحسِّنات [٢٣٠و] على وجه يطابقه، وإن اتّفق أن يزيد المعنى بسبب شيء مِن هذه المحسِّنات كان أحسن كما في هذا المقام، فإنّه مع المجانسة التي بين "السبأ" و"النبأ"، دون "السبأ" و"الخبر" ازداد المعنى لما عرفت مِن أنّ "النبأ": الخبر الذي له شأن، وأمّا إن كان المعنى تابعًا للفظ -بأن يُؤتى[٤] بالألفاظ المتجانسة، ثمّ يُطلب ويُتكلَّف لها معنًى- فلا يحسن؛ بل يُستقبَح. وقوله: (أو يصنعه) صوابه: ويصنعه، بالواو مكان "أو"؛ لأنّه لا بدّ أن يكون مَن يصنعه عالِمًا بما ذكر حافظًا الصِّحة.

---

[١] لجرير في شرح الأبيات المشكلة لأبي عليّ الفارسي، ص ٥٣٠، وهو في ديوانه بشرح محمد بن حبيب، ١٣٠/١، بلفظ:

تـدعـوك تيـمٌ وتيـمٌ في قـرى سبأ   قد عضّ أعناقهم جِلد الجواميس

[٢] د: استرت.

[٣] ن: أغناقهم.

[٤] ن: تؤتى.

ولقد جَاء هَاهُنا زائدًا على الصِّحة فحَسُنَ وَبدُعَ لَفظًا ومَعْنًى، ألا ترى أنه لو وُضِعَ مَكانَ ﴿بِنَبَإٍ﴾: "بخبَرٍ" لكَانَ المَعنى صَحيحًا، وهو كما جاءَ أَصحُّ؛ لِمَا في النَّبأ من الزِّيادة التي يُطَابِقُها وَصْفُ الحالِ.

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ٢٤﴾

المرأةُ بلقيسُ بنتُ شَراحيلَ، وكان أبُوهَا مَلِكُ أَرضِ اليَمن كلِّهَا، وقد وَلَدهُ أَربعُون مَلِكًا، ولم يكُن لهُ ولدٌ غيرُها فغَلبَتْ على المُلكِ، وكانت هي وقومُهَا مجُوسًا يَعبُدُون الشمسَ، والضميرُ في ﴿تَمۡلِكُهُمۡ﴾ راجِعٌ إلى ﴿سَبَإٍ﴾: فإن أُريدَ به القومُ فالأمرُ ظاهِرٌ، وإن أُريدَت المَدينةُ فمَعناه: تَملكُ أَهْلَهَا.

وقيل في وَصف عَرْشها: كان ثمانينَ ذِراعًا في ثمَانِينَ، وسَمْكُه ثمانينَ، وقيل: "ثلاثينَ" مكان "ثمانِينَ"، وكان من ذَهبٍ وفضَّةٍ مُكَلَّلًا بأنواع الجَواهر، وكانَتْ قوائمُه من ياقُوتٍ أَحمرَ وأَخضرَ ودُرٍّ وزُمُرُّدٍ، وعليهِ سَبْعةُ أَبيَاتٍ، وعلى كُلِّ بَيتٍ بَابٌ مُغلَقٌ.

فإن قلتَ: فكيف استَعْظَمَ عَرشَهَا مع ما كان يَرى مِن مُلكِ سُليمَانَ؟

قلتُ: يجوز أَنْ يَستَصْغِرَ حالَها إلى حالِ سُليمَانَ فاستَعظَمَ لها ذلك العَرْشَ، ويجوز أَنْ لا يكُونَ لسُليمان مثلُه وإنْ عَظُمَت مَمْلكتُه في كُلِّ شيءٍ؛ كما يكُونُ لبَعض أُمرَاءِ الأَطراف شَيءٌ لا يكُونُ مِثلُهُ للمَلِك الذي يَمْلِكُ عليهم أمْرَهُم ويَستَخدِمُهُم.

وقوله: (ألا ترى)... إلخ، إشارة إلى مَجيئه زائدًا على الصِّحة، فبصحّته صار بليغًا، وبمجيئه زائدًا دخل في حدّ الإعجاز.

قوله: (الزُّمرُّذ) بالضمّ وبالذال المعجمة.[1]

---

[1] المُغرب للمطرّزي، «زمرذ». وذكره الفيروزآبادي بالدال والذال، وقال الزبيدي: «الدال والذال يتعاقبان». انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي، «زمرد»؛ وتاج العروس للزبيدي، «زمرد».

ومِنْ نَوْكَى القُصَّاصِ مَن يَقِفُ على قَوله: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ﴾ ثم يَبْتَدئُ: ﴿عَظِيمٌ ۝ وَجَدتُّهَا﴾ يُرِيدُ: أَمْرٌ عظيمٌ أَنْ وَجَدتها وَقومَها يَسْجُدونَ للشَّمسِ، فَرَّ من استِعظَامِ الهُدهُدِ عَرشهَا فوَقَع في عَظِيمةٍ وهي مَسْخُ كتابِ الله.

فإن قلتَ: فكيفَ قال: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ مع قول سُليمانَ: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل ١٦/٢٧] كأنَّهُ سَوَّى بَينهما؟

قلتُ: بَينهما فَرقٌ بَيِّنٌ؛ لأنَّ سليمان عَطَفَ قولَه على ما هو مُعجزةٌ من الله وهو تَعْليمُ مَنطِقِ الطَّيْر، فرجَعَ أَوَّلًا إلى ما أُوتِيَ من النُّبوَّةِ والحِكمة وأسبَابِ الدِّين ثمَّ إلى المُلكِ وأسباب الدُّنيا، وعَطَفَه الهُدهُدُ على المُلْكِ فلم يُرِدْ إلَّا ما أُوتِيَتْ من أسباب الدُّنيا اللَّائِقَةِ بحالها، فبَيْن الكلامَيْنِ بَوْنٌ بعيدٌ.

فإن قلتَ: كيفَ خفِيَ على سُليمانَ مكانُها وكانتِ المَسَافةُ بين مَحَطِّهِ وبين بَلدهَا قَريبةً، وهي مَسيرةُ ثلاثٍ بين صَنعَاءَ ومأرِبَ؟

قلتُ: لعَلَّ الله عزَّ وجلَّ أَخفَى عنه ذلك لمَصْلحةٍ رَآهَا كما أَخفَى مكَانَ يُوسُفَ على يعقوب.

فإن قلتَ: مِن أينَ للهُدهُد التَّهدِّي إلى مَعرفة الله ووجوبِ السُّجودِ له، وإنكارِ سجُودهم للشَّمس وإضافتِه إلى الشيطان وتَزْيينِه؟

قوله: (ومِن نَوْكى) النُّوك: الحُمْق، بالضمّ، ورجل أَنوَك ومُستَنْوِك، أي: أحمَق، وقوم نَوْكى، ونُوك أيضًا على القياس، مثل: أهوَج وهُوج.[١] وقوله: (مَن يقِف) يلزم مِن وقْفِ هذا الشخص حذفُ الموصوف وإقامة الصفة مُقامه مِن غير أن يكون هناك قرينة، ويلزم أيضًا حذف "أن"، وجعلُ الفعل بعده في حكم المصدر مرفوعًا بأن يكون فاعل ﴿عَظِيمٌ﴾ مِن غير اعتماد ﴿عَظِيمٌ﴾ على موصوف، أو جعلُه مبتدأ ما قبله خبره، ثمّ يئول المعنى إلى أن جعَلَ الهدهدُ وجدانَه عظيمًا، مع ركاكة في التركيب لا يخفى على مَن له ذَوق.

---

[١] الصحاح للجوهري، «نوك».

قلتُ: لا يَبعُدُ أَن يُلهِمَه اللهُ ذلك كما أَلْهَمه وغيرَهُ مِن الطُّيور وسائرِ الحيَوانِ المعَارِفَ اللَّطِيفةَ التي لا يَكادُ العُقلاءُ الرِّجَاحُ العُقُولِ يَهتَدُونَ لها، ومَن أرَادَ استقراءَ ذلك فَعليه بكتابِ الحيَوان، خصُوصًا في زمَنِ نبيّ سُخِّرتْ له الطُّيور وعُلِّمَ مَنْطقَها وجُعِل ذلك مُعجزةً له.

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾

مَنْ قرأ بالتَّشدِيد أرَادَ: "فصَدَّهُم عن السَّبيلِ لِأَنْ لا يَسْجُدُوا"، فحُذِف الجَارُّ مَع "أَنْ".

ويجوز أَن تكونَ "لا" مَزِيدةً، ويكونَ المَعنى: "فَهُم لا يَهتَدُون إلى أَن يَسْجُدوا".

ومَن قَرأ بالتخفيفِ فهُو: "أَلَا يا اسْجُدوا"، "أَلَا" لِلتَّنبيهِ و"يا" حَرْفُ النِّداء، ومُنادَاهُ مَحذوفٌ كما حَذفَه مَن قال:

أَلَا يَـا أَسْلَمِي يـا دارَ مَـيّ عَلى البِلَى

قوله:

(أَلا يـا اسلَمي يـا دارَ مَـيَّ على البِلى)

آخره:

ولا زال مُـنـهـلًّا بـجَـرْعـائـكِ الـقَـطـرُ[١]

المنادى في البيت محذوف، تقديره: ألا يا دارَ مَيَّ اسلَمي، ثـمّ كـرّر النداء فقال: يا دارَ مَيَّ. وقوله: "على البِلى" معناه: أدعو له بالسلامة مع بِلاه وخُلوّه عن السلامة، فكأنّه يعترض على نفسه بهذا الدعاء مع حصول ضده، كما قال آخر:

ألا انـعَـمْ صبـاحًـا أيـهـا الـطـلَـل البـالـي

---

[١] لذي الرُّمّة في الصحاح للجوهري، «يا»؛ ولسان العرب لابن منظور، «يا»، في آخر كتابيهما، وقال ابن منظور: «وأنشد الجوهري لذي الرُّمّة هذا البيت وختَم به كتابه، والظاهر أنّه قصد بذلك تفاؤلًا به، وقد ختمنا نحن أيضًا به كتابنا».

وفي حَرْفِ عبد الله وهي قراءة الأعمش: "هَلَّا" و"هَلَا" بقَلْبِ الهَمزتين هاءً.

وعن عبد الله: "هَلَا تَسْجُدونَ" بمَعنى: أَلا تَسجُدون، على الخطاب.

وفي قراءة أُبيّ: "أَلَا تَسجُدُونَ لله الذي يُخرِج الخَبْءَ من السماء والأرض ويَعلمُ سرَّكُم وما تُعلِنُون".

وسُمِّيَ المَخْبُوءُ بالمَصْدَر: وهو النَّباتُ والمَطرُ وغيرُهما مِمَّا خبَأَهُ عَزَّ وعَلا من غيُوبه.

وقُرئ: "الخَبَ" على تَخفِيفِ الهمزة بالحَذْف.

و: "الخَبَا" على تَخفيفها بالقَلبِ، وهي قراءةُ ابنِ مسعُودٍ ومالكِ بن دِينارٍ.

وَوَجْهُها: أَن تُخَرَّجَ على لغَةِ مَن يَقُول في الوَقف: هذا الخَبُو، ورأيْتُ الخَبَا،

ثمّ قال:

وهل ينعَمَنْ مَن كان في العُصُر الخالي[1]

ويجوز أن يكون المعنى: أنّي أدعو له في هذه الحال بعَود السلامة إليه، ثمّ باستمرار ذلك، ويدلّ عليه قوله: "ولا زال منْهلًّا"... إلخ. يقال: انهلّ المطر انهلالًا؛ سال بشدّة.[2] و"القَطر": المطر. والجَرَعة -بالفتحات-: رَملة مستوية لا تُنبت شيئًا، وهي واحدة الجَرَع بفتحتين، وكذلك الجَرْعاء.[3]

قوله: (بقلب الهمزتين) يريد بـ"الهمزتين": اللتين في "ألا" و"ألّا" مخففًا ومشدَّدًا.[4]

قوله: (ووجهها) يعني: وجه القراءة المنقولة عن ابن مسعود ومالك بن دينار رضي الله عنهما[5] أن يقال: هذا القلب على لغة مَن يقلب الهمزة حرفًا مِن جنس حركة الهمزة في حال الوقف، وذلك فيما إذا كان ما قبل الهمزة المتحرّكة ساكنًا،

---

١ لامرئ القيس في لسان العرب لابن منظور، «يا»؛ وهو في ديوانه، ص ٢٧، بلفظ:

ألا عِم صباحًا أيّها الطلل البالي
وهل يَعِمن مَن كان في العصُر الخالي

٢ الصحاح للجوهري، «هلل».

٣ الصحاح للجوهري، «جرع».

٤ أي: على القراءتين، فالتخفيف قراءة أبي جعفر والكسائي ورُويس عن يعقوب، والتشديد قراءة الباقين. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٣٧.

٥ وهي قراءة شاذّة، وعزاها الكرماني إلى ابن مسعود والأعمش. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٣٦٠.

ومَرزتُ بالخَبِي، ثم أُجرِيَ الوصْلُ مُجرَى الوَقف، لا عَلى لُغةِ مَن يقولُ: الكَمَاةُ والحَمَاةُ، لأنَّها ضعيفةٌ مُسْترذَلةٌ.

وقُرئ: ﴿يُخفُونَ﴾ و﴿يُعْلِنُونَ﴾ بالياء والتَّاء.

وقيل: مِن ﴿أَحَطتُ﴾ إلى ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ هو كلامُ الهُدهُد، وقيل: كلامُ ربِّ العزَّة.

وفي إِخْراجِ الخَبْء أمَارَةٌ على أنَّه مِن كلام الهُدْهد؛ لهَنْدَستِه ومَعْرفتهِ الماءَ تحْتَ الأرضِ، وذلك بإِلْهَامِ مَن يُخْرِجُ الخبْءَ في السَّماواتِ والأرضِ جَلَّتْ قُدرَتُه ولَطُفَ عِلْمُه، ولا تكَاد تَخْفَى على ذي الفَراسَةِ النُّظَّارِ بنُورِ الله

سواء كان قبل الساكن ضمّة أو فتحة أو كسرة، وفيما إذا كان قبل الهمزة فتحة، نحو: الخَبْء؛ وهو ما خُبِئَ، والبُطْء؛ وهو / ضد السرعة، والرِّدْء؛ وهو العون، والكلأ؛ وهو موضع العشب، فيقولون: هذا الكَلَو،[١] والخَبُو،[٢] والبُطُو،[٣] والرِّدُو.[٤] [٢٣٠ظ]
ورأيت الكَلَا، والخَبَا، والبُطَا، والرِّدا. ومررتُ بالكَلَي،[٥] والخَبِي، والبُطِي، والرِّدِي. وجميع ذلك يكون في حال الوقف، ثمّ قد يُجرُون الوصل مُجرى الوقف فيقلبون في حال الوصل أيضًا.[٦] ثمّ قال المصنِّف: ولا يجوز أن يُحمل هذه القراءة على لغة مَن يقلب الهمزةَ المفتوحة الساكنَ ما قبلها ألفًا وَصلًا؛ كما في الكمْأة، فيقول:[٧] الكماة؛ فإنّها لغة ضعيفة مستقبَحة غير فصيحة، وحمل القراءة على اللغة المستعملة الفصيحة هو الوجه.

قوله: (والحمْأة) بالإسكان: الطين الأسود، وكذا:[٨] الحَمَأ؛ بالتحريك.[٩]

قوله: (وقيل: مِن ﴿أَحَطتُ﴾) إلى (ربّ العِزّة) قال رحمه الله:[١٠] معناه: أنّه كلام الله ألقى حكايته على لسان الهدهد.

قوله: (وفي إخراج الخَبْء) أي: وفي قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ﴾.

---

١ ف: الكلؤ؛ ن: الكلأ.
٢ ف: والخبؤ؛ ن: والخبوء.
٣ ف: والبطؤ؛ ن: والبطوء.
٤ ف: والرّد؛ ن: والرّدء.
٥ ف ن: بالكلا.
٦ انظر: الإيضاح شرح المفصّل لابن الحاجب، ٢/٣٠٥.
٧ د ف: فتقول.
٨ ف ن: وكذلك.
٩ انظر: الصحاح للجوهري، «حمأ».
١٠ ف ن: رضي الله عنه.

مَخائلُ كُلِّ مُختَصٍّ بصناعةٍ أو فَنٍّ من العِلْم في رُوائه ومَنطقِهِ وشَمائلِهِ، ولهذا وَرَد: «ما عَملَ عَبدٌ عَملًا إلَّا ألْقَى اللهُ عَليْه رِداءَ عَملِهِ».

فإن قلتَ: أَسجدَةُ التِّلاوَة واجِبةٌ في القِراءتينِ جَميعًا أم في إِحداهمَا؟

قلتُ: هيَ واجبةٌ فيهما جميعًا؛ لأنَّ مَواضعَ السَّجدة إمَّا أمْرٌ بها، أو مَدْحٌ لمَنْ أتَى بها، أو ذَمٌّ لمَن تَركهَا، وإحدَى القراءتين أمْرٌ بالسُّجود والأُخرَى ذمٌّ لِلتَّارِكِ.

وقَد اتَّفقَ أبُو حنيفة والشافعيُّ رحمهما الله على أنَّ سجدَاتِ القُرآنِ أربعَ عَشْرةَ، وإنَّما اختلفَا في سَجْدة "صٓ": فهي عند أبي حنيفة سجْدَةُ تِلَاوةٍ، وعند الشافعي: سَجْدةُ شُكرٍ، وفي سَجدَتي سورة الحجِّ، وما ذكرهُ الزجَّاجُ من وجُوب السَّجدةِ مع التخفيف دون التَّشدِيد فغَيرُ مَرْجوعٍ إلَيه.

فإن قلتَ: هَل يَفرُقُ الواقِفُ بين القراءتين؟

قلتُ: نَعم، إذا خَفَّفَ وقَف على ﴿فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ﴾ ثم ابتدأ: ﴿أَلَا يا اسْجُدوا﴾

قوله: (في رُوائه) يقال: رجل له رُواء -بالضمّ-، أي: مَنظر.

قوله: (قلت: هي واجبةٌ) سجدة التلاوة واجبة عند أبي حنيفة، سنّة عند الشافعيّ رضي الله عنهما،[1] والسجدة الثانية في الحجّ[2] قال بها الشافعيّ دون أبي حنيفة رضي الله عنهما.[3]

قوله: (وإحدى القراءتين) أي: بالتخفيف. وقوله: (والأخرى) أي: بالتشديد.[4]

قوله: (مع التخفيف دون التشديد) ومع التخفيف يكون "اسْجُدوا" صيغة أمر؛ وهو للوجوب،[5] ومع التشديد ليس صيغةَ أمر.[6]

---

[1] د: رحمهما الله.

[2] عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج ٢٢/٧٧].

[3] د – رضي الله عنهما. | انظر: الهداية للمَرغيناني، ٧٨/١؛ والمهذّب للشيرازي، ٢٨٤/١.

[4] يعني: التخفيف والتشديد في "ألا" مِن قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ﴾، فالتخفيف قراءة أبي جعفر والكسائي ورويس، والتشديد قراءة الباقين. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٣٧/٢.

[5] ف: الوجوب.

[6] انظر: النشر لابن الجزري، ٣٣٧/٢.

وإن شاء وقَفَ على ﴿ألا يا﴾ ثُمَّ ابتَدأ ﴿اسجدوا﴾، وإذا شَدَّدَ لم يَقِفْ إلَّا على ﴿ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

فإن قلتَ: كيفَ سَوَّى الهُدهُدُ بينَ عَرش بلقيسَ وعرشِ الله في الوصف بالعَظيم؟

قلتُ: بين الوصفين بَونٌ عظيمٌ؛ لأنَّ وصْفَ عَرْشِها بالعِظَم تَعظيمٌ له بالإضافة إلى عُروش أبناء جِنسها من المُلوك، ووَصْفُ عرْشِ الله بالعِظَم تعظيمٌ له بالنِّسبَةِ إلى سائر ما خَلَق من السَّماوات والأَرض.

وقُرئ: "العظيمُ" بالرَّفع.

﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿سَنَنظُرُ﴾ من النَّظر الَّذي هو التأمُّلُ والتَّصفُّح، وأراد: أصَدَقْتَ أمْ كذَبْتَ؟ إلَّا أنَّ ﴿كُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ أبلَغُ لأنَّه إذا كان مَعْروفًا بالانخِراط في سلك الكاذبين كان كاذبًا لا مَحالةَ، وإذا كان كاذبًا اتُّهم بالكَذِب فيما أَخبَر به فلَم يُوثَق به.

﴿ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: تَنحَّ عَنهم إلى مكانٍ قريبٍ تتوارَى فيه ليَكُون ما يقُولُونه بمَسْمَعٍ منك.

و﴿يَرْجِعُونَ﴾ مِن قوله تعالى: ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾ [سبأ ٣٤/٣١].

فيُقال: دَخَل عليها مِن كُوَّةٍ فألْقى الكتابَ إليها وتوارَى في الكُوَّة.

قوله: (وإذا شدَّد لم يقف) وإنَّما لا يجوز الوقف على القراءة بالتشديد؛ لأنّ أصل ﴿أَلَّا﴾: "أنْ لا"، أُدغِمت النون في اللام، وهي الناصبة للفعل، وهو ﴿يَسْجُدُواْ﴾، ومحله نصب؛ لأنّه معمول لِما تقدّم على ما ذكر.

قوله: (بَوْن عظيم) البَون: الفضل والمزيّة.

قوله: (وقرئ "العَظيمُ" بالرفع) شاذّ.[1]

---

[1] مرويّة عن ابن محيصن. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٣٥٩.

فإن قلتَ: لِمَ قال: ﴿فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾ على لَفظِ الجمع؟

قلتُ: لأنَّه قال: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ﴾ فقال: فألقِه إلى الذين هذا دِينُهم؛ اهتِمامًا منه بأَمر الدِّين، واشتِغالًا به عن غَيْرِه، وبَنى الخطابَ في الكتاب على لَفظِ الجَمع لذلك.

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾

﴿كَرِيمٌ﴾: حَسنٌ مَضمُونُه وما فيه، أو وَصَفَتْهُ بالكرَم لأنَّه مِن عند مَلِكٍ كريم، أو مَختُومٌ، قال عليه السلام: «كَرمُ الكِتاب خَتْمُه».

وكان صلى الله عليه وسلم يَكتُب إلى العَجم، فقِيلَ لهُ: إنَّهم لا يَقبَلُونَ إلَّا كتَابًا عليه خَاتَم، فاصْطَنَع خاتمًا.

وعن ابن المُقفَّعِ: مَن كتبَ إلى أخيه كتابًا ولم يَختِمْه فقد استَخَفَّ به.

﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

وقيل: مُصَدَّرٌ بـ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، هو استئنافٌ وتَبيينٌ لِمَا أُلقِي إليها، كأنَّها لَمَّا قالَتْ: ﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾ قيل لها: ممَّن هو، وما هو؟ فقالت: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ﴾ كيتَ وكيتَ.

وقرأ عبدُ الله: "وإنَّه منْ سُليمَان وإنَّه" عَطفًا على: ﴿إِنِّى﴾.

قوله: (على لفظ الجمع) هو قوله: ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾.

قوله: (﴿كَرِيمٌ﴾: حسن) الكريم مِن كلِّ شيء: أحسنه.[1]

قوله: (فاصْطنَع) أي: اتّخذ لنفسه خاتمًا، "افتَعَل" مِن الصُّنع.

قوله: (هو استئناف) يعني: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ﴾، وأمّا في قراءة عبد الله بالواو فهو عطف، كما سيجيء.

---

[1] في ف وقعت هذه الحاشية قبل سابقتها.

وقُرِئ: "أنَّه مِن سُليمان وأنَّه" بالفَتح على أنه بَدلٌ مِن ﴿كِتَٰبٌ﴾؛ كأنَّه قيل: أُلْقِيَ إليَّ أنَّه من سُليمَانَ.

ويجوز أَن تُريد: "لأنَّه مِن سليمان ولأنَّه..." كأنَّها عَلَّلَتْ كَرَمَهُ بكَونهِ من سُليمان وتَصْديرِه باسْم الله.

وقرَأَ أُبيٌّ: "أَنْ مِن سُليمان وأَنْ بسم الله" على "أَنْ" المُفَسِّرةِ.

و"أَنْ" في ﴿أَلَّا تَعْلُوا﴾ مُفسِّرةٌ أَيْضًا، "لا تَعْلُوا": لا تَتكبَّرُوا كما يفعَلُ المُلوكُ، وقرأ ابن عبَّاس بِالْغَينِ معجَمةً من الغُلوِّ: وهو مُجَاوزةُ الحَدِّ.

يُروَى أنَّ نُسخَةَ الكتاب: "مِن عَبْدِ اللهِ سليمانَ بنِ داوُدَ إلى بلقيسَ ملكَةِ سبَأَ: السَّلامُ عَلى مَن اتَّبعَ الهُدَى، أمَّا بَعدُ: فَلا تغلُوا عَليَّ وائتونِي مُسْلِمين"، وكانَتْ كتُبُ الأنبيَاءِ جُمَلًا لا يُطِيلُونَ ولا يُكثِرُونَ، وطَبَعَ الكتابَ بالمِسْكِ وخَتمَه بخاتَمِه، فوجَدها الهُدهُدُ رَاقِدَةً في قَصْرها بمأربَ، وكانَتْ إذا رَقَدَتْ غلِّقَتِ الأَبوابَ ووَضَعت المفَاتيحَ تحْتَ رَأسِها، فدَخل من كُوَّةٍ وطَرَح الكتابَ على نَحْرِهَا وهي مُستَلقِيَةٌ، وقيل: نقَرهَا فانتبَهت فَزِعَةً.

وقيل: أَتاهَا والقَادَةُ والجُنودُ حَوالَيْهَا، فرَفرَف ساعةً والناسُ ينظُرون، حتى رفعَتْ رأسَهَا فألقَى الكتابَ في حَجْرِهَا، وكانتْ قارِئةً كاتبةً عَربيَّةً مِن نَسْل تُبَّع بن شَراحيلَ الحِمْيَرِيِّ، فلمَّا رَأتِ الخَاتَم ارْتعَدَتْ وخَضعَت وقالَت لقَومهَا ما قالَتْ.

﴿مُسْلِمِينَ﴾: منقَادينَ، أو: مُؤمنينَ.

قوله: (فوجدها) الفاء فاء فصيحة، أي: مشى الهدهد إليها فوجدها.

قوله: (وقيل: نقَرها) أي: ضربها بمِنقاره، مِن: نقَر الطائر الحبَّة ينقُرها نقْرًا؛ التقطها، ونقَرتُ الشيء:[1] نقَبتُه بالمِنقار.[2]

قوله: (والقادة) واو الحال.

قوله: (فرَفرَف) رَفرَف الطائر إذا حرَّك جناحيه حول الشيء يريد أن يقَع عليه.

---

[1] ف + أي.

[2] الصحاح للجوهري، «نقر».

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ۝٣٢﴾

"الفتوَى": الجَوابُ في الحادثةِ، اشتُقَّتْ عَلى طريق الاستعارة من الفَتَاء في السِّنّ، والمرادُ بالفَتْوَى هاهُنا: الإشارةُ عليها بما عِندهُم فيما حَدَث لها مِن الرأيِ والتَّدْبير، وقصَدَتْ بالانْقطَاع إليهم والرُّجُوعِ إلى استِشَارتهِم واستِطْلَاعِ آرَائهِم: استعْطَافَهُم وتَطْيِيبَ نفُوسهم ليُمالِئُوهَا ويَقومُوا معها.

﴿قَاطِعَةً أَمْرًا﴾: فاصِلةً، وفي قراءةِ ابن مسعود: "قاضيةً"؛ أي: لا أَبُتُّ أَمْرًا إلَّا بمَحضَرِكُم، وقيل: كان أَهْلُ مَشُورَتهَا ثَلاثَ مئة وثلاثةَ عَشر رجُلًا، كلُّ واحدٍ على عَشرةِ آلافٍ.

﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ۝٣٣﴾

أرَادُوا بالقوَّة: قوَّةَ الأجْسَاد وقوَّةَ الآلَاتِ والعُدَدِ، وبالبأس: النَّجْدَةَ والبَلاءَ في الحَرب.

﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾؛ أي: هو موكولٌ إليكِ ونَحنُ مُطيعُونَ لكِ فمُرينَا بأَمْرِكِ نُطِعْكِ ولا نُخالِفْكِ، كأنَّهم أشَارُوا عليها بالقِتال، أو أرَادُوا: ....

قوله تعالى: ﴿فِىٓ أَمْرِى﴾ الأمر هنا بمعنى: الشأن، واحد الأمور، وهو ما حدث لها مِن الرأي.

قوله: (مِن الفَتاء) الفتى: الشابُّ، والفتاة: الشابّة، وقد فَتِيَ -بالكسر- يَفْتأ، وهو بيّن الفَتاء، قال:

[٢٣١و] إذا عـاشَ الفتى مِائتين عامًا ... فقد / ذهب اللَّذاذةُ والفتاءُ[١]

قوله: (لِيُمالِئوا) الممالأة: المعاونة.

قوله: (بالبأس: النجدة) البأس: الشدّة في الحرب، والنجدة: الشجاعة.

قوله: (أو أرادوا) عطف مِن حيث المعنى على قوله: (أي: هو موكول إليك). والحاصل: أنّ "الأمر" في ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ يجوز أن يكون بمعنى ضدّ النهي،

---

[١] الصحاح للجوهري، «فتى»، والبيت للربيع بن ضبع الفزاري في لسان العرب لابن منظور، «فتى».

نحنُ مِن أبناء الحَرْبِ لا مِن أبنَاء الرَّأيِ والمَشُورَة وأَنْتِ ذاتُ الرَّأيِ والتَّدْبير، فانظُرِي ماذا تَرَيْن نَتَّبِعْ رَأيكِ.

﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾

لمَّا أحَسَّتْ مِنهم المَيلَ إلى المُحارَبةِ رَأتْ مِن الرَّأيِ المَيْلَ إلى الصُّلحِ والابتداءَ بما هو أَحْسنُ، ورتَّبتِ الجوابَ فَزيَّفَتْ أوَّلًا ما ذكَرُوه وأَرَتْهُم الخَطأَ فيه بـ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً﴾ عَنوةً وقَهْرًا ﴿أَفْسَدُوهَا﴾؛ أي: خرَّبُوهَا -ومِن ثَمَّ قالوا للفسَاد: الخَرْبةُ- وأَذَلُّوا أَعِزَّتهَا وأَهانُوا أَشْرافهَا وقَتلُوا وأسرُوا، فَذَكَرتْ لهُم عَاقِبَةَ الحَرْب وسُوءَ مَغَبَّتها، ثم قالَتْ: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أرَادَتْ: وهذِه عَادَتُهمْ المُستمرَّةُ الثَّابتةُ الَّتي لا تَتغيَّرُ؛ لأنَّها كانَتْ في بَيْتِ المُلْك القَدِيم، فسَمِعَتْ نحوَ ذلك ورَأتْ، ثمَّ ذكَرَتْ بَعْد ذلك حَدِيثَ الهَدِيَّة وما رَأتْ من الرَّأيِ السَّديد.

وقيل: هو تَصديقٌ من اللهِ لِقَولها.

وقد يتعَلَّقُ السَّاعُون في الأَرض بالفسَادِ بهذه الآية، ويَجعَلُونَها حُجَّةً لأنفُسِهم، ومَن استَبَاحَ حَرامًا فقَد كفَر، فإذا احتَجَّ له بالقرآنِ على وَجْه التحريفِ فقَد جَمَع بين كُفْرَينِ.

واحد الأوامر، ولذلك قال المصنِّف: (نحن مطيعون فمُرِينا). ويجوز[١] أن يكون بمعنى الشأن، واحد الأمور؛ لأنّهم قالوا ذلك في مقابلة قولها: ﴿أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى﴾، كأنّهم قالوا: حال ما ظهر لك مِن الرأي مُفوَّضٌ إليك، وأنتِ العالِمة بذلك.

قوله: (لمّا أحسَّت) إحساسُ المَيل كان مِن قولهم: ﴿نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾، سواء كان "الأمْر" في قولهم: ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ بمعنى الشأن، أو ضِدّ النهي.

قوله: (ثمّ ذكَرَتْ) عطف على قوله: (فزيَّفتْ)؛ لأنّه في بيان ترتيب الجواب.

قوله: (ومَن استباحَ) يريد: أنّ هذا الكلام وارد لاستقباح[٢] فعل الملوك

---

[١] ن: ويجوز.
[٢] ن: الاستقباح.

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٣٥﴾

﴿مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾؛ أي: مُرْسِلةٌ رُسُلًا بهَديَّةٍ أصانِعُه بها عن مُلْكي.

﴿فَنَاظِرَةٌ﴾ ما يَكُون منه حَتَّى أَعْمَلَ على حَسَبِ ذلك.

فرُوي: أنَّها بَعثَتْ خَمسَ مئةِ غُلامٍ عَليْهم ثِيابُ الجَوارِي وحُلِيُّهُنَّ الأسَاورُ والأَطْواقُ والقِرَطةُ، رَاكبي خَيْلٍ مُغشَّاةٍ بالدِّيباجِ مُحَلَّاةِ اللُّجُمِ والسُّرُوجِ بالذَّهَبِ المُرصَّعِ بالجَواهر، وخمسَ مئةِ جَاريةٍ على رِمَاكٍ في زيِّ الغِلْمَانِ، وأَلْفَ لَبِنَةٍ مِن ذهَبٍ وفضَّةٍ، وتَاجًا مُكلَّلًا بالدُّرِّ واليَاقُوتِ المُرتَفِع والمِسْكِ والعَنْبر، وحُقًّا فيه دُرَّةٌ عَذرَاءُ وجَزْعَةٌ مُعوَجَّةُ النَّقْبِ، وبعَثَتْ رَجُلين من أَشرافِ قوْمهَا: المُنذِرَ بْنَ عَمْرو وآخَرَ ذَا رَأيٍ وعَقْلٍ، وقَالَتْ: إن كانَ نبيًّا مَيَّزَ بَيْنَ الغِلمانِ والجَواري، وثقَبَ الدُّرَّةَ ثَقْبًا مُستَويًا، وسَلَك في الخَرَزةِ خَيطًا، ثم قالَتْ للمُنذِر: إنْ نَظَر إليكَ نَظر غضبَانَ فهُو ملِكٌ فَلا يَهُولَنَّكَ، وإنْ رأيتَهُ بَشًّا لطِيفًا فهو نَبيٌّ.

فأقبَلَ الهُدْهُدُ فأخبرَ سليمانَ، فَأمَر الجنَّ فضَربُوا لَبِنَ الذَّهبِ والفضَّةِ، وفَرشُوه في مِيْدَانٍ بَيْنَ يَديْه طُولُه سَبْعةُ فَراسخَ، وَجعَلُوا حَوْلَ المِيْدَانِ حَائطًا شُرَفُه مِن الذَّهَبِ والفِضَّة، وأَمرَ بأَحسن الدَّوَابِّ في البرِّ والبَحر فَربَطُوهَا

المفسدين في الأرض، لا لاستحسان حالهم، فوجب أن يتّعظ به وينزجر عن فعل مثل ذلك، لا أن يتمسّك به على جواز ذلك، فإنّه يكون تحريفًا لكلام الله تعالى. وقوله: (يتعلّق) أي: يتمسّك.

قوله: (أُصانِعُه) يقال: صانَعَه بالمال، أي: رشاه، أي: أصرِفه عن مِلكي بتلك الهديّة. فقوله تعالى: ﴿بِهَدِيَّةٍ﴾ صفة موصوف محذوف على ما ذكَر.

قوله: (والقِرَطة) القُرْط: الذي يُعلَّق في شحمة الأُذُن، والجمع: قِرَطة. وقوله: (رِماكٍ) الرَّمَكة: الفرَس الأنثى. وقوله: (في زِيِّ) الزِّيُّ: اللباس.

قوله: (وجَزْعة) الجَزْع: الخرَز اليمانيّ؛ وهو الذي فيه سواد وبياض.

قوله: (شُرَفُهُ) شُرْفة القصر: واحدة الشُّرَف.

عن يمينِ الميْدانِ ويسَارِه على اللَّبِنِ، وأمَر بأولادِ الجِنِّ وهُم خَلْقٌ كثيرٌ فأُقيمُوا عن اليَمين واليَسار، ثمَّ قعَد على سَريرِه والكَراسيُّ من جانِبَيْه، واصطَفَّتِ الشَّياطينُ صُفوفًا فَراسِخَ، والإنسُ صفوفًا فَراسِخَ، والوحشُ والسِّباعُ والطيُور والهَوامُّ كذلك، فلمَّا دَنا القومُ ونَظَرُوا: بُهِتُوا، ورَأَوا الدَّوابَّ تَرُوثُ على اللَّبِن، فتَقاصَرتْ إليهم نفُوسُهم ورَمَوا بمَا معَهُم، ولمَّا وقَفُوا بينَ يَدَيْه نَظرَ إليْهم بوَجْهٍ طَلْقٍ وقال: ما وَراءكُم؟ وقال: أينَ الحُقُّ؟ وأخبَرَهُ جبريلُ بما فيهِ فقال لهُم: إنَّ فيه كَذا وكَذا، ثمَّ أمَر الأَرَضَةَ فأَخَذتْ شَعرةً ونفَذَتْ فيها فجُعِلَ رزقُها في الشَّجرة، وأخَذَتْ دُودَةٌ بيضَاءُ الخَيْطَ بِفِيهَا ونَفذَتْ فيها فجُعِل رزقُها في الفَواكه، ودعَا بالماء وكانَت الجَارِيةُ تأخُذُ الماءَ بيَدها فتَجعلُه في الأُخرى ثمَّ تَضْرِبُ به وَجْهَها، والغُلامُ كما يأخذُه يَضرِبُ به وَجْهَهُ، ثمَّ رَدَّ الهَدِيَّة وقال للمُنذِر: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ فقالَتْ: هو نَبيٌّ وما لنَا به طاقةٌ، فشَخَصَتْ إليه في اثنَي عشَر أَلْف قَيْلٍ تَحتَ كلِّ قَيْلٍ أُلوفٌ.

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۚ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ٣٦﴾

وفي قراءة ابن مسعُود: "فلمَّا جاءُوا".

قوله: (تروث) أي: تتغوَّط وتلقي روثها -أي: غائطها- على اللَّبِن. وقوله: (على اللَّبِن) أي: على اللَّبِن مِن الذهب والفضّة.

قوله: (ما وراءَكم؟) أي: ما في خاطركم؟ وما مرادكم؟ والوراء بمعنى: الخلْف، فكأنّ ما في خاطرهم مستَترٌ بهم. ويجوز أن يريد بقوله: "ما وراءَكم؟": ما كان معهم ممّا رمَوه؛ لأنّه حينئذٍ كان خلفَهم.

قوله: (الأَرَضة) الأرَضة -بفتح الراء-: دُويبّة يأكل الخشَبة.

قوله: (فقالت: هو نبيّ) الفاء فصيحة، أي: فرجع إليهم فأخبرهم.

قوله: (فشخصَتْ) يقال: شخَصَ مِن بلد إلى بلد شخوصًا، أي: ذهَب.

﴿أتمدونني﴾ وقرئ بحَذف اليَاءِ والاكتِفَاءِ بالكَسْرة، وبالإِدْغَام كقَوله: ﴿أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّي﴾ [الأنعام ٦/٨٠]، وبنُونٍ واحدَةٍ: "أَتُمِدُّونِي".

"الهَدِيَّةُ": اسمُ المُهْدَى؛ كما أَنَّ العطِيَّةَ اسمُ المُعْطَى، فتُضَافُ إلى المُهْدِي والمُهْدَى لَه، تقُولُ "هذه هَدِيَّةُ فُلَانٍ"، تُرِيدُ: هي التي أَهْدَاها أو أُهْدِيَت إليه.

والمضافُ إليه هنا هو المُهْدَى إليه، والمَعنى: إنَّ ما عِندي خَيْرٌ ممَّا عِندكُم، وذلك أَنَّ اللهَ آتانِي الدِّينَ الَّذي فيه الحَظُّ الأَوفَرُ والغِنَى الأَوْسَعُ، وآتانِي مِن الدُّنيا ما لا يُستَزادُ عليه، فكَيف يَرْضَى مِثلي بأَنْ يُمَدَّ بمَالٍ ويُصَانَعَ به؟! ﴿بَلْ أَنتُم﴾ قومٌ لا تَعلمُونَ إلَّا ظَاهِرًا من الحيَاة الدُّنيا فلِذلك ﴿تَفْرَحُونَ﴾ بما تُزادُونَ ويُهْدَى إليكم؛ لأنَّ ذلك مَبلَغُ هِمَّتِكُم، وحَالي خلافُ حَالِكُم، وما أَرْضَى مِنكُم بشَيءٍ ولا أَفرَحُ به إلَّا بالإِيمانِ وتركِ المجوسِيَّةِ.

فإن قلتَ: ما الفَرقُ بينَ قولك: أَتُمِدُّنِي بمالٍ وأنَا أَغْنَى مِنكَ؟ وبَيْنَ أَن تقُولَهُ بالفاءِ؟

قلتُ: إذا قُلتُه بالواو فقَد جَعَلْتُ مُخَاطَبي عَالِمًا بزِيَادَتي عَليه في الغِنَى واليَسَار

قوله: (يُستزاد) مبنيّ للمفعول مِن الاستزادة بمعنى: طلب الزيادة، وهو مستند إلى "عليه".

قوله: (كيف يرضى؟) لو قال المصنِّف: كيف يفرَح؟ لكان أنسب لقوله تعالى: ﴿تَفْرَحُونَ﴾، لكنّه فسّر قوله: ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾. فأمّا تفسير: ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ فسيجيء.

قوله: (ويُصانَع به) الصُنع -بالضمّ- مصدر قولك: صنع إليه معروفًا، وصانَعه بالمال، أي: رشاه.[١]

قوله: (بأن يُمَدَّ) مِن المَدد، يقال: مدَّ الجيشَ وأمدَّه إذا زاده وألحق به ما يُقوّيه ويكثّره.

قوله: (عالمًا) لأنّه يكون حالًا.

---

[١] انظر: المُغرب للمطرّزي، «صنع».

وهو مع ذلك يُمدُّنِي بالمالِ، وإذا قُلْتُه بالفاءِ فقد جَعلتُه ممَّن خفيَتْ عليه حَالي فأنا أُخْبرُه السَّاعَة بما لا أَحتاجُ مَعَه إلى إمْدادِه؛ كأنِّي أقُولُ له: أُنكِرُ عَلَيْكَ ما فَعلْتَ فإنِّي غنيٌّ عَنهُ، وعليه ورَدَ قولُه: ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾.

فإن قلتَ: فما وَجْهُ الإضرابِ؟

قلتُ: لَمَّا أنكَرَ عَليْهم الإمدادَ وعَلَّلَ إنْكارَهُ أَضْرَبَ عن ذلك إلى بيَانِ السَّببِ الَّذي حَمَلهُم عَليْه، وهُوَ أنَّهم لا يَعْرِفُونَ سَبَبَ رضًا ولا فَرَحٍ إلَّا أن يُهْدَى إليهم حَظٌّ من الدُّنيا التي لا يَعْلمُونَ غيْرَها.

ويجوز أَن تُجْعَلَ الهدِيَّةُ مُضَافةً إلى المُهْدِي، ويكونَ المَعْنى: ....

قوله: (قلتُ: لمَا أنكر)... إلخ، فـ"بل" هنا لترك الأوّل والأخذ فيما هو أهمّ؛ لأنّ بيان السبب كان أهمّ.

قوله: / (وأضرَبَ[١] عن ذلك) أي: أضرَبَ[٢] عن إنكار الإمداد وتعليله. واعلم أنّ تحقيق معنى الإضراب هنا: أنّه لمّا قيل: ﴿أَتُمِدُّونَنِ﴾... إلخ دلّ هذا الإنكار والتعليل على أنّه لا يرضى بالهديّة والمصانَعة، فأضرب عن ذلك إلى رضاهم وفرحهم، فكأنّه قال: أنا لا أرضى ولا أفرح بالهديّة والمصانَعة؛ بل أنتم تفرحون بذلك؛ لأنّ نظرَكم مقصور على الدنيا؛ لجهلكم بالأمور الدينيّة والأخرويّة،[٣] وفرحي بالنبوّة والعِلم والأمور الأخرويّة، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس ١٠/٥٨]. [٢٣١ظ]

قوله: (إلّا أن يُهدى) مستثنى مِن قوله: (سببَ[٤] رضًى)، يعني: لا يعرفون سبب[٥] رضًى إلّا الإهداء إليهم، فإنّ سبب فرَحهم الإهداء إليهم.

قوله: (ويجوز أن تُجعل الهديّة مضافةً) عطف على قوله: (والمضاف إليه ههنا هو المهدَى إليه).

---

[١] ن: وأضر.
[٢] ف - أي: أضرب.
[٣] ن: والأخورية.
[٤] ن: ست.
[٥] ن: ىعىـ.

بلْ أَنتُم بهَدِيَّتِكُم هذِه التي أَهْدَيتُموهَا تفرَحُون فَرَحَ افتخارٍ عَلى المُلوك بأنكم قدَرْتُم عَلى إِهْدَاء مِثلِها.

ويَحتمِلُ أن تكُونَ عبَارةً عن الرَّدِّ؛ كأنَّه قال: بل أَنتُم مِن حقِّكُم أَنْ تأخُذُوا هَدِيَّتَكُم وتَفرَحُوا بهَا.

﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿ٱرْجِعْ﴾ خِطابٌ للرَّسول، وقيل: للهُدْهُد مُحَمَّلًا كتَابًا آخَر.

﴿لَا قِبَلَ﴾: لا طَاقَـةَ، وحقيقـةُ القِبَـلِ: المُقاوَمـةُ والمقَابَلـةُ؛ أي: لا يَقْـدِرُونَ أَنْ يُقَابِلُوهم.

وقرأ ابن مسعود: "لا قِبَلَ لهُم بهمْ".

والضميرُ في ﴿مِنْهَا﴾ لِسَبأ.

و"الذُّلُّ": أَن يَذهَب عنهم ما كانوا فيه من العزِّ والمُلكِ.

و"الصَّغَارُ": أَن يَقعُوا في أَسْرٍ واستعبَادٍ ولا يُقتَصَرَ بهم عَلى أَن يرجعُوا سُوقَةً بَعد أَن كانُوا مُلوكًا.

﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾

يُروَى: أَنَّها أمَرتْ عِندَ خُروجهَا إلى سليمان عليه السلام فجُعِل عَرشُها

قولـه: (ويحتمـل أن يكـون عبـارة عـن الـردّ) تحقيـق الإضـراب على هـذا أن نقـول: معنى ﴿أَتُمِدُّونَنِ﴾... إلخ: أنّي لا أقبل هديّتكم، فكأنّه قيل: لا أقبَل هديَّتكـم؛ بـل أردُّهـا عليكـم.

قوله: (خطابٌ للرسول) أي: لرسول بلقيس؛ وهو الذي أرسلته[1] بهديّة.

قوله: (أمَرتْ عند خروجها) مفعول "أمَرتْ" محذوف؛ لدلالة قوله: (فجُعل) عليه، فكأنّه قال: أمَرت بإخفاء عرشها أو بالاحتياط في شأنها.

---

[1] في الأصول الخطّيّة: "أرسلتها" بالتأنيث.

في آخِرِ سبعَةِ أبياتٍ بَعضُها في بَعض في آخِر قَصْرٍ مِن قصُورٍ سَبْعةٍ لهَا، وغَلَّقتِ الأبْوابَ ووكَّلَت به حَرَسًا يَحفُظُونَهُ.

ولعَلَّه أُوحِيَ إلى سُليمان عليه السلامُ باستيثاقِهَا من عرْشها، فأراد أن يُغرِبَ عَليها ويُريَها بذلك بعْضَ ما خَصَّهُ اللهُ به من إجراء العَجائب على يَدهِ، مع إطْلاعِهَا على عِظَمِ قُدرةِ الله وعلى ما يَشهَد لنبوَّة سُليمان ويُصدِّقُها.

وعن قتادة: أرَادَ أن يأخُذَه قبلَ أنْ تُسْلِمَ لِعلْمه أنَّها إذا أَسْلَمتْ لم يحِلَّ له أَخْذُ مالِها.

وقِيل: أراد أنْ يُؤتَى به فيُنَكَّرَ ويُغيَّرَ ثم يَنظُرَ أَتُثبِتُهُ أَمْ تُنكِرُه؟ اختِبارًا لعَقلِهَا.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾

وقرئ: "عفريَةٌ"، والعِفْرُ والعِفريتُ والعِفريَةُ والعِفْرَاةُ والعُفَارِيَةُ من الرِّجال: الخبيثُ المُنكَرُ الَّذي يُعَفِّرُ أَقرانَه، ومِن الشياطين: الخبيثُ المَاردُ، وقالُوا: كان اسْمُهُ ذكْوانَ.

﴿لَقَوِىٌّ﴾ على حَمْلِه ﴿أَمِينٌ﴾ آتِي به كما هُو، لا أَختَزِلُ منه شَيئًا ولا أُبَدِّلُه.

قوله: (باستيثاقها) مِن قولهم: وثَّقَه وأوْثَقه؛ أحكَمه وشدَّه بالوَثاق، أي: القيد، والاستيثاق: طلب التوثيق والإيثاق. والباء[1] زائدة أو سببيّة متعلّقة بـ"أوحي"؛ لأنّ الوحي كان بسبب استيثاقها، و"مِن" في "مِن عرشها" يحتمل أن تكون زائدة، أو للتبعيض بمعنى: استيثاقها مِن بعض الوجوه المُمكنة، والظاهر أنّ المصنّف لو لم يأتِ بـ"مِن" كان أصوب؛ لأنّ معنى استوثق مِنه: أخذ مِنه الوثيقة، ولا معنى له ههنا إلّا أن يقال: لمّا أمَرَتْ بالاحتياط في شأن العرش فكأنّها أخذت مِنه الوثيقة، يقال: أخذ بالوثيقة مِن أمره، أي: بالثِّقة.

قوله: (أراد أن يُغرِبَ) يقال: أغرَب الرجل، أي: جاء بشيء غريب.

قوله: (لا أختزل) الاختزال: الاقتطاع.

---

[1] ف: والتاء.

﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ۝٤٠﴾

﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ رجُلٌ كان عِنْده اسْمُ الله الأَعْظَمُ، وهُو: "يَا حَيُّ يا قيُّوم"، وقيل: "يا إلهَنا وإلهَ كُلِّ شيءٍ إلهًا واحدًا لا إلهَ إلَّا أنتَ"، وقيل: "يا ذا الجلال والإكرامِ".

وعن الحسن: اللهُ والرَّحمٰنُ.

وقيل: هو آصَفُ بنُ بَرْخِيَا كاتِبُ سُليمانَ وكان صدِّيقًا عالِمًا.

وقيل: اسْمُه أُسْطُومُ، وقيل: هو جبريلُ، وقيل: مَلَكٌ أيَّدَ اللهُ به سُليمانَ.

وقيل: هو سُليمانُ نَفْسُه؛ كأنَّه استَبْطَأَ العفريتَ فقَال له: أَنا أُريكَ ما هُو أَسْرعُ مِمَّا تَقُولُ.

وعن ابن لَهِيعَةَ: بَلَغَني أنَّه الخضِرُ عليه السلام.

﴿عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: من الكتابِ المُنزَلِ، وهوَ عِلمُ الوَحْيِ والشَّرائع.

وقيلَ: هُوَ اللَّوحُ، والَّذي عِنْدهُ عِلْمٌ مِنه: جبريلُ.

و﴿ءَاتِيكَ﴾ في الموضعَين يجُوز أَن يكُونَ فِعْلًا واسمَ فاعلٍ.

"الطَّرْفُ": تَحْرِيكُكَ أَجْفَانَكَ إذا نَظرْتَ، فوُضِع موضِعَ النَّظرِ، ولمَّا كانَ النَّاظِرُ مَوصُوفًا بإرْسَالِ الطَّرْفِ في نحوِ قوله:

قوله: (فوُضع مَوضع النظر)؛ لأنَّه مِن لوازم النظر.

قوله:

(وكنـــتَ إذا أرســـلتَ)... البيـــت

بعده:

رأيـــتَ الـــذي لا كـلُّـه أنـت قـادرٌ   عليه ولا عـن بعضـه أنـتَ صـابرُ[١]

---

[١] بلا نسبة في ديوان الحماسة. انظر: شرح ديوان الحماسة للتبريزي، ٢/٧٠.

وكُنْتَ إذَا أرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدًا لِقَلبكَ يَوْمًا أتْعَبتْكَ المَنَاظِرُ

وُصِفَ بِرَدِّ الطَّرْفِ ووُصِفَ الطَّرْفُ بالارْتِدَاد، ومَعنى قَوله: ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾: أنَّك تُرْسِلُ طَرْفَك إلى شيءٍ فقَبْلَ أنْ تَرُدَّهُ أبْصَرْتَ العَرشَ بَينَ يدَيْكَ.

ويروى: أنَّ آصَفَ قال لسليمان عليه السلام: مُدَّ عَينيكَ حَتَّى يَنْتَهِيَ طَرْفُكَ فمَدَّ عَيْنَيْهِ فَنظَرَ نحوَ اليَمن، ودعَا آصَفُ فغَارَ العرشُ في مَكانِه بمَأرِبَ ثم نبغَ عِند مَجلس سُليمانَ بالشَّام بقُدرة الله قَبل أَن يَرُدَّ طَرْفَهُ.

ويجوز أَن يكُونَ هذا مَثَلًا لاستِقْصَار مُدَّةِ المجِيءِ به؛ كما تقُولُ لصَاحبكَ: "أَفْعَلُ ذلك في لَحْظَةٍ" و"في رَدَّةِ طَرْفٍ" و"الْتَفِتْ تَرَنِي" وما أشبَهَ ذلك، تُريدُ السُّرعَةَ.

﴿يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ لأنَّه يحُطُّ به عنها عِبْءَ الوَاجِب ويَصُونُها عن سِمَةِ الكُفرانِ وتَرْتَبطُ به النِّعمةُ ويَستَمِدُّ المزيدَ.

وقيل: الشُّكرُ قَيْدٌ لِلنِّعمة الموجُودةِ، وصَيْدٌ للنِّعمة المَفقُودة.

قوله: (ترسل طَرْفَكَ) أي: نظرك.

قوله: (ووُصِفَ الطرف) عطف[1] على قوله: (وُصِفَ)؛ وذلك لأنّ الارتداد مطاوع الردّ، فإذا ردَّه ارتدّ.

قوله: (نَبغَ) أي: ظهر.

قوله: (بالشام) يدلّ على أنّ هذه القصّة كانت بالشام، لكن كلامه في أوّل هذه القصّة يدلُّ على أنّ سليمان حينئذٍ كان بصنعاء حيث قال: «فلمّا تمّ بناء بيت المقدس خرج إلى مكّة وأقام بها ما شاء، ثمّ عزم المسير إلى اليمن، فخرج مِن مكّة صباحًا، ووافى صنعاء وقت الزوال».[2]

قوله: (عِبْء) أي: ثِقل.

---

[1] ن: عليه.

[2] انظر قول الزمخشري عند تفسيره الآية ٢٠ من هذه السورة.

وفي كلامِ بَعضِ المتقدِّمين: «إنَّ كُفرانَ النِّعمة بَوارٌ، وقَلَّما أَقشَعَتْ نَافِرَةٌ فرجَعَتْ في نصَابها، فاستَدْعِ شَارِدَهَا بالشُّكْر، واستَدِمْ راهنَهَا بكَرم الجِوار، واعْلَم أنَّ سُبُوغَ سِتْرِ الله مُتَقلِّصٌ عمَّا قريبٍ إذا أنتَ لم تَرْجُ لِلهِ وَقارًا».

﴿غَنِيٌّ﴾ عن الشكرِ ﴿كَرِيمٌ﴾ بالإنعام على مَن يَكفُرُ نعمتَهُ.

والَّذي قالَهُ سليمانُ عليه السلامُ عِند رُؤيَة العَرشِ شاكِرًا لِرَبِّهِ جَرْيٌ على شاكِلةِ أَبناء جنسِه مِن أنبيَاءِ الله والمُخلَصِين من عبَاده؛ يَتَلَقَّونَ النِّعمةَ القادمَةَ بحُسنِ الشُّكر كما يُشيِّعُون النِّعْمةَ المُودِّعَةَ بجَميلِ الصَّبر.

﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ۝٤١﴾

﴿نَكِّرُواْ﴾ اجعَلوهُ مُتَنَكِّرًا مُتغيِّرًا عن هَيئتِه وَشَكْلِه كما يَتَنكَّرُ الرَّجُلُ للنَّاس لئلَّا يَعرفُوه، قالوا: وسَّعُوهُ وجَعَلُوا مُقَدَّمَهُ مُؤَخَّرَهُ وأَعْلاهُ أَسْفَلَهُ.

قرئ ﴿نَنظُرْ﴾ بالجَزم على الجواب، وبالرَّفع على الاستئنافِ.

﴿أَتَهْتَدِيٓ﴾ لمَعرفتِه، أو للجَواب الصَّوابِ إذا سُئِلَتْ عنه، أو للدِّينِ والإيمان

قوله: (بَوَارٌ) أي: هلاك.

قوله: (أقشعَتْ نافِرةٌ)[١] "أقشعَت"، أي: ذهبت، يقال: قَشَعتِ الريح السحابَ؛ كشفَتْه، فانقشع / وتقشَّع وأقشَع أيضًا، وقشَعْتُه أنا فأَقْشَع، مثل: كبَبْتُه فأكبَّ.[٢] وقوله: (فرجعتْ) عطف على قوله: "أقشعَتْ". و"النِّصاب": الأصل. و"الشارد": النافر، يقال: شرَد البعير، أي: نفَر. و"الراهن": الثابت، يقال: رهن، أي: دام وثبَت. و"السابغ": الواسع. وقَلَص وقلَّص وتقلَّص، أي: انزَوى وانضمّ. أي: إنّ سِتْر الله تعالى ينكشِف إذا لم تخَف عظمة الله تعالى؛ بل اغترَرْتَ بسَتره. والرجاء بمعنى: الخوف، والوقار: العظمة. [٢٣٢و]

قوله: (بكرَم الجِوار) أي: بحُسن المجاورة.

قوله: (المَوَدِّعة) النعمة إذا ذهبت فكأنّها ودَّعت.

---

[١] في بعض مطبوعات الكشّاف: "ناقرة".

[٢] الصحاح للجوهري، «قشع».

بنُبوَّةِ سُليمان إذا رَأتْ تلك المُعجزةَ البَيِّنةَ من تقدُّم عَرشهَا وقد خلَّفَتْهُ وأَغلقَتْ عليه الأَبوابَ ونَصبتْ عليه الحُرَّاسَ.

﴿فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ٤٢ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ٤٣﴾

﴿هكذا﴾ ثلاثُ كلِمَاتٍ: حَرْفُ التَّنبيهِ، وكافُ التَّشبيه، واسمُ الإشَارة، لم يُقَلْ: "أَهَذا عَرْشُكِ؟" ولكن: "أَمِثْلُ هذا عَرْشُكِ؟" لئلَّا يكُونَ تَلقينًا، فقَالَت: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ ولم تَقُلْ: "هُوَ هُوَ" ولا: "ليس به"، وذلك من رجَاحَةِ عَقْلِها حيثُ لم تَقْطَعْ في المُحتمِلِ.

﴿وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ﴾ من كلامِ سُليمانَ ومَلَئِهِ.

فإن قلتَ: عَلامَ عُطف هذا الكلامُ، وبِمَ اتَّصل؟

قلتُ: لَمَّا كان المقَامُ الذي سُئِلَتْ فيه عن عَرْشها وأجَابَتْ بما أجَابَتْ به مقَامًا أَجْرَى فيه سُليمانُ ومَلؤُه ما يناسبُ قولَهُم: ﴿وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ﴾ نحوَ أَن يَقُولُوا عنْد قَولها: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾: قد أَصَابَتْ في جَوابهَا وطبَّقتِ المَفصِلَ، وهي عَاقِلَةٌ لَبيبَةٌ وقَد رُزِقَتِ الإِسلامَ وعَلِمتْ قدرةَ الله وصحَّةَ النُّبوَّة بالآياتِ الَّتي تقَدَّمَتْ عِند وَفْدَةِ المُنذِر،

قوله: (ثلاث كلماتٍ) لمّا حذف المصنِّف الهمزة قال: "ثلاث كلمات"، وهي في القرآن أربع كلمات: الهمزة والبواقي.[1]

قوله: (وأجابت) أي: أجابت فيه بما أجابت. وقوله: (أجرى) صفة "مقامًا". وقوله: (وأوتينا) مقول "قولهم". وقوله: (نحو[2] أن يقولوا) بيان "ما". وقوله: (قد أصابت) أي: أن يقولوا: قد أصابت، فقوله: "قد أصابت" إلى قوله: "عرشها" مقول "أن يقولوا".

قوله: (وَفْدةِ المنذر) أي: عند ورود المنذر بن عمرٍو رسولًا، وهي "فَعْلة" مِن: وَفَد فلان على الأمير، أي: وَرَد رسولًا.

---

[1] ن: والتواقي.

[2] ف: نجو.

وبهذه الآيةِ العَجيبةِ من أَمْرِ عَرْشها= عَطَفُوا على ذلك قَولَهُم: ﴿وَأُوتِينَا﴾ نحنُ ﴿ٱلْعِلْمَ﴾ باللهِ وبقُدْرَتهِ وبصحَّةِ ما جاء من عنده قبْلَ عِلْمِها، ولم نَزَلْ على دينِ الإسْلامِ؛ شكرًا لله على فضْلِهم عَليها وسَبْقِهم إلى العِلم بالله والإسْلام قَبْلَها ﴿وَصَدَّهَا﴾ عن التَّقَدُّم إلى الإسْلام عِبَادَةُ الشمْسِ ونَشؤُهَا بيْنَ ظهرَانَي الكفَرةِ.

ويجوز أَن يكُونَ من كلام بلقيس مَوْصُولًا بقَوْلها: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾، والمَعْنَى: وأُوتِينَا العِلْمَ بالله وبِقُدرتهِ وبصحَّةِ نُبوَّةِ سُليمانَ قبْلَ هذه المُعجزةِ، أَو قَبْلَ هذه الحَالةِ -تَعْنِي: ما تَبَيَّنَتْ من الآيات عند وَفْدَة المُنْذِر- ودَخَلْنَا في الإسلام، ثمَّ قال الله تعالى:

قوله: (عطفوا) جواب "لمّا"، أي: عطف سليمان وملَؤُه. والحاصل: أنّ هذا الكلام معطوف على محذوف دلّ عليه سياق الكلام.

قوله: (وصدَّها عن التقدّم) عطف على "أوتينا"، فهو أيضًا مِن جملة قول سليمان وملَئه. وقوله: "عن التقدّم" متعلِّق بـ"صدَّها"، وإنّما حذِف لدلالة قوله: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ عليه، أي: كنّا مسلمين قبلها.

قوله: (بين ظهرانَي الكفرة) أي: بين الكفرة، ولفظ "الظهرانَي" زائد، يقال: هو نازل بين ظَهرَيهم وظهرانَيهم بفتح النون، أي: بينهم، ولا تقل: ظهرانِيهم بكسر النون.[1] وكأنّ المصنِّف زاد لفظ "الظهْران" وثنّاه ليكون إشارة إلى أنّ الكفرة كانوا مكتنفين بها مِن الجانبين خلفها وقُدّامها، كطائفتين أحاطتا الشخص متوجّهتين إلى العدوّ؛ لتحفظا الشخص مِن العدوّ، بجعل الوجه إلى العدوّ، وجعل الظَّهر إلى الشخص، فهؤلاء أيضًا كأنّهم كانوا يمنعونها مِن الإسلام، ويصدّونها عن ذلك، ويدفعون عنها مَن كان يريد حملها على الإسلام ودعوتها إلى الإسلام.

قوله: (تعني) أي: تريد بلقيس بـ"إيتاء العلم قبل هذه": ما علمت مِن الآيات. وقوله: (ثمّ قال) عطف على محذوف دلّ عليه قوله.

قوله: (ويجوز أن يكون مِن كلام بلقيس) فكأنّه قال: حكى الله تعالى كلام بلقيس، ثمّ قال الله تعالى: ﴿وَصَدَّهَا﴾. وقوله: (ثمّ قال) يشير به إلى أنّ قوله:

---

[1] الصحاح للجوهري، «ظهر».

﴿وَصَدَّهَا﴾ قبلَ ذلك عمَّا دَخلَتْ فيه ضَلالُها عن سَواء السَّبيل.

وقيل: وصَدَّهَا اللهُ أَو سُليمانُ عمَّا كانَت تعبُدُ، بتَقديرِ حَذفِ الجارِّ وإيصَال الفِعل.

وقرئ: "أنها" بالفَتح على أنَّه بدَلٌ من فاعِل "صَدَّ"، أو بِمَعنَى: لأنَّها.

﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

"الصَّرحُ": القصْرُ، وقيل: صَحْنُ الدَّارِ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ: ﴿سَأْقَيْها﴾ بالهَمْزِ، ووَجْهُه: أنَّه سمِع "سُؤْقًا" فأَجْرَى عَليه الواحِدَ.

و"المُمرَّدُ": المُملَّسُ.

﴿وَصَدَّهَا﴾ على هذا الوجه منقطع عن قوله: ﴿وَأُوتِينَا﴾، فالأوَّل مِن كلام بلقيس، وهذا مِن كلام الله تعالى. فعلى هذين الوجهين فاعل "صَدّ": ﴿مَا كَانَت﴾، ومفعوله الثاني محذوف، وهو قوله: (عمّا دخلت فيه). وأمّا على الوجه الثالث ففاعل "صدّ" ضمير مستتر فيه كما بيّنه، وقوله: ﴿مَا كَانَت﴾ مفعوله الثاني بحذف حرف الجرّ والإيصال / كما ذكر. ولا يخفى أنّ قوله أوّلًا: (عبادةُ الشمس [٢٣٢ظ]
ونَشْؤُها)، وقوله ثانيًا: (ضلالُها عن سواء السبيل) كلاهما تفسير لقوله: ﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ﴾، فهما بمعنًى واحدٍ.

قوله: (بدل مِن فاعل "صدّ") هذا على تقدير أن يكون الفاعل ﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ﴾ على التفسيرين المتقدّمين، أعني: قوله: "عبادةُ الشمس ونَشْؤُها"، وقوله: "ضلالُها عن سواء السبيل". وقوله: (أو بمعنى: لأنّها) على تقدير أن يكون الفاعل ضميرًا مستترًا، فعلى هذا يكون قوله: "لأنّها" متعلِّقًا بقوله: ﴿تَعْبُدُ﴾، ويمكن أن يقال: هو متعلِّق بـ﴿صَدَّهَا﴾؛ لأنّه إنّما صدَّها عمّا كانت تعبد لأنّها كانت مِن قومٍ كافرين.

قوله: (ووجهه)... إلخ، هذا الكلام الذي ذكره المصنِّف ضعيف،

ورُوِيَ أَنَّ سليمان أَمَر قَبْلَ قدُومها فبُنِيَ له على طريقها قصْرٌ من زُجَاجٍ أبيَضَ، وأُجرِيَ من تَحتِه الماءُ، وأُلقِيَ فيه من دَوابِّ البَحر السَّمكُ وغيْرُه، ووُضِعَ سَريرُهُ في صَدْرِه، فجَلَس عَليه وعَكَفَ عَليه الطَّيْرُ والجِنُّ والإِنسُ، وإنَّما فعَل ذلك ليَزيدَها استِعْظَامًا لأَمْرِه وتَحقُّقًا لنُبوَّتهِ وثَباتًا على الدِّين.

وزعمُوا أَنَّ الجنَّ كرِهُوا أن يتزَوَّجَها فتُفْضِيَ إليه بأسرارهم لأنَّها كانت بِنتَ جِنِّيَّةٍ.

وقيل: خَافُوا أَنْ يُولدَ له منها وَلَدٌ تَجتَمِعُ له فِطنَةُ الجِنِّ والإِنس، فيَخرُجونَ من مُلك سُليمان إلى مُلكٍ هو أَشَدُّ وأفظَعُ، فقَالُوا له: إِنَّ في عَقْلِها شيئًا، وهي شَعْراءُ السَّاقَيْن، ورِجْلُها كحَافر الحِمار، فاختَبَر عَقلها بتنكيرِ العَرش، واتَّخذ الصَّرح لِيَتعرَّفَ ساقَها ورِجْلَها، ....

والصواب أن نقول: لمّا ثبت وتواتَر هذه القراءة[١] دلّت على[٢] أنّ "السأق" بالهمز لغة بعض العرب، ورَدت[٣] به القراءة. هذا إذا قلنا: إنّه متواتر، وأمّا إن قلنا: إنّه مِن قَبيل غير المتواتر؛ لأنّ القراءات السبع متواترةٌ فيما ليس مِن قبيل الأداء؛ كالمدّ والإمالة وتخفيف الهمزة وتحقيقها،[٤] فنقول: هذا وإن لم يكن متواترًا لكنّه ثبت بنقل الآحاد المعدَّلين، فوجب قَبوله والاستدلال به على أنّه لغة ثابتة، فإذا كانوا يُثبتون اللغة ببيت شعر أو بمَثل[٥] عربيّ، فالإثبات بهذا أولى.

قوله: (فبُني له على طريقها قصرٌ) مناسب لتفسيره ﴿ٱلصَّرْحَ﴾ بالقَصْر.

---

١ أي: رواية قنبل عن ابن كثير: ﴿سَأْقَيْهَا﴾ بالهمز مكان الألف. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٣٨.

٢ ف – على.

٣ ف: ووردت.

٤ القول بأنّ ما كان مِن قبيل الأداء مِن القراءات ليس بمتواتر قاله ابن الحاجب رحمه الله، وردّ ذلك الحافظ ابن الجزري رحمه الله فقال: «هو واهم في قَطعِه بتواتر الاختلاف اللفظيّ دون الأدائيّ؛ بل هما في نقلهما واحد، وإذا ثبت تواتر ذلك كان تواتر هذا مِن باب أولى، إذ اللفظ لا يقوم إلّا به، أو لا يصحّ إلّا بوجوده، وقد نصّ على تواتر ذلك كلِّه أئمة الأصول كالقاضي أبي بكر بن الطيّب الباقلّاني في كتابه الانتصار وغيره، ولا نعلَم أحدًا تقدم ابن الحاجب إلى ذلك». النشر لابن الجزري، ١/٣٠. وانظر تفصيل ذلك في منجد المقرئين لابن الجزري، ص ٧٢.

٥ ن: تمثل.

فكشَفَتْ عنهما فإذا هي أَحسنُ الناس سَاقًا وقدمًا إلّا أَنّها شَعْراءُ، ثم صَرفَ بَصرهُ ونادَاهَا: ﴿إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾.

وقيل: هي السَّببُ في اتِّخاذِ النُّورةِ، أَمر بهَا الشَّياطينَ فاتَّخذُوهَا.

واستَنْكَحهَا سُليمانُ وأَحبَّهَا وأَقرَّهَا على مُلْكِهَا، وأَمر الجِنَّ فَبنَوا لهَا سَيْلحينَ وغُمدانَ، وكان يَزُورهَا في الشَّهر مَرَّةً فيُقِيمُ عندَها ثلاثةَ أيَّامٍ، ووَلدَتْ له.

وقيل: بَل زوَّجها ذا تُبَّعٍ مَلِكَ هَمْدَانَ وسَلَّطَهُ على اليَمن، وأَمَر زَوْبَعةَ أميرَ جِنِّ اليَمن أَنْ يُطِيعَهُ، فبَنَى له المصَانِعَ، ولم يَزَلْ أَميرًا حَتَّى ماتَ سليمان.

﴿ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ تُرِيدُ بكُفْرهَا فيما تقدَّم.

وقيل: حَسِبَتْ أَنَّ سُليمان يُغرِقُها في اللُّجَّةِ فقَالت: ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ بسُوءِ ظَنِّي بسُليمانَ علَيْه السَّلام.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ۝٤٥﴾

وقُرئ: ﴿أَنُ اعبدوا﴾ بالضَّمِّ على إِتْبَاع النُّونِ البَاء.

قوله: (ثـمّ صرَف بَصَره)؛ لأنّه لم يجز له النظر إلى ساقها بعدما تبيّن حال ساقها، وإنّما جاز قبل ذلك ليتبيّن ذلك، ولذلك قال مناديًا: إنّه صرح مُمَرَّد؛ لتستُر ساقَها.

قوله: (﴿مُمَرَّدٌ﴾) أي: مُملّس، وتمريد البناء: تمليسه.

قوله: (سَيْلُحين) مدينةٌ. وقوله: (غُمْدان) قصر. وقوله: (هَمْدان) قبيلة. وقوله: (وسلَّطه) أي: ذا تُبّع. وقوله: (يطيعَه) أي: ذا تُبّع. وقوله: (فبنى له) أي: ذا تُبّع.

قوله: (المصانع) "المصانع": الحصون، والمصنَعة: كالحوض يُجمع فيه ماء المطر، وكذلك المصنُعة بضمّ النون.[1]

[1] ف + من. | الصحاح للجوهري، «صنع».

﴿فَرِيقَانِ﴾: فَرِيقٌ مُؤْمِنٌ وفَرِيقٌ كافِرٌ. وقيل: أُرِيدَ بالفَرِيقَيْنِ صَالِحٌ وقومُه قَبلَ أنْ يُؤْمِن منهم أحَدٌ.

﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ يقُولُ كُلُّ فَرِيقٍ: الحَقُّ مَعي.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾

"السَّيئةُ": العُقُوبةُ، و"الحَسنةُ": التَّوبة.

قوله: ("السيّئة": العقوبة) فسَّر المصنِّف "السيّئة" بالعقوبة على ترك الإيمان، و﴿ٱلْحَسَنَةِ﴾ بالتوبة، ثمّ أورد سؤالًا، وهو أنّ العقوبة والتوبة لم تكونا متوقَّعتين، فكيف قيل: ﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾؟ فإنّ تقديم إحداهما على الأخرى واستعجالها إنّما يتصوّر إذا كانتا متوقَّعتين وقدِّمت إحداهما، فيقال حينئذٍ: لمَ قُدِّمت هذه على تلك؟ وأجاب عنه: بأنّ صالحًا لمّا أوعدَهم بالعقوبة قالوا: إن لم يقع ما أوعدنا صالح مِن العقوبة نستَمِرُّ ونستديم حينئذٍ على ما نحن فيه، وإن وقعت تلك العقوبة نتُب عند وقوع العقوبة؛ لظنّهم أنّ التوبة تنفع حينئذٍ، فقيل لهم: لمَ تقدّمون العقوبة وتقولون: إن وقعت العقوبة نتبْ، وإن لم تقع لا نتوب؟ فإنّ هذا استعجال مِنهم بالعقوبة قبل التوبة؛ لأنّهم كانوا يقولون: ما لم تقع العقوبة لا نتوب، فإذا وقعت تُبْنا، فردَّ عليهم بطريق الإنكار هذا
[٢٣٣و] الاستعجال، ثمّ نبّههم على أنّ التوبة لا تكون / مقبولة عند وقوع العقوبة، وبيّن أنّ ظنّهم بقبول التوبة حينئذٍ خطأ، فقال: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، فكأنّه قيل: لمَ لا تقدّمون التوبة على العقوبة لتكون مقبولة، فإنّ التوبة لا تكون مقبولة عند نزول العقوبة. فعلى ما ذكره المصنِّف: "استعجله" بمعنى: تقدّمه، والباء في ﴿بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ للتعدية، أي: لمَ تقدِّمون السيّئة على الحسنة، قال في الصِّحاح: «استعجله: تقدَّمه،[١] قال القُطاميّ:

---

[١] لفظه في الصحاح: «واستعجلته: طلبت عجلته، وكذلك إذا تقدّمته».

فإن قلتَ: ما مَعْنى استعجَالِهم بالسيِّئة قَبلَ الحسَنةِ، وإنَّما يكونُ ذلك إذا كانتَا مُتوقَّعتين إحدَاهُما قَبلَ الأُخرى؟

قلتُ: كانوا يقُولُونَ بجَهْلِهم: "إنَّ العقُوبَة التي يَعِدُها صَالِحٌ إنْ وَقعَتْ على زُعْمِه تُبنَا حينئذٍ واستَغفرْنَا -مُقَدِّرينَ أنَّ التَّوبة مَقْبُولةٌ في ذلك الوَقتِ- وإن لم تقَعْ فنحْنُ على ما نَحنُ عليْه"، فَخاطَبَهُم صَالحٌ على حَسَبِ قَوْلِهم واعتِقَادِهم، ثُمَّ قال لهُم: هَلَّا تَستغْفِرُونَ اللهَ قبْلَ نزُول العَذاب ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ تَنْبيهًا لَهُم على الخَطَأ فيما قالُوه وتَجهيلًا فيما اعتقَدُوه.

﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ۝٤٧﴾

وكان الرَّجلُ يَخرُجُ مُسافِرًا فيَمُرُّ بطائرٍ فيَزْجُرهُ، فإنْ مَرَّ سَانحًا تَيمَّنَ، وإنْ مرَّ بارحًا تَشاءَمَ، فلمَّا نَسبُوا الخَيْرَ والشَّرَّ إلى الطَّائر استُعِير لِمَا كان سبَبَهُما من قَدَرِ اللهِ وقِسْمتِه، أو مِن عملِ العَبْد الذي هو السَّببُ في الرَّحْمة والنِّقمَةِ، ومنه قالوا: "طَائرُ اللهِ لا طائرُكَ"؛ أي: قَدَرُ اللهِ الغالِبُ الذي يُنسَبُ إليه الخيْرُ والشَّرُّ

واستعجلونا وكانوا مِن صَحابتنا كما تعجَّل فُرَّاط لِوُرَّادِ[1]

والفارط: مَن يتقدَّم الوارِدة.[2]

قوله: (إحداهما) بدل مِن الضمير في (متوقعتين). وقوله: (قبل الأخرى) ظرف "المتوقّع"، فكأنّه قال: إذا كانتا متوقَّعة إحداهما قبل الأخرى.

قوله: (سانِحًا) سنَح لي الظَّبي إذا مرّ مِن مَياسِرك، والعرب تتيمَّن به. والبُروح: ضدُّ السُّنوح.[3]

قوله: (أي: قدَرُ الله) أي: سبب ذلك قدَرُ الله تعالى،[4] فالطائر[5] الأوّل استعارة، والثاني حقيقة.

---

[1] الصحاح للجوهري، «عجل». وانظر: ديوان القطامي، ص ٢١٣.

[2] انظر: الصحاح للجوهري، «فرط».

[3] انظر: الصحاح للجوهري، «سنح» «برح».

[4] د ن - تعالى.

[5] ف: فالظاهر.

لا طَائِرُكَ الَّذي تتَشاءمُ به وتتيمَّنُ، فلمَّا قالُوا: ﴿ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ﴾؛ أي: تشاءَمْنا -وكانُوا قَد قُحِطُوا- ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: سَبَبُكم الَّذي يَجِيءُ منه خَيْرُكُم وشَرُّكُم عِنْد الله -وهُوَ قَدَرُهُ وقِسْمتُه- إن شَاءَ رزقَكُم وإنْ شاء حَرمَكُم.

ويجوز أَنْ يُريدَ: عَمَلُكم مكتُوبٌ عِند اللهِ، فمنه نَزلَ بكم ما نَزلَ عقُوبةً لكم وفِتنةً، ومنه قولُه: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾ [يس ١٩/٣٦]، ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء ١٣/١٧].

وقُرِئ: "تطيَّرنا بكُم" على الأَصْل.

ومَعْنَى "تَطيَّرَ بهِ": تَشَاءَمَ بِهِ، و"تَطيَّر مِنه": نَفر منْهُ.

﴿تُفۡتَنُونَ﴾: تُختَبرُونَ، أو: تُعَذَّبُونَ، أو: يَفْتِنُكُم الشَّيطانُ بوَسْوستِه إليكم الطِّيَرةَ.

﴿وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ٤٨﴾

﴿ٱلۡمَدِينَةِ﴾: الحِجْرُ، وإنَّما جاز تمييزُ التِّسعةِ بالرَّهْطِ لأنَّه في مَعنى الجماعةِ، فكأنَّهُ قِيل: تسعَةُ أَنفُسٍ، والفرقُ بين الرَّهْط والنَّفَرِ: أَنَّ الرَّهْط من الثلاثة إلى العَشرة أو من السَّبعَة إلى العَشرة، والنَّفَرَ من الثلاثة إلى التِّسعة.

وأسْماؤُهم عن وَهْبٍ: الهُذَيلُ بن عَبْد ربٍّ، غَنمُ بنُ غَنْمٍ، رِئابُ بنُ مِهْرَجٍ، مِصْدَعُ بنُ مِهْرَجٍ، عُمَيرُ بنُ كُرْدُبَّة، عاصِمُ بنُ مَخْرَمَة، سُبَيْطُ بنُ صَدقَةَ، سِمْعَانُ بنُ صَفيٍّ، قُدَارُ بن سَالِف، وَهُم الَّذين سَعَوا في عَقْرِ النَّاقةِ، وكانُوا عُتَاةَ قومِ صَالحٍ، وكانُوا من أبناءِ أشرافهم.

قوله: (أي:[١] سببكم) أي: سبب خيركم وشرّكم.[٢]

قوله: (الحِجْر) قال في الصِّحاح: «الحِجر: منازل ثمود ناحية الشام عند وادي القرى، قال تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الحجر ٨٠/١٥]».[٣]

قوله: (وإنّما جاز تمييز) مع أنّه موحّد اللفظ.

---

[١] ن – أي.

[٢] ف – قوله: (أي: سببكم) أي: سبب خيركم وشرّكم.

[٣] الصحاح للجوهري، «حجر».

﴿وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾ يَعني: أَنَّ شَأنَهُم الإفسَادُ البَحتُ الَّذِي لا يُخلَطُ بشَيءٍ من الصَّلاحِ كما تَرى بَعضَ المُفسِدينَ قَدْ يَنْدُرُ منه بَعضُ الصَّلاح.

﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝٤٩﴾

﴿تَقَاسَمُواْ﴾ يَحتمِلُ أَنْ يكُونَ أَمرًا، وخَبَرًا في محَلِّ الحَالِ بإضمارِ "قَدْ"؛ أي: قالُوا مُتَقَاسِمينَ. وقرئَ: "تَقَسَّمُوا".

وقرئَ ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾ بالتَّاء واليَاء والنُّون، فـ﴿تَقَاسَمُواْ﴾ مع النُّون والتَّاء يصحُّ فيه الوجهانِ، ومَعَ الياء لا يَصِحُّ فيه إلَّا أن يكون خبرًا.

والتَّقاسُمُ والتَّقسُّمُ كالتَّظَاهُرِ وَالتَّظَهُّرِ: التَّحالُفُ، والبَيَاتُ: مُبَاغَتَةُ العَدُوِّ لَيْلًا، وعن الإسْكَندَرِ أَنَّه أُشيرَ عليه بالبيَاتِ فقال: ليس من آيِينِ الملوكِ استِرَاقُ الظَّفَرِ.

وقرئَ ﴿مَهۡلِكَ﴾ بفتح المِيمِ واللامِ وكسْرِها من "هَلَكَ"، و: ﴿مُهْلَكَ﴾ بضم الميم من "أَهْلَكَ"، ويَحتمِلُ المَصْدَرَ وَالمكانَ والزَّمانَ.

قولـه: (يعنـي: أنَّ شـأنهم) إشـارة إلـى فائـدة قولـه: ﴿لَا يُصۡلِحُونَ﴾ بعـد ﴿يُفۡسِدُونَ﴾، وهـي أنّ المفسِـد قـد يجـيء منه الإصـلاح فـي بعـض الأوقـات، وهـؤلاء كان حالهـم بخـلاف ذلـك، إذ لـم يكـن منه الإصـلاح أصـلًا.

قولـه: (البَحْـتُ) أي: الصِّـرف المحْـض الـذي لـم يُمازجْـه شـيء، وبحُـتَ الشـيء -بالضـمّ- صـار بحْتًـا.[1]

قوله: (وقرئ: ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾) "لَيُبيِّتُنَّه"،[2] ﴿لَتُبَيِّتُنَّهُۥ﴾،[3] ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾.[4]

قوله: (﴿مَهۡلِكَ﴾ بفتح الميم)... إلخ، ﴿مَهۡلَكَ﴾ -بفتح الميم واللام-[5] معناه:

---

[1] انظر: الصحاح للجوهري، «بحت».

[2] بالياء بعد اللام وضمّ التاء، وهي قراءة شاذّة، مرويّة عن مجاهد وحميد والحسَن. انظر: شواذ القراءات للكرماني، ص ٣٦١.

[3] بالتاء بعد اللام وضم التاء الثانية، وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٣٨/٢.

[4] بالنون بعد اللام وفتح التاء، وهي قراءة باقي القرّاء العشر. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٣٨/٢.

[5] وهي رواية أبي بكر شعبة عن عاصم. انظر: النشر لابن الجزري، ٣١١/٢.

فإن قلتَ: كيفَ يكُونون صَادقِينَ وقد جَحدُوا ما فعَلُوا فأتَوا بالخَبَر على خِلاف المُخبَر عنه؟

قلتُ: كأنَّهم اعْتقَدُوا أنّهم إذا بيَّتُوا صَالِحًا وبيَّتُوا أهْلَه فجَمعُوا بيْنَ البيَاتَيْنِ ثمَّ قالُوا: ﴿مَاشَهِدْنَامَهْلَكَأَهْلِهِ﴾ -فذَكَرُوا أحَدَهُما- كانُوا صَادِقِينَ؛ لِأنَّهم فعَلُوا البيَاتَيْنِ جَميعًا لا أحَدَهُما.

وفي هَذَا دَلِيلٌ قاطعٌ عَلى أنَّ الكَذبَ قبيحٌ عندَ الكَفرةِ الذين لا يَعرِفُونَ الشَّرعَ ونوَاهِيَهُ ولا يَخطُرُ ببَالِهِم، ألَا ترَى أنَّهُم قصَدُوا قَتلَ نبيِّ اللهِ ولم يَرْضَوا لأنفُسهم بأنْ يكُونوا كاذِبينَ حَتَّى سَوَّوْا لِلصِّدْق في خَبَرهم حِيلةً يَتفَصَّون بها عن الكَذِب.

الهلاك، وقد روى بعضهم: ﴿مَهْلِكَ﴾ أيضًا بكسر اللام،[1] وهو بمعنى: ﴿مَهْلَكَ﴾، وهما لغتان، والأعرف في المصدر الفتح، والكسر قليل؛ لأنّ الكسر جاء في المكان، فيكون هذا مثل: المرجع والمكيل، وقالوا:[2] "المَهْلِك والمَرجِع والمَحِيض والمَكيل" مصادر أربعة لا يوجد لها خامسٌ. والحاصل: أنّ ﴿مَهْلَكَ﴾ بفتح الميم واللام لا يكون إلّا مصدرًا؛ لأنّ اسم الزمان والمكان مِن "يَهلَك" لا يكون إلّا مكسور اللام، وإنّ ﴿مَهْلِكَ﴾ بكسر اللام يحتَمل الثلاث، وكذا "المُهلَك" بضمّ الميم وفتح اللام؛[3] يحتمل الثلاث.

قوله: (وفي هذا دليل)... إلخ، يريد إثبات مذهبه؛ وهو أنّ قبح الكذب ذاتيّ، لا مِن حيث الشرع، وهذا الذي ذكره فيه نظر؛ لأنّ مطلوبهم أن يكتموا قتله مِن غيرهم كالوليّ، فيقولوا: ﴿إِنَّالَصَٰدِقُونَ﴾، أي: نقتلهم ثمّ نقول: ما قتلناهم، فقصدوا الكذب مع القتل. ثمّ إنّ قوله في الجواب: (كأنّهم)... إلخ جواب ركيكٌ وتكلّفٌ رديّ، لكن ههنا كلام به يتّضح ويتحقّق المعنى، وهو أنّ قولهم: ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾، إمّا / أن يكون مِن جملة المقول مثل: ﴿مَاشَهِدْنَامَهْلِكَأَهْلِهِ﴾ أو لا؛ [٢٣٣ظ]

---

[1] وهي رواية حفص عن عاصم. انظر: النشر لابن الجزري، ٣١١/٢.

[2] ن: وقالو.

[3] وهي قراءة جمهور القرّاء غير عاصم. انظر: النشر لابن الجزري، ٣١١/٢.

﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٥٠ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥١﴾

"مَكْرُهم": ما أَخفَوْهُ من تَدبيرِ الفتْكِ بصَالحٍ وأَهْلِه، ومَكرُ الله: إهْلاكُهم من حيْثُ لا يَشْعُرون، شُبِّه بمَكْرِ المَاكرِ على سبيل الاستعارة.

رُوي أنه كان لِصَالحٍ مَسْجدٌ في الحِجْر في شِعْبٍ يُصَلِّي فيه، فَقالوا: زَعَم صَالحٌ أنَّه يَفرُغُ مِنَّا إلى ثلاثٍ، فنحنُ نَفرُغ منهُ ومن أَهْلِه قبلَ الثَّلاثِ، فخَرجُوا إلى الشِّعْب وقالوا: إذا جاء يُصَلِّي قتَلنَاهُ ثُمَّ رَجَعنا إلى أَهْلِه فقتَلناهُم، فَبعث اللهُ صَخْرةً من الهَضْبِ حيَالَهُم فبَادَرُوا فَطبَّقت الصَّخرةُ عَلَيْهم فَمَ الشِّعْب، فَلم يَدْرِ قَومُهم أَينَ هُم ولَمْ يَدْرُوا ما فُعِلَ بقومهم، وعَذَّبَ اللهُ كلًّا مِنهُم في مكانِه ونجَّى صَالحًا ومَن معَه.

فإن كان مِن جملة المَقول فما ذكره المصنِّف غير واضح كما ذكرنا؛ إذ يكون المعنى: نقول: ما قتلناهم، ونقول: إنّا لصادقون في هذا القول، فيكونون قصدوا القتل والكذب كما يدلّ عليه ظاهر اللفظ، وإن لم يكن مِن جملة المَقول؛ بل يكون حالًا مِن الضمير في ﴿لَنَقُولَنَّ﴾، أي: لنقولنّ ما قتلناهم. ثمّ إنّهم بعد ما قالوا ذلك قالوا: نكون صادقين في قولنا: ما قتلناهم؛ بالتأويل الذي أشار إليه المصنِّف، فحينئذٍ يكون ما ذكره المصنِّف صحيحًا، وكذا إن كان ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ جملة معترضة؛ بأن يكون حمَل بعضهم بعضًا على القتل، وعلى هذا القول؛ لأنّهم لا يكونون كاذبين على زعمهم وتأويلهم.

قوله: (فخرجوا إلى الشِّعْب) أي: فخرجوا ذاهبين إلى الشِّعب، فدخلوا الشِّعْب وقالوا...

قوله: (مِن الهَضْبِ) الهضْبة: التلّ؛ وهو الجبل المنبسط على وجه الأرض،[1] وهي بالتاء في كتب اللغة. وأمّا الهَضْبُ بغير التاء لهذا المعنى فلم أرَه، وقد استعمله المصنِّف كذلك.[2]

---

[1] الصحاح للجوهري، «هضب».

[2] ولا يبعد أن يكون مراده الجمع، قال الجوهري في جمع هضبة: «والجمع هَضْبٌ وهِضَبٌ وهِضابٌ». الصحاح للجوهري، «هضب».

وقيل: جَاؤُوا باللَّيل شَاهِري سُيُوفِهم وقد أرْسَل اللهُ الملائكةَ مِلْءَ دار صَالحٍ، فَدمَغُوهُم بالحجَارَة: يَرَوْنَ الحجَارةَ ولا يرَوْنَ رَاميًا.

﴿إنادمرناهم﴾ استِئنَافٌ، ومَن قرأ بالفَتح رَفَعَه بدَلًا مِن "العَاقِبةِ"، أو خَبرُ مُبتدَأ مَحذُوفٍ تقديرُه: هي تَدْمِيرُهم، أو نصَبَهُ عَلى مَعنى: لِأنَّا، أو عَلى أنَّهُ خبَرُ ﴿كَانَ﴾؛ أي: كانَ عَاقبةُ مَكرِهم الدَّمارَ.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝﴾

﴿خَاوِيَةً﴾ حَالٌ عَمِلَ فيها ما دَلَّ عليه "تلكَ"، وقَرأ عيسَى بن عُمر: "خاويةٌ" بالرَّفع على خَبر المُبتَدأ المَحذوفِ.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝﴾

﴿و﴾ اذكُر ﴿لوطًا﴾ أو: وأرسَلنا لُوطًا؛ لدلَالةِ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ [النمل ٢٧/٤٥] عليه، و﴿إِذْ﴾ بدَلٌ على الأوَّل ظَرفٌ على الثَّاني.

﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ مِن بَصَرِ القَلْبِ؛ أي: تَعلمُونَ أنَّها فاحِشةٌ لم تُسْبَقُوا إليها وأنَّ اللهَ إنَّما خَلقَ الأُنثَى للذَّكر ولم يَخلُقِ الذَّكرَ للذَّكر ولا الأُنثَى للأُنثى، فهي مُضَادَّةٌ للهِ في حِكمتِه وحُكمه، وعِلمُكم بذلك أَعظَمُ لذُنوبكم وأدْخلُ في القُبح

قوله: (استئناف) فعلى هذا ﴿عَٰقِبَةُ﴾ اسم ﴿كَانَ﴾، و﴿كَيْفَ﴾ خبر مقدّم.

قوله: (خبر ﴿كَانَ﴾) وإذا كان ﴿أَنَّا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾ فقوله: ﴿كَيْفَ﴾ في محلِّ المصدر، أي: كَونًا أيَّ كون.

قوله: (أنّها فاحشة) إلى قوله: (للأنثى) إشارة إلى المفعولات المحذوفة لقوله: ﴿تُبْصِرُونَ﴾، وهي ثلاثة. وقوله: (فهي) إلى قوله: (وحكمه) كالنتيجة للمفعول الأخير، أعني: قوله: (وأنّ الله إنّما خلق)... إلخ. وقوله: (وعِلمكم)

والسَّماجَة، وفيه دَليلٌ على أَنَّ القبيحَ من اللهِ أَقبحُ مِنه مِن عبَادِه لأنه أَعْلَمُ العَالمين وأَحْكمُ الحَاكِمينَ.

أو: تُبصِرُونَها بَعضُكم من بَعضٍ؛ لأَنَّهُم كانوا في نادِيهم يَرْتكِبُونهَا مُعَالِنينَ بها لا يَتَسَتَّرُ بَعْضُهم من بَعضٍ؛ خَلاعةً ومَجَانةً وانْهماكًا في المَعصِيَة، وكأنَّ أَبا نُواسٍ بَنى على مَذهبِهم قولَه:

وبُحْ باسْمِ مَا تَأتي وذَرْني مِن الكُنَى   فلا خَيْرَ في اللَّذاتِ من دُونها سِتْرُ

أَو: تُبصِرُونَ آثارَ العُصَاة قَبْلكم وما نَزلَ بهم.

إلى (السماجة) إشارة إلى فائدة التقييد بقوله: ﴿تُبْصِرُونَ﴾. وقوله: (وفيه)[١] إلى (الحاكمين)[٢] إشارة إلى مذهبه، وإنّا أهلَ السنّة والجماعة لا نقول كذلك، قال ابن الحاجب في أصول الفقه: «نقطع بأنّه لا يَقبُح مِن الله تعالى تمكين العبد من المعاصي، ويَقبُح منا».[٣]

قوله: (أو تبصرونها) إشارة إلى أنّ مفعول ﴿تُبْصِرُونَ﴾ ضمير عائد إلى ﴿ٱلْفَٰحِشَةَ﴾. وقوله: (بعضكم) بدل مِن واو "تبصرونها".

قوله: (لأنّهم) متعلِّق بمحذوف، أي: إنّما قال: ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾؛ لأنّهم كانوا...

قوله:

(وبُـخ باسـم)... البيـتَ

قبله:

ألا فاسقني خمرًا وقل لي هي الخمرُ   ولا تسقني سِرًّا إذا أمكن الجهرُ[٤]

البَوح: ظهور الشيء، يقال: باح ما كتَمه، أي: ظهر، وباح به: أظهره. ويقال: كنى فلان عن كذا إذا ذكَره بما يُستدَلّ به عليه، ولم يصرّح به، نحو: "الغائط" و"الرَّفَث"، فإن الله تعالى حيِيّ كريم يحبّ التسترّ، وكنَى عن الجماع بـ"الرَّفَث" حيث قال: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة ١٨٧/٢]،

---

١ ن: فيه.

٢ ن: الحاكم.

٣ مختصر ابن الحاجب، ص ٢٧٧.

٤ لأبي نواس في زهر الآداب للقيرواني، ٤٦٤/٢.

فإن قلتَ: فسَّرْتَ تُبْصِرُونَ بالعِلْم وبَعْدَهُ ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ فكيفَ يكُونُونَ عُلَمَاءَ جُهَلاءَ؟

قلتُ: أرَاد: تَفْعَلُونَ فعْلَ الجَاهِلِينَ بأَنَّها فَاحِشَةٌ مَع عِلْمِكُم بذلك، أَو: تجهَلُونَ العَاقبةَ، أو أرَاد بالجَهْل السَّفَاهَةَ والمجَانَة التي كانوا عَلَيها.

فإن قلتَ: ﴿تَجْهَلُونَ﴾ صفةٌ لـ﴿قَوْمٌ﴾ والموصُوفُ لَفظُهُ لفظُ الغائب، فهَلَّا طَابَقتِ الصِّفةُ الموصُوفَ فقُرئ باليَاء دُونَ التَّاء، وكذلكَ ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل ٤٧/٢٧]؟

قلتُ: اجتَمَعتِ الغَيْبةُ والمُخاطَبةُ فغُلِّبَتِ المُخَاطَبةُ لأنَّها أَقْوَى وأَرْسَخُ أَصْلًا مِن الغَيْبة.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝٥٦﴾

وقرأَ الأَعْمشُ: "جوابُ قومه" بالرَّفع، والمَشهُورةُ أَحْسنُ.

وإنّ العصاة الخلَعاء الفسّاق[١] الفجّار يعلنون الفواحش قولًا وفعلًا كأبي[٢] نُواس، فإنّه لم يكن مِن الناس؛ بل هو مِن النسناس ذي الوسواس، أو هو مِن الناس[٣] الناسي، ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر ١٩/٥٩].

قوله: (فإن قلتَ: فسّرت) يشير بهذا السؤال والجواب إلى أنّه تعالى وصفَهم

[٢٣٤و] / بالعلم في قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ بطريق المبالغة حيث حذف العلم ليفيد العموم في المعلومات كما بيّنا، ثمّ أضرَب عن إثبات العلم لهم، وأثبت لهم الجهل؛ لأنّهم لمّا لم يعملوا بعلمهم صاروا كمَن لا عِلم له أصلًا، فإنّ المحيط[٤] بفائدة الشيء وبلازم[٥] فائدته عِلمًا يُنزَّل منزلة الخالي الذهن عن ذلك؛ بل منزلة المتّصف بضدِّه؛ لأنّ مقتضى الشيء إذا لم يترتّب عليه فكأنّه منتفٍ،

---

[١] ن: والفسّاق.
[٢] د: كابن.
[٣] ن + بل هو مِن النسناس ذي الوسواس، أو هو مِن الناس.
[٤] ن: العلم.
[٥] ن: ويلازم.

﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾: يَتنزَّهُونَ عن القَاذُورَاتِ، كُلِّها فيُنكِرُونَ هذا العَملَ القَذِرَ ويَغِيظُنَا إنْكَارُهُم.

وعن ابن عبَّاسٍ: هو استِهْزَاء.

﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَـٰهَا مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ۝٥٧ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ۝٥٨﴾

﴿قَدَّرْنَـٰهَا﴾: قَدَّرنا كَوْنَها ﴿مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ كقَوْله: ﴿قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ [الحجر ١٥/٦٠]، فالتَّقدِيرُ واقِعٌ على الغُبُور في المَعنى.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۝٦٠﴾

أَمَر رسُولَه صلى الله عليه وسلم ....

ونظيره قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة ٢/١٠٢]، فإنّه تعالى وصف أهل الكتاب في صدر هذه الآية بالعلم على سبيل التوكيد القسَميّ، ثمّ نفى عنهم ذلك آخرًا حيث لم يعملوا بعلمهم، فإنّ اللام في ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟﴾ جواب قسَم محذوف، أي: والله لقد علموا، أي: علِم اليهود أنّ مَن استبدل "ما تتلو الشياطين" على كتاب الله تعالى ما له في الآخرة مِن خلاق، أي: نصيب، ولو كانوا علموا لما استبدلوا.

قوله: (قدَّرنا كونها) يريد: أنّ المضاف محذوف، فالتقدير متعلِّق بغُبورها، لا بذاتها، يدلّ عليه قوله تعالى في موضع آخر: ﴿قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ [الحجر ١٥/٦٠]، فإنّه في معنى: قدَّرنا أنّها مِن الغابرين، بفتح "أنّ"، لكنّها كُسِرت لأجل اللام، فيصير المعنى: قدّرنا غُبورَها؛ لأنّ "أنّ" مع ما بعدها في معنى مصدر الخبر، فلذلك قال: (التقدير واقع على الغُبور)، يعني: أنّ المفعول به "غُبورها"، فإنّ المفعول به هو ما وقع عليه فعل الفاعل.

أَنْ يَتْلُوَ هذه الآياتِ النَّاطِقَةَ بالبَراهينِ على وَحْدَانِيَّتِهِ وقُدْرتِه على كلِّ شيءٍ وحِكْمتِه، وأَنْ يَسْتَفتِحَ بتَحْمِيدِهِ والسَّلامِ عَلى أَنبيَائهِ والمُصْطَفَيْنَ من عبَادهِ.

وفيه تعليمٌ حسَنٌ وتوقِيفٌ على أَدَبٍ جَميلٍ، وبَعْثٌ عَلى التَّيَمُّنِ بالذِّكْرَينِ والتَّبَرُّكِ بهما والاستظهَارِ بمَكانهما على قبُول ما يُلْقَى إلى السَّامِعينَ، وإِصْغائهم إليْه، وإنزَالهِ مِن قُلُوبهم المَنْزِلةَ التي يَبْغِيهَا المُسْمِعُ، ولقد تَوارَثَ العُلماءُ والخُطبَاءُ والوُعَّاظُ كابِرًا عن كَابرٍ هذا الأدَبَ، فحمدُوا الله وصَلُّوا على رسُولِ الله أَمَامَ كُلِّ عِلْمٍ مُفَادٍ، وقَبْلَ كُلِّ عِظَةٍ وتَذْكِرةٍ، وفي مُفتَتحِ كُلِّ خُطْبَةٍ، وتَبِعَهُم المُتَرسِّلُونَ فَأَجْرَوا عليهِ أَوَائلَ كُتُبهِمْ في الفُتُوح والتَّهاني، وغَيْرِ ذلك من الحَوادثِ التي لها شأنٌ.

وقيل: هُوَ متَّصِلٌ بما قَبْله، وأمْرٌ بالتَّحْمِيدِ على الهَالِكِينَ من كُفَّار الأُمَمِ، والصَّلاةِ على الأنبيَاءِ وأَشيَاعِهم النَّاجِينَ.

وقيل: هو خِطَابٌ لِلُوطٍ عليه السَّلام، وأَنْ يَحمدَ الله على هَلاكِ كُفَّارِ قَوْمِه ويُسَلِّمَ عَلى مَن اصطَفَاهُ الله ونَجَّاهُ من هَلَكتِهم وعَصَمَهُ من ذُنُوبِهِمْ.

قوله: (هذه الآيات) يعني: مِن قوله تعالى: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ﴾ إلى قوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

قوله: (التيمُّن) "التيمُّن": أخذ اليُمْن لنفسه.

قوله: (بالذِّكرَين) أي: التحميد والسلام.

قوله: (على قبول السامعين) أي: على قبول السامعين ما يُلقى إليهم، فحذَف فاعل المصدر وأضافه إلى المفعول.

قوله: (وإنزاله) أي: إنزال السامعين إياه، فحذَف الفاعل وأضافه[١] إلى المفعول.

قوله: (وقيل: هو متّصل) عطف على قوله: (أن يتلوَ)، وحاصل الوجه الأوّل: أنّه استفتاح لما بعده. وحاصل هذا الوجه: أنّه اختتام وتتمّة لما قبله. وعلى الوجهين الخطاب للنبيّ عليه الصلاة والسلام.

---

[١] د ن: وأضافه.

﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ مَعْلومٌ أَنْ لا خَيرَ فيما أَشرَكُوهُ أَصْلًا حتَّى يُوازَنَ بَيْنَهُ وبَينَ مَن هو خَالِقُ كُلِّ خَيْرٍ ومالِكُه، وإنَّما هُو إِلْزامٌ لَهُم وتَبكيتٌ وتَهَكُّمٌ بحَالِهِم، وذلك أَنَّهُم آثَرُوا عبَادةَ الأَصْنَام على عبَادةِ اللهِ، ولا يُؤْثِرُ عَاقِلٌ شيئًا عَلى شَيءٍ إِلَّا لِدَاعٍ يدْعُوهُ إلى إيثَارِه مِن زيَادَة خَيْرٍ ومَنْفَعَةٍ، فقيل لهُم -معَ العِلْم بأنَّه لا خيرَ فيمَا آثَرُوهُ، وأَنَّهُم لم يُؤْثِرُوهُ لِزيَادةِ الخَير ولكِنْ هَوًى وعَبَثًا- لِيُنَبِّهُوا على الخطَأ المُفْرِط والجَهل المُوَرِّطِ، وإِضْلَالِهِم التَّميزَ ونَبْذِهم المَعقُولَ، ولِيُعَلِّمُوا أنَّ الإِيثَارَ يجبُ أن يكُونَ للخَيْر الزَّائِدِ، وَنحوُه ما حَكاهُ عن فرعَونَ ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾ [الزخرف ٥٢/٤٣] ....

قوله: (حتّى يوازن) متعلِّق بقوله: (فيما أشركوا)، إذ التقدير: لا خير ثابت -أو ثبت- فيما أشركوه حتّى يوازن بين ما أشركوه وبين الله.

قوله: (وإنّما هو) أي: إنّما هذا الكلام، أو إنّ هذه الموازنة.

قوله: (وذلك) أي: سبب التهكّم أنّهم.

قوله: (فقيل) أي: فقيل هذا الكلام لهم، وهو عطف على (آثروا). وقوله: (ولا يؤثر) إلى (منفعة) حال مِن واو "آثروا"، أو جملة معترضة، واللام في (لينبّهوا) متعلِّق بـ"قيل".

قوله: (لزيادة الخير ولكن هوًى) "لزيادة الخير"[1] و"هوًى" كلاهما مفعول له لـ"يُؤثر"، لكن الأوّل ليس فعل فاعل الفعل المعلّل، فلم يَحذِف اللام، والثاني فعل له فحذَف منه اللام.

قوله: (المورّط) أورَطه وورَّطه توريطًا: أوقعه في الوَرْطة؛ / وهي أرض مطمئنٌ لا طريق فيها.[2] [٢٣٤ظ]

قوله: (وأضلُّوا التميز)[3] كما يقال: أضلّ بعيره.

قوله: (ونَبْذِهم)[4] أي: طرحوا العقل.

---

[1] ف ن - الخير.

[2] انظر: الصحاح للجوهري، «ورط».

[3] في مطبوع الكشّاف: "وإضلالهم التميز".

[4] ن: ونبذ.

مع عِلمه أنّه ليس لمُوسى مِثلُ أنهاره التي كانَتْ تَجْرِي تحتَهُ.

ثم عَدَّد سُبْحَانَه الخَيراتِ والمَنافِعَ التي هي آثَارُ رَحْمتِهِ وفَضْلِه، كما عَدَّدَهَا في مَوضعٍ آخَر ثمَّ قال: ﴿هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖ﴾ [الروم ٤٠/٣٠].

وقرئ ﴿يُشۡرِكُونَ﴾ بالياء والتَّاء.

وعن رسُول الله صلى الله عليه وسلم: أنَّه كان إذا قَرأهَا قال: «بَلِ اللهُ خَيرٌ وَأَبْقَى وأَجَلُّ وأَكْرَمُ».

فإن قلتَ: ما الفَرقُ بين "أَمْ" و"أَمْ" في ﴿أَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ و﴿أَمَّنۡ خَلَقَ﴾؟

قلتُ: تِلك مُتَّصِلَةٌ لأنَّ المَعنَى: أيُّهمَا خَيرٌ، وهذه مُنقَطِعَةٌ بمَعنَى "بَلْ" والهمزة، لمَّا قال: "آلله خير أم الآلهة" قال: "بل أَمَنْ خَلَقَ السماواتِ والأرضَ خيرٌ" تقريرًا لهم بأنَّ مَن قَدِرَ على خَلْقِ العالَم خَيْرٌ من جَمادٍ لا يَقْدِرُ عَلى شيءٍ.

قوله: (ليس لموسى مثل أنهاره) وإنّما ذكر المصنِّف ذلك إشارة إلى أنّ فرعون كان يدّعي الخيريّة لأنهاره؛ لأنّه قال: ﴿أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۞ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ﴾ [الزخرف ٤٣/٥١-٥٢].

قوله: (ثمّ عدّد) عطف على قوله: (فقيل لهم)، والمعنى: فقال الله تعالى لهم: ﴿ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾، ثمّ[١] عدّد الله تعالى الخيرات بقوله: ﴿أَمَّنۡ خَلَقَ﴾... إلخ.

قوله: (بل... قال: بل أمَن خلَق) وإذا كان بمعنى: "بل" والهمزة يكون إضرابًا عن الاستفهام الأوّل، وإتيانًا باستفهام آخر، فكان[٢] المعنى -والله أعلم-: بل أمَن خلق السماوات والأرض خير أم ما تشركون؟[٣] فيكون "أمَنْ" في لفظ الكشّاف بتخفيف الميم، مع أنّه تفسير لما هو بالتثقيل[٤] في القرآن؛ لأنّه لمّا فسّر "أم" بـ"بل والهمزة" لا يكون لتثقيل الميم وجه، فتدبّر.

---

١ ن + ما.

٢ ن: وكان.

٣ ف ن: يشركون.

٤ ن: بالثقل.

وقرأ الأعْمَش: "أَمَن" بالتَّخفيفِ، وَوَجْهُهُ: أَن يُجعَلَ بَدَلًا من "الله" كأنّه قال: أَمَن خَلَق السماوات والأرض خيرٌ أم ما تشركون.

فإن قلتَ: أيُّ نُكتَةٍ في نَقْلِ الإخبارِ عن الغَيْبة إلى التَّكلُّم عن ذاتِه في قولِهِ: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا﴾؟

قلتُ: تَأكيدُ مَعنَى اختصَاصِ الفِعل بذاتِهِ، والإيذانُ بأنَّ إنبَاتَ الحَدائق المُختَلفةِ الأَصنافِ والألوَانِ والطُّعُومِ والرَّوائحِ والأَشكالِ -مَعَ حُسنهَا وبَهْجتِهَا- بماءٍ واحِدٍ لا يَقدرُ عليه إلّا هو وَحْدَهُ، ألا ترَى كيفَ رشَّحَ مَعْنى الاختصَاصِ بقولِهِ: ﴿مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾ ومَعْنَى الكَينُونَةِ: الانبِغَاءُ، أرَادَ: أَنَّ تأتِّيَ ذلك مُحَالٌ مِن غَيْرِه، وكذلك قَولُه: ﴿بَلۡ هُمۡ﴾ بَعْدَ الخطَابِ أَبلَغُ في تَخطِئةِ رَأيِهم.

و"الحَديقَةُ": البُستانُ عليه حَائطٌ؛ من الإحْدَاقِ وهو الإحَاطةُ.

وقيل: ﴿ذَاتَ﴾؛ لِأنَّ المَعْنى: جمَاعَةَ حَدائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ؛ كما يُقَال: النِّسَاءُ ذهَبَتْ.

و"البَهجَةُ": الحُسْنُ؛ لأنَّ الناظِرَ يَبْتهِجُ بهِ.

﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ﴾: أغَيْرُه يُقرَنُ به ويُجعَلُ شَريكًا لَه، وقرئ: "أإلهًا مع الله"

قوله: (بماءٍ واحد) إشارة إلى أنّ تنكير ﴿مَآءٗ﴾ أفاد هذا المعنى.

قوله: (ومعنى الكينونة) يعني: أنّ معنى الإتيان بـ"كان" في: ﴿مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ﴾: الإشارة إلى أنّه لا ينبغي ولا يتيسّر ذلك لغيره تعالى. ثمّ إنّ في قوله تعالى: ﴿أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾ إشارة إلى عجزهم عن أقلّ ما يأتي به ويَقدِرُ عليه جلّت قدرته.

قوله: (وقيل: ﴿ذَاتَ﴾) يريد: أنّه[١] إنّما قيل: ﴿ذَاتَ﴾ بلفظ الواحد -"ذواتِ" بلفظ الجمع- على تأويل: جماعة حدائق.

قوله: (أغيرُه يُقرَن به) هذا إشارة إلى أنّ "إلَه" مرفوع بفعل محذوف، تقديره: أيُقرنُ إلَه مع الله.

---

١ ن - أنّه.

بمَعْنى: أَتَدْعُونَ، أو: أَتُشْرِكُونَ، ولكَ أَنْ تُحقِّقَ الهمزتَيْنِ، وتُوَسِّطَ بَيْنَهُمَا مَدَّةً، وتُخْرِجَ الثَّانيةَ بَيْنَ بَيْنَ.

﴿يَعْدِلُونَ﴾ به غيرَهُ، أو: يَعْدِلُونَ عن الحقِّ الذي هو التَّوحيدُ.

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿أَمَّن جَعَلَ﴾ ومَا بَعْدَه بَدَلٌ مِن ﴿أَمَّنْ خَلَقَ﴾ فكانَ حُكمُهَا حُكمَهُ ﴿قَرَارًا﴾: دَحَاها وسَوَّاها للاسْتِقرارِ عليها ﴿حَاجِزًا﴾ كقَولِهِ: ﴿بَرْزَخًا﴾ [الفرقان ٢٥/٥٣].

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾

"الضرُّورَةُ": الحَالةُ المُحْوِجَةُ إلى اللَّجَأ، والاضْطِرارُ: افتِعَالٌ مِنْهَا، يُقَالَ: "اِضْطَرَّهُ إلى كذَا"، والفاعِلُ والمفعُولُ: مُضْطَرٌّ.

و"المضطَرُّ": الَّذِي أَحْوجَهُ مَرضٌ أو فَقْرٌ أو نازِلَةٌ مِن نَوازِلِ الدَّهرِ إلى اللَّجَأِ والتَّضرُّع إلى اللهِ.

قوله: (يَعدِلون به غيره)...[1] إلخ، يعني: يجوز أن يكون مِن العدل بمعنى: تسوية الشيء بالشيء، ويجوز أن يكون مِن العدول؛ وهو الانصراف عن الشيء.

قوله: (قرارًا دحاها)...[2] إلخ إشارة إلى أنّ ﴿قَرَارًا﴾ بمعنى: مستقَرًّا.

قوله: (كقوله تعالى: ﴿بَرْزَخًا﴾ [الفرقان ٢٥/٥٣]) يعني: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان ٢٥/٥٣]، أي: حائلًا مِن قدرته.

قوله: (والفاعل والمفعول مُضطرّ) يريد: أنّ لفظ الفاعل والمفعول في "المُضطَرّ" واحد، لكن التقدير مختلف.

---

[1] د: عن.

[2] ن: وحاها.

وعن ابن عبَّاسٍ: هو المَجْهُودُ. وعن السُّدِّي: الَّذِي لا حَوْل لَه ولا قُوَّةَ.

وقيل: المُذنِبُ إذا استَغفَر.

فإن قلتَ: قَدْ عَمَّ المُضطرِّين بقَوله: ﴿يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ وكَم من مُضطَرٍّ يَدْعُو فَلا يُجَابُ؟

قلتُ: الإجَابةُ مَوقُوفَةٌ على أَن يكُونَ المَدعوُّ به مَصْلحةً، ولهَذا لا يَحْسُنُ دُعَاءُ العَبد إلَّا شَارِطًا فيه المصْلحةَ، وأمَّا ﴿ٱلْمُضْطَرَّ﴾ فمُتنَاوِلٌ للجِنْس مُطْلَقًا يَصْلُحُ لِكُلِّه ولِبَعْضِه، فلَا طَرِيقَ إلى الجَزمِ عَلى أحَدِهمَا إلَّا بدَليلٍ، وقَد قامَ الدَّليلُ على البَعْضِ -وهو الذي إجَابَتُه مَصْلَحةٌ- فَبطَل التناولُ عَلى العُموم.

﴿خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾: خلفَاءَ فيها، وذلك تَوارُثهُم سُكنَاهَا والتَّصرُّفَ فيهَا قَرْنًا بَعد قرْنٍ، أو أرَادَ بالخِلافةِ المُلْكَ والتسلُّطَ.

وقرئ ﴿يَذَّكَّرون﴾ بالياء مع الإدغام، وبالتاء معَ الإِدْغام والحذفِ.

و﴿مَا﴾ مَزِيدةٌ؛ أي: يَذَّكَّرُونَ تَذكُّرًا قَليلًا، والمعنَى: نفيُ التَّذكُّر، والقِلَّةُ تُستَعملُ في مَعْنَى النَّفي.

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿يَهْدِيكُمْ﴾ بالنُّجوم في السماء والعَلاماتِ في الأَرض إذا جَنَّ اللَّيلُ عَليْكُم مُسَافِرينَ في البَرِّ والبَحْر.

قوله: (وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما:[١] «هو المَجهود»)[٢] الجهد: المشقّة، يقال: جهَد دابّته إذا حمَل عليها في السَّير فوق طاقتها.[٣]

قوله: (وأما المُضطرّ) إشارة إلى أن[٤] ليس المراد بـ﴿ٱلْمُضْطَرَّ﴾: جميعَ المُضطرّين؛ بل المراد بعضُ المُضطرّين.

---

١ د – رضي الله عنهما.
٢ الكشف والبيان للثعلبي، ٢٠/٣٠٤ (النمل، ٢٧/٦٢).
٣ الصحاح للجوهري، «جهد».
٤ ن – أن.

﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾

فإن قلتَ: كيفَ قيلَ لهم: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ وهُم مُنكِرُونَ للإعَادةِ؟

قلتُ: قَدْ أُزيحَتْ عِلَّتُهم بالتَّمكِين من المَعْرفةِ والإقْرارِ، فلَم يَبْقَ لهُم عُذْرٌ في الإنْكار.

﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: الماء، ﴿و﴾ من ﴿الأرض﴾: النَّبات.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنَّ مع الله إلهًا فأيْنَ دَليلُكُم علَيْهِ؟

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾

فإن قلتَ: لِمَ رُفِعَ اسمُ اللهِ، واللهُ يتَعالى أنْ يكُونَ ممَّن في السَّماوات والأرض؟

قلتُ: جاء على لُغَةِ بني تميمٍ حَيْثُ يَقُولُونَ: "ما في الدَّارِ أَحَدٌ إلَّا حمارٌ" يُرِيدُونَ: ما فِيها إلَّا حمَارٌ، كأنَّ "أحَدًا" لم يُذكَرْ، ومِنه قولُه:

عَشِيَّةَ ما تُغنِي الرِّماحُ مكانَها ولا النَّبلُ إلَّا المَشْرَفِيُّ المُصَمِّمُ

قوله: (كأنّ أحدًا لم يذكر)... إلخ، يعني: أصل الكلام: ما فيها إلّا حِمار، ثمّ ذُكِر "أحدًا" لتأكيد نفي الإتيان عن الأحد،[١] وكذا أصل قول الشاعر: "عشيّةَ ما تُغني إلّا المَشرفيُّ"؛ لأنّه يريد نفي الإغناء عن جميع الأشياء سوى المستثنى، ثمّ ذكَر الرِّماح والنِّبال تأكيدًا لنفي الإغناء عنها. وكذا في المثالين الأصل: ما أتاني إلّا عمرو، وما أعانه إلّا إخوانه، لكن ذكر "زيدًا" و"إخوانك" لتأكيد النفي عن المذكورين، فلذلك خُصّ[٢] هؤلاء المذكورون بالذكر مِن بين الأشياء، فالأصل في الآية على ما ذكره المصنِّف: قل: لا يعلم الغيب / إلّا الله. [٢٣٥و]

قوله:

(عشيّةَ ما تُغني)... البيت[٣]

---

١ ف: الواحد.

٢ ن – خصّ.

٣ للحصين بن الحمام المرّي في المفضّليّات للمفضّل الضبّي، ص ٦٥. ولضرار بن الأزور في خزانة الأدب للبغدادي، ٣١٨/٣.

وقَولُهم: "ما أتَانِي زيْدٌ إلّا عَمرٌو" و: "ما أعَانَهُ إخوانُكُم إلّا إخوَانُه".

فإن قلتَ: ما الدّاعي إلَى اختِيَار المَذهَبِ التّميميّ عَلى الحجَازِيّ؟

قلتُ: دعَتْ إليه نكْتَةٌ سَرِيَّةٌ، حَيْثُ أُخْرِجَ المُستثْنَى مُخْرَجَ قَوله: "إلّا اليعَافيرُ" بعْدَ قَوله: "لَيْس بها أَنِيسُ"؛ لِيَؤُولَ المَعنى إلى قَولك: إنْ كانَ اللهُ ممَّن في السَّماواتِ

"النَّبل": اسم للسِّهام العربيّة، وصاحبها: نابل، وعادة المحاربين أن يتناضلوا أوّلًا، فإذا تقاربوا حاربوا بالرِماح، فإذا التقوا حاربوا بالمِصاع؛ وهو الضرب بالسيوف. والقائل يصف شدّة المحاربة والتقاء الصفّين بحيث لا تغني الرماح ولا النَّبل، ولم يبقَ إلّا الضرب بالسيوف القواطع. وتقديره: عشيّةَ محاربةٍ ما تغني الرماح ولا النَّبل إلّا المَشرفيُّ المصمِّم مكانها. والمَشرَفيّة: سيوف، قال أبو عبيدة: «نسبت إلى مَشارِف؛ وهي قرًى مِن أرض العرب تدنو[1] مِن الريف»،[2] يقال: سيف مَشرَفيّ، ولا يقال: مشارفيّ؛ لأنّ الجمع لا يُنسَب إليه.[3] و"المصمِّم" مِن التصميم؛ وهو المضيّ في الأمر، أي: المحدّد.[4]

قوله: (فإن قلتَ: ما الداعي)... إلخ؟ أي: لِمَ لمْ ينصب على الاستثناء المنقطع كما هو مذهب أهل الحجاز.

قوله: (إلّا اليعافير) اليَعْفور: ولد البقرة الوحشيّة.

قوله: (ليئول المعنى)... إلخ، أظنّ أنّ الأَولى أن يقال: ليئول المعنى إلى قولك: إن كان الله في السماوات والأرض ففي السماوات والأرض مَن يعلم الغيب. يعني: أنّ عِلم مَن في السماوات والأرض الغيبَ في استحالته كاستحالة أن يكون الله تعالى في السماوات والأرض، هذا مثل ما ذكر أنّ معنى البيت:[5]

---

[1] ف: تدنوا.

[2] الصحاح للجوهري، «شرف».

[3] الصحاح للجوهري، «شرف».

[4] انظر: شرح شواهد الكشّاف لمحبّ الدين أفندي، ص ٢٩٤.

[5] وهو قوله:

وبلدة ليس بها أنيس ... إلّا اليعافير وإلّا العيس

وهو لجران العود في خزانة الأدب للبغدادي، ١٠/١٥؛ وبغير نسبة في لسان العرب لابن منظور، «إلا».

والأَرض فهُم يَعْلمُون الغَيْبَ، يَعْني: أنَّ عِلْمَهُمُ الغَيْبَ في استحَالتِه كاستِحالَة أَنْ يكُون اللهُ مِنهم، كما أَنَّ مَعْنَى ما في البَيْتِ: إنْ كانَتِ اليَعافيرُ أنيسًا ففيهَا أَنيسٌ؛ بَتًّا لِلقَولِ بخُلُوِّهَا عن الأَنيسِ.

فإن قلتَ: هَلَّا زعَمتَ أَنَّ اللهَ ممَّن في السَّماوات والأرْضِ؛ كمَا يقُول المُتكلِّمُونَ: "اللهُ في كُلِّ مكَانٍ" على مَعْنى: أَنَّ عِلْمَهُ في الأَماكنِ كُلِّهَا فكأنَّ ذاتَهُ فيهَا، حَتَّى لا تَحْمِلَهُ عَلى مذهَبِ بني تميمٍ.

قلتُ: يَأبَى ذلك أَنَّ كونَه في السَّماوات والأرْضِ مَجَازٌ، وكَونَهُم فيهِنَّ حقيقَةٌ، وإرادَةُ المُتكَلِّم بعبَارةٍ واحِدةٍ حقِيقَةً ومجَازًا غيْرُ صَحيحٍ، على أَنَّ قَولك: "مَن في السَّماوات والأرض" وجَمْعَكَ بَيْنَه وبَيْنَهُم في إطْلاقِ اسْمٍ وَاحِدٍ فيه إيهَامُ تَسْويَةٍ، والإيهَاماتُ مُزالَةٌ عَنْهُ وعَن صِفاته، أَلَا ترى كيفَ قال عليه السلام لمَن قال: ومَن يَعْصِهمَا فقَد غَوى: «بئسَ خَطِيبُ القوم أَنْتَ».

وعن عائشةَ رضي اللهُ عَنْها: مَن زَعم أَنَّه يَعْلم ما في غَدٍ فقَد أعظَمَ عَلى اللهِ الفِرْيَةَ، وَاللهُ تعَالى يقُولُ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

إن كانت اليعافير أنيسًا ففيها أنيس. وهذه النُّكتة التي ذكرها لا تحصل على تقدير النصب؛ لأنّه حينئذٍ يكون المعنى: لا يعلم مَن في السماوات والأرض الغيب، لكنّ الله يعلم الغيب، فيكون نصبه على أنّه اسم "لكنّ"، ويفوت هذه النكتة.

قوله: (بَتًّا للقول) اللام متعلّق بقوله: "بَتًّا"، و"بتًّا" مفعول له مِن قوله: (معنى)، فكأنّه قيل: عُني، وأريد هذا المعنى للقطع بخلوّها.

قوله: (لمَن قال: «ومَن يَعصِهما») أوّله: «مَن يُطع الله ورسوله فقد اهتدى، ومَن يعصِهما».

قوله: («بئس خَطيب القوم[1] أنت») تمامه: «قل: ومَن يعصِ الله ورسوله».[2]

قوله: («أعظَمَ على الله الفِرْيَة»)؛[3] لأنّه يلزم منه نسبة الكذب إليه تعالى.

---

١ ف: اليوم.

٢ انظر: صحيح مسلم، ٥٩٤/٢ (٨٧٠).

٣ سنن الترمذي، ١١٣/٥ (٣٠٦٨)، ضمن حديث؛ وهو في صحيح البخاري، ١٤٠/٦ (٤٨٥٥)، بلفظ: «ومَن حدّثك أنّه يعلم ما في غَد فقد كذَب».

وعن بعضِهم: أَخفَى غيْبَهُ عَن الخَلْقِ ولم يُطْلِعْ عَليْه أَحَدًا لئلَّا يَأمنَ أَحَدٌ من عَبيدهِ مَكْرَهُ.

وقيل: نَزلَتْ في المشركينَ حِينَ سَألُوا رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم عَن وَقت السَّاعة.

﴿أَيَّانَ﴾ بمَعْنى: "مَتى"، وَلو سُمِّيَ بِهِ لَكانَ "فَعَّالًا" مِن "آنَ يَئِينُ" ولَا نَصْرف، وقرئَ: "إِيَّان" بكسر الهَمزة.

﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ٦٦﴾

قرئ: ﴿بَلۡ أَدۡرَكَ﴾، ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ﴾، "بل ادَّرك"، "بل تدارَكَ"، "بل أأدرك" بهَمزتين، "بل آأدرك" بأَلِف بَينهما، "بَلَ ادْرَكَ" بالتَّخفِيفِ والنَّقلِ، "بلَ ادَّرَكَ" بفَتْح اللَّام وتَشدِيدِ الدَّالِ وَأَصْلُه: "بل أَدَّرَكَ" على الاستِفهَام، "بَلَى أَدْرَكَ"، "بَلَى آأَدْرَكَ"، "أم تَدارَكَ"، "أم أَدْرَكَ"، فهذه ثنتَي عشرةَ قِراءةً.

و﴿ٱدَّٰرَكَ﴾ أَصْلهُ: تدَاركَ، فأُدغمَتِ التَّاءُ في الدَّالِ، و"ادَّركَ": افتعَلَ.

قوله: (ولو سمّي)... إلخ، أشار بقوله: "ولو سُمِّي" إلى أنّ النون فيه أصليّة، ولذلك لو سمّي به لانصرف، إذ لا علّة فيه إلّا العَلَميّة، والنون فيه أصليّة.

قوله: (قرئ: ﴿بَلۡ أَدۡرَكَ﴾، ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ﴾) هما مِن السبعة.[1]

قوله: (بالتخفيف والنقل) يعني: أنّ أصله "أأدْرَك" بهمزتين خفّف بنقل حركة الهمزة الأولى وحذفها.

قوله: (وأصله: "بل أَدَّرَك" على الاستفهام) اعلم أنّ أصل هذا "ادَّرَك" بوزن "افتعل"، دخل عليه همزة الاستفهام فسقط همزة الوصل، فصار "أَدَّرَك" بهمزة مفتوحة بعدها دال مشدّدة، ثمّ نقِل حركة الهمزة إلى اللام فصار كما ذكر.

---

[1] فقرأ ابن كثير والبصريّان وأبو جعفر بقطع الهمزة مفتوحة وإسكان الدال مِن غير أِلف بعدها، وقرأ الباقون بوَصل الهمزة وتشديد الدال مفتوحة وأِلف بعدها. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٣٩/٢.

وَمَعْنى ﴿أَدْرَكَ علمُهُم﴾: انتهَى وتكامَل، و﴿ٱدَّارَكَ﴾: تتَابَع وَاسْتحكَم، وهُو عَلى وَجْهين:

أحدُهما: أَنَّ أسبَابَ استِحكام العِلْم وتكامُلهِ بأَنَّ القيَامة كائنةٌ لا رَيْبَ فيها قد حصَلت لهُم ومُكِّنُوا مِن مَعْرفتِه، وهُم شَاكُّونَ جاهِلُونَ، وذلك قَولُه: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَاۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ يُريدُ: المُشرِكينَ ممَّن في السَّماوات والأرْض؛ لأَنَّهُم لمَّا كانُوا في جُمْلتِهم نُسِبَ فعْلُهم إلى الجميعِ؛ كما يُقال: "بَنُو فُلانٍ فعَلُوا كذَا" وإنَّما فعَله ناسٌ منهُم.

فإن قلتَ: إنَّ الآيةَ سِيقَتْ لاختصاصِ اللهِ بعِلْم الغَيْبِ، وأَنَّ العبَاد لا عِلْم لَهُم بشَيءٍ منه، وأَنَّ وَقْتَ بَعْثِهم ونشُورهِم من جُملة الغَيْبِ وهُم لا يَشعُرونَ به، فكَيْف لاءَمَ هذا المَعنى وَصْفُ المشركين بإنْكارِهم البَعْثَ مع استحْكامِ أسبَابِ العلْم والتمكُّنِ من المَعرفة؟

قوله: (ومعنى: ﴿أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ﴾) لمّا ذكَر أنّ ههنا اثنتا عشرة قراءةً[١] شرَع في بيان معانيها، فذكَر أربع قراءات، وأشار إلى معانيها بقوله: (وهو على وجهين)... إلخ.

قوله: (إنّ أسباب استِحكام)... إلخ، أشار بقوله: "أسباب استِحكام" إلى أنّ المضاف هنا محذوف، أي: أدْرَكَ أسبابَ / استحكام علمهم، وهم مع ذلك [٢٣٥ظ] جاهلون به، وإليه الإشارة بقوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ﴾.

قوله: (وذلك قوله) أي: هو معنى قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ﴾.

قوله: (يريد المشركين)... إلخ، يعني: أنّ الضمير مِن ﴿عِلْمُهُمْ﴾ و﴿بَلْ هُمْ﴾ عائد إلى ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، لكنّ المراد به المشركون خاصّة، فأسند إلى الجميع والمراد إلى البعض، وهم المشركون الذين يُنكرون البعث، وإنّما قال كذلك لأنّ المؤمنين ليسوا في شكّ منها، ولا هم منها عَمون.

---

[١] وهي كلّها شاذّة غير القراءتين اللتين تقدّمت الإشارة إليهما مِن السبعة، وقد ذكر ابن جنّي منها ثمانِ قراءات. انظر: المحتسب لابن جنّي، ١٤٢/٢.

قلتُ: لمَّا ذكَر أنَّ العبَاد لا يَعْلمون الغَيب ولا يَشْعرونَ البَعْثَ الكائنَ وَوَقْتَهُ الذي يكُون فيه، وكان هذا بَيانًا لعَجْزهم وَوصْفًا لقصُور عِلْمهم= وصَلَ به أنَّ عِنْدَهُم عَجزًا أبْلَغَ مِنْه، وهُو أنَّهم يقُولُون للكَائن الَّذي لا بُدَّ أنْ يَكُونَ -وهو وَقْتُ جَزاء أعْمَالِهم-: لا يكُون، مَع أنَّ عنْدهُم أسبَابَ مَعرفةِ كوْنهِ واستحكامِ العِلْم بهِ.

والوجْهُ الثاني: أنَّ وَصْفَهُم باستِحكام العِلْم وتكَامُلِه تهَكُّمٌ بهِم؛ كما تقُول لأجهل النَّاسِ: ما أعْلمَكَ! عَلى سَبيلِ الهُزْؤِ، وذلك حَيْثُ شَكُّوا وعَمُوا عن إثباتِه الَّذي الطَّرِيقُ إلى عِلْمِه مَسْلوكٌ، فضْلًا أنْ يَعْرِفُوا وقْتَ كَوْنِه الَّذي لا طريقَ إلى مَعْرِفتهِ.

وفِي: ﴿أَدْرَكَ عِلْمُهم﴾ و﴿ٱدَّارَكَ﴾ وَجْهٌ آخَر: وهُو أن يكونَ ﴿أَدْرَكَ﴾ بمَعْنَى:

قوله: (ولا يشعرون البعث) أي: لا يشعرون أنّ البعث في أيّ وقت يكون، وهو قوله: ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾، فهو قريب مِن العطف الذي يكون للبيان، ومِن قولك: أعجبني زيدٌ وكرمُه؛ لأنّ قوله: (وقتَه) عطف على "البَعث" بهذا الطريق.

قوله: (وذلك حيث شكُّوا) إشارة إلى وجه التهكّم، وتقريره: أنّ الدلائل دلّت والبراهين قامت على أنّه لا بدّ مِن وقوع القيامة؛ ليُجازى العباد فيه على حسناتهم وسيّئاتهم، فهذا القدْر ممّا ثبت بالبراهين العقليّة والنقليّة، وهم غافلون عن هذا المعنى مع الدلائل الدالّة عليه، وإذا كانوا غافلين عن هذا جاهلين به فكيف يكون لهم العلم بوقت وقوعه الذي لا علم به إلّا لعلّام الغيوب، وينبغي أن تعلم أنّ المراد على هذا الوجه التهكّميّ مِن قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱدَّرَكَ عِلْمُهُمْ﴾: هو علمهم بأنّهم أيّان يُبعثون، وأنّ القيامة متى تقع، وأمّا على الوجه الأوّل فمعنى الآية: أنّهم لا يعلمون أنّ البعث كائن مع كثرة الدلائل عليه.

قوله: (وفي ﴿أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ﴾)... إلخ، ذكَر أنّ في ﴿أَدْرَكَ﴾ و﴿ٱدَّارَكَ﴾ معنًى آخر، ثمّ ذكَر[1] معنى ﴿أَدْرَكَ﴾ و"تدارَك" دون ﴿ٱدَّارَكَ﴾؛ لما مرّ أنّ ﴿ٱدَّارَكَ﴾ أصله: تدارَك.

---

[1] ف - ذكر.

انتَهَى وَفَني، مِن قولك: "أَدْرَكَتِ الثَّمرةُ" لِأنَّ تلك غَايتُها التي عنْدَهَا تُعْدَمُ، وقَدْ فسَّره الحَسنُ بـ: "اضمحَلَّ علْمُهُمْ وَتَدارَكَ" مِن تَدَارَك بنُو فلانٍ: إذا تَتَابَعُوا في الهَلاك.

فإن قلتَ: فمَا وَجْهُ قراءةِ مَنْ قَرأ: "بَلْ أَأدرك" على الاستفهامِ؟

قلتُ: هوَ استفهَامٌ على وَجْه الإنكار لإدْراكِ علْمِهم، وكذلك مَن قَرأَ: "أَمْ أَدركَ"، و"أَمْ تَدارَكَ" لأنَّها "أَمْ" التي بمَعنى "بلْ" والهَمزةِ.

فإن قلتَ: فمَن قَرأ: "بَلَى أَدْرَكَ" و"بَلَى أَأَدْرَكَ"؟

قلتُ: لمَّا جاءَ بـ"بَلَى" بَعْد قوله: ﴿وَمَايَشْعُرُونَ﴾ كان مَعْناه: بَلى يَشعُرونَ، ثمَّ فسَّر الشُّعورَ بقَوله: "أَدْرَكَ علْمُهم في الآخِرة" على سبيلِ التهَكُّمِ الَّذي مَعْناهُ المبَالغةُ في نفي العِلْم، فكأنَّه قال: شُعُورهُم بوقتِ الآخِرة أنَّهم لا يَعْلمُون كَوْنَها، فيَرجِعُ إلى نَفْيِ الشُّعُور على أبْلغِ مَا يكُونُ.

وأمَّا مَن قَرأَ: "بَلَى أَأَدْرَكَ" على الاستفهامِ فمَعناهُ: بلَى يَشعُرونَ مَتى يُبْعثُونَ، ثمَّ أنكَر عِلمَهُم بكَونهَا، ....

قوله: (لأنّ تلك غايتها) أي: إدراك الثمرة، والتأنيث باعتبار الخبر، أي: إدراكُ الثمرة غايةَ الثمرة التي تُعدَم الثمرة عندها.[1]

قوله: (قلت: هو استفهام)... إلخ، أشار هنا إلى معنى ثلاث قراءات جميعها بطريق الاستفهام، فهي مع الأربعة المتقدِّمة سبعة.

قوله: (فإن قلتَ: فمَن قرأ) مبتدأ خبره محذوف، أي: مَن قرأ كذا فما معنى ما قرأ به؟ ذكر هنا معنى قراءتين أُخرَيين، فصار الوجوه المبيَّن معناها تسعةً، وأمّا البواقي فهي راجعة إليها، فلذا لم يذكرها، فتأمّل.

قوله: (أبلغ ما يكون)؛ لأنّه إذا نفى عِلمهم بها نفسها لزِم نفي علمهم بوقتها قطعًا.

---

[1] ن – قوله: (لأنّ تلك غايتها) أي: إدراك الثمرة، والتأنيث باعتبار الخبر، أي: إدراك الثمرة غاية الثمرة التي تُعدَم الثمرة عندها. | ووقعت هذه الحاشية في هامش د.

وإذا أنكَر علمَهُم بكَونها لم يتحصَّلْ لهم شعُورٌ بوَقتِ كَوْنها؛ لأنَّ العِلْم بوَقتِ الكائنِ تابعٌ للعِلم بِكَونِ الكائنِ.

﴿فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾: في شَأنِ الآخِرة ومَعْناهَا.

فإن قلتَ: هذه الإضرَابَاتُ الثَّلاثُ ما مَعناها؟

قلتُ: ما هِيَ إلَّا تَنْزِيلٌ لأَحْوالِهم: وَصَفَهُم أَوَّلًا بأَنَّهُم لا يَشعُرونَ وقتَ البَعْثِ، ثمَّ بأنَّهم لا يَعْلمُون أنَّ القيَامَة كائنةٌ، ثمَّ بأنَّهُم يَخْبِطُونَ في شَكٍّ ومِرْيةٍ فلا يُزِيلُونه والإزالةُ مُستطَاعةٌ، ألَا تَرَى أنَّ مَن لم يَسْمَع اختلافَ المَذاهِبِ

قوله: (عِلمهم بكونها) أي: بوجودها وثبوتها.

قوله: (وصفَهم أوّلًا) إشارة إلى كيفيّة تنزيل أحوالهم، فقال: وصفهم الله تعالى بأنّهم لا يشعرون وقت البعث، أي: لا يعلمون متى يكون يوم القيامة، ثمّ نزّل حالَهم، أي: بيّن تعالى أنّ حالهم أنزَل -أي: أدوَن وأسوَء- مِن هذا بأن قال: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾، أي: لا يعلمون أنّ القيامة ستكون وستقع،[1] وهذه المرتبة أسوَء وأدوَن وأنزَل مِن الحالة الأولى؛ ثمّ بيّن أنّ حالهم أسوَء مِن هذه المرتبة -أي: مِن الجهل- بأنّ القيامة ستكون بقوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا﴾ أي: هم مستقرّون في جهلهم لا يريدون التحوّل عنه، ولا يطلبون التفَصِّيَ منه، فإنّ الجاهل بالشيء إذا كان في تردّدٍ وشكٍّ فعليه أن يطلب الحقَّ / والتوصُّل إلى [٢٣٦و]
الصواب، فإذا لم يفعل فهو أسوء مِن الجاهل بالشيء الذي لا يَخطر بباله أنّ ما هو فيه ليس بصواب، ثمّ بيّن أنّهم أسوء مِن هذا أيضًا بقوله: ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾، أي: هم مشتغلون باللذّات النفسانيّة مِن همّ البطن والفَرْج، فهم كالأنعام والبهائم.

قوله: (ثمّ بأنّهم لا يعلمون) ولا شكّ أنّ هذا أسوء حالًا مِن الأوّل.

قوله: (ألا ترى)... إلخ، هذا بيان أنّ هذه الحال أسوء ممّا تقدّمها، فإنّ الجهل بالشيء وإن كان سيّئًا قبيحًا لكن التوقّف عليه وترك التفتيش والتنقيح وإبقاء ذلك الجهل أقبَح وأسوَء.

---

[1] ف: وشتقع.

وتَضْليلَ أرْبَابِها بَعْضِهم لبَعْضٍ كانَ أَمْرُهُ أَهْونَ مِمَّن سَمِعَ بها وهو جَاثِمٌ لا يَشخَصُ به طَلَبُ التَّميزِ بين الحقِّ والبَاطِلِ.

ثُمَّ بما هُو أَسْوَأُ حَالًا: وهُوَ العَمى، وأَنْ يَكُونَ مثْلَ البَهِيمةِ قَدْ عَكَفَ هَمَّهُ على بَطْنِه وفَرْجِه لا يُخطِرُ ببَالِه حَقًّا ولا باطِلًا، ولا يُفكِّرُ في عَاقبةٍ، وقد جَعَل الآخرةَ مَبْدَأَ عمَاهُم ومَنشَأهُ، فلِذلك عَدَّاهُ بـ"مِن" دون "عَن" لأنَّ الكُفرَ بالعَاقِبة والجَزاء هو الَّذي جَعَلهُم كالبَهائم لا يَتَدَبَّرُونَ وَلا يَتَبَصَّرُونَ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ٦٧﴾

العَاملُ في ﴿أَءِذَا﴾: ما دَلَّ عَلَيْه ﴿أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ﴾ وهو: "نُخرَجُ"؛ لأنَّ بيْنَ يدَيْ عَملِ اسْم الفاعلِ فيه عِقَابًا، وهي: هَمْزَةُ الاستِفْهام، و"إِنَّ"، ولَامُ الابْتِدَاء،

قوله: (وتضليلَ) التضليل النسبة إلى الضلال. وقوله: (بعضِهم) بدل مِن (أربابِها)، أي: بعضِ أرباب المذاهب.

قوله: (سمِع بها) أي: سمِع باختلاف المذاهب،[1] وإنّما أنّث الضمير لأنّه في معنى المذاهب المختلفة. وقوله: (وهو جاثِم) أي: قاعد على ركبته.

قوله: (لا يَشخَص به) الباء في "به" للتعدية، أي: لا يرفعه طلب التمييز ولا يوجّهه طلب الحقّ، يقال: شخَص، أي: ارتفع، وشخَص مِن بلد كذا: ذهب.

قوله: (فلذلك عدّاه) أي: فللنظر إلى كون الآخرة مبدَأ عَماهم عدّاه[2] بـ"مِن"، ولو نظر إلى معنى المجاوزة لَعدّى بـ"عن"، ثمّ أشار إلى كيفيّة المبدأ فقال: لأنّ الكفر -أي: كفرهم- بالعاقبة[3] صار سببًا لكونِهم عَمين، فهذا الكفر يكون مبدَأ عماهم، فلذا عدّى بـ"مِن".

قوله: (عمل اسم الفاعل فيه) الظاهر أنّ الصحيح في هذا الموضع ذكر اسم المفعول، وهو "مُخرَجون". وقوله: (عِقابًا) أي: موانع، وهي جمع عَقَبة الجبل، شبّه الموانع بالعَقبات التي تكون في الجبال، ذكر العِقاب وأراد الموانع.

---

[1] ن: المذهب.
[2] ن: عدّاهم.
[3] ف: بالعافية.

ووَاحِدَةٌ منهَا كافيَةٌ فكيْف إذَا اجتَمعنَ؟

والمُرادُ: الإِخْرَاجُ منَ الأَرْضِ، أو مِن حَالِ الفَناء إلى الحَيَاةِ، وتكريرُ حَرْفِ الاستفهَام بإِدْخالهِ على "إذا" و"إنْ" جميعًا إِنكارٌ عَلى إِنْكارٍ، وجُحُودٌ عَقيبَ جُحُودٍ، ودَليلٌ عَلى كُفْرٍ مُؤكَّدٍ مُبالَغٍ فيهِ.

والضَّميرُ في "إِنَّا" لَهُم ولآبَائهِم؛ لأنَّ كَوْنَهم تُرَابًا قد تنَاوَلَهُم وآباءَهُم.

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦٨﴾

فإن قلتَ: قُدِّمَ في هذه الآية ﴿هَٰذَا﴾ عَلى ﴿نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا﴾ وفي آيةٍ أُخرَى قُدِّمَ ﴿نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا﴾ عَلى ﴿هَٰذَا﴾ [المؤمنون ٢٣/٨٣].

قلتُ: التَّقديمُ دليلٌ عَلى أنَّ المقدَّمَ هو الغَرضُ المُتَعمَّدُ بالذِّكر، وأنَّ الكلامَ إنَّما سِيقَ لِأجْلِه، ففي إحْدَى الآيَتين دُلَّ على أَنَّ اتِّخاذ البَعْثِ هو الَّذِي تُعُمِّدَ بالكلام، وفي الأُخرَى على اتِّخاذِ المَبعُوثِ بذلِكَ الصَّدَدِ.

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٦٩﴾

لم تُلحَقْ عَلامَةُ التأنيثِ بِفِعْلِ العَاقبة لأنَّ تأنيثهَا غيْرُ حَقيقيٍّ، ولِأنَّ المَعْنَى: كيفَ كان آخِرُ أَمْرِهم، وأرَادَ بِـ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: الكافِرِينَ، وإنَّما عُبِّر عنِ الكُفر بلَفْظِ الإِجْرام ليَكُونَ لُطْفًا لِلمُسلِمينَ في تَرْكِ الجَرائمِ وتَخوُّفِ عَاقِبتها، ألَا ترَى إلى قَوله: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ﴾ [الشمس ٩١/١٤] وقَولِهِ: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟﴾ [نوح ٧١/٢٥].

قوله: (وفي آية أخرى) هي قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا﴾ [المؤمنون ٢٣/٨١-٨٣].

قوله: (بذلك الصَّدد) أي: تُعُمِّدَ بالكلام.

قولـه: (لطفًا) اللطف: الأمور المقرّبـة إلى الإتيـان بالطاعـات والاجتنـاب عن المعاصي.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ۝٧٠﴾

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ لِأَنَّهُم لم يَتَّبِعُوكَ ولم يُسْلِمُوا فيَسْلَمُوا -وهُم قومُهُ قُرَيشٌ- كقَوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف ٦/١٨].

﴿فِي ضَيْقٍ﴾: في حَرَجِ صَدْرٍ مِنْ مَكْرِهم وكَيْدِهِمْ لكَ، ولا تُبالِ بذلك فإنَّ اللهَ يَعْصِمُكَ من النَّاسِ، يُقال: ضَاق الشيءُ ضِيقًا وضَيْقًا بالفتح والكسر، وقد قُرئ بهما.

و"الضَّيْقُ" أَيْضًا: تخفيفُ "الضَّيِّقِ"، قال الله تعالى: ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام ١٢٥/٦] قرئ مُخَفَّفًا ومُثَقَّلًا.

ويجُوز أَنْ يُراد: في أَمْرٍ ضَيِّقٍ مِن مَكْرِهِمْ.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٧١ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ۝٧٢﴾

استعْجَلُوا العَذابَ المَوعودَ فَقِيلَ لهم: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ﴾ رَدِفَكُم بَعْضُه وهُو عَذابُ يَوم بَدْرٍ، فزِيدَت اللَّامُ للتَّأكيد كالبَاءِ في قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [البقرة ١٩٥/٢]، أو ضُمِّنَ مَعْنَى فعْلٍ يتَعَدَّى باللَّام نَحوَ: دَنا لكُم وأَزِفَ لكُم، ومَعْنَاه: تَبِعَكُم ولحِقكُم، وَقَد عُدِّيَ بـ"مِن" قال:

فلمَّا رَدِفْنَا مِن عُمَيْرٍ وصَحْبِهِ   تَولَّوا سِراعًا والمَنيَّةُ تُعنِقُ

قوله: (فيَسلَموا) مجزوم للعطف على (يُسلِموا)، أو نصب جواب النفي.

قوله: (قال الله تعالى: ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾) ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام ١٢٥/٦].

قوله: (وقد عُدّي بـ"مِن")... إلخ، إشارة إلى بيان معنى التضمين في ﴿رَدِفَ﴾.

قوله:

(فلمّا رَدِفْنا)... البيت[١]

---

[١] بغير نسبة في البحر المحيط لأبي حيّان، ٢٦٦/٨ (النمل، ٧٢/٢٧).

يَعْنِي: دَنونَا مِن عُمَيْرٍ.

وقَرأ الأعرجُ: "رَدَفَ لكُم" بوَزنِ ذَهَبَ، وهُما لغَتَانِ والكَسرُ أَفصَحُ.

و"عسَى" و"لعَلَّ" و"سَوْفَ" في وَعْدِ المُلوكِ ووَعيدِهِمْ يدُلُّ عَلى صِدْقِ الأَمْرِ وَجِدِّه، وما لا مجَالَ للشَّكِّ بَعْدَهُ، وإنَّما يَعْنُونَ بذلك: إظهارَ وَقَارِهم، وأنَّهم لا يَعْجَلُونَ بالانتِقَام؛ لإدْلَالِهم بقَهْرهم وغَلَبَتِهِمْ، وَوُثوقِهِمْ بأنَّ عَدُوَّهُم لا يَفُوتُهُم، وأَنَّ الرَّمْزَةَ إلى الأَغراضِ كافِيَةٌ مِن جِهَتِهِمْ، فعَلى ذلك جَرَى وَعْدُ اللهِ ووَعيدُهُ.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ۝٧٣﴾

"الفَضلُ والفَاضِلةُ": الإِفضَالُ، ولِفُلانٍ فَواضِلُ في قَوْمِه وفُضُولٌ.

ومَعناه: أنَّه مُفضِلٌ عَلَيْهم بتَأخِير العقُوبةِ، وأنَّه لا يُعَاجِلُهم بها وأكثَرُهم لا يَعرفُونَ حقَّ النِّعمة فيه ولا يَشكُرونَهُ، ولكنَّهم بجَهْلِهم يَستَعْجلُون وُقُوعَ العِقَابِ وهُمْ قُرَيشٌ.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٤﴾

"رَدِفْنا"، أي: دنَونا، فلذلك عُدِّي بـ"مِن". و"تُعنِق": مِن العَنَق؛ وهو السير السريع السهل. يقول: لمّا دنونا مِن عُمير وصحبه للمحاربة أدبَروا مسرعين منهزمين، والمَنيّة تُسرع خلفَهم.[1] والعَنَق ضرْب مِن سير الدابة والإبل، وقد أعنَق الفرَس.[2]

قوله: (وإنّما يَعنون بذلك) أي: بقصد الملوك بذكر "عسى ولعلّ وسوف". وقوله: (لإدلالِهم)[3] هو يُدِلّ بفلان، أي: يثِق به.[4]

قوله: (فواضِلُ)... إلخ، "الفواضل": جمع الفاضلة، والفُضول: جمع الفضْل.

---

[1] كذا في شرح شواهد الكشّاف لمحبّ الدين أفندي، ص ٣٠٧؛ وفتوح الغيب للطيبي، ٥٧٦/١١.

[2] الصحاح للجوهري، «عنق».

[3] د: لإدلاهم.

[4] الصحاح للجوهري، «دلل».

قرئ: "تَكُنُّ"، يُقَال: كَنَنْتُ الشَّيءَ وأكْنَنْتُه: إذا سَتَرْتَه وأَخفَيْتَه، يَعْنِي: أنَّه يَعْلمُ ما يُخفُونَ وما يُعْلِنُونَ مِن عَداوةِ رسُولِ اللهِ ومكَايِدِهم، وهُو مُعَاقبُهُم على ذلك بما يَستَوْجِبُونَهُ.

﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٧٥﴾

سُمِّيَ الشَّيءُ الَّذِي يَغِيبُ ويَخفَى: غَائبةٌ وخَافيةٌ، فكانتِ التَّاءُ فيهمَا بمَنْزلتِهَا في العَافية والعَاقبة، ونَظَائرُهما: النَّطِيحَةُ والرَّمِيَّةُ والذَّبيحَةُ، في أنَّها أَسْمَاءٌ غيرُ صفَاتٍ، ويجُوز أنْ يكُونا صفَتيْنِ وتَاؤهُمَا للمُبَالغَة؛ كالرَّاوِيَة في قَوْلِهم: «وَيْلٌ للشَّاعر مِن رَاوِيَةِ السَّوءِ»؛ كأنَّه قال: ومَا مِنْ شيءٍ شَديدِ الغَيْبُوبةِ والخَفَاءِ إلَّا وقَد عَلِمَهُ اللهُ وأحَاطَ بهِ وأَثْبَتَهُ في اللَّوح.

"المُبِينُ": الظاهرُ البيِّنُ لِمَن يَنظُر فيه من الملائكةِ.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝٧٦﴾

قَد اختلفُوا في المَسيحِ فَتحزَّبُوا فيه أَحْزابًا، ووَقعَ بيْنَهُم التَّناكُرُ في أَشياءَ كَثيرةٍ حَتَّى لَعَنَ بَعْضُهم بَعْضًا، وقَد نزَل القرآنُ ببيَانِ ما اختَلفوا فيه لو أنصَفُوا وأخَذُوا به وأَسلَمُوا، يُريدُ: اليَهُودَ والنَّصارَى.

﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٧٧﴾

﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: لمَن أنْصَفَ منهُم وَآمَنَ؛ أي: مِن بَنِي إسْرائيل، أو مِنْهُم ومِن غَيْرِهم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٧٨﴾

﴿بَيْنَهُم﴾: بيْنَ مَن آمَنَ بالقرآنِ ومَن كفَر به.

فإن قلتَ: ما مَعْنى "يَقضِي بحُكْمهِ" ولا يُقَالُ: "زَيدٌ يَضْرِبُ بضَرْبه ويَمنَعُ بمَنْعِه"؟

قوله: (لو أنصفوا) أي: لو أنصفوا لما بقي بينهم اختلاف.

قلتُ: مَعْناه: بما يَحكُمُ به وهو عَدْلُه؛ لأنَّه لا يَقضِي إلَّا بالعَدْل، فسُمِّيَ المَحكُومُ به حُكْمًا، أو أرَادَ: بحِكْمَتِه، وتدُلُّ عَليه قراءةُ مَن قَرأ: "بحِكَمِه": جَمْعُ حِكْمَةٍ.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فَلا يُرَدُّ قَضَاؤُه ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بمَن يُقضَى له وبمَن يُقضَى عليه.

أَو: ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ في انتِقَامِه من المُبطِلِينَ ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بالفَصلِ بَينَهُم وبَينَ المُحِقِّينَ.

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾

أَمَرهُ بالتَّوكُّلِ على اللهِ وقِلَّةِ المبَالاةِ بأعْدَاء الدِّينِ، وعَلَّلَ التَّوَكُّلَ بأنَّه على الحقِّ الأَبْلَج الَّذي لا يَتعَلَّقُ به الشَّكُّ والظَّنُّ، وفيه بيَانُ أَنَّ صَاحِبَ الحقِّ حَقِيقٌ بالوُثُوقِ بصُنْعِ اللهِ وبنُصْرَتهِ، وأَنَّ مِثْلَهُ لا يُخْذَلُ.

فإن قلتَ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ يُشبِهُ أَنْ يكُونَ تعْلِيلًا آخَرَ للتَّوكُّلِ فما وَجهُ ذلك؟

قلتُ: وَجْهُه: أنَّ الأمرَ بالتوكُّل جُعِلَ مُسبَّبًا عمَّا كان يَغِيظُ رسُولَ الله من جهَةِ المُشرِكينَ وأَهْلِ الكتابِ: مِن تركِ اتِّباعِه، وتشْيِيعِ ذلك بالعَداوَة والأَذَى، فَلاءَم ذلك أَنْ يُعَلَّل تَوكُّلُ مُتوكِّلٍ مثلِه بأنَّ اتِّباعَهُم أَمْرٌ قد يُئِسَ مِنه فلم يَبْقَ إلَّا الاستِنْصَارُ عليهم لِعَداوَتِهم واستِكفَاء شُرُورِهم وأَذاهُم، وشُبِّهُوا بالمَوتى وهم أَحْيَاءٌ صِحَاحُ الحَواسِّ لأنَّهم إذا سَمِعُوا ما يُتلَى عَليْهم من آياتِ الله

/ قوله: (جُعل مُسبَّبًا) بدليل الفاء في قوله: ﴿فَتَوَكَّلْ﴾. وقوله: (مِن جهة المشركين) "مِن" للابتداء. وقوله: (مِن ترك) بيان "ما" في "عمَّا". [٢٣٦ظ]

قوله: (متوكِّلٍ مثلِه) المراد بـ"متوكِّلٍ مثلِه": مَن يكون توكّله لترك متابَعتهم ولعداوتهم التي لزِم مِن عدَم إيمانهم، يعني: لمّا كان توكّله مسبَّبًا عمّا ذكر كان المناسب أن يقال: عليك أن تتوكّل عليّ في دفع أذاهم، فإنّهم لا يؤمنون البتّة، فلا بدّ لك أن تتوكّل على الله؛ ليدفع الله تعالى أذاهم عنك.

فكَانُوا أَقمَاعَ القَول لا تَعيهِ آذانُهمْ، وكان سَماعُهم كَلا سَماعٍ، كانتْ حَالُهم لانتِفاءِ جَدْوَى السَّماعِ كحَالِ المَوْتى الَّذينَ فَقَدُوا مُصَحِّحَ السَّماعِ، وكذلك تَشبيهُهُمْ بالصُّمِّ الَّذين يُنعَقُ بهم فَلَا يَسْمَعُونَ، وشُبِّهُوا بالعُمْيِ حَيث يَضِلُّونَ الطَّريقَ ولا يَقْدرُ أَحَدٌ أَنْ يَنْزِعَ ذلك عَنهُم ويَجعَلَهُم هُداةً بُصَراءَ إلّا اللهُ عزَّ وجلَّ.

فإن قلتَ: ما مَعنى قَوله: ﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾؟

قلتُ: هو تأكيدٌ لحَالِ الأصَمِّ لأنَّه إذا تبَاعَد عن الدَّاعِي بأنْ يُوَلِّيَ عنه مُدْبِرًا كان أبعَدَ عن إدْراكِ صَوْته.

قوله: (أقماع[1] القول) القِمَع: معروف، يقال: قِمْعٌ وقِمَعٌ، وفي الحديث: «ويلٌ لأقماع القول»،[2] كأنّهم الذين يستمعون ولا يَعون، فيكون آذانُهم كالأقماع التي لا يبقى فيها شيء، مِن مُجمل اللغة.[3] قِمْع البُسرة:[4] ما يلتَزِق بها حولَ عِلاقَتها، ومنه: قِمْع الباذنجان، وأصله مِن القِمْع؛ وهو ما يُصَبُّ فيه الدهن، ومنه: «ويلٌ لأقماع القول»؛ وهم الذين يستمعون[5] ولا يَعون، مُغرب.[6] وقوله: "أقماع القول" هذه الإضافة بمعنى اللام، كأنّ آذانهم للأقوال كالظروف التي لا يبقى فيها شيء مِن المظروف، فإنّ قِمْع الباذنجان وقِمْع البُسرة ينفصل منها ولا يَحويهما ولا يحفظهما ولا يبقى الباذنجان ولا البسرة فيه، وبيانه ما نقلناه عن مُجمل اللغة.

قوله: (كانت) جواب "إذا". وقوله: (مصحِّح السماع) وهو الحياة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾، اعلم أنّ في هذا التنزّل[7] دقيقة لطيفة تَظهر بالتأمّل، فإنّه تعالى جعلهم أوّلًا كالموتى، فقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾، فإنّ الله تعالى هو القادر على إسماع الموتى لا غير، ثمّ نزّل الكلام

---

[1] ف: وأقماع.

[2] مسند الإمام أحمد، ١١/٩٩ (٦٥٤١)؛ المعجم الكبير للطبراني، ١٣/٦٥١ (١٤٥٧٩)؛ الأدب المفرد للبخاري، ص ١٩٧ (٣٨٠).

[3] مجمل اللغة لابن فارس، «قمع».

[4] البُسْر: التَّمر قبل أن يُرطِب لغَضاضته، واحدته: بُسرة. لسان العرب لابن منظور، «بسر».

[5] ف: يسمعون.

[6] المُغرب للمطرّزي، «قمع».

[7] ن: التنزيل.

وقُرِئَ: ﴿ولا يَسْمَعُ الصُّمُّ﴾، "وما أنتَ بهَادٍ العُمْيَ" على الأصل، و: ﴿تَهْدِي العُمْيَ﴾.

وعن ابن مسعُود: "ومَا إنْ تَهدِي العُمْيَ".

و"هَدَاه عَن الضَّلالِ"، كقَولكَ: "سَقَاهُ عن العَيْمة"؛ أي: أَبْعَدَهُ عنها بالسَّقيِ، وأَبعَدَهُ عن الضَّلالِ بالهُدَى.

﴿إن تُسْمِعُ﴾؛ أي: ما يُجدِي إِسْمَاعُكَ إلَّا على الَّذِين عَلِمَ اللهُ أنَّهم يُؤمِنُون بآياتِه؛ أي: يُصَدِّقونَ بها ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾؛ أي: مُخلِصُون، من قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [البقرة ٢/١١٢] يَعْني: جَعَله سَالِمًا لله خالصًا له.

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾

عن هذا المقام فقال تعالى: ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾، فكأنَّك قيل: بَلْهَ الموتى، وإنك لا تُسمِعُهم، فإنّك لا تُسمع الصُّمَّ، فكيف بالموتى؟ ثمّ نقل الكلام بطريق التنزيل[١] إلى الأعمى، فقيل: لا تقدر على هداية الأعمى، فكيف بإسماع الصُّمّ؟ فكأنّه قيل -والله أعلم-: لا تقدر على هداية العُمي، فكيف تقدر[٢] على إسماع الصُّمّ؟ وإذا لم تقدر[٣] على إسماع الصُّمّ فكيف بإسماع الموتى؟ وهذا ممّا خطر ببال العبد الضعيف أحمد بن الحسَن الجاربرديّ،[٤] وأرجو مِن الله تعالى أن يكون صوابًا، وأسأله تعالى التوفيق للتدقيق، والإصابة عند طلب التحقيق، إنّه[٥] تعالى بتحقيق رجاء الراجين حقيق، بمَنّه ولطفه وكرمه، فإنّه الأكرم[٦] الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم.

قوله: ("وما أنتَ بِهادٍ") شاذّ.[٧] وقوله: (و﴿تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾) سبعة.[٨]

قوله: (عن العَيمة) "العَيمة": شهوةُ اللَّبن.[٩]

---

[١] ن: التنزل.

[٢] ف: يقدر.

[٣] ف: يقدر.

[٤] د: الجابردي؛ ف ن: الجاربيردي.

[٥] ف: وإنه.

[٦] ف: أكرم الأكرمين.

[٧] عن يحيى بن الحارث وأبي حياة والأعمش. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٣٦٣.

[٨] وهي قراءة حمزة بن حبيب الزيّات. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٣٩.

[٩] الصحاح للجوهري، «عيم».

سُمِّي مَعْنَى القَولِ ومُؤدَّاهُ بالقَول، وهو ما وُعِدُوا به مِن قيَام السَّاعَةِ والعَذابِ، ووُقُوعُه: حُصُولُه، والمرادُ: مُشَارَفَةُ السَّاعَةِ وظُهورُ أشْرَاطِهَا وحِين لا تَنفعُ التَّوبَةُ.

و"دابَّةُ الأَرض": الجَسَّاسَةُ، جاء في الحَدِيث: أَنَّ «طُوْلها سِتُّونَ ذِرَاعًا، لا يُدْرِكُهَا طَالِبٌ ولا يَفُوتُهَا هَارِبٌ».

ورُوِيَ: لهَا أَربعُ قَوائمَ وزغَبٌ ورِيشٌ وجَناحانِ.

وعن ابن جُرَيْجٍ في وَصْفها: لها رأسُ ثَوْرٍ، وعينُ خِنزير، وأُذُنُ فيلٍ، وقَرْنُ أُيَّلٍ، وعُنقُ نعَامَةٍ، وصَدْرُ أسَدٍ، ولونُ نَمِرٍ، وخَاصِرَةُ هرٍّ، وذَنَبُ كَبْشٍ، وخُفُّ بَعيرٍ، ومَا بين المَفصِلَيْنِ: اثنَا عشَر ذراعًا بذراعِ آدَمَ عليه السلام.

ورُوي: لا تُخرِجُ إلَّا رأسَها ورأسُهَا يَبْلُغ أَعْنَانَ السَّماء أو يَبْلُغ السَّحَابَ.

قوله: (مِن قيام) بيان "ما".

قوله: (ووقوعُه: حصولُه) فكأنّه قيل: إذا وقَع قيام الساعة.

قوله: (والمراد: مشارَفة) ذكَر أوّلًا أنّ المراد بـ﴿ٱلْقَوْلُ﴾: مؤدّاه ومقتضاه؛ وهو قيام الساعة، فكأنّه[١] قيل: إذا وقعت القيامة وحصلت، ثمّ ذكَر أنّ المراد بوقوع القيامة وحصولها: هو حصول علامات القيامة.

قوله: (أشراطِها) الشَّرَطُ -بالتحريك-: العلامة، وأشراط الساعة: علاماتها.[٢]

[٢٣٧و] قوله: (وزَغَبٌ) الزَّغَبُ: / الشُّعَيرات الصُّفر على ريش الفرْخ.[٣]

قوله: (أُيَّل)[٤] بضمّ الهمزة وكسرها وتشديد الياء: الذكَر مِن الأوْعال، يقال بالفارسيّة: "گوزن"، والجمع: أيائل.[٥]

قوله: (أعنان السماء) "أعنان السماء": صفائحها، وما اعترض مِن أقطارها، كأنّها جمع عنَنٍ، والعَنان -بالفتح-: السحاب، والواحدة: عَنانة، قاله في الصِّحاح.[٦]

---

[١] ن: وكأنه.

[٢] الصحاح للجوهري، «شرط».

[٣] الصحاح للجوهري، «زغب».

[٤] في بعض مطبوعات الكشّاف: "إيل".

[٥] انظر: الصحاح للجوهري، «أول».

[٦] الصحاح للجوهري، «عنن».

وعن أبي هريرة: فيها من كُلِّ لَونٍ وما بَين قَرنيْها فَرسَخٌ للراكب.

وعن الحسن: لا يَتمُّ خُرُوجهَا إلَّا بَعْد ثلاثة أيَّام.

وعن عليّ رضي الله عنه: أنَّها تخرُجُ ثلاثة أيَّامٍ والنَّاسُ يَنْظرُونَ فلا يَخرُجُ إلَّا ثُلثُها.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم: أنَّه سُئلَ: من أينَ تخرُج الدَّابَّةُ فقال: «من أَعْظم المسَاجد حُرمَةً عَلى الله» يَعني: المَسْجدَ الحَرامَ.

ورُويَ: أنَّها «تخرُج ثلاثَ خَرَجاتٍ: تَخرُجُ بأقصَى اليَمنِ، ثمَّ تتكمَّنُ ثمَّ تخرُج بالبَاديَةِ، ثمَّ تتكمَّنُ دَهْرًا طويلًا فبيْنَا النَّاسُ في أَعْظم المسَاجِد حُرمَةً وأكرَمِهَا عَلى الله فما يَهُولُهم إلَّا خُروجُهَا مِن بَين الرُّكْنِ حِذاءَ دَار بَنِي مَخزوم عن يَمين الخارج من المَسْجِد، فقَومٌ يَهرُبُونَ وَقومٌ يَقِفُونَ نظَّارةً...».

وقيل: تخرُجُ مِنَ الصَّفَا فتُكلِّمُهُم بالعَربيَّة بلسَانٍ ذَلِقٍ فتَقُول: ﴿إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ يعني: إنَّ النَّاسَ كانُوا لا يُوقِنُونَ بخرُوجِي؛ لأنَّ خرُوجَها من الآيات، وتقُول: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود ١١/١٨].

وعن السُّدِّي: تُكَلِّمُهم ببطلانِ الأَدْيان كلِّها سوَى دِين الإسْلام.

وقال في المُغرب: «عَنان السماء -بالفتح-: ما علا منها وارتفع».[١] وقوله: (أو يَبلغ) لِتردُّدِ الراوي.

قوله: (ثمّ تتَكمَّن) كمَنَ كمُونًا.[٢]

قوله: (فما يَهولهم) أي: ما يُخوِّفهم إلّا خروجها، يعني: لم يكن لخروجها علامة ومقدّمة يخاف الناس بسبب تلك العلامة مِن خروجها؛ بل إنّما يخافون منها عند خروجها، وهذا عبارة عن خروجها[٣] بغتةً مِن غير شعور أحد بخروجها قبل خروجها.

---

[١] المُغرب للمطرّزي، «عنن».

[٢] كَمَنَ يَكْمُن كُمونًا: اختفى، ومنه الكَمينُ في الحرب. وحزنٌ مُكْتَمِنٌ في القلب: مُختَفٍ. الصحاح للجوهري، «كمن».

[٣] ف – وهذا عبارة عن خروجها.

وعن ابن عُمَر: تَستقْبِلُ المَغرب فَتَصْرُخُ صَرْخَةً تَنفُذُه، ثم تَستقبِلُ المَشرق، ثُمَّ الشَّامَ، ثمَّ اليَمنَ، فتفعَلُ مثلَ ذلكَ.

وروِي: تَخرُجُ من أَجْيَادَ.

ورُوِيَ: «بَيْنَا عيسَى عليه السلام يَطُوف بالبيْت ومَعهُ المُسلِمُون إذَا تَضطرِبُ الأرضُ تَحتَهُم تُحرِّكُ القِنْديلَ، ويَنشَقُّ الصَّفا مِمَّا يَلي المَسْعَى فتخرُج الدَّابةُ من الصَّفا ومعَها عصَا مُوسَى وخاتَمُ سُليمانَ، فتَضْرِبُ المُؤمِنَ في مَسْجِدِه أو فيما بينَ عَيْنَيه بعصَا مُوسَى فتَنكُتُ نُكتةً بيْضَاءَ فتَفْشُو تِلك النُّكتَةُ في وجْهِهِ حَتَّى يُضيء لها وَجْهُهُ -أَو: فَتَترُك وَجْهَه كَأَنَّه كوْكَبٌ دُرِيٌّ- وتكتُبُ بينَ عَيْنيهِ: مُؤمِنٌ: وتَنْكُتُ الكافِرَ بالخَاتَم في أَنْفِه فَتفشُو النُّكتَةُ حَتَّى يَسوَدَّ لهَا وَجْهُهُ وَتكتُبُ بَينَ عَيْنيهِ: كافرٌ».

ورُوِيَ: فتَجلُو وَجْهَ المُؤمنِ بالعصَا وَتَخْطِمُ أَنْفَ الكَافِر بالخَاتَم، ثُمَّ تقُولُ لَهُم: يا فُلانُ أَنتَ مِن أَهْلِ الجنَّةِ، ويا فلانُ أنتَ مِن أَهْلِ النَّارِ.

وقرِئ: "تَكْلِمُهم" مِن الكَلْمِ وهُو الجَرْحُ، والمُرادُ به: الوَسْمُ بالعصَا والخَاتَمِ، ويجوز أَن يكُون ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ مِن الكَلْمِ أَيْضًا عَلى مَعْنَى التكثير، يُقال: فُلانٌ مُكَلَّمٌ؛ أي: مُجرَّحٌ.

ويجُوز أَن يُستَدَلَّ بالتَّخْفيفِ عَلى أَنَّ المُرادَ بالتَّكلِيم: التَّجْريحُ؛ كمَا فُسِّرَ: ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ بقِراءة عليّ رضيَ الله عنه: ﴿لَنَحْرُقَنَّهُ﴾.

قوله: (مِن أجيادٍ) الأجياد: جبلٌ بمكّة.

قوله: (في مَسجده) "المَسجد" بمعنى: موضع السجود مِن الجبهة؛ بفتح الميم لا غير، وهو على القياس.

قوله: (أو فيما بين عينيه) "أو" لتردُّدِ الراوي.

قوله: ("لَنَحْرُقَنَّهُ")[1] حَرَقْتُ الشيء -بالتخفيف- أي: بَرَدْتُه،[2] يقال: بردتُ الحديد بالمِبرد.[3]

---

[1] قراءة شاذّة، في قوله تعالى: ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه ٢٠/٩٧]. انظر: المحتسب لابن جنّي، ٢/٥٨.

[2] الصحاح للجوهري، «حرق».

[3] الصحاح للجوهري، «برد».

وأَن يُستَدَلَّ بقراءة أُبَيّ: "تُنَبِّئُهُم"، وبقراءةِ ابن مَسْعُود: "تُكَلِّمُهم بأنَّ النَّاسَ" عَلى أَنَّه مِن الكَلام.

والقرَاءةُ بـ﴿أَنَّ﴾ مَكسُورةً حِكايةٌ لِقَول الدَّابَّة: إمَّا لِأنَّ الكلامَ بمَعْنَى القَوْلِ، أَو بإضمَارِ القَوْلِ؛ أي: تقُولُ الدَّابَّةُ ذلك، أو هي حِكايةٌ لقوله تعالى عند ذلك.

فإن قلتَ: إذا كانَتْ حِكايةً لقَول الدَّابَّة فكيْفَ تقُولُ: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾؟

قلتُ: قَوْلُها حكايةٌ لِقَولِ الله، أَو على مَعْنَى: بآيَاتِ رَبِّنَا، أو لاختِصَاصِها بالله وأَثَرَتِها عندَهُ وأَنَّهَا مِن خواصِّ خَلْقِه أَضَافَتْ آياتِ الله إلى نفْسِهَا؛ كما يقُولُ بَعضُ خَاصَّةِ المَلك: "خَيلُنَا وبلادُنا" وإنَّما هيَ خَيلُ مَولاهُ وبلادُهُ، ومَن قرَأ بالفَتح فعَلى حَذفِ الجَارِّ؛ أي: تُكَلِّمُهم بأَنَّ.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: يُحْبَسُ أَوَّلُهُم عَلى آخِرِهِم حَتَّى يَجْتمِعُوا فيُكَبْكَبُوا في النَّار، وهذِه عبَارةٌ عَن كَثْرَة العَدَدِ وتبَاعُدِ أَطْرَافِه كمَا وُصِفَتْ جُنُودُ سُليمانَ بذلك، وكذلك قولُهُ ﴿فَوْجًا﴾ فإنَّ الفَوْجَ: الجَماعَةُ الكَثيرَةُ، ومِنه قَولُه تعالى: ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر ١١٠/٢].

وعن ابن عبَّاس: أَبُو جَهْلٍ والوليدُ بن المُغيرةُ وَشَيْبَةُ بن رَبيعَةَ: يُسَاقُونَ بين يَدَي أَهْلِ مَكَّةَ، وكذلك يُحشَرُ قَادَةُ سَائرِ الأُمَمِ بَيْنَ أَيْدِيهم إلى النَّارِ.

قوله: (وأَثَرَتِها) أي: لكونها مختارًا عند الله تعالى. يقال: استأثر بالشيء، أي:[1] استبدَّ به، فكأنّه[2] تعالى اختارها لنفسه بأن جعلها مِن خاصَّته، ولم يتركها لغيره تعالى شأنه.

قوله: (وكذلك قوله: ﴿فَوْجًا﴾) أي: كما أنّ ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ عبارة عن الكثرة.

قوله: (أبو جَهل) مبتدأ، وما بعده عطف عليه. وقوله: (يُساقون) خبر المبتدأ. وقوله: (إلى النار) متعلِّق بقوله: "يُساقون" و"يُحشر" بطريق التنازع.

---

[1] ف – أي.

[2] ن: وكأنه.

فإن قلتَ: أيُّ فَرْقٍ بَينَ ﴿مِن﴾ الأُولَى والثَّانية؟

قلتُ: الأُولى لِلتَّبْعِيضِ والثَّانيةُ لِلتَّبيينِ؛ كقولِهِ: ﴿مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج ٢٢/٣٠].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾

الوَاوُ للحَالِ؛ كأنَّه قال: أكَذَّبتُم بها بَادِئَ الرَّأيِ مِن غَيْرِ فِكْرٍ ولا نَظرٍ يُؤدِّي إلى إحَاطَةِ العِلْم بكُنْهِها وأنَّها حَقِيقةٌ بالتَّصديق أو بالتَّكذيب؟

أو للعَطْف؛ أي: أَجَحَدْتُموهَا ومع جُحُودكم لَم تُلْقُوا أَذْهَانكُم لِتَحَقُّقِهَا وتَبَصُّرِهَا، فإنَّ المكتُوبَ إليه قد يَجحَدُ أن يكُون الكتابُ مِن عندِ مَن كَتَبَه، ولا يَدَعُ مع ذلك أَنْ يَقْرأَهُ ويتفَهَّمَ مضَامينَهُ ويُحِيطَ بمعَانِيه.

وقوله: (قادة سائر الناس) أي: متقدِّموهم، جمع قائد، قال في المُغرب: «القائد: خلاف السائق، ومنه: القائد لواحد القُوّاد والقادة؛ وهو مِن رؤساء العسكر، ومصدره القيادة».[١]

قوله: (باديَ الرأي) يجوز بالهمز وبغير الهمز،[٢] يقال: أنت باديَ الرأي تريد ظلْمنا، أي: أنت تريد أن تظلِمنا مِن غير أن تتفكّر في أنّ الظلم علينا يجوز أو لا يجوز، أو يمكن أو لا يمكن، فمَن لم يَهمز أراد: فيما بدا مِن الرأي وظهَر، ومَن همزَ أراد: أنت أوّل الرأي ومبتدأه، وانتصابُه على الظرف، أصله: وقت حدوث أوّل الرأي، أو وقت حدوث ظاهر الرأي، فحذِف ذلك، وأقيم المضاف إليه مُقامه.

قوله: (وأنّها حقيقة) أي: جَديرة.

قوله: (فإنّ المكتوب إليه) ليس في "المكتوب" ضمير؛ بل هو مستند إلى الجارّ والمجرور، والعائد إلى اللام الموصول الضمير المجرور.

---

١ المُغرب للمطرّزي، «قود».

٢ وبهما قرئ في قوله تعالى: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ [هود ١١/٢٧]، فقرأ أبو عمرو بهمزة بعد الدال، وقرأ الباقون بغير همز. انظر: النشر لابن الجزري، ١/٤٠٧.

﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بها؛ لِلتَّبكيتِ لا غيْرُ، وذلِك أنَّهُم لم يَعْمَلُوا إلَّا التَّكْذِيبَ، فلا يَقْدِرُونَ أن يَكْذِبُوا وَيَقُولُوا: "قَد صَدَّقْنَا بها"، ولَيْس إلَّا التَّصديقُ بها أَو التَّكذِيبُ، ومثالُه: أَنْ تقُولَ لِرَاعِيكَ وقد عَرَفْتَهُ رُوَيعِيَ سَوْءٍ: "أَتَأْكُلُ نعَمِي أَمْ ماذا تَعْمَلُ بها" فتَجعَلُ ما تَبْتَدِئُ به وَتجعَلُهُ أَصْلَ كَلامِكَ وأساسَهُ هُوَ الَّذِي صَحَّ عنْدكَ من أَكْلِه وفسَادِه، وتَرمِي بقَولك: "أَمْ ماذا تَعْملُ بها" مَع عِلمك أَنَّه

قوله: (تعملون بها) أي: بآياتي. وقوله: (للتبكيت) التبكيت كالتقريع والتعنيف، وبكّته بالحجّة: غلَبَه. وقوله: (لا غير) يعني: أنّ[١] صورته صورة "أم" المتّصلة في الظاهر؛ ليكون سؤالًا عن أحد الأمرين، لكن المقصود هو إثبات الأوّل بالتعيين، فكأنّه قيل: أكذّبتم بآياتي؟ لتحقيق التكذيب مِنهم بالاستفهام / الذي يكون للتقرير. ثمّ بعد تقرير ذلك جيء بقوله: ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ [٢٣٧ظ]
لزيادة تقرير أنّهم لم يعملوا إلّا التكذيب، وفي لفظ المصنِّف: "أم ماذا كنتم" مبتدأ خبره "للتبكيت"، وفي هذا الكلام إشارة إلى أنّ "أم" متّصلة، كأنّه قيل: أكذّبتم أم صدّقتم؟ وإذ ليس التصديق فتعيّن التكذيب، وعبَّر بقوله: "ماذا كنتم تعملون؟"؛ لأنّه لمّا لم يصدر التصديق البتّة لم يُستحسن التصريح به في الاستفسار عنه، فكأنّه قيل: أصَدَرَ عنكم التكذيب أو شيء آخر؟ وقوله: (وذلك) بيان "التبكيت".

قوله: (أو التكذيب) وإذ ليس إلّا التصديق أو التكذيب، ولا يمكنهم أن يقولوا: صدَّقنا، فتعيّن التكذيب، فإنّ الجواب في المتّصلة بالتعيين، وإذا لم يمكن تعيين الثاني تعيّن الأوّل.

قوله: (رُوَيْعيَ سَوءٍ) يجوز أن يكون مِن جملة المقول، ويكون التقدير: يا رُوَيعِيَ سَوءٍ، ويجوز أن يكون حالًا مِن مفعول "عرفتَه"، والمقول "أتأكل". وقوله: (وتجعله) عطف على صلة "ما". وقوله: (هو الذي صحّ عندك) مفعول ثانٍ "لتجعل".

---

[١] ن: لمن.

لا يَعملُ بها إلّا الأَكْلَ؛ لتَبْهَتَه وتُعْلِمَه عِلمَكَ بأنَّه لا يَجِيءُ مِنْه إلّا أكْلُها، وأنَّه لا يَقْدِرُ أنْ يَدَّعيَ الحِفْظَ والإصْلاحَ؛ لِمَا شُهِرَ مِن خِلاف ذلك.

أو أرَادَ: أمَا كانَ لكُم عَمَلٌ في الدُّنيَا إلّا الكُفرُ والتكذيبُ بآيات الله أمْ ماذا كُنتم تعمَلُونَ من غَيْرِ ذلك؟ يَعْني: أنَّه لم يكُنْ لَهُم عَملٌ غَيْرُهُ كَأنَّهُم لم يُخْلَقُوا إلّا لِلْكُفرِ والمعْصِيَةِ، وإنَّما خُلِقُوا للإيمانِ والطَّاعةِ.

يُخَاطَبُونَ بهذا قَبْلَ كَبِّهم في النَّارِ ثم يُكَبُّونَ فيها، وذلك قولُه: ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾ يُرِيْدُ أَنَّ العَذابَ المَوعُودَ يَغشَاهُم بسَبَبِ ظُلْمِهِم -وهو التكذيبُ بآياتِ الله- فيَشْغَلُهم عن النُّطقِ والاعتِذارِ كقَولِه: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ [المرسلات ٣٥/٧٧].

قوله: (أو أراد: أمَا كان)... إلخ عطف على جملة قوله: (﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بها للتبكيت). وحاصل الوجه الأوّل: أن تنظر إلى خصوص ﴿أَكَذَّبْتُم﴾ وتُقدِّر الثاني خاصًّا مثله؛ ليتطابق الطرفان، فيكون المعنى: أكذّبتم أم صدّقتم؟ ولكن عُدل عن لفظِ "أصدّقتم" لكراهة الاستفسار عن تصديقهم مع العلم بأنّه لم يتحقّق أصلًا، فعُدِل إلى ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ على ما مرّ تحقيقه. وحاصل الوجه الثاني: أن تنظر إلى عموم ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فتجعل الأوّل عامًّا؛ ليتطابق الطرفان أيضًا، فيقال: المعنى: أما كان لكم عمل أصلًا إلّا التكذيب بالآيات أم ماذا كنتم تعملون غير التكذيب بالآيات؟ أي: ما عملتم غير التكذيب شيئًا، فكان الثاني لتحقيق المراد بالأوّل كما ذكرنا في الوجه الأوّل. والمعنيان متقاربان محتاجان في التفرقة بينهما إلى التأمّل، ويتّضح المعنى فيهما على مَن يسّره الله تعالى[1] عليه بتأييده وتوفيقه.

قوله: (وإنّما خُلِقوا للإيمان) حال، أو جملة معترضة.

قوله: (يريد)... إلخ، إشارة إلى أنّ المراد بـ﴿ٱلْقَوْلُ﴾ هنا مقتضى القول؛ وهو العذاب، يعني: إذا سُئلوا هذا السؤال يغشاهم العذاب، فلا يقدرون على الجواب.

---

[1] ن - تعالى.

﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٨٦﴾

جُعِل الإِبْصَارُ للنَّهار وهو لأَهْلِه.

فإن قلتَ: ما لِلتَّقابُلِ لم يُرَاعَ في قَوله: ﴿لِيَسْكُنُواْ﴾ و﴿مُبْصِرًا﴾ حَيْثُ كان أحَدُهما عِلَّةً والآخَرُ حَالًا؟

قلتُ: هُو مُرَاعًى من حيْثُ المَعْنَى، وهكذا النَّظْمُ المَطْبُوعُ غيرُ المتكَلَّف؛ لأنَّ مَعنَى ﴿مُبْصِرًا﴾: لِيُبْصِرُوا فيهِ طُرُقَ التَّقلُّبِ في المكَاسبِ.

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ۝٨٧﴾

فإن قلتَ: لمَ قِيل: ﴿فَفَزِعَ﴾ دُونَ: فيَفزَعُ؟

قلتُ: لِنكتَةٍ، وهي: الإشعَارُ بتَحقُّقِ الفَزعِ وثبُوتهِ، وأنَّه كائنٌ لا محَالةَ وَاقِعٌ عَلى أَهْلِ السَّماواتِ والأرضِ؛ لأنَّ الفِعْلَ المَاضيَ يدُلُّ عَلى وجوُدِ الفعْلِ وكَوْنهِ مَقْطُوعًا بهِ، والمرادُ: فَزَعُهُم عِنْد النَّفخَةِ الأُولَى حِينَ يَصْعَقُونَ.

﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾: إلَّا مَن ثَبَّتَ اللهُ قَلبَهُ ....

قوله: (وهكذا)... إلخ، جملة معترضة. وقوله: (وهكذا) إشارة إلى رعاية التقابل مِن حيث المعنى، فكأنّه قال: النظم الطبيعيّ يُراعى فيه التقابل مِن حيث المعنى، والمراد بـ"النظم المطبوع": النظم المستحسَن، وهو مَفعول مِن الطَّبع؛ وهو ابتداء صنعة الشيء، يقال: طبع اللَّبِن والسيفَ إذا عمِلهما،[١] فأصل "المطبوع" هو الذي على أصل الخِلقة التي خُلق عليها في بَدء الفطرة التي فُطر الناسُ عليها، كما قال عليه السلام: «كلُّ مولود يولَد على الفِطرة»،[٢] ثمّ صار عامًّا في كلِّ ما كان مستحسَنًا واردًا / على ما يقتضيه الذوق السليم والطبع المستقيم. [٢٣٨و]

---

[١] المُغرب للمطرّزي، «طبع».

[٢] صحيح البخاري، ٢/١٠٠ (١٣٨٥)؛ صحيح مسلم، ٤/٢٠٤٧ (٢٦٥٨).

مِن الملائكةِ، قَالُوا: هُمْ جبريلُ وميكَائيلُ وإسرَافيلُ ومَلَكُ المَوتِ، وقيل: الشُّهداءُ.

وعن الضَّحَّاك: الحُورُ وخَزَنةُ النَّار وَحَملةُ العَرش.

وعن جَابرٍ: مِنهُم مُوسَى لأنَّه صَعِقَ مَرَّةً، ومِثْلُه قَولُه تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر ٦٨/٣٩].

وقُرِئ: ﴿أَتَوْهُ﴾، و: "أَتَاهُ"، و: "دَخِرِينَ"، فالجمعُ عَلى المَعْنَى والتَّوحِيدُ عَلى اللَّفْظِ، والدَّاخِرُ والدَّخِرُ: الصَّاغِرُ.

وقيل: معنى الإتْيَانِ حُضُورُهم المَوْقِفَ بَعْد النَّفخَة الثَّانية، ويجوزُ أَنْ يُرادَ: رُجُوعُهم إلى أَمْرِه وانقيَادُهم له.

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿جَامِدَةً﴾ مِن جَمَدَ في مكَانه: إذا لم يَبْرَحْ، تُجمَعُ الجِبَالُ فتُسَيَّرُ كمَا تُسيِّرُ الرِّيحُ السَّحَابَ، فإذا نَظَر إليها النَّاظِرُ حَسِبَها وَاقِفةً ثابتةً في مكانٍ واحدٍ ﴿وَهِيَ تَمُرُّ﴾ مَرًّا حَثِيثًا كمَا يَمُرُّ السَّحَابُ.

وهكذا الأَجْرامُ العِظَامُ المُتَكَاثِرَةُ العَدَدِ: إذا تَحرَّكَتْ لا تَكَادُ تَتبَيَّنُ حَرَكتُها؛ كما قال النَّابغةُ في صفَةِ جَيْشٍ:

قوله: (مِن الملائكة) "مِن" في "مِن الملائكة" للتبعيض لا للبيان، بدليل قوله:[١] (قالوا: هم جبرئيل)، ولأنّ قوله: ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يدلُّ على أنّ الملائكة يفزَعون إلّا مَن شاء الله تعالى.

قوله: (حثيثًا) أي: مسرعًا. وقوله: (هكذا) إشارة إلى مبهم. وقوله: (إذا تحرَّكت) جملة مبيّنة له.

قوله:

---

[١] ف: قولهم.

بِـأَزْعَـنَ مِثْلِ الـطَّـود تَحسَبُ أَنَّـهُـم وُقُـوفٌ لِحَـاجٍ والـرِّكَـابُ تُـهَـمْلِجُ

﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ مـن المصـادر المؤكِّـدة؛ كقولـه: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ [يونس ١٠/٤، الروم ٣٠/٦، لقمـان ٣١/٩، الزمـر ٣٩/٢٠] و﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة ٢/١٣٨]، إِلَّا أَنَّ مُؤَكِّـدَهُ مَحْذوفٌ وهـو النَّاصِبُ لـ"يَـوم ينفـخُ"، والمعنَـى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ فـكان كَيْتَ وَكَيْتَ أَثَابَ اللهُ المُحْسِنِينَ وعَاقبَ المُجرِمينَ، ثُمَّ قال: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ يُريدُ بـه: الإثابةَ والمُعاقَبةَ، وجَعَلَ هـذا الصُّنْعَ مِـن جُملَةِ الأشـيَاءِ التي أَتقَنَهـا وأَتَـى بها على الحكْمةِ والصَّواب حيثُ قال: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ يَعْنِي: أَنَّ مُقَابَلتَه الحسَنَة بالثَّوابِ والسَّيئةَ بالعِقَابِ مِن جُمْلَةِ إِحْكامِه للأشياء وإِتْقَانِه لها، وإِجرائه لها على قضايَا الحِكمة، ﴿إِنَّهُۥ﴾ عَالِم ﴿بِمَا﴾ يَفعَلُ العبَادُ وبمَا يَسْتوجبُونَ عَليه فَيُكَافِئُهُم عَلى حَسَبِ ذلـك، ثـمَّ لَخَّصَ ذلـك بقَولـه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ إلى آخِرِ الآيتينِ.

(بــأزعَــنَ مـثـلِ الــطَّــوْد)... البيت[١]

"الرَّعْـنُ": أنـف الجبَـل المتقـدّم، والجمـع: الرُّعـون والرِّعـان، ثـمّ يُشـبَّه بـه الجيش، فيقـال: جيشٌ أرْعَـنٌ، ويقـال: الجيش الأرْعَـن: هـو المضطـرب كثـرةً. و"الطَّـود": الجبـل العظيـم. و"الحـاج": جمـع حاجـة. و"الـرِّكاب": المَطِـيّ، لا واحـد لـه مِـن لفظـه. "الهِمـلاجُ" مِـن البراذيـن: واحـد الهَماليـج، ومَشـيها الهَملجة، فارسيّ معرّب، وهـو مشـي سـهل، كالرَّهوَجة.[٢] يقـول: حاربَنـا العـدوُّ بجيش مثلِ الجبـل العظيـم تَحسِـب أنّهـم وقـوفٌ لحاجـة، والحـال أنّ الـرِّكاب تسـرع المشـي.[٣]

قولـه: (إلّا أنّ مؤكّـده محـذوف) استثناء منقطع، فـ"إلّا" فيه بمعنى "لكنّ"، وقولـه: "أنّ مؤكّـده محذوف" في محلِّ اسمه، وخبره محذوف تقديره: لكنّ حذفَ مؤكّده حاصلٌ. وقولـه: (أثابَ الله) "أثاب" هـو الناصب لـ"يوم".

---

[١] ديوان النابغة الجعدي، ص ٤٩.

[٢] انظر: المُغرب للمطرّزي، «هملج».

[٣] انظر: شرح شواهد الكشّاف لمحبّ الدين أفندي، ص ٥٨.

فَانظُر إلى بلاغةِ هذا الكَلام وحُسْنِ نَظْمِه وتَرتيبِه، ومكَانةِ إِضمَادِه ورَصَانةِ تَفسيره، وأَخْذِ بَعْضِه بحُجْزةِ بَعضٍ كأنَّما أُفْرِغَ إِفراغًا وَاحِدًا، ولِأَمْرٍ مَّا أعجَزَ القُوَى وأَخرسَ الشَّقَاشِقَ.

قوله: (ثمّ لخّص)... إلخ، يعني: فصَّل ما أجمَل مِن المقابلة بقوله: ﴿مَن جَآءَ﴾... إلخ.[١]

قوله: (فانظر إلى بلاغة هذا الكلام) يشير المصنّف إلى ترصيف الكلام مِن قوله: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾... إلى ههنا، فإنّ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ إشارة إلى مشارَفة الساعة وظهور أشراطها. وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ﴾ إلى ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ إشارة إلى قيام الساعة وبيان أحوالهم. وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾ إلى ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ بيان القدرة الدالّة على[٢] أنّ إقامة الساعة على الوجه المذكور لا يتعذّر عليه؛ بل هو هيّن عليه. وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ إلى ﴿دَٰخِرِينَ﴾ بدلٌ مِن ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ﴾ إلى ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾ إلى ﴿مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ تصويرٌ وتبيين لأحوال القيامة. وقوله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾... إلخ لِما أشار المصنّف إليه ههنا، ثمّ أشار بقوله: ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ إلى أنّ إحاطته بما يفعلون يقتضي أن يُثابوا ويُعاقبوا على حسب أعمالهم. وتمام بيانه أن نقول: لمّا بيّن تعالى وقوعَ الساعة ثمّ وقوعَ الساعة ودخولَ بعضهم النار، وهو الفوج المكذِّب دون غيرهم، وبيّن قدرته على ذلك بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾؛ أشار إلى أنّ دخول بعضهم النار وبعضهم الجنة إنّما هو بحسب أعمالهم [السيّئة][٣] والحسنة بقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ﴾... إلخ؛ لِما عرفت أنّ تقديره: يوم ينفخ أثاب المُحسن وعاقَب المُسيء، وحذف ذلك لدلالة ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌ﴾... إلخ عليه.

قوله: (ومكانةِ إضماده) الضَمْد: العَصْبُ والشَّدُّ، والضِماد: العِصابة.[٤]

---

[١] في ف وقعت هذه الحاشية متأخّرة بعد تاليتها.

[٢] ف - على.

[٣] سقطت في الأصول الخطّيّة، وسياق الكلام والواو بعدها يوجب إثباتها.

[٤] انظر: الصحاح للجوهري، «ضمد».

ونحوُ هذا المصْدَرِ إذا جَاء عقِيبَ كلامٍ جَاءَ كالشَّاهِد بصِحَّتِه والمُنَادِي عَلى سَدادِه، وَأنَّه ما كانَ يَنبَغي أن يكُون إلَّا كمَا قد كانَ، ألَا ترى إلى قَولِهِ: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ و﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة ١٣٨/٢] و﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ [الزمر ٢٠/٣٩] و﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ [الروم ٣٠/٣٠] بعْدَما وسَمَها بإضَافَتِها إليه بسمَةِ التَّعظِيم كيفَ تلاها بقَوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة ١٣٨/٢] ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الزمر ٢٠/٣٩] ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم ٣٠/٣٠].

وَقُرِئَ: ﴿تَفْعَلُونَ﴾ على الخِطاب.

﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ يُريدُ الأَضْعَافَ، وأَنَّ العَملَ يتقضَّى والثَّوابَ يَدُومُ، وشَتَّان مَا بَيْن فعْلِ العَبْدِ وفِعْل السَّيِّدِ.

وقيلَ: ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾؛ أي: له خَيْرٌ حَاصِلٌ من جهَتِها وهو الجنَّةُ.

وعن ابن عباس: "الحسَنةُ": كَلمةُ الشَّهادَةِ.

قوله: (ونحو هذا المصدر) أي: المصدر المؤكّد. وقوله: (يكون) و(كان) تامّة، أي: لا ينبغي / أن يحصل إلّا كما قد حصل. [٢٣٨ظ]

قوله: (بعد ما وَسَمها) "ما" عبارة هنا عن لفظة "الله"، والضمير البارز مِن "وَسَمها" عائد إلى المصادر، يريد: أنّه وَسَم هذه المصادر بسِمة التعظيم بإضافتها إلى اسم الله تعالى، ثمّ أتبعها بقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ﴾، وفيه لفّ ونشر ظاهر.

قوله: (يريد الأضعاف)... إلخ، على الوجه الأوّل: ﴿خَيْرٌ﴾ اسم التفضيل، و"مِن" هي التي تستعمل بها "أفعَل"، وعلى الثاني: صفة مشبَّهة، و"مِن" متعلّقة بمحذوف هو صِفة كما بيّنها.

قوله: (وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما)...[1] إلخ، ما روي عن ابن عبّاس رضي الله عنهما[2] يؤيّد التفسير الثاني.

---

[1] د - رضي الله عنهما. | انظر: جامع البيان للطبري، ٤١/١٠ (الأنعام، ١٦٠/٦).

[2] د - رضي الله عنهما.

وقُرئ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ مَفتُوحًا مع الإضافَةِ لأنّه أُضِيفَ إلى غَيْرِ مُتمَكِّنٍ، ومنصُوبًا مع تَنوينِ ﴿فَزَعٍ﴾.

فإن قلتَ: ما الفرقُ بينَ الفَزَعَيْنِ؟

قلتُ: الفَزعُ الأوَّلُ: هو ما لا يَخلو مِنه أَحَدٌ عِندَ الإحسَاسِ بشِدَّةٍ تقَعُ وهَوْلٍ يَفْجَأُ مِن رُعْبٍ وهَيْبةٍ وإنْ كان المُحِسُّ يأمنُ لَحَاقَ الضَّرر به؛ كما يَدْخُلُ الرَّجُلُ على المَلكِ بصَدْرٍ هَيَّابٍ وَقَلْبٍ وَجَّابٍ وإِن كانَتْ ساعَةَ إعزازٍ وتكرِمَةٍ وإحسَانٍ وتَولِيَة.

وأمَّا الثاني: فَالخَوفُ منَ العَذَاب.

فإن قلتَ: فمَن قَرأَ ﴿مِن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ﴾ بالتَّنوين ما مَعناه؟

قلتُ: يَحتمِلُ مَعْنَيينِ:

مِن فزَعٍ واحِدٍ: وهو خَوفُ العِقَابِ، وأمَّا مَا يَلحقُ الإنسانَ منَ التَّهيُّب والرُّعْبِ لِمَا يَرى من الأَهْوالِ والعظَائمِ فلا يخلُونَّ منهُ؛ لِأن البَشريَّة تَقتضي ذلك، وفي الأَخبار والآثار ما يَدُلُّ عَليه.

و: مِن فزَعٍ شَديدٍ مُفْرطِ الشِّدَّةِ لا يَكتَنِهُهُ الوَصْفُ: وهو خَوفُ النَّار.

"أَمِنَ": يُعَدَّى بالجَارِّ وبنَفسِه؛ كقَوله تعَالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف ٩٩/٧].

وقيل: "السَّيِّئةُ": الإِشْرَاكُ.

قوله: (مع الإضافة) أي: مع إضافة ﴿فَزَعٍ﴾ إليه.[١]

قوله: (مِن رُعْب) بيان "ما".

قوله: (وتَولية) أي: جعلِه واليًا.[٢]

---

[١] قوله تعالى: ﴿مِن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ﴾ فيه ثلاث قراءات صحيحة: ﴿مِن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ﴾ بالتنوين في ﴿فَزَعٍ﴾ وفتح الميم من ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي وخلف. ﴿مِن فَزَعِ يَوْمَئِذٍ﴾ بترك التنوين من ﴿فَزَعِ﴾ وفتح الميم من ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، وهي قراءة نافع وأبي جعفر. ﴿مِن فَزَعِ يَوْمِئِذٍ﴾ بترك التنوين من ﴿فَزَعِ﴾ وكسر الميم من ﴿يَوْمِئِذٍ﴾، وهي قراءة ابن كثير وابن عامر وأبي عمرو ويعقوب. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٤٠/٢.

[٢] ن: والباء.

يُعبَّرُ عَن الجُملَةِ بالوَجْه والرَّأس والرَّقبَة؛ فكأنَّه قيل: فكُبُّوا في النَّار؛ كقوله: ﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا﴾ [الشعراء ٢٦/٩٤].

ويجوز أَنْ يكُونَ ذِكرُ الوجُوه إيذانًا بأنَّهُم يُكبُّونَ عَلى وجُوههم فيها مَنْكُوسينَ.

﴿هَلْ تُجْزَوْنَ﴾ يجوزُ فيه الالتِفَاتُ، وحكَايةُ ما يُقالُ لَهُم عندَ الكَبِّ بإضمَارِ القَول.

﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَاْ ٱلْقُرْءَانَۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾

أَمَر رسُولَهُ بأن يقُول: ﴿أُمِرْتُ﴾ أَن أَخُصَّ اللهَ وَحْدَهُ بالعِبَادة ولا أَتَّخذَ له شَرِيكًا كما فَعَلَتْ قُرَيْشٌ، وأنْ أَكُونَ مِن الحُنَفَاءِ الثَّابتينَ على ملَّةِ الإسلام.

﴿وَأَنْ أَتْلُوَاْ ٱلْقُرْءَانَ﴾ من التِّلاوَة، أو مِن التُّلوِّ كقوله: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ [يونس ١٠/١٠٩].

و"البَلْدَةُ": مَكَّةُ حَرَسهَا اللهُ، اختصَّهَا مِن بين سَائر البِلاد بإضَافة اسمِهِ إلَيها لأنَّها أحَبُّ بلادِهِ إليْه وأكرمُها عَليْه وأَعظمُهَا عِنْدَهُ، وهكذا قال رسُول الله صلى الله عليه وسلم حين خرَجَ في مُهَاجَرِهِ فلمَّا بَلغَ الحَزْوَرَةَ اسْتَقبَلهَا بوَجْهِه الكريم فقال: «إنِّي أَعْلَمُ أنَّك أَحبُّ بلادِ الله إلى الله، ولولا أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي ما خَرجْتُ».

وأشَارَ إليها إشارَةَ تعظيمٍ لها وتقْريبٍ؛ دَالًّا على أنَّها مَوْطِنُ نبيِّهِ ومَهْبِطُ وحْيهِ، ووصَفَ ذاتَه بالتَّحريم الَّذي هو خاصُّ وَصْفِهَا فأَجْزلَ بذلك قِسْمَهَا في الشَّرفِ والعُلوِّ، ووصَفَها بأنَّها مُحرَّمةٌ لا يَنْتهِكُ حُرْمَتَها إلَّا ظَالِمٌ مُضَادٌّ لِرَبِّهِ:

قوله: (الحَزْوَرة) الحَزاوِر: الروابي الصِّغار، واحدها: حَزْوَرة؛ وهي تلٌّ صغير.[1]

قوله: (وتقريبٍ)؛ لأنّ ﴿هَٰذِهِ﴾ للقريب،[2] فيدلّ على قرب منزلته مِن الله تعالى.

---

[1] الصحاح للجوهري، «حزر».

[2] ف: للتقريب.

﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج ٢٢/٢٥] لا يُختَلَى خَلاهَا، ولا يُعْضَدُ شجَرُهَا، ولا يُنفَّرُ صَيْدُهَا، واللَّاجئُ إلَيْها آمِنٌ، وجعَلَ دُخولَ كُلِّ شيءٍ تحتَ رُبُوبيَّته ومَلكُوته كالتَّابع لدُخُولِهَا تحتَهما.

وفي ذلك إشَارةٌ إلى أنَّ مَلِكًا مَلَكَ مِثْلَ هذهِ البَلْدَةِ عَظيمُ الشَّأنِ، قَدْ مَلَكهَا ومَلَكَ إليها كُلَّ شَيءٍ.

اللَّهُمَّ بارِكْ لنَا في سُكْنَاهَا، وآمِنَّا فيهَا شَرَّ كُلِّ ذي شَرٍّ، وَلا تَنقُلْنَا مِن جِوَارِ بَيْتِكَ إلَّا إلى دار رَحْمتِكَ.

وقُرِئَ: "التي حَرَّمَها"، "وَاتلُ عَلَيهم هذا القرآنَ" عن أُبيٍّ، "وأن أَتلُ" عن ابن مسعُود.

﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ باتِّبَاعِه إيَّايَ فيما أَنا بصَدَده من توحِيد اللهِ ونَفي الأَنْداد عَنه والدُّخُولِ في المِلَّةِ الحنيفيَّة واتِّباعِ مَا أُنزِلَ عَليَّ مِن الوَحيِ فمنفعَةُ اهتِدائهِ راجِعَةٌ إلَيْه لا إليَّ.

﴿وَمَن ضَلَّ﴾ ولم يَتَّبِعْنِي فَلا عَليَّ وما أَنا إلَّا رسولٌ مُنْذِرٌ، وما على الرَّسُول إلَّا البَلاغُ.

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

ثمَّ أمَرَهُ أَنْ يَحمَدَ اللهَ عَلى مَا خَوَّلهُ مِن نِعْمةِ النُّبوَّةِ الَّتي لا تُوازِيها نِعمَةٌ،

قوله:[١] («لا يُختلَى خلاها»)[٢] أي: لا يُقطع كلأها.

قوله: (لدخولها) أي: "بلدة".

قوله: (وقرئ: "التي") شاذٌّ.[٣] وقوله: (واتلُ) شاذٌّ.[٤]

قوله: (ثمّ أمَر) عطف على قوله: (أمَر رسولَه بأن يقول)، والحاصل: أنّ قوله: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ عطف على قوله: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ﴾ بتقدير: "قل" هناك.

---

[١] ن – قوله.

[٢] من حديث في صحيح البخاري، ٢/٩٢ (١٣٤٩)؛ صحيح مسلم، ٢/٩٨٦ (١٣٥٣).

[٣] عزاها الكرماني إلى ابن مسعود وابن عبّاس رضي الله عنهم. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٣٦٤.

[٤] عزاها الكرماني إلى أبيّ رضي الله عنه. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٣٦٤.

وأنْ يُهَدِّدَ أَعْدَاءَهُ بما سَيُرِيهِم اللهُ مِن آياتِه التي تُلْجِئُهُم إلى المعرفةِ والإقرارِ بأنَّها آياتُ الله، وذلك حينَ لا تَنفعُهُم المَعْرفةُ.

﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ يَعني: في الآخِرة؛ عن الحَسن.

وعن الكلبيّ: الدُّخَانُ وانشِقَاقُ القَمر، ومَا حَلَّ بهمْ مِن نَقِمَاتِ اللهِ في الدُّنيَا.

وقيل: هو كقَوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية [فصلت ٥٣/٤١].

وكُلُّ عَملٍ يَعْمَلُونَه فَاللهُ عَالمٌ بهِ غيرُ غافِلٍ عنه؛ لأنَّ الغَفْلَة والسَّهوَ لا يجُوزَانِ على عَالِم الذَّاتِ وَهُو مِن ورَاء جَزاء العَامِلِينَ.

قُرِئَ ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتَّاء والياء.

عن رسُول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرَأ طس سُليمانَ كان لَهُ مِن الأَجْر عَشْرُ حسَنَاتٍ بعَدد مَن صَدَّقَ سُليمانَ وكذَّبَ به، وهُودٍ وَشُعَيبٍ وَصَالحٍ وَإبْراهيمَ، ويَخرُجُ من قَبْرهِ وهوَ يُنَادِي: لا إلهَ إلَّا اللهُ».

تمّت السورة بحمد الله ومنّه وكرَمه.[1]

---

[1] ف ن – تمّت السورة بحمد الله ومنّه وكرمه.

سورة القصص

مكيَّة، وهي ثمانٍ وثمانون آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسٓمٓ ① تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ② نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ③﴾

﴿مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾ مَفعُولُ ﴿نَتْلُواْ﴾؛ أي: نَتْلُو عَلَيْكَ بعضَ خبَرِهما.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: مُحِقِّين؛ كقَوله: ﴿تُنْبِتُ بالدُّهْنِ﴾ [المؤمنون ٢٣/٢٠].

﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لمَنْ سَبَقَ في عِلْمنَا أنَّه يُؤمِنُ لِأنَّ التِّلاوَة إنَّما تَنفَعُ هَؤلاء دُونَ غَيْرِهم.

سورة القَصص

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: (مُحقِّين) حال مِن الضمير البارز في "نَتلوا".

قوله: (كقوله: ﴿تُنۢبِتُ بِٱلدُّهْنِ﴾[1] [المؤمنون ٢٣/٢٠]) مِن: أنبَت، بمعنى: نبَت، قال:

رأيتُ ذوي الحاجات حولَ بيوتهم   قَطينًا لهم حتَّى إذا أنبتَ البقلُ[2]

قوله: (لأنَّ التلاوة) متعلِّق بمحذوف، أي: إنَّما خُصّ هؤلاء بالذِّكر لأنَّ التلاوة إنَّما تنفع فيهم،[3] فكأنَّ التلاوة لهم لا لغيرهم.

---

[1] بضمّ التاء وكسر الباء؛ قرأ بذلك ابن كثير وأبو عمرو ورُوَيس، وقرأ باقي العشرة بفتح التاء وضمّ الباء. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٢٨/٢.

[2] الصحاح للجوهري، «نبت». والبيت لزهير بن أبي سلمى. انظر: شرح شعر زهير لثعلب، ص ٩٢.

[3] ن: فهم.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤﴾

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ﴾ جُملةٌ مُستأنفةٌ كالتَّفسِير للمُجمَل؛ كأنَّ قَائلًا قال: وكيفَ كانَ نَبؤُهما؟ فَقَال: إنَّ فرعَون ﴿عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يَعْنِي: أَرْضَ مَملكتِه، قد طَغَى فيها وجاوَز الحَدَّ في الظُّلم والعَسْفِ.

﴿شِيَعًا﴾: فِرقًا يُشَيِّعُونَه على ما يُرِيدُ ويُطِيعُونَهُ، لا يَملِكُ أحَدٌ منهُم أَنْ يَلويَ عُنُقَهُ، قال الأعشى:

وَبَلْدَةٍ يَرْهَبُ الجَوَّابُ دُلْجَتَها حَتَّى تراهُ عليها يَبْتَغِي الشِّيَعَا

أو يُشَيِّعُ بَعْضُهُم بَعْضًا في طَاعَتِه.

أو: أَصْنَافًا في استخدامِهِ يَسَخِّرُ صِنفًا في بناءٍ، وصِنْفًا في حَرْثٍ، وصِنفًا في حَفْرٍ، ومَن لم يَستعْمِلْه ضَرَب عَليه الجزيَة.

أو: فِرَقًا مُختَلِفةً قَدْ أَغرَى بَينَهُم العَداوَة، وهُمْ بنُو إسرائيل والقِبْطُ.

والطَّائِفةُ المُستضعَفَةُ: بنُو إسرائيلَ.

وسَبَبُ ذَبْح الأَبناء: لأنَّ كاهِنًا قال له: يُولَدُ مَوْلُودٌ في بني إسرائيل يَذْهبُ مُلكُكَ عَلى يدِه.

قوله: (يُشيّعونه) يقال: شيَّع الضيفَ إذا تبِعه.

قوله: (قال الأعشى: وبلدةٍ)... البيت.[١] "البلدة": المفازة. و"الجَوّاب" مِن: جُبْتُ المفازة، أي: قطعتها. وقوله: "دُلْجَتَها" مِن: أدلَج الرجل إذا سار مِن آخر الليل، وادّلج -بالتشديد- إذا قطع الليل كلّه سيرًا. يقول: رُبّ بلدٍ يخاف الجَوّاب أن يسير فيها آخرَ الليل، حتّى تراه يبتغي الشّيَعا، أي: يبتغي فِرَقًا يُشيّعونه في جَوبها، أي:[٢] قطعها.[٣]

---

١ ديوان الأعشى الكبير، ص ١٠٣.

٢ ن: أو.

٣ انظر: شرح شواهد الكشّاف لمحبّ الدين أفندي، ص ١٧٨.

وفيه دلِيلٌ بيِّنٌ عَلى تَخَانَةِ حُمْقِ فِرعَون، فإنَّه إن صَدَّقَ الكاهِنَ لم يَدْفَعِ القَتلُ الكائنَ، وإن كذَّبَ فمَا وَجهُ القَتْلِ.

و﴿يَسۡتَضۡعِفُ﴾ حَالٌ من الضَّمير في ﴿وَجَعَلَ﴾ أو صِفةٌ لِـ﴿شِيَعٗا﴾، أو كلامٌ مُستَأنفٌ، و﴿يُذَبِّحُ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿يَسۡتَضۡعِفُ﴾.

وقَولُه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ بيَانُ أنَّ القَتلَ ما كان إلَّا فِعْلَ المُفسِدين فَحَسْبُ؛ لأنَّه فِعْلٌ لا طَائلَ تَحْتَهُ صَدَقَ الكاهِنُ أو كَذَبَ.

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥﴾

فإن قلتَ: علامَ عُطف قولهُ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ﴾، وعَطفُه عَلى ﴿نَتۡلُواْ﴾ و﴿يَسۡتَضۡعِفُ﴾ غَيرُ سَديدٍ؟

قلتُ: هي جُملةٌ مَعْطُوفَةٌ على قولهِ: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ لأنَّهَا نَظِيرَةُ تِلكَ في وقُوعها تفسيرًا لـ﴿نَبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ﴾ واقتِصَاصًا له ﴿وَنُرِيدُ﴾ حِكايةُ حالٍ ماضِيَةٍ.

قولـه: (غيرُ سديد) أمّا عطفه على ﴿نَتۡلُواْ﴾ فلأنّ قولـه: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ﴾... إلخ كالتفسير لقوله: ﴿نَتۡلُواْ﴾، والتحقيق: أنّه جواب لسؤال سائل يسأل فيقول: كيف ذلك النبأ؟ فبيَّنه بقوله: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ﴾... إلخ. فقوله: ﴿وَنُرِيدُ﴾ مِن تتمّة التفسير، والتفسير لا يصحّ عطفه على المفسَّر. وأمّا عطفه على[1] ﴿يَسۡتَضۡعِفُ﴾ فلأنّه صفة أو حال كما مرّ، وهذا لا يصلح لذلك، أو استئناف كالجواب لسؤال مقدّر، كأنّه قيل: كيف كان جَعْلُه إيّاهم شِيَعًا؟ فقيل: ﴿يَسۡتَضۡعِفُ﴾. ﴿وَنُرِيدُ﴾ لا يصلح للاستئناف.

قوله: (﴿وَنُرِيدُ﴾ حكاية حال ماضية) يشير به إلى وجه الإتيان بالمضارع / في ﴿وَنُرِيدُ﴾، مع أنّ المراد به الماضي، ومع أنّه عطف على قوله: ﴿إِنَّ [٢٣٩و] فِرۡعَوۡنَ﴾، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا﴾ [فاطر ٩/٣٥]،

---

١ ف + ما.

ويجُوز أن يكُونَ حَالًا مِن ﴿يَسْتَضْعِفُ﴾؛ أي: يَسْتَضعِفُهُم فرعَونُ ونحنُ نُرِيدُ أنْ نَمُنَّ عليهم.

فإن قلتَ: كيْفَ يَجْتمِعُ استِضْعَافُهُم وإرادةُ اللهِ المِنَّةَ عَلَيْهم، وإذا أرَاد اللهُ شيئًا كان ولم يَتوقَّفْ إلى وَقتٍ آخَر؟

قلتُ: لمَّا كانَتْ مِنَّةُ اللهِ بخَلاصِهم مِن فرْعَونَ قَريبَةَ الوُقُوعِ جُعِلَتْ إرادةُ وقُوعِها كأنَّها مُقَارِنَةٌ لاستِضْعَافِهِم.

﴿أَيِمَّةً﴾: مُقَدَّمِينَ في الدِّينِ والدُّنيَا يَطَأُ النَّاسُ أعْقَابَهُم.

وعن ابن عبَّاس: قَادَةً يُقتَدَى بهم في الخَيْرِ.

وعن مجاهِدٍ: دُعَاةً إلى الخَيْر.

وعن قتَادَةَ: وُلَاةً؛ كقَوله: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ [المائدة ٥/٢٠].

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ [الحج ٢٢/٦٣]، وقول الشاعر:

فأضرِبُها بلا دَهَش فخرَّتْ صريعًا لليدين وللجِرانِ[١]

قوله: (ونحن نريد) إنّما قدَّر "نحن" ليكون جملة اسميّة، فيكون موضع دخول الواو. ثمّ اعلم أنّ قوله: (أي: يستضعفهم) بيان للوجهين، أي: العطف والحال: أمّا في الحال فلأنّه لا بدّ أن يكون جملة اسميّة ليصحّ دخول الواو. وأمّا في العطف فليكون عطف جملة اسميّة على جملة اسميّة. والظاهر أنّه للوجه الأخير.

قوله: (فإن قلتَ: كيف؟) السؤال على تقدير كونه حالًا، وأمّا على الأوّل فلا يَرِد.

قوله: (قلتُ: لمّا كانت) وأظنّ أنّ الأَولى أن يقال: نريد أن نَمُنَّ عليهم بعد ذلك، وذلك لأنّ "أنْ" للاستقبال، ولا بُعد في أن يقال: يستضعفهم فرعون في حال إرادتنا أن نمُنَّ عليهم بعدَ ذلك.

قوله: (وُلاةً) الوُلاة: جمع الوالي، ووالي البلد: مالِك أمرها، ومصدَره: الوِلاية بالكسر، وأمّا الوَلاية -بالفتح- فالنُّصرة والمحبّة.[٢]

---

[١] لتأبط شرًا في ديوانه، ص ٢٢٥.

[٢] انظر: الصحاح للجوهري، «ولي».

﴿ٱلْوَٰرِثِينَ﴾: يَرِثُونَ فِرعَونَ وقَومَهُ مُلْكَهُم وكُلَّ ما كان لَهُم.

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾

"مَكَّنَ لَهُ": إذا جَعَل له مكانًا يَقعُدُ عليه أو يَرْقُدُ فَوَطَّأَهُ ومَهَّدَهُ، ونَظِيرُهُ: أَرَّضَ لهُ.

ومَعْنى التَمكِينِ لَهُم في الأَرْض -وهي أَرضُ مِصرَ وَالشَّامِ-: أَنْ يَجْعَلَها بحيثُ لا تَنبُو بهم ولا تَغِثُّ عَلَيْهِم كما كانَتْ في أَيَّامِ الجبَابرَةِ، ويُنَفِّذَ أمرهُمْ ويُطْلِقَ أَيدِيَهُم ويُسَلِّطَهُم.

وقرِئَ: ﴿ويَرَى فرعونُ وهامانُ وجنودُهما﴾؛ أي: يَرَوْنَ ﴿مِنْهُم مَّا﴾ حُذِّرُوهُ: من ذهَابِ مُلْكِهِمْ وهَلاكِهِم على يدِ مَوْلُودٍ مِنْهُم.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾

"اليَمُّ": البَحْرُ، قيلَ: هُو نِيلُ مصْرَ.

فإن قلتَ: ما المُرادُ بالخَوْفَينِ حَتَّى أُوجِبَ أَحَدُهَما ونُهِيَ عن الآخَرِ؟

قلتُ: أمَّا الأوَّلُ: فالخَوفُ عليه من القَتْلِ؛ لأنَّهُ كان إذا صاحَ خَافَتْ أَن يَسْمَعَ الجِيرَانُ صَوْتَهُ فيَنُمُّوا عَليه.

وأمَّا الثَّاني: فالخَوفُ منَ الغَرَقِ، ....

قوله: (ولا تغِثُّ) أي: لا يكون رديًّا فاسدًا عليهم، يقال: غثّت الشاة؛ هزُلَت، فهي غثّةٌ، وغَثَّ[1] حديث القوم، أي: فسَد، غثّت عليه الأرض إذا امتنع عليه ما أراده مِنها.[2]

قوله: (وأمّا الثاني: فالخوف)... إلخ، ويحتمل أن يكون "الخوف" في الموضعين بمعنى واحد، وقد نهي عن الخوف بعد الإلقاء في اليمّ بعد أن كانت

[1] ن – وغثّ.

[2] انظر: الصحاح للجوهري، «غثث».

ومِنَ الضَّيَاعِ، ومِن الوُقُوعِ في يَدِ بَعْضِ العُيُونِ المَبْثُوثَةِ مِن قِبَلِ فِرْعَون في تَطَلُّبِ الوِلْدَانِ، وغيْرِ ذلك من المخَاوِفِ.

فإن قلتَ: ما الفرقُ بَين الخَوف والحُزْنِ؟

قلتُ: الخَوفُ غَمٌّ يَلحَقُ الإنسَانَ لمُتوقَّعٍ، والحُزنُ: غَمٌّ يلحَقُهُ لِوَاقِعٍ، وهو فِرَاقُهُ والإخطَارُ به، فَنُهِيَتْ عَنهما جميعًا، وأُومِنَتْ بالوَحْيِ إليها، وَوُعِدتْ ما يُسَلِّيها ويُطَامِنُ قَلبَهَا وَيَمْلؤهَا غِبْطَةً وسُرُورًا: وهوَ رَدُّهُ إلَيْهَا وجَعْلُه مِن المُرْسَلينَ.

ورُوِيَ: أنَّه ذُبِحَ في طَلَب مُوسَى تِسْعُونَ أَلْفَ وَلِيدٍ.

ورُوِيَ: أنَّها حِين أَقْرَبتْ وضَرَبها الطَّلْقُ، وكانَتْ بَعْضُ القَوابلِ المُوكَّلاتِ بحَبَالَى بني إسرائيل مُصَافيةً لها، ....

خائفة قبل الإلقاء، ويدلّ عليه أنّ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ عطفٌ على قوله تعالى: ﴿فَأَلْقِيهِ﴾. وقوله: (مِن الضَّياع) ضاعَ يَضيع ضَياعًا -بالفتح- أي: هلَك، وأمّا الضِّياع[١] فجمع ضَيعةٍ؛ وهي العَقار.[٢]

قوله: (والإخطار) مِن قولهم: أخطَره، أي: أوقعه فيما هو خَطر.

قوله: (ويُطامِنُ) اطمأنّ الرجل، أي: سكَن، وطمأنَ الرجل ظهرَه وطامَنَ[٣] بمعنًى على القلب.[٤]

قوله: (حين أقرَبَت) أقرَبت المرأة إذا قرُبَ وِلادها، وكذلك الفرَس والشاة، فهي مُقْرِب، ولا يقال للناقة.[٥]

قوله: (مُصافيةً) يقال: أصفيتُه وصافيتُه، أي: أخلَصتُه الوُدَّ، وهو مُصافٍ، وهي مُصافية.[٦]

---

١ ف – ضاعَ يَضيع ضَياعًا -بالفتح- أي: هلَك، وأمّا الضِّياع.

٢ الصحاح للجوهري، «ضيع».

٣ في الأصول الخطّيّة: "يطأمن" و"طأمن" بالهمز، وقال الزبيدي: «وطامنه بغير همز؛ لأنّ الهمزة التي دخلت في اطمأن حَذار الجمع بين الساكنين». تاج العروس للزبيدي، «طمن».

٤ انظر: الصحاح للجوهري، «طمن».

٥ الصحاح للجوهري، «قرب».

٦ انظر: الصحاح للجوهري، «صفا».

فقَالَتْ لها: لِيَنفَعْني حُبُّكِ اليَومَ، فعَالَجَتْها، فلمَّا وقَعَ إلى الأرضِ هالَها نُورٌ بين عَيْنَيهِ، وارْتَعشَ كُلُّ مفصِلٍ منها، ودَخَل حُبُّه قَلْبَها، ثم قالَتْ: ما جِئتكِ إلَّا لأَقْبَلَ مَوْلُودَكِ وأُخبِرَ فرعونَ، ولكنِّي وجَدْتُ لابنِكِ حُبًّا ما وَجَدْتُ مِثْلَه، فاحْفَظيهِ، فلمَّا خرَجَتْ جاء عيُونُ فرعَونَ، فَلَفَّتْهُ في خِرْقَةٍ ووَضَعَتْهُ في تَنُّورٍ مَسْجُورٍ لم تَعْلَمْ ما تَصنَعُ لِمَا طَاشَ من عَقْلِهَا، فطَلَبُوا فلم يُلْفُوا شَيئًا، فخَرجُوا وهيَ لا تَدْرِي مكَانَه، فسَمِعَتْ بُكَاءَه من التَّنُّورِ، فانطلَقَتْ إليه وقد جَعَلَ اللهُ النَّارَ عليه بَرْدًا وسَلَامًا.

فلمَّا أَلَحَّ فِرْعَونُ في طَلَبِ الوِلْدانِ أَوْحَى اللهُ إليها: ﴿فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾، وقد رُوِي أنَّها أَرْضَعَتْه ثلاثةَ أَشْهُرٍ في تَابُوتٍ من بَرْدِيٍّ مَطْلِيٍّ بالقَار من داخِلِه.

قوله: (فقالت لها) الظاهر أنّ الفاء في "فقالت" زائدة، وهو خبر "أنّها"، وعاملة في "حين أقرَبت".

قوله: (هالَهَا) هاله الشيء يَهوله هَوْلًا، أي: أفزَعه.[1]

قوله: (لِأقبَل) القوابل: جمع قابلة؛ وهي التي تتلقّى الولد عند وِلادة المرأة، يقال: قبِلت القابِلة بكسر الباء، تَقبَلها بفتحها، قِبالة بكسر القاف.[2] قال الجوهري: «ويقال للقابِلة أيضًا: قَبيل وقَبول»،[3] قَبِلَته قَبولًا، فالفرق بينهما بالمَصدر، مَصدر أحدهما: قَبول، والآخر: قِبالة.[4]

قوله: (جاء عُيون) أي: جواسيس، وسمّي الجاسوس عينًا؛ لأنّ المقصود مِنه عينُه الباصرة. قال في الصِّحاح: «العَين: الدَّيدَبان والجاسوس».[5]

قوله: (وقد روي) هذه جملة معترضة بين قوله: "ألقَته" وبين ظَرفه.

قوله: (مِن بَرْدِيّ) "البَرْدِيُّ": نبات معروف.

---

[1] الصحاح للجوهري، «هول».

[2] تحرير ألفاظ التنبيه للنووي، ص ٢٤٥.

[3] الصحاح للجوهري، «قبل».

[4] ن – قوله: (لِأقبَل) القوابل: جمع قابلة؛ وهي التي تتلقّى الولد عند وِلادة المرأة، يقال: قبِلت القابِلة بكسر الباء، تَقبَلها بفتحها، قِبالة بكسر القاف. قال الجوهري: «ويقال للقابِلة أيضًا: قَبيل وقَبول»، قَبِلَته قَبولًا، فالفرق بينهما بالمَصدر، مَصدر أحدهما: قَبول، والآخر: قِبالة. | وقعت هذه الحاشية في هامش د.

[5] الصحاح للجوهري، «عين».

﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ۝٨﴾

اللامُ في ﴿لِيَكُونَ﴾ هي لَامُ "كَي" الَّتي مَعْناهَا التَّعْليلُ؛ كقَولك: "جِئتُك لِتُكرِمَنِي" سَوَاءً بسَواءٍ، وَلكنَّ مَعْنَى التَّعليلِ فيهَا وَارِدٌ على طَرِيقِ المجَازِ دُونَ الحَقِيقةِ؛ لأنَّه لَم يكُن داعِيَهُم إلى الالتِقَاطِ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وحَزنًا، ولكنْ: المَحبَّةُ والتَّبَنِّي، غَيْرَ أَنَّ ذلك لمَّا كانَ نتيجَةَ الْتِقَاطِهم لَهُ وثَمرَتَهُ شُبّهَ بالدَّاعِي الَّذي يَفْعَلُ الفاعِلُ الفِعْلَ لِأَجْلِهِ، وهو الإكرامُ الَّذي هُو نتيجةُ المجيءِ، والتَّأدُّبُ الَّذي هُو ثَمرةُ الضَّرْبِ في قَولك: "ضَربتُهُ ليَتَأَدَّبَ".

وتحريرُه: أَنَّ هَذه اللَّامَ حُكمُهَا حُكمُ "الأسَد" حيثُ استُعيرَتْ لِمَا يُشْبِهُ التَّعليلَ كما يُستعَارُ الأسَدُ لِمَن يُشْبِهُ الأسَد.

وقرِئ: ﴿وحُزْنًا﴾، وهُما لُغَتَانِ: كالعُدْمِ والعَدَمِ.

﴿كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ﴾ في كلِّ شيءٍ، فلَيس خَطَؤهُم في تَربيَة عَدُوِّهم ببِدْعٍ مِنْهُم، أَو كانوا مُذْنِبينَ مُجْرمينَ فعَاقَبهُم اللهُ بأَن رَبِّيَ عَدُوُّهُم ومَنْ هُو سبَبُ هَلاكِهِم عَلى أَيْدِيهم.

قوله: (كقولك: جئتك) خبر مبتدأ محذوف، أي: هي كقولك، أو خبر بعد خبر لقوله: (هي)، وعلى التقديرين فالمضاف محذوف، فالتقدير: كـ"لامِ" قولك، أي: مثلَ اللامِ في قولك، و"سواءً" بمعنى: مستويًا؛ حال، فكأنّه قيل: مستويًا مقابَلًا بمستوٍ. وقوله: (داعيَهم) بفتح الياء؛ لأنّه خبر / "يكن"، والاسم "أن يكون"، ويجوز إسكان الياء على أنّه اسم "كان"، والخبر "أن يكون"، والأوّل أَولى؛ لأنّ "أن يكون" أوغَل في التعريف مِن المضاف إلى المَعرفة. [٢٣٩ظ]

قوله: (ببِدعٍ) شيءٌ بِدْعٌ بالكسر، أي: مُبتَدَع، وفلان بِدْع في هذا الأمر، أي: بَديع.[١]

قوله: (أو كانوا مذنبين) عطف على قوله: (خاطئين في كلّ شيء). واعلم أنّ قوله تعالى: ﴿خَـٰطِـِٔينَ﴾ على الوجه الأوّل: مِن الخَطَأ نقيض الصواب، وقد يُمَدُّ،

---

[١] الصحاح للجوهري، «بدع».

وقُرئ: ﴿خاطِينَ﴾ تَخفيفُ ﴿خَٰطِـِٔينَ﴾، أو: خَاطِينَ الصَّوابَ إلى الخَطأ.

﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾

رُوِيَ: أَنَّهم حينَ التَقَطُوا التَّابُوتَ عَالَجُوا فَتْحَهُ فلم يَقْدِرُوا عَلَيْه، فَعَالَجُوا كَسْرَهُ فَأَعْيَاهُم، فدَنَتْ آسيَةُ فرَأَتْ في جَوْفِ التَّابُوتِ نُورًا، فعَالجَتْه ففَتَحتْهُ، فإذَا بصَبيٍّ نُورُهُ بيْنَ عَيْنَيْهِ وَهُو يَمُصُّ إبهَامَه لَبنًا، فَأَحَبُّوهُ، وكانَتْ لِفرعَونَ بنْتٌ بَرْصَاءُ

وقد قرِئ بهما[1] قوله تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا﴾ [النساء ٩٢/٤]، وتقول مِنه: أخطأتُ وتخطّأتُ بمعنًى.[2] وعلى الوجه الثاني: مِن الخِطْءِ؛ وهو الذنب، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا﴾[3] [الإسراء ٣١/١٧]، أي: إثمًا، تقول مِنه: خَطِئَ يخطَأ خِطْءً وخِطاءةً، على فِعْلة، والاسم الخطيئة على فعيلة، قال أبو عُبيد:[4] «خَطِئ وأخطَأ لغتان بمعنًى واحد»،[5] وفي المثَل: «مع الخواطئ سهمٌ صائبٌ»،[6] يُضرب للذي يُكثِر الخطأ، ويأتي أحيانًا بالصواب.[7]

قوله: (أو خاطين الصواب إلى الخَطأ) مِن قولهم: خَطَوتُ أخْطو. وقوله: "إلى الخَطأ" إمّا متعلِّق بمحذوف، أي: مجاوزًا[8] إلى الخطأ، وإمّا متعلِّق بـ"خاطين" على تضمين معنى "مجاوزين".

قوله: (لَبَنًا) تمييزٌ، أي: يَمصُّ لبَن إبهامِه،[9] وهو مِثل: ﴿وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا﴾ [القمر ١٢/٥٤] في أنّ التمييز في معنى المفعول.

---

[1] القراءة بالمدّ في هذا الموضع شاذّة، وهي مرويّة عن الحسن والأعمش. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ١٤١.

[2] الصحاح للجوهري، «خطأ».

[3] وفيها ثلاث قراءات صحيحة: قرأ ابن كثير بكسر الخاء وفتح الطاء وألف ممدودة بعدها، وقرأ أبو جعفر وابن ذَكوان بفتح الخاء والطاء مِن غير ألف، وقرأ باقي القرّاء بكسر الخاء وإسكان الطاء مِن غير ألف. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٠٧/٢.

[4] في الصحاح: "أبو عبيدة".

[5] الصحاح للجوهري، «خطأ».

[6] انظر: مجمع الأمثال للميداني، ٢٨٠/٢.

[7] الصحاح للجوهري، «خطأ».

[8] ف: مجاوز.

[9] ف ن: إبهامه.

وقالت له الأطِبَّاء: لا تَبرأُ إلَّا مِن قِبَلِ البَحْرِ، يُوجَدُ فيه شِبْهُ إنسَانٍ دَواؤُهَا رِيقُه، فَلطَخَت البَرْصَاءُ بَرَصَها بريقِه فَبرَأَتْ.

وقيل: لمَّا نَظرَتْ إلى وَجهِه برَأَتْ فقَالَتْ: إنَّ هَذه لَنسمَةٌ مُبارَكةٌ.

فهذا أَحَدُ ما عَطَفَهُم عَليه.

فقَال الغُوَاةُ مِن قَوْمِهِ: هُو الصَّبيُّ الَّذي نَحْذَرُ مِنْه فَائذَنْ لنَا في قَتْلِه، فَهمَّ بذلِكَ، فقَالَتْ آسيَةُ: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ فقَال فرعَونُ: لَكِ لا لِي.

ورُوِيَ في حَديثٍ: «لَو قال هُو: قُرَّةُ عَيْنٍ لي كما هُو لَكِ، لهَدَاهُ اللهُ كما هَدَاها»، وهذا على سبيل الفَرْضِ والتَّقدِير؛ أي: لو كان غيرَ مَطبُوعٍ على قَلْبِه كآسيَةَ لقَالَ مِثْلَ قَولِهَا، ولأَسْلَم كما أَسْلَمَتْ، هذا -إنْ صَحَّ الحديثُ- تَأْويلُهُ، وَاللهُ أعْلم بصِحَّتِه.

ورُوي أنَّها قَالَتْ له: لعَلَّه مِنْ قوْمٍ آخَرِينَ ليس من بني إسرائيل.

﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي﴾ خَبرُ مُبْتدَأٍ محْذُوف، ولا يَقْوَى أَنْ تجعَلَهُ مُبْتدَأً و﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ خَبرًا، ولَو نُصِبَ لَكانَ أَقْوَى، وَقراءَةُ ابنِ مَسْعُودٍ دَلِيلٌ عَلى أنَّه خَبَرٌ؛ قَرأ: "لا تَقْتُلُوه قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلك" بتَقدِيمِ ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾.

قوله: (هذا) مبتدأ، خبره قوله: (تأويله).

قوله: (خبر مبتدأ محذوف) أي: هو قرّة عَين.

قوله: (ولا يَقوى) لأنّ الطلب لا يقوى أن يكون خبرًا. وقوله: (لكان أقوى)[1] أي: أقوى مِن أن تجعل قوله: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ﴾ مبتدأ ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ خبره، فإنّ "زيدًا لا تضربْه" أقوى مِن "زيدٌ لا تضربْه"، لكن يرِد عليه أنّه قال: "لا يقوى"،[2] وهذا دلّ على أنّه ليس بقويّ، فلو كان المعنى: أنّ النصب أقوى مِنه لزِم أن يكون ذلك قويًّا حتّى يكون هذا أقوى مِنه، فالوجه أن نقول: هو أقوى مِن أن يُجعل خبر مبتدأ محذوف؛ لِما يلزم مِن الحذف بغير تفسير، بخلاف النصب فإنّ فيه إضمارًا على شريطة التفسير مع الفائدة التي في هذا الباب. وقوله: (قرأ) جملة مبيّنة لما تقدّم.

---

[1] النصب في ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ﴾ شاذّ. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٣٦٦.

[2] د ن: لا تقوى.

﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَا﴾ فإنَّ فيه مخَايِلَ اليُمْنِ ودَلائلَ النَّفعِ لأَهلِهِ، وذلك لِمَا عايَنَتْ منَ النُّورِ وارْتضَاعِ الإبْهَامِ وَبُرْءِ البَرْصَاء، ولعَلَّهَا تَوَسَّمَتْ في سِيمَائِه النَّجَابَةَ المُؤْذِنَةَ بكَوْنهِ نَفَّاعًا.

﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾: أو نَتبنَّاهُ، فإنَّه أَهْلٌ للتَّبَنِّي ولِأَنْ يَكُون وَلَدًا لِبَعض المُلُوك.

فإن قلتَ: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ حَالٌ فما ذُو حَالها؟

قلتُ: ذُو حَالها ﴿ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾، وتقديرُ الكلام: فالتَقطهُ آلُ فرعَونَ ليَكُون لهُم عَدُوًّا وحَزَنًا وقالَت امرأةُ فرعَونَ كذا وهُم لا يَشعُرونَ أنَّهُم على خَطَأٍ عَظيمٍ في التِقَاطهِ ورَجاء النَّفْعِ منه وتبنِّيهِ، وقولُه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ﴾ الآيةَ جُملةٌ اعتراضيَّةٌ وَاقعةٌ بينَ المعطُوفِ والمعطُوفِ عليه مُؤكِّدةٌ لمَعنَى خطَئِهِم، وما أَحسَنَ نَظمَ هذا الكلامِ عند المُرتَاضِ بعِلم محَاسن النَّظْم.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿فَـٰرِغًا﴾: صِفْرًا من العَقلِ، والمعنَى: أنَّها حينَ سَمِعتْ بوقُوعِه في يدِ فرعونَ طَارَ عَقْلُها لِمَا دَهِمَها من فرطِ الجَزعِ والدَّهَشِ، ونَحوُه قَولُه تعالى: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم ١٤/٤٣]؛ أي: جُوفٌ لا عُقُولَ فيهَا، ومِنه بيتُ حسَّانَ:

قوله: (في سيميائه)[١] أي: علامته، شِعر:

غــلامٌ رمــاه الله بـالـحُـسـن يافعًا لـه سِيمياءُ لا يَشُقُّ على البصَرْ[٢]

أي: يفرح به مَن ينظر إليه.

قوله: (وتبنِّيه) عطف على "النفع"، أي: رجاءَ النفع ورجاءَ تَبَنِّيه، وهو معنى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾.

قوله: (محاسِن النظم) الحُسن: نقيض القُبح، والجمع: المحاسن على غير قياس.

---

[١] في مطبوع الكشّاف: "سيمائه".

[٢] لأسَيد بن عنقاء الفزاري في لسان العرب لابن منظور، «سوم».

أَلَا أَبْـلِـغ أبَـا سُـفـيَـانَ عَـنِّي فَـأَنْـتَ مُـجَـوَّفٌ نَـخِـبٌ هـواءُ

وذَلك أَنَّ القُلُوبَ مراكِزُ العُقول، أَلَا ترَى إلى قَوله: ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [الحج ٤٦/٢٢]، ويَدُلُّ عَليه قراءةُ مَن قَرأَ: "فَزِعًا"، وقُرئَ: "قَرِعًا"؛ أي: خَالِيًا، من قَولهم: "أَعُوذ بالله من صَفَر الإنَاءِ وقَرَعِ الفِنَاءِ"، و: "فِزْغًا" من قولهم: "دماؤُهُم بَيْنَهُم فِزْغٌ"؛ أي: هَدَرٌ.

يعني: بطَلَ قلبُهَا وذهَبَ وبَقِيَتْ لا قَلْبَ لها مِن شِدَّةِ ما ورَدَ علَيْها.

﴿لَتُبْدِى بِهِۦ﴾: لتُصْحِرُ بِهِ، والضَّميرُ لمُوسَى، والمرَادُ: بأمْرِه وقصَّتِه وأَنَّهُ وَلَدُهَا.

﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ بِإلهَام الصَّبرِ؛ كما يُرْبَطُ على الشَّيءِ المُنفَلِتِ ليَقرَّ ويَطمئِنَّ.

﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: منَ المُصَدِّقِينَ بوَعدِ اللهِ، وهُو قَولُه: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾.

ويجوز: ﴿وَأَصْبَحَ﴾ فُؤادُهَا ﴿فَرِغًا﴾ من الهَمّ حينَ سمِعَتْ أنَّ فِرعَون عَطَفَ عليه وتبَنَّاهُ ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى﴾ بأَنَّهُ وَلَدُها؛ لأَنَّها لم تَملِك نفسَها فَرَحًا وسُرُورًا بما سمِعَتْ ﴿لَوْلَآ﴾ أنَّا طَامَنَّا قَلْبَها وسَكَّنَّا قَلَقَهُ الذي حَدَثَ به من شِدَّةِ الفَرحِ والابْتِهاجِ ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الواثِقينَ بوَعْد الله، لا بِتَبَنِّي فرعَونَ وتَعطُّفِهِ.

قوله: (نَخِبٌ) يقال: رجل نَخِبٌ بكسر الخاء، أي: جبان لا فؤاد له.[١]

قوله: (مِن صَفَرِ الإناء)... إلخ، الصَّفَر: مصدر قولك: صَفِرَ الشيءُ بالكسر، أي: خلا، يقال: "نعوذ بالله مِن صَفَر الإناء، وقَرَعِ الفِناء"، يعنون به: هلاك المواشي.[٢] "قرَع" مِن قولهم: "قَرَع الفِناء، فخلا مِن النَّعَم".[٣]

قوله: (لَتُصْحِرُ به) أصحَرَ الرجل: خرَج إلى الصحراء.[٤] والباء في "به" للتعدية، فكأنّه لَتخْرِجه إلى الصحراء، / بمعنى: تظهره وتبيّنه إظهارًا وتبيينًا واضحًا مكشوفًا. [٢٤٠و]

قوله: (حدث به) أي: فيه. وقوله: (مِن شدّة) للابتداء متعلِّق بـ"حدث".

---

[١] الصحاح للجوهري، «نخب».

[٢] الصحاح للجوهري، «صفر».

[٣] انظر: الصحاح للجوهري، «قرع»، وفيه: "إذا خلا من الغاشية".

[٤] الصحاح للجوهري، «صحر».

وقُرِئ: "مُؤسَى" بالهَمز: جُعِلَتِ الضَّمةُ في جارةِ الواو -وهي الميمُ- كأنَّها فيها، فهُمِزَتْ كمَا تُهمَزُ واوُ "وُجُوهٍ".

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١١﴾

﴿قُصِّيهِ﴾: اتَّبِعي أَثَرهُ وتتَّبعي خبَرَهُ.

وقرئ: "فبَصِرت" بالكَسر، يُقالُ: "بَصُرْت بهِ عن جنْبٍ" و"عن جَنابَةٍ" بمَعْنَى: عَن بُعْدٍ.

وقرئ: "عَن جانِبٍ" و: "عن جنْبٍ"، والجَنْبُ: الجَانبُ، يُقَالُ: قَعدَ إلى جَنْبِهِ وإلى جَانبهِ.

أي: نَظَرَتْ إليهِ مُزوَرَّةً مُتجَانِفةً مُخاتِلَةً وهم لا يُحسُّونَ بأنَّها أُخْتُهُ، وكان اسمُهَا: مَرْيَمَ.

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ۝١٢﴾

"التَّحريمُ": استِعَارَةٌ للمَنعِ؛ لأنَّ مَن حُرِّمَ عليه الشَّيءُ فقَد مُنِعَهُ، ألا تَرى إلى قَولِهم: مَحظُورٌ، وحِجْرٌ، وذلك لأنَّ الله منعَهُ أن يرْضَعَ ثَدْيًا، فكان لا يقبَلُ ثَدْيَ مُرْضِعٍ قَطُّ حتَّى أَهمَّهُم ذلكَ.

و"المرَاضِعُ": جمعُ مُرْضِعٍ، وهي المرأةُ التي تُرضِعُ، أو: جَمْعُ مَرْضَعٍ، وهو موضِعُ الرَّضَاعِ -يَعني: الثَّديَ- أو الرَّضَاعُ.

﴿مِن قَبْلُ﴾: من قَبْلِ قَصِّهِا أثرَهُ.

رُويَ أنَّها لمَّا قالَتْ: ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ قال هامانُ: إنَّها لتَعرفُه وتَعْرِفُ أهلَهُ! فقالَتْ: إنَّما أرَدْتُ: وهُم للملكِ ناصِحُونَ.

قوله: (إلى قولهم: محظورٌ وحِجْرٌ) أي: يقولون للمُحرَّم: محظور؛ مِن الحظر؛ وهو المنع، ويقال للمحرَّم أيضًا: حِجرٌ بكسر الحاء؛ فِعْل بمعنى مفعول، نحو: طِحْنٌ بمعنى مطحون، مِن الحَجْر؛ وهو المنع.

و"النُّصْحُ": إخْلاصُ العَملِ من شَائِبِ الفَسَاد.

﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

فانْطَلَقتْ إلى أُمِّهَا بأَمْرِهم، فجَاءت بها والصَّبيُّ على يدِ فرْعَونَ يُعَلِّلُه شَفقَةً عَلَيْه وهو يَبْكِي يَطْلُبُ الرَّضَاع، فحينَ وجَد رِيحَها استَأْنس والتَقَمَ ثَدْيَها، فقال لها فِرعَونُ: ومَن أَنْتِ مِنْه، فقَد أَبَى كُلَّ ثَدْيٍ إلَّا ثَدْيَكِ؟! قالت: إنِّي امرأةٌ طيِّبَةُ الرِّيحِ طَيِّبَةُ اللَّبن لا أُوتَى بصَبيٍّ إلا قَبِلَني، فدَفعَه إليها وأجْرَى عليها، وذَهبَتْ به إلى بيتِها وأنجَزَ اللهُ وَعْدَهُ في الرَّدِّ، فعندَها ثبَتَ واستَقرَّ في عِلْمهَا أنْ سَيَكُونُ نَبيًّا، وذلك قولُه: ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ يُريدُ: ولِيَثْبُتَ عِلمُهَا ويتَمكَّنَ.

فإن قلتَ: كيفَ حَلَّ لها أنْ تأخُذَ الأَجْر على إرْضاعِ وَلدِها؟

قلتُ: ما كانَتْ تأخذُهُ على أنَّه أَجْرٌ على الرَّضَاعِ، ولكِنَّهُ مالُ حَرْبيٍّ كانَتْ تَأْخُذهُ على وَجْه الاستِبَاحَةِ.

وقولُه: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ دَاخِلٌ تَحتَ عِلْمهَا، المَعْنَى: لِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ ولكنَّ أكثَرَ النَّاس لا يَعْلَمُونَ أنَّه حقٌّ فيَرْتَابُونَ، وَيُشبِهُ التَّعرِيضَ

قوله: (أجرى عليها) في الكواشيّ: «أجرى أجرتها عليه».[1]

قوله: (واستقرّ في علمها) وإنّما استقرّ ذلك في علمها لأنّه وعد بشيئين في قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، فلمّا وقع أحدهما جزم الآخر.

قوله: (قلتُ: ما كانت)... إلخ، ويحتمل أن يقال: إنّما أخذَت[2] الأجرة لأنّها لو لم تأخذها لاتُّهم بأنّها تعرفه.

قوله: (داخل تحت) فكأنّه[3] قيل: لتعلم أنّ أكثر الناس لا يعلمون أنّ وعد الله حقّ، ولذلك قال المصنّف: (ويُشبِه التعريض)، فكأنّها لم تعلم حين جَزِعت

---

[1] تفسير الكواشي، ٣٨٥ظ.
[2] ن: خذت.
[3] ف: وكأنّه.

بما فَرَطَ منها حينَ سَمِعَتْ بخَبَرِ مُوسَى فجزِعَتْ وَأَصْبَحَ فُؤادُهَا فَارِغًا.

يُروَى: أَنَّها حِين أَلْقَتِ التَّابُوت في اليَمِّ جَاءها الشَّيطَانُ فقالَ لها: يا أُمَّ مُوسَى، كرهْتِ أَن يَقتلَ فرعَونُ مُوسى فتُؤجَرِي ثُمَّ ذَهَبْتِ فتولَّيْتِ قَتْلَه؟! فلمَّا أتاها الخَبرُ بأنَّ فرْعَونَ أصابه قالَت: وقَع في يَد العَدوِّ، فنَسيَتْ وَعْدَ الله.

ويجوز أن يَتعلَّقَ ﴿وَلَٰكِنَّ﴾ بقَولِهِ: ﴿وَلِتَعْلَمَ﴾، ومعناه: أَنَّ الرَّدَّ إِنَّما كان لهذا الغَرضِ الدِّيني وهو عِلمُهَا بصِدْقِ وعدِ الله، ولكنَّ الأكثر لا يعلمون بأنَّ هذا هو الغرضُ الأصليُّ الذي ما سِوَاهُ تَبَعٌ له مِن قُرَّةِ العَينِ وذهاب الحُزْنِ.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ١٤﴾

﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾: واعتَدَلَ، وتَمَّ استِحْكامُهُ، وبَلَغ المَبْلَغَ الَّذي لا يُزادُ عَليه؛ كما قال لَقيطٌ:

وَاستَحمِلُوا أَمْرَكُم للهِ دَرُّكُمُ شَزْرَ المَريرة لا قَحْمًا ولا ضَرَعًا

وذلك أرْبعُون سنةً، ويُروَى: أنَّه لم يُبْعَثْ نَبِيٌّ إِلَّا عَلى رأسِ أَربعين سَنَةً.

أنَّ وعد الله حقّ، ثمّ بيّن سبب جَزَعها عند ذلك بقوله: (يُروى)... إلخ.

قوله: (ويجوز أن يتعلّق) فعلى هذا لا يكون ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ داخلًا تحت علمها؛ بل يكون متعلِّقًا مِن حيث المعنى بقوله: ﴿وَلِتَعْلَمَ﴾؛ لأنّه استدراك مِنه، وإذا تأمّلت كلام المصنِّف ظهَر أنّ تعلّقه بقوله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ﴾ باعتبار أنّ ﴿وَلِتَعْلَمَ﴾ علّة له، فلذا قال المصنِّف: "إنّه متعلِّق بقوله: ﴿وَلِتَعْلَمَ﴾".

قوله: (بأنّ هذا) أي: الغرض الدينيّ.

قوله: (استحكامه) استحكَم الأمر، أي: صار مُحكَمًا.

قوله: (قال لَقيط: واستحملوا)... البيتَ، ويُروى هكذا:

وقَلِّدوا أمرَكم لله درُّكمُ رَحْبَ الذراع بأمر الحرب مُضطلِعا
حتّى استمرّت على شَزْرٍ مَريرتُه مستَحكمَ السِّن لا قَحْمًا ولا ضَرَعا[1]

---

[1] بهذا اللفظ في ديوان لقيط بن يعمر، ص ٤٧-٤٩.

"العِلم": التَّوراةُ، و"الحُكمُ": السُّنَّةُ، وحِكمةُ الأنبياء: سُنَّتُهُم، قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ﴾ [الأحزاب ٣٤/٣٣].

وقيل: مَعْناهُ: آتيناهُ سِيرَةَ الحُكمَاءِ العُلماءِ وسَمْتَهم قَبل البَعْث، فكان لا يَفعَلُ فعْلًا يُستَجْهَلُ فيه.

﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ۝١٥ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ۝١٧﴾

"المدينَةُ": مِصْرُ، وقيل: مَدينةُ مَنْف من أَرْضِ مِصْرَ.

"لله دَرُّك"، أي: خيرك وصالح عملك؛ لأنّ الدَرَّ أفضل ما يُحتلَب، وإذا شتَموا قالوا: لا دَرَّ دَرُّه، أي: لا كثُر خيرُه ولا زكى[١] عملُه.[٢] و"الشَزْر": الفَتْل الشديد. و"المَرير" مِن المِرّة؛ وهي القوّة، و"المَرير": الحَبل المفتول، أمرَرْتُه إمرارًا، ورجل ذو مِرّة إذا كان سليمَ الأعضاء صحيحَها.[٣] و"القَحْمُ" والقَحْمة: الشيخ والشيخة الخَرِفان. ورجل ضَرَع؛ وهو الضعيف. والرَّحْب والرَّحيب: الواسع، و"رَحْبُ الذراع" كناية عن الجُود. وقوله: "مُضطلِعًا"، أي: قويًّا، يقال: اضطَلَع فلان لهذا الحمل إذا قَويَ عليه واحتَمله اضطلاعُه. وقوله: "أمرَكم" يريد به: أمر الإمامة والخِلافة. يقول: قلِّدوا أمرَ الخِلافة رجلًا شَزْر[٤] المريرة، أي: القادر القوي غير[٥] الهرِم الضعيف الرأي والعقل والقوة والقدرة. والغرض مِن الاستشهاد بهذا البيت أنّ وقت تحمُّل الأمور وقتُ بلوغ الأشُدِّ، واستحكام القوّة، وتمام العقل والرأي.[٦]

---

١ ن: زلى.
٢ انظر: لسان العرب لابن منظور، «درر».
٣ انظر: الصحاح للجوهري، «مرر»؛ وجمهرة اللغة لابن دريد، «مرر».
٤ ن: شز.
٥ ن: عند.
٦ انظر: شرح شواهد الكشّاف لمحبّ الدين أفندي، ص ١٧٨.

و"حِينُ غفلتهم": ما بَيْن العِشاءين، وقيل: وَقْتُ القَائلةِ، وقيل: يَومُ عِيدٍ لَهُم هُمْ مُشتَغِلُون فيه بِلَهْوِهِم، وقيل: لمَّا شَبَّ وعَقَلَ أَخَذ يَتَكلَّمُ بالحقِّ ويُنكِرُ عَلَيْهم فَأخَافُوهُ فَلا يَدْخُلُ قَرْيةً إلّا عَلى تَغفُّلٍ.

وقرأ سيبويه: "فاستَعَانه".

﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾: مِمَّن شَايعَهُ عَلى دِينهِ مِن بني إسرائيلَ، وقيل: هُو السَّامريُّ.

﴿مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾: مِن مُخَالفيه مِن القِبْطِ وهو فَاتُونُ، وكانَ يَتَسخَّرُ الإسْرائيليَّ لِحَمل الحَطَب إلى مَطْبَخ فرعَونَ.

و"الوَكزُ": الدَّفعُ بأطرَافِ الأصَابع، وقيل: بجُمعِ الكفِّ، وقرأ ابنُ مسعُود: "فَلكَزَهُ" باللَّام.

﴿فَقَضَىٰ عَلَيۡهِ﴾: فقَتلهُ.

قوله: (القائلة) "القائلة": الظهيرة، يقال: أتانا عند القائلة، وقد يكون أيضًا بمعنى القَيلولة؛ وهي النوم في الظهيرة.[١]

قوله: (بجُمْع الكفّ) "جُمْعُ الكَفِّ" / بالضمّ؛ وهو حين يقبِضها، يقال: ضربتُه بجُمعِ كفّي.[٢] [٢٤٠ظ]

قوله: (وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه:[٣] "فلكَزه")[٤] اللكْزُ: الضَّرب بالجُمع على الصدر، وقيل:[٥] على جميع الجسد.[٦] وقال في المُجمل: «يقال: ضربتُه بِجُمْع كفّي، وبجميع[٧] كفّي».[٨]

قوله: (﴿فَقَضَىٰ عَلَيۡهِ﴾ فقتله) كلُّ شيء فَرَغتَ مِنه وأتممتَه فقد قضيتَ عليه وقضيتَه.

---

١ الصحاح للجوهري، «قيل».
٢ الصحاح للجوهري، «جمع».
٣ د - رضي الله عنه.
٤ قراءة شاذّة، وذكرها الفرّاء بلفظ: "فنكزه" بالنون. انظر: معاني القرآن للفرّاء، ٢/٣٠٤.
٥ في الصحاح: "وقال أبو زيد".
٦ الصحاح للجوهري، «لكز».
٧ ف ن: وبجمع.
٨ مُجمل اللغة لابن فارس، ص ١٩٨.

فإن قلتَ: لِمَ جَعَلَ قَتلَ الكافِرِ من عَمَلِ الشَّيطان وسَمَّاه ظُلْمًا لِنَفسِه واستَغْفَر منهُ؟

قلتُ: لأنَّه قتَله قبْل أن يُؤذَنَ له في القَتل، فكان ذَنْبًا يُستَغفَرُ منهُ.

وعن ابن جُرَيج: ليْس لنَبيٍّ أن يَقتُلَ ما لم يُؤمَرْ.

﴿بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ يجُوز أن يكونَ قسَمًا جَوابُه مَحْذُوفٌ تقْدِيرُه: أُقسِمُ بِإنْعَامِكَ عَليَّ بالمَغفرةِ لأَتُوبنَّ ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾.

وأن يكُون استعطَافًا؛ كأنَّه قال: ربِّ اعصِمْني بحقِّ ما أنعمتَ عليَّ من المَغفرة فلَنْ أَكُونَ إنْ عصَمْتَني ظَهِيرًا للمُجْرِمينَ.

وأرَادَ بمُظَاهَرة المُجْرِمين: إمَّا صُحْبَةَ فرعَونَ وانتظامَه في جُملتِه وتكْثِيرَهُ سَوادَهُ، حَيْث كان يَركَبُ برُكُوبه كالوَلدِ مَع الوالِدِ، وكانَ يُسمَّى: ابنَ فرعَوْنَ.

قوله: (**لأتوبَنَّ فلن أكون ظهيرًا**) فهو عطف على الجواب المحذوف.

قوله: (**وأن يكون استعطافًا**) عطف على "أن يكون". واعلم أنّ قوله تعالى: ﴿بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ -على الوجهين اللذين ذكرهما المصنِّف- قَسَم، والجواب على كلا الوجهين محذوف، غير أنّ الأوّل قسَم لغير الاستعطاف، والثاني للاستعطاف. وقوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَكُونَ﴾ في الوجه الأوّل: عطف على جواب القسَم ودالّ عليه. وفي الجواب الثاني: مسبَّب عن جواب القسم؛ وهو اعصِمْني. وإذا تحقّق لك ما ذكرنا ظهَر لك أنّ في كلام المصنِّف نوعَ تساهلٍ، ويمكن أن يقال: إنّما لم يجعل المصنِّف الثاني مِن القسَم؛ لأنّ القائل[1] إذا قال: بالله لأفعلَنّ كذا؛ انعقد اليمين على القائل، وأمّا لو قال: بالله افعل كذا؛ لا ينعقد اليمين لا على المتكلِّم ولا على المخاطَب، فلذا لم يجعل المصنِّف الثاني مِن القسَم، والله أعلم، ثمّ إنّ ما رواه عن ابن عبّاس رضي الله عنهما[2] إنّما يستقيم على المعنَى الأوّل؛ وهو أن يكون ﴿بِمَآ أَنْعَمْتَ﴾ قسَمًا لا استعطافًا.

---

[1] ن: الفاصل.

[2] د - رضي الله عنهما.

وإمَّا مُظَاهرةَ مَن أَدَّتْ مُظاهَرتُه إلى الجُرْم والإثم كمُظاهَرة الإسرائيليِّ المُؤدِّيةِ إلى القَتل الذي لم يَحِلَّ له، وعن ابن عباس: لَم يَسْتَثْنِ فابتُلِي بِهِ مَرَّة أُخرَى.

يَعْني: لـم يَقُلْ: فلن أكونَ إنْ شاء الله، وهذا نحوُ قولِهِ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [هود ١١/١١٣].

وعَن عطاء رحمه الله: أَنَّ رجُلًا قال له: إنَّ أَخي يَضرِبُ بقَلَمِهِ ولا يَعْدُو رِزْقَهُ، قال: فمَن الرَّأسُ؟ يَعني: مَن يكتُبُ له؟ قال: خالدُ بنُ عَبْد اللهِ القَسْريُّ، قال: فأينَ قولُ مُوسى -وتَلا هذه الآية-؟

وفي الحديث: «يُنَادِي مُنَادٍ يومَ القيَامةِ: أين الظَّلَمَةُ وأشبَاهُ الظَّلمةِ وأعوانُ الظَّلَمةِ، حَتَّى مَن لاقَ لهُم دَواةً أو بَرى لَهُم قَلَمًا، فيُجمعُونَ في تابُوتٍ من حَديدٍ فيُرْمَى بِهِ في جَهَنَّم».

وقيل: مَعْناه: بما أنعَمْتَ عَليَّ منَ القُوَّةِ فلن أسْتَعْمِلها إلَّا في مُظَاهَرة أوْليَائكَ وأَهْلِ طَاعَتِك والإيمانِ بَك، ولا أَدَعُ قِبْطيًّا يَغلِبُ أحَدًا من بني إسرائيل.

وقوله: (وهذا) يعني: أنَّ معنى ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ شبيه لمعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [هود ١١/١١٣]، حيث كان المراد بالمظاهرة: "صحبة فرعون" إلى قوله: "مع الوالد".

قوله: (يضرب بقلمه) مِن قولهم: ضرَب في الأرض إذا ذهَب فيها، والباء في "بقلَمه" للتعدية، كأنّه قال: يتحرَّك[١] القلَم وينقله مِن موضع إلى موضع في القِرطاس؛ لأجل الكتابة، يعني: يكتب بقلَمه. وقوله: (ولا يعدو)[٢] أي: لا يتجاوز عما عُيِّن له مِن الرِّزق، أي: كالأجرة على عمله، وهو كتابته.

قوله: (قال: فمَن؟) أي: قال عطاء. وقوله: (يعني) أي: عطاء. وقوله: (مَن يكتب) يجوز أن يكون "مَن" موصولًا صلته "يكتب له"، فيكون هذا تفسيرًا للرأس في قوله: (فمَن الرأس؟)، ويجوز أن يكون "مَن" استفهاميّة مبتدأ، "يكتب له" خبره، فيكون تفسيرًا لجملة قوله: "فمَن الرأس؟".

---

[١] ف ن: تحرك.

[٢] ف ن: ولا يعدوا.

﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿يَتَرَقَّبُ﴾ المَكرُوهَ -وهُو الاستِقادَةُ مِنه- أو الأخبارَ وما يُقالُ فيه.

ووَصَف الإسرائيليَّ بالغَيِّ لأنّه كان سبَبَ قَتلِ رجُلٍ وهو يُقاتِلُ آخرَ.

﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾

وقرئ: ﴿يَبْطُشَ﴾ بالضَّم.

و"الذي هو عَدُوٌّ لهما": القِبْطيُّ لأنّه ليس عَلى دِينهما، ولأنَّ القِبْط كانُوا أَعْدَاءَ بني إسرائيل.

و"الجبَّارُ": الذي يَفعَلُ ما يُريدُ مِن الضَّربِ والقَتْلِ بظُلْمٍ، لا يَنظُرُ في العَواقب ولا يَدْفَعُ بالَّتي هي أَحْسَنُ.

قوله: (الاستقادة) أي: طلب القَوَد.

قوله: (وما يقال فيه) أي: في شأن القتل، أو في شأن موسى، يعني: يترقّب الأخبار، ويترقّب ما يقوله الناس[1] في شأن هذا القتل، أو في شأن موسى.

قوله: (وقرئ: ﴿يَبْطُشَ﴾) شاذّ.[2]

قوله: (ليس على دِينهما) يدلُّ على أنّ الإسرائيليّ كان مؤمنًا، وقوله قبل ذلك في تفسير ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾: «وأمّا مظاهرة مَن أدّت مظاهرته إلى الجُرم والإثم كمُظاهرة الإسرائيليّ المؤدّية إلى القتل» يخالفه، ويمكن أن يُجاب عنه: بأنّه أراد بكونه مِن المجرمين: أنّ مظاهرته أدّت / إلى الجُرم، لا أنّه [٢٤١و]
كان كافرًا مُجرمًا، وهذا هو الصواب.

---

١ ف - الناس.
٢ القراءة بضمّ الطاء قراءة صحيحة غير شاذّة؛ قرأ بها أبو جعفر المدني أحد القرّاء العشر. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٢٧٤.

وقيل: المُتَعظِّمُ الذي لا يَتواضَعُ لأَمر اللهِ.

ولَمَّا قال هذا أَفشَى على مُوسى، فانتشَر الحديثُ في المَدِينة ورُقِيَ إلى فرعَوْنَ وهَمُّوا بقَتلِه.

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢٠﴾

قيل: الرجُلُ: مُؤمنُ آل فرعوْنَ، وكان ابنَ عمِّ فرعَوْنَ، و﴿يَسۡعَىٰ﴾ يجوزُ ارتفاعُه وَصْفًا لـ﴿رَجُلٌ﴾، وانتصابُه حَالًا عنه لأنَّه قد تخصَّصَ بأنْ وُصِفَ بقَوله: ﴿مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ﴾، وإذا جُعلَ صلةً لـ﴿جَاء﴾ لم يَجُزْ في ﴿يَسۡعَىٰ﴾ إلَّا الوَصفُ.

و"الائتمارُ": التَّشَاوُرُ، يقالُ: الرَّجلان يَتآمَران ويَأتمِرانِ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما يَأمُر صاحِبَه بشَيْءٍ أو يُشِيرُ عليه بأَمْرٍ، والمَعْنى: يَتشَاوَرُونَ بسَببِكَ.

﴿لَكَ﴾ بيانٌ، وليس بصِلةِ ﴿ٱلنَّٰصِحِينَ﴾.

قولـه: (أفشَـى) أي: أفشَـى الإسـرائيليّ الخبَـر علـى موسـى، وإنّمـا قـال: "علـى موسـى"؛ لأنّ وبالـه كان واقعًـا عليـه. فشـا الخبـر يفشـو[1] فُشـوًّا[2] إذا ذاع،[3] وأفشـاه غيـرُه.[4]

قوله: (ورُقّي) رَقِيتُ في السُّلّم -بالكسر- رَقيًا إذا صَعِدت، ورَقّى عليه كلامًا ترقيةً إذا رفع، هكذا في الصِّحاح.[5] وأمّا المصنّف فاستعمله بـ"إلى"، وكأنّها متعلّقة بمحذوف، أي: رُقّي الكلام منتهيًا إلى فرعون.

قوله: (وإذا جُعل صِلةً) أي: جُعل ﴿مِّنۡ أَقۡصَا﴾.

قوله: (ليس بصِلة ﴿ٱلنَّٰصِحِينَ﴾) وذلك لوجهين: الأوّل: أنّ الصِّلة لا تعمل فيما قبل مَوصولها. والثاني: أنّ المجرور لا يعمل فيما قبل الجارّ.

---

[1] ن: يفشوا.
[2] ن: فشوّ.
[3] ن: ذا.
[4] الصحاح للجوهري، «فشا».
[5] الصحاح للجوهري، «رقى».

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾

﴿يَتَرَقَّبُ﴾ التَّعرُّضَ له في الطَّريق، أَوْ أَنْ يُلْحَقَ.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾

﴿تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾: قَصْدَهَا ونَحْوَها، و"مَدْيَنُ": قَريةُ شعَيْبٍ عليه السلام، سُمِّيت بمَدْينَ بن إبراهيمَ، ولم تكُن في سُلْطَانِ فرعون، وبَيْنَها وبينَ مصرَ مَسِيرةُ ثَمانٍ، وكان موسى عليه السَّلامُ لا يَعْرِفُ إليها الطَّرِيقَ.

قال ابنُ عبَّاسٍ: خرَجَ وليس له عِلمٌ بالطَّريق إلَّا حُسْنُ ظنِّه بربِّه.

و"سواءُ السبيلِ": وسَطُه ومُعظَمُ نَهْجِه.

وقيل: خرَجَ حَافيًا لا يَعِيشُ إلَّا بوَرَقِ الشَّجر، فما وصَل حَتَّى سَقَط خُفُّ قدَمِه.

وقيل: جاءهُ مَلَكٌ على فَرسٍ بيَدِه عَنَزَةٌ فانطَلَق به إلى مَدْينَ.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾

قوله: (أو أن يُلحَق) أي: يُدركه الطالبون من قِبَل فرعون. يقال: لحِقه، ولحِق به.

قوله: (ثمانٍ) أي: ثمانِ ليالٍ.

قوله: (إلّا حُسْنَ ظنِّه) استثناء منقطع، أي: لكنَّ حسْنَ ظنِّه هو الذي وجَّهه إلى الطريق.

قوله: (خُفُّ) أراد به جِلدَه، شبَّهه بالخُفِّ الذي يُلبَس.

قوله: (عَنَزةٌ)[1] العَنَزة[2] -بالتحريك-: أطول مِن العصا، وأقصر مِن الرُّمح، وفيه زُجّ كزُجّ الرُّمح.[3]

---

١ ن: عَنَزة.

٢ ف ن: العَنَزة.

٣ الصحاح للجوهري، «عنز». والزُّجُّ: الحديدة التي في أسفل الرُّمح. الصحاح للجوهري، «زجج».

﴿مَآءَ مَدۡيَنَ﴾: ماءَهم الذي يَستَقُونَ منه، وكان بِئرًا فيما رُوي، وَورُودُه: مَجِيئُه والوصولُ إليه.

﴿وَجَدَ عَلَيۡهِ﴾: وَجَد فَوْقَ شَفِيره ومُستَقَاه ﴿أُمَّةً﴾: جماعةً كثِيفَة العَدد ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: من أُناسٍ مُخْتَلِفِينَ.

﴿مِن دُونِهِمُ﴾: في مكَانٍ أَسْفَلَ مِن مكانِهم.

و"الذَّودُ": الطَّردُ والدَّفعُ، وإنَّما كانتَا تَذُودَانِ لأنَّ على المَاء مَن هو أَقْوَى منهما، فلا تتَمَكَّنانِ من السَّقْيِ، وقيل: كانتَا تكرهانِ المُزَاحَمَة على الماءِ.

وقيل: لئلَّا تَختَلِطَ أَغنَامُهُما بأغنَامِهم.

وقيل: تَذُودَانِ عن وجُوهِهما نَظَرَ النَّاظِر لتَستُّرهما.

﴿مَا خَطۡبُكُمَا﴾: ما شَأنُكُمَا، وحَقِيقتُه: ما مَخطُوبُكُما؛ ....

قوله: (شَفيرِه) شَفير كلِّ شيء: حرْفه وطرَفه. والمستَقَى: موضع الاستقاء.

قوله: (وحقيقته: ما مَخطوبكما؟) قال في الصِّحاح: «الخَطْبُ: سبب الأمر، تقول: ما خَطْبك؟».[1] وعلى ما ذكره صاحب الصِّحاح يكون المعنى ههنا: ما سبب ذِيادِكما؟ وأمّا قول المصنِّف: "وحقيقته: مَخطوبكما؟"... إلخ، فوجهه: أن يكون مِن قولهم: خطبْتُ المرأة خِطْبةً، أي: طلبت تزوّجها، وعلى هذا يكون مِن الخاصّ الذي صار عامًّا، ونظيره: تعالَ، وأصله: أن يقوله مَن كان في مكانٍ عالٍ لمَن هو أسفل مِنه، ثمّ كثُر واتُّسِع فيه حتّى عمَّ.[2] وكذا: الإحلاب، أصله: الإعانة على الحَلْب، ثمّ صار عامًّا في كلِّ إعانة.[3] وكذا: التوقيت، أصله: تعيين الوقت، ثمّ يستعمل في كلِّ تعيين.[4] والتحقيق: أنّه لا منافاة بين كلامَيهما؛ بل المعنى واحد؛ لأنّ المطلوب مِن[5] الأمر هو السبب الحامل عليه، فتأمّل، ويدلّ على ما ذكرنا قوله بعد ذلك في الجواب: "سألَهما عن سبب الذَّود".

---

[1] الصحاح للجوهري، «خطب».
[2] انظر: الصحاح للجوهري، «علا».
[3] انظر: الصحاح للجوهري، «حلب».
[4] انظر: النهاية لابن الأثير، «وقت».
[5] ف + هذا.

أي: مَطْلُوبُكُما من الذِّياد، فسمِّي المخطُوبُ خَطْبًا كما سُمِّيَ المَشْئُونُ شَأنًا في قولك: ما شَأنُكَ؟ يقال: شَأَنْتُ شَأنَهُ؛ أي: قصَدْتُ قصْدَهُ.

وقرئ: "لا نُسْقِي"، و: ﴿يُصْدِرَ﴾، و: "الرُّعَاء" بِضمِّ النُّون والياء والرَّاءِ، والرُّعاءُ: اسْمُ جَمْعٍ كالرُّخَالِ والثُّنَاء، وأمَّا ﴿ٱلرِّعَآءُ﴾ بالكَسر فقيَاسٌ كصِيَامٍ وقيَامٍ.

﴿كَبِيرٌ﴾: كَبيرُ السِّنِّ.

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾: فسَقى غَنمَهُما لأَجْلِهما.

ورُوي: أَنَّ الرُّعَاة كانُوا يَضَعُونَ على رَأس البِئر حَجرًا لا يُقِلُّهُ إِلَّا سَبْعَةُ رجَالٍ -وقيل: عشرةٌ، وقيل: أربعُون، وقيل: مئَةٌ- فَأَقَلَّه وَحْدَهُ.

ورويَ: أنَّه سَأَلهُم دَلوًا من ماءٍ فأَعْطَوهُ دَلْوَهُم وقالُوا: اسْتَقِ بها، وكانَت لا يَنزِعُهَا إِلَّا أَربعُون، فَاسْتَقَى بها وصَبَّهَا في الحَوضِ، ودعَا بالبَرَكَة، ورَوَّى غنمَهُما وَأَصْدَرَهُمَا.

ورُوِي: أَنَّه دَفعَهُم عن الماءِ حَتَّى سقَى لَهُما.

قوله: (كالرُّخال)... إلخ، الرِّخِل -بكسر الخاء-: الأنثى مِن ولد الضأن، والذكَر: حَمَل، والجمع: رِخال، ورُخال أيضًا بالضم.[1] و"الثَّنِيُّ": الذي يُلقي ثَنيّته، ويكون ذلك في الظِّلْف[2] والحافر في السنة الثالثة،[3] وفي الخُفّ[4] في السنة السادسة. قال في الصِّحاح: «والجمع: ثُنْيان وثِناءٌ».[5]

قوله: (فأقلّه وحدَه) يقال: أقلّه، أي: أطاقَ حمْلَه.

قوله: (دفَعهم) أي: دفع الناس الذين كانوا على الماء.

---

[1] الصحاح للجوهري، «رخل».

[2] الظِّلْف: ظُفر كلّ ما اجترّ، وهو ظِلْف البقرة والشاة والظبي وما أشبهها. لسان العرب لابن منظور، «ظلف». والمراد هنا: ما له ظِلف؛ وهو البقرة والشاة.

[3] ن: الثالث.

[4] الخف: واحد أخفاف البعير، وهو للبعير كالحافر للفرَس. الصحاح للجوهري، «خفف». والمراد هنا: ما له خفّ؛ وهو البعير.

[5] الصحاح للجوهري، «ثني».

وقيل: كانت بِئرًا أُخرَى عَليهَا الصَّخرةُ.

وإنما فَعَل هذا رَغبَةً في المعرُوفِ وإغاثَةً للمَلْهُوفِ، والمعْنَى: أنّه وصَل إلى ذلك الماء وقد ازدحَمتْ عَليه أُمَّةٌ من أُناسٍ مُختلفةٍ متكاثِفَةِ العَدَد، ورَأى الضَّعِيفَتيْنِ مِن وَرَائِهم مع غُنَيمتِهما مُترَقِّبتيْنِ لفَراغِهم، فمَا أَخطَأتْ هِمَّتُه في دِين اللهِ تلك الفُرصَةَ مع ما كان بهِ منَ النَّصَبِ وسُقُوطِ خُفِّ القَدم والجُوع، ولكنَّهُ رَحمَهُمَا فأغَاثَهُما وكَفَاهُما أَمْرَ السَّقي في مِثْلِ تلك الرَّحمَةِ بقُوَّةِ قَلْبِه وقُوَّةِ سَاعِدِه، وما آتَاهُ اللهُ منَ الفَضْل في متَانَةِ الفِطرَةِ ورَصَانةِ الجِبلَّةِ، وفيه -مع إرادةِ اقتِصَاصِ أَمْرِه ومَا أُوتيَ من البَطش والقُوَّة، وما لم يَغفُلْ عنه عَلى ما كان به من انتهَازِ فُرصَةِ الاحتِساب- ترغِيبٌ في الخَير وانتهَازِ فُرَصِه، وبَعْثٌ عَلى الاقتِداء في ذلك بالصَّالحِينَ والأَخْذِ بسِيَرِهم ومَذاهِبِهم.

فإن قلتَ: لمَ ترَكَ المفعُولَ غيرَ مذكُورٍ في قَوله: ﴿يَسْقُونَ﴾ و﴿تَذُودَانِ﴾ و﴿لَا نَسْقِى﴾؟

قلتُ: لأنَّ الغَرضَ هو الفِعْلُ لا المَفعُولُ، ألَا ترى أنَّه إنما رَحَمهُما لأنَّهما كانتَا على الذِّيادِ وهُم على السَّقيِ، ولم يَرْحَمْهَما لأنَّ مَذُودَهُما غَنمٌ ومَسْقِيَّهُم إبلٌ مثَلًا، وكذلك قَولُهما: ﴿لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ المقصُودُ فيه السَّقيُ لا المَسقيُّ.

قوله: (وقيل: كانت) أي: كانت البئر التي سقى لهما مِنها بئرًا أخرى.

قوله: (وفيه مع إرادة) أي: في قوله تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾... إلخ فائدتان: اقتصاص أمر موسى عليه السلام. والترغيب في الخير.

[٢٤١ظ] قوله:[١] (على[٢] ما كان به[٣] مِن النَّصَب، وسقوط خُفِّ القدم / والجوع) فيجوز أن يعود الضمير مِن "كان" إلى "موسى"، ومِن "به" إلى "ما"، ويجوز العكس.

قوله: (وانتهازِ فُرَصِهِ) انتهزْتُ الفرصة، أي: اغتنمتها، والفرصة: النَّوبة.[٤]

---

[١] ن + حال.

[٢] في مطبوع الكشّاف: "مع".

[٣] ن – به.

[٤] انظر: الصحاح للجوهري، «فرص».

فإن قلتَ: كيفَ طابقَ جَوابُهما سُؤالَهُ؟

قلتُ: سَألَهُمَا عن سَبَبِ الذَّودِ فقَالتَا: السَّبَبُ في ذلك أنَّا امرأتَانِ ضعِيفتَانِ مَسْتُورَتانِ لا نقْدِرُ على مُسَاجَلةِ الرِّجَالِ ومُزَاحَمتِهم، فلا بُدَّ لنَا مِن تَأخير السَّقيِ إلى أَن يَفرُغوا، وما لنا رَجُلٌ يَقُومُ بذلِكَ، وأَبُونا شَيْخٌ قَد أَضعَفَهُ الكِبَرُ فلا يَصْلُح للقِيَامِ بهِ، أَبْلَتَا إِلَيْه عُذْرَهُما في تَولِّيهما السَّقيَ بأَنفُسِهما.

فإن قلتَ: كيف سَاغ لنبيِّ الله الذي هو شُعَيْبٌ عليه السلام أَن يَرْضى لابنَتَيهِ بسَقْيِ المَاشيَةِ؟

قلتُ: الأَمرُ في نفْسِه ليس بمحظُورٍ، فالدِّينُ لا يَأبَاهُ، وأمَّا المُروَّة فالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ في ذلك، والعَاداتُ مُتبايِنةٌ فيهِ، وأَحْوالُ العَرب فيه خِلافُ أحوال العَجم، ومَذهَبُ أَهْل البَدْوِ فيه غيرُ مذْهَبِ أَهْلِ الحَضَرِ، خُصُوصًا إذا كانت الحَالةُ حالةَ ضَرُورَة.

﴿إِنِّي﴾ لأَيِّ شَيْءٍ ﴿أَنزَلْتَ إِلَيَّ﴾ قَليلٍ أو كَثيرٍ غَثٍّ أو سَمينٍ لـ﴿فَقِيرٌ﴾، ....

قوله: (على مُساجلة الرجال) المساجَلة: المفاخرة؛ بأن يفعل مثل فعله في حَرب أو سقي، وأصله: مِن الدلو.[١] وأمّا المذكور في الكتاب فهو مِن قولهم: سجلتُ الماء فانسجل، أي: صببته فانصبّ.[٢]

قوله: (أبلتا إليه عُذرَهما) أي: بيّنتا وأظهرتا، وهو مِن قولهم: ما لم يُبْلِ العذرَ، أي: لم يبيّنْه ولم يُظهره، وهو في الأصل معدّى إلى مفعولين، يقال: أبليتُ فلانًا عذرًا إذا بيّنتَه له بيانًا لا لوم عليك بعده، وحقيقته: جعلتُه باليًا لعُذري، أي: خابرًا له عالمًا بكُنهه، مِن: بلاه إذا خَبَره وجرَّبه، ومِنه: أبلى في الحرب إذا أظهَر بأسه حتّى بلاه الناس وخَبَروه.[٣]

قوله: (لأيّ شيء) يشير به إلى أنّ "ما" موصوفة لا موصولة؛ لأنّه لم يُرد به شيئًا معيّنًا، فلا يكون معيّنًا.

---

١ الصحاح للجوهري، «سجل». وفيه: «السَّجْلُ مذكَّر؛ وهو الدلْو إذا كان فيه ماء».

٢ الصحاح للجوهري، «سجل».

٣ المُغرب للمطرّزي، «بلو».

وإنَّما عُدِّيَ ﴿فَقِيرٌ﴾ باللَّام لأنَّه ضُمِّنَ معنَى: سَائلٌ وطَالِبٌ.

قِيل: ذكرَ ذلك وإنَّ خُضرَة البَقْلِ يتَراءى في بَطْنِه منَ الهُزَال، مَا سَألَ الله إلَّا أَكْلةً.

ويَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ: إنِّي فقِيرٌ منَ الدُّنيا لِأجْلِ ما أنزلْتَ إليَّ مِن خيْرِ الدِّينِ، وهو النَّجَاةُ من الظَّالِمينَ، لأنَّه كان عنْدَ فرعَون في مُلْكٍ وثَرْوَةٍ، قال ذلك رِضًا بالبَدلِ السَنِيِّ وفَرَحًا به وشُكْرًا له.

وكان الظِّلُّ ظِلَّ سَمُرَةٍ.

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ في مَوضِع الحال؛ أي: مُسْتحيِيَةً متَخفِّرةً، وقيل: قد استَتَرَتْ بِكُمِّ دِرْعِهَا.

قوله: (لأجل ما أَنزلتَ) فعلى هذا يكون "ما" موصولة؛ لأنَّه أراد به شيئًا معيَّنًا فتكون معرفة.

قوله: (السَّنِيّ) السَّناء -بالفتح والمدّ-: الرِّفعة، والسَّنيُّ: الرفيع، وأسناه، أي: رفعه، وسنّاه، أي: فتحه وسهَّله، قال:

وأعلَمُ عِلمًا ليس بالظنّ أنّه ... إذا الله سنّى عقد أمرٍ تيسَّرا[1]

قوله: (سَمُرةٍ) السَّمُرة -بضمّ الميم-: مِن شجر الطَّلْحِ، والجمع: سَمُرٌ وسَمُرات.[2]

قوله: (متخفِّرةً) الخَفَر -بالتحريك-: شدّة الحياء، وجارية خَفِرة ومُتخفِّرة.[3]

---

[1] الصحاح للجوهري، «سنا». وأورد البيت بغير نسبة، وقال ابن منظور: «قال ابن بري: هذا البيت أنشده أبو القاسم الزجّاجي في أماليه:

فلا تيأسا واستَغفِرا الله إنّه ... إذا الله سنّى عقدَ شيء تيسّرا»

لسان العرب لابن منظور، «سنا».

[2] في ف وقعت هذه الحاشية متقدمة على سابقتها | الصحاح للجوهري، «طلح».

[3] الصحاح للجوهري، «خفر».

رُوِيَ: أَنَّهما لمَّا رَجَعتَا إلى أَبِيهما قَبْلَ الناس وأَغنامُهما حُفَّلٌ بِطَانٌ قال لهما: ما أَعجلَكُما؟ قالتَا: وجَدْنا رَجُلًا صَالحًا رَحِمَنا فسَقَى لنَا، فقَال لإحْدَاهُما: اذهَبِي فادعِيهِ لي، فتَبِعَها مُوسى فألزقتِ الرِّيحُ ثوبَها بجسَدِهَا فوَصَفَتْهُ، فقَال لها: امْشِي خَلفي وانْعَتِي لي الطَّرِيقَ، فلمَّا قصَّ عليه قصَّتَهُ قال له: لا تخَفْ فلا سُلطَانَ لفرعَوْن بأَرْضِنا.

فإن قلتَ: كيف سَاغ لمُوسى عليه السلامُ أَنْ يَعملَ بقَول امرأةٍ وأَن يَمْشيَ معَها وهيَ أَجْنبيَّةٌ؟

قلتُ: أَمَّا العَملُ بقَول امرأة فكمَا نَعمَلُ بقَول الواحدِ حُرًّا كان أو عَبْدًا ذكَرًا كان أَو أُنثَى فِي الأَخبَار، وما كانت إلَّا مُخْبِرةً عن أبيها بأنَّه يدْعُوهُ ليَجزيَه، وأمَّا مُمَاشَاتُه امرأةً أَجنبيَّةً فلا بَأس بها في نظَائر تِلك الحَالِ مع ذلك الاحتِياط والتَّورُّعِ.

فإن قلتَ: كيف صَحَّ له أَخذُ الأَجْر على البِرِّ والمَعرُوف؟

قلتُ: يجوز أَن يَكُون قد فعَل ذلك لوَجْه اللهِ وعلى سبيل البرِّ والمَعرُوف.

وقِيلَ: إطْعَامُ شُعَيْبٍ وإحسَانُه لا على سبيلِ أَخْذِ الأَجْرِ، ولكنْ عَلى سبيل التَّقبُّلِ لمَعرُوفٍ مُبْتَدَإٍ، كيْفَ وقد قصَّ عليه قَصَصَه وعَرَّفَهُ أنَّه من بَيْتِ النُّبوَّةِ من أوْلادِ يَعقُوبَ، ومِثْلُهُ حَقِيقٌ بأن يُضيَّفَ ويُكَرَّم، خصُوصًا في دار نبيٍّ من أَنبياء الله وليسَ بمُنْكَرٍ أن يفعَلَ ذلك لاضْطِرارِ الفَقرِ والفَاقةِ طَلَبًا للأَجرِ؟

وقَد رُوِيَ ما يَعْضُد كِلَا القَوْلين: رُوِيَ أَنَّها لمَّا قالت: ﴿لِيَجْزِيَكَ﴾ كَرِهَ ذلك،

قوله: (حُفَّلٌ) ضَرْع حافل، أي: ممتلِئ لبَنًا، والجمع: حُفَّلٌ، مثل: جاهل وجُهَّل.[1] وقوله: (بِطانٌ) البَطين: العظيم البَطن.

قوله: (فتبعها موسى) الفاء فاء فصيحة، أي: فذهبت فدَعته فتبِعها.

قوله: (فوَصَفه) الثوب الرقيق يصِف ما تحته كما يصِف الرجل سِلْعته.

قوله: (روي أنّها)... إلخ، هذا يَعضُد القولَ الأوّل.

---

[1] انظر: الصحاح للجوهري، «حفل».

ولمَّا قُدِّمَ إليه الطَّعَامُ امتَنع وقال: إنَّا أَهْلُ بَيتٍ لا نبِيعُ دِينَنا بطِلاعِ الأَرضِ ذَهبًا، ولا نأخُذُ عَلى المعروفِ ثَمنًا، حتَّى قال شُعيبٌ: هذه عَادَتُنا مع كُلِّ مَن يَنْزِلُ بنَا.

وعن عطَاء بن السَّائب: رَفع صَوْتَهُ بدعَائه ليُسْمِعَهما، فلذلك قِيلَ له: ﴿لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ﴾؛ أي: جَزاءَ سَقيِك.

و"القَصَصُ": مَصْدرٌ -كالعَلَل- سُمِّي به المقصُوصُ.

كُبْراهُمَا: كانَتْ تُسَمَّى: صَفراءَ، وَالصُّغْرَى: صُفَيْراء، وصَفْراءُ: هيَ التي ذَهبَتْ به وطَلبتْ إلى أَبيهَا أَنْ يَستأجرَهُ وهي التي تَزوَّجَها.

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنه: أَنَّ شُعَيبًا أَحفَظَتْه الغَيرةُ فقَالَ: وما عِلْمُكِ بقوَّتهِ وأمَانَتِه؟ فذَكَرتْ إقْلالَ الحَجر ونَزْعَ الدَّلْوِ وأنَّه صَوَّبَ رَأسَهُ حَتَّى بَلَّغَتهُ رسَالَتَهُ وأمَرهَا بالمَشي خلْفَهُ.

قوله: (بِطِلاعِ الأرض) طِلاع الشيء: مِلؤه.

قوله: (رفع صوتَه) أي: رفع موسى. وقوله: (بدعائه) وهو قوله: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾، وهذا يَعضد القول الثاني.

قوله: (وطلَبت إلى أبيها) ضمَّن[1] قوله: "طلَبت" معنى: توجَّهت، فلذلك عدّاه بـ"إلى"، فكأنّه قال: توجّهتْ إلى أبيها طالبةً، ولا يبعُد أيضًا أن يقال: إنّ "طلَب" تعدّى بـ"إلى"، وقد استعمله الجوهري في الصِّحاح كذلك، فقال: «يقال: عمِل عملًا، وأعمله غيرُه، واستعمَلَه أيضًا، أي: طلب إليه[2] العمل».[3]

قوله: (أحفَظَتْهُ) أي: أغضبَتْه، والحَفيظة: الغضب والحميّة، وكذلك الحِفْظة بالكسر، وقد أحفَظْتُه فاحتَفظ، أي: أغضبْتُه فغَضِب.[4]

قوله: (وأنّه صوَّب)[5] أي: أنّ موسى صوَّب رأسه، أي: خفضه عند أدائها الرسالة مِن أبيها.

---

[1] ف: ضنّ.
[2] ف: عليه.
[3] الصحاح للجوهري، «عمل».
[4] الصحاح للجوهري، «حفظ».
[5] ن: صوّب.

﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾

وقَولُهَا ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ كَلامٌ حَكيمٌ جَامِعٌ لا يُزادُ عَليه؛ لأنَّه إذَا اجتَمَعتْ هَاتانِ الخصْلَتانِ -أَعْني: الكِفَايةَ والأَمانَة- في القائِم بأمرك فقد فَرغَ بالُكَ وتمَّ مُرادُكَ، وقد استَغْنَتْ بإرسَال هذا الكلامِ الَّذي سيَاقُه سيَاقُ المَثلِ والحِكمة أَن تقُولَ: استأجِرهُ لِقُوَّته وأَمَانَته.

فإن قلتَ: كيفَ جُعِل ﴿خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ﴾ اسمًا لـ﴿إِنَّ﴾ و﴿ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ خبرًا؟

قوله: (بإرسال) أي: إطلاق.

[٢٤٢و] قوله: (فإن قلتَ: / كيف جعل)... إلخ؟ وجه السؤال أن يقال: كيف ساغ أن يكون خبر "إنّ" أعرف مِن اسمها، فإنّ المعرَّف باللام أقوى في التعريف مِن المضاف، قال بعض شارحي المفصّل:

> المُضمَر أعرَف المعارف؛ لأنّ الشيء لا يُضمَر إلّا وقد عُرِف، وهو بمنزلة وضع اليد، ولذا[١] لا يوصف كسائر المعارف، ثمّ العَلَم؛ لأنّه موضوع على شيء بعينه لا يقع على غيره، ثمّ المُبهم؛ لأنّه يُعرف بالعين والقلب، كقولك: "هذا" للحاضر بين يديك،[٢] ثمّ المحلّى باللام؛ لأنّه يعرَف بالقلب لا غير، ثمّ المضاف؛ لأنّ تعرُّفه مِن غيره.[٣]

ثمّ إنّ المصنِّف رحمه الله[٤] ذكر في الجواب: أنّه مثل ما ورد في قول الشاعر، فإنّه جعل الأعرَف[٥] خبرًا؛ وذلك لأنّ المضاف إلى العلَم أعرف مِن المضاف إلى المعرَّف باللام، ثمّ أشار إلى أنّ سبب ذلك في البيت والآية: شدّة الاهتمام والعناية بما جعل اسمًا. واعلم أنّ هذا الذي بنى المصنِّف السؤال عليه مذهب بعض النُّحاة، ويقول بعضهم: يعتبر أمر المضاف بما أُضيف إليه، وقد ذكر هذا الشارح قُبيل هذا في شرح المفصّل: «أنّ المضاف إليه لمّا نزّل منزلة التنوين

---

١ ف ن: فلذا.

٢ ن: للحاضرين بذلك.

٣ لم يتبيّن لي مِن أيّ شروح المفصّل نقل هذا الكلام. وانظر: شرح المفصّل لابن يعيش، ٣/٥٦؛ وشرح المفصّل للخوارزمي، ٢/٣٨٠.

٤ د – رحمه الله.

٥ ن: الأعرب.

قلتُ: هوَ مِثْلُ قَوله:

أَلَا إِنَّ خيْرَ النَّاسِ حَيًّا وهَالِكًا   أسيرُ ثَقِيفٍ عِنْدَهُم في السَّلاسل

في أَنَّ العنايةَ هي سَببُ التَّقدِيم، وقد صَدَقَتْ حَتَّى جُعِلَ لها ما هُو أحَقُّ بأنْ يكُونَ خَبرًا اسْمًا، ووُرُود الفعْلِ بلَفْظِ المَاضي للدَّلَالةِ على أنَّه أَمْرٌ قَد جُرِّبَ وعُرِفَ، ومنه قَولُهم: "أَهْوَنُ ما أَعْمَلْتَ لسَانٌ مُمِخٌّ".

مِن المضاف تَنزّلا لذلك منزلة شيء واحد، فلمّا امتزجا معنًى كان الامتزاج المعنويّ على قدر الامتزاج اللفظيّ، إذ الألفاظ قوالب المعاني، فيعتبر أمر المضاف بما أضيف إليه».[١]

وقوله: (حيًّا وهالكًا) يجوز أن يُنصبا[٢] على الحال، والعامل "خير"، فكأنّه قال: خير الناس حال كونه حيًّا وهالكًا، ويجوز أن يَنتصبا على التمييز، فكأنّه قال: خير الأحياء والأموات مِن الناس. وقوله: (في أنّ العناية) بالخبريّة. وقوله: (وقد صدقَتْ) أي: العناية. وقوله: (حتّى جُعل لها) أي: جُعل لأجل العناية اسمًا ما هو أحقّ بأن يكون خبرًا. وقوله: (اسمًا) مفعول "جُعل". وقوله: (وورود الفعل) أي: في الآية.

قوله: («أهوَنُ ما أعملتَ لسان مُمِخٌ»)[٣] "مُمِخّ": مِن المُخّ الذي في العَظم، أي: مفيد للناس بحلاوته وحُسنه فائدةَ المخّ في العَظم. يقال: قد أمخَّ العَظم؛ جرى فيه المخّ، وأمخّت الإبل؛ سَمِنَتْ.[٤] وقوله: "أهوَن" أي: أسهل وأخفّ، مِن: هان عليه الشيء هَونًا -بفتح الهاء- أي: خفّ، وهوَّنه الله تعالى[٥] عليه، أي: سهَّله وخفَّفه، وشيء هيّن، أي: سهل، وهَيْن: مخفَّف عنه.[٦] ويقال: عمل عملًا،

---

[١] انظر: شرح المفصّل لابن يعيش، ٨٧/٥.

[٢] ن: تنصبا.

[٣] ذكره الميداني بلفظ: «أهون مرزئة لسان ممخ»، وقال: «المرزئة: النقصان، ومعنى المثل: أهون معونة على الإنسان أن يعين بلسانه دون المال، أي: بكلام حسَن». مجمع الأمثال للميداني، ٤٠٦/٢. وانظر: المستقصى للزمخشري، ٤٤٤/١.

[٤] انظر: الصحاح للجوهري، «مخخ»؛ ولسان العرب لابن منظور، «مخخ».

[٥] ف ن - تعالى.

[٦] الصحاح للجوهري، «هون».

وعن ابن مسْعُود رضي الله عنه: أَفْرسُ النَّاسِ ثَلاثةٌ: بنت شُعَيْبٍ، وصَاحِبُ يُوسُفَ في قَوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَا﴾ [يوسف ٢١/١٢]، وأبُو بَكْر في عُمرَ رضي الله عَنهما.

﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾

رُوِيَ: أنَّه أَنْكَحهُ صَفْراءَ.

وقولُه ﴿هَٰتَيۡنِ﴾ فيه دليلٌ على أنَّه كانَتْ له غَيرُهما.

﴿تَأۡجُرَنِي﴾ مِن أَجزتُه: إذا كُنْتَ له أَجِيرًا؛ كقَولك: "أَبَوْتُه": إذا كُنتَ لَهُ أبًا، و﴿ثَمَٰنِيَ حِجَجٖ﴾ ظَرْفُه.

أو مِن "أَجزتُه كَذا" إذا أَثْبَتَهُ إِيَّاهُ، ومنه: تعِزيةُ رسُول الله صلى الله عليه وسلم: «أَجَرَكُم اللهُ ورَحِمَكُم»، و﴿ثَمَٰنِيَ حِجَجٖ﴾: مَفعُولٌ به، ومَعناه: رِعْيةَ ثمانِي حِجَجٍ.

وأعمله غيره، واستعمله أيضًا، أي: طلب إليه العمل.[١] ومعنى هذا الكلام: الحمل على الكلام السهل الليّن مع الناس، فإنّه يورث المحبّة ويزداد فيها، ولا يكون فيه مشقّة ولا كُلفة على القائل، فالتكلّم بالكلام الهيّن الجميل وإعمال اللسان بذلك أسهلُ مِن إعمال جميع ما أعملت فيه جوارحك، كاليد والرِّجل في الإعطاء[٢] والبذل / والتردُّد والذهاب والمَجيء، فالعاقل ينبغي أن لا يمتنع عن الكلام المفيد، فإنّ غيره ينتفع به وهو لا يتضرّر به. [٢٤٢ظ]

قوله: (وصاحب يوسف) أي: عزيز مِصر.

قوله: (وأبو بكر في عمر) حين أوصى بخلافة عمر رضي الله عنهما.

قوله: (ومِنه تعزية رسول الله عليه الصلاة والسلام: «أَجَرَكمُ الله»)[٣]

---

١ الصحاح للجوهري، «عمل».

٢ ف: الإغطاء.

٣ تاريخ أصبهان لأبي نُعيم، ١١٨/١، بلفظ المصنّف، ولفظه عند ابن أبي شيبة: عن أبي خالد الوالبي أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عزّى رجلًا، فقال: «يرحمه الله ويأجُرك». مصنّف ابن أبي شيبة، ٥٧/٣ (١٢٠٧١).

فإن قلتَ: كيفَ صَحَّ أَنْ يُنكِحَهُ إِحْدَى ابنَتيْهِ مِنْ غَيْرِ تمييزٍ؟

قلتُ: لم يكن ذلكَ عَقدًا لِلنِّكاح ولكنْ مُواعَدةً ومُواصَفةَ أَمْرٍ قد عَزَم عَلَيْه، ولو كان عَقْدًا لَقَال: "قَد أَنكحْتُكَ" ولَم يَقُلْ: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ﴾.

فإن قلتَ: فكيفَ صَحَّ أَنْ يُمْهِرَهَا إجارَةَ نفسِه في رِعْيَةِ الغَنم ولا بُدَّ مِن تَسْليم ما هو مالٌ؟ أَلَا ترى إلى أبي حنيفةَ رحمه الله كيفَ مَنَعَ أَنْ يَتَزوَّج امرأةً بأَنْ يَخدُمَها سنةً، وجَوَّز أَن يَتزوَّجَها بأَنْ يُخْدِمَها عَبدَهُ سَنةً، أو يُسْكِنَها دَارَهُ سَنةً؛ لأنه في الأَوَّل مُسلِّمٌ نفسَهُ وليس بمالٍ، وفي الثاني: هو مُسَلِّمٌ مالًا وهو العَبْدُ والدَّارُ؟

قلتُ: الأَمْرُ على مذْهَبِ أبي حنيفةَ على ما ذكرتَ، وأمَّا الشَّافعيُّ فقد جَوَّز التَّزوُّجَ على الإجارة لبعضِ الأعمال والخِدْمةِ إذا كان المُسْتَأْجَرُ له أو المَخْدُومُ فيه أمرًا مَعْلُومًا، ولعَلَّ ذلك كان جائزًا في تلك الشَّريعَة.

والمفعول الثاني في الحديث محذوف، أي: أجَرَكَ الله الجنّة، أو العِوض الجميل، ومِنه: «اللّهمّ أْجُرني في مصيبتي»،[1] أي: أعطني أجرًا، بمعنى: ثوابًا.

قوله: (وأمّا الشافعي رضي الله عنه)...[2] إلخ، واعلم أنّ كلام المصنِّف يوهِم[3] أنّ[4] مثل ذلك الإنكاح جائز في مذهب الشافعي رضي الله عنه،[5] وليس كذلك، فإنّ الصَّداق في عقد النكاح يجب أن يحصُل للمنكوحة لا لأبيها باتّفاق العلماء؛ وذلك لأنّه بدل بُضْع المرأة، فالوجه في تفسير الآية: أن يكون معنى ﴿تَأۡجُرَنِي﴾: تكون أجيري، مِن: أجَرته إذا كنت له أجيرًا، لا مِن: أجَرتُه، أي: أثبْتُه، وأن يكون شعيب عليه السلام ذكَر لموسى عليه السلام أنّه يريد شيئين: الأوّل: إنكاح إحدى ابنتيه إيّاه. والثاني: أن يكون موسى عليه السلام أجيره،

---

[1] صحيح مسلم، ٦٣١/٢ (٩١٨). قال القاضي: «أجُرني» بالقصر والمدّ، حكاهما صاحب الأفعال، وقال الأصمعي وأكثر أهل اللغة: هو مقصور لا يُمدّ. شرح النووي على مسلم، ٢٢٠/٦.

[2] د – رضي الله عنه.

[3] ن: يوم.

[4] ن: أي.

[5] د – رضي الله عنه.

ويجُوز أَن يكون المَهْرُ شيئًا آخَرَ، وإنَّما أرَادَ أَنْ يكُونَ رَاعيَ غَنمِه هذه المُدَّةَ وأرادَ أَنْ يُنكِحَه ابنَتَهُ، فذكَر له المُرادَيْنِ وعَلَّقَ الإنْكاحَ بالرِّغْيَةِ على مَعْنَى: "إنِّي أَفعَلُ هذا إذا فعَلْتَ ذاك" على وَجْهِ المُعاهَدة لا على وَجْهِ المُعَاقَدَة.

ويجُوز أَنْ يَستأجرَهُ لرِغْيَةِ ثَماني سِنينَ بمَبْلغٍ مَعْلُومٍ ويُوَفِّيَهُ إيَّاهُ ثمَّ يُنكِحَهُ ابنَتَهُ به، ويُجعَلُ قَولُه: ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖ﴾ عبَارةً عمَّا جَرى بينَهما.

﴿فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ﴾ عَملَ عَشْرِ حَججٍ ﴿فَمِنۡ عِندِكَ﴾: فإتْمامُه مِنْ عِنْدِك، والمَعنى: فهُو من عنْدِك لا مِن عنْدِي، يَعْني: لا أُلزِمُكَه ولا أَحتِمُه عَليك، ولكنَّكَ إنْ فَعلْتَه فهُو مِنكَ تَفضُّلٌ وتَبرُّعٌ وإلَّا فلا عليك.

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَ﴾ بإلزَام أتمِّ الأجلَيْن وإيجابِه.

فإن قلتَ: ما حَقيقةُ قولِهم: "شَقَقْتُ عليه" و"شَقَّ عَلَيْه الأَمرُ"؟

قلتُ: حقِيقَتُه: أَنَّ الأَمْرَ إذا تعَاظَمَكَ فكأنَّه شَقَّ عليك ظَنَّكَ باثنَيْنِ، تقُولُ تارةً: "أُطِيقُه" وتَارةً: "لا أُطِيقُه".

لا أنّ هذا عقد نكاح، وإلّا لَما قال: ﴿أُرِيدُ﴾؛ بل قال: أُنكِحك، وأيضًا لو كان هذا عقد نكاح[1] لَما قال: ﴿إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ﴾ على الإبهام، فالوجه أن يُحمل الآية على هذا، فلا يُحتاج إلى أن يقال: هذا جائز على مذهب دون مذهب، ويُستغنى عن التكليفات المُتكلّفة التي تكلّفها المصنّف رحمه الله[2] ههنا، والحمد لله على التوفيق للاطّلاع على الحقائق، والوقوف على الدقائق، إنّه هو الموفِّق والمُعين بفضله وكرمه.

قوله: (ابنتَه به) أي: بذلك المبلغ الذي كان أجَره في استئجار المدّة. وقوله: (عمّا جرى بينهما) أي: مِن عقد الإجارة السابقة، ثمّ مِن جَرْيِ النكاح بالمبلغ الذي هو الأجرة، فعلى هذا يكون قد جرى بينهما عقدان: الأوّل: عقد الإجارة على المبلغ المعلوم. ولمّا تمّ هذا العقد وسلّم شعيب هذا المبلغ إلى موسى وقبضه موسى أنكَحه شعيبٌ ابنته إيّاه بهذا المبلغ.

قوله: (وإلّا فلا عليك) أي: وإن لم تفعله فلا بأس عليك.

---

[1] ن – نكاح.

[2] د – رحمه الله.

أو وَعَدَهُ المُساهَلةَ والمُسَامحَةَ من نَفْسِه وأنَّه لا يَشُقُّ عليه فيما استَأجَرهُ له من رَعْيِ غَنمهِ، ولا يَفعَلُ نحوَ ما يفعَلُ المُعَاسِرُون منَ المُتَسرِّعِينَ؛ من المُناقَشةِ في مُراعَاةِ الأوقاتِ، والمُدَاقَّةِ في استيفَاءِ الأعمال، وتكْلِيفِ الرُّعَاةِ أَشغَالًا خارجَةً من حَدِّ الشَّرط، وهكذا كانَ الأنبياءُ عليهم السلامُ آخِذِينَ بالأَسْمَحِ في مُعامَلاتِ النَّاسِ، ومنه الحديثُ: كان رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم شَرِيكي، فكانَ خَيْرَ شَريك: لا يُدَاري، ولا يُشَارِي، ولا يُمارِي.

وقولُه: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ يَدُلُّ على ذلكَ، يُريدُ بالصَّلاح: حُسْنَ المعاملةِ ووطأَةَ الخُلقِ ولِينَ الجانبِ.

ويجوز أَنْ يُريدَ الصَّلاحَ على العُموم، ويدخُلُ تحتَه حُسْنُ المُعَامَلةِ.

والمرادُ باشتِرَاط مَشِيئةِ الله فيما وَعَد من الصَّلاح: الاتِّكَالُ على تَوفيقهِ فيه ومَعُونتِه، لا أنَّه يَستعمِلُ الصَّلاحَ إنْ شاء اللهُ وإن شاءَ استَعمَلَ خِلافَه.

قوله: («لا يُداري»)... إلخ،[1] دارَى، أي: خالف. وشارَى، أي: لاجَّ.[2] ومارَى، أي: خاصم.

قوله: (لا أنّه يستعمل الصَّلاح) يعني: ليس المعنى: أنّه يستعمل الصَّلاح إن شاء الله تعالى[3] الصَّلاح، وإن شاء الله خلاف الصَّلاح استعمل خلاف الصَّلاح. وإنّما قال المصنّف ذلك إمّا بناءً على مذهبه؛ وهو أنّه لا يجوز أن يشاء الله خلاف الصَّلاح، وإمّا لأنَّ المراد مِن الآية ذلك المعنى؛ وهو الاعتماد على توفيق الله، نقلًا عن أئمة التفسير، فبيّنه المصنّف، ومثله قولهم: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى،[4] وقوله تعالى: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الفتح ٢٧/٤٨].

---

[1] الحديث في سنن أبي داود، ٢٠٦/٧ (٤٨٣٦)، من حديث السائب بلفظ: «صدقتَ بأبي أنت وأمّي؛ كنتَ شريكي فنِعم الشريك، كنتَ لا تداري، ولا تماري».

[2] الملاجّة: التمادي في الخصومة. الصحاح للجوهري، «لجج».

[3] ف – تعالى.

[4] د ن – تعالى. | انظر: شرح النووي على مسلم، ١٥٠/١؛ وشرح صحيح البخاري لابن بطّال، ٨٣/١.

﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ۝٢٨﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ مُبتَدأٌ و﴿بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ﴾ خبَرُه، وهو إشارةٌ إلى ما عَاهَدَه عليه شعَيبٌ، يُريد: ذلك الذي قُلتَه وعاهَدْتَني فيه وشَارَطْتَني عليه قَائِمٌ بَيْننا جميعًا لا يَخْرُجُ كِلَانَا عَنْه: لا أنا عمَّا شَرَطْتَ عَليَّ، ولا أنت عمَّا شَرَطْتَ على نفسِكَ، ثمَّ قالَ: أَيَّ أَجَلٍ قضَيتُ منَ الأَجلين: أَطْوَلَهُما الذي هو العَشْرُ، أَو أقصَرَهما الذي هو الثَّماني ﴿فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّ﴾؛ أي: لا يُعتَدَى عَليَّ في طَلَبِ الزِّيادةِ عليه.

فإن قلتَ: تصَوُّرُ العُدْوَانِ إنَّما هو في أحدِ الأجَلَيْنِ الذي هو الأَقصَرُ وهو المُطَالبَةُ بتتمَّةِ العَشْرِ، فمَا مَعْنى تغليقِ العُدوان بهما جميعًا؟

قلتُ: مَعْناه: كمَا أنِّي إنْ طُولِبْتُ بالزِّيادة على العَشْرِ كان عُدْوَانًا لا شَكَّ فيه، فكذلك إنْ طُولبْتُ بالزِّيادةِ على الثمانِ، أرَاد بذلكَ تقريرَ أَمْرِ الخِيَارِ، وأنَّه ثابتٌ مُستقِرٌّ، وأنَّ الأَجلين على السَّواءِ: إمَّا هذا وإمَّا هذا، من غَيْرِ تفَاوُتٍ بَيْنهُما في القَضاء، وأمَّا التَّتِمةُ فمَوكُولةٌ إلى رَأْيِي: إنْ شِئْتُ أَتيتُ بها، وإلَّا لم أُجْبَرْ عليها.

قوله: (قائم بيننا) فهو مِن قبيل الكناية؛ لأنّه إذا كان ذلك بينهما فلا بدّ أن يكون قائمًا بهما، وهو يتحقّق / بالوفاء به، فهو قريب[1] مِن قول الشاعر: [٢٤٣و]

إنّ السّماحة والمروّة والندى   في قُبّةٍ ضُرِبت على ابن الحَشرجِ[2]

قوله: (على السَّواء) خبر "أنّ". وقوله: (إمّا هذا وإمّا هذا) بدل مِن "الأجَلَين". واعلم أنّ في جَعْل "إمّا هذا وإمّا هذا" بدلًا مِن "الأَجلَين" نظرًا؛ لأنّ "الأَجلَين" مثنًى، و"إمّا هذا وإمّا هذا" في معنى: أحد الأمرين، فلا يستقيم المعنى على جَعلِه بدلًا؛ بل الصواب أن نقول: هي جملة مستأنَفة بمعنى: إمّا أن يقع هذا، وإمّا أن يقع هذا. وقوله: (مِن غير تفاوت) حال مِن "هذا" و"هذا". وقوله: (في القضاء) متعلِّق بـ"التفاوت".

---

١ ن – ثريب.

٢ لزياد الأعجم حين قدم على عبد الله بن الحشرج بنيسابور، فأنزله وألطفه. انظر: ربيع الأبرار للزمخشري، ٣٨٦/٤.

وقيل: مَعناه: فلا أكُونُ مُعْتَدِيًا، وهو في نفي العُدوَانِ عن نفْسِه كقولكَ: لا إثْم عَليَّ ولا تَبِعَةَ عَليَّ، وفي قراءة ابن مسعود: "أيَّ الأجَليْنِ ما قضَيتُ"، وقرئَ: "أيْمَا" بسُكون اليَاء؛ كقَولِهِ:

تَنظَّرْتُ نَصرًا والسِّماكَيْنِ أيْهُمَا عَليَّ مِن الغَيْثِ استَهلَّتْ مَواطِرُهْ

قوله: (وقيل: معناه)... إلخ، فعلى هذا يكون ﴿عَلَيَّ﴾ متعلِّقًا بمحذوف في محلِّ خبر "لا"، أي: ثابت عليَّ، أو واقع عليّ، وكذا[1] على الوجه الأوّل هو متعلِّق بمحذوف في محلِّ خبر "لا"، لكن المعنيان مختلِفان. ولا يجوز تعلّقه بـ﴿عُدْوَانَ﴾، وإلّا لكان عدوانًا مشبَّهًا بالمضاف، فكان يجب نصبه.

قوله:

(تنظَّرتُ نَصرًا والسِّماكين أيْهُما علَيَّ مِن الغَيث استهلّتْ مَواطرُه)[2]

"تنظّرت" أي: انتظرت، والمنظور الذي[3] يرجَى خيره. و"السِّماكان": نجمان؛ السِّماكُ الأعزل؛ وهو الذي لا شيء بين يديه، والسِّماكُ الرامح؛ وهو الذي بين يديه الكوكب.[4] وهلَّ السحاب و"استهلّت" إذا انصبَّ شديدًا. و"نَصْر" اسم الممدوح. و"أيْهُما" أصله: أيُّهما، فسكّن الياء. و"مِن" في قوله: "مِن الغيث" للبيان، أي: استهلّتْ مَواطره مِن الغيث. يقول:[5] انتظرت نصرًا ونَوء السِّماكين أيُّهما استهلّت مواطره على الغيث؛ لأنّي لم أفرّق بين نَصرٍ والسِّماكين في الجود. و"المواطر":[6] جمع ماطرٍ؛ وهو بمعنى: المَطر؛ لأنّ[7] "مَطَرَ" جاء لازمًا، فعلى هذا يكون "مِن" في "مِن الغيث" للبيان. وقوله: "أيْهُما"... إلخ، فيه حذف، تقديره: لأعلم أيْهُما، فإن كان استفهاميّة فهو في محلِّ المفعول الأوّل، وما بعده المفعول الثاني، وإن كان موصولًا فهو المفعول، وما بعده صلته، ويكون العِلم بمعنى المعرفة.[8]

---

[1] ن: كذا.

[2] للفرزدق في ديوانه بشرح الحاوي، ٤٦٢/١.

[3] ف + لا.

[4] انظر: الصحاح للجوهري، «سمك»؛ لسان العرب لابن منظور، «سمك».

[5] د: تقول.

[6] ن: والمواطره.

[7] ف: لأنه.

[8] انظر: شرح شواهد الكشّاف لمحبّ الدين أفندي، ص ١٣٥.

وعن ابن قُطَيبٍ: "عِدْوانَ" بالكَسْر.

فإن قلتَ: ما الفرقُ بَيْنَ مَوْقِعَيْ "ما" المزيدَةِ في القراءتين؟

قلتُ: وقعَتْ في المُستَفِيضَةِ مُؤكِّدَةً لإبهامِ "أَيِّ" زَائدَةً في شيَاعِهَا، وفي الشَّاذَّة تأكيدًا لِلقَضَاءِ؛ كأنَّه قال: أيَّ الأَجَلينِ صَمَّمتُ على قضَائهِ وجَرَّدْتُ عَزِيمَتي لهُ.

"الوَكيل": الَّذِي وُكِلَ إِلَيْهِ الأَمْرُ، ولمَّا استُعمِلَ في مَوضِع الشَّاهِد وَالمُهَيْمِن والمُقيتِ عُدِّيَ بـ﴿عَلَىٰ﴾ لِذلك.

رُوِيَ: أَنَّ شُعَيبًا كانت عِندهُ عِصِيُّ الأَنبيَاءِ، فقَال لمُوسَى باللَّيل: أُدْخُلْ ذلك البَيْتَ فخُذْ عصًا مِن تلك العِصيِّ، فأخَذ عصًا هَبَطَ بهَا آدمُ مِن الجنَّةِ وَلم يزَلِ الأَنبيَاءُ يتوارَثُونَها حتَّى وقعَتْ إلى شُعيْبٍ، فمسَّهَا ....

قوله: (في القراءتين) يريد[1] بـ"القراءتين": ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾، و"أيَّ الأجلَين ما قَضيتُ".[2] وقوله: (في المستفيضة) أي: ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ﴾.

قوله: (وفي الشاذّة) أي: "أيَّ الأجلَين ما قَضيت".

قوله: (صمَّمتُ) التصميم في الأمر: المضيّ فيه، وهو لازم، يقال: عَزْم مصمِّم، بكسر الميم، والفتح خَطأ.

قوله: (روي أنّ شعيبًا) إلى قوله: (خلاف الرواية التي سبقت) مِن تتمّة تفسير قوله: ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾، أعني: أنّه تفسير لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾.

قوله: (هبط) إلى قوله: (إلى شعيب) صفة "عصًا".

قوله: (فمسَّها) الفاء فاء فصيحة، أي: فأخذ عصًا موصوفًا فأخرجها فدفعها إلى شعيب، فأخذها شعيب مِنه فمسّها، والضمير المستتر في "فمسّها" و"كان"

---

[1] ن: تريد.

[2] القراءة الثانية شاذّة كما في نصّ الزمخشري، وذكرها أبو حيّان في البحر المحيط، ٣٠٠/٨ (القصص، ٢٨/٢٨).

وكانَ مَكفُوفًا فضَنَّ بها فقال: غَيرَها، فما وَقعَ في يَدهِ إلّا هي سَبعَ مرَّاتٍ، فعَلِم أنَّ له شَأنًا.

وقيل: أَخذها جبريل بَعْدَ مَوتِ آدمَ وكانَتْ معَهُ حتَّى لقيَ بها مُوسَى ليْلًا.

وقيل: أَوْدَعَها شُعَيْبًا مَلَكٌ في صُورَةِ رجُلٍ، فأمَرَ بنتَهُ أن تَأتِيَهُ بعصًا فأتَتْهُ بهَا، فردَّهَا سبْعَ مرَّاتٍ فلم يقَع في يدِهَا غيرُهَا، فدَفعَها إليه ثُمَّ ندِمَ لأنَّهَا وديعَةٌ، فتَبِعه فاختصَما فيها ورَضِيا أن يَحْكُم بينَهُما أوَّلُ طالِعٍ، فأتَاهُما المَلَك فقال: ألقِيَاهَا فمَن رَفعَها فهيَ لهُ، فعَالجَهَا الشَّيخُ فلم يُطِقْهَا ورَفعَها مُوسَى.

وعن الحَسن: ما كانت إلّا عصًا منَ الشَّجرِ اعترَضَها اعْتِرَاضًا.

وعن الكَلبِيِّ: الشَّجَرةُ التي منها نُودِيَ شَجرةُ العَوسَجِ، ومنها كانَتْ عصَاهُ.

ولمَّا أصبَحَ قال له شُعَيبٌ: إذا بلَغْتَ مَفرِقَ الطَّريق فلا تأخُذْ على يمِينِك فإنَّ الكلأَ وإن كانَ بها أكثَرَ إلّا أنَّ فيها تِنِّينًا أخشَاهُ عليكَ وعلى الغَنم، فأخَذتِ الغَنَمُ ذاتَ اليمين ولم يَقدِرْ عَلى كفِّهَا، فمشَى على إثْرِهَا

و"ضَنَّ" و"قال" يعود إلى "شعيب". وقوله: (غيرها) / مفعول "فعل" محذوف، أي: خذ غيرها. [٢٤٣ظ]

قوله: (مكفوفًا) المكفوف: الضرير، والجمع: المكافيف،[١] وقد كُفَّ بصره، وكَفَّ بصره أيضًا.[٢] وقوله: (ضَنَّ) أي: بَخِلَ. وقوله: (فما وقع) هذه الفاء أيضًا فاء فصيحة، أي: فدخل البيت ليأخذ عصًا فما وقع.

قوله: (فعالجها) الفاء في "فعالجها" أيضًا[٣] فاء فصيحة، أي: فألقاها فعالجها، والمعالجة: المغالبة، يقال: عالجته فعلَجتُه، أي: غلبته.[٤]

قوله: (اعترضها) أي: أخذها مِن عُرْض الشجر، أي: واحد مِن الأشجار.

قوله: (تِنِّينًا) التنِّين: ضَرْب مِن الحَيَّات.

---

[١] ف ن: المكاكيف.

[٢] الصحاح للجوهري، «كفف».

[٣] ن – أيضًا.

[٤] انظر: الصحاح للجوهري، «علج».

فإذا عُشْبٌ وريفٌ لم يرَ مثلَهُ، فنَام فإذا بالتِّنِّينِ قَدْ أقبَلَ فحَاربَتْهُ العصَا حتَّى قتلَتْه وعادَتْ إلى جَنْبِ مُوسَى داميَةً فلمَّا أبْصرَها داميَةً والتِّنِّينَ مقتُولًا ارتاحَ لِذلك، ولمَّا رجَع إلى شُعَيبٍ مَسَّ الغَنَمَ فوجَدهَا مَلأَى البُطُونِ غَزِيرةَ اللَّبنِ، فأخْبَرهُ مُوسَى ففَرِحَ وعلِمَ أنَّ لمُوسَى والعصَا شَأنًا، وقال لهُ: إنِّي وهَبْتُ لكَ من نِتاجِ غَنمي هذا العامَ كلَّ أدْرعَ ودَرْعَاء، فأُوحِيَ إليه في المَنام: أن اضرِب بعصَاك مُسْتقَى الغَنم، ففَعل ثمَّ سَقَى فما أخطَأَتْ واحِدَةٌ إلَّا وضَعَتْ أدْرَعَ ودرعَاء، فوَفَى لهُ بشَرطِهِ.

سُئلَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: أيَّ الأجَلَيْنِ قضَى مُوسَى؟ فقال: «أبعَدَهُما وأبطَأهُما».

ورُوِيَ أنَّهُ قال: «قضَى أوْفَاهُما وتزوَّجَ صُغرَاهُمَا»، وهذا خِلافُ الرِّوَايةِ التي سبقَتْ.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾

"الجذوَةُ" باللُّغَاتِ الثلاثِ -وقرِئ بهِنَّ جَميعًا-: العُودُ الغَلِيظُ كانَت في رَأسِه نارٌ أو لم تكُنْ؛ قال كُثيِّرٌ:

قوله: (وريفٌ) الريفُ: أرضٌ فيها زَرْع وخِصْبٌ. والعُشْبُ: الكلأُ الرَطْبُ، ولا يقال له: الحشيش حتّى يهيج، أي: يَيْبَس.[١] وقوله: (ارتاح) الارتياح: النشاط.

قوله: (فأُوحي إليه) أي: إلى موسى.

قوله: (أدْرَعَ ودَرْعاء) "الأدرَع" مِن الخيل والشاء: ما اسودّ رأسه وابيضّ سائره، والأنثى: دَرْعاء.[٢]

قوله: (باللُّغات الثلاث) يريد بـ"اللُّغات الثلاث": فتحَ الجيم وضمَّها وكسرَها مع سكون الذال.

---

[١] الصحاح للجوهري، «عشب» «هيج».

[٢] الصحاح للجوهري، «درع».

باتَتْ حَواطِبُ لَيلَى يَلتَمِسنَ لها جَزلَ الجِذَى غيرَ خوَّارٍ ولا دَعِرِ

وقال:

وَألقَى عَلى قَبَسٍ من النَّارِ جِذْوةً شَدِيدًا عليه حَرُّهَا والتِهَابُهَا

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٠﴾

﴿مِن﴾ الأُولى والثَّانيَةُ لابتداء الغَايَةِ؛ أي: أتَاهُ النِّداءُ مِن شاطئِ الوَادِي من قِبَلِ الشَّجرة.

قوله:

(حواطِبُ ليلى)... البيتَ[1]

"حواطبُ ليلى"، أي: جواريها التي يَطلُبْنَ لها الحطَب. و"الجَزْلُ": الحطَب اليابس، وما عظُم مِنه أيضًا. و"الخَوّار": الضعيف، والخَوَر: الضَّعْف. و"الدَّعَر": مصدر قولك: دَعِرَ العود -بالكسر- يَدْعَر دَعَرًا، فهو عود دَعِرٌ، أي: رديءٌ كثير الدخان، ومِنه أُخِذَت: الدَّعارة؛ وهو الفِسْق والخُبث.[2]

قوله:

(وألقى على قبَسٍ)... البيتَ[3]

"الجِذوة": المُقْبَسَة مِن النار، والمراد بها ههنا: النَّميمة. يقول: ألقى على قبَس[4] جِذوة مِن النَّميمة اشتدّ عليه حرُّها والتهابها؛ لأنّها هَيّجَتْ نار العداوة والفتنة بين القوم.

قوله: ("مِن" الأولى والثانية لابتداء الغاية) بيانه أن نقول: النداء مِن الشاطئ، والنداء مِن الشاطئ ابتداءً مِن الشجرة، وتحريره: أنّ ﴿نُودِىَ﴾ جُعل مطلقًا مبتدئًا

---

[1] لابن مُقبل في الصحاح للجوهري، «جذى»؛ ولسان العرب لابن منظور، «جذى».

[2] الصحاح للجوهري، «دعر». وانظر: شرح شواهد الكشّاف لمحبّ الدين أفندي، ص ١٣٦.

[3] بغير نسبة في البحر المحيط لأبي حيّان، ٨/٢٨٤ (القصص، ٢٨/٢٩).

[4] ف ن: قيس.

و﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ بدَلٌ من قوله: ﴿مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ﴾ بدَلَ الاشتِمال؛ لأنَّ الشَّجرة كانَتْ نابتةً على الشَّاطئ؛ كقوله: ﴿لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ﴾ [الزخرف ٤٣/٣٣].

وقرئَ ﴿ٱلْبُقْعَةِ﴾ بالضَّمِّ والفَتح.

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾

و﴿ٱلرَّهْبِ﴾ بفَتْحَتينِ، وضمَّتَينِ، وفَتْحٍ وسُكُونٍ، وضَمٍّ وسُكُونٍ: وهو الخَوْفُ.

فإن قلتَ: ما معْنَى قولِهِ: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾.

قلتُ: فيهِ مَعْنَيانِ:

أحَدُهما: أَنَّ موسَى عليه السَّلامُ لمَّا قلبَ اللهُ العصَا حَيَّةً فَزِعَ واضْطَربَ فاتَّقَاهَا بيَدِه كمَا يَفعَلُ الخَائفُ من الشَّيء، فقِيلَ لَهُ: إنّ اتِّقَاءَكَ بيَدِكَ فيه غَضَاضَةٌ عندَ الأَعْداءِ، فإذا أَلقَيْتَهَا ....

مِن الشاطئ، ثمّ جُعل مقيّدًا بالابتداء مِن الشاطئ مبتدئًا مِن الشجرة، وهذا أولى مِن جعله بدلًا كما ذكر المصنِّف، وهذا الذي ذكرناه هو الذي ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾ [البقرة ٢/٢٥].

قوله: (و﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ بدَل)... إلخ، لا بدّ في بدل الاشتمال مِن الضمير، وليس هنا ضمير إلّا أن يقال: اللام بدل مِن الضمير، وفيه بحثٌ كتبناه مِن الجانب الآخر.

قوله: (بالضمّ) أي: بضمّ الباء وفتحها؛ لغتان.

قوله: (غضاضةٌ) الغَضاضة: الذُّلّ والمَنقَصة.[1]

---

[1] انظر: الصحاح للجوهري، «غضض».

فكَما تنقَلِب حَيَّةً فأَدْخِل يدكَ تحْتَ عَضُدِكَ مكان اتِّقَائكَ بها ثمَّ أَخْرِجهَا بيضَاء ليَحْصُلَ الأمْرَانِ: اجْتنَابُ ما هو غضَاضَةٌ عَليْك، وإظهَارُ مُعْجزةٍ أُخرَى، والمُرادُ بالجنَاحِ: اليَدُ؛ لأنَّ يدَي الإنسانِ بمَنزلَة جناحَيْ الطَّائرِ، وإذا أدْخَل يدَهُ اليُمنَى تحْتَ عضُدِ يدِه اليُسرَى فقَد ضَمَّ جَناحَه إليه.

والثَّاني: أن يُرَادَ بضَمِّ جَناحِه إليه: تجَلُّدُه وضَبطُه نفْسَه، وتشَدُّدُه عِنْد انقِلاب العصا حَيَّةً حتَّى لا يضْطَرِبَ ولا يَرْهَبَ؛ ....

قوله: (فكما تنقلب حيّة) اعلم أنّ "كما" يُستعمل بمعنى "إذا" المفاجأة، لكن يقع بعدها الفعل، وتحقيقه: أنّ "ما" مصدريّة والكاف للتشبيه، أي: وقت إدخال اليد في الجيب مثل وقت انقلابها حيّة، والمراد بالمماثلة: أن يقع هذا وقتَ وقوع / ذلك، والفاء في "فإذا" جواب شرط محذوف، وفي "فكما" جواب "إذا"، وفي "فأدخل" للسَّببيّة، أي: إذا كان الاتِّقاء غَضاضةً فإذا ألقَيت العصا فحين انقلابها حيَّةً ينبغي أن تُدخِلَ يدَكَ في جيبك. [٢٤٤و]

واعلم أنّ هذه الحاشية ليست منقّحة، والصّواب أن يقال: قوله: "فكما تنقلب حيّةً" بدل مِن قوله: "فإذا ألقيتها"، وقوله: "فأدخل" جواب "فإذا"، والجملة جواب الشرط المحذوف، أو مسبَّب عمّا قبلها، والكاف في "فكما" زائدة، و"ما" مصدريّة، والزمان معه محذوف. وإذا جُعل "فكما" مع الفاء بدلًا مِن "فإذا" مع الفاء يصير المعنى: فإذا ألقيتها -أي: وقتَ انقلابها حيّة- فأدْخِل، ويقرُب مِن هذا الإبدال قوله تعالى في سورة عبَس: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾ [عبس ٨٠/٣٣-٣٧]، وقوله تعالى في النازعات: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾ [النازعات ٧٩/٣٤-٣٥]، قال المصنِّف: «﴿يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ﴾ بدل مِن ﴿فَإِذَا جَآءَتِ﴾، و﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ جواب ﴿فَإِذَا﴾، أي: فإذا جاءت الطامّة فإنّ الأمر كذلك».[1] وأمّا زيادة الكاف في: مثلك لا يفعل كذا، أي: أنت.[2]

---

[1] ن: لذلك. | انظر: تفسير سورة النازعات، ٧٩/٣٤-٣٥.

[2] انظر: قول الزمخشري في تفسير سورة آل عمران، ٩٢/٣.

استعَارةً من فِعل الطَّائرِ؛ لأنَّهُ إذا خَافَ نَشَر جنَاحَيْه وأرْخَاهُما، وإلّا فجَناحَاهُ مَضْمُومانِ إلَيْه مُشمَّرانِ.

ومِنْه ما يُحْكى عَن عُمرَ بن عَبْد العَزيزِ رحمه اللهُ: أنَّ كاتبًا لهُ كانَ يَكتُبُ بين يدَيْهِ فانفَلَتَتْ منه فَلْتةُ ريحٍ، فخَجِلَ وانكَسَرَ فقَام وضَربَ بقَلمهِ الأرْضَ، فقال له عُمَرُ: خُذْ قَلمَكَ واضمُم إليك جَنَاحَكَ وَليُفرِخْ رَوْعُك، فإنّي ما سَمِعْتُهَا من أحَدٍ أكثَرَ ممَّا سَمِعْتُها مِن نفْسِي.

ومَعْنى قَوله: ﴿مِنَ الرُّهْبِ﴾: من أَجْل الرُّهْبِ؛ أي: إذا أصَابكَ الرُّهْبُ عند رُؤيَة الحَيَّةِ فاضمُم إليكَ جَناحَك، جُعِلَ الرُّهْبُ الذي كان يُصِيبُه سَببًا وعِلَّةً فيما أُمرَ به من ضَمِّ جنَاحهِ إلَيْه.

ومعنى: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ وقولِه: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ على أحَدِ التَّفسِيرَيْن وَاحِدٌ، ولكن خُولِفَ بين العبَارَتَيْنِ، وإنما كُرّر المعنَى الوَاحِدُ

قوله: (استعارةً) وذلك شبّه تجلّدُه وضبطُه نفسَه بضمّ جناح الطائر، ثمّ ذُكر الضمّ وأريد التجلّد والضبط، فيكون استعارة مصرّحة، وقرينته الإضافة إليه، والظاهر أنّ "مِن" في ﴿مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ على المعنى الثاني بمعنى أي: تجلّدْ واضبط نفسك بدَل الرَّهب.

قوله: (وإلّا فجناحاه)[1] أي: وإن لم يخَف.

قوله: (وليُفرِخْ رَوعُك) أفرَخ الرَّوع: ذهب الفزَع، يقال: ليُفرخ رَوعُكم، أي: ليَخرج عنكم فزعُكم كما يَخرج الفَرخُ عن البيضة، وأفرِخْ رَوْعَك، أي: سكِّن جأشك، وأفرخَ القوم بيضَهم إذا أبدَوا سرَّهم.[2]

قوله: (مِن أجل الرَّهب) هذا مناسب للمعنى الأوّل، وأمّا على الثاني فالظاهر أنّه بمعنى البدل، أي: تَجلّد واضبط نفسك بدل الرَّهب؛ بل اضبط نفسك وكن آمنًا.

قوله: (على أحد التفسيرين) يعني به: التفسير الأوّل مِن التفسيرين[3] اللذين ذكرهما ههنا.

---

[1] ن: وإلّا فجناحا.
[2] الصحاح للجوهري، «فرخ».
[3] ف - الأوّل من التفسيرين.

لاختِلاف الغَرضيْنِ، وذلك أنَّ الغَرض في أَحدِهما خرُوجُ اليَدِ بَيْضَاءَ، وفي الثاني إِخْفَاءُ الرَّهَبِ.

فإن قلتَ: قد جُعِل الجناحُ -وهو اليَدُ- في أحَد المَوضِعَيْنِ مَضمُومًا وفي الآخَرِ مَضمُومًا إليْه، وذلك قَولُه: ﴿وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ﴾ وقَولُه: ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ [طه ٢٠/٢٢] فما التَّوفِيقُ بينهما؟

قلت: المُرادُ بالجَناحِ المضمُومِ هو اليَدُ اليُمْنَى، وبالمَضْمُوم إليه: اليَدُ اليُسْرى، وكُلُّ وَاحدَةٍ من يُمْنَى اليَدَينِ ويُسراهُما جَناحٌ.

ومِن بدَعِ التَّفَاسيرِ: أنَّ "الرَّهَبَ": الكُمُّ بلُغَة حمْيَر، وأنَّهم يَقُولُون: "أَعْطِني ما في رَهَبِك".

وليْتَ شِعْري كيف صحَّتُهُ في اللُّغة؟! وهل سُمِعَ من الأَثْباتِ الثِّقاتِ الذين تُرتَضَى عربِيَّتُهم؟ ثُمَّ لَيتَ شِعْري كيف مَوْقعُهُ في الآية، وكيفَ تَطْبِيقُهُ المفْصِل كسَائر كلمَات التَّنزيل؟ على أَنَّ مُوسَى عليه السَّلامُ ما كان علَيه لَيْلة المُنَاجَاة إِلَّا زُرْمانِقَةٌ من صُوف لَا كُمَّي لها.

قوله: (لاختلاف الغَرضين) فكأنّه قيل: اسلُك يدَك في جيبك لتخرج يدُك بيضاء، واسلك يدك في جيبك ليذهب رهَبُك.

قوله: (وذلك قوله) إشارة إلى قوله: "أحَد" و"الآخر".

قوله: (قوله تعالى: ﴿وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ﴾) هنا مضموم. وقوله: (قوله تعالى: ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ [طه ٢٠/٢٢]) هنا مضموم إليه.

قوله: (زُرْمانِقَةٌ) في الحديث: «أنّ موسى عليه السلام لمّا أتى[١] فرعون أتاه وعليه زُرمانقةٌ، يعني: جُبّة صوف»،[٢] قال أبو عُبيد: «أُراها عِبْرانيّة»،[٣] قال: والتفسير هو في الحديث،[٤] ويقال: هو فارسيّ معرَّب، وأصله: اشتربانه، أي: متاع الجَمّال.[٥]

---

١ ف: أتا.

٢ تفسير ابن أبي حاتم، ٢٧٥٣/٨ (الشعراء، ١٥/٢٦)، بسنده إلى ابن عبّاس مِن قوله.

٣ غريب الحديث لأبي عبيد، ١٠١/٤.

٤ كذا في الصحاح، واللفظ في الحديث: "زرمانقة مِن صوف".

٥ الصحاح للجوهري، «زرمق».

﴿فَذَٰنِكَ﴾ قرئ مُخَفَّفًا ومُشَدَّدًا، فالمُخفَّفُ مُثَنَّى "ذاك"، والمُشَدَّدُ مُثَنَّى "ذلِك".

﴿بُرْهَٰنَانِ﴾: حُجَّتَانِ بَيِّنتانِ نَيِّرتَانِ.

فإن قلتَ: لَمَ سُمِّيتِ الحجَّةُ بُرْهَانًا؟

قلتُ: لبيَاضِهَا وإنارَتها، من قَولهم للمرأةِ البيْضاء: "برَهْرَهَةٌ" بتكرير العين واللام معًا، والدَّليلُ على زيَادةِ النُّونِ قوْلُهم: "أَبْرَهَ الرَّجُلُ": إذا جَاء بالبُرهَانِ، ونظِيرُهُ تَسْمِيَتُهمْ إيَّاهَا سُلْطَانًا من السَّلِيطِ -وهُو الزَّيتُ- لإنَارَتِهَا.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۝٣٣ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝٣٤﴾

يُقَال: رَدَأْتُه: أَعَنْتُهُ، و"الرِّدء": اسْمُ ما يُعَانُ به، "فِعْلٌ" بمَعْنَى "مَفعُولٍ بهِ" كما أَنَّ الدِّفء اسْمٌ لِمَا يُدفَأُ بهِ، قال سَلَامَةُ بنُ جَنْدَلٍ:

وَرِدْئِي كُلُّ أَبْيَضَ مَشْرَفِيٍّ ... شَحِيذِ الحَدِّ عَضْبٍ ذِي فُلُولِ

قوله: (والمشدّد مثنّى "ذلك")[١] فأصله: ذانْلك، فقُلب اللام نونًا وأدغم.

قوله: (تسميتُهم إيّاها) أي: الحُجّة.

قوله:

(ورِدْئي كلُّ أبيضَ مشرَفيّ)... البيتَ[٢]

[٢٤٤ظ] يقال: أشرَفتُ عليه، أي: / اطّلعتُ عليه مِن فوق، وذلك الموضع مَشرَف، ومشارِف الأرض: أعاليها، والمَشرَفيّة: سيوفٌ، قال أبو عبيدة:[٣] «نُسِب إلى مَشارف، وهي قرًى مِن أرض العرب تدنو[٤] مِن الريف»،[٥] يقال: سيف مَشرَفيّ،

---

[١] قرأ ابن كثير وأبو عمرو ورُويس عن يعقوب بتشديد النون ومدّ الألف قبلها في ﴿فَذَٰنِكَ﴾، وقرأ باقي القرّاء العشر بالتخفيف. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٢٤٨.

[٢] انظر: البحر المحيط لأبي حيّان، ٨/٢٨٤ (القصص، ٢٨/٣٤)؛ شرح شواهد الكشّاف لمحبّ الدين أفندي، ص ٢٤٥.

[٣] د: عبيد.

[٤] ف: تدنوا.

[٥] الصحاح للجوهري، «شرف».

وقُرِئ: ﴿رِدًا﴾ على التَّخفِيف كما قرئ: "الخَبَ".

﴿رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِي﴾ بالرَّفع والجزْمِ صِفةٌ وجَوابٌ نَحْوُ: ﴿وَلِيّٗا ۞ يَرِثُنِي﴾ [مريم ١٩/٥-٦] سَواءٌ.

فإن قلتَ: تَصْديقُ أَخيهِ ما الفائدةُ فيه؟

قلتُ: ليس الغَرَضُ بتَصْدِيقِهِ أن يَقُولَ له: "صدَقْتَ" أو يَقُولَ للنَّاسِ: "صَدقَ مُوسَى"، وإنَّما هو أن يُلخِّصَ بلسَانِه الحَقَّ، ويَبْسُطَ القَولَ فيه، ويُجَادلَ به الكُفَّارَ؛ كما يَفعَلُ الرَّجُلُ المنطِيقُ ذُو العَارِضَةِ، فذلِكَ جَارٍ مَجْرَى التَّصدِيقِ المُفيدِ

ولا يقال: مَشارِفيّ؛ لأنّ الجمع لا يُنسب إليه، وهو على هذا الوزن.[١] وقوله: "كلُّ أبيضَ" أي: كلُّ سيف أبيض، والمشرَفِيّ: صفته. وشحَذت السِّكين أشحذه شَحْذًا، أي: حدَدْتُه، فهو شَحيذ.[٢] وسيف عَضْب إذا كان صارِمًا، وذي فلول مِن قِراع الأعداء، والفلول: الكسور في حدّ السيف، واحده: فَلٌّ بالفتح.[٣]

قوله: (كما قرئ: "الخَبَ")[٤] يعني: في قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ﴾ [النمل ٢٧/٢٥]. وقوله: (﴿رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِي﴾ بالرفع)... إلخ، إنّما ذكر المصنّف قوله: ﴿رِدۡءٗا﴾ مع ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ ههنا؛ ليظهر شبهه بقوله: ﴿وَلِيّٗا ۞ يَرِثُنِي﴾[٥] [مريم ١٩/٥-٦]. وقوله: (بالرفع والجزم)...[٦] إلخ، فيه لفّ ونشر. وقوله: (أن يلخِّص) التلخيص: التبيين والشرح. وقوله: (ويجادل به الكفّار) يجوز أن يرجع الضمير مِن "به" إلى "البَسط" و"الحقِّ".

قوله: (ذو العارضة) يقال: فلان ذو عارضة، أي: ذو جَلَدٍ وصرامةٍ وقدرةٍ على الكلام.[٧] رجلَ صارم، أي: جَلْدٌ شجاع، وقد صَرُم -بالضمّ- صرامةً.[٨]

---

١ الصحاح للجوهري، «شرف».

٢ انظر: الصحاح للجوهري، «شحذ».

٣ انظر: الصحاح للجوهري، «فلل».

٤ شاذّ. انظر: شواذ القراءات للكرماني، ص ٣٥٩.

٥ فقرأ أبو عمرو والكسائي بالجزم في ﴿يَرِثُنِي﴾، وقرأ باقي القرّاء العشر بالرفع. انظر: النشر لابن الجزري، ٣١٧/٢.

٦ قرأ عاصم وحمزة برفع القاف، وقرأ باقي القرّاء العشر بالجزم. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٤١/٢.

٧ الصحاح للجوهري، «عرض».

٨ الصحاح للجوهري، «صرم».

كما يُصدَّقُ القَولُ بالبُرهَان، ألا ترى إلى قَوله: ﴿وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ﴾ وفَضلُ الفصَاحَةِ إنَّما يُحتَاجُ إليه لِذلك لا لقَوله: "صدَقْتَ"؛ فإنَّ سَحْبَانَ وبَاقِلًا يَستَوِيَانِ فيه.

أو يَصِلَ جَناحَ كَلامهِ بالبَيانِ حتَّى يُصَدِّقَهُ الَّذِي يَخافُ تكْذِيبَه، فَأُسنِدَ التَّصْدِيقُ إلى هارُونَ لأنَّه السَّبَبُ فيه إسنَادًا مَجازيًّا.

ومَعْنَى الإسْنَادِ المَجازيِّ: أنَّ التَّصْدِيقَ حقِيقَةٌ في المُصَدِّق فإسنادهُ إليه حَقِيقَةٌ، وليس في السَّبَبِ تَصْدِيقٌ ولكِنِ استُعِير له الإسنادُ لأنَّه لابَسَ التَّصْدِيقَ بالتَّسَبُّبِ كما لابَسَه الفَاعِلُ بالمبَاشَرة، والدَّليلُ عَلى هذا الوَجْهِ قَوْلُه: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ وقراءةُ من قرَأ: "ردءًا يُصَدِّقوني"، وفيها تَقوِيةٌ للقَراءةِ بجَزم ﴿يُصَدِّقۡنِيٓ﴾.

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ٣٥﴾

"العَضُدُ": قَوامُ اليَدِ، وبِشِدَّتِهَا تَشْتَدُّ، قال طَرَفَةُ:

وقوله: (لذلك) أي: للتلخيص والبَسط والمجادلة.

قوله: (الذي يخاف) فاعل "يُصدِّقه"، والمراد بـ"الذي يخاف تكذيبه": فرعون وملأه.

قوله: (لأنّه السبب فيه) أي: في تصديق مَن يخاف موسى[1] تكذيبه.

قوله: (والدليل)... إلخ، فإنّه دلّ على أنّه يطلب مَن يعينه على تصديقهم، لا أن يقول: صدقتَ.

قوله: (وفيها تقوية)... إلخ؛ لأنّ "يُصدِّقوني"[2] مجزوم،[3] إذ لا يجوز أن يكون مرفوعًا على الصفة لـ﴿رِدۡءٗا﴾؛ لأنّ الجمع لا يكون صفة المفرد.

---

[1] ف + يخاف.

[2] قراءة شاذّة عن زيد بن عليّ. انظر: شواذ القراءات للكرماني، ص ٣٦٨.

[3] ن: بجزوم.

أَبَــنِـي لُـبَـيْـنَـى لَـسْـتُـمْ بـيَـدٍ   إِلَّا يَــدًا لـيـسـت لـهـا عَـضُـدُ

ويُقَال في دُعَاء الخَيْر: "شَدَّ اللهُ عَضُدَكَ"، وفي ضِدِّهِ: "فتَّ اللهُ في عَضُدِكَ".

ومعنى ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾: سَنُقَوِّيكَ به ونُعِينُكَ، فإمَّا أن يكونَ ذلك لأنَّ اليدَ تَشْتَدُّ بشِدَّةِ العَضُدِ، والجُملةُ تقوَى بشِدَّة اليَد على مُزاوَلةِ الأمُورِ، وإمَّا لأنَّ الرَّجُل شُبِّهَ باليَد في اشتِدَادِها باشتدَادِ العَضُدِ، فجُعِل كأنَّه يَدٌ مُشْتَدَّةٌ بعَضُدٍ شَدِيدةٍ.

﴿سُلْطَٰنًا﴾: غَلَبَةً وتسَلُّطًا، أو: حُجَّةً وَاضِحةً.

قوله: (أَبَني لُبَينَى)... البيتَ.[1] الهمزة في "بَني" حرف النداء، و"لُبَينَى" مِن أسماء النساء، و"بنو لُبَينَى" مِن بني أسد بن وائلة. ونصَبَ "يدًا" بعد "إلَّا"، والمستثنى مِنه مجرور بالباء، فيجوز أن يكون نصبه على الاستثناء، ويجوز أن يكون على البدل مِن موضع "يدٍ"، لا مِن لفظه.

قوله: (ومعنى: ﴿سَنَشُدُّ﴾)... إلخ،[2] حاصل الوجه الأوّل: المجاز في المرتبة الثانية؛ لأنّ شَدّة العضد مستلزمة لشَدّة اليد، وشَدّة اليد مستلزمة لقوّة الشخص. وحاصل الوجه الثاني: أنّه شبّه الرَّجل المتقوّي بالأخ باليد المتقوّي بالعضُد، ووجه الشبّه التقوّي بالغير، فذكر اليد المتقوّي بالعضد وأراد الشخص المتقوّي بالأخ، فيكون استعارة مصرَّحًا بها، إلّا أنّه في هذه الاستعارة وُضع العضُد -لكونه جزء اليد الشديد- مَقام اليد المتقوّي بالعضُد، فكأنّ[3] اليد هو العضُد؛ لتقوّيها بالعضُد، فتأمّل فإنّه لطيف، وتحقيقه بوجه أخصَر: أنّ الرَّجل شُبِّه باليد لِما ذكر، فأُطلق اليد وأريد الرَّجل، / غير أنّه وضع العضُد موضع [٢٤٥و]
اليد؛ لكون العضُد جزءًا مِن اليد، فكأنّه[4] قيل: سنشدُّك بأخيك الرَّجل. الذي يتقوّى بالمعاون شُبّه باليد المتقوّي بالعضُد.

قوله: (أو حُجَّةً واضِحةً) فيكون مِن السَّليط؛ وهو الزيت.[5]

---

[1] انظر: ديوان طرفة بن العبد، ص ١٥١. وهو لأوس بن حجر في لسان العرب لابن منظور، «خبل».

[2] د + هي.

[3] ن: وكأن.

[4] ن: وكأنه.

[5] وفي لسان العرب لابن منظور، «سلط»: «واشتقاق السُّلطان مِن السَّليط، قال: والسَّليط مَا يُضاء به، ومِن هذا قيل للزَّيت: السَّليط».

﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ مُتَعلِّقٌ بنَحو ما تَعلَّقَ به ﴿فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ﴾ [النمل ١٢/٢٧]؛ أي: اذْهَبا بآياتِنا، أو بـ"نَجْعَلُ لكُمَا سُلْطَانًا"؛ أي: نُسَلِّطُكُمَا بآياتِنا، أو بـ"لا يَصِلُونَ"؛ أي: تَمتنِعُونَ مِنْهم بآيَاتِنا، أو هو بيَانٌ لـ﴿ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ لا صِلَةٌ؛ لامتنَاعِ تقَدُّم الصِّلة على المَوصُول، ولو تأخَّر لم يكُنْ إلّا صلَةً لَهُ، ويجُوز أَن يكون قَسَمًا جَوابُهُ "لا يَصِلُون" مُقَدَّمًا عليه، أو من لَغْوِ القَسمِ.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٦﴾

قوله: (أي: تمتنعون) إشارة إلى أنّا إذا قلنا: إنّه متعلّق بـ"لا يَصِلون" فلا بدّ مِن جعله في معنى فِعلٍ يصحّ تعلّقه به، لأنّ "لا يَصِلون" حرف وفِعل، وهذا المجموع لا يكون عاملًا، ولا يمكن تعلّقه بهذا الفعل مجرّدًا عن حرف النفي لفساد المعنى، تأمّل فيه فقد مرّ مثله مِرارًا، أي:[١] تمتنعون تحقيقه، يُمنعون هم مِنكما، فتمتنعون أنتما مِنهم، فاختصر المصنّف الكلام.

قوله: (أو هو بيان لـ﴿ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾) أي: الغالب إنّما يكون غالبًا بسبب شيء، فقوله: ﴿ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ هنا فيه إبهام مِن حيث إنّه لم يذكر ما يحصل الغَلبة بسببه؛[٢] وهو ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾، فيكون بيانًا، فكأنّه قيل: الغالبون بآياتنا، لكن لا يجوز أن يكون ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ معمولًا لـ﴿ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾؛ لأنّ الصِّلة لا تعمل فيما قبل الموصول، فيكون عامله محذوفًا، والتقدير: تَغلِبون بآياتنا، أنتما ومَن اتّبعكما الغالبون. وقوله: (لا صِلةٌ) أي: لا صِلة لـ﴿ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾. وقوله: (له) أي: لـ﴿ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾. وقوله: (ويجوز أن يكون) أي: يكون ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾. وقوله: (جوابه: "لا يَصِلون") فيه تساهل؛ لأنّ جواب القَسَم لا يتقدّم عليه، وأيضًا لا تدخل[٣] الفاء في جواب القسم، ومراده: أنّه حذف جواب القسم لِتقدم ما يدلّ عليه، ويريد بِـ"لغْوِ القسَم": ما يكون لفظه لفظ القَسم ولا يُراد به القسم، مثل قولهم: لا والله، بلى والله، ولمّا كان القرآن واردًا[٤] على أسلوب كلام العرب يقع فيه ما وقع فيه، فتأمّل.

---

[١] ن: أمر.
[٢] ن: سببه.
[٣] د ن: يدخل.
[٤] ن: وله دا.

﴿سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى﴾: سِحرٌ تعْمَلُه أنتَ ثُمَّ تفترِيه على اللهِ، أو: سِحرٌ ظَاهِرٌ افتراؤهُ، أو: موصُوفٌ بالافتراءِ كسائرِ أنواعِ السِّحرِ وليس بمُعْجزةٍ من عندِ اللهِ.

﴿فِيٓ ءَابَآئِنَا﴾ حَالٌ منصُوبَةٌ عن "هَذا"؛ أي: كائنًا في زمانِهم وأيَّامِهم، يُريدُ: ما حُدِّثنا بكَونِه فيهم، ولا يَخلُو من أن يَكُونوا كاذِبينَ في ذلك وقد سَمِعُوا وعَلِمُوا بنَحوِهِ، أو يُرِيدُوا أنَّهم لم يَسْمَعُوا بمِثلِهِ في فظَاعَتِه، أو ما كان الكُهَّانُ

قوله: (﴿سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى﴾)... إلخ، على التفسيرين الأوّلين يكون صفة مميّزة؛ لأنّ كلَّ سِحر لا يلزم أن يكون مفترًى على الله تعالى، ولا أن يكون ظاهر الافتراء، وأمّا على التفسير الثالث فللذَّمّ.

قوله: (حال منصوبة) والوجه أن يكون حالًا مقدّرة، وإلّا فكيف[1] يتصوّر أن يسمعوا هذا كائنًا -أي: حال كونه- في آبائهم الأوّلين؟ فإنّ عامل الحال يجب أن يكون مقيّدًا بالحال، ويكون الحال كالظرف له مِن حيث المعنى، ويستحيل سماعهم للسِّحر في حال كون السِّحر في آبائهم الأوّلين، فإنّهم حينئذٍ لم يكونوا، فكيف يمكن سماعُهم له حينئذٍ، وجعْله أيضًا حالًا مقدّرة مشكِل؛ لأنّه لا يتحصّل مِنه معنى صحيح، وأظنّ أنّ الوجه أن يقال: التقدير: ما سمعنا بهذا كونه في آبائنا، فهو بدَل، أي: ما سمعنا بكون[2] مثل هذا في آبائنا الأوّلين، وهذا هو الصواب، فالمضاف والمضاف إليه محذوف مِن هذا.

قوله: (وعلموا بنحوه) إشارة إلى أنّ التقدير: ما سمعنا بنحوه، وبهذا يندفع الاعتراض المكتوب على الحاشية، فإنّ المعنى يستقيم مِن غير أن يكون حالًا مقدَّرة. واعلم أنّه لم يندفع الإشكال عن كونه حالًا بهذا التقدير؛ إذ لا يمكن سماعهم مثل هذا حال كونه في الزمان المتقدّم، فالوجه ما اخترناه / وكتبناه مِن الجانبين، وحاصله: ما سمعنا بكون مثل هذا في آبائنا. [٢٤٥ظ]

قوله: (أو ما كان الكُهّان) أي: لم يُخبِر الكُهّان بأنّه يُظهر أحدٌ هذه الطريقة. فقوله: (ما كان) عطف على قوله: (ما حُدِّثنا)، وحاصل الوجه الأوّل:

---

[1] ف: كيف.
[2] ن: يكون.

يُخْبِرُونَ بظُهور مُوسى ومَجيئِهِ بما جاء به.

وهذا دليلُ أنَّهم حُجُّوا وبُهِتُوا وما وجَدُوا ما يَدْفَعُونَ به ما جاءهُم مِن الآيات إلَّا قَولَهم: هذا سِحْرٌ وبِدْعَةٌ لم يَسْمَعُوا بمِثْلِهَا.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٣٧﴾

يقول: ﴿رَبِّيٓ أَعۡلَمُ﴾ مِنكم بحَالِ مَن أَهَّلَهُ اللهُ للفَلاحِ الأَعْظم حَيثُ جَعله نَبيًّا وبعَثَهُ بالهُدَى ووَعَدَهُ حُسْنَ العُقْبَى -يَعْني: نفسَهُ- ولو كان كمَا تزعُمونَ

أنّا ما حُدِّثنا بأنّ مثل ذلك كان في الزمن المتقدِّم. وحاصل الوجه الثاني: أنّا ما حُدِّثنا أنّ الكهّان أخبروا في الزمن المتقدِّم بأنّه سيكون.

قوله: (أو ما كان الكهّان) تقديره: ما سمعنا بإخبار هذا، أي: ما سمعنا أنّ أحدًا أخبر في الزمان المتقدِّم أن سيكون هذا، وكلام المصنِّف ههنا ليس منقَّحًا. والوجه: أنّ المضافَين محذوف، كما ذكرناه وكتبناه مِن الجانب الآخر، أو المضاف محذوف كما بيّنا ههنا، وحاصل المعنيين: أنّا ما سمعنا بأنّ مثل هذا وجد في الزمان المتقدِّم، أو أنّا ما سمعنا أنّ أحدًا أخبر في الزمان المتقدِّم أنّه سيكون هذا.

قوله: (وما وجدوا ما يدفعون) "ما" في "ما وجدوا" نافية، وفي قوله: "ما يَدفعون" نكرة موصوفة، وفي "ما جاءهم" مَوصولة.

قوله: (يعني نفسه)... إلخ، وبيان هذا المعنى أن نقول: حقّ الصِّلة أن تكون قبل اقترانها بالموصول معلومة للمخاطب، فجعل موسى كون نفسه جائيًا بالهدى موعودًا له العاقبة الحسنى أمرًا معلومًا محقّقًا، ولا شكّ أنّ هذا هو الفلاح الأعظم. ثمّ قال موسى: الله تعالى أعلم بحال مَن أعطاه هذا الفلاح الأعظم، فلو لم يعلمه أهلًا لذلك صالحًا له -بل علِمه ظالمًا[1] غير مستحقّ له- لَما أعطاه هذا الفلاح؛ لأنّه لا يُفلح عنده الظالمون.

---

[1] ن: ظاهرًا.

كاذِبًا سَاحِرًا مُفتَرِيًا لَمَا أهَّلَهُ لذلك؛ لأنَّهُ غَنيٌّ حَكيمٌ لا يُرْسِلُ الكاذِبينَ ولا يُنَبِّئ السَّاحِرينَ ولا يُفلِحُ عِنْده الظَّالِمُونَ.

و﴿عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ هي العَاقبةُ المحمُودةُ، والدَّليلُ عليه قَوله عزَّ وعلا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ۝ جَنَّٰتُ عَدۡنٍ﴾ [الرعد ١٣/٢٢-٢٣] وقولُه: ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد ١٣/٤٢]، والمرادُ بـ﴿ٱلدَّارِ﴾: الدُّنيا، وعَاقبتُها وعُقْبَاهَا: أَنْ يُخْتَم للعَبد بالرَّحمة والرِّضوانِ وتَلَقِّي المَلائكةِ بالبُشرَى عند المَوْتِ.

فإن قلتَ: العَاقبةُ المحمُودةُ والمَذْمُومَةُ كلتَاهُما يصِحُّ أَنْ تسَمَّى عَاقبَةَ الدَّارِ؛ لأنَّ الدُّنيا إمَّا أنْ تكُونَ خَاتِمَتُها بخَيْرٍ أو بشرٍّ، فلِمَ اختُصَّت خاتِمَتُها بالخير بهذه التَّسمِيَةِ دُونَ خَاتِمَتِها بالشَّرِّ؟

قلتُ: قَد وَضَع الله سبحَانَهُ الدُّنيَا مجَازًا إلى الآخِرة، وأرَادَ بعبَادِه أن لا يَعمَلُوا فيها إلَّا الخيْرَ، وما خَلَقَهُم إلَّا لِأَجْلِه لِيَتَلَقَّوا خَاتِمةَ الخيْرِ وعَاقِبَة الصِّدقِ، ومَن عَمِلَ فيها خلافَ ما وضَعَها اللهُ لهُ فقَد حَرَّفَ، فإذَنْ عَاقِبَتُها الأَصْلِيَّةُ هي عَاقِبةُ الخَيْرِ، وأمَّا عَاقبَةُ السَّوء فلا اعتدَادَ بها لأنَّها مِن نَتَائج تَحْرِيفِ الفُجَّار.

وقَرأ ابنُ كثيرٍ: ﴿قال موسى﴾ بِغيْرِ وَاوٍ عَلى ما في مَصَاحِفِ أَهْل مكَّةَ، وهي قِراءةٌ حَسَنةٌ لأنَّ المَوضِعَ مَوْضِعُ سُؤالٍ وبَحْثٍ عمَّا أجابَهُم به مُوسى عند تَسمِيَتِهم مثلَ تِلكَ الآياتِ البَاهِرة سِحْرًا مُفْتَرًى.

ووجْهُ الأُخرَى: أنَّهم قالُوا ذلك وقال مُوسَى هذا؛ لِيُوازِنَ الناظِرُ بَيْن القَوْلِ والقَوْلِ، ويتبَصَّرَ فَسَادَ أحدِهما وصِحَّةَ الآخَرِ، وبضِدِّهَا تَتبيَّن الأشيَاءُ.

قوله: (مجازًا) أي: موضع الجواز، وهو العبور.

قوله: (وعاقبة الصِّدق) أي: العاقبة المختصّة بالصلاح والجَودة، فهو مِثل قولك: رجلُ صِدْقٍ؛ بالإضافة، والمختصّ بالصلاح والجَودة، وكذا معنى عاقبة الخير؛ هو العاقبة المختصّة بالخير.

قوله: (لِيُوازن) اللام في قوله: "ليوازن" متعلِّق بمحذوف دلّ عليه قوله:

وقرئ ﴿تَكُونُ﴾ بالتاء والياء.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾

رُوي: أنَّه لمَّا أمرَ ببناء الصَّرح جمَعَ هامانُ العُمَّالَ حَتَّى اجتمع خمْسُونَ أَلْفَ بَنَّاءٍ سِوَى الأَتْبَاعِ والأُجَراء، وأمَرَ بطَبْخ الآجُرِّ والجَصِّ ونَجْرِ الخَشَبِ وضَرْبِ المسَامِيرِ، فَشيَّدُوهُ حتى بَلَغ ما لم يَبْلُغْه بُنيَانُ أَحَدٍ من الخلْق، فكان البَاني لا يَقْدِرُ أن يقُوم على رَأسِه يَبْنِي، فبَعث الله جبريلَ عِنْد غرُوبِ الشَّمس فضَربه بجَناحه فقَطَّعَه ثلاثَ قطَعٍ، وقعت قِطعةٌ على عَسْكر فِرعَون فقَتَلَت أَلْفَ أَلْفِ رَجُل، ووَقَعتْ قِطعَةٌ في البَحر، وقطعَةٌ في المَغرب ولم يبقَ أحَدٌ من عمَّالِه إلَّا قد هَلكَ.

ويُروى في هذه القِصَّة: أَنَّ فرعَونَ ارْتَقَى فوقَهُ فرَمَى بنُشَّابَةٍ نحوَ السَّماء،

(وجه الأخرى)، فكأنّه قيل: إنّما ورد الواو في هذه القراءة؛[١] ليوازن الناظر بين القولين، فأفاد الواو جمع القولين في ذِهن السامع ونظره؛ ليوازن بينهما، فإنّه إذا لم يؤتَ بالواو يكون الثاني منقطعًا عن الأوّل[٢] جوابًا لسؤال السائل، فلا يحصل مِنه هذا المعنى، فتأمّل، ولا تظنّنَّ أنّ اللام في "ليوازن" متعلِّق بـ"قالوا" و"قال"، فإنّه لا يستقيم المعنى، فلا تغفُل.

قوله: (يبني) يجوز أن يكون حالًا، ويجوز أن يكون التقدير: لأن يَبني، فحذِف الجارّ، ثمّ حذِف "أن"، وأُبقي الفعل على رفعه، كما في قوله:

فيا أيّها الزاجري أحضُر الوَغا[٣] وأنْ أشهد اللذّاتِ[٤] هل أنت مُخْلِدي[٥]

قوله: (بنُشّابةٍ) النُّشّاب: السهم، الواحدة: النُّشّابة.

---

[١] يعني: القراءة بالواو في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾، وهي قراءة الجمهور، وقرأ ابن كثير بغير واو قبل "قال". انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٤١.

[٢] ن: الواو.

[٣] ن: والوغا.

[٤] ن: اللذات.

[٥] لطرفة بن العبد في الصحاح للجوهري، «أنن»؛ ولسان العرب لابن منظور، «أنن»، بلفظ: "ألا أيُهذا الزاجري"... وهو كذا في ديوان طرفة، ص ٤٥.

فأرادَ اللهُ أن يَفتِنَهُم فَرُدَّتْ إليهِ وهي مَلْطُوخَةٌ بالدَّم، فَقال: قَدْ قَتلتُ إلهَ مُوسى، فعِنْدَها بَعث اللهُ جبريلَ لهَدْمهِ، واللهُ أَعْلم بصحَّتِه.

قصَد بنَفيِ عِلْمِه بإلهٍ غيرِه: نَفيَ وجُودِه، مَعْناهُ: ما لكم من إلهٍ غيري؛ كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس ١٠/١٨] مَعْناه: بما لَيْسَ فيهنَّ، وذلك لأنَّ العِلْمَ تابعٌ للمَعْلُوم لا يَتعلَّقُ به إلَّا عَلى ما هُو عَليه، فإذا كان الشَّيءُ مَعْدُومًا لم يتعَلَّقْ به موجُودًا، فمِن ثَمَّ كانَ انتفاءُ العِلْم بوجُودِه لانتِفاء وجُودِه، وعُبِّر عن انتفاءِ وجُوده بانتفاءِ العِلْمِ بوُجُودِهِ.

ويجوز أَنْ يكُونَ على ظَاهِره، وأنَّ إلهًا غيرَهُ غيرُ مَعْلُوم عنده، ولكنَّه مَظْنُونٌ، بدَلِيلِ قوله: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ وإذا ظَنَّ مُوسى كاذِبًا في إثْبَاتِه إلهًا غَيْرَهُ ولم يَعْلَمْه كاذبًا فَقَد ظَنَّ أنَّ في الوجُود إلهًا غَيرَهُ.

ولو لم يكن المَخْذُولُ ظَانًّا ظَنًّا كاليَقِين بل عَالِمًا بصِحَّة قول مُوسى عليه السَّلام لِقَول مُوسى له: ....

قوله: (قصد بنفي علمه) أي: علم فرعون. وقوله: (غيره) أي: فرعون.

قوله: (وذلك لأنّ العلم) أي: القصد بنفي العلم: نفي الوجود؛ لأنّ قوله: (فمِن ثَمّ كان) أي: مِن أجل كَون العلم تابعًا للمعلوم. وقوله: / (بوجوده) [٢٤٦و] أي: بوجود المعلوم. وقوله: (لانتفاء) خبر "كان"، فيكون متعلِّقًا بمحذوف. والحاصل: أنّ انتفاء الوجود مستلزِم لانتفاء العلم بالوجود، فأطلِق اللازم وأريد الملزوم، فيكون كناية.

قوله: (وإذا ظنّ) أي: فرعون. وقوله: (فقد ظنّ) اعلم أنّ الظنّ في هذا المقام ليس بمعناه المتعارَف المصطلح؛ وهو الاعتقاد الراجح؛ بل المراد هنا معناه اللغويّ؛ وهو[1] ما لا يكون متيقّنًا سواء كان راجحًا أو مرجوحًا أو مساويًا.

قوله: (بل عالمًا) أي: بل لو لم يكن عالمًا، أي: كان ظنًّا كاليقين؛ بل كان عالمًا. وقوله: (لقول موسى) تعليل لِما دلّ عليه قوله: "بل[2] عالمًا"، فكأنّه قال:

---

[1] ف: وهذا.

[2] ف + كان.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء ١٧/١٠٢] لَمَا تَكَلَّفَ ذلك البُنْيَانَ العَظِيمَ، ولَمَا تَعِبَ في بِنَائِه ما تَعِبَ لعَلَّهُ يَطَّلِعُ بزُعْمِه إلى إلَهِ مُوسى، وإنْ كان جَاهِلًا مُفْرِطَ الجَهْلِ به وبِصِفاتِه حَيْثُ حَسِبَ أنَّه في مكانٍ كما كان هو في مكانٍ، وأنَّه يُطَّلَعُ إليه كما كانَ يُطَّلعُ إليه إذا قَعد في عِلِّيَّتِه، وأنَّه مَلِكُ السَّماء كما أنَّه مَلِكُ الأَرْض، ولا تَرى بَيّنةً أَثْبَتَ شهَادةً على إفْراطِ جَهْلِه وغبَاوتِه وجَهْلِ مَلَئه وغبَاوتِهم مِن أَنَّهُم رَامُوا نَيْلَ أسبَابِ السَّماوات بصَرْحٍ يَبْنُونَهُ، ولَيتَ شِعْرِي أكانَ يُلبِّسُ على أَهْلِ بِلادِه ويَضْحَكُ من عُقولِهم حَيْثُ

كان عالِمًا لقول موسى، فهو تعليل لهذا الإضراب. وقوله: (في بنائه ما تَعِبَ) "ما" مصدريّة، أي: تعَبًا مِثل تعَبه.

قوله: (لعلّه) أي: راجيًا الاطّلاع. وقوله: (بزعمه) للتأكيد، يشبه أن يكون بدلًا مِن قوله: (لعلّه يطّلع)، فكأنّه قال: راجيًا الاطّلاع، زاعمًا الاطّلاع.[١] ويجوز أن يكون قوله: "بزعمه" إشارة إلى أنّ رجاء الاطّلاع كان لزعمه أنّ الله تعالى في مكان، فكأنّه قال: راجيًا الاطّلاع بسبب زعمه أنّه تعالى في مكان.

قوله: (وإن كان جاهلًا) هذا مِن الشروط التي تقع للتأكيد، فكأنّه قال: كان عالمًا بالله تعالى، أي: بوجوده، وإن كان جاهلًا به وبصفاته، فهو متعلِّق بقوله: "بل عالمًا".

قوله: (وأنّه يطّلع إليه) أي: أنّ فرعون يطّلع إلى الله تعالى. وقوله: (كما كان) فرعون. وقوله: (يُطَّلع إليه) أي: إلى فرعون، وليس في "يَطَّلع" ضمير؛ بل هو مستند إلى "إليه".

قوله: (في علّيته) العُلّيّة: الغرفة. وقوله: (أثبَت) اسم التفضيل مِن الثبوت. وقوله: (مِن أنّهم راموا) متعلِّق بـ"أثبَت"، وهو في معنى: رَوْمهم، فكأنّه قال: لا دليل على جهله، وجهلُهم أظهر وأثبت مِن هذا الدليل؛ وهو طلبهم الوصول إلى السماء بسبب الصَّرح. وقوله: (حيث) علّة التلبيس والضحك. وقوله:

---

[١] ن – زاعمًا الاطّلاع.

صَادَفهُم أَغْبَى النَّاسِ وَأَخْلَاهُم مِن الفِطَن وأَشبَهَهُم بالبهَائم بذلك، أَمْ كان في نفْسِه بِتِلكَ الصِفَةِ؟

وإنْ صَحَّ ما حُكي من رجُوع النُّشَّابةِ إلَيْه مَلْطُوخَةً بالدَّم فتَهكُّمٌ به بالفِعل كمَا جاء التَّهَكُّم بالقَول في غَيْر مَوْضعٍ من كتَابِ الله بنُظَرائِه مِن الكَفَرة.

ويجُوز أن يُفَسَّر الظَّنُّ على القَولِ الأوَّل باليَقينِ؛ كقوله:

فَقُلْتُ لهُم ظُنُّوا بأَلْفَي مُدَجَّجِ

(بذلك) أي: بالأمر ببناء الصَّرح. وقوله: (بتلك الصفة) أي: الغَباوة والخلوّ. وقوله: (بنُظرائه)[1] أي: أشباه فرعون. وقوله: (على القول الأوّل) القول الأوّل: هو أن يريد بنفي علمه نفي وجوده، وإذا أُريد بنفي العِلم نفي وجود إلهٍ غيره جاز أن يُفسَّر قول فرعون: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ بالعلم، أي: أعلم أنّ موسى مِن الكاذبين في ادّعائه إلهًا غيري، فحينئذٍ يوافق قولُه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ قولَه: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾، لكن يناقضهما بناء الصَّرح.

قوله:

(فقلتُ لهم ظُنّوا بألفَي مُدَجَّجِ)

آخره:

سَراتُهم في الفارسيِّ المُسرَّدِ[2]

"ظُنّوا" يجوز أن يكون معناه: ظُنّوا كلّ ظنٍّ قبيح بهم إذا غزَوكم في أرضكم وعُقر دياركم، فالحزم[3] سوء الظنّ، ويجوز أن يكون معنى "ظُنّوا": أيقِنوا؛ لأنّ الظنّ يستعمل في موضع اليقين، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة ٢/٤٦]، فـ"ظُنُّوا" -بضمّ الظاء- / أمرٌ مِنه. قوله: "بألفَي مُدَجَّج" أي: بألفَي فارس مدجَّج، أي: مغطًّى بالسلاح، ورجل مُدجَّج ومدجِّج، أي: شاكٍ في السلاح، [٢٤٦ظ]

---

[1] ن: بنُظَرائه.

[2] لدريد بن الصمّة في الصحاح للجوهري، «ظنن»؛ ولسان العرب لابن منظور، «ظنن».

[3] في الأصول الخطّيّة: "فالجزم" بالجيم.

ويَكونَ بناءُ الصَّرحِ مُنَاقَضَةً لِمَا ادَّعَاهُ من العِلْم وَاليَقِينِ، وقَدْ خَفِيَتْ على قَوْمِهِ لغبَاوتهِم وبَلَهِهم، أو لم تَخْفَ عليهِم ولكنَّ كُلًّا كانَ يخَافُ على نَفْسِه سَوْطَهُ وسَيْفَهُ.

وإنما قال: ﴿أَوْقِدْلى ياهامانُ على الطِّين﴾ ولَم يَقُلْ: "أُطْبُخْ ليَ الآجُرَّ واتَّخِذْهُ" لأنَّه أَوَّلُ مَن عَمِلَ الآجُرَّ، فهُو يُعَلِّمُه الصَّنْعَةَ، ولأنَّ هَذه العبَارَةَ أحْسَنُ طبَاقًا

تقول: تَدجَّج في شِكَّته، أي: تغطى في سلاحه.[١] وقوله: "سَراتهم" أي: رؤساءهم وخيارهم. و"الفارسيّ المُسرَّد" يعني: الدروع، والمراد بـ"الفارسيّ": ما يَلبسه الفارس للحرب، والسَّرد: تتابع الشيء، كأنّه أراد في الدِّرع تتابع الحَلَق للنَّسجِ، كذلك قيل في الأشهر الحُرُم: "ثلاثةٌ سَرْدٌ، وواحدٌ فَرْدٌ".[٢] والمعنى: قلت لهم: إنّ الأعداء لكم مترصّدون، وإليكم قاصدون، وعددهم كثير فوسِّعوا مجال الظنّ السيء بهم، إذا تمكّنوا مِنكم، وأيقنوا بقَصدهم،[٣] على الطريقين اللتين بيّنا. ثمّ اعلم أنّ قوله: "بألفَي" ظرف لـ"ظُنُّوا"، لا مفعول به، إذ لا يجوز الاقتصار به على أحد المفعولين، وهذا كما تقول: ظننتُ به إذا جعلتَه موضعَ ظنّك.

قوله: (ويكون بناء الصَّرح) يجوز أن يُرفع استئنافًا، وأن ينصب عطفًا على "يُفسِّر".

قوله: (وقد خفيَتْ) أي: المناقضة.

قوله: (ولأنّ هذه العبارة) عطف مِن حيث الظاهر على قوله: (لأنّه)، لكنّه إنّما يستقيم إذا اعتُبر فيه حذفٌ، فكأنّه قال إنّما ورد في القرآن: "أوقِد" على ما ذكر فرعون؛ لأنّه أوّل مَن عمل الآجُرَّ، أو كان في عبارة فرعون: اطبُخ لي الآجرَّ، لكن ورد في القرآن هكذا؛ لأنّه مطابق لفصاحة القرآن؛ لأنّ ذلك[٤] الذي ذكره فرعون بعبارته، ولأنّه أُريد الإشارة إلى أنّ ما ذكره فرعون ذكره عن تجبُّر وتعظُّم.

---

١ الصحاح للجوهري، «دجج».

٢ انظر: الصحاح للجوهري، «سرد».

٣ انظر: شرح شواهد الكشّاف لمحبّ الدين أفندي، ص ٩٤.

٤ ف – ذلك.

لِفَصَاحَة القُرآنِ وعُلُوِّ طَبقتِه، وأَشبَهُ بكلامِ الجبَابرَةِ، وأَمْرُ هَامَانَ -وهو وَزِيرُه ورَدِيفُه- بالإيقَادِ على الطِّين مُنَادًى باسْمِهِ بـ﴿يَا﴾ في وسَطِ الكلام، دَليلُ التَّعظُّمِ والتجَبُّرِ.

وعن عُمر رضي الله عنه: أَنَّه حِينَ سَافر إلى الشَّام ورَأى القصُورَ المُشيَّدَة بالآجُرِّ قال: ما عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا بَنى بالآجُرِّ غيْرَ فرعَوْنَ.

والطُّلُوعُ والاطِّلاعُ: الصُّعُود، يُقالُ: "طَلَع الجبَلَ واطَّلَع" بمعْنًى.

﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾

الاستكبَارُ بالحقِّ إنَّما هُو لِلهِ عَزَّ وجَلَّ وهو المُتَكبِّرُ على الحَقِيقة؛ أي: المُتبَالِغُ في كِبْريَاء الشَّأنِ، قال رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم فيمَا حَكَى عَن رَبِّه تعالى: «الكِبْرياءُ ردَائِي والعَظمةُ إزارِي، فمَن نازَعنِي وَاحدًا مِنْهمَا أَلْقيْتُه في النَّار»، وكُلُّ مُسْتَكْبِرٍ سوَاه فاستِكبَارُه بغَيْر الحَقِّ.

﴿يُرْجَعُونَ﴾ بالضمِّ والفَتْح.

﴿فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ من الكلام الفَخْمِ الذي دَلَّ به على عَظَمةِ شأنهِ وكبرياءِ سُلْطَانِه، شَبَّهَهُم استحقَارًا لهم ....

قوله: (وأمرُ هامان) مبتدأ. وقوله: (دليل) خبره. وقوله: (وهو وزيره) جملة معترضة. وقوله: (منادًى) حال مِن هامان.

قوله: (الفخم) فَخُم الرجل -بالضمّ- فخامة، أي: عَظُمَ، ورجل فَخْمٌ، أي: عظيم القدر.[1]

---

[1] الصحاح للجوهري، «فخم».

واستِقْلَالًا لِعَددِهم -وإن كانُوا الكَثيرَ الكثيرَ والجَمَّ الغفيرَ- بحَصَياتٍ أَخَذهُنَّ آخِذٌ في كفِّهِ فَطَرَحهُنَّ في البَحْر.

ونحوُ ذلك قولُه: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾ [المرسلات ٢٧/٧٧]، ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة ١٤/٦٩]، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر ٦٧/٣٩]، وما هيَ إلّا تَصْويرَاتٌ وتمثِيلاتٌ لاقتِدَارِه، وأنَّ كُلَّ مقْدُورٍ وإنْ عَظُمَ وَجَلَّ فهو مُسْتَصْغَرٌ إلى جَنْبِ قُدرَتِه.

فإن قلتَ: ما مَعنى قولِه تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾؟

قلتُ: مَعناهُ: ودعونَاهُم أئمّةً دُعاةً إلى النَّارِ، وقلنَا: "إنَّهُم أئمّةٌ دُعَاةٌ إلى النَّارِ" كما يُدْعَى خُلفَاءُ الحَقِّ أئمّةً دُعَاةً إلى الجَنَّة، وهو مِن قولك: ....

قوله: (والجَمَّ الغفير) جمَّ المال: كثُر، والجمُّ: الكثير، قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر ٢٠/٨٩].[١] ومعنى الغفير أيضًا: الكثير، يقال: جاءوا جمّاء غفيرًا، والجماءَ الغفير، بالمد فيهما، أي: جاءوا بجماعتهم الشريف والوضيع، ولم يتخلف أحدٌ، وفيهم كثرة، وكانوا بكثرتهم يَغفر -أي: يستُر- بعضهم بعضًا، ومعنى الغَفْر: التغطية.[٢]

قوله: (قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾ [المرسلات ٢٧/٧٧]) ﴿فِيهَا﴾ أي: في الأرض، رَسا الشيء يَرسو، أي: ثبَت، و﴿رَوَاسِيَ﴾ أي: جبالًا ثوابَت، و﴿شَامِخَاتٍ﴾: عالياتٍ، وكل عالٍ فهو شامخ،[٣] يقال: شَمُخَ الجبل، فهو شامِخ. وقوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة ١٤/٦٩]، ﴿وَحُمِلَتِ﴾ أي: رُفعتْ الأرض والجبال مِن أماكنها، ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً﴾[٤] أي: كُسرتا كسْرةً واحدة لا تُثْنى حتّى يُسوَّى ما عليها مِن شيء مثل الأديم الممدود.[٥]

---

١ الصحاح للجوهري، «جمم».
٢ الصحاح للجوهري، «غفر».
٣ التفسير الوسيط للواحدي، ٤٠٨/٤ (المرسلات، ٢٧/٧٧).
٤ ف ن - دكّة.
٥ التفسير الوسيط للواحدي، ٣٤٥/٤ (الحاقة، ١٤/٦٩).

"جَعَله بخيلًا وفاسقًا" إذا دعاهُ وقال: "إنَّهُ بخيلٌ وفاسِقٌ"، تقُولُ أهلُ اللُّغةِ في تفسيرِ فَسَّقه وبَخَّله: "جعلَهُ بَخِيلًا وفَاسِقًا"، ومنه قولُه عز وعلا: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف ١٩/٤٣]، ومَعْنى دَعْوتِهِم إلى النَّار: دَعْوتُهم إلى مُوجِباتِها من الكُفْر والمعاصِي ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ كما يُنصَرُ الأئِمَّةُ الدُّعَاةُ إلى الجَنَّةِ.

ويجُوز: خَذَلْنَاهُم حَتَّى كانُوا أئِمَّةَ الكُفْرِ، ومَعْنَى الخِذْلان: منعُ الأَلْطافِ، وإِنَّما يَمنَعُها مَن عَلِمَ أنَّها لا تَنفَعُ فيه، وهو المصمِّمُ على الكُفْرِ الذي لا تُغْنِي عنه الآياتُ والنُّذرُ، ومَجْراهُ مَجْرَى الكِنايَة؛ لأنَّ مَنْعَ الأَلْطافِ يَرْدَفُ التَّصمِيمَ والغَرضُ بذِكرِهِ: التَّصميمُ نفسُهُ، فكَأنَّه قيلَ: صَمَّمُوا على الكُفْر حَتَّى كانُوا أئمَّةً فيه دُعاةً إليه وإلى سُوء عاقبتِه.

قوله: (وهو المصمِّم) التصميم على الشيء: المضيّ فيه، وهو لازم لا يجيء مِنه اسم مفعول.

قوله: (والغرض بذكره: التصميم) وذلك لأنّ الكناية لا تنافي إرادة الحقيقة. فيه نظرٌ، والصواب أن نقول: المعنى بقوله: "والغرض بذكره التصميم": أنّه تعالى قال: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ/ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾، أي: خذلناهم، فذكر تعالى الخذلان، أي: [٢٤٧و] منع الألطاف، والمراد: ملزومه؛ وهو التصميم، أي: تصميمهم على كفرهم. وإنّما قال المصنِّف: (نفسه) إشارة منه إلى أنّ المعنى هو الملزوم، ولا نظر إلى اللازم الذي هو الخِذلان ومنعُ الألطاف. ويريد المصنِّف بهذا الكلام زيادة تقرير لمذهبه؛ وهو أنّ فعلهم -وهو تصميمهم- اقتضى هذا المعنى، وهو كونهم أئمة داعين إلى النار، لا غير فعلهم مِن الخذلان ومنع الألطاف، فبالغ في تقريره مذهبه كما هو عادتُه رحمه الله. وزيادة تقرير كلام المصنِّف: أنّه إذا قيل: الغرض تصميمُهم على الكفر يكون في الآية إشارة إلى استحقاقهم لِلّوم[١] والتَّعيير والعذاب؛ لأنّهم بتصميمهم صاروا أئمّةً يدعون إلى النار، لا بشيء آخر،

---

[١] د: للّوم.

فإن قلتَ: وأيُّ فَائدَةٍ في تَرك المَرْدُوف إلى الرَّادِفة؟

قلتُ: ذِكْرُ الرَّادِفَةِ يَدُلُّ على وُجُود المرْدُوفِ، فيُعْلَمُ وُجُودُ المَرْدُوفِ معَ الدَّلِيل الشَّاهدِ بوُجُوده، فيَكُونُ أقْوَى لإِثبَاتِه مِن ذكْرِهِ، ألَا ترَى أنَّكَ تقُولُ: "لولا أنَّه مُصَمِّمٌ على الكُفْر مَقْطُوعٌ أَمْرُه مَبْتُوتٌ حُكمُه لَمَا مُنِعَتْ منه الألطافُ" فَبِذِكْر مَنْعِ الأَلْطَافِ يَحصُلُ العِلْمُ بوجُود التَّصميمِ على الكُفْرِ، وزيَادَةٌ وهُو قيَامُ الحُجَّة على وجُوده، ويَنصُرُ هذا الوجهَ قولُه: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ كأنَّه قيلَ: وخذَلناهُم في الدُّنيَا وهُم يَوْمَ القِيَامة مَخذُولُونَ؛ كما قال: ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾؛ أي: طَرْدًا وإِبْعَادًا عَن الرَّحمةِ ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ أي: مِنَ المَطْرُودينَ المُبْعَدِينَ.

وتمام بيان كلامه أن نقول: إنّ المراد بجعلهم أئمة يَدعون خِذلانهم؛ لأنّ ذلك مِن لوازم الخِذلان، والمراد بخِذلانهم: تصميمهم على الكفر، فذكر لازم لازم التصميم؛ وهو كونهم أئمّةً يَدعون، وأريد ملزوم ملزومه؛ وهو تصميمهم، فكأنّه قيل: كانوا مصرّين على الكفر والمعاصي حيث لا يَرعَوون عن ذلك ولا ينتهون عنه.

قوله: (فإن قلتَ: وأيّ فائدة في ترك المَردوف إلى الرادفة؟) المراد بـ"المردوف": الملزوم، وبـ"الرادفة": اللازم، يقال: رَدِفَه -بالكسر- أي: تَبِعَه، يقال: كان نزل[١] بهم أمرٌ فرَدِف لهم أمرٌ أعظم مِنه، ومِنه: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۞ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ [النازعات ٧٩/٦-٧].

قوله: (وينصر هذا الوجه) المراد بهذا الوجه: أن يكون معنى ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾: خذلناهم، لا سمّيناهم، إذ لا يتناسب الكلام لو قيل: سمّيناهم في الدنيا: أئمّة النار، وهم في الآخرة مَخذولون، كما يتناسب الكلام إذا قيل: خذلناهم في الدنيا وهم في الآخرة مَخذولون.

قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ يقال: قبَّحه الله، أي: نحّاه عن الخير.

---

١ ن: ترك.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿بَصَآئِرَ﴾ نَصبٌ عَلى الحَالِ، والبَصيرَةُ: نُورُ القَلب الذي يَستَبْصِرُ بهِ؛ كما أَنَّ البَصَر نورُ العَيْنِ الذي تُبصِرُ به، يُرِيد: آتَيْنَاه التَّورَاةَ أَنوارًا للقُلوبِ لأَنَّها كانَت عُمْيًا لا تَستَبْصِرُ ولا تَعرِفُ حَقًّا من باطلٍ، وإرشَادًا لأَنَّهُم كانوا يَخبِطُونَ في ضَلالٍ ﴿وَرَحْمَةً﴾ لأَنَّهم لو عَمِلُوا بها وصَلُوا إلى نَيْلِ الرَّحْمةِ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: إرادةَ أنْ يَتَذكَّرُوا، شُبِّهَتِ الإرادةُ بالتَّرجِّي فاستُعِيرَ لها، ويجوز أَن يُرادَ بهِ تَرجِّي مُوسَى لِتَذَكُّرِهم كقوله: ﴿لَعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ [طه ٢٠/٤٤].

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾

"الغربيُّ": المكانُ الوَاقعُ في شِقِّ الغَرْبِ، وهو المكانُ الذي وَقع فيه مِيقاتُ موسى ....

قوله: (لأنّها كانت عمياء) اللام في "لأنّها" و"لأنّهم" متعلّقة بمحذوف، أي: سمّاها بصائر؛ لأنّها كانت...، وهدًى؛ لأنّهم...، ورحمةً؛ لأنّهم[1] لو عملوا.

قوله: (إرادةَ)... إلخ، يعني: يجوز أن يكون "لعلّ" مِن حيث المعنى متعلّقًا ومرتبطًا بالضمير في ﴿ءَاتَيْنَا﴾، فيكون المعنى: آتينا لإرادتنا تذكّرهم، وأن يكون متعلّقًا ومرتبطًا بـ﴿مُوسَى﴾، فالمعنى: آتينا موسى لرجاء موسى تذكّر قومه.

قوله: (﴿ٱلْغَرْبِيِّ﴾: المكان الواقع) أشار إلى أنّ ﴿ٱلْغَرْبِيِّ﴾ صفة موصوف محذوف، تقديره: بجانب المكان الغربيّ، فلا يكون إضافة "الجانب" إلى ﴿ٱلْغَرْبِيِّ﴾ إضافة الموصوف إلى الصفة.

قوله: (ميقاتُ موسى عليه السلام) يريد به المكان الذي عيَّنه الله تعالى

[1] ن – ورحمة لأنّهم.

مـن الطُّـورِ، وكتَـب اللهُ لـه فـي الألْـواح، والأَمْـرُ المقضـيُّ إلـى مُوسَـى: الوَحْـيُ الـذي أُوحِـي إليـه.

والخِطَـابُ لرَسُـولِ الله صلـى الله عليـه وسـلم، يَقُـولُ: ومـا كُنـتَ حَاضِـرَ المكانِ الـذي أوْحَيْنا فيه إلى مُوسَى، ولا كُنْـتَ مِـن جُملـةِ الشَّـاهِدِين للوَحْـي إليه -أو: على الوَحْيِ إلَيْه- ....

لمناجاة موسى ربَّه وتكليمه فيه. وقوله: (من الطور) حال مِن ميقات. واعلم أنّ الميقات: هو الوقت المحدود المضروب للفعل، ثمّ استُعير مِنه للمكان كما في هذا الموضع، وكما في قولهم: مواقيت الحجّ؛ إذ هو جمع ميقات.

[٢٤٧ظ] قوله: (مِن الطور) / يجوز أن يكون بيانًا لـ"ميقات موسى"، فيكون المراد بقوله: "ميقات موسى" هو الطور، ويكون المراد بالمكان الواقع في شِقّ الغرب: المكان المتَّسع المتباعد الأطراف، المشتمل على الطور وغيره، ويجوز أن يكون "مِن" للتبعيض، فيكون المراد بقوله: "ميقات موسى": الجزء المخصوص الذي وقف عليه موسى عند المناجاة، وهو بعض الطور، ويكون المراد بالمكان الواقع في شِقّ[1] الغرب هو الطور بعينه.

قوله: (وكتَب الله)... إلخ، عطف على قوله: (وقع)، والعائد إلى الموصول ومفعول "كتَب" محذوف، تقديره: كتَب الله التوراة له -أي: لموسى- فيه، أي: في ذلك المكان في الألواح.

قوله: (والأمر المَقضيّ إلى موسى) أي: المؤدَّى إليه، قال في الصِّحاح: «قد يكون القضاء بمعنى الأداء، تقول: قضيتُ دَيني، أي: أدّيتُه، ومِنه: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ [الحجر ٦٦/١٥]، أي: أبلغناه إليه».[2]

قوله: (مِن جملة الشاهدين للوحي) فعلى هذا يكون مِن "الشهود" بمعنى: الحضور والمعاينة. وقوله: (أو على الوحي) فعلى هذا يكون مِن "الشهادة"؛

---

[1] ن - شقّ.

[2] الصحاح للجوهري، «قضى».

وهُم نُقبَاؤُه الَّذين اختَارَهُم للمِيقَاتِ، حتَّى تقفَ من جهَةِ المُشَاهَدَةِ على ما جَرَى من أَمْرِ موسى في مِيقاتِه، وكتبةِ التَّورَاةِ له في الأَلْواحِ، وغيرِ ذلك.

فإن قلتَ: كيْفَ يتَّصِلُ قَولُه: ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا﴾ بهذا الكلام؟ ومِن أَيِّ وَجْهٍ يكُونُ استدْرَاكًا له؟

قلتُ: اتِّصَالُه به وكونُه استدرَاكًا له مِن حَيْثُ إنَّ مَعْناهُ: ولكنَّا أنشَأنَا بَعْد عَهْد الوَحْي إلى عَهْدِكَ قُرونًا كثِيرةً ﴿فَتَطَاوَلَ﴾ على آخِرهم: وهو القَرْنُ الذي أَنْتَ فيهم ﴿ٱلۡعُمُرُ﴾؛ أي: أَمَدُ انقطَاعِ الوَحْي، واندَرَستِ العُلُومُ، فوَجَبَ إرسالُكَ إليهم،

وهو الإخبار عن الشيء. يقال: شَهِد المكان -أي: حضره- شهودًا.[1] والشهادة: الإخبار بصحّة الشيء عن مشاهدةٍ وعيانٍ، ويقال: شهِد عند الحاكم لفلان على فلان بكذا شهادة، فهو شاهد وشهيد، وأمّا الشهيد بمعنى المستشهَد المقتول فلأنّه مشهود له بالجنّة، أو لأنّه حيٌّ عند الله تعالى حاضر.[2]

قوله: (نقباؤه) النقيب: العريف، وهو شاهد القوم وضَمينهم،[3] والجمع: نقباء،[4] وقد نقَب على قومه يَنقُب[5] نِقابة، مثل: كتَب يكتُب كتابةً.[6]

قوله: (حتّى تَقِفَ) هذا على تقدير أن يكون الشاهدين مِن "الشهود" بمعنى: الحضور، وأمّا إذا كان مِن "الشهادة" فلأنّ الشهادة لا تكون إلّا بعد الحضور والمعاينة؛ لأنّ الشهادة: الإخبار بصحّة الشيء عن مشاهدة وعيان.[7]

قوله: (أي: أمَدُ انقطاع الوحي) فسّر المصنِّف ﴿ٱلۡعُمُرُ﴾ بالأمَد أي: الزمان؛ لأنّ معنى "العُمُر": طول زمان العيش، يقال: عمَّره الله تعالى تعميرًا، أي: طوَّل عمره. ثمّ ذكر أنّ المراد بالزمان: زمان انقطاع الوحي، ثمّ ذكر أنّ المراد بقوله: ﴿عَلَيۡهِم﴾ على آخرهم.

---

[1] ن: شهود. | الصحاح للجوهري، «شهد».
[2] المُغرب للمطرّزي، «شهد».
[3] ن: وضمنتهم.
[4] ف ن: النقباء.
[5] ن: نقيب.
[6] الصحاح للجوهري، «نقب».
[7] انظر: المُغرب للمطرّزي، «شهد».

فأرسلناك وكَسَبْنَاك العِلمَ بِقِصَصِ الأنبياء وقصَّةِ موسى عليهم السلام؛ كأنَّه قال: وما كُنْتَ شاهِدًا لمُوسَى وما جَرى عليه ولكنَّا أَوْحيناهُ إليْكَ، فذكَر سبَبَ الوَحْيِ -الَّذي هو إطالةُ الفَتْرةِ- ودَلَّ به على المُسَبَّب، على عَادةِ اللهِ في اختِصَارَاتِه، فإذَنْ هذا الاستِدرَاكُ شَبِيهُ الاستِدْرَاكيْنِ بعده.

﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾؛ أي: مُقيمًا ﴿فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ﴾ وهُم شعَيْبٌ والمُؤمنُونَ به ﴿تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا﴾: تَقْرَؤُهَا عَليهم تعَلُّمًا مِنهُم، يُريدُ: الآياتِ التي فيها قِصَّةُ شُعَيْبٍ وقومِهِ، ولكنَّا أَرْسَلْناك وأَخْبَرناك بها وعَلَّمنَاكهَا.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٤٦﴾

﴿إِذۡ نَادَيۡنَا﴾ يُريدُ: مُنَادَاةَ موسَى لَيْلةَ المُنَاجَاة وتَكْليمَه، ﴿وَلَٰكِن﴾ عَلَّمنَاك ﴿رَّحۡمَةٗ﴾ وقرئ: "رحمةٌ" بالرَّفعِ؛ أي: هيَ رَحْمةٌ.

﴿مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ﴾ في زمانِ الفَتْرةِ بَينكَ وبينَ عِيسَى وهو خمسُ مئةٍ وخمسُونَ سنةً، ونحوُه قَولُهُ: ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ﴾ [يس ٣٦/٦].

﴿وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧﴾

قوله: (وكَسَبْناك) الكسب: طلب الرزق، تقول مِنه: كَسَبْتُ الشيء واكتسبته بمعنًى، وكسبتُ أهلي خيرًا، وكَسَبتُ الرجل مالًا فكَسَبه،[1] وهذا مما جاء على فعلتُه ففعل،[2] أي: جاء متعدّيًا[3] إلى مفعولٍ واحدٍ وإلى مفعولين.

قوله: (ولكنّا أرسلناك) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ﴾ إشارة إلى أنّ فيه إقامة السبب مُقام المسبَّب؛ لأنّ كونه تعالى مرسِلًا للرسل سبب لإرساله النبيّ عليه الصلاة والسلام.

---

[1] ن: وكسبه.
[2] الصحاح للجوهري، «كسب».
[3] ن: معتديًا.

﴿لَوْلَا﴾ الأُولَى امتنَاعيَّةٌ وجَوابُها مَحْذُوفٌ، والثَّانيةُ تحْضِيضيَّةٌ، وإحدى الفاءَيْنِ للعطف والأُخرَى جَوابُ ﴿لَوْلَا﴾ لكونها في حُكم الأَمْرِ مِن قِبَلِ أنَّ الآمرَ باعِثٌ على الفعْل، والبَاعثُ والمحضِّضُ من وَادٍ واحدٍ، والمعنَى: ولولا أنَّهُم قَائِلُونَ إذا عُوقبُوا بما قَدَّمُوا من الشِّرك والمعَاصي: "هَلَّا أَرْسَلْتَ إلينَا رسُولًا" مُحْتَجِّينَ علينا بذلك لَمَا أَرْسَلْنا إليهم، يَعْني: أنَّ إرسالَ الرَّسول إليهم إنَّما هو ليُلْزَمُوا الحُجَّةَ ولا يُلْزِمُوها؛ كقوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء ٤/١٦٥]، ﴿أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة ٥/١٩]، ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ [طه ٢٠/١٣٤].

فإن قلتَ: كيف استقَامَ هذا المَعنى وقد جُعِلَتِ العقُوبةُ هي السَّبَبَ في الإرسال لا القولُ؛ لدُخُولِ حَرْفِ الامتَناعِ عليها دونَه؟

قلتُ: القَولُ هو المَقصُودُ بأنْ يكونَ سَببًا لإرسالِ الرُّسُلِ، ولكنَّ العقُوبةَ لمَّا كانتْ هي السَّببَ للقَول، وكان وُجُودُهُ بوُجُودها، جُعِلَت العقُوبة كأنَّها سَببُ الإرسالِ بواسطَةِ القَوْلِ، فأُدْخِلَتْ عليها ﴿لَوْلَا﴾ وجِيءَ بالقول معطوفًا عليها بالفاء

قوله: (ولكن علَّمناك رحمةً) يعني: أنَّ ﴿رَّحْمَةً﴾ مفعول لفعل محذوف.

قوله: (﴿لَوْلَا﴾ الأولى امتناعيّة) "لولا" الامتناعيّة: هي التي تدلّ على امتناع القضيّة الثانية لوجود القضيّة الأولى، والقضيّة الثانية هي جوابه، وهو محذوف ههنا كما ذكر، وههنا يدلّ على امتناع عدم الإرسال لوجود قولهم عند العذاب على تقدير عدم الإرسال، وهو قولهم: ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾.

قوله: (جواب ﴿لَوْلَا﴾) أي: "لولا" التحضيضيّة.

قوله: (والمعاصي) إشارة إلى أنّ الكفار كما يُعذّبون بترك الإيمان يعذّبون بترك الفروع / مِن الصلاة والزكاة، وبارتكاب الكبائر والصغائر أيضًا. [٢٤٨و]

قوله: (ليُلزَموا الحُجّة) في معنى: ليكون لله تعالى على الناس الحجّة بإرسال الرسل. وقوله: (ولا يُلزِموها) في معنى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ﴾ [النساء ٤/١٦٥]، وبيّن المصنّف هذا الأخير بثلاث آيات.

المُغْطِيَةِ مَعْنى السَّببيَّةِ، ويَؤُولُ مَعْناه إلى قَولك: "ولولا قَوْلُهم هذا إذا أصَابَتْهُم مُصيبَةٌ لَمَا أرسَلْنَا" ولكِن اختيرتْ هذِه الطَّريقةُ لِنُكتَةٍ وهي: أَنَّهم لو لم يُعَاقَبُوا -مَثلًا- عَلى كُفرهم وقد عَايَنُوا ما أُلجِئُوا به إلى العِلم اليقينِ لم يقُولُوا: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾، وإنَّما السَّببُ في قَولِهم هذا هو العِقَابُ لا غيرُ، لا التَّأسُّفُ على ما فَاتَهُم مِن الإيمانِ بخَالِقهم، وفي هذا من الشَّهادةِ القويَّةِ على استِحكَام كُفْرهم ورُسُوخِه فيهم ما لا يَخْفَى؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الأنعام ٦/٢٨].

ولمَّا كانت أَكْثَرُ الأعمالِ تُزَاوَلُ بالأَيْدِي جُعِل كُلُّ عَملٍ مُعَبَّرًا عنه باجتِرَاحِ الأَيْدِي وتَقْديمِ الأيْدِي وإنْ كانَ من أعمَالِ القُلُوب، وهذا من الاتِّسَاع في الكلام، وتَصييرِ الأَقلِّ تابِعًا للأكْثَر، وتَغْليبِ الأَكْثَرِ على الأقَلِّ.

قوله: (لنُكتة)[1] النُّكتة:[2] هي اللطيفة في الكلام، مِن: نكَت[3] في الأرض إذا خطَّ فيها.

قوله: (لا التأسّف) بدل[4] مِن قوله: (لا[5] غير).

قوله: (ما لا يخفى) مبتدأ. (وفي هذا) خبره. و(مِن الشهادة) بيان "ما".

قوله: (كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ﴾) قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۞ وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام ٦/٢٧-٢٩].

قوله: (تُزاوَلُ) المُزاولة: مثل المحاولة والمعالجة. والاجتراح: الاكتساب. وأضاف المصدر إلى الفاعل في قوله: (اجتراح الأيدي وتقديم الأيدي)، فكأنّ الأيدي كسبت تلك الأعمال وقدّمتها.

---

[1] ن: ليكته.
[2] ن: الثلثة.
[3] ن: نكث.
[4] ن: يدل.
[5] ن - لا.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ۝٤٨﴾

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ وهو الرَّسولُ المُصَدَّقُ بالكتابِ المُعْجِزِ معَ سائرِ المُعْجزاتِ، وقُطِعَتْ معَاذِيرُهمْ، وسُدَّ طَرِيقُ احْتجَاجِهم ﴿قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ﴾: من الكِتاب المُنزَل جُمْلةً واحدَةً، ومِن قَلْبِ العصَا حَيَّةً، وفَلْقِ البَحْر، وغيْرِهما من الآياتِ، ....

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ اعلم أنّ الفاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمۡ﴾؛ للدلالة على السببيّة في أفعالهم بطريق التعكيس، فكأنّه قيل -والله أعلم-: لو لم نرسل إليهم رسولًا لقالوا: ربّنا لولا أرسلتَ إلينا رسولًا، فكأنّ مِن حقّهم أنّهم إذا أُرسِل الرسول إليهم يتلقّونه بالقَبول والإيمان، فلم يفعلوا ذلك؛ بل كفروا بالنبيّ عليه الصلاة والسلام وعاندوا، وكذا كفروا بمَن[1] تقدّمه مِن الأنبياء، مثل: موسى وهارون عليهم السلام.

قوله: (ومِن قلْب العَصا حيّةً) كرَّر المصنِّف لفظة "مِن" في قوله: "مِن قلب"؛ لأنّ ذلك مِن جنس آخر غير "إتيان الكتاب جملةً"، فإنّ "إتيان الكتاب جملة" هو الذي اقترحوه، وقالوا: لِمَ أُنزل هكذا نجومًا، وكانوا يقترحون مع ذلك شيئًا آخر مِن معجزات موسى عليه السلام. ثمّ إنّ الضمير مِن قوله: (غيرهما) يعود إلى "قلب العصا حيّةً وفلق البحر"، فلذلك ثنّاه،[2] ولو أراد "إتيان[3] الكتاب جملة" مع ذلك لقال[4] غيرها. ولِما ذكرنا أنّه جعل "إتيان الكتاب جملةً" جنسًا، و"قلب العصا والفلق" جنسًا لا يَبعُد أن يعود ضمير التثنية إليهما، أي: إلى الجنسين.[5]

---

١ ن: يمن.
٢ ن: ثناوه.
٣ ن: إثبات.
٤ ن: يقال.
٥ ن - "إتيان الكتاب جملةً" جنسًا، و"قلب العصا والفلق" جنسًا لا يَبعُد أن يعود ضمير التثنية إليهما، أي: إلى الجنسين.

فجاؤوا بالاقتراحات المَبْنيّةِ على التَّعَنُّتِ والعِناد كما قَالُوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ [هود ١٢/١١] وما أَشبَهَ ذلك.

﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ﴾ يعني: أبناءَ جِنْسِهم ومَن مذْهَبُهم مَذْهَبُهم وعِنادُهُم عِنادُهم، وهُم الكفَرة في زَمن موسَى ﴿بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾.

وعن الحسن: قد كان للعَربِ أَصْلٌ في أيَّامِ موسى. فمَعناه على هذا: أوَلم يَكفُر آبَاؤُهم.

﴿قَالُواْ﴾ في موسى وهارُونَ: ﴿ساحران تظاهرا﴾؛ أي: تعَاوَنا، وقرئ: "اظَّاهرا" على الإدغَام، و: ﴿سِحْرَانِ﴾، بمَعنَى: ذوَا سحْرٍ، أو جعَلوهُما سِحْرَينِ مبَالغةً في وَصْفِهما بالسِّحْر، أو أرَادُوا: نوعَانِ من السِّحر.

قوله: (على التعنّت والعِناد) العَنَت: المشقّة، وأعْنَتَه: أوقعه في العَنَت وفيما يشُقّ تحمُّله، ومِنه: التعنُّت في السؤال.[١] والمعاند: الذي يعرف الحقّ فيأباه، وعَنَد يَعنِد -بالكسر- عُنودًا، أي: خالف الحقَّ، وهو يعرفه،[٢] وأمّا المعاندة فللمبالغة في العِناد.[٣]

قوله: (و﴿سِحْرَانِ﴾) قال الواحدي في التفسير الوسيط: «مَن قرأ: ﴿سِحْرَانِ﴾[٤] قال مقاتل: 'يعني: التوراة والقرآن'. وهو قول عِكرمة والكلبيّ. والمعنى: كلُّ سِحر مِنهما يُقوّي الآخر، فنُسب التظاهر إلى السِّحرين اتّساعًا».[٥] وإلى هذا الوجه أشار المصنِّف بقوله: (نوعان مِن السِّحر)، يعني: الكتابين، ثمّ أورد سؤالًا على هذا التفسير؛ لأنّه يظنّ أن لا يستقيم أن يقال: كفروا مِن قبل على هذا التفسير، / فأشار [٢٤٨ظ] إلى أن لا استبعاد فيه، ويكون قوله: ﴿قَالُواْ سِحْرَانِ﴾ ابتداء كلام مِن الله تعالى؛

---

١ انظر: المُغرب للمطرّزي، «عنت».

٢ ف: يعرف.

٣ ن - وعَنَد يَعنِد -بالكسر- عُنودًا، أي: خالف الحقَّ، وهو يعرفه، وأمّا المعاندة فللمبالغة في العِناد. | انظر: الصحاح للجوهري، «عند».

٤ وهي قراءة الكوفيّين؛ عاصم وحمزة والكسائي وخلف، وقرأ الباقون: ﴿سَٰحِرَانِ﴾ بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٤٢/٢.

٥ التفسير الوسيط للواحدي، ٤٠٢/٣ (القصص، ٤٨/٢٨).

﴿بِكُلٍّ﴾: بكُلِّ واحدٍ منهما.

فإن قلتَ: بِمَ عَلَّقْتَ قوْلَه: ﴿مِن قَبْلُ﴾ في هذا التَّفسير؟

قلتُ: بـ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ﴾، ولي أَنْ أُعَلِّقَه بـ﴿أُوتِيَ﴾، فيَنقَلبُ المعْنَى إلى أنَّ أهلَ مكَّةَ الَّذين قالُوا هذه المقَالةَ كما كفَرُوا بمحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم وبالقُرآنِ فقد كَفرُوا بموسَى وبالتَّورَاة، وقالُوا في موسى ومحمَّدٍ: ﴿سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا﴾،

لبيان كفر أهل[1] مكّة، أو هو عطف على ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ﴾؛ لأنّه بمعنى: كفروا؛ لأنّ الاستفهام للإنكار. وقوله: (نوعان)[2] رفعه لأنّه تفسير ﴿سِحْرَانِ﴾، يَعنون: القرآن والتوراة.

قوله: (فإن قلتَ: بِمَ علّقتَ)... إلخ؟ يعني: إذا كان ﴿سِحْرَانِ﴾ مفسَّرًا بالتفسير الأخير فبأيِّ شيء يتعلَّق قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾؟ فأجاب: بأنّه يكون متعلّقًا بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ﴾، كما كان متعلِّقًا به في التفسيرين المتقدّمَين، أي: أولم يكفروا مِن قبلُ بما أوتي موسى، والمعنى على ما مرّ، ولا يَبعد أن يكون متعلِّقًا بقوله: ﴿أُوتِيَ﴾ على التفاسير الثلاثة، أي: أولم يكفروا الآن -أي: في زمان النبيّ عليه الصلاة والسلام- بما أوتي موسى مِن قبل. ثمّ أشار المصنِّف رحمه الله[3] بقوله: (وقالوا في موسى ومحمدٍ عليهما السلام: ﴿سَٰحِرَانِ﴾) أو في الكتابين: ﴿سِحْرَانِ﴾،[4] إلى أنّ هذا التعلُّق لا يختصّ بالتفسير الأخير. وقوله:[5] (قلتُ: بـ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ﴾) أي: كما في التفسير الأوّل.

قوله: (فينقلب المعنى) يعني يكون المراد بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ﴾: أولَم يكفر[6] أهلُ مكّة الذين قالوا: لولا أوتي، لا أولم يكفر[7] أبناء جنسهم، ولا أولم يكفر[8] آباؤهم.

---

[1] ن: وأهل.

[2] ن: توعان.

[3] د – رحمه الله.

[4] ف: سخران.

[5] ن: قوله.

[6] ن: يكفروا.

[7] ن: يكفروا.

[8] ن: يكفرو.

أو في الكتابَيْن: ﴿سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾، وذلك حيْنَ بَعثُوا الرَّهْطَ إلى رُؤَساء اليَهُود بالمَدينَةِ يَسْألُونَهُم عن محمَّدٍ عليه السلام، فأخبَرُوهم أنَّه صِفَتُه ونَعْتُه وأنَّه في كتَابهم، فرَجعَ الرَّهْطُ إلى قُرَيْشٍ فَأخْبَروهُم بقَوْلِ اليهُود، فقَالُوا عند ذلك: ﴿سَاحِرَانِ تظَاهَرا﴾.

﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٤٩﴾

﴿هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا﴾: مِمَّا أُنزِلَ على موسى ومِمَّا أُنْزِلَ عَلَيَّ.

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٥٠﴾

هذا الشَّرطُ مِن نحوِ ما ذكرْتُ أنَّه شَرطُ المُدِلِّ بالأمر المُتحقِّقِ لصِحَّتِه؛ لأنَّ امتناعَ الإِتْيانِ بكتابٍ أَهْدَى من الكتَابَيْنِ أَمْرٌ معلومٌ مُتَحقِّقٌ لا مجَالَ فيه للشَّكِّ.

قوله: (أنّه نَعْتُه)[١] الضمير عائد إلى "النَّعت"[٢] الذي كتبه أهل مكّة إلى اليهود، أو ذكره الرهط المبعوث، فكأنّه قيل: النعت[٣] الذي كتبهم أو ذكره رهطكم هو نعت[٤] النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[٥] المبعوث في آخر الزمان، وأنّ نعتَه[٦] هذا مكتوبٌ في التوراة.

قوله: (أنّه شرط المُدِلِّ)[٧] بيان "ما ذكرتُ"، تقديره: مِن أنّه. يقال: هو يُدِلُّ بفلان، أي: يثِق به.[٨]

قوله: (لأنّ امتناع) اللام في "لأنّ" متعلّق بقوله: (مِن نحو).

قوله: (لا مجال فيه للشكّ) ومع هذا جيء بـ"إن"، كقول العامل: إن لم أعمل فقولوا: اقطع الطمع.

---

[١] ن: بعته.
[٢] ن: البعت؛ ف: العنت.
[٣] ن: البعث.
[٤] ن – نعت.
[٥] د ف – صلّى الله عليه وسلّم.
[٦] ن: بعثه.
[٧] ن: المدك.
[٨] الصحاح للجوهري، «دلل».

ويجوزُ أَنْ يُقصَد بحَرْفِ الشَّكِّ: التَّهَكُّمُ بهم.

فإن قلتَ: ما الفرقُ بين فعْلِ الاستجابة في الآية وبيْنَهُ في قوله:

فَـلَـمْ يَـسـتَـجِـبْـهُ عِـنـد ذاك مُـجِـيـبُ

حيثُ عُدِّيَ بغير اللَّام؟

قلتُ: هذا الفِعْلُ يَتعَدَّى إلى الدُّعَاء بنَفْسِه وإلى الدَّاعِي باللَّام، ويُحْذَفُ الدُّعاءُ إذا عُدِّيَ إلى الدَّاعِي في الغالب، فيُقَالُ: "اسْتَجابَ اللهُ دعَاءه" أو: "استجابَ له" ولا يَكادُ يقَالُ: "استجَاب له دُعَاءه"، وأمَّا البَيْتُ فمعناه: "فلم يَستَجِبْ دُعَاءَه" عَلى حَذفِ المُضاف.

فإن قلتَ: فالاستجابةُ تَقْتضِي دُعَاءً ولا دعاءَ هاهُنا؟

قلتُ: ﴿فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ﴾ أَمرٌ بالإتيَانِ، والأمرُ بَعثٌ على الفِعلِ ودُعاءٌ إليه، فكأنَّه قال: فإنْ لَم يَسْتَجيبُوا دُعَاءَكَ إلى الإتْيَانِ بالكتاب الأَهْدَى فاعْلَمْ أنَّهم قَد أُلزِمُوا ولم يَبْقَ لَهُم حُجَّةٌ إلَّا اتِّبَاعُ الهَوَى.

ثُمَّ قالَ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ﴾ لا يتَّبعُ في دِينهِ إلَّا ﴿هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: مَطْبُوعًا على قَلْبهِ مَمْنُوعَ الأَلْطافِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى﴾؛ ....

قوله:

(فلـــم يَســـتجِبْه عنـــد ذاك مُجيـــبُ)

أوّله:

وداعٍ دَعـا يـا مَـن يُجيب إلى النـدَى[1]

قوله: (قلتُ: هذا الفعل)... إلخ، وكذلك أجاب، وقد اجتمع الاستعمال في قوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى﴾ [البقرة ٢/١٨٦].

قوله: (في موضع الحال) يعني مِن الضمير في ﴿ٱتَّبَعَ﴾، ويدلّ عليه قوله: (مطبوعًا على قلبه).

---

[1] لكعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه أبا المغوار. انظر: لسان العرب لابن منظور، «جوب».

أي: لا يَلْطُفُ بالقوم الثَّابتِينَ على الظُّلْم الذين اللَّاطِفُ بهم عابثٌ، وقولُه: ﴿بِغَيْرِ هُدًى﴾ في مَوضعِ الحالِ، يَعني: مَخذولًا مُخَلًّى بَينَهُ وبَيْنَ هَواهُ.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥١﴾

قُرِئَ ﴿وَصَّلْنَا﴾ بالتَّشديد والتَّخفيفِ، والمعنى: أنَّ القرآنَ أتاهُم مُتَتابِعًا مُتَواصِلًا وَعْدًا ووَعيدًا وقِصَصًا وعِبرًا ومَواعِظَ ونصائِحَ إرادةَ أنْ يَتَذكَّرُوا فيُفلِحُوا، أو نَزَلَ عليهم نزُولًا مُتَّصلًا بَعْضُه في أَثَرِ بَعْضٍ، كقوله: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الشعراء ٥/٢٦].

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢﴾

نزَلَتْ في مُؤمني أَهْل الكتاب، وعن رِفاعةَ بن قَرَظَةَ: نزَلتْ في عَشرةٍ أنا أحَدُهم.

قوله: (اللّاطف بهم عابث) يعني: أنّ مَن لا يُفيد اللطف في حقّه لتصميمه على الكفر والعِناد لا يجوز أن يَلطُف به الله تعالى؛ لأنّ اللطف حينئذٍ في حقِّه عبَث، والله تعالى متعالٍ عن العبث، وهذا كلام مبنيّ على مذهبه.

قوله: (بالتشديد) سبعة. وقوله: (والتخفيف) شاذّ.[1]

قوله: (أو نزل بهم) فعلى التفسير الأوّل: يكون المراد: الاتّصال المعنويّ، أي: التناسب والتعاضد. وعلى الثاني: اتّصال نزول بعضِها بنزول بعضٍ في الزمان.

قوله: (وعن رِفاعة بن قَرَظة) قال المطرّزي في المُغرب: «القَرَظ: ورق السَّلَم يُدبَغ[2] به، وإليه أضيف سعد القَرَظِ المؤذّن؛ لأنّه كان يتّجر فيه، وبواحدته سمّي قَرَظة بن كعب، وبتصغيرها[3] سُمّيت إحدى قبائل يهود خيبر المنسوب إليها محمد بن كعبٍ القُرَظِيُّ».[4]

---

[1] مرويّة عن الحسن البصري. انظر: شواذ القراءات للكرماني، ص ٣٦٨.
[2] ن: يدفع.
[3] ن: وتصغيرها.
[4] المُغرب للمطرّزي، «قرظ».

وقيل: في أَرْبعين من مُسْلمي أَهْل الإنجيل: اثنانِ وثلاثُونَ جاؤوا مَع جَعْفرٍ من أَرْضِ الحَبشة، وثمَانيةٌ من الشَّام.

والضَّميرُ في ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾ للقرآنِ.

﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ۝٥٣﴾

فإن قلتَ: أيُّ فَرْقٍ بَيْنَ الاستِئنَافَيْنِ ﴿إِنَّهُ﴾ و﴿إِنَّا﴾؟

قلتُ: الأوَّلُ تَعْليلٌ للإيمانِ به؛ لأنَّ كَونه حَقًّا من الله حَقيقٌ بأَنْ يُؤمَنَ به، والثَّاني بيَانٌ لقَولِهِ: ﴿ءَامَنَّا﴾ لأنَّه يَحتمِلُ أَن يكُونَ إيمانًا قرِيبَ العَهْدِ وبَعِيدَهُ، فأَخبَرُوا أَنَّ إيمانَهُم به متَقَادِمٌ؛ لِأنَّ آباءَهُم القُدَماءَ قَرؤوا في الكُتُبِ الأُوَلِ ذِكْرَهُ وأبناءهُم مِن بَعْدِهم.

﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾: مِن قَبْلِ وُجودِه ونزُولهِ.

﴿مُسْلِمِينَ﴾: كائِنينَ على دِينِ الإِسْلام؛ لأن الإِسْلامَ صِفَةُ كُلِّ مُوَحِّدٍ مُصَدِّقٍ لِلوَحْيِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٥٤﴾

﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾: بصَبْرهم على الإيمانِ بالتَّوراة والإيمانِ بالقرآنِ، أو: بصَبْرِهم على الإيمانِ بالقُرآنِ قَبلَ نزُولهِ وبَعْد نزُولهِ، أو: بصَبْرهم على أَذَى المُشرِكينَ وأهلِ الكِتاب، ونحوُه: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد ٥٧/٢٨].

قوله: (مِن قَبل وجوده) / هذا إشارة إلى مذهبه، وأمّا أهل السنّة فيقولون: [٢٤٩و] مِن قَبل نزوله؛ لأنّ القرآن قديمٌ، فلا يصحّ أن يقال: آمنّا قبلَ وجود القرآن.

قوله: (لأنّ الإسلام) بيان أنّه كيف يصحّ أن يكونوا مسلمين قبل نزول القرآن.

قوله: (﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾: بصبرهم)... إلخ، فإنّ معنى الصبر: هو حبْسُ النفس على المَكاره، وهذا متحقّق في كلّ واحد مِن هذه التفاسير الثلاثة.

﴿بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾: بالطَّاعة المعْصيَةَ المُتقَدِّمةَ، أو: بالحِلْم الأذى.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ تَوْدِيعٌ ومُتَارَكةٌ، وعن الحَسن: كَلِمةُ حِلمٍ منَ المُؤمِنينَ.

﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: لا نُرِيدُ مُخَالَطَتَهُم وصُحبتَهُم.

فإن قلتَ: مَن خَاطَبُوا بقَولِهِمْ: ﴿وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾؟

قلتُ: اللَّاغينَ الَّذين دَلَّ عَليْهم قَولُه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ﴾.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾: لا تَقْدِرُ أَنْ تُدخِلَ في الإسلام كُلَّ مَن أحبَبْتَ أن يَدْخُلَ فيه مِن قَومِكَ وغيرِهم؛ لأنَّكَ عَبْدٌ لا تَعْلَمُ المَطْبُوعَ على قَلبِهِ من غَيْرِه ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ﴾ يُدْخِلُ في الإسلامِ ﴿مَن يَشَآءُ﴾ وهو الذي عَلم أنَّه غيرُ مَطْبُوعٍ على قَلبِهِ، وأنَّ الألطافَ تَنفَعُ فيه، فيَقْرُنُ به ألطافَه حَتَّى تَدْعُوَه إلى القبُول ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾: بالقَابِلين مِن الَّذين لا يَقْبَلُون.

قوله: (لأنّك عبد) متعلِّق مِن حيث المعنى بقوله: (كلَّ مَن أحببت)، أي: لأنّك عبد لا تعلم الغيب فلا[1] تميّز المَطبوع على قلبه مِن غيره، فتريد وتحبُّ إيمان طائفةٍ مطبوع على قلبهم، وذلك لا يمكن، ولو كنت تعلم المَطبوع على قلبه لَما أردت إيمانه، ولَما أحببتَ إلّا إيمان مَن ليس مطبوعًا على قلبه، فكنتَ تقدر على هداية كلِّ مَن أحببتَ أن يدخل فيه. ويظهر لك مما ذكرنا أنّ التعليل يجوز أن يكون متعلِّقًا بـ"تقدرُ"؛ بل هو الظاهر، أي: لا تقدر على إدخال جميعهم في الإسلام؛ لأنّك لا تعلم المَطبوع على قلبه فتريد[2] إيمانه. وقوله: (مِن غيره) متعلِّق بقوله: (لا تعلم) أي: لا تميّزه مِن غيره عالمًا بهما.

---

[1] ن: ولا. [2] ن: وتريد.

قال الزَّجَّاجُ: أَجْمَع المُسْلِمُونَ أَنَّها نزَلَتْ في أبي طالبٍ، وذلك أَنَّ أبا طالبٍ قال عِنْد مَوتِه: يا مَعْشَر بني هَاشم، أَطيعُوا مُحَمَّدًا وصَدِّقُوهُ تُفْلِحُوا وتَرْشُدُوا، فقَال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «يا عمّ! تَأمُرُهم بالنَّصِيحَةِ لأنفُسِهِمْ وتَدَعُها لنَفسكَ» قال: فما تُرِيدُ يا ابنَ أَخِي؟ قال: «أُرِيدُ مِنْك كلِمةً وَاحِدَةً فإنَّك في آخِرِ يَوْمٍ من أيَّام الدُّنْيَا: أن تَقُولَ لا إلهَ إلَّا اللهُ، أَشْهَدُ لك بهَا عِنْد اللهِ»، قال: يا ابنَ أخِي، قد عَلِمْتُ إِنَّكَ لَصَادِقٌ، ولكنِّي أَكْرَهُ أَنْ يُقَال: خَرِعَ عنْدَ المَوْتِ، ولولا أنْ تكُونَ عليكَ ....

قوله: (قال الزجّاج: «أجمَع»)[١] إجماع المسلمين على أنّ نزوله في أبي طالب لا ينافي قول المصنِّف في تفسيره: "كلّ مَن أحببْت مِن قومك وغيرهم"؛ لجواز أن يكون سبب النزول خاصًا، والحُكم عامًّا.

قوله: (أن تقول) بدل مِن "كلِمة"، أو خبر مبتدأ محذوف، أي: هي أن تقول.

قوله: («أشهد لك»)[٢] تقديره: لِأن أشهدَ، فحذف الجارّ، ثمّ حذف "أن"، فبقي الفعل مرفوعًا. ثمّ اعلم أنّ قوله عليه الصلاة والسلام: «أُريد» عُلّل بقوله:[٣] «فإنّك». ثمّ إنّ هذا الفعل[٤] المعلّل بهذا التعليل علِّل بقوله:[٥] «أشهد»، كأنّه قيل: أريد مِنك[٦] أن تقول هذه الكلمة في آخر عمرك لأشهدَ لك.

قوله: (خَرِعَ) أي: انكسر،[٧] الخَرَع -بالتحريك-: الرِّخاوة في الشيء، وقد خَرِعَ الرجل -بالكسر-، أي: ضَعُف، فهو خَرِعٌ.[٨] يريد أبو طالب: الضعف في العقل والخَرَف.

---

١ معاني القرآن للزجّاج، ٢/٦٨٠.

٢ قصّة وفاة أبي طالب وعرض النبيّ صلّى الله عليه وسلّم النطق بالشهادة عليه مرويّة في الصحيحين بغير السياق الذي ذكره المصنّف. انظر: صحيح البخاري، ٢/٩٥ (١٣٦٠)؛ صحيح مسلم، ١/٥٤ (٢٤).

٣ ن: فقوله.

٤ ف: التعليل المقيّد.

٥ ن – «فإنّك». ثمّ إنّ هذا الفعل المعلّل بهذا التعليل علِّل بقوله.

٦ ن: مثل.

٧ ن: بالكسر.

٨ الصحاح للجوهري، «خرع».

وعلى بني أَبيكَ غَضَاضَةٌ ومَسبَّةٌ بَعْدِي لَقُلتُها ولَأَقْرَرتُ بها عَيْنَك عندَ الفِراقِ؛ لِمَا أَرَى مِن شِدَّةِ وَجْدِكَ ونَصيحتِكَ، وَلكنِّي سوفَ أَمُوتُ على مِلَّةِ الأَشْيَاخِ عَبْدِ المُطَّلِب وهاشِمٍ وعَبْد مَناف.

﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧﴾

قالتْ قُرَيشٌ -وقيل: إنَّ القَائِلَ الحارثُ بنُ عُثمانَ بنِ نوفَلِ بن عبدِ مَنَافٍ-: نَحْنُ نَعْلمُ أنَّكَ على الحقِّ، ولكنَّا نَخافُ إنِ اتَّبعناكَ وخَالَفْنَا العَربَ بذلك وإنَّما نَحْنُ أَكَلَةُ رَأسٍ -أي: قَلِيلُون- أن يَتَخطَّفُونَا مِن أَرْضِنَا.

فألْقَمَهُم اللهُ الحجَر بأنَّه مكَّنَ لَهُم في الحَرم الَّذي آمَنَه بحُرْمةِ البَيْتِ، وآمَنَ قُطَّانَه بحُرمتِه، وكانَت العَربُ في الجَاهليَّة حَوْلَهُم يتَغاوَرُون ويتَناحرُونَ وهُم آمِنُونَ في حَرَمِهم لا يَخَافُون، وبحُرْمةِ البَيْت هُمْ قَارُّونَ بوَادٍ غيْرِ ذِي زَرْعٍ والثَّمراتُ والأَرْزاقُ تُجْبَى إلَيْهم مِن كُلِّ أَوْبٍ، فإذَا خَوَّلَهم اللهُ ما خَوَّلَهم

قوله: (غَضاضة) يقال: ليس عليك في هذا الأمر غَضاضة، أي: ذِلَّة ومَنقصة.[١]

قوله: (بذلك) أي: بالاتّباع.

قوله: (أَكَلةُ رأسٍ) قولهم: هم[٢] أَكَلةُ رأسٍ، أي: قليلون[٣] يُشبعهم رأسٌ واحد، وهم جمع آكِلٍ.[٤] وقوله: (أن يتخطّفونا) مفعول "نخاف".

قوله: (فألقمَهم الله الحَجر) أي: أجابهم بجواب مُسكتٍ، كأنّه أسقط وأوقع الحَجر في فيهم، كاللقمة[٥] الملقاة في الفم.

قوله: (حولهم) أي: حول قُطّان[٦] الحرم.[٧]

قوله: (كلِّ أَوْبٍ) أي: ناحيةٍ.

---

١ الصحاح للجوهري، «غضض».

٢ ن – هم.

٣ ن: فليكون.

٤ الصحاح للجوهري، «أكل».

٥ ن: كاللقم.

٦ ن: وطان.

٧ قَطَن بالمكان يَقطُن: أقام به وتوطّنه، فهو قاطن، والجمع: قُطّان وقاطنة. الصحاح للجوهري، «قطن».

مِن الأَمْنِ والرِّزقِ بحُرمَةِ البَيْتِ وَحْدَها وهم كفَرةٌ وعبَدةُ أَصْنامٍ، فكيْفَ يَسْتقيمُ أَن يُعَرِّضَهُم لِلتَّخوُّفِ والتَّخطُّفِ ويَسْلُبَهُم الأمْنَ إذَا ضَمُّوا إلى حُرْمةِ البَيْتِ حُرْمةَ الإسْلامِ؟

وإِسْنادُ الأَمْنِ إلى أَهْل الحَرم حَقِيقةٌ وإلى الحَرَم مجَازٌ.

﴿تُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ﴾: تُجْلَبُ وتُجمَعُ، قرئَ بالتاء والياءِ، وقرئَ: "تُجْنى" بالنون من الجَنْيِ، وتعْدِيَتُه بـ"إلى" كقولك: يَجْنِي إلى فيهِ ويَجْنِي إلى الخَافَةِ.

و: "ثُمرات": بضمَّتينِ، وبضمَّةٍ وسُكُونٍ.

ومَعْنَى الكُلِّيَّةِ: الكَثْرةُ؛ كقَوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل ٢٧/٢٣].

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مُتعَلِّقٌ بقَوله: ﴿مِن لَّدُنَّا﴾؛ أي: قَليلٌ منهُم يُقِرُّونَ بأنَّ ذلك رزْقٌ من عندِ اللهِ، وأكثَرُهم جَهَلةٌ لا يَعْلمُونَ ذلك ولا يَفْطُنُونَ له، ولو عَلِمُوا أَنَّه مِن عند الله لعَلِمُوا أنَّ الخوْفَ والأمْنَ مِن عنْدِه، ولَمَا خَافُوا التَّخطُّفَ إذا آمَنُوا به وخَلَعُوا أَنْدادَهُ.

قوله: (أن يُعَرِّضَهم) التعريض للشيء: النصب له.

قوله: (إلى الخافة) الخافة: خريطة[1] مِن أَدَم، يُشتار[2] فيه العسل.[3] وقيل: الزَّبيل[4] مِن الجِلدة.

قوله: (ومعنى الكلّيّة) الكثرة، فمعنى ﴿ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: ثمرات الأشياء الكثيرة. وقوله: (إذ آمنوا به) ظرف "التخطّف". وقوله: (وخلَعوا) يقال: خلَع نعله وثوبه وقائدَه،[5] وقوله: «نخلَع ونترك مَن يفجُرك»،[6] أي: نتبرّأ مِنه.[7]

[1] الخَرِيطَةُ: وعاءٌ مِن أَدَم وغيرِه. الصحاح للجوهري، «خرط».

[2] شُرْتُ العسلَ واشترتها، أي: اجتنيتها. الصحاح للجوهري، «شور».

[3] الصحاح للجوهري، «خوف».

[4] ن: الزبيد. | الزَّبِيل والزِّنبيل: الجِراب، وقيل: الوعاء يُحمل فيه. لسان العرب لابن منظور، «زبل».

[5] الصَّحاح للجوهري، «خلع».

[6] مِن القنوت المرويّ عن عمر رضي الله عنه. انظر: الدعاء للطبراني، ص ٢٣٨ (٧٥٠)؛ ومصنَّف عبد الرزّاق، ٣/١١٠ (٤٩٦٨).

[7] ن - وقوله: «نخلَع ونترك مَن يفجُرك»، أي: نتبرأ مِنه. | المُغرب للمطرّزي، «خلع».

فإن قلتَ: بمَ انتصَبَ ﴿رِزْقًا﴾؟

قلتُ: إنْ جَعَلْتَهُ مَصْدرًا جازَ أَنْ ينتصِبَ بمَعْنى ما قَبله؛ لأنَّ مَعْنَى ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ و"يُرْزَقُ ثمراتِ كُلِّ شَيءٍ": واحدٌ، وأَن يكُونَ مفعُولًا لهُ، وإنْ جَعلْتَه بمَعنَى: "مَرْزُوقٍ" كان حالًا من "الثَّمراتِ" لتخصُّصِها بالإضافة كما تنتَصِبُ عن النَّكرة المُتخَصِّصة بالصِّفةِ.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾

هذا تَخويفٌ لِأهل مكَّةَ مِن سُوءِ عَاقبةِ قَوْمٍ كانُوا في مِثْل حَالِهم مِن إنْعَام اللهِ عَليْهم بالرُّقُود في ظِلال الأَمْنِ وخَفْضِ العَيْشِ، فغَمِطُوا النِّعمَة وقَابَلُوهَا بالأَشَر والبَطَر، فَدَمَّرَهُم اللهُ وَخرَّبَ دِيَارَهُم.

وانتصبَت ﴿مَعِيشَتَهَا﴾: إمَّا بحَذْفِ الجَارِّ وإيصالِ الفعل؛ كقوله: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف ١٥٥/٧].

وإمَّا على الظَّرْف بنَفْسِهَا كقولك: "زَيْدٌ ظَنِّي مُقيمٌ"، أو بتَقدير حَذفِ الزَّمانِ المُضافِ أَصْلُه: بَطِرَتْ أيَّام مَعِيشتِهَا؛ كـ"خفُوقَ النَّجْم" و"مقْدَمَ الحَاجِّ".

[٢٤٩ظ] قوله: (بمعنى ما قبله)[١] / أي: مفعولًا مطلقًا.

قوله: (فَغَمِطوا النِّعمة) غَمِطَ النِّعمة -بالكسر- يَغْمَطُها، ويقال: غَمِطَ عيشَه وغَمَطه -بالفتح- يَغْمِط غَمْطًا -بالتسكين فيهما- أي: بَطِرَه وحَقَّره.[٢]

قوله: (بحذف الجارّ) تقديره: مِن مَعيشتها، أو بسبب مَعيشتها.

قوله: (بنفسها) أي: مِن غير تقدير الزمان.

قوله: (أصله: بَطِرَتْ أيامَ مَعيشتها) لا حاجة في هذا الوجه إلى تقدير الزمان؛ لأنَّ "المعيشة" تصلح أن تكون اسم الزمان، وكذا لا حاجة[٣] في "مَقدم الحاجّ"

---

[١] ن - قوله: (بمعنى ما قبله).

[٢] الصحاح للجوهري، «غمط».

[٣] ن: الا خاحه.

وإمّا بتضمين ﴿بَطِرَتْ﴾ مَعْنى: كفَرَتْ وغَمِطَتْ.

وقيل: البَطَرُ: سُوءُ احْتِمالِ الغِنَى، وهُو أن لا يُحفَظَ حَقُّ الله فيه.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ من السُّكنَى، قال ابنُ عبَّاسٍ: لم يَسْكُنْها إلَّا المُسَافِرُ ومَارُّ الطَّرِيقِ يَومًا أو سَاعةً.

ويَحتمِلُ: أنَّ شُؤْمَ مَعَاصِي المُهْلَكين بَقيَ أَثرهُ في ديَارهِمْ فكُلُّ مَن سَكنَها من أعْقابِهم لم يَبْق فيها إلَّا قليلًا.

﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ لِتلك المسَاكِن مِن سَاكنيها؛ أي: ترَكْنَاها على حالٍ لا يَسْكُنها أَحَدٌ، أو: خَرَّبنَاهَا وسَوَّينَاهَا بالأَرض:

إلى تقدير الزمان المضاف، بخلاف "خُفوق النجم"، ولو قيل: هذا الذي ذكرته هو الذي أشار إليه المصنِّف آنفًا بقوله: (بنفسه)، قلت: ليس كذلك؛ بل جعله مصدرًا، ثمّ قال: "إمّا هو منصوب على الظرف مجازًا، مثل:[١] زيد ظنّي مقيم، وإمّا بتقدير الزمان"، وأمّا الذي قلناه فهو أن يجعل[٢] "المعيشة" هو اسم الزمان.

قوله: (إلّا قليلًا مِن السُّكنى) سكنتُ داري، وأسكنتها غيري، والاسم مِنه: السُّكنى، كما أنّ العُتبى[٣] مِن الإعتاب.[٤] فقوله: "إلّا قليلًا مِن السُّكنى"، أي:[٥] إلّا سكونًا قليلًا.

قوله: (ويحتمل) عطف على (قال) مِن حيث المعنى؛ لأنّ هذا إشارة إلى وجه آخر غير ما نقله عن ابن عبّاس رضي الله عنه.[٦]

قوله: (أو خرَّبناها)[٧] فيكون المعنى: لم تبقَ مساكنهم بعدهم أيضًا؛ بل خَرِبتْ، وسمّي هذا إرثًا، ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى ٥٣/٤٢].

---

١ ن: منك.

٢ ن: نجعل.

٣ ن: البعتى.

٤ الصحاح للجوهري، «سكن».

٥ ن: أنى.

٦ د – رضي الله عنه. | انظر: الكشف والبيان للثعلبي، ٤٧٨/٢٠ (القصص، ٥٨/٢٨).

٧ ن: أو خربنا.

تـتَخـلَّـفُ الآثــارُ عـن أصحابها حِـينًـا وَيُـدْرِكُـهَـا الـفـنَـاءُ فـتَـتْـبَـعُ

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَـٰلِمُونَ ۝٥٩﴾

وما كانت عَادَةُ رَبِّكَ أَنْ يُهْلِكَ ﴿ٱلْقُرَىٰ﴾ في كُلِّ وَقت ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ﴾ في القَرْيةِ التي هي أمُّها؛ أي: أَصْلُها وقَصَبَتُها التي هي أَعْمالُهَا وتَوابعُهَا ﴿رَسُولًا﴾ لإلزَام الحُجَّة وقَطْعِ المَعْذِرَة، مع عِلْمِه أَنَّهُم لا يُؤمنُون.

أو: ﴿وَمَا كَانَ﴾ في حُكم الله وسابقِ قضَائه أَن يُهلكَ ﴿ٱلْقُرَىٰ﴾ في الأرض ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ﴾ أُمِّ القُرَى -يَعْني: مَكَّة- ﴿رَسُولًا﴾ وهُو محمَّدٌ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم خاتَمُ الأَنبياء.

وقرئ ﴿أُمِّهَا﴾ بضمِّ الهمزة، وكسرِها لإتْباع الجرِّ.

وهذا بيَانٌ لعَدْلهِ وتَقدُّسِه عن الظُّلم، حَيْثُ أَخْبرَ بأنَّه لا يُهْلِكُهُم إلَّا إذا استَحَقُّوا الإِهْلاكَ بظُلْمِهم، ولا يُهْلِكُهم معَ كونِهم ظَالِمينَ إلَّا بَعْدَ تأكيدِ الحُجَّة والإلْزام ببِعْثَةِ الرُّسُل، ولا يَجعَلُ علْمَهُ بأَحْوالِهم حُجَّةً عليهم، ونَزَّهَ ذاتَه أنْ يُهْلِكَهُم وهُم غيرُ ظَالمينَ؛ كما قال: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود ١١/١١٧] فنصَّ في قوله: ﴿بِظُلْمٍ﴾ أنَّه لو أَهْلكَهُم وهُم مُصْلِحُونَ

قوله: (تتخلَّف)... البيتَ.[١] قال أبو الطيّب: تَتبَّع الآثار الأصحاب.[٢] ومعنى البيت: إنّ الآثار تبقى بعد أصحابها زمانًا مِن الدهر، ثمّ تفنى وتتبع أصحابها في الفناء. أوّل البيت مناسب للمعنى الأوّل، وآخره للثاني. وقوله: "فتَتْبَع"، أي: فتَتْبَعُ الآثار الأصحاب.

قوله: (وقَصَبتُها) قصبةُ[٣] القرية: وسطها، وقصبة السواد: مَدينتها.[٤]

قوله: (هيَ[٥] أعمالها) "هي"[٦] يعود إلى "القُرى"، وأعمالها أي: سوادها.

---

[١] لأبي الطيّب المتنبي في ديوانه، ص ٥٠٧.
[٢] ف + الأولى.
[٣] ن: قضبة.
[٤] الصحاح للجوهري، «قصب».
[٥] ن + هي.
[٦] ن – هي.

لكان ذلك ظُلمًا مِنه، وأنَّ حالَه في غناه وحكمَتَه مُنافيَةٌ للظُّلم، دَلَّ على ذلك بحَرْفِ النَّفيِ مع لامِه كما قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة ١٤٣/٢].

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

وأَيَّ شَيءٍ أَصبتُموهُ من أسْبَاب الدُّنيَا فما هو إلَّا تَمتُّعٌ وزِينةٌ أيَّامًا قَلائِلَ، وهي مدَّةُ الحيَاةِ المُنقَضيَةِ ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ وهو ثوابُه ﴿خَيْرٌ﴾ في نَفْسه مِن ذلك ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ لأنَّ بَقَاءهُ دائمٌ سَرْمَدٌ.

وَقُرِئَ: ﴿يَعْقِلُون﴾ بالياء، وهو أبْلَغُ في المَوْعِظةِ.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنه: أنَّ الله خلقَ الدُّنيَا وجعَلَ أَهْلَهَا ثلاثَةَ أَصْنافٍ: المُؤمِنَ والمُنافقَ والكافِرَ، فالمؤمنُ يتَزوَّدُ والمنافقُ يَتَزيَّنُ والكافرُ يَتمتَّعُ.

﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾

هذه الآيةُ تَقْريرٌ وإيضاحٌ للَّتي قبلَهَا.

و"الوَعْدُ الحَسَنُ": الثَّوابُ؛ لأنَّه مَنافِعُ دائمةٌ على وَجْه التعظيم والاسْتِحقَاقِ، وأَيُّ شَيءٍ أَحْسَنُ منها؟ ولذلكَ سَمَّى اللهُ الجنَّةَ بالحُسْنَى.

و﴿لَٰقِيهِ﴾ كقَوله: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان ١١/٧٦] ....

قوله: (دلّ على ذلك) أي: على أنّ حاله منافية للظلم.

قوله: (وهو أبلغ) لاشتماله[1] على الالتفات.

قوله: (يتزيَّن) أي: يُزَيِّنُ ظاهره بالإيمان والعمل الصالح.

قوله: (كقوله:[2] ﴿وَلَقَّىٰهُمْ﴾ [الإنسان ١١/٧٦]) أي: هو مثله في المعنى؛ لأنّه تعالى إذا لقّاهم يَلقونه لا محالة.

---

[1] ن: لاستمالة.

[2] ف: كقولهم.

وعَكسُه: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم ٥٩/١٩].

﴿مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾: مِن الَّذِينَ أُحْضِرُوا النَّارَ، ونَحوُه: ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [الصافات ٥٧/٣٧]، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات ١٢٧/٣٧].

قيل: نزَلتْ في رسُول الله صلى الله عليه وسلم وأبي جهْلٍ لعنه الله.

وقيل: في عَليٍّ وحَمْزةَ وأبي جَهْلٍ.

وقيل: في عمَّارِ بن ياسرٍ والوَليدِ بن المُغيرة.

فإن قلتَ: فسِّرْ لي الفَاءَيْنِ و﴿ثُمَّ﴾ وأَخْبِرْني عن مَواقعهَا؟

قلتُ: قَد ذَكَر في الآيَة الَّتي قبلَها متاعَ الحيَاةِ الدُّنيَا وما عنْدَ الله وتفَاوُتَهُما، ثُمَّ عقَّبَه بقوله: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ﴾ على مَعْنى: أَبَعْدَ هذا التَّفَاوُتِ الظَّاهر يُسَوَّى بين أبناءِ الآخِرةِ وأبناءِ الدُّنيَا، فهذا مَعْنى الفاء الأُولَى وبَيانُ مَوْقِعها.

وأمَّا الثَّانيةُ: فلِلتسبِيبِ؛ لأنَّ لقاءَ المَوْعُودُ مُسَبَّبٌ عن الوعْدِ الذي هو الضَّمانُ في الخَيْر.

وأمَّا ﴿ثُمَّ﴾ فلتَراخِي حَال الإحضَارِ عن حَالِ التَّمتيع، لا لِتَراخي وَقْتهِ عن وَقْتهِ.

وقرئ: ﴿ثُمَّ هْوَ﴾ بسُكون الهَاء؛ كما قيلَ: "عَضْدٌ" في "عَضُدٍ"، تشبيهًا للمُنفَصِل بالمتَّصلِ، وسُكُونُ الهاء في: "فَهْوُ وَهْوَ ولَهْو" أَحْسَنُ؛ لأنَّ الحرْفَ الواحدَ لا يُنطَقُ به وَحْدَه فهُو كالمتَّصلِ.

قوله: (ونحوه: ﴿لَكُنتُ﴾) ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [الصافات ٥٧/٣٧].

قوله: (أحسنُ) أي:[١] مِن سكون الهاء في ﴿ثُمَّ هْوَ﴾.[٢]

قوله: (فهو كالمتّصل) فيكون كـ"عين" "عضد".

قوله:

---

١ ن – أي.

٢ قرأ بإسكان الهاء مِن ﴿ثُمَّ هْوَ﴾ الكسائي، وهو أحد الوجهين عن أبي جعفر وقالون. وأمّا إسكان الهاء مِن "هو" و"هي" إذا سبقت بواو أو فاء أو لام فهو قراءة أبي عمرو والكسائي وأبي جعفر وقالون. انظر: النشر لابن الجزري، ٢٠٩/٢.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿شُرَكَآءِىَ﴾ مَبْنيٌّ عَلى زُعْمِهم وفيه تَهَكُّمٌ.

فإن قلتَ: "زَعَمَ" يطلُب مَفعُولين كقَوله:

ولَــمْ أَزْعُــمْــكَ عــن ذاك مَـعْـزِلا

فأينَ هُما؟

قلتُ: محْذوفَانِ، تقديرُه: الذين كنتُم تَزعُمونَهُم شُركائي، ويجُوزُ حَذفُ المفعُولَين في باب "ظَنَنْتُ" ولا يَصِحُّ الاقتصَارُ على أحَدهما.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾: الشيَاطِينُ، أو أئِمَّةُ الكُفْر وَرُؤُوسُهُ، ومَعْنَى ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾: وجبَ عليْهِم مُقتَضَاه وثبتَ، وهو قولُه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود ١١/١١٩].

و﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ مُبتَدأٌ، و﴿ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ صِفَتُهُ، والرَّاجِعُ إلى المَوصُول مَحْذُوفٌ،

(ولَــم أزعُــمْــكَ عــن ذاك مَـعْـزِلا)[١]

أي: ما ظننتك، والزُّعم: القول عن غير صحّة، والمراد هنا: الظنّ. و"المَعزل": المكان البعيد. يقول: لم أظنّك متجاوزًا عن ذاك الأمر واقعًا في مكان بعيدًا مِنه. فقوله: "عن ذاك" في محلّ المفعول الثاني لـ"أزعم". و"مَعزل"[٢] حال أو ظرف.

قوله: (أئمّة الكفر) أي: أئمة أهل الكفر، ورءوس أهل الكفر.[٣]

---

١ قال الطِّيبي: أوّله:
وإنّ الـذي قد عـاش يا أُمّ مالكٍ
يـــــمـــــوتُ...
قال: ويُروى:
عَددتَ قُشيرًا إذْ فَخرتَ فلَم أُسَا
بِــــــذاكَ...
فتوح الغيب للطِّيبي، ١٢/٨٩. وبالرواية الثانية ورد في ديوان النابغة الجعدي، ص ١٢٨، لكن بلفظ: "ولم أزمعك" بدل "ولم أزعمك".

٢ ن: معزل.

٣ ن - ورءوس أهل الكفر.

و﴿أَغْوَيْنَاهُمْ﴾ الخبَرُ، والكافُ صِفَةُ مصدرٍ محذوف تقديرُه: أغوَيْناهُم فغوَوا غَيًّا مثلَ ما غَوَيْنا، يعْنُونَ: أنّا لم نَغْوِ إلّا باختيارِنا، لا أَنَّ فوقَنا مُغْوِينَ أغوَوْنا بقَسْرِهم منهُم وإلْجاءٍ، أو دَعَوْنَا إلى الغيِّ وسَوَّلوهُ لنا فهؤلاء كذلك غَوَوْا باختيَارِهم لأنَّ إغواءنا لهم لم يكُنْ إلّا وَسْوسَةً وتَسْويلًا لا قسرًا وإلْجَاءً، فلا فرْقَ إذَنْ بَين غَيِّنا وغَيِّهِم، وإن كان تَسْويلُنَا دَاعيًا لهم إلى الكُفر فقد كان في مُقَابَلتِه دُعَاءُ الله لهُم إلى الإيمانِ بما وضَعَ فيهم من أَدِلَّة العقل، وما بَعَث إليهم من الرُّسُل وأَنزل عليهم من الكتُب المشحُونة بالوَعدِ والوعِيد والمواعِظ والزَّواجِر، وناهيكَ بذلك صَارفًا عن الكُفْر وداعيًا إلى الإيمانِ، وهذا مَعْنَى ما حَكاه اللهُ عن الشَّيطانِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾ [إبراهيم ٢٢/١٤] واللهُ عزَّ وجلَّ قدَّمَ هذا المعْنَى أَوَّلَ شَيءٍ حيث قال لإبليسَ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر ٤٢/١٥].

قوله: (لا أنّ فوقنا) أي: لا بأنّ فوقنا، واسم "أنّ" هو "مغوين"، و"أغوَونا" صفة، و"فوقَنا" خبر "أنّ" قدّم على الاسم لشدّة الاعتناء ببيان أنّ كونهم فوق لم يقتضِ[1] الإغواء.

قوله: (لا قَسرًا) عطف بـ"لا" في قوله: "لا قسرًا" بعد النفي والإثبات، وقد كتبنا مِرارًا في الحاشية أنّ هذا غير صحيح كما ذكره صاحب المفتاح فيه.[2]

قوله: (وناهيك بذلك) أي: "بما وَضع فيهم"... إلخ،[3] "بذلك" في محلِّ المبتدأ، والباء زائدة فيه، و"ناهيك" خبر مقدَّم.

[٢٥٠و] / قوله: (والله عز وجل قدَّم) هذا يعني: أنّ هذا المعنى الذي ذكر في الموضعين مِن حكاية قول إبليس في إغوائه[4] الناس قد ذكره الله تعالى قبل كلّ شيء، أي: قبل الأمور المتعلِّقة بتكليف الناس وبعثة الرسل وإغواء الشيطان الناس وعِصيانهم بسبب إغوائه إيّاهم.

---

١ ن: يقيض.
٢ انظر: مفتاح العلوم للسكّاكي، ٢٩٣/١.
٣ ن + أي: كفى.
٤ ن: أعوانه.

﴿تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ منهُم، ومِمَّا اختَارُوهُ مِن الكُفْر بأنفُسهم هَوًى منهُم للبَاطِل ومقْتًا للحقِّ، لا بقُوَّةٍ منَّا على استكْرَاهِهم ولا سُلطَانٍ.

﴿مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ﴾ إنَّما كانوا يَعْبُدون أَهْوَاءهُم ويُطيعُون شَهوَاتِهم.

وإخْلاءُ الجُملتينِ من العَاطِف لِكوْنِهما مُقَرِّرَتَيْنِ لمَعْنى الجُمْلَةِ الأولَى.

﴿وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ ٦٤ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦٥ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ ٦٦﴾

﴿لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ﴾ لوَجْهٍ من وجُوه الحِيَلِ يَدْفعُونَ بهِ العَذابَ، أو: لَو أَنَّهُم كَانُوا مُهْتَدِينَ مُؤمِنين لَمَا رَأوهُ، أو تمنَّوا لو كانوا مُهتَدينَ، أَو تحيَّرُوا عنْدَ رُؤيتِه وسَدِرُوا فلا يَهْتَدُونَ طَرِيقًا.

قوله: (ولا سلطان) المراد بـ"السلطان": البرهان[١] والحجّة؛ ليَحسُن عطفه على "لا بقوّة".[٢]

قوله: (يدفعون) صفة "وجه"، وجواب "لو" هو قوله: (لَما رأوه) مِن حيث المعنى. واعلم أنّ هذا البيان ليس بشيء؛ بل الصواب أنّ الجواب المحذوف على هذا الوجه هو قوله: "يدفعون"، وعلى الوجه الثاني هو قوله: "لَما رأوه". والفرق بين الوجهين أنّ المراد بالاهتداء في الوجه الأوّل: هو أن يهتدوا في الآخرة[٣] عند رؤية العذاب لوجه مِن وجوه الحيل الدافعة للعذاب. وفي الوجه الثاني: أن يكونوا مهتدين مؤمنين في الدنيا؛ لئلا يُصيبهم في الآخرة العذاب. وقوله:[٤] (أو تمنّوا)... إلخ، وعلى هذا الوجه يكون التقدير: قائلين: لو كنّا مهتدين، فحذف القول وحكي المقول مِن حيث المعنى. وقوله: (أو تحيّروا)... إلخ، حاصل هذا الوجه: الإشارة إلى أنّهم يكونون متحيّرين سَدِرين[٥] عند رؤية العذاب،

---

١ ن: البراهين.
٢ ن: يقرّه.
٣ ن - في الآخرة.
٤ ن: قوله.
٥ السادِر: الذي لا يهتمّ ولا يُبالي ما صَنَع، والسَّدَر: تَحيُّر البَصَر، يقال: سَدِر البَعيرُ -بالكسر- يَسْدَرُ سَدَرًا وسَدارةً: تحيّر مِن شدّة الحرّ، فهو سَدِرٌ. الصحاح للجوهري، «سدر».

حَكَى أَوَّلًا ما يُوبِّخُهم به مِن اتِّخاذِهم لَهُ شُرَكاءَ، ثُمَّ ما يَقُوله الشَّياطينُ أَو أئمَّتُهُم عند تَوْبِيخهم؛ لأَنَّهُم إذا وُبِّخُوا بعبَادة الآلهَة اعْتَذرُوا بأنَّ الشَّياطينَ هم الَّذين استَغْوَوْهُم وزَيَّنُوا لَهُم عبادَتها، ثمَّ ما يُشبهُ الشَّماتَة بهم من استِغَاثَتِهم آلِهتَهُم وخِذْلَانِهم لَهُم وعجْزِهم عن نُصْرَتِهِمْ، ثمَّ ما يُبَكِّتُونَ به من الاحتِجَاج عليهم بإرسالِ الرُّسُلِ وإزاحةِ العِلَلِ.

﴿فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ﴾: فصَارَت الأنباءُ كالعُمي عَليْهم جميعًا لا تَهتدي إلَيْهم.

ومعنى "لو" على هذا الوجه: أنّهم أحقّاء بأن يقول قائل في حقّهم: ليت الاهتداء يحصل لهم، وليتهم ما كانوا متحيّرين سَدِرين. والصواب في تقرير هذا الوجه الأخير أن نقول: إذا تحيَّروا عند رؤية العذاب تمنَّوا اهتداء الطريق حينئذٍ ليتخلّصوا مِن تلك الحَيرة والسَّدَر. والفرق بين الوجهين الأخيرين:[١] أنّ معنى الوجه الأوّل مِنهما: أنّهم إذا رأوُا العذاب تمنَّوا لو كانوا مؤمنين مهتدين في الدنيا؛ لئلا يكونوا واقعين يوم القيامة في العذاب. ومعنى الوجه الثاني مِنهما: أنّهم إذا وقعوا في العذاب وتحيَّروا ولم يجدوا طريقًا إلى جهة مِن الجهات تمنَّوا أن لو يجدون جهةً ما فيتخلّصوا مِن تلك الحَيرة التي وقعوا فيها.

قوله: (حكى أوّلًا) إشارة إلى ارتباط الكلام مِن قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ﴾. وقوله:[٢] (ثمّ ما يقوله)[٣] أي: ثمّ حكى، أي: إنّما ذكر هذا الكلام الثاني بعد الأوّل لهذه المناسبة.

قوله: (فصارت الأنباء كالعُمي) العمَى: عمى[٤] العين، تقول: عمِيَ يعمَى عمًى، ورجل عَمٍ، وقوم عَمون، قاله في المُجمل.[٥] وقال في المُغرب: «عمي عليه الخبر، أي:[٦] خَفِيَ، مجاز مِن عمَى البصر».[٧] والمعنى المذكور[٨] في المُجمل

---

١ الأخرين.
٢ ن: قوله.
٣ ن: قوله.
٤ ن: عين.
٥ مجمل اللغة لابن فارس، «عمي».
٦ ن – أي.
٧ المُغرب للمطرّزي، «عمي».
٨ ن: المذلور.

﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾: لا يَسْأَلُ بَعْضُهُم بَعضًا كما يَتَسَاءَلُ النَّاسُ في المُشكِلاتِ؛ لأَنَّهُم يَتَسَاوَوْنَ جميعًا في عَمَى الأنبَاءِ عليهم والعَجزِ عن الجَوابِ.

وقرئ: "فَعُمِّيَت".

والمُرادُ بالنَّبأ: الخَبرُ عمَّا أجَاب بهِ المُرسَلُ إلَيْه رَسُولَه، وإذا كانت الأنبياءُ لِهَول ذلك اليَوْم يَتتعتَعُون في الجَواب عن مثْلِ هذا السُّؤال وَيُفوِّضُون الأَمْرَ إلى علمِ اللهِ، وذلك قولُه تعَالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة ١٠٩/٥] فمَا ظَنُّك بالضُّلَّالِ من أُمَمِهِم؟

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ۝٦٧﴾

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾ من المُشْركينَ من الشِّرْك وجَمَع بيْنَ الإيمان والعَملِ الصَّالح ﴿فَعَسَىٰٓ أَن﴾ يُفْلحَ عند اللهِ، و"عسَى" من الكِرام تَحْقِيقٌ.

ويجُوز أَنْ يُرادَ: ترَجِّي التَّائبِ وطمَعُه؛ كأنَّه قال: فلْيَطْمَعْ أَنْ يُفْلِحَ.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٨﴾

"الخِيَرَةُ" من التَّخيُّر كالطِّيَرة من التَّطيُّرِ: تُستعمَلُ بمَعنى المصْدَر وهو التَّخيُّرُ، وبمَعْنَى المُتخيَّر كقَولهم: "مُحمَّدٌ خِيَرَةُ اللهِ مِن خلقهِ".

﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ بيَانٌ لقَوله: ﴿وَيَخْتَارُ﴾؛ لأنَّ مَعْناه: ويختَارُ ما يَشاءُ، ولهذا

مناسب للمعنى الذي ذكره المصنِّف. وإنّما قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمُ﴾؛ لأنّ وبال العمَى -وإن كان العمَى للأنباء-[1] عائد إليهم. وقوله: (لا تهتدي) أي: الأنباء.

قوله: (يَتَتَعْتَعون) التعتَعة في الكلام: التردُّد فيه مِن حصَرٍ أو عِيٍّ.[2]

قوله: (بيانٌ) فعلى هذا يكون ﴿مَا﴾ نافية، ويكون ﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾ بمعنى التخيُّر.

قوله: (ولهذا) أي:[3] لكونه بيانًا.

---

[1] ن: الأنباء.

[2] الصحاح للجوهري، «تعع».

[3] ن: التي.

لم يَدخُلِ العَاطفُ، والمَعنَى: أنَّ الخِيَرَة لِلهِ في أَفعَاله، وهو أَعْلمُ بوُجُوهِ الحِكْمةِ فيها ليس لأحَدٍ من خَلْقِه أن يَختار عليه.

قيل: السَّببُ فيه قولُ الوَليد بن المغيرَةِ: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف ٣١/٤٣]، يَعْني: لا يَبْعَثُ اللهُ الرُّسلَ باختيارِ المُرْسَلِ إلَيْهم.

وقيل: مَعناه: ويَخْتَارُ الَّذي لهم فيه الخيَرَةُ؛ أي: يختارُ للعبَاد ما هو خَيْرٌ لهم وأَصْلحُ، وهو أعلمُ بمصَالحِهِمْ من أنفُسِهم، من قَولهم في الأَمْرَيْنِ: "ليسَ فيهما خِيَرَةٌ لمُختَارٍ".

فإن قلتَ: فَأَينَ الرَّاجِعُ مِن الصِّلَةِ إلى الموصُول إذا جَعَلْتَ ﴿مَا﴾ مَوْصُولةً؟

قلتُ: أَصْلُ الكلام: "ما كان لهم فيه الخِيَرَةُ" فحُذِفَ "فيه" كما حُذِفَ "مِنْه" في قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان ١٧/٣١] لأنَّه مَفهُومٌ.

﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: اللهُ بَرِيءٌ مِن إشرَاكِهم، وما يَحْمِلُهم عليه من الجُرأةِ على الله واختيَارِهم عليه ما لا يُختَارُ.

قوله: (وقيل:[١] معناه: ويختار)... إلخ، وعلى هذا يكون ﴿مَا﴾ موصولة، والعائد محذوف، ويكون ﴿ٱلۡخِيَرَةُ﴾ بمعنى المتَخَيَّر، وعلى[٢] الوجه الأوّل[٣] كانت نافية.

قوله: (مِن قولهم) / خبر مبتدأ محذوف، أي: هذا مِن قَبيل قولهم. وقوله: (ليس فيهما خِيَرة) أي: ليس فيهما خير لمن يختار[٤] أحدهما. [٢٥٠ظ]

قوله: (﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾) ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ﴾... [الشورى ٤٣/٤٢]. وقوله: (فحُذف "فيه") "فيه" أقيم مقام فاعل "حُذِف" في موضعين، وقد تنازعا في "لأنّه".

قوله: (مِن الجُرأة) بيان "ما".

قوله: (واختيارهم) عطف على "ما"، يريد قولهم: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ

---

[١] ن: ومثل.
[٢] ف + هذا.
[٣] ف – الأوّل.
[٤] ن: يخبار.

﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٦٩﴾

﴿مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ مِن عَداوة رَسُول اللهِ وَحسَده ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ من مَطَاعِنهم فيه، وقَولِهِمْ: هَلَّا اختِيرَ عَلَيه غيْرُه في النُّبوَّةِ.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٧٠﴾

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾: وهُو المُستأثِرُ بالإلهيَّةِ المختصُّ بهَا، و﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ تقريرٌ لذلك؛ كقولك: "الكَعْبةُ القِبْلةُ لا قِبْلةَ إلَّا هيَ".

فإن قلتَ: الحَمدُ في الدُّنيا ظَاهِرٌ، فما الحَمدُ في الآخِرةِ؟

قلتُ: هو قَولُهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر ٣٤/٣٥] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر ٧٤/٣٩] ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر ٧٥/٣٩]، والتَّحميدُ هُناك على وَجْه اللَّذَّةِ لا الكُلْفَةِ، وفي الحَديث: «يُلهَمُونَ التَّسبيحَ والتَّقدِيسَ».

﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾: القَضاءُ بين عبَادِه.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۝٧١ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٧٢﴾

﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ وقرئ: ﴿أَرَيْتُم﴾ بحَذفِ الهَمزة، وليس بحَذْفٍ قيَاسيٍّ.

ومَعناه: أَخبِرُونِي مَن يَقْدِرُ على هذا.

و"السَّرمدُ": الدَّائمُ المُتَّصِلُ، من السَّرْدِ وهو المُتَابَعة، ومنه قَولُهم في الأَشهُر الحُرُم: ....

مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف ٣١/٤٣]، فإنّه إذا قالوا ذلك فقد اختاروا شخصًا آخر، وحكموا على الله تعالى بأنّه ينبغي أن يبعثه ويختاره للرسالة.

قوله: (المستأثر) يقال: استأثر بالشيء، أي: استبدّ به وتفرّد.

"ثلاثةٌ سَرْدٌ وواحدٌ فَرْدٌ" والميمُ مَزِيدةٌ، ووزنُه: فَعْمَلٌ، ونَظيرُه: "دُلامِصٌ" مِن الدِّلاصِ.

فإن قلتَ: هَلَّا قيلَ: "بنَهارٍ تتصرَّفُونَ فيه" كما قيل: ﴿بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾؟

قلتُ: ذِكْرُ الضِّيَاء -وهو ضَوْءُ الشَّمسِ- لأنَّ المنَافِعَ الَّتي تتعلَّقُ به مُتكَاثِرَةٌ ليس التَّصرُّفُ في المَعاشِ وَحْدَهُ، والظَّلامُ ليس بتلك المَنْزِلةِ، ومِن ثَمَّ قَرنَ بالضِّيَاءِ ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ لأنَّ السَّمْعَ يُدرِكُ ما لا يُدْرِكهُ البَصَرُ من ذِكْرِ مَنافِعه ووَصْفِ فَوائدِهِ، وقَرنَ باللَّيل ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ لأنَّ غَيْرَكَ يُبْصِرُ مِن مَنْفعَةِ الظَّلام ما تُبْصِرُه أنتَ من السُّكُونِ ونَحْوِه.

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ زَاوَحَ بين اللَّيلِ والنَّهارِ لِأغراضٍ ثلَاثةٍ: ....

قوله: (ثلاثةٌ سَرْدٌ) هي: ذو[1] القَعدة، وذو[2] الحِجّة، والمحرّم. (وواحدٌ فَرْدٌ) هو رجَب.

قوله: (ونظيره) أي: في زيادة الميم بين العين واللام.

قوله: (مِن ذِكر منافعه) بيان "ما"، أي: فإنَّ ذِكر منافع الضوء ووصف فوائده مُحتاجٌ إلى السمع، فقيل: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾، فكأنّه قيل: اسمعوا، فإن ذلك مقام المقال الكثير محتاج إلى السماع بالجِدّ.

قوله: (مِن[3] منفعة الظلام) فلا حاجة فيه إلى تقرير فوائده[4] ليُذكر السماع، فإن البصر كافٍ.[5]

قوله: (راوح)[6] المراوحة:[7] المناوبة.

---

[1] ن: ذي.

[2] ن – ذو.

[3] ن: في.

[4] ن: فوائد.

[5] ن – كاف.

[6] ن: زاوج؛ ن + زاوج. | في بعض مطبوعات الكشّاف: "زاوج".

[7] ن: المزاوجة.

لتَسْكنُوا في أَحَدِهما وهُو اللَّيلُ، ولِتَبْتَغُوا من فَضْلِ الله في الآخَرِ وهُو النَّهارُ، ولإرَادةِ شُكْرِكُم.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾﴾

وقد سُلِكَتْ بهذه الآية طرِيقةُ اللَّفِ في تكريرِ التَّوبيخ باتِّخاذِ الشركاء: إيذَانٌ بأَنْ لا شَيءَ أَجْلبُ لغضَبِ الله من الإِشْراك به كما لا شيءَ أَدْخلُ في مَرْضاتِه من توحيدِه.

اللّهمّ فكمَا أَدْخلْتَنا في أَهْل توْحِيدك فأدخِلْنا في النَّاجِين من وَعِيدكَ.

﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿وَنَزَعْنَا﴾: وأَخْرَجْنَا ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ وهو نبيُّهم؛ لأنَّ أنبيَاء الأمم شُهَداءُ عليهم يَشهَدُون بما كانُوا عَليه ﴿فَقُلْنَا﴾ لِلأُمَّةِ: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ فِيما كنتُم عليه من الشِّرْكِ ومُخالفَةِ الرَّسُول ﴿فَعَلِمُوٓا۟﴾ حِينَئذٍ ﴿أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾ ولرسولِه لا لَهمْ وَلِشَيَاطِينِهم ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾: وغاب عنهم غَيْبَةَ الشَّيء الضَّائعِ ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ من البَاطِل والكَذِبِ.

﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾

"قارون": اسْمٌ أَعجميٌّ مِثْلَ "هَارُونَ"، ولـم يَنصَرِفْ للعُجْمةِ والتَّعريف، ولو كان فَاعُولًا من قَرَنَ لانصَرفَ.

وقيل: مَعْنى كَونِه مِن قَوْمِه: أَنَّه آمَنَ به، ....

قوله: (لتسكنوا في أحدهما)... إلخ، وهنا[1] أيضًا خصّ فائدة الليل؛ وهو السكون، وعمَّ فائدة النهار؛ وهو ابتغاء الفضل.

---

[1] ن: هنا.

وقيل: كان إسْرَائِيليًّا ابنَ عَمِّ لمُوسَى، هو قَارُونُ بْنُ يَصْهَرَ بن قَاهَثَ بن لاوَى بن يَعقُوبَ، ومُوسى بنُ عِمرانَ بن قاهَثَ.

وقيل: كان مُوسَى ابنَ أخيهِ، وكان يُسمَّى: المُنَوَّر؛ لحُسْنِ صُورَتهِ، وكان أَقْرَأ بني إسرَائيل للتَّورَاةِ، ولكنَّه نافَقَ كما نافَق السَّامِريُّ، وقال: إذا كانت النُّبوَّةُ لمُوسَى والمَذْبَحُ والقُربانُ إلى هارُونَ فمَا لي؟!

ورويَ: أنَّه لمَّا جَاوَزَ بهم مُوسَى البَحْرَ وصارَتِ الرِّسالَةُ والحُبورَةُ لهَارُونَ يُقَرِّبُ القُربانَ ويكون رَأسًا فيهم -وكان القُربانُ إلى مُوسَى فجَعله مُوسَى إلى أخيهِ-

---

قوله: (ابن عمّ لموسى)... إلخ، والحاصل أنّهم اختلفوا، فبعضهم قال: هو عمّ موسى، وبعضهم قال: هو ابن عمّه، فذكر المصنِّف ههنا كلا الوجهين، فلا وجه للاعتراض عليه المكتوب مِن الجانب الآخر في الحاشية. وقوله: (وقيل كان موسى ابن أخيه) تقريرًا لما ذكر في سورة آل عِمران؛ لأنّه إذا كان قارون بن يَصْهَر[1] وعِمران بن يَصهر كان قارون وعمران أخوين، فكان[2] قارون عمّ موسى لا محالةَ. وقوله: (وموسى بن عمران بن قاهَث) في هذا الكلام نظرٌ؛ لأنّه ذكر في سورة آل عمران في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران ٣٣/٣]: "أنّ موسى بن عمران بن يَصهَر بن قاهث بن لاوى[3] بن يعقوب بن إسحاق".

قوله: (وكان يسمّى) أي: قارون.

قوله: (وقال: إذا كانت النبوّة لموسى)... إلخ، وقوله هذا مثل قول أبي جهل: «إذا كانت السقاية والسِّدانة والنبوّة فيهم، فما يكون لنا؟».[4]

قوله: (وكان القُربان إلى موسى) حال أو جملة معترضة. وقوله: (وجَد) أي: حزِن. وقوله: (في نفسه) أي: حزنًا عظيمًا ملأ نفسه، كما يقال: أكل[5] فلان في بطنه،

---

[1] ف: يَصر.
[2] ن: وكان.
[3] ن: لادى.
[4] الروض الأنف للسهيلي، ٢٤٠/٥.
[5] ن - أكل.

وَجَدَ قَارُون في نَفْسِه وحَسَدَهُما، فقَال لمُوسَى: الأَمْرُ لكُما ولَسْتُ على شَيءٍ إلى مَتَى أَصْبِرُ؟ قال مُوسَى: هذا صُنْعُ الله، قال: واللهِ لا أُصَدِّقُك حَتَّى تَأتيَ بآيَةٍ، فأَمَر رُؤسَاءَ بني إسرائيلَ أَنْ يَجيءَ كُلُّ واحِدٍ بعصَاهُ، فحَزمَها وأَلْقَاها في القُبَّةِ التي كان الوَحْيُ يَنْزلُ عليه فيها، وكانوا يَحْرسُونَ عصِيَّهُم باللَّيل، فأصبَحُوا وإذا بعَصَا هَارُون تَهتَزُّ ولها وَرَقٌ أَخضَرُ -وكانَتْ من شَجَر اللَّوْزِ- فقال قَارُونُ: ما هُوَ بأَعْجبَ ممَّا تَصْنَعُ من السِّحْرِ!

﴿فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾ مِن البَغْي وهو الظُّلْمُ، قيل: مَلَّكَهُ فرعَونُ على بني إسرائيل وظَلَمَهُمْ.

وقيل: منَ البَغْيِ وهوَ الكِبْرُ والبَذْخُ، تَبذَّخَ عَلَيْهِم بِكَثْرَةِ مَالِه وَوَلَدِه.

وقِيل: زَادَ عَلَيْهم في الثِّيَابِ شبْرًا.

"المفَاتحُ": جمعُ مِفْتَحٍ بالكَسر: وهو ما يُفْتَحُ بِهِ.

وقيل: هي الخَزائِنُ، وقياسُ واحدِهَا: "مَفتَحٌ" بالفَتْحِ.

ويُقالُ: "نَاءَ به الحَمْلُ": إذا أثقَلَهُ حَتَّى أَمَالَهُ.

و"العُصْبَةُ": الجمَاعَةُ الكَثِيرةُ، والعِصَابَةُ: مِثْلُها، واعصَوْصَبُوا: اجْتَمعُوا.

وقيل: كانَتْ تَحمِلُ مفَاتيحَ خَزَائنهِ سِتُّونَ بَغْلًا لكُلِّ خِزَانَةٍ مِفتَاحٌ، ولا يَزيدُ

أي: مِلأ بطنه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗا﴾ [النساء ٤/١٠]، أي: مِلأ بطونهم، ويجوز أن يريد: غضِب غضبًا كامِنًا في نفسه لم يُظهره لأحد؛ لأنّه نافق، لكن سياق الكلام يدلُّ على المعنى الأوّل.

قوله: (فَحزمها) حَزَمْتُ الشيء حزمًا؛ شددْتُه، والحُزمة[1] مِن الحَطب وغيره.[2]

قوله: (والبذخ) البذخ: الكِبر، وقد[3] بَذِخ -بالكسر- وتبذَّخ، أي: تكبَّر.[4]

قوله: (وقياس واحدها) يعني: إذا كان بمعنى الخزائن.

---

[1] ن: الحزمة.

[2] الصحاح للجوهري، «حزم».

[3] ن: وبد.

[4] الصحاح للجوهري، «بذخ».

المِفتَاحُ على إِصْبَعٍ، وكانَتْ من جُلُودٍ، قال أَبُو رَزِينٍ: يَكْفِي الكُوفَةَ مِفتَاحٌ.

وقَد بُولِغَ في ذِكْرِ ذلك بلَفْظِ: "الكُنُوز" و"المفَاتِح" و"النَّوء" و"العُصْبَةِ" و"أُولِي القُوَّةِ".

وقرأ بديلُ بن مَيْسَرةَ: "لَيَنُوء" بالياء، ووَجْهُه: أَنْ يُفسِّر المَفَاتِحَ بالخَزائن ويُعطِيَها حُكمَ ما أُضِيفَتْ إليه لِلمُلَابسَةِ والاتِّصَال؛ كقولك: "ذهَبَتْ أَهْلُ اليَمامَةِ".

ومَحَلُّ ﴿إِذْ﴾ مَنصُوبٌ بِـ"تَنُوءُ".

﴿لَا تَفْرَحْ﴾ كقَوله: ﴿وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد ٢٣/٥٧]، وقَولِ القَائِل:

ولَسْتُ بِمِفْرَاحٍ إذا الدَّهْرُ سَرَّني

وذلك أَنَّه لا يَفْرَحُ بالدُّنْيَا إِلَّا مَن رَضيَ بها واطْمَأَنَّ، وأمَّا مَن قَلْبُه إلى الآخِرة ويَعْلَمُ أَنَّه مُفَارِقٌ ....

قوله: (ووجهه أن يُفسّر)... إلخ، وإنّما يفسّر بـ"الخزائن" ليكون متّصلًا بالكنوز المرادة بـ"ما" في قوله: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾، / فيكتسب مِنه التذكير، كما [٢٥١و] يكتسب المضاف مِن المضاف إليه التأنيث في مثل هذا الصورة، وأمّا إذا فسّر بجمع المِفتَح بالكسر؛ وهو ما يُفتَح به، فلا[1] يكون متّصلًا به؛ لأنّ المِفتاح لا يكون متّصلًا بالكنوز، وإذا لم يكن متّصلًا به[2] لا يكتسب مِنه التذكير، كما لا يكتسب الاسم التأنيث بمثل هذه الإضافة.

قوله:

(ولستُ بمِفراح إذا الدهر سرّني)

تمامه:

ولا جازعٍ مِن صرفه المتقلِّبِ[3]

---

١ ن: ولا.

٢ ن – لأنّ المفتاح لا يكون متّصلًا بالكنوز، وإذا لم يكن متّصلًا به.

٣ لتأبّط شرًا في عيون الأخبار لابن قتيبة، ٣٩٥/١. ولهدبة بن خَشرم العذري في العقد الفريد لابن عبد ربّه، ١٩٩/١؛ ومحاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني، ٥٩٣/١.

مَا هو فيه عَن قَريبٍ لم تُحَدِّثْهُ نَفسُه بالفَرَح، وما أَحْسَنَ ما قَال القائلُ:

أَشَــدُّ الـغَـمِّ عِـنْـدِي فـي سُــرورٍ تـيَـقَّـنَ عَـنْـهُ صَـاحِـبُـه انـتِـقَـالَا

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ منَ الغِنَى والثَّروَةِ ﴿ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ بأنْ تفعَلَ فيه أَفْعَالَ الخَيْرِ من أَصْنَافِ الواجِب والمَنْدُوبِ إليه وتَجْعَلَه زادَكَ إلى الآخِرَةِ.

﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ﴾: وهو أَنْ تَأخُذَ منه ما يَكفِيكَ وَيُصْلحُكَ.

﴿وَأَحْسِن﴾ إلى عبَاد الله ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾، أو: أَحْسِنْ بشُكْرِكَ وطاعَتِكَ لِلّهِ كما أَحْسَنَ إليك، والفسادُ في الأرضِ: ما كان عليه من الظُّلْم والبَغيِ.

وقيل: إِنَّ القَائلَ مُوسَى صلوات الله عليه.

وقرئ: "واتَّبِعْ".

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾؛ أي: على استِحقَاقٍ واستِيجَابٍ لِمَا فيَّ مِن العِلم الذي فَضَلْتُ به النَّاسَ، وذلك أنَّه كان أَعْلمَ بني إسرَائيل بالتَّوراةِ.

قوله: (ما فيه) ضميره المجرور يعود إلى "ما"، والمرفوع المستتر إلى "مَن".[1]

قوله: (وما أحسَن!) تعجّب.

قوله: (في[2] سرور) السرور: لذّة في القلب مِن حصول نفع أو توقّع[3] حصول نفعٍ.[4]

---

[1] ف ن – قوله: (ما فيه) ضميره المجرور يعود إلى "ما"، والمرفوع المستتر إلى "مَن".

[2] ن – في.

[3] ن: تقع.

[4] انظر: الكلّيات لأبي البقاء، ص ٥٠٨.

وقيل: هو عِلْمُ الكِيميَاء، عن سَعيدِ بن المُسيِّبِ: كان مُوسَى عليه السلامُ يَعْلَمُ عِلمَ الكِيميَاء، فَأَفَادَ يُوشَعَ بنَ نُونٍ ثُلُثَه، وكَالِبَ بنَ يُوقَنَّا ثُلُثَه، وقَارُونَ ثُلُثَهُ، فخَدَعَهُما قارُونُ حتَّى أضاف عِلمَهُما إلى عِلمه، فكان يَأخُذُ الرَّصَاصَ والنُّحاسَ فيَجعَلُهُما ذَهبًا.

وقيل: عَلَّمَ اللهُ مُوسَى عِلْمَ الكيميَاء فعَلَّمَهُ مُوسى أُختَه، فعَلَّمتْهُ أُخْتُه قارُونَ.

وقيل: هُو بَصَرُه بأنواع التِّجارَة والدَّهقنَةِ وسائرِ المَكاسبِ.

وقيل: ﴿عِندِيٓ﴾ مَعناه: في ظَنِّي؛ كمَا تقُولُ: "الأمْرُ عِنْدي كذا" كأنَّه قال: إنَّما أُوتِيتُه عَلى عِلْمٍ؛ كقَوله تَعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ﴾ [الزمر ٤٩/٣٩] ....

قوله: (الرَّصاص) بالفتح معروف.

قوله: (وقيل: هو بصَره بأنواع) "هو" يعود إلى "العِلم" الذي في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾، والبصَر: العِلم، وبصرت بالشيء: علمته، قال تعالى: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ [طه ٩٦/٢٠]، والبصَر للعالِم.[١]

قوله: (والدَّهقنة) "الدَّهقنة":[٢] الاشتغال[٣] بالزراعة والغِراس كما يفعل الرَّساتيق[٤] في القرى. قال في المُغرب: «الدِّهقان عند العرب: الكبير مِن كُفّار العجَم، وكانت تستنكف مِن هذا الاسم، ومِنه حديث عمر رضي الله عنه:[٥] 'بارزتُ رجلًا دِهقانًا'،[٦] وقد غلب على أهل الرَّساتيق مِنهم، ثمّ قيل لكل مَن له عقار كثير: دِهْقان، واشتُقّ مِنه: الدَّهقنة وتدهقَن،[٧] ويقال للمرأة: دِهْقانة على القياس».[٨]

[١] هذه الحاشية وقعت في د في الهامش، وفي ف ن وقعت بعد حاشيتين.
[٢] ن: (والدهقه) الدهقه.
[٣] ن: الاستقبال.
[٤] الرَّساتيق جمع رُسْتاق أو رُسْداق؛ وهو بيوت مجتَمِعة. انظر: لسان العرب لابن منظور، «رستق».
[٥] د – رضي الله عنه.
[٦] مصنّف ابن أبي شيبة، ٤٧٨/٦ (٣٣٠٨٦).
[٧] ن – مِنهم، ثمّ قيل لكل مَن له عقار كثير: دِهْقان، واشتُقّ مِنه: الدَّهقنة وتدهقَن.
[٨] المُغرب للمطرّزي، «دهقن».

ثم زادَ: ﴿عِندِىٓ﴾؛ أي: هو في ظَنّي ورَأيي هكذا.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً﴾ يَجُوزُ أن يكُونَ إثبَاتًا لعِلْمه بأنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَك من القُرُونِ قَبلَه مَن هو أَقْوَى مِنهُ وأَغنَى؛ لأنَّه قَد قَرَأَهُ في التَّورَاة، وأَخبَرَ به مُوسَى، وسَمِعَهُ من حُفَّاظِ التَّوارِيخِ والأيَّامِ؛ كأنَّه قِيل: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ﴾ في جُمْلَةِ ما عِنْدَهُ منَ العِلْم هذا حتَّى لا يَغتَرَّ بِكَثْرَةِ مالِه وقُوَّتِه؟

ويجوز أَنْ يكُونَ نَفْيًا لِعلْمِه بذلك؛ لِأنَّه لمَّا قال: ﴿أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ فتَنفَّجَ بالعِلْم وتَعظَّم به، قيل: أَعِنْدَهُ مِثلُ ذلك العِلْمِ الَّذِي ادَّعَاهُ ورَأى نَفسَهُ به مُستوْجِبةً لكُلِّ نِعمَةٍ، ولم يَعْلمْ هذا العلْمَ النَّافِعَ حتَّى يَقِيَ بهِ نفسَهُ مَصارعَ الهَالِكينَ؟

قوله: (ثمّ زاد ﴿عِندِىٓ﴾) أي: زاد قارون على قوله: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ قولَه: ﴿عِندِىٓ﴾.

قوله: (أي: هو في ظنّي) يشير المصنّف بهذا الكلام إلى أنّ ﴿عِندِىٓ﴾ على التفسير الثاني خبر مبتدأ محذوف؛ إذ لا يستقيم أن يكون ظرفًا لشيء ممّا ذكر، فالكلام على هذا جملتان.

قوله: (قبلَه) أشار إلى أنّ "مِن" زائدة.

قوله: (فتنفّخ) بالخاء المعجمة، أي: تعظّم وتكبَّر،[1] وهو مِن النفْخ، فإنّ الشيطان نفَخ فيه فامتلأ مِن ريحه، فلذلك تعظَّم.[2] وفي بعض النسخ: "فتنفّج"[3] بالجيم، وهو أيضًا بمعنى: تكبَّر وتعظَّم. قال في الصِّحاح: «رجل ذو نَفْخٍ -يعني: بالخاء- وذو نَفْجٍ -بالجيم- أي: صاحب فخرٍ وكِبْرٍ.[4] وكانت العرب في الجاهليّة تقول إذا ولدت لأحدهم بنت: هنيئًا لك النافِجة، أي: المُعظِّمة لمالك؛ لأنّك تأخذ مهرها وتضمُّها إلى مالكَ فيتنفّج،[5] أي: يَعْظُم».[6]

قوله: (حتّى يَقِي) فعل مضارع مِن الوقاية؛ وهو الحفظ.

---

[1] ن: وتكن.
[2] ن: يعظم.
[3] ن: فنفح.
[4] الصحاح للجوهري، «نفخ».
[5] ف ن: فينتفج.
[6] الصحاح للجوهري، «نفج».

﴿وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للمَالِ، أو: أكثرُ جماعةً وعَدَدًا.

فإن قلتَ: ما وَجهُ اتِّصال قوله: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ بما قَبله؟

قلتُ: لمَّا ذكَّر قَارُونَ مَن أَهْلكَ مِن قَبلِه مِن القُرونِ الذين كانُوا أَقْوَى مِنه وأَغنَى قال على سبيل التَّهديد له: واللهُ مُطَّلِعٌ على ذُنُوبِ المُجْرِمين لا يَحْتَاجُ إلى سُؤالِهم عنها واستِعْلامِهم، وهو قَادِرٌ على أَنْ يُعَاقِبَهُم عليها؛ كقَوله: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران ٣/١٥٣]، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة ٢/٢٨٣]، وما أشبَه ذلك.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾

﴿فِى زِينَتِهِۦ﴾ قال الحسَنُ: في الحُمْرةِ والصُّفرة.

وقيل: خَرَجَ على بَغْلَةٍ شَهْبَاء عليه الأرْجُوانُ وعَلَيها سَرْجٌ من ذهَبٍ ومعه أَرْبعةُ آلافٍ على زِيِّهِ.

وقيل: عَلَيْهم وعلى خُيُولهم الدِّيباجُ الأَحْمَرُ، وعن يَمِينه ثلاثُ مئة غُلام، وعَن يسَارِه ثلاث مئة جَارِيةٍ بِيضٍ عَليهنَّ الحُلِيُّ والدِّيبَاجُ.

قوله: (قلت: لمّا ذكّر) أي: لمّا ذكّر الله تعالى قارون مَن أهلك بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ﴾.

قوله: (شَهباء) قال في المُغرب: «الشُّهَب: أن يغلِب البياض السواد، وبَغْلةٌ[١] شَهباء».[٢] وقوله:[٣] (الأرجُوان) "الأرجوان": القطيفة الحمراء، وقيل: كلُّ لون أحمر.[٤] وقوله: (الديباج) قال في المُغرب: «الديباج: الثوب الذي سُداه ولُحمتُه إبريسَم، وعندهم اسم للمنقَّش، والجمع: دبابيج».[٥]

---

١ ن: وبغلة.

٢ ف – قال في المُغرب: «الشُّهَب: أن يغلِب البياض السواد، وبَغْلةٌ شَهباء». | المُغرب للمطرّزي، «شهب».

٣ ن: قوله.

٤ انظر: الصحاح للجوهري، «رجا».

٥ ن: دنابيج. | المُغرب للمطرّزي، «دبج».

وقيل: في تِسْعِينَ أَلْفًا عَلَيْهِم المُعَصْفَراتُ، وهوَ أَوَّلُ يَوْم رُؤيَ فيه المُعَصْفَرُ.

كانَ المتَمنُّونَ قومًا مُسْلمينَ، وإنَّمَا تمنُّوهُ عَلى سبيل الرَّغبةِ في اليَسارِ والاستغنَاءِ كما هو عَادةُ البَشرِ، وعن قتَادَةَ: تَمنَّوهُ ليَتقرَّبُوا بهِ إلى اللهِ ويُنفِقُوهُ في سُبُل الخَيْر.

وقيل: كانُوا قومًا كفَّارًا.

الغَابِطُ: هُوَ الَّذي يَتمَنَّى مِثْلَ نِعْمَةِ صَاحِبه مِن غَيْرِ أَنْ تزُولَ عنه، والحَاسِدُ: هو الذي يتمنَّى أن تكُونَ نعمةُ صَاحبِهِ له دُونَه، فمِنَ الغِبْطَةِ قَولُه تعَالى: ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ﴾ ومِن الحَسَدِ قَولُه تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ [النساء ٣٢/٤].

وقيل لرَسُول الله صلى الله عليه وسلم: هل يَضُرُّ الغَبْطُ؟ فقالَ: «لا، إلَّا كما يَضُرُّ العِضَاةَ الخَبْطُ».

و"الحَظُّ": الجَدُّ، وهو البَخْتُ والدَّوْلةُ، ....

قوله: (المُعصْفَر)[١] العُصْفُر: صِبْغ، وقد عَصفَرْتُ[٢] الثوب فتَعَصْفَر.[٣]

قوله: (فمِن الغِبطة)... إلخ، كأنّه حمَل الأوّل على الغِبطة؛ لقولهم: ﴿مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ﴾، فظهر مِن ذِكر المِثل[٤] أنّهم لم يريدوا زواله عن قارون. وحمَل الثاني على الحسَد؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ [النساء ٣٢/٤]، فالنهي عن تمنِّي ذلك لنفسه لا تمنِّي مثله.

قوله: («العِضاةَ الخبطُ»)[٥] العِضاة: كلُّ شجرٍ يَعظُم وله شَوك،[٦] ويقال: / خبطتُ الشجر خَبْطًا إذا ضربتَها بالعصا ليسقط ورَقُها.[٧] وفي الحديث مبالغة عظيمة، يعني: يَضرُّ ضررًا عظيمًا. [٢٥١ظ]

---

١ ن: المصفر.
٢ ن: عطفرت.
٣ الصحاح للجوهري، «عصفر».
٤ ن: الميل.
٥ المعجم الكبير للطبراني، ٢٥٤/٢٤ (٦٥٠)؛ غريب الحديث للحربي، ٦٣٨/٢.
٦ ن: سول. | الصحاح للجوهري، «عضه».
٧ الصحاح للجوهري، «خبط».

وَصَفُوهُ بأنّه رَجُلٌ مَجْدُودٌ مَبْخُوتٌ، يُقَال: فُلانٌ ذُو حَظٍّ وحَظِيظٌ ومَحْظُوظٌ، وما الدُّنيَا إلّا أَحَاظٍ وجُدودٌ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ۝٨٠﴾

"ويْلَكَ": أَصْلُه الدُّعَاءُ بالهَلاك، ثمَّ استُعمِل في الزَّجْر والرَّدْعِ والبَعْثِ على تَرْكِ ما لا يُرتَضَى كما استُعْمِلَ: "لا أَبا لكَ"، وأَصْلُهُ: الدُّعَاءُ على الرجُلِ بالإِقرافِ في الحَثِّ على الفِعْلِ.

والرَّاجِعُ في ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَا﴾ لِلكَلِمَةِ الَّتي تكَلَّم بها العُلمَاء، أَو للثَّواب لأنَّه في مَعْنَى المَثُوبةِ أو الجَنَّةِ، أَو للسِّيرَة والطَّريقَةِ وهيَ الإيمانُ والعمَلُ الصَّالحُ.

﴿ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ على الطَّاعات عن الشَّهَواتِ، وعلى ما قَسَم اللهُ من القَليل عن الكثيرِ.

قوله: (مَجدودٌ مَبخوت) اعلم أنّه لم يجئ "للمَجدود" و"المَبخوت" فعل متعدّ، ولا مصدرٌ مِنه بمعنى التعدّي.

قوله: (وما الدنيا إلّا أحاظٍ وجدودٌ) يجمع "حظّ" على "أحُظّ"، ثمّ يُجمع "الأحُظّ" على[1] "أحاظِظَ"، ثمّ تقلب الظاء الأخيرة ياء فتصير[2] "أحاظيَ"، فيُعَلّ إعلال "قاضٍ".

قوله: (بالإقراف) "الإقراف": ضَعة النسب في الأب. المَقرِفُ:[3] الذي داني[4] الهُجنة مِن الفُرس وغيره، الذي أمّه عربيّة وأبوه ليس كذلك؛ لأنّ "الإقراف" إنّما هو مِن[5] قِبَل الفَحل، والهُجنة مِن قِبَل الأمّ.[6]

---

[1] ن - (أحاظٍ وجدودٌ) يجمع "حظّ" على "أحُظّ"، ثمّ يُجمع "الأحُظّ" على.

[2] ن: بالقصر.

[3] ن: المفرق.

[4] ن: داني.

[5] ن - مِن.

[6] الصحاح للجوهري، «قرف».

﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ٨١﴾

كان قارونُ يُؤذِي نبيَّ الله موسى عليه السلام كُلَّ وَقتٍ، وهو يُدَارِيهِ للقَرابَة الَّتي بيْنَهما، حَتَّى نَزلَت الزَّكاةُ فصَالحَهُ عن كُلِّ أَلْفِ دينارٍ على دينارٍ، وعن كُلِّ أَلْفِ درهمٍ على درهمٍ، فَحسَبَه فَاستكثَرَهُ فشَحَّتْ به نفسُه، فجَمع بني إسْرَائيل وقال: إنَّ مُوسَى أرَادَكُم على كُلِّ شيءٍ وهو يُريدُ أن يأخُذَ أَمْوَالكُم، فقَالُوا: أَنْتَ كبيرُنَا وسَيِّدُنَا فمُرْ بمَا شئتَ، قال: نُبَرْطِلُ فُلانَةَ البَغيَّ حتى تَرْمِيَهِ بنفْسِها فيَرْفُضَهُ بنو إسرائيلَ، فجَعَل لها أَلْفَ دِيْنارٍ -وقيل: طَشْتًا مِن ذهَبٍ، وقيل: طَستًا من ذهَبٍ مملُوءَةً ذهَبًا، وقيل: حَكَّمهَا- فلمَّا كان يَوْمُ عيدٍ قامَ مُوسَى فقالَ: يا بَنِي إسرائيل، مَن سَرقَ قَطَعْنَاهُ، ومَن افترَى جَلدْنَاهُ، ومَن زَنى وهُو غيْرُ مُحْصَنٍ جَلدْنَاهُ، وإن أُحْصِنَ رَجَمْنَاهُ، فقال قارُونُ: وإنْ كُنتَ أنتَ؟ قال: وإن كنْتُ أنا، قال: فإنَّ بني إسرائيل يَزعمُونَ أنَّكَ فجَرْتَ بفُلانَةَ، فأُحضِرَتْ فنَاشَدهَا مُوسَى بالذي فَلَقَ البَحْرَ وأنزَلَ التَّورَاةَ أَنْ تَصدُقَ، فَتَداركهَا اللهُ فقَالتْ: كَذَبُوا،

قوله: (فصالحه[1] عن كلّ ألف دينار) يعني: صالحه عن كلّ ألف دينار[2] تجب عليه في الزكاة أن يؤدِّي دينارًا، فمِمّا[3] كان يأخذ مِن غيره ألف دينار رضي مِنه بدينار.

قوله: (نُبَرطِل) أي: نَرشو،[4] مِن البِرطيل؛ وهو الحَجَر، كما يقال: ألقَمه الحَجَر إذا أسكتَه بالحجّة.

قوله: (وقيل: حَكَّمَها) أي: ما تَحكم[5] مِن ماله البغيُّ، يعني: ما أرادت البغيُّ أن يعطيها قارون يُعطِها قارون.

قوله: (بالذي فلَقَ البحر) الباء في "بالذي" متعلّق بـ"ناشد"، وكذا قوله: (أن تَصدُق) تقديره: لَأن تَصدُق، أي: أُقسِم لتَصدُق.

---

[1] ن: فصالحة.
[2] ن - يعني: صالحه عن كلِّ ألف دينار.
[3] ن: فما.
[4] ن: ترشوا.
[5] ن: يحكم.

بل جعَلَ لي قارُونُ جُعْلًا على أنْ أقذِفَكَ بنَفْسِي، فخَرَّ موسَى سَاجِدًا يَبْكِي وقال: يا ربِّ، إنْ كنْتُ رَسُولَكَ فاغضَبْ لي، فأُوحِيَ إليه: أَن مُرِ الأَرضَ بما شِئتَ فإنَّهَا مُطِيعةٌ لكَ، فقال: يا بني إسرائيل، إنَّ الله بَعثَني إلى قارُونَ كما بَعَثَنِي إلى فرعَونَ، فمَن كان مَعهُ فليَلْزَمْ مكانَه، ومَن كانَ معِي فليَعْتَزِلْ، فاعتَزلُوا جميعًا غيْرَ رَجُلَيْنِ، ثمَّ قالَ: يا أَرْضُ خُذِيهم، فأخَذَتْهُم إلى الرُّكَبِ، ثمَّ قال: خُذيهم، فأخَذتهُم إلى الأَوْسَاطِ، ثمَّ قالَ: خُذِيهم، فأخذَتْهُم إلى الأَعناقِ، وقارُونُ وأصْحَابُهُ يتضَرَّعُونَ إلى مُوسَى ويُنَاشِدُونَهُ باللهِ والرَّحِمِ ومُوسى لا يَلتفِتُ إلَيْهم لشِدَّةِ غَضَبِهِ، ثمَّ قال: خُذِيهِم، فانَطبقَتْ عَلَيْهم، وأَوْحَى اللهُ إلى مُوسَى عليه السلامُ: ما أَفَظَّكَ، استغَاثُوا بكَ مِرَارًا فلم تَرْحَمْهُم، أمَا وعزَّتِي لو إيَّاي دَعَوا مرَّةً وَاحِدَةً لوَجَدُوني قَرِيبًا مُجيبًا.

فأَصْبَحَتْ بنُو إسرائيلَ يتنَاجَوْنَ بينَهُم: إنَّما دَعَا مُوسَى على قارُونَ لِيستبِدَّ بدَارِه وكنُوزِه، فدعَا اللهَ حتَّى خُسِفَ بدَاره وأمْوَاله.

﴿مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾: من المُنتَقِمينَ من مُوسى، أو: مِن المُمْتَنِعينَ من عَذاب الله، يُقَالُ: نصَره من عَدُوِّه فانتصَرَ؛ أي: مَنعَه مِنْه فامتَنَع.

﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

قد يُذكَرُ الأمْسُ ولا يُراد به اليَومُ الذي قَبْلَ يَوْمِكَ، ولكِنِ الوقتُ المُسْتقرَبُ على طريقِ الاستِعَارة.

﴿مَكَانَهُۥ﴾: مَنْزِلته من الدُّنيا.

"وَيْ" مَفصُولةٌ عن "كَأنَّ"، وهي كلِمةُ تَنبُّهٍ على الخَطَأ وتَنَدُّمٍ، ....

قوله: (أو مِن[1] المُنتقمين) إذا كان معنى "انتصر": انتقم، فمعنى "نصَره": جعله متمكنًا مِن الانتقام.

---

[1] ن: ومِن.

ومعنَاهُ: أنَّ القَومَ قَد تَنَبَّهُوا عَلَى خَطَئِهِم في تَمَنِّيهم وقولِهم: ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ﴾ وتَنَدَّمُوا ثم قَالُوا: ﴿كأنه لا يفلح الكافرون﴾؛ أي: ما أَشبَهَ الحالَ بأن الكافِرينَ لا يَنَالُونَ الفَلاحَ، وهو مَذهبُ الخليلِ وسيبَوَيْه، قال:

وَيْ كَـأَنْ مَـنْ يَكُـن لـهُ نَـشَبٌ يُحْـ ـبَبْ ومَـنْ يَفتَقِرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُرِّ

وحكَى الفرَّاءُ أنَّ أعْرابيَّةً قالَتْ لزَوجِهَا: أَيْن ابنُكَ، فقال: وَيْ كأنَّهُ وراءَ البَيْتِ.

قوله: (وَيْ كأنْ)... البيتَ.[١] "وَيْ" كلمة تعجّب، وقد تدخل "وَيْ" على "كأنْ" المخفّفة والمشدّدة، تقول: ويْ كأنَّ، قال الخليل: «هي مفصولة، تقول: "وَيْ"، ثمّ تبتدئ فتقول: "كأنَّ"».[٢] قال:

وَيْ كأنْ مَـــن يكـــن لـــه نشـــب...[٣]

و"النَّشَب": المال والعقار. و"يُحبَبْ": جواب "مَن"، وخلاصة المعنى: اعلم أنّ الغِنى محبوب في الناس، والفقير يعيش في الناس عيش ذُلّ وضُرّ. والمِصراع الأوّل إلى قوله: "يُحْ" وهو مِن الخفيف،[٤] وفي معناه:[٥]

إنّ الحبيـــبَ لـــدَى[٦] الأقـــوام ذو مـــالِ[٧]

قوله: (وحكى الفرّاء)[٨] اعلم أنّ ما حكاه الفرّاء يدلّ على أنّ "وَيْ"[٩] مفصولة عن "كأنّ"، فإنّ زوج الأعرابيّة لمّا قال: "ويكأنّه" -بفتح الكاف- دلّ على انفصال "وَيْ"، لا أنّ "ويكَ" بمعنى: ويلك، وإلّا لقال: ويكِ أنّه -بكسر الكاف- لِخطاب المؤنّث. قال المصنّف في المفصّل: «ومِن الأصوات[١٠] قول المُتندّم والمُتعجّب: وَيْ، يقول: وَيْ، ما أغفله!».[١١] وقال ابن الحاجب في شرحه:

---

[١] لزيد بن عمرو بن نُفيل، ويقال: لنبيه بن الحجّاج، كذا في لسان العرب لابن منظور، «ويا»

[٢] العين للخليل، «وي»، ٨/٤٤٣.

[٣] الصحاح للجوهري، «وي».

[٤] كذا في شرح شواهد الكشّاف لمحبّ الدين أفندي، ص ١٣٦.

[٥] ف + هذا البيت.

[٦] ن: هذا البيت لذى.

[٧] لأحيحة بن الجلاح في البخلاء للجاحظ، ص ٢٣٨؛ والجليس الصالح لأبي الفرج النهرواني، ص ٢٤٣، بلفظ:

إنّي مقيمٌ على الـزَّوراء أعْمُرُها
إنّ الكريمَ على الأقوام ذُو المال

[٨] انظر: معاني القرآن للفرّاء، ٢/٣١٢.

[٩] ن: ودي.

[١٠] ن: الأصواب.

[١١] المفصّل للزمخشري، ص ٢٠٦.

وعِندَ الكوفيّين: أنَّ "وَيْكَ" بمَعْنَى: وَيلَكَ، وأنَّ المعْنَى: ألم تَعْلَم أنّه لا يُفْلِحُ الكافِرُونَ.

ويجوز أن تكُونَ الكَافُ كافَ الخطابِ مَضمُومةً إلى "وَيْ"؛ كقَوله:

وَيْــــــكَ عَــنْـــتَـــرَ أقْــــدِمِ

"وَيْ" يحتمل أن يقال: هو اسم فعل، معناه: أتعَجَّب،[١] وإنّما بُنيت[٢] لوقوعها موقع المبنيّ، وهي موضوعة لتعجيب،[٣] كما أنّ هيهات موضوعة لـ"بَعُدَ"، ويجوز أن يقال: إنّها اسم صوت؛[٤] لأنّ المتعجّب يقول عند التعجّب: "وَيْ"، لا لِقَصد إخبار بأنّه تعجَّب؛ بل كما يقول المتألّم: آه، ولذلك[٥] يقولها المتعجِّب منفردًا، ولو كان اسم فعل لم يقل المتكلّم إلّا مخاطبًا، وهذا هو الظاهر، وعليه اعتمد صاحب الكتاب.[٦]

قوله: (وعند الكوفيّين إنّ "وَيك" بمعنى: ويلك) هذا على ما ذكره المصنِّف في الصفحة المتقدّمة، "ويلك"[٧] أصله: الدعاء بالهلاك، ثمّ استُعمل في الزَّجْر والرَّدع والبعث على ترك ما لا يُرتضى، فعلى هذا يكون معنى الآية: الزَّجر والرَّدع / عن[٨] الجهل بعدَم فلاح الكافرين، والبعث[٩] على العلم بهذه القضيّة، وهي أنّ الكافرين لا يفلحون. [٢٥٢و]

قوله: (ويجوز أن يكون الكاف كافَ الخطاب) هذا مذهب ثالث غير المذهبين المذكورين، ومعناه على ما ذكر.

قوله: (ويكَ عنتر أقدِمِ) قال عنترة:

ولقد شفَى نفسي وأذهَب سُقمَها قيلُ الفوارس ويكَ عنتر أقدِمِ[١٠]

---

١ ف: التعجّب؛ ن: العجب.
٢ في الأصول الخطّيّة: "بني".
٣ في مطبوع الإيضاح: "للتعجّب".
٤ ن: صوب.
٥ ن: وكذلك.
٦ الإيضاح شرح المفصّل لابن الحاجب، ٤٩٧/١.
٧ ن: وتلك.
٨ ن: من.
٩ ن: والبحث.
١٠ انظر: لسان العرب لابن منظور، «ويا»؛ ومعاني القرآن للفرّاء، ٣١٢/٢؛ وديوان عنترة، ص ٢١٧.

و"أنَّهُ" بمَعنَى: لأنَّهُ، واللامُ لبيَانِ المقُولِ لأَجْلِه هذا القولُ، أو: لِأنَّه لا يُفْلِحُ الكافِرُونَ كانَ ذلكَ، وهو الخَسْفُ بقَارُون.

ومِن النَّاسِ من يقِفُ عَلى "وَيْ" ويَبْتدِئُ: "كأنَّهُ"، ومِنهُم مَن يَقفُ على "وَيْكَ".

"عنترة" أصله: يا عنترة، فحذف حرف النداء ورُخّم. يقول: لقد شفى نفسي وأزال سُقمها[١] قولُ الفوارس لي: ويلك يا عنترة أقدِم نحو العدوّ واحمِل عليهم، يريد: أنّ تعويل أصحابه عليه والتجاءهم إليه شفى نفسه ونفى غَمَّه.[٢]

قوله: (ومِن الناس مَن يقف)... إلخ، مبنيّ على ما مرّ مِن الأبحاث، فالوقف على "ويْ" مذهب الخليل وسيبويه،[٣] والوقف على "ويك" على مذهب الكوفيّين.[٤] وعلى قوله: (ويجوز)... إلخ. واعلم أنّ فيما ذكرنا مِن الوقف نظرٌ يُعرف مما ذكر[٥] في الجانب الآخر مِن الحاشية، وهو هذا، وفي قوله تعالى: ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ قولان: أحدهما: أنّ "وَي" كلمة دخلت على "كأنّ". والآخر:[٦] أنّها "ويك". والأوّل: مذهب البَصريّين. والثاني: مذهب الكوفيّين. والقرّاء البصريّون جاءت قراءتهم على خلاف مذهبهم ووفق مذهب الكوفيّين، وقراءة الكوفيّين جاءت أيضًا على خلاف مذهبهم، فأبو عمرو بصريّ يقف على الكاف مِن "ويك"، والكِسائيّ كوفيّ يقِف على الياء مِن "وَيْ".[٧] فهذا يدلُّك[٨] على أنّ قراءتهم لم يأخذوها مِن[٩] نحوهم، وإنّما أخذوها نقلًا، حتّى لو خالف النقلُ مذهبَه في النحو لم يقرأ إلّا بما نقل، كما رأيته[١٠] في "وي".

---

[١] ف: سُقما.

[٢] ن – فحذف حرف النداء ورُخّم. يقول: لقد شفى نفسي وأزال سُقمها قول الفوارس لي: ويلك يا عنترة أقدِم نحو العدوّ واحمِل عليهم، يريد: أنّ تعويل أصحابه عليه والتجاءهم إليه شفى نفسه ونفى غَمّه. | انظر: شرح شواهد الكشّاف لمحبّ الدين أفندي، ص ٢٤٤.

[٣] انظر: العين للخليل، «وي»، ٤٤٢/٨؛ والكتاب لسيبويه، ١٥٤/٢.

[٤] انظر: شرح كتاب سيبويه للسيرافي، ٤٨٢/٢؛ وشرح المفصل لابن يعيش، ٧٦/٤.

[٥] ف: ذكرنا.

[٦] ن: الآخر.

[٧] انظر: النشر لابن الجزري، ٣٣٣/٢.

[٨] ن: بذلك.

[٩] ن – من.

[١٠] ن: رأته.

وقَرأ الأَعْمَشُ: "لَولا منُّ الله عَلَيْنا".

وقرئ ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾ وفيه ضميرُ اللهِ، و: "لانْخُسِفَ بنا" كقولك: انقُطِعَ بهِ، و: "لتُخُسِّفَ بنَا".

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿تِلْكَ﴾ تَعظِيمٌ لها وتفخيمٌ لشَأنِها، يَعْني: تلك الَّتي سَمِعْتَ بذِكْرِهَا وبَلَغَك وَصْفُها، ولم يُعَلِّق المَوْعدَ بتَرْك العُلُوِّ والفساد ولكنْ بتَرْكِ إرَادتِهما ومَيْلِ القُلُوب إلَيْهما؛ كمَا قال: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [هود ١١/١١٣] فعَلَّقَ الوَعيدَ بالرُّكُونِ.

وعن عليّ رضي الله عنه: إنَّ الرَّجُل ليُعْجبُه أَن يَكُونَ شِراكُ نَعْلِه أَجْوَدَ من شِراكِ نعْلِ صَاحبهِ فيَدْخُلُ تحْتَها.

وعن الفُضَيْل: أنَّه قَرأَهَا ثم قال: ذهَبتِ الأَمَانيُّ هاهُنا.

وعن عُمَرَ بن عبد العزيز: أنَّه كان يُرَدِّدُهَا حتَّى قُبِضَ.

ومِن الطُّمَّاع مَن يَجْعَلُ العُلُوَّ لِفرعَون والفسَادَ لقَارُونَ مُتعَلِّقًا بقَوله:

قوله: (أو لأنّه لا يُفلح) أي: والمعنى: لأنّه لا يفلح الكافرون كان ذلك.

قوله: (يعني: تلك التي سمعتَ) إنّما فسّر المصنِّف الآية بما ذكر؛ لأنّ ﴿تِلْكَ﴾ اسم إشارة تقتضي حضور المشار إليه، وإذ ليس محسوسًا حاضرًا في الخارج فلا بدّ مِن اعتبار حضوره[1] في الذِّهن.

قوله: (ذهبت الأمانيّ) يعني: تقتضي الآية على كلِّ أحد وجوب ترك التمنّي[2] وإرادة ما ليس له مِن العلوّ والرفعة كما اقتضت وجوب ترك إرادة الفساد.

قوله: (متعلِّقًا) أي: متمسِّكًا. وقوله: (وعمر) أي: عمر[3] بن عبد العزيز.

---

[1] ن: خضوره.
[2] ن: النهي.
[3] ن - أي: عمر.

﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [القصص ٤/٢٨]، ﴿وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [القصص ٧٧/٢٨] ويقُولُ: مَن لم يكُن مثلَ فرعَونَ وقارُونَ فَلهُ تلك الدَّارُ الآخرةُ، ولا يَتدبَّرُ قَولَه: ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ كما تَدبَّرَهُ عَليٌّ والفُضَيل وعُمَرُ.

﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٤﴾

معناه: فلَا يُجزَونَ فوُضِعَ ﴿ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ مَوْضِعَ الضَّمير؛ لأن في إسنادِ عملِ السَّيئةِ إلَيهم مكرَّرًا فضلُ تهجِينٍ لحالِهم وزيادةُ تبغِيضٍ للسَّيئةِ إلى قُلوب السَّامِعين.

﴿إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾: إلا مِثلَ ما كانوا يَعملُونَ، وهذا من فَضلِه العَظِيم وكرَمِه الوَاسِع: أن لا يَجزِيَ السَّيئةَ إلَّا بمثلِهَا ويَجزي الحسَنَة بعشرِ أَمثَالِهَا وبسَبْعِ مئةٍ، وهو مَعْنى قَوله: ﴿فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٨٥ وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ ٨٦ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَۖ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٨٧ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٨﴾

﴿فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾: أَوْجَبَ عَليك تِلاوَتهُ وتَبلِيغَهُ والعَملَ بمَا فيه، يَعني: إنَّ الَّذي حَمَّلَك صُعُوبةَ هذا التَّكليفِ لَمُثيبُكَ عليها ثَوابًا لا يُحيطُ به الوَصْفُ، و﴿لَرَآدُّكَ﴾ بَعْدَ المَوْت ﴿إِلَىٰ مَعَادٖ﴾؛ أي: مَعادٍ ليَس لغَيرِك من البَشَرِ، وتَنكيرُ المعَادِ لذلك.

قوله: (أن لا يَجزيَ) بدل مِن "هذا"، أو خبر مبتدأ محذوف.

قوله: (ولَرادُّك)[1] عطف على "لَمثيبُك" بطريق البيان.

---

[1] ن: أو لرادك.

وقِيل: المرادُ بهِ مكّةُ، ووجْهُهُ: أن يُرادَ رَدُّهُ إليها يوْمَ الفَتحِ، وَوَجْهُ تَنكيرِه: أَنَّها كانَتْ في ذلك اليَوْمِ مَعَادًا له شأنٌ ومَرْجِعًا له اعتِدَادٌ؛ لغَلَبَةِ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم عَليهَا وَقهْرِه لأَهْلهَا، ولِظُهور عِزِّ الإِسْلام وأَهْلِه وذُلِّ الشِّركِ وحِزْبهِ.

والسُّورَةُ مكِّيَّةٌ فكأنَّ اللهَ وعَدَهُ وهو بمَكّة في أذًى وغَلَبةٍ مِن أَهْلهَا: أنّه يُهَاجِرُ به منهَا ويُعيدُه إليْهَا ظَاهِرًا ظَافِرًا.

وقيل: نَزلَتْ عَليه حِينَ بَلَغ الجُحْفةَ في مُهَاجَرِه، وقد اشتَاقَ إلى مَوْلِدِه ومَولِدِ آبائه وحرَم إبراهيمَ، فنَزلَ جبريلُ فقالَ له: أَتَشْتَاقُ إلى مَكَّة؟ قال: "نَعَم" فأوحاها إليه.

فإن قلتَ: كيف اتَّصَلَ قولُه تَعَالى: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ﴾ بمَا قَبلَهُ؟

قوله: (يُهاجر به) الباء للتعدية، أي: يُصيّره ويجعله[١] مهاجِرًا مِن مكّة، ثمّ يعيده إلى مكّة ظاهرًا، أي: غالبًا عليهم، قال الله تعالى: ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الفتح ٢٨/٤٨].

قوله: (وقيل: نزلت)... إلخ، فعلى هذا لا تكون الآية مكّيّةً ولا مدنيّةً. يقال: أجحف به، أي: ذهب[٢] به، و"الجُحفة": موضع بين مكّة والمدينة، وهي ميقات أهل الشام، وكان اسمها مَهْيعة، فأجحف[٣] السيل بأهلها، فسُمّيت جحفةً.[٤]

قوله تعالى: أي: يعلم مَن جاء بالهدى، وهذا جواب لكفّار مكّة لمّا قالوا للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم: إنّك في ضلال مبين، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿قُل﴾ لهم: ﴿رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ يعني: نفسه، ﴿وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ يعني: المشركين، ومعناه: أعلم بالفريقين. مَعالم.[٥]

---

١ ن: وتجعله.

٢ ن: اذهب.

٣ ن: وأجحف.

٤ الصحاح للجوهري، «جحف».

٥ هذه الحاشية وقعت في هامش د ف، ووقعت بعد الحاشيتين التاليتين في ن. | معالم التنزيل للبغوي، ٢٢٧/٦ (القصص، ٨٥/٢٨).

قلتُ: لمَّا وَعَدَ رَسُولَهُ الرَّدَّ إلى معَادٍ قال: قُلْ للمُشْركينَ ﴿رَبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ يَعْني: نَفسَهُ وما يَستَحِقُّه من الثَّواب في معَادِه ﴿وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ يَعْنيهِم وما يَسْتَحِقُّونَه مِن العِقَابِ في مَعَادِهم.

فإن قلتَ: قولُه: ﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ﴾ ما وَجْهُ الاستثْناءِ فيهِ؟

قلتُ: هذا كلامٌ محْمُولٌ على المَعْنى؛ كأنَّه قيلَ: وما أُلْقِيَ عَليْكَ الكتابُ إلَّا رَحْمةً من رَبِّكَ، ويجوز أَنْ يَكُونَ ﴿إِلَّا﴾ بمَعنى "لكِنْ" للاستِدْرَاكِ؛ أي: ولكِنْ لرَحْمَةٍ مِن ربِّكَ أُلقِيَ إليْك.

وقرئ: "يُصِدُّنَّك" مِن أَصَدَّهُ بمَعنى: صَدَّه، وهي في لُغَةِ كَلْبٍ، وقال:

أُنـاسٌ أَصَـدُّوا النَّـاسَ بالسَّـيْفِ عَنهُـمُ ... صُـدُودَ السَّـواقِي عـن أُنُـوفِ الحوائـمِ

قوله: (قلت: هذا كلام محمول)... إلخ، فعلى هذا يكون الاستثناء مفرَّغًا، ويكون ﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ﴾ في محلِّ المفعول له.

قوله: (ويجوز) واعلم أنّ ﴿إِلَّا﴾ إذا كان بمعنى "لكنّ"، وكان الاستثناء منقطعًا؛ كان التقدير: لكنّ رحمةً مِن ربّك كان سبب الإلقاء، ويئول المعنى إلى ما ذكر / المصنّف مِن قوله: (ولكن لرحمةٍ)، وإنّما لم يجعل ﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ﴾ متعلِّقًا [٢٥٢ظ] بقوله تعالى: ﴿يُلۡقَىٰٓ﴾؛ لأنّه يقتضي أن يكون النبيّ عليه الصلاة والسلام راجيًا أن يُلقى إليه الكتاب، ويفسُد المعنى؛ لأنّه لم يكن راجيًا ذلك أصلًا.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾ عطف على ﴿فَلَا تَكُونَنَّ﴾، لمّا أظهر المِنّة عليه بإنزال القرآن عليه مع عدم رجائه، نهاه عن مظاهرة الكافرين، وذكر ما معناه الوعيد بانقطاع الوحي لو كان ظَهيرًا لهم.

قوله:

(أُناسٌ أصدُّوا[١] الناس بالسيف عنهمُ ... صُدودَ السواقي عن أنوف الخرائمِ)[٢]

---

[١] ن: أصدّو.

[٢] هامش د: الحوائم. خ [اختصارًا مِن "نسخة"]. | لذي الرمّة في لسان العرب لابن منظور، «صدد»، بلفظ: "الحوائم"، ثمّ قال: «قال ابن برّي: وصواب إنشاده:

صدود السواقي عن رءوس المَخارم».

﴿بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَ﴾: بَعْدَ وَقْتِ إنزالِهِ، و"إذْ" تُضَافُ إليه أسماءُ الزَّمان؛ كقولك: "حينئذٍ وليلَتئذٍ ويومَئذ" وما أَشبَهَ ذلك.

والنَّهيُ عن مُظَاهرة الكافِرِينَ ونَحوِ ذلك من بابِ التَّهييج الذي سَبَق ذكرُه.

﴿إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾: إلّا إيّاه، والوجهُ يُعَبَّرُ بِهِ عن الذَّات.

قال رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرَأ طسم القَصَصِ كان له من الأَجْرِ بعَددِ مَن صَدَّقَ موسَى وكذَّبَ، ولم يَبْقَ مَلَكٌ في السَّماواتِ والأرض إلّا شَهِدَ له يَوْمَ القيَامةِ أَنَّه كان صَادقًا أَنْ كُلُّ شَيءٍ هَالكٌ إلّا وجْهَهُ له الحُكْمُ وإلَيْه تُرجَعُونَ».

قيل: "صدود السواقي" صوابه بالفاء، و"السوافي": الرياح. و"الخَزْمُ":[١] أنفُ الجبل. يقول: هم أناسٌ صدّوا الأعداء عن أنفسهم كما تُصَدُّ الريح عن أنف[٢] الجبل، فهو مثل: أنبت نباتًا. و"السواقي": الذين يسقون الماشية. و"الحائم": الإبل العِطاش.[٣] و"الساقية": واحدة السواقي، وهي فوق الجدول، ودون النهر. وحامَ الطائر حول الشيء يَحوم، والحَوْمُ:[٤] القطيع الضخم[٥] مِن الإبل.

قوله تعالى: ﴿عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعني: القرآن.[٦]

تمّت السورة بحمد الله.[٧]

---

١ ن – قيل: "صدود السواقي" صوابه بالفاء، و"السوافي": الرياح. و"الخَزْمُ".
٢ ن: ألف.
٣ د ف: العطاش.
٤ ن: الحوم.
٥ ن – الضخم.
٦ وفي هامش د ف: معالم. | معالم التنزيل للبغوي، ٢٢٨/٦ (القصص، ٨٧/٢٨).
٧ ف ن – تمّت السورة بحمد الله.

سورة العنكبوت

مكيَّةٌ، وهيَ تِسْعٌ وستُّونَ آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢﴾

الحِسْبَانُ لا يَصحُّ تَعْلِيقهُ بمعاني المُفرداتِ ولكن بمضَامين الجُمَل، ألَا تُرى أنَّك لو قُلتَ: "حَسِبْتُ زيدًا" و: "ظَننتُ الفرسَ" لم يكُن شَيئًا حتى تقُول:

سورة العنكبوت

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (بمضامين) عطف على قوله: (بمعاني)، وهو مِن عطف المفردات.

قوله: (لم يكن شيئًا) أي: كلامًا مفيدًا، والضمير في "يكن" يعود إلى القول الذي يدلّ عليه "قلتَ"، يعني: لو قلتَ: "حسبتُ زيدًا" لم يكن قولك كلامًا مفيدًا حتّى قلتَ: "حسبتُ زيدًا عالِمًا"، فحينئذٍ يكون قولك -وهو:[2] "حسبتُ زيدًا عالمًا"- كلامًا مفيدًا، ويظهر لك ممّا ذكرنا أنّه لا يجوز أن يعود الضمير مِن قوله: "يكن"[3] إلى ما دلّ عليه "حسبتُ زيدًا"؛ لأنّه يئول المعنى إلى قولك: لم يكن "حسبتُ زيدًا" كلامًا مفيدًا حتّى تقول: "حسبتُ زيدًا عالمًا"، وهذا باطل مِن القول؛ لأنك إذا قلت: "حسبتُ زيدًا عالمًا" فإنّه لا يكون "حسبت زيدًا" كلامًا مفيدًا، فكيف يصحّ جعل هذا القول غايةً لعدم صحّة كون ذلك

---

[1] ف ن - وبه نستعين.

[2] ن - وهو.

[3] ن: لكون.

"حَسِبْتُ زيدًا عالمًا" و: "ظَنَنْتُ الفرسَ جوَادًا"؛ لأنَّ قولك: "زيدٌ عَالِمٌ" أَو: "الفرسُ جَوادٌ" كلامٌ دَالٌّ عَلَى مَضمُونٍ، فأرَدْتَ الإخبارَ عن ذلك المضمُونِ ثابتًا عِنْدك على وَجْه الظَّنّ لا اليَقين، فلم تجدْ بُدًّا في العبَارة عن ثَبَاتِه عِندكَ على ذلك الوَجْه من ذِكْرِ شَطْرَي الجُملَةِ ....

كلامًا مفيدًا؟ فتأمّل.[١] وههنا وجه آخر؛ وهو أن لا نُفسِّر[٢] قوله: "شيئًا" بقولنا: كلامًا مفيدًا؛[٣] بل نفسِّره بقولنا: شيئًا يعتدّ به أعمّ[٤] مِن أن يكون كلامًا أو جزءَ كلام، فالمعنى: لا يكون "حسبت زيدًا" شيئًا يعتدّ به، أي: تركيبًا صحيحًا؛ لأنّه لا يجوز الاقتصار في باب "حسِبت" على أحد المفعولين، فإذا قلتَ: "حسبت زيدًا" واقتصرتَ عليه لا يكون التركيب صحيحًا، بخلاف ما إذا قلتَ: حسبت زيدًا عالمًا، فإنّه يكون حينئذٍ "حسبت زيدًا" تركيبًا صحيحًا وشيئًا معتدًّا به؛ لأنّه وقع جزءَ التركيب حينئذٍ. وقول المصنِّف: (لأن)... إلخ يدلّ على التقرير الأوّل، يَظهر[٥] لك لو تأمّلتَ.

قوله: (عن ذلك المضمون) أي: عن كون ذلك، فالمضاف محذوف؛ لأنّ عامل خبر "كان" يُحذف كثيرًا، و"ثابتًا"[٦] خبر الكون المحذوف، ولا بدّ مِن تقديره[٧] ههنا؛ لأنّك لو لم تقدّره لكان ثابتًا حالًا عن "ذلك المضمون"، فلا يدلّ التركيب إلّا على أنّك أخبرت عن ذلك المضمون / حال كونه ثابتًا عندك، والمقصود [٢٥٣و] أنّك تخبر عن ثباته عندك على الوجه الذي ذكره، حيث قال: (في العبارة[٨] عن ثباته عندك)... إلخ، وقوله:[٩] "في العبارة" ظرف "تجد"، و"عن ثباته"[١٠] يتعلّق بـ"العبارة".[١١] وقوله: (على ذلك الوجه) متعلِّق بـ"ثباته"، أي: على وجه[١٢] الظنّ. وقوله: (مِن ذكر) متعلِّق بقوله: (بُدًّا)، لكن يلزم الفصل بين "بُدًّا" ومعموله،

---

[١] ن: وقيل.
[٢] ن: يفسر.
[٣] ن + هو.
[٤] ن: أعلم.
[٥] ن: ويظهر.
[٦] ن: وثانيًا.
[٧] ن: تقريره.
[٨] ن: العبادة.
[٩] ن: قوله.
[١٠] ن + أي: ثبات المضمون.
[١١] ن: بالعبادة.
[١٢] ن: الوجه.

مُدْخِلًا عليهما فِعلَ الحِسْبَانِ حتَّى يَتِمَّ لك غَرضُك.

فإن قلتَ: فَأينَ الكلامُ الدَّالُّ على المضمُون الذي يقتضِيه الحِسبَانُ في الآية؟

قلتُ: هُو في قوله: ﴿أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ وذلك أنَّ تَقْدِيرَه: «أَحسِبُوا تركَهُم غيْرَ مَفتُونِينَ لقَولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾»، فالتركُ أوَّلُ مَفعُولَي "حَسِبَ"، و"لِقَولهم: آمَنَّا" هو الخبَرُ، وأمَّا "غَيرَ مفتُونِينَ" فتَتِمَّةُ التَّركِ لأنَّه مِن التَّرْك الَّذِي هو بمَعْنَى التَّصيير؛ كقوله:

وهو غير جائز؛ لأنّه في معنى المصدر، قال في الصِّحاح: «قولهم: 'لا بدّ مِن كذا' كأنّه قال: لا فراق مِنه، ويقال: البُدُّ: العِوَض».[١] وقوله: (مُدخلًا) حال، وذو حاله محذوف، وهو فاعل "ذِكر"، أي: مِن ذِكرك أو مذكور، وهو شطرَى...[٢] وقوله: (حتّى) متعلِّق بـ"ذِكر"، وقوله: (غرضكَ) هو الإخبار عن المضمون على الوجه المذكور.[٣] وقوله: (حتّى يَتِمّ لك غرضُك) فالغرَض هو ذكر مضمون الجملة، وتمام الغرَض هو بيان أنّه مظنون أو معلوم.

قوله: (في الآية) حال عن "الحِسبان"، أي: يقتضيه الحِسبان مذكورًا في الآية.

قوله: (قلتُ: هو في قوله)... إلخ، لمّا كان قوله: (أين[٤] الكلام؟) سؤالًا عن الموضع صحّ وقوع قوله: (هو في قوله: ﴿أَن يُتۡرَكُوٓاْ﴾) جوابًا عنه، كما إذا قيل: أين زيد؟ يقال في جوابه: هو في الدار.

قوله: (فالتركُ) أي: تركهم.

قوله: (لأنّه مِن الترك الذي)... إلخ، فيكون المعنى: أَحسِبوا أن نُصيّرَهم ونجعلَهم[٥] غيرَ مفتونين لقولهم.

قوله:

---

[١] الصحاح للجوهري، «بدد».
[٢] ن: شرطي.
[٣] ن: المذكورة.
[٤] ن: إلى.
[٥] ن: يصيّرهم ويجعلهم.

فَـتَـرَكْـتُـه جَـــزَرَ الـسِّـبَـاعِ يَـنُـشْـنَـهُ

ألا تَرى أنّك قَبْل المجيءِ بالحِسْبَانِ تَقْدِرُ أنْ تَقُولَ: "تَرْكُهُم غيرَ مفتُونِينَ لقَولهم: آمَنَّا" على تَقْديرِ: حَاصِلٌ ومُسْتَقِرٌّ قَبلَ اللَّام.

فإن قلتَ: ﴿أَن يَقُولُواْ﴾ هُوَ عِلَّةُ تَركهم غيْرَ مَفتُونينَ، فكيْفَ يَصِحُّ أن يَقعَ خبَرَ مُبْتَدإٍ؟

قلتُ: كما تَقُولُ: "خرُوجه لمخَافَة الشَّرِّ" و: "ضَرْبُه للتَّأْدِيبِ" وقد كانَ التَّأديبُ والمخَافةُ في قولك: "خَرجْتُ مَخَافةَ الشَّرِّ" و: "ضَرَبْتهُ تَأديبًا" تعلِيلَيْنِ، وتَقُولُ أيضًا: "حَسِبْتُ خُرُوجَه لمخَافَةِ الشَّرِّ" و: "ظنَنْتُ ضَربَهُ لِلتَّأْدِيبِ" فتَجعَلُهما مَفْعُولَين كما جَعَلْتَهُما مُبْتَدَأً وخَبَرًا.

(فتركتُـــه جَـــزَرَ الســـباع ينُشـــنَهُ)[١]

تمامه:

يـقْـضِـمْـنَ حـسْـنَ بَـنـانـه والـمِـعْـصَـمِ[٢]

"جَزَر السباع": اللحم الذي يأكله. و"النَّوشُ":[٣] التناول. و"القَضْم": الأكل بأطراف الأسنان، والخَضمُ: الأكل بجميع الفم، وقولهم: «يُبْلَغ الخَضم بالقَضم»،[٤] أي: أنّ الشَّبعة قد تُبلغ بالأكل بأطراف الفم، ومعناه: أنّ الغاية البعيدة قد تُدرك بالرِّفق.

قوله: (على تقدير: حاصلٌ) إشارة إلى أنّه لو لم يقدِّر "حاصِل" قبل اللام ولا "مستقِرّ" -بل جعل اللام متعلِّقًا بـ"تركهم"- لم يكن كلامًا تامًّا، ولا يكون ذلك مفعولَي الحِسبان.

قوله: (قلتُ: كما تقول) حاصل ذلك: أنّ اللام إذا لم يكن متعلِّقًا بقوله: (خروجه) يكون خبره، ويتمّ به الكلام، ويقعان مفعولَي "حَسِب".

---

[١] ن: يلسنه.

[٢] ن: والمعضم. | لعنترة بن شدّاد في جمهرة أشعار العرب للقرشي، ص ٣٦٦، لكن قال في تمامه:
مـا بـيـن قُـلّـة رأسِـه والـمِـعـصـمِ

[٣] ن: النوش.

[٤] ن - بأطراف الأسنان، والخَضمُ: الأكل بجَميع الفم، وقولهم: «يُبْلَغ الخَضم بالقَضم». | انظر: مَجمع الأمثال للميداني، ٢/٩٣.

وَالفِتْنَةُ: الامتحانُ بشَدَائِدِ التَّكْلِيفِ: من مُفَارَقَةِ الأَوْطَانِ، ومُجاهَدة الأَعداء، وسَائِرِ الطَّاعَاتِ الشَّاقَّةِ، وهَجْرِ الشَّهَوَاتِ والمَلَاذِّ، وبالفَقْرِ والقَحْطِ وأَنواعِ المصَائب في الأَنْفُسِ والأَموالِ، وبمُصَابَرَةِ الكفَّارِ على أَذاهُم وكَيْدِهم وضِرَارِهم.

والمَعنى: أَحسِبَ الَّذينَ أَجْرَوا كلِمةَ الشَّهَادَةِ على أَلسِنَتِهم وأَظهَرُوا القَولَ بالإِيمان أَنَّهُم يُتْرَكُونَ لِذلك غيْرَ مُمْتَحَنِينَ، بل يَمتحِنُهم اللهُ بضُروبِ المحَنِ حَتَّى يَبْلُوَ صَبْرَهُم، وثَبَاتَ أَقْدَامِهِم، وصِحَّةَ عقَائدهم، ونصُوعَ نيَّاتِهم؛ ليتَميَّزَ المُخلِصُ مِن غيْرِ المُخلِص، والرَّاسِخُ في الدِّين مِن المُضطَرِب، وَالمُتمكِّنُ من العَابدِ على حَرْفٍ؛ كما قالَ: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران ١٨٦/٣].

ورُوِي: أَنَّها نَزلَتْ في ناسٍ من أصحَابِ رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم قد جَزِعُوا مِنْ أَذَى المُشركينَ.

وقيل: في عَمَّارِ بن يَاسرٍ، وكانَ يُعَذَّبُ في الله.

وقيل: في ناسٍ أَسلمُوا بمَكَّة فكتَبَ إليهم المُهَاجرُونَ: لا يُقبَلُ مِنكم إسلامُكم حَتَّى تُهَاجِرُوا، فخرَجُوا فَتبِعَهُم المُشرِكُونَ فرَدُّوهم، فلمَّا نَزلَتْ كتَبُوا بها إِلَيْهم فخرجُوا، فاتَّبعَهُم المشركونَ فقَاتَلوهُم فمِنْهُم مَن قُتلَ ومِنْهُم مَن نَجَا.

وقيل: في مِهْجَع بن عبد اللهِ مَوْلى عُمرَ بن الخطَّاب، وهُو أَوَّلُ قتيلٍ من المُسْلمينَ يوْمَ بَدْرٍ، رَماه عَامِرُ بنُ الحَضْرَميِّ فقال رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «سَيِّدُ الشُّهَدَاء مِهْجَعٌ، وهُوَ أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى إلى بَابِ الجَنَّةِ من هذه الأُمَّةِ» فَجزِعَ عَليه أَبواهُ وَامرأَتُه.

قوله: (مِن مُفارَقة) بيان "الشدائد".

قولـه: (ونُصوعَ) الناصع: الخالص، يقال: نصع[1] لونُه نُصوعًا إذا اشتدّ بياضُه وخلُص.[2]

---

[1] ف ن + ينصع.

[2] ف + يخلُص؛ ن + خلص يخلص.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ موصولٌ بـ﴿أَحَسِبَ﴾ أو بـ﴿لَا يُفْتَنُونَ﴾؛ كقَولك: "ألَا يُمتَحَنُ فُلانٌ وقد امتُحنِ مَن هو خَيرٌ مِنه"، يَعْني: أَنَّ أَتْبَاعَ الأنبيَاء قَبْلهُم قد أصَابَهُم مِن الفِتَنِ والمِحَنِ نَحْوُ ما أصابهُم أو ما هو أَشدُّ مِنهُم فَصَبرُوا؛ كما قال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟﴾ الآية [آل عمران ٣/١٤٦].

وعن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: «قد كانَ مَن قَبلكُم يُؤخَذُ فيُوضَعُ المِنشارُ على رَأسه فيُفرَقُ فِرقَتينِ ما يَصْرِفهُ ذلك عن دِينهِ، ويُمشَطُ بأَمْشَاطِ الحَديدِ ما دُونَ عَظْمِه من لَحْمٍ وعَصَبٍ ما يَصْرِفُهُ ذلك عن دينِه».

﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾ بالامْتِحَانِ ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ في الإيمان ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فيه.

فإن قلتَ: كيْفَ وهو عالِمٌ بذلِك فيما لم يَزَلْ؟

قلتُ: لم يَزَلْ يَعْلَمُهُ مَعْدُومًا، ولا يَعْلمُه مَوجُودًا إلَّا إذَا وُجِدَ، والمعنَى: وليَتمَيَّزن الصَّادقُ منهم من الكاذِب.

ويجوز أن يكُونَ وعْدًا وَوعِيدًا؛ كأنَّه قال: وليُثِيبنَّ الَّذين صَدَقُوا وليُعَاقِبنَّ الكاذِبينَ.

وقرأ عليٌّ رضيَ الله عنه والزُّهْرِيُّ: "وَليُعْلِمَنَّ" من الإِعْلام؛ أي: وَليُعَرِّفنَّهُم اللهُ الناسَ مَن هُم، أو: لَيَسِمَنَّهُم بعَلامَةٍ يُعْرَفُون بها: ....

قوله: (مِن لحم) بيان "ما".

قوله: (فإن قلت: كيف وهو عالِم؟) أي: كيف قيل: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾ والحال أنّه عالِم؟

قوله: (وعدًا ووعيدًا)... إلخ، كأنّه لفّ ونَشر.

قوله: (أي: وليُعَرِّفنّهم الله)... إلخ، يريد: أنّه يجوز أن يكون "علمت" بمعنى: عرَفت، فإذا نقل إلى باب الإفعال تعدّى إلى مفعولين: أحدهما: ﴿ٱلَّذِينَ﴾، والثاني: محذوف، وإليه أشار بقوله: (الناس)، وفي مثله يجوز حذف أحد المفعولين وذكر الآخر؛ لأنّ الأوّل ليس عبارة عن الثاني. ثمّ قال: (أو لَيَسِمَنّهم) عطفًا على "يُعَرِّفنّهم"، يعني: ويجوز أن يكون مِن قولهم: أعلَمَ القصَّارُ الثوبَ،

مِن بيَاضِ الوجُوه وسَوادِها، وكَحَلِ العُيونِ وَزُرْقتِهَا.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٤﴾

﴿أَن يَسْبِقُونَا﴾ أَنْ يَفُوتُونَا، يَعْني: أَنَّ الجَزاءَ يَلْحَقُهُمْ لا مَحَالةَ، وهُم لَم يَطْمَعُوا في الفَوْتِ ولم يُحَدِّثُوا به نفُوسَهُم، ولكنَّهم لِغَفلَتِهِمْ وقلَّةِ فِكْرهم في العَاقِبَةِ وإِضرارهم على المعَاصي في صُورَة مَن يُقَدِّرُ ذلك وَيطْمَعُ فيهِ، ونَظيرُه: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [العنكبوت ٢٢/٢٩]، ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ [الأنفال ٥٩/٨].

فإن قلتَ: أَيْنَ مَفعُولا ﴿حَسِبَ﴾؟

فهو مُعْلِمٌ بالكسر، والثوب مُعْلَمٌ بالفتح، يقال: وَسَمه وَسمًا إذا أثّر فيه بِكَيٍّ وعلامة يُعرَف بها، والضمير مِن قوله: "لَيُعرِّفنَّهم" و"لَيَسِمَنَّهم" للصادقين والكاذبين. وقوله: (مَن هم)[1] أي: فيعلمون / مَن هم. [٢٥٣ظ]

قوله: (مِن بياض الوجوه) للمؤمنين. وقوله: (وسوادِها) للكافرين.

قوله: (وكحلِ العيون) للمؤمنين. وقوله:[2] (وزُرقتِها) للكافرين.

قوله: (أن يفوتونا) فسّر ﴿يَسْبِقُونَا﴾ بقوله: "يفوتونا"، ثمّ أشار إلى أنّ حاصل المعنى: أنّ الجزاء يلحقهم البتّة؛ لأنّه لمّا أنكر حِسبانهم السبْقَ -أي: الفَوتَ- بَيّن[3] أنّهم لا يَفوتون،[4] فلا محالة يلحقهم العذاب، ثمّ قال المصنِّف: "إنّ هؤلاء لم يَطمَعوا أن يفوتوا، لكن نُزّلوا منزلة من يطمع في ذلك، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [الزمر ٥١/٣٩]"، فهؤلاء أيضًا ما ظنُّوا أنّهم معجزون الله، لكنّهم نُزّلوا منزلة مَن يظنُّ ذلك، فردّ ظنّهم بقوله: ﴿وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [الزمر ٥١/٣٩]، وكذا الآية الأخرى. إلى (لا محالة) تفسير، ثمّ قال المصنِّف: "إنّ هؤلاء لم يَطْمَعوا أن يفوتوا".

---

[1] ن: منهم.

[2] ن – وقوله.

[3] ن: بيّن.

[4] ن: لا يقولون.

قلتُ: اشتِمالُ صِلَة ﴿أَن﴾ على مُسْنَدٍ ومُسنَدٍ إليه سَدَّ مسَدَّ المَفعُولين؛ كقولِهِ: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة ٢/٢١٤]، ويجُوز أن يُضمَّن ﴿حَسِبَ﴾ مَعنَى: قَدَّرَ.

و﴿أَمۡ﴾ مُنقَطِعَةٌ، ومَعْنى الإضرَاب فيها: أنَّ هذا الحسْبَانَ أَبْطَلُ من الحسبَانِ الأوَّل؛ لأنَّ ذاكَ يُقَدِّرُ أنَّه لا يُمتَحَنُ لإيمانِه، وهذا يَظُنُّ أنَّه لا يُجازَى بمَسَاوِيهِ.

﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾: بئسَ الَّذي يَحْكُمُونَه حُكْمُهُم هذا، أو: بِئْس حُكْمًا يَحْكُمونه حُكْمُهم هذا، فحُذِفَ المَخصُوصُ بالذَّم.

﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝﴾

"لقاءُ اللهِ": مَثَلٌ للوُصُول إلى العَاقبة: من تَلقِّي مَلكِ المَوتِ، والبَعْثِ،

قوله: (بئس الذي)... إلخ، يعني: يجوز أن يكون ﴿مَا﴾ بمعنى "الذي"، ويكون[١] فاعل "بئس" كالمعرَّف[٢] باللام، ويكون المخصوص بالذمّ محذوفًا، ويجوز أن يكون الفاعل مضمرًا مميَّزًا بـ"ما"، والمخصوص بالذمّ أيضًا محذوف، و﴿يَحۡكُمُونَ﴾ صلة أو صفة.

قوله: (﴿لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ مثل) أي: مستعارٌ، فإنّ المصنِّف ذكر التمثيل بمعنى الاستعارة في تفسير قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ في سورة البقرة [٢/٧]، فذكر هنا "المَثل" بمعنى: المستعار، فالمعنى: شُبّه الوصول عند الموت إلى مَلَك الموت ببِشْرٍ مِن ملك الموت وبشارةٍ مِنه وترحيبٍ وإعظامٍ، والوصول إلى البعث بتسليم الملائكة والحساب اليسير، والجزاء الحسَن بلقاء الله تعالى، ثمّ ذُكر اللقاء وأريد ذلك الوصول، فهو استعارة مصرّح بها. وهذا مِثل ما ذَكَره الواحدي[٣] في الوسيط، في تفسير هذه الآية عن سعيد بن جبير: «مَن كان يطمع في ثواب الله».[٤] وأمّا ما ذَكَره في سورة الفجر فغير مناسب لهذا الموضع،

---

[١] ن: يكون.

[٢] ن + بل المعرّف؛ لأنّ الفاعل في الحقيقة هو موصوف "الذي"، تقديره: بئس الحكم الذي يحكمونه.

[٣] ن: الواقدي.

[٤] التفسير الوسيط للواحدي، ٤١٣/٣ (العنكبوت، ٢٩/٥).

والحسَابِ، والجزَاء، مُثِّلَتْ تلك الحَالُ بحَالِ عَبْدٍ قَدِمَ على سَيِّدِه بَعْدَ عَهْدٍ طويلٍ وقد اطَّلعَ مَوْلَاهُ على ما كان يَأتِي ويَذَرُ، فإمَّا أنْ يَلْقَاه بِبِشْرٍ وتَرْحِيبٍ

والاستشهاد في الحاشية مِن الجانب الآخر به[١] ليس بشيء. ثمّ إنّ المصنِّف ذكَر لتحقيق ما ذكره مِن الاستعارة: (مُثِّلَتْ تلك الحال)... إلخ، وكأنّه إشارة إلى مذهبه مِن أنّ لقاءه تعالى بمعنى: إبصاره لا يمكن، فتلك الاستعارة مبنيّة على هذا المعنى، وهو أن يقال: شبّه حال الإنسان في مكثه في الدنيا ثمّ رجوعه إلى عالم السِّرِّ والعلانية على الوجه الذي ذكر.[٢] ثمّ اعلم أنّ المراد بقوله: "تلك الحال" في قوله: "مُثِّلَتْ تلك الحال" حال الإنسان مِن وقت دخوله في الدنيا وبقائه[٣] فيها إلى وقت تلقِّي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء. والمراد بقوله: "تلك الحال" في قوله: (يأمُل تلك الحال) حال تلقِّي ملك الموت بالبشرى والحساب كذا والجزاء كذا، فالمراد بالحال الأوّل غير المراد بالحال الثاني، ويجوز أن يكون المراد بالثاني كما هو المراد بالأوّل، ويكون قوله: (وأن يَلْقى) بمعنى: يأمَل أن يكون له تلك الحال مع لقائه في تلك الحال الكرامة.

/ قوله: (مَثل للوصول) أي: شبيه للوصول،[٤] فإنّه إذا وصل الإنسان إلى [٢٥٤و]
ما وُعد مِن تلقِّي الملك[٥] والبعث والحساب انكشف له الأمر ووضحَ وتبيَّن ما اعتقده في الدنيا مِن أمور الآخرة وصفات الله ووحدانيّته ووعده ووعيده، فكأنّه لقي الله تعالى وكلّم الله بهذه الأشياء وبيَّنها له، وهذا المعنى مثل ما ذكر الواحدي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر ٢٢/٨٩]، فقال: «قال[٦] أهل المعاني: أي: وجاء[٧] ظهوره بضرورة المعرفة، وضرورةُ المعرفة[٨] بالشيء تقوم مَقام ظهوره ورؤيته، ولمّا صارت المعارف بالله في ذلك اليوم ضرورة

---

[١] ن – به.
[٢] ن: ذكره.
[٣] ن: وبقائد.
[٤] ن: الموصول.
[٥] ن – الملك.
[٦] ن – قال.
[٧] ن: جاء.
[٨] ن: المغرفة.

لِمَا رَضِيَ مِن أَفعَاله، أَو بِضِدِّ ذلك لِمَا سَخِطَهُ منهَا، فمَعْنى قَوله: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾: مَن كان يَأْمُلُ تِلك الحَالَ، وأَن يُلَقَّى فيها الكرَامَةَ مِنَ الله والبُشْرَى ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ وهو الموْتُ ﴿لَأَتٍ﴾ لا محَالةَ، فَلْيُبَادِرِ العَمَلَ الصَّالحَ الَّذي يُصَدِّقُ رجَاءه ويُحقِّقُ أَمَلَهُ ويَكتَسِبُ به القُرْبةَ عِنْد الله وَالزُّلفَى ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ الَّذي لا يخفَى عليه شَيءٌ ممَّا يَقُوله عِبَادُهُ ومِمَّا يَفْعَلُونَهُ، فَهُو حَقِيقٌ بالتَّقوى والخشْيَةِ.

صار ذلك كظهوره وتجلِّيه للخلق[١] فقيل: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر ٢٢/٨٩]، أي: زالت الشبهة وارتفعت الشكوك كما يرتفع[٢] عند مجيء الشيء الذي كان يُشَكّ فيه».[٣]

اعلم أنّ لي[٤] في هذا البيان نظرًا؛ بل هو ليس بشيء، وليس مرادَ المصنّف. وقوله: (مِن تلقِّي ملك الموت) بيان العاقبة.

قوله: (بعد عهدٍ طويلٍ) يقال: عَهِده بمكان كذا، أي: لقيه. وقوله: "بعد عهد طويل"، أي: بعد زمن عهد طويل، فحذف المضاف، ويريد بالزمن الطويل: الزمن الذي بين عهده وقدومه.

قوله: (لما رضي) "ما" في "لما" موصولة، والعائد[٥] محذوف، و"مِن" للبيان. أو موصوفة، والعائد مِن الصفة محذوف، و"مِن" للبيان، والثاني أوجَه. وقوله: (فمعنى قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ﴾)... إلخ، إشارة إلى أنّه أُقيم السبب مُقام المُسبَّب في الجزاء، أي: مَن كان يرجو[٦] لقاء الله فليبادر العمل الصالح، فإنّ أجَل الله لآتٍ عن قريب. وقوله: (مَن كان يأمل تلك الحال) فذُكِر اللقاء[٧] وأريد تلك الحال، وهي تلقِّي الموت والبعث... إلخ، ثمّ أضيف اسم الله تعالى لبيان قرينة الاستعارة. وقوله: (لآتٍ) أي: عن قريب، فكلّ ما هو آتٍ قريبٌ.

قوله: (ممّا يقوله) لأنّه سميع. وقوله: (وممّا يفعلونه)؛ لأنّه عليم، ففيه لفّ ونشر.

---

١ ن: للخاف.
٢ ف ن: ترتفع.
٣ التفسير الوسيط للواحدي، ٤٨٥/٤ (الفجر، ٢٢/٨٩).
٤ ف ن – لي.
٥ ن: والغائب.
٦ ف: يرجوا.
٧ ن: القى.

وقيل: ﴿يَرْجُواْ﴾: يَخَافُ، مِن قَوْلِ الهُذَليِّ في صِفَةِ عَسَّالٍ:

إذا لَسَعَتْهُ الدَّبْرُ لَم يَرجُ لَسْعَها

فإن قلتَ: ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ﴾ كيْفَ وَقعَ جَوابًا لِلشَّرطِ؟

قوله:

(إذا لَسَعَتْه الدَّبر لم يَرجُ لسْعَها)

تمامه:

وحالفَها[1] في بيت نُوبٍ عواملُ[2]

الهاء في "لسَعتْهُ" يعود إلى "العسَّال" المذكور في أبياته المتقدّمة. و"العسّال" الذي يشور العسل. و"الدَّبْرُ": النحل. قال أحمد بن[3] فارس في مُجمل[4] اللغة: «يقولون: ما أرجو، أي: ما أبالي، قالوا: وهو قوله:

إذا لسَعَته الدَّبر لم يَرجُ لسعَها

أي: لم يكترث له».[5] و"النُّوب": النحل، جمع: نائب، سمِّيت بذلك لأنّها[6] تنوب[7] على أهلها. والمُحالفة:[8] الحَلِفُ مِن الجانبين، كالمعاهدة، والضمير مِن "حالفها"[9] يعود إلى "الدَّبر"، وفاعله "عواملُ". يعني: يعهد بعضهنَّ مع بعضٍ في الاجتماع عليه ولَسْعِه لعلّه يرتَدع وهو لا يرتَدع ولا ينزَجر.

قوله: (فإن قلتَ: ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾)... إلخ حاصل السؤال: أنّ الشرط: رجاء اللقاء، والجزاء: إتيان الأجل، فما وجه الربط بينهما؟ فأجاب: بأنّ المراد باللقاء: تلك الأحوال المذكورة، وبالأجل: وقت وقوع أوّل تلك الأحوال، فالمعنى: مَن كان يرجو[10] ذلك فليعمل، / فإنّه قريب. [٢٥٤ظ]

---

[1] ف: وخالفها. | يروى بالحاء المهملة وبالخاء المعجمة. انظر: لسان العرب لابن منظور، «نوب» «خلف».

[2] لأبي ذؤيب في الصحاح للجوهري، «نوب»؛ لسان العرب لابن منظور، «نوب».

[3] ن – بن.

[4] ن: محملة.

[5] مجمل اللغة لابن فارس، «رجو».

[6] ن: لا.

[7] ن: تنوت.

[8] ن: والمخالفة.

[9] ن: خالفها.

[10] ف ن: يرجوا.

قلتُ: إذا عُلِم أَنَّ لِقَاء الله عُنِيَتْ به تلك الحَالُ المُمَثَّلَةُ والوقْتُ الَّذي تقَعُ فيه تلك الحالُ هو الأجَلُ المَضْرُوبُ للمَوْتِ، فكَأَنَّه قال: مَن كان يَرْجُو لقَاءَ اللهِ فإِنَّ لِقَاءَ اللهِ لآتٍ لأَنَّ الأجَلَ واقِعٌ فيه اللِّقَاءُ؛ كما تقُول: "مَن كان يَرجُو لقاءَ المَلِكِ فإنَّ يومَ الجُمْعةِ قَرِيبٌ" إذا عُلِمَ أَنَّه يَقْعُدُ للنَّاس يومَ الجُمعَةِ.

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾

﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾ نفْسَهُ في مَنْعِهَا ما تَأمُرُ بِهِ وحَمْلِهَا على ما تأْبَاهُ ﴿فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ﴾ لها؛ لأَنَّ منفعَةَ ذلك راجِعَةٌ إليها، وإنَّما أَمَر اللهُ ونَهَى رَحْمةً لعبَادِه وهو الغَنيُّ عَنهُم وعن طاعَتِهم.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٧﴾

إمَّا أَن يُرِيدَ قَومًا مُسْلِمين صَالِحينَ قد أَسَاؤُوا في بَعْضِ أعْمَالِهم وسَيِّئاتُهم مَغمُورَةٌ

قوله: (عُنِيَتْ به تلك الحال) هذا إشارة إلى قوله عن قريب: "مُثِّلَتْ تلك الحال -أي: حال الوصول إلى العاقبة- بحال عبدٍ قدِم على سيّده. وقوله: (والوقت الذي تقع[1] فيه تلك الحال) جملة معترضة. وقوله:[2] (لأنّ الأجل) المراد بـ"الأجل": هو الجزء الأخير، لا مجموع المدّة، فإنّ ذلك الجزء الأخير هو المضروب، أي: المعيَّن الذي عيَّنه الله تعالى للموت، فيكون مِن باب إطلاق المحلِّ وإرادة الحالِّ، هذا وجه ذكر الأجل وإرادة اللقاء. ثمّ أشار المصنِّف بذكر المثال أنّ المراد بالإتيان: القُرب، وذلك لأنّ إتيان الشيء سبب للإخبار بأنّه قريب، كما قيل: كلّ ما هو آتٍ قريب، وحاصل المعنى: مَن كان يرجو[3] تلك الحال فليبادر إلى الخيرات، فإنّ الموت آتٍ عن قريب.

قوله: (مغمورة) إشارة إلى مذهبه مِن الإحباط والموازنة.

---

[1] ن: يقع.
[2] ن: قوله.
[3] ف ن: يرجوا.

بحَسنَاتِهِم فهُوَ يُكفِّرُهَا عَنْهُم؛ أي: يُسْقِطُ عِقَابَها بثَوابِ الحَسناتِ ويَجْزِيهِم ﴿أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: أَحسَنَ جَزاءِ أعْمَالِهِم.

وإمَّا قَومًا مُشْرِكينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ، فاللهُ عَزَّ وجلَّ يُكَفِّرُ سَيِّئاتِهم بأنْ يُسقِطَ عِقابَ ما تَقَدَّمَ لَهُم من الكُفْرِ والمعَاصِي، ويَجْزِيَهُم أَحْسَنَ جَزاءِ أعمَالِهِم في الإسلام.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨﴾

"وَصَّى" حُكمُه حُكمُ "أَمَرَ" في مَعْناهُ وتَصرُّفِهِ، يُقَالُ: "وَصَّيْتُ زَيدًا بأَنْ يَفْعَلَ خَيْرًا" كما تقُول: "أَمرْتُه بأَن يَفعَلَ"، ومِنه بيتُ "الإصْلاحِ":

وَذُبْيَانِيَّةٍ وَصَّتْ بَنِيهَا ... بأَنْ كَذَبَ القَراطِفُ والقُرُوفُ

قوله: (أي: أحسنَ جزاء أعمالهم) يريد: أنّ المضاف محذوف، أي: أحسَن جزاء الذي، يعني: أنّ للعمل جزاءً[1] حسنًا، وجزاءً[2] أحسَن، فهو يجزيهم الجزاء الأحسَن.

قوله: (الإصلاح) كتابٌ، وهو إصلاح المنطق، تصنيف ابن السِّكيت.

قوله:

(وذُبيانيةٍ وصَّت)... البيتَ[3]

"كذَب" يكون بمعنى "وجَب"،[4] كما في هذا البيت، وفي الحديث: «ثلاثة أسفار كَذَبْنَ[5] عليكم»،[6] قال ابن السِّكِّيت: «كأنَّ 'كذَب' ههنا إغراء، أي: عليكم به، وهي كلمة نادرة جاءت على غير القياس، وجاء عن عمر رضي الله عنه:

---

[1] ن: جزءًا.

[2] ن: وجزءًا.

[3] لمعقر بن حمار البارقي في إصلاح المنطق لابن السكّيت، ص ١٥؛ والصحاح للجوهري، «قرف».

[4] الصحاح للجوهري، «كذب».

[5] ن: لذبن.

[6] من قول عمر رضي الله عنه في مصنف عبد الرزاق، ١٧٢/٥ (٩٢٧٦)؛ وغريب الحديث لأبي عبيد، ٢٤٨/٣.

كمَا لو قال: أَمرَتْهُم بأَنْ يَنتَهِبُوهَا، ومنه قولُه تعَالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾ [البقرة ١٣٢/٢]؛ أي: وَصَّاهُم بكلمة التَّوحيد وأَمرهُم بها، وقولُك: "وصَّيْتُ زيدًا بعَمْرٍو"، معناهُ: وَصَّيتُه بتَعهُّدِ عَمْرٍو ومُرَاعَاتِه ونحْوِ ذلك، وكذلك مَعْنَى قولِهِ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾: ووَصَّيناه بإيتاءِ والديه حُسْنًا، أو بإيلاءِ وَالِدَيْه حُسْنًا؛ أي: فِعْلًا ذا حُسْنٍ، أو ما هُو في ذاتِه حُسْنٌ لفَرْطِ حُسْنِه؛ كقَوله: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة ٨٣/٢].

وَقرئ: "حَسَنًا" و: "إِحْسَانًا".

ويجوز أن تُجْعَلَ ﴿حُسْنًا﴾ من بابِ قَولك: "زيدًا" بإضمار "اضْرِبْ": إذا رَأيتَهُ مُتهيِّئًا للضَّرْب، فتَنْصِبُه بإضمارِ: أَوْلِهما، أو: افعَلْ بهما؛ ....

'كذَب عليكم الحجُّ'،[1] أي: وجَب»،[2] قال الأخفش: «'الحجُّ' مرفوعٌ[3] بـ'كذَب'،[4] ومعناه: نصب؛ لأنّه أراد أن يأمر بالحجّ، كما يقال: أمكنك الصيد، يريد: ارْمِه»،[5] وتقول للمريض: كذب[6] عليك العسل،[7] أي: عليك به. يصف الشاعر امرأةً ذُبيانيّةً أمَرتْ بنيها بحفظ القَراطف والقروف، هكذا ذكر بعضهم.[8] وكلام المصنِّف يدلّ على أنّ التقدير: أَمَرتْ بَنيها بانتهاب القَراطف والقروف.[9] و"القَرْف" -بالفتح-: وعاء مِن جلد يُدبغ بالقِرْفة؛ وهي قشور الرمّان، ويُجعل فيه الخَلْع؛ وهو لحمٌ يُطبخ بتوابل فيُفرَغ فيه.[10] و"القَرْطَفُ":[11] القطيفة.

قوله: (ويجوز أن تجعل)[12] عطف على قوله: (وكذلك[13] معنى قولِه).

---

[1] مصنف عبد الرزاق، ١٧٢/٥ (٩٢٧٦)؛ غريب الحديث لأبي عبيد، ٢٤٧/٣.
[2] إصلاح المنطق لابن السكّيت، ص ٢٩٢؛ الصحاح للجوهري، «كذب».
[3] ن: من فرع.
[4] ن: يكذب.
[5] الصحاح للجوهري، «كذب».
[6] ن: لبب.
[7] ن: الغسل.
[8] انظر: شرح شواهد الكشّاف لمحبّ الدين أفندي، ص ٢٩٢.
[9] ن + هكذا ذكر بعضهم، وكلام المصنّف يدلّ على أنّ التقدير: أمرت بنيها بانتهاب القَراطف والقُروف.
[10] الصحاح للجوهري، «قرف».
[11] ن: والقراطف.
[12] ن: يجعل.
[13] ن: ولذلك.

لأنَّ التَّوصِيَة بهما دالَّةٌ عليه، وما بَعْدهُ مُطَابِقٌ له؛ كأنَّه قال: قُلْنَا: أَوْلِهما مَعْرُوفًا ولا تُطِعْهما في الشِّرك إذا حَملاكَ عَلَيْه، وعلى هذا التَّفسيرِ إنْ وقَفَ على ﴿بِوَالِدَيْهِ﴾ وابتَدَأ ﴿حُسْنًا﴾ حَسُنَ الوقفُ، وعلى التَّفسير الأوَّل لا بُدَّ مِن إضمار القول مَعْناه: وقُلنا: إنْ جَاهَداكَ أَيُّها الإنسَانُ.

﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾؛ أي: لا عِلْم لك بِإلاهيَّتِه، والمُرادُ بنَفيِ العِلْم: نَفيُ المعْلُوم؛ كأنَّه قال: لِتُشركَ بي شَيئًا لا يَصِحُّ أَنْ يكُون إلهًا ولا يستَقيمُ.

﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وَصَّاه بوالِدَيْه وأَمرَهُ بالإحسَانِ إليْهما، ثمَّ نَبَّهَ بِنَهْيِه عن طاعَتِهِما إذا أَرَادَاهُ على ما ذَكرَ على أَنَّ كُلَّ حَقٍّ وإنْ عَظُم

قوله: (كأنّه قال) بيان مطابقة ما بعده، وهذا على التفسير الثاني، والمعنى: وصّينا الإنسان بتعهُّد والديه ومراعاتهما،[1] ثمّ قيل بطريق الالتفات:[2] أولِهما معروفًا، ولا تطِعهما في الشرك، فكأنّه بعد أن أمر بالمراعاة[3] أشار إلى بيان ذلك وتفضيله.

قوله: (وعلى التفسير الأوّل) وإنّما قال على التفسير الأوّل لأنّه على التفسير الثاني عطف على المحذوف، وهو "أولهما".

وفي قوله تعالى: ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ إشارة[4] إلى أنّه يجب متابعة البرهان والعمل باليقين في باب أصول الدِّين، ولا يجوز فيه تقليد أحدٍ ولا امتثال أمره مِن غير أن يكون عليه برهان.

قوله: (وصّاه) هذا ابتداء كلام. وقوله: (وأمره) مِن العطف على التفسير الأوّل، مِن العطف الذي يكون للبيان.

قوله: (إذا أراداه)[5] أي: حملاه على ما ذكر مريدين له. وقوله: (على ما ذكر) أي: الشِّرك.

---

[1] ن: ومن أعانهما.
[2] ن: الانقلاب.
[3] ن: بالمراعات.
[4] ن: أشار.
[5] ن: أراده.

سَاقِطٌ إذا جاء حَقُّ الله، وأنَّه لا طَاعَة لمَخلُوقٍ في مَعْصيَة الخَالِق، ثمَّ قال: إليَّ مَرْجِعُ مَن آمنَ مِنْكُم ومَن أَشْرَكَ فَأُجَازِيكُم حَقَّ جَزائكُم، وفيه شيئان:

أحَدُهما: أَنَّ الجَزاء إِلَيَّ فلا تُحَدِّثْ نفسَك بجِفْوَةِ والِدَيْكَ وعُقُوقِهِما لِشركهما، ولا تحرِمْهُما بِرَّكَ ومَعْرُوفَك في الدُّنيا كما أَنِّي لا أَمنَعُهمَا رِزْقي.

والثاني: التَّحذِيرُ من مُتَابَعتِهما على الشِّرك، والحَثُّ على الثَّباتِ والاستِقَامَةِ في الدِّينِ بذكْرِ المَرْجِع والوَعِيدِ.

رُوي: أنَّ سَعْدَ بن أَبِي وقَّاصٍ الزُّهريَّ حين أَسْلم قالت أُمُّهُ وهي حَمْنَةُ بنتُ أبي سُفيانَ بن أُميَّةَ بن عبد شمسٍ: يا سَعْدُ! بَلَغنِي أنَّك قَد صَبَأْتَ، فوَالله لا يُظِلُّنِي سَقْفُ بَيْتٍ من الضِحِّ والرِّيح، وإِنَّ الطَّعَامَ والشَّرابَ عَليَّ حَرامٌ، حَتَّى تكفُرَ بمُحمَّدٍ، وكانَ أحَبَّ وَلَدِهَا إليها، فَأَبى سَعْدٌ وبَقِيَتْ ثلاثةَ أيَّام كذلك، فجاءَ سَعْدٌ إلى رسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وشَكا إليه، فنَزلَتْ هَذه الآيةُ والَّتي في لُقمَان والتي في الأَحقَافِ، فَأمَرهُ رسُول الله صلى الله عليه وسلم أن يُدَارِيَها ويَتَرضَّاهَا بالإِحْسَانِ.

ورُوي: أَنَّها نَزلَتْ في عيَّاشِ بن أَبِي رَبيعَةَ المَخزُوميِّ، وذلك أَنَّهُ هَاجرَ مع عُمرَ بن الخطَّابِ مُترَافِقَيْنِ حَتَّى نزَلا المَدينَةَ، فخرَج أَبُو جَهلِ بن هشَام والحَارثُ بن هِشَام أَخَوَاهُ لِأُمِّهِ أسماءَ بنتِ مَخْرَمَةَ -امرأةٍ من بني تَميمٍ من بني حَنْظَلَةَ- فنَزَلا بعَيَّاشٍ وقالَا له: إنَّ من دِين مُحمَّد صِلةَ الأَرْحَام وبِرَّ الوالدَيْنِ،

[٢٥٥و] / قوله: (بجِفوة) يقال: فلان ظاهر الجِفوة -بالكسر-، أي: ظاهر الجفاء.[١]

قوله: (مِن الضِحِّ) الضِحُّ: الشمس،[٢] وفي الحديث: «لا يقعُدَنَّ أحدُكم بين الظلِّ والضِّحِّ،[٣] فإنّه مقعد الشيطان».[٤]

قوله: (أخواه) بدَل مِن "أبو جهل والحارث". وقوله: (أسماء) عطف بيان "لأمّه". وقوله: (امرأة) بدَل مِن أسماء. وقوله: (بعيّاش) أي: عيّاش بن أبي ربيعة.

---

١ الصحاح للجوهري، «جفا».
٢ الصحاح للجوهري، «ضحح».
٣ ن: الضح.
٤ مسند الإمام أحمد، ١٤٧/٢٤ (١٥٤٢١).

وقد تَركْتَ أُمَّكَ لا تَطْعَمُ ولا تَشْرَبُ ولا تَأوِي بَيْتًا حَتَّى تَراكَ، وهي أَشَدُّ حُبًّا لك مِنَّا، فاخرُج مَعَنا، وفَتَلا مِنْه في الذِّرْوَةِ والغَارِب، فاستَشَارَ عُمَرَ فقال: هما يَخدَعَانِكَ، ولكَ عَليَّ أن أَقْسِمَ مالِي بَيْنِي وبَيْنَكَ، فما زَالَا به حَتَّى أَطَاعَهُما وعَصَى عُمرَ، فقال عُمَرُ: أمَا إذ عَصَيْتَنِي فخُذْ نَاقَتِي فلَيْس في الدُّنيَا بَعيرٌ يَلحَقُها،

قوله: (وفَتَلا)... إلخ، يقال: ما زال فلان يَفتِل في الذُّروة والغارب، أي: يدور مِن وراء خَديعته.[١] وأصل ذلك في البعير يُفتَلُ شَعر ذروته وغاربه[٢] حتّى يصير ذلولًا، وذُروة الشيء: أعلاه، والذِّروة -بالضمّ والكسر-: أعلى السَّنام.[٣] والغارِب: ما بين السَّنام والعُنق، ومِنه قولهم: «حَبلكِ على غاربِكِ»،[٤] أي: اذهبي حيث شئت، وأصله: أنّ الناقة إذا رتعَتْ[٥] وعليها[٦] الخِطام أُلقي خِطامها على غارِبها؛ لأنّها إذا رأت الخِطام لم يهنِها شيءٌ.[٧]

قوله: (فاستشار) أي:[٨] عيّاش بن أبي ربيعة رضي الله عنه. وقوله: (فقال)[٩] أي:[١٠] عمر رضي الله عنه.

قوله: (عليَّ أن أقْسِم مالي) أي: أعطيك نصف مالي، فلا تلتفت إلى قولهما، فهذا مِن تتمّة قول عمر رضي الله عنه.[١١]

قوله: (فما زالا به) أي: فما زال أبو جهل والحَارِث ملتبسَين بعيّاش، أي: لم يتركوه مِن المخادعة.

قوله: (وعصى عمر) أي: عصى عيّاش عمر رضي الله عنهما،[١٢] يعني:[١٣] لم يسمع كلامه في قوله: «لا تلتفت إلى قولهما، فإنّهما يَخدعانك».[١٤]

---

[١] الصحاح للجوهري، «فتل».
[٢] ن: عاربه.
[٣] انظر: الصحاح للجوهري، «ذرا».
[٤] انظر: مجمع الأمثال للميداني، ١٩٦/١؛ والصحاح للجوهري، «غرب».
[٥] ن: رفعت.
[٦] ن: عليها.
[٧] الصحاح للجوهري، «غرب».
[٨] ن: رأي.
[٩] ن - فقال.
[١٠] ن: أني.
[١١] د - رضي الله عنه.
[١٢] د - رضي الله عنهما.
[١٣] ن: أي.
[١٤] قصة عيّاش بن أبي ربيعة في مسند البزّار، ٢٥٨/١ (١٥٥).

فإنْ رَابكَ منهُمْ رَيْبٌ فارْجعْ، فلمَّا انتهَوا إلى البَيْدَاء قال أبو جَهْل: إنَّ ناقتِي قد كَلَّت فاحْملْنِي مَعكَ، قال: نعَم، فَنزلَ ليُوطِّئ لنَفسِه وله، فَأخَذَاهُ فشَدَّاهُ وثَاقًا، وَجَلدَهُ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما مئةَ جَلْدَةٍ، وذَهَبَا بهِ إلى أُمِّه، فقَالتْ: لا تَزَالُ في عَذابٍ حَتَّى تَرْجعَ عن دين مُحمَّدٍ، فنَزلت.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٩﴾

﴿فِى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: في جملَتِهِمْ، والصَّلاحُ من أبْلَغِ صِفات المؤمنينَ، وهو مُتَمنَّى أنبياء الله، قال الله تعالى حكايةً عن سُليمان: ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل ١٩/٢٧] وقال في إبرَاهيمَ: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [البقرة ١٣٠/٢].

أو: في مَدْخَل الصَّالِحين وهيَ الجنَّةُ، وهذا نحوُ قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ الآية [النساء ٦٩/٤].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ۝١١﴾

قوله: (البيداء) أي: المَفازة.

قوله: (ليوطئ) أي: ليهيّأ لنفسه ولأبي جهل موضعًا على الناقة. يقال:[1] وطِئتُ الشيء برجلي أطَؤه وتوطّأته، ووطّأتُ له فراشه، وقد وَطُؤَ فراشُه، فهو وطيءٌ، بيّنُ الوطاءة.[2]

قوله: (وَثاقًا) وَثَقه وأوثقه: أحكمه وشدَّه بالوَثاق؛ بالقَيد، وكسر الواو لغة. أي: شدَّاه بوَثاق.

قوله: (وهذا نحو) أي: هذا المعنى، يعني: التفسير الثاني.

---

[1] ن - يقال.

[2] انظر: الصحاح للجوهري، «وطأ».

هم ناسٌ كانُوا يُؤمِنُون بألْسِنَتِهِمْ فإذا مَسَّهُم أذًى مِنَ الكفَّار -وهو المرَادُ بفِتْنَةِ النَّاسِ- كان ذلك صَارِفًا لهم عن الإيمَانِ؛ كما أنَّ عَذابَ الله صَارِفٌ للمُؤمِنينَ عن الكُفْر، أو كما يَجِبُ أن يكونَ عَذابُ الله صَارفًا، وإذَا نصَرَ اللهُ المؤمنينَ وغَنَّمَهم اعترَضُوهُم وقالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾؛ أي: مُشَايِعينَ لكُم في دِينِكُم، ثابِتينَ عليه ثَبَاتكُم، ما قَدرَ أحَدٌ أن يَفتِنَنا فأعْطُونَا نصيبَنَا من المَغْنَم.

ثُمَّ أخبَر سُبحَانَه أنَّه أعْلَمُ ﴿بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ من العَالَمين بمَا في صُدُورِهم، ومِن ذلك ما تُكِنُّ صُدُورُ هؤلاء من النِّفَاقِ، وهذا إطْلَاعٌ مِنه لِلمُؤمِنِينَ على ما أَبْطَنُوهُ.

ثُمَّ وعَدَ المُؤمِنينَ وأوْعَدَ المنَافِقينَ.

وَقُرِئَ: "لَيَقُولَنَّ" بفتح اللام.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾

أمَرُوهُم باتِّبَاع سَبيلِهم -وَهي طَرِيقَتُهم الَّتي كانُوا عَليهَا في دِينهم- وأمَرُوا أنفُسَهُم بحَمْلِ خَطَايَاهُم، ....

قوله: (ثمّ أخبر) يعني أنّ قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ﴾ استفهام إنكار؛ لنفي علمه تعالى، فيفيد إثبات العلم، فيكون إخبارًا عن علمه تعالى بأبلغ وجهٍ.

قوله: (على ما أبطنوه) أي: المنافقون.

قوله: (ثمّ وعدَ وأوعد) يعني: أنّ المراد بقوله تعالى: ﴿لَيَعْلَمَنَّ﴾: ليَعلمَنَّ الوعد والوعيد.

قوله: (وقرئ: "ليَقولَنَّ" بفتح اللام)[1] باعتبار لفظ "مَن".

---

[1] قراءة شاذّة، انظر: مختصر شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١١٥.

فعُطِفَ الأمرُ على الأَمْر، وأرَادُوا: ليَجْتمِعْ هذانِ الأَمْرانِ في الحُصُول: أَنْ تَتَّبِعُوا سَبيلَنَا، وأن نَحمِلَ خَطَاياكُم، والمَعنَى: تَعْليقُ الحَمْل بالاتِّبَاعِ، وهذا قولُ صَناديد قُريشٍ: كانُوا يقُولونَ لمَن آمن منهم: لا نُبْعَثُ نَحْنُ ولا أَنتُم، فإِنْ عَسَى كان ذلك فإِنَّا نَتحمَّلُ عَنكم الإِثمَ.

وتَرى في المُتَّسِمينَ بالإِسْلام مَن يَستَنُّ بأُولئكَ فيَقُولُ لصَاحبِهِ ....

قوله: (هذان الأمران) "الأمر" هنا: واحد الأمور، لا واحد الأوامر. وقوله: (هذان) إشارة إلى مبهم، يبيّنه قوله: (أن تتّبعوا) و(أن نحمل)، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر ٦٦/١٥]. ويجوز أن يكون واحد الأوامر كما في قوله: (فعُطف[1] الأمر على الأمر)، ويكون المضاف محذوفًا، أي: ليجتمع مقتضى هذين الأمرين ومؤدّاهما، ويكون قوله: (أن تتّبعوا)... إلخ بيانًا للمضاف المحذوف.

قوله: (صناديد قريش) الصنديد: السيّد والشجاع، والمراد هنا: رؤساء قريش وأكابرهم.

قوله: (فإن عسى كان ذلك) أي: فإن[2] كان ذلك فإنا نتحمّل، و"كان" تامّة، وذكر "عسى" قبل ذكر الشرط إشارةٌ إلى أنّ ذلك مبنيٌّ على رجائكم، لا عن تحقيقٍ، واسم / "عسى" ضمير مستتر يعود إلى ما دلّ عليه قوله: "كان ذلك"، فإنّه مقدّم معنًى؛ لأنّ حرف الشرط داخلة عليه، وخبره محذوف، كأنّه قيل: عسى كون ذلك أو وجود ذلك أن يتحصّل، وقد أشار ابن الحاجب في باب التنازع مِن شرح المفصّل إلى أنّ قول بعض النحويّين يقتضي جواز حذف خبر "عسى".[3] [٢٥٥ظ]

قوله: (مَن يَستنُّ بأولئك) أي: يقتدي بهم، ويمضي على طريقتهم، ويسير سيرتهم. والسَّنَنُ: الطريقة، يقال: استقام فلان على سَنن واحد، ويقال: استَنَّ على سَنَنك وسَنَتك، أي: على وجهك، والسُّنّة: السيرة،[4] قال الهُذليّ:[5]

---

١ ن: يعطف.

٢ ن: ما.

٣ انظر: الإيضاح شرح المفصّل لابن الحاجب، ١٤٨/١.

٤ الصحاح للجوهري، «سنن»؛ لسان العرب لابن منظور، «سنن».

٥ خالد بن عتبة الهذلي.

إذا أرَاد أَنْ يُشَجِّعَهُ على ارتِكابِ بَعضِ العَظائم: "افعَلْ هذا وإثْمُه في عُنُقِي"، وكم مِن مَغرُورٍ بمثْلِ هذا الضَّمَانِ مِن ضَعَفَةِ العَامَّة وجَهَلتِهم.

ومنهُ ما يُحكَى: أَنَّ أبَا جَعْفرٍ المنصُورَ رَفعَ إليه بَعضُ أهْلِ الحَشْو حَوائجَهُ، فلمَّا قضَاهَا قال: يا أميرَ المُؤمنينَ، بَقِيَتِ الحَاجَةُ العُظمَى، قال: وما هي؟ قال: شفَاعَتُك يومَ القيامَة، فقال له عَمرُو بن عُبَيْدٍ رحمه الله: إيَّاك وهؤلاء فإنَّهُمْ قُطَّاعُ الطَّريقِ في المَأمَنِ.

فإن قلتَ: كيفَ سَمَّاهُم كاذِبينَ وإنَّما ضَمِنُوا شَيئًا عَلِمَ اللهُ أَنَّهم لا يَقْدِرُونَ على الوفَاء بهِ، وضَامِنُ ما لا يَعْلَمُ اقتدَارَه على الوفَاء به لا يُسمَّى كاذِبًا

فلا تجزَعَنْ مِن سُنَّةٍ أنت سِرتها فأوَّل راضٍ سنةً مَن يسيرُها[1]

قوله: (وكم مِن مغرور؟) عطف على قوله: (ترى)، يعني: أنَّ كثيرًا مِن الناس يُضِلُّون الناس بمِثل هذا ويخدعونهم ويُغرُّونهم، وكثيرًا مِن الناس يغترُّون بهذا الضمان ويقبلون[2] قولهم.

قوله: (مِن ضَعَفة[3] العامَّة) حال مِن الضمير في "مغرور"، فـ"مِن" للتبعيض، ويجوز أن تكون لبيان "كم"، يريد: ضعف اعتقادهم في باب الإيمان والإسلام، أو ضعف رأيهم وفطنتهم.

قوله: (المنصور) الدوانيقيّ،[4] وهو الثاني مِن الخلفاء العباسيّة.

قوله: (بعض أهل الحشو)[5] أي:[6] مِن رَذال الناس الذين لا اعتداد بهم،[7] قال في الصِّحاح: يقال: فلان[8] مِن حِشوةِ بني فلان -بالكسر-، أي: مِن رَذالهم.[9]

قوله: (فقال له) أي: لأبي جعفر.

---

[1] الصحاح للجوهري، «سنن».
[2] ن: وتقبلون.
[3] ن: صفة.
[4] الدوانيقي: لقب أبي جعفر المنصور العباسي. تاج العروس للزبيدي، «دوق».
[5] ن: الحواشي.
[6] ن: أي.
[7] ن: لاعتدادهم.
[8] ن: ولان.
[9] الصحاح للجوهري، «حشا».

لا حينَ ضَمِن ولا حينَ عَجَز؛ لأنّه في الحالَيْن لا يَدْخُل تَحْتَ حَدِّ الكاذِب، وهو المُخْبِرُ عن الشَّيء لا على ما هو عليه.

قلتُ: شبَّه اللهُ حَالَهُم حَيْثُ عَلِمَ أَنَّ ما ضَمِنُوه لا طَرِيقَ لهم إلى أَن يَفُوا به

قوله: (لا حين ضَمِنَ) "لا" في "لا حين"[1] زائدة؛ لتأكيد النفي، والأصل: لا يسمّى كاذبًا حين ضَمِن وحين عجَزَ، وكأنّ هذا التركيب يحتمل أن يكون معناه: لا يسمّى كاذبًا في هذين الزمانين معًا، ولكن يسمّى في أحد الزمانين دون الآخر، فزيد "لا" في قوله: (حين عجَزَ)؛ لنفي هذا الاحتمال، فصار: لا يسمّى كاذبًا حين ضَمِن ولا حين عجز، فأفاد[2] النصوصيّة على نفي التسمية في كلِّ واحد مِن الزمانين، كما في قولك: ما جاء زيد ولا عمرو، فزيادة "لا" فيه أفاد قطع نفي المَجيء عنهما. ثمّ إنّه زاد "لا"[3] في قوله: "لا حين ضَمِن"؛ لمجرّد التأكيد، ولتوافق[4] لفظة "لا" ثانيًا، وليس في هذه الزيادة فائدة نفي الاحتمال.

قوله: (قلت: شَبّه الله تعالى)...[5] إلخ، أي: شبّه حالهم بحال الكاذبين، فحذف المضاف. أو المعنى: شبَّههم تعالى بالكاذبين فزِيد الحال. وقوله: (حيث) ظرفٌ لـ"شبّه" بمعنى التعليل، وبيانه: أنّ حقَّ الضمان أن يكون متعلِّقًا بمَضمون يكون للضامِن طريقٌ إلى الوفاء به، فإذا لم يكن المَضمون كذلك لم يتعلَّق الضمان بالمضمون على الوجه الذي حقُّ المضمون أن يكون مستقِرًّا عليه، فهو كالخبر الكذب الذي لم يتعلَّق بالمُخبر على ما هو في الواقع، فوجه الشبَه أنَّ الكلامين تعلّقا بشيء على الوجه الذي ذلك الشيء ليس مستقِرًّا عليه. وقوله: (فكأنّهم) أي: فكأنّ ضمان الكافرين عنده تعالى متعلِّقًا بالمضمون، لا على وجهٍ استقرَّ المضمون في الواقع على ذلك الوجه.[6]

---

[1] ف: للحين؛ ن: الحين.
[2] ن: فأفادا.
[3] ن – لا.
[4] ن: وليوافق.
[5] ف – تعالى.
[6] ن – قوله: (قلت: شَبّه الله تعالى)... إلخ، أي: شبّه حالهم بحال الكاذبين، فحذف المضاف،... لا على وجهٍ استقرّ المضمون في الواقع على ذلك الوجه.

-فكان ضمَانُهم عِنْدَهُ لا على ما عليه المَضمُونُ- بالكاذِبين الذينَ خبَرُهم لا على ما عليه المُخبَرُ عنه.

ويجوز أن يُريدَ أنَّهم كاذِبُونَ لأنَّهم قالُوا ذلك وقُلوبُهم على خِلافه؛ كالكاذِبينَ الذين يَعِدُونَ الشَّيءَ وفي قُلوبِهِمْ نيّةُ الخُلْفِ.

قوله: (فكان ضمانهم)... إلخ، وذلك لأنّ حقَّ المضمون أن يكون إلى الوفاء[١] به طريقٌ،[٢] وهو عطف على / "عَلِمَ". وحاصل وجه الشبَه أنّ قول كلِّ واحدٍ مِن الكاذب وهذا الضامِن ليس على وجهٍ ينبغي أن يكون عليه، فإنّ حقّ الخبر أن يكون مطابقًا للواقع، وحقّ الضمان أن يكون المضمون ممكن الوفاء به. [٢٥٦و]

قوله: (بالكاذبين) أي: بحال الكاذبين.

قوله: (ويجوز أن يريد)... إلخ، نظر في الأوّل إلى نفس الأمر، وهنا إلى الحديث النفسيّ، وحاصل الوجهين راجع إلى أنّ الكذِب عبارة عن عدم مطابقته للواقع، أي: عن الخبر الغير المطابق للواقع أو الاعتقاد، فتأمّل. واعلم أنّ قوله: "حاصل الوجهين" لا حاصلَ له لمَن يتأمّل في قلوبهم نيّة الخُلْف، فإنّ ذلك محلّ نظرٍ؛ لأنّ مَن قال: أفعل كذا غدًا، ونيّته أن لا يفعل غدًا؛ لا يلزم[٣] أن يكون كاذبًا؛ بل ينظر في حاله إن لم يفعل ذلك الشيء غدًا يكون كاذبًا[٤] في قوله: أفعل ذلك غدًا، وإن فعل ذلك غدًا يكون صادقًا في قوله: أفعل غدًا، ولا تعلّق لهذه المسألة تعلّق الصدق والكذب بمطابقة[٥] الواقع أو الاعتقاد.[٦] نعم لو قال: أريد أن أفعله غدًا،[٧] وهو لا يريد أن يفعله، وفي نيّته أن لا يفعله[٨] يكون كاذبًا، وهو أيضًا باعتبار عدم مطابقته[٩] للواقع لا للظنّ والاعتقاد، فتأمّل. ثمّ اعلم أنّ الجواب الصحيح لهذا السؤال: أنّ المعنى تعليق الحَمْل بالاتّباع،

---

[١] ن: الوقا.
[٢] ن: طويق.
[٣] ن: يلزمه.
[٤] ن - بل ينظر في حاله إن لم يفعل ذلك الشيء غدًا يكون كاذبًا.
[٥] ن: مطابقة.
[٦] ن: للاعتقاد.
[٧] ن: عد.
[٨] ن: يفلعه.
[٩] ن: مطابقة.

﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ﴾ أي: أثقالَ أنفُسِهم ﴿وَأَثۡقَالٗا﴾ يَعني: أثقالًا أُخَرَ غيْرَ الخطَايَا التي ضَمِنُوا للمؤمنين حَمْلَها وهي أثقالُ الذين كانُوا سَبَبًا في ضَلالهم ﴿وَلَيُسۡـَٔلُنَّ﴾ سُؤالَ تقريعٍ ﴿عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾؛ أي: يَختَلِقُونَ من الأَكاذِيبِ والأَباطِيلِ.

وقُرِئَ: "من خَطِيئَاتِهم".

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٤﴾

كان عُمُرُ نُوحٍ صلوات الله عليه أَلْفًا وخمسين سَنةً، بُعِثَ على رأس أَرْبعِينَ، ولَبِثَ في قَوْمِه تِسْعَ مئةٍ وخَمْسينَ، وعاشَ بَعْدَ الطُّوفَانِ سِتِّين.

وعن وَهْبٍ: أنَّه عاشَ ألفًا وأربَعَ مئةِ سنةٍ.

فكأنّهم قالوا: إن تتّبعونا نحمل، وهذه جملة خبريّة غير مطابقة للواقع، فيصحّ أن يقال: إنّهم لكاذبون.

قوله: (غير الخطايا) يريد: أنّ المراد بقوله: ﴿أَثۡقَالٗا﴾ ليس الخطايا التي ضمِن هؤلاء الكفّار للمؤمنين حملها؛ لأنّ المؤمنين لم يقبلوا مِنهم هذا القول، ولم يفعلوا تلك الخطايا،[1] فكيف يُتصوّر أن يحمل الكفّار الخطايا التي لم يفعلها المؤمنون؟ ثمّ أشار بقوله: (وهي)... إلخ إلى أنّ المراد بقوله: ﴿أَثۡقَالٗا﴾: هي أثقال الكفّار الذين كان هؤلاء الكفّار سببًا في ضلالهم. وفي الكلام حذف، تقديره: أثقال إضلال الذين...، وهي فعل هؤلاء الكفّار المضِلّين. وقوله: "وهي" عائد إلى "غير الخطايا"، يعني: أن المراد بـ"غير الخطايا": إضلال الذين قبلوا قولهم واتّبعوهم، ويحتمل وجه آخر؛[2] وهو أن يكون المراد بـ﴿أَثۡقَالٗا﴾ قولهم للمؤمنين: ﴿ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾، قال في الوسيط: «أوزارًا[3] مع أوزارهم؛ لقولهم للمؤمنين: ﴿ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا﴾».[4]

---

[1] في الأصول الخطّيّة: "الخطاء".
[2] ن - آخر.
[3] ن: وزارًا.
[4] التفسير الوسيط للواحدي، ٣/٤١٥ (العنكبوت، ١٣/٢٩).

فإن قلتَ: هَلَّا قيل: تسعَ مئةٍ وخَمْسين سنةً؟

قلتُ: ما أَوْرَدهُ اللهُ أَحْكَمُ؛ لأنَّه لو قِيل كما قُلْتَ لجَاز أَنْ يُتَوهَّم إِطْلاقُ هذا العَدَدِ على أَكْثَرِه، وهذا التَّوهُّمُ زائلٌ مع مَجيئِهِ كذلك، وكأنَّه قيل: تسعَ مئةٍ وخَمسينَ سَنةً كامِلةً وَافِيةَ العَدَدِ، إلَّا أَنَّ ذلك أَخْصَرُ وَأَعْذبُ لَفْظًا، وأَمْلأُ بالفَائدةِ.

وفيهِ نُكتَةٌ أُخرَى: وهي أنَّ القصَّةَ مَسُوقَةٌ لِذكْرِ ما ابْتُلِيَ به نوحٌ عليه السَّلام مِن أُمَّته، وما كابَدهُ مِن طُول المُصَابرَة؛ تَسْلِيةً لرسُولِ الله وتَثبيتًا له، فكانَ ذكْرُ رأسِ العَدَد الَّذي لا رأسَ أكبَرُ مِنه أَوقعَ وأَوْصَلَ إلى الغَرض من استطَالةِ السَّامع مُدَّة صَبْرِه.

فإن قلتَ: فلِمَ جاءَ المُميّزُ أَوَّلًا بالسَّنَةِ وثانيًا بالعامِ؟

قلتُ: لأن تكرير اللفظِ الواحِدِ في الكلام الواحدِ حَقيقٌ بالاجتِناب في البَلاغةِ، إلَّا إذا وَقَع ذلك لأَجْلِ غَرضٍ يَنْتحبُه المُتكَلِّمُ: مِن تَفخيمٍ، أو تَهْويلٍ، أو تَنْويهٍ، أو نَحْوِ ذلك.

قوله: (إلَّا أنَّ ذلك أخصر) أي: قوله: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾. وقوله:[1] (أخصر وأعذب) أي: مِن قوله: (تسع مئة وخمسين سنةً). وقوله: (وأملأ) المَلِيء: الغنيّ المقتدر، وقد ملؤ مَلاءةً، وهو أملأ مِنه، على أفعل التفضيل. وقوله: (وفيه نكتة) النكتة: اللطيفة في الكلام، مِن: نكَت[2] في الأرض إذا خطَّ فيها.

قوله: (مِن استطالة) بيان "الغرَض"، وأمّا "مِن" التي[3] يستعمل بها "أفعل" التفضيل فمحذوف، فكأنّه قيل: أوصَل[4] إلى الغرَض مِن قولكم:[5] تسع مئة[6] وخمسين.

قوله: (ينتحيه)[7] أي: يقصده. وقوله: (أو تنويه) ناه الشيء يَنوه نَوهًا، / أي: ارتفع، ونوَّهتُ باسمه إذا رفعتَ ذكره.[8] [٢٥٦ظ]

---

[1] ن: قوله.
[2] ن: نكث.
[3] ن: النهي.
[4] ن: واصل.
[5] ن: قولهم.
[6] ن: لتسع مئة.
[7] ن: ينتحه. | في مطبوع الكشّاف: "ينتخبه".
[8] الصحاح للجوهري، «نوه».

و﴿ٱلطُّوفَانُ﴾: ما أَطَافَ وأحَاطَ بكثرةٍ وغَلَبَةٍ: مِن سَيْلٍ، أو ظلَامِ ليلٍ، أو نَحْوِهما، قال العجَّاجُ:

وغَـــمَّ طُـــوفَـــانُ الـــظَّـــلام الأَثْـــأَبـــا

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٥﴾

"أصحاب السفينة" كانُوا ثمَانيةً وسَبعينَ نفسًا: نِصْفُهُم ذكُورٌ ونِصْفُهم إناثٌ، مِنهُم أولَادُ نوحٍ: سَامٌ وحَامٌ ويَافِثُ، ونسَاؤُهم.

وعن محمَّد بن إسْحاقَ: كانُوا عشَرةً؛ خَمسةُ رجَالٍ وخَمْسُ نسوَةٍ.

وقَد رُوِي عن النَّبي صلى الله عليه وسلم: «كانُوا ثمَانيَةً: نوحٌ وأَهْلُه وبَنُوهُ الثَّلاثةُ».

والضَّميرُ في ﴿وَجَعَلْنَٰهَا﴾ للسَّفينة، أو للحَادِثةِ والقصَّةِ.

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١٦﴾

نُصِبَ ﴿إبراهيم﴾ بإضمار "اُذكُرْ"، وأُبدِلَ عَنْه ﴿إِذْ﴾ بدَلَ الاشْتِمال؛ لأنَّ الأَحْيَانَ تشتَمِلُ على ما فيها، أو هو مَعْطُوفٌ على ﴿نُوحًا﴾ و﴿إِذْ﴾ ظَرفٌ لـ﴿أَرْسَلْنَا﴾.

قوله:

(وغَـــمَّ طـوفـان الـظـلام الأثـأبـا)[1]

أوّله:

إنّ الـنـهـار الـمـسـتـبـينَ قـد مـضَـى[2]

"غمَّ"، أي: ستر. و"الأثأب": الشجر الطويل، والواحدة:[3] أثأبةٌ.

قوله: (وأهله) أي: أقاربه.

قوله: (و﴿إِذْ﴾ ظرف) أي: على هذا الوجه. وقوله: (يعني: أرسلنا)... إلخ، هذا المعنى على الوجه الثاني.

---

[1] ن: الأثايا.

[2] جاء شطره الأوّل في ديوان العجاج، ٢٦٨/٢؛ وكذا في الصحاح للجوهري، «طوف»، بلفظ:

حتّى إذا ما يومُها تصَبْصَبا

[3] ن: الواحدة.

يَعْنِي: أرسَلْنَاهُ حِينَ بَلغَ من السِّنِّ والعِلْم مَبْلَغًا صَلُح فيه لِأَنْ يَعِظَ قَومَهُ وَيَنصَحَهُم، ويَعْرِضَ عليهم الحَقَّ، ويَأمُرَهُم بالعبَادة والتَّقوَى.

وقرأ إبرَاهِيم النَّخَعيُّ وأبُو حنيفَةَ رحمهما الله: "وإبراهيمُ" بالرَّفعِ على مَعْنى: ومِنَ المُرسَلِينَ إبرَاهيمُ.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يَعنِي: إنْ كانَ فِيكُم عِلْمٌ بما هو خَيْرٌ لكم مِمَّا هو شَرٌّ لكم، أو: إنْ نَظَرتُم بعَينِ الدِّراية المُبْصِرةِ دُونَ عيْنِ الجَهْلِ العَمياء= عَلِمْتُم أَنَّه خَيْرٌ لكُم.

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾

وقُرِئ: "تُخَلِّقُونَ" من "خَلَّقَ" بمَعْنَى التَّكثِير في "خَلَقَ".

قوله: (يعني: إن كان فيكم عِلمٌ)... إلخ، أي: إن كان فيكم علم بتمييز ما[1] هو خيرٌ لكم ممّا هو شرٌّ لكم كان العبادة والتقوى خيرًا لكم؛[2] وذلك لأنّه إذا كان لهم علمٌ بذلك التمييز اختاروا ما هو خير، وهو عبادة الله والتقوى، فكانا خيرًا لهم، وأمّا إذا لم يكن لهم علم بالتمييز المذكور فلا يختاروهما، فلا يكون ذلك خيرًا لهم، وحاصل المعنى على هذا الوجه: إن كنتم تعلمون كان ذلك -أي: العبادة والتقوى- خيرًا لكم، وعلى الوجه الثاني: إن كنتم تعلمون تعلمون[3] أنّ ذلك خيرٌ[4] لكم، فقوله تعالى: ﴿تَعْلَمُونَ﴾ بمعنى: تنظرون[5] وتتفكّرون، كما ذكره، فإنّ النظر سبب للعلم، فأطلق اللازم وأريد الملزوم، فيكون كناية،[6] فالعلم المذكور بمعنى النظر الصحيح، فكأنّه لمّا قيل: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ استؤنف[7] الكلام فقيل: إن تنظروا نظرًا صحيحًا تعلموا[8] أنّ ذلك خيرٌ لكم.

---

[1] ن: بتمييزها.
[2] ن - ممّا هو شر لكم كان العبادة والتقوى خيرًا لكم.
[3] ف ن - تعلمون.
[4] ن: خيرًا.
[5] ن: ينظرون.
[6] ن - كناية.
[7] ن: استوف.
[8] ن: يعلموا.

و: "تَخَلَّقُونَ" مِن "تخَلَّقَ" بمعنَى: تكَذَّبَ وتَخرَّصَ.

وَقُرِئ: "أَفِكًا"، وفيه وَجْهانِ:

أَن يَكُونَ مَصْدرًا نحوَ: كَذِبٍ ولَعِبٍ، و"الإفْكُ": مُخَفَّفٌ منه كالكِذْب واللِّعْبِ من أَصْلِهما.

وأن يكُونَ صِفةً على "فَعِلٍ"؛ أي: خَلقًا أَفِكًا ذَا إِفْكٍ وباطِلٍ.

واختِلَاقُهُم الإفكَ: تسمِيَتُهمُ الأَوثانَ آلِهةً وشُركَاءَ للهِ أو شُفعَاءَ إِلَيْه، أو سَمَّى الأَصْنَامَ: إِفْكًا وعَملَهُم لها ونَحْتَهُم: خَلْقًا للإِفْك.

فإن قلتَ: لِمَ نكَّر الرِّزْقَ ثمَّ عَرَّفَه؟

قلتُ: لأنَّه أرَادَ: لا يَستَطِيعُونَ أَنْ يَرْزُقُوكم شَيْئًا من الرِّزق، فَابتَغُوا عند اللهِ الرِّزْقَ كُلَّه، فإنَّه هو الرزَّاقُ وَحْدَهُ لا يَرْزُقُ غيرُه.

﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ -وقرئ: بفتح التَّاء- فاستَعِدُّوا لِلِقَائه بعبَادتِه والشُّكرِ له علَى أَنْعُمِه.

﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ١٨﴾

قوله: (مِن أصلهما) أي: كما أنّ الكذب واللعب مخفّفان[1] مِن أصلهما، وهو الكذب واللعب.

قوله: (تسميَتُهم) فعلى هذا "الخَلْق" بمعنى: الكذب، فكأنّه قيل: تقولون[2] كذِبًا.

قوله: (أو سُمِّي) فعلى هذا "الخَلْق" بمعنى: الإنشاء والتقدير، والمراد: نحْتُهم.

قوله: (خَلقًا للإفك)[3] أي: الصنَم.[4]

قوله: (شيئًا مِن الرزق) يعني: نكِّر ليفيد التقليل،[5] فكأنّه قيل: رزقًا ما.[6]

---

١ ن: محقّقان.

٢ ن: يقولون.

٣ ن: للأفلاك.

٤ ن: صنم.

٥ ن: التقليد.

٦ ن – ما؛ ن + وقوله: (الرزق كله) واللام للجنس والماهية والحقيقة.

وَإِنْ تُكَذِّبُونِي فلا تَضُرُّونَنِي بتَكذِيبِكم، فإِنَّ الرُّسُل قَبْلِي قد كَذَّبَتْهُم أُمَمُهم وما ضَرُّوهُم وإِنَّما ضَرُّوا أَنفُسَهُم حيث حَلَّ بهِم ما حَلَّ بسَببِ تكذِيبِ الرُّسلِ: وأَمَّا الرَّسُولُ فقَد تَمَّ أَمْرُهُ حِينَ بَلَّغ البَلاغَ المُبينَ الَّذِي زالَ مَعهُ الشَّكُّ وهو اقْتِرَانُه بآياتِ اللهِ ومُعْجزاتِه.

أو: وإنْ كُنْتُ مُكَذَّبًا فيما بَينكم فلي في سائرِ الأنبياءِ أسْوَةٌ وسَلْوَةٌ حيث كُذِّبُوا، وعلى الرَّسُول أَنْ يُبَلِّغَ وما عليه أن يُصَدِّقَ ولا يُكَذِّبَ.

قوله: (وإن تكذِّبوني[١] فلا تَضرُّونني)... إلخ، تنقيح هذا الموضع أن يقال: المعنى: إن[٢] تُكذِّبوا تَضرُّوا به أنفسكم، فإنّ الأمم قبلكم كذّبوا فأهلكهم الله تعالى،[٣] فكان ضرر تكذيبهم عائدًا إليهم، ولا تضرُّوني بتكذيبكم؛ لأنّي قد بلّغتُ وبيّنتُ، وما على الرسول إلّا البلاغ، فقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ﴾ عطف على قوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبَ﴾، ولا بدّ مِن تقدير ما قدّرنا في الموضعين.

قوله: (أو[٤] وإن كنتُ مُكذَّبًا) المعنى: إن تُكذِّبوا فلا أتحزَّن ولا أَتأسَّف[٥] على ذلك؛ بل أتسلّى بأنّ حال الأنبياء مع أُممهم كان كذلك،[٦] وأنا أفعل مثل فعلهم مِن التبليغ البليغ، وليس عليَّ سوى ذلك، فإذن لا يرجع تكذيبكم عليَّ بضرر لا في الدنيا؛ لأنّي لا أتحزَّن، ولا في الآخرة؛ لأنّي لا أكون[٧] مؤاخذًا. واعلم أنّ هذه الحاشية هي المبيّنة للمعنى، وهي مغنية عمّا كُتب بعد ذلك مِن الحاشيتين إغناءَ[٨] الصباح عن المصباح. وقوله: (فلا تضرُّوني) إشارة إلى أنّ الجزاء محذوف، وأنّ المذكور دليله وبيان تحقيقه.

قوله: (فلي في سائر الأنبياء) إشارة إلى أنّ الجزاء أيضًا محذوف، والتقدير: إن تكذِّبوني فلا أهتمُّ ولا أحزّن / لتكذيبكم، فإنّي أقتدي بالأنبياء في تحمُّل [٢٥٧و]
ذلك، وأتسلّى؛ لأنّ حالي مثل حالهم في تكذيب الأمم. وقوله: (وعلى الرسول)

---

١ ن: يكذّبوني.
٢ ن: وإن.
٣ ف ن – تعالى.
٤ ن – أو.
٥ ن: تأسف.
٦ ن: لذلك.
٧ ن: كون.
٨ ن: اعتناء.

وهذه الآيةُ والآياتُ التي بَعْدها إلى قولِه: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ [العنكبوت ٢٤/٢٩] مُحتَمِلَةٌ أَنْ تكُونَ من جُملَةِ قَول إبرَاهيم عليه السلامُ لِقَوْمِه، وأَن تكُون آيَاتٍ وَقَعَتْ مُعتَرِضةً في شأنِ رسُولِ الله عليه السلام وشأنِ قُريْشٍ بَيْنَ أوَّلِ قصَّةِ إبْرَاهيم وآخِرِهَا.

فإن قلتَ: إذا كانت مِن قَول إبراهيم فما المرادُ بالأُمَم قَبْلهُ؟

قلتُ: قَومُ شِيثٍ وإدْريسَ ونُوحٍ وغيْرهم، وكفَى بقَوْمِ نُوحٍ أُمَّةً في مَعْنَى أُمَمٍ جَمَّةٍ مُكَذِّبَةٍ، ولقد عاشَ إدريسُ ألفَ سَنةٍ في قَوْمِه إلى أَنْ رُفِعَ إلى السَّماءِ، وآمَنَ بهِ أَلْفُ إنسَانٍ مِنهُم على عَدَدِ سِنِيهِ، وأَعقابُهم عَلى التكذيب.

فإن قلتَ: فما تَصْنَعُ بقَوله: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [العنكبوت ٢٠/٢٩]؟

زيادة تحقيق لعدم الحزن والمبالاة؛ لأنّه فعل ما عليه مِن التبليغ، فلا يؤاخذه الله تعالى، ويُثيبه على ما فعل، فلا وجه للحزن. وعلى[١] الرسول -أي: الواجب على الرسول- أن يُبلِّغ، وليس تصديقُ قومه له واجبًا عليه، فإنّه لا يُكلَّف بفعل غيره.

قوله: (وغيرهم) يعني: عادًا قوم هود، وثمودًا قوم صالح، فإنّهما كانا بين نوح وإبراهيم عليهم[٢] السلام.[٣]

قوله: (وكفى بقوم نوح) أي: لو لم يكن قبل إبراهيم عليه السلام مِن الأمم المكذِّبة إلّا قوم نوح لكفى ذلك القوم في أن يُطلق عليهم الأمم؛ لأنّهم كانوا طوائفَ كثيرةً[٤] جمَّةً. وقوله: (ولقد عاش) إشارة إلى كثرة[٥] قوم إدريس عليه السلام.

قوله: (فإن قلتَ: فما تصنع؟) أي: كيف يصحّ أن يكون هذا مِن كلام إبراهيم عليه السلام،[٦] فإنّه لا يصحّ أن يقول إبراهيم: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، فأجاب: بأنّه يصحّ أن يكون مِن كلام إبراهيم على حكاية كلام الله تعالى.

---

١ ن: ولا فالمعنى ظاهر على.
٢ ن: عليهما.
٣ ن: السلم.
٤ ن: كثير.
٥ ن: كثرتهم.
٦ ف ن – عليه السلام.

قلتُ: هيَ حكايةُ كلام اللهِ تعالى، حَكاهُ إبرَاهيمُ عَليه السَّلامُ لِقَوْمِه كما يَحْكِي رَسُولُنَا صلى الله عليه وسلم كلامَ اللهِ على هذا المِنْهَاج في أكْثرِ القُرآنِ.

فإن قلتَ: فإذا كانَتْ خِطابًا لقُريْشٍ، فما وَجْهُ تَوَسُّطِها بينَ طرَفي قصَّةِ إبراهيم والجُملَةُ أَو الجُمَلُ الاعتِراضِيَّةُ لا بُدَّ لها مِن اتِّصَالٍ بما وَقعَتْ مُعْتَرِضةً فيه؟ ألا تَراك لا تقُولُ: "مَكَّةُ وزَيدٌ أَبُوهُ قَائمٌ خَيْرُ بلادِ الله"؟

قلتُ: إيرادُ قصَّةِ إبراهيم ليس إلَّا إرَادَةً لِلتَّنفِيسِ عن رسُول اللهِ، وأنْ تكونَ مَسْلاةً له ومُتفرَّجًا بأنَّ أباه إبرَاهيمَ خَليلَ الله كان مَمْنُوًّا بنَحوِ ما مُنِيَ بهِ من شِرْكِ قَوْمِه وعبَادتِهم الأَوْثانَ، فاعتُرِض بقَوله: ﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ﴾ على مَعْنى: إنَّكُم يا مَعشرَ قُريْشٍ إنْ تكَذِّبُوا مُحمَّدًا فقَد كذَّبَ إبراهيمَ قوْمُهُ وكُلُّ أمَّةٍ نَبيَّهَا؛ لأنَّ قَولَه: ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ لا بُدَّ مِن تنَاوُلِهِ لأُمَّةِ إبرَاهيم، وهو كما تَرى اعتِرَاضٌ واقِعٌ مُتَّصِلٌ، ....

قوله: (إلّا إرادةً) مفعول له، أي: ليس لشيء مِن الأشياء إلّا لإرادة التنفيس وكونها مَسْلاة ومتفرَّجًا، فحذف اللام؛ لأنّه فعل لفاعل الفعل المعلَّل. وقوله: (للتنفيس) أي: لتفريج الكربة عنه، ونَفَّس الله كربتك،[1] أي...[2] وقوله: (وأن تكون) أي: قصّة. وقوله: (بأنّ أباه إبراهيم) قد تنازع فيه "التنفيس"[3] و"أن تكون"،[4] لا "مَسْلاةً"[5] و"متفرَّجًا"، فإنّ اسم المكان لا يعمل.

قوله: (بنحو ما مُنيَ به) أي: مُنيَ به رسول الله عليه الصلاة والسلام.

قوله: (مِن شرك) يجوز أن يكون بيانًا لـ"ما"، فالضمير في "قومه" للرسول، ويجوز أن يكون للابتداء متعلِّقًا بـ"ممنوًّا"، والضمير في "قومه"[6] لإبراهيم، أو بـ"مُني"، والضمير في "قومه" للرسول، وأمّا الضمير في "مَمْنُوًّا" فلإبراهيم صلوات الله عليه، والضمير في "مُني" فللنبيّ عليه الصلاة والسلام.

---

[1] ن: لربتك.

[2] كذا في الأصول الخطيّة، وفي المُغرب للمطرّزي، «جمع»: «ونفَّس الله كُربتَك، أي: فرّجها».

[3] ن: التنفيش.

[4] ن: يكون.

[5] ن: مشلاة.

[6] ن – للرسول، ويجوز أن يكون للابتداء متعلّقًا بـ"ممنوًّا"، والضمير في "قومه".

ثـم سَائرُ الآيـاتِ الواطِئـةِ عَقِبَها مـن أَذيالِهَـا وتوَابعِهـا؛ لكَونهـا نَاطِقَـةً بالتَّوحيـدِ ودلائلـه، وهَـدْمِ الشِّـرك وَتوْهِيـنِ قَواعِـده، وصِفـةِ قُـدرة اللهِ وسُـلطَانِه، ووَضُـوحِ حُجَّتِهِ وبُرْهَانِه.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

قرئ ﴿يَرَوْا﴾ بالياء والتاء، و: ﴿يُبْدِئُ﴾ و: "يَبْدأُ".

وقولُه: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ ليس بمَعطوفٍ على ﴿يُبْدِئُ﴾ وليستِ الرُّؤيـةُ واقعةً عَليه، وإنَّما هو إخبَارٌ على حيَالِه بالإعَادة بعْدَ المَوْتِ؛ ....

قولـه: (عَقِبها) أي: عقب قصّة إبراهيم، والصواب: أن يقول: أي: عقب هذه الآية، وهي: ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا﴾، فقوله:[١] (ثمّ سائر الآيات) مرتبط بقوله: (فاعتُرض)... إلخ، فكأنّه قال: فاعتُرض بقوله: ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا﴾، ثمّ بسائر الآيات؛ لأنّ "سائر الآيات الواطئة"... إلخ.

قوله: (لكونها ناطقةً) علّل المصنِّف كونها "مِن أذيالها" بـ"كونها ناطقة"... إلخ، فإن قلنا: الضمائر عائدة إلى قصّة إبراهيم فالمعنى ظاهر، وإن قلنا: عائدة إلى هذه الآية فالوجه أن يقال: لمّا ذكر تكذيبهم وتبليغ الأنبياء أورد آياتٍ دالةً على أنّ المقام ليس مقام تكذيب؛ لأنّهم كذّبوا الأنبياء في التوحيد، والأنبياء بيّنوا ما ادَّعَوا، والدلائل على ما ذكروا جمّةٌ، والحجج على ما قالوا كثيرةٌ.

قوله: (على حياله) يقال:[٢] أعطى كلَّ واحد على حياله، أي: بانفراده، وإنّما قيّد بذلك؛ لأنّ قوله: ﴿يُبْدِئُ﴾ جزء مِن الجملة، وليس كلامًا منفردًا، فلو كان يعيده عطفًا عليه لم يكن يعيده إخبارًا على حياله، فذكر أنّه ليس / عطفًا عليه، [٢٥٧ظ]
فهو إخبار على حياله، وتحقيقه: أنّه عطف على جملة قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ إلى قوله: ﴿الْخَلْقَ﴾، فكأنّه[٣] قيل: يُبدئ الله الخلق ثمّ يعيده مِن غير تقدّم، أو لم يروا؟ لأنّ المراد بالاستفهام هنا التقرير.[٤]

---

[١] ن: قوله.
[٢] ن – يقال.
[٣] ف: وكأنّه.
[٤] ف ن + إلى.

كما وَقَع النَّظرُ في قَوله: ﴿كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ﴾ [العنكبوت ٢٠/٢٩] على البَدءِ دُون الإنشَاء، ونحوُه قولكَ: "ما زِلتُ أوثِرُ فلانًا وأَستَخْلِفُهُ عَلى مَن أُخَلِّفُه".

فإن قلتَ: هُو مَعْطُوفٌ بحَرْفِ العَطْفِ، فلا بُدَّ له من مَعْطُوفٍ عليه، فمَا هُو؟

قلتُ: هو جُملةُ قولِه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾ وكذلك: "وأستَخْلِفُهُ" مَعْطوفٌ على جُمْلةِ قولِهِ: "ما زِلتُ أُوثِرُ فلانًا".

﴿ذَٰلِكَ﴾ يَرْجعُ إلى ما يَرْجعُ إليه ﴿هوَ﴾ في قَوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم ٢٧/٣٠] من مغنَى يُعيدُ.

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٠﴾

دَلَّ بقَوله: ﴿ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ﴾ على أنَّهما نَشأتَانِ، وأَنَّ كُلَّ واحدةٍ منهُما إنشَاءٌ؛ أي: ابتداءٌ واختِراعٌ وإِخْرَاجٌ مِن العَدم إلى الوجُود لا تفَاوُتَ بَيْنهما،

قوله: (كما وقع النظر) "كما" متعلِّق بقوله: (وليست الرؤية)... إلخ، فكأنّه قال: الرؤية واقعة على "البَدء"، دون "الإعادة" كما وقع النظر.[1]

قوله: (على مَن أخلفُه) أي: على مَن أتركه بعد موتي مِن الذرّيّات وغيرهم، يريد: أنّ قوله: (أستخلِفه) خبر على حياله، ولا يجوز أن يكون عطفًا على "أوثِر" لفساد المعنى، فإنّ "أُوثِرُ" خبر "ما زال"، فهو عطف على قوله: (ما زلتُ)، فكأنّك قلت: آثرته في الزمان[2] المتقدّم، وأستخلِفه الآن.

قوله: (قلتُ: هو جملة قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾) وإنّما صحّ ذلك لأنّ معناه الخبر، كأنّه[3] قيل: ثبَت وتحقّق أنّ الله يبدِئ الخلق.

قوله: (مِن معنى: يعيد) بيان "ما".

---

[1] هذه الحاشية وقعت في ف ن متقدّمة على سابقتها. [3] ف: فكأنّه.
[2] ن: زمان.

إلَّا أنَّ الآخِرةَ إنشَاءٌ بعْدَ إنشَاءٍ مثلِه والأُولَى لَيسَتْ كذَلك.

وقرئ: ﴿ٱلنَّشْأَةَ﴾ و: ﴿النَّشَاءة﴾ كالرَّأفة والرآفةِ.

فإن قلتَ: ما مَعْنى الإفصَاح باسْمه مع إيقَاعِه مُبْتَدأً في قَوله: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ﴾ بعْدَ إضماره في قوله: ﴿كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ وكان القياسُ أنْ يُقال: "كيفَ بَدَأَ اللهُ الخَلْقَ ثُمَّ يُنشئُ النَّشأةَ الآخِرةَ"؟

قلتُ: الكلامُ مَعهُم كان واقِعًا في الإعادَةِ، وفيها كانَتْ تَضطَكُّ الرُّكَبُ، فلمَّا قرَّرَهُم في الإبداء بأنَّه مِن الله احتجَّ عَليْهم بأنَّ الإعادةَ إنشاءٌ مثْلُ الإبداءِ، فإذا كان اللهُ الذي لا يُعْجِزهُ شَيءٌ هو الَّذي لم يُعْجِزْه الإبدَاءُ فهو الَّذِي وجَبَ أن لا تُعْجِزَهُ الإعادةُ، فكأنَّهُ قال: ثمَّ ذاك الذي أَنشَأ النَّشأةَ الأُولَى هو الذي يُنشِئُ النَّشأةَ الآخِرةَ، فلِلدَّلَالةِ والتَّنبيهِ على هذا المَعنى أَبْرَز اسْمَهُ وأَوْقعَهُ مُبْتَدَأً.

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تعذيبَه ﴿وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾ رَحمتَهُ، ومُتَعَلَّقُ المَشيئَتَيْنِ مُفسَّرٌ مُبَيَّنٌ في مَواضِعَ من القرآن، وهو مَن يَسْتَوجِبُهما من الكافِر والفَاسِق إذا لَم يتُوبَا، ومِن المعصُوم والتَّائب.

﴿تُقْلَبُونَ﴾: تُرَدُّونَ وتُرْجَعُونَ.

قوله: (مع إيقاعه)... إلخ، "مع" متعلِّق بـ"الإفصاح"، و"بعد" ظرف "الإفصاح"، فالسؤال أنّه ذكر اسمه تعالى ظاهرًا[١] مبتدأ في الآخر، وذكره أوّلًا فاعلًا مضمَرًا، وكان القياس ذكره ثانيًا فاعلًا مضمَرًا بعد ذكره أوّلًا فاعلًا ظاهرًا كما أورده المصنِّف، فأجاب بأنّ المقصود بيان أنّه تعالى قادر على الإعادة، فأورد ذلك بأن جعل اسم الله تعالى ظاهرًا، وبنى[٢] الكلام على الجملة الاسميّة لإفادة التأكيد.

قوله: (بأنّ الإعادة إنشاء) "الإنشاء": مصدر قولك: أنشأ فلان يفعل كذا، أي: ابتدأه.

---

[١] ن: ظاهر.

[٢] ن: وهي.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ رَبَّكُم؛ أي: لا تَفُوتونَهُ إن هَرَبْتُم مِن حُكمِهِ وقَضائِهِ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الفسيحَةِ ﴿وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ التي هي أَفسَحُ منها وأبْسَطُ لو كُنْتُم فيهَا؛ كقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ﴾ [الرحمن ٥٥/٣٣].

وقيل: ولا مَن في السَّماءِ؛ كما قال حسَّانُ:

أَمَـنْ يَـهـجُـو رسُـولَ اللهِ مِنكُم ... ويَـمْـدَحُـه ويَـنْـصُـرُهُ سَـواءُ

ويَحتمِل أنْ يُرادَ: لا تُعْجِزُونه كيْفَما هبَطْتُم في مهَاوِي الأرض وأعمَاقِها، أَوْ عَلوْتُم في البرُوجِ والقِلَاع الذَّاهِبَةِ في السَّمَاءِ؛ كقَوله: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء ٤/٧٨].

قوله: (كقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ﴾) ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [الرحمن ٥٥/٣٣].

قوله: (ولا مَن في السماء) فيكون الموصول المحذوف عطفًا[١] على ﴿أَنتُم﴾، أي: ما أنتم بمعجزين ولا مَن في السماء بمعجزين، وكذا في البيت حذف الموصول، والتقدير: ومَن يمدحه؛ لأنه لولا ذلك لكان "يمدحه" عطفًا على "يهجو"، فكان داخلًا في حكم صِلة "مَن"، فكان[٢] الهاجي والمادح[٣] شخصًا واحدًا، ويختلُّ المعنى ولا يصحّ قوله: "سواء".[٤]

قوله: (ويحتمل أن يُراد) فعلى هذا لا يكون المراد بـ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾: الخضراء، ولا بـ﴿ٱلْأَرْضِ﴾: الغبراء؛ بل أريد بهما جهة العلوّ وجهة السفل، فلذلك قال: (القِلاع الذاهبة في السماء). والقلْعة بسكون[٥] اللام: الحِصن على الجبل، والجمع: قِلاع، وبالتحريك: القِطعة العظيمة مِن السحاب، والجمع: قَلَع بفتحتين.

---

[١] ن – عطفًا.
[٢] ن: كان.
[٣] ن: والمازح.
[٤] ن: سواه.
[٥] ن: لسكون.

أو: لا تُعْجِزونَ أَمْرَهُ الجَارِيَ في السَّماءِ والأَرْضِ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْكم فيُصيبَكُم بَبَلاءٍ يَظهرُ من الأرْض أو يَنزِلُ من السَّماء.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: بدلائلهِ على وَحْدَانيَّتِه وكتُبه ومُعجزاتِه ولقَائه والبَعْثِ.

﴿يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي﴾ وَعِيدٌ؛ أي: يَيأسُونَ يَوم القِيَامةِ؛ كقَوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الروم ٣٠/١٢]، أو هو وَصْفٌ لحَالهم؛ لأنَّ المؤمنَ إنَّما يكُونُ راجيًا خاشيًا، فأمَّا الكافِرُ فلا يخطُرُ ببالِه رجَاءٌ ولا خَوْف، أو شَبَّه حالَهُم في انتفَاءِ الرَّحمة عنهم بحَالِ مَن يئسَ مِن الرَّحمةِ.

وعن قتَادَة: أنَّ الله ذَمَّ قومًا هَانُوا عليه فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي﴾ وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف ١٢/٨٧] فيَنْبَغي للمؤمنِ

قوله: (أمره الجاري) فيكون ذو الحال -وهو المفعول- محذوفًا، وظاهر لفظ المصنِّف يدلّ على أنّ المحذوف على هذا الوجه الموصوف مع صفته، وأمّا المذكور فهو ظرف للصفة.

قوله: (كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الروم ٣٠/١٢]) أبلَسَ مِن رحمة الله، أي: يئس، ومِنه سُمّي: إبليس، وكان اسمه عزازيل، هكذا ذكر في الصِّحاح.[١] وفي كون إبليس مِن الإبلاس نظر، والصواب: أنّه اسم أعجميّ، وإلّا لما مُنع مِن الصرف.

قوله: (فأمّا الكافر)... إلخ، فيه بحثٌ؛ لأنّ مَن لا يخطر بباله الرجاء والخوف لا يسمّى آيسًا. / وقوله: (أو شُبّه حالهم) عطف على قوله: (لأنّ المؤمن)... إلخ. [٢٥٨و]

قوله: (فينبغي) عطف[٢] على[٣] قوله: (إن الله تعالى ذمَّ)... إلخ. وقوله: (صفةُ المؤمن) جملة ابتدائيّة لبيان ما تقدَّم.

---

[١] الصحاح للجوهري، «بلس».
[٢] ن: عطفه.
[٣] ن: ما.

أن لا ييأسَ من رَوْحِ الله ولا مِن رَحْمتِه، وأن لا يَأمنَ عَذابَه وعِقَابَهُ، وصِفةُ المؤمِن أن يكونَ رَاجيًا لِله خائِفًا.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾

قرئ ﴿جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ بالنَّصب والرَّفع.

﴿قَالُواْ﴾ قال بَعْضُهم لبَعْضٍ، أَو قَالهُ وَاحِدٌ مِنهُم وكان البَاقُونَ رَاضِينَ فكانُوا جَميعًا في حُكم القَائِلين، ورُوي أنَّه لم يُنتَفَعْ في ذلك اليوم بالنَّار -يَعْني: يَومَ أُلقِيَ إبراهيمُ في النَّارِ- وذلك لذهَاب حَرِّهَا.

﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

قرئ على النصب بغَير إِضَافةٍ وبِإِضَافةٍ، وعَلى الرَّفع كذلك.

فالنَّصبُ عَلى وَجْهَين:

على التَّعْليل؛ أي: لِتَتوادُّوا بينكم وتتَواصَلُوا؛ لاجتِماعِكُم على عبَادَتِهَا، واتِّفَاقِكُم عليها وائتِلَافِكُم كما يَتَفِقُ النَّاسُ على مذهَبٍ فيكونُ ذلك سبَبَ تَحَابِّهِم وتصادُقِهم.

وأن يكُونَ مفعُولًا ثانيًا كقوله: ﴿ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان ٢٥/٤٣]؛ أي: اتَّخذتُم الأَوثانَ سَبَبَ المَودَّة بَيْنَكُم، على تَقدِير حَذفِ المضافِ، أو: اتَّخذتُموها مَودَّةً بينَكُم، بمَعْنَى: مَوْدُودَةً بَينَكُم؛ كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة ٢/١٦٥].

وفي الرَّفعِ وَجْهان: أَنْ يكُون خبرًا لـ"إِنَّ" على أَنَّ "ما" مَوْصُولةٌ، وأن يكون خبَرَ مُبتَدأ محذُوفٍ، والمَعنى: إنَّ الأَوْثَانَ مَوَدَّةٌ بَينَكُم؛ أي: مَوْدُودَةٌ، أو: سَببُ مودَّةٍ.

قوله: (وأن يكون) مفعولًا ثانيًا عطف على قوله: (التعليل) أي: وعلى أن يكون.

قوله: (وأن يكون) خبر مبتدأ محذوف، فـ"ما" كافَّة. وقوله: (والمعنى) أي: على الوجهين.

وعن عاصم: "مودَّةُ بينَكُم" بفَتح "بينَكُم" مع الإضافة؛ كمَا قُرئ: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام ٦/٩٤] ففُتِحَ وهُو فَاعِلٌ.

وقَرأ ابنُ مسعُود رضيَ الله عنه: "أوثَانًا إنَّما مودَّةُ بيْنِكم في الحَياة الدُّنيَا"؛ أي: إنَّما تتوادُّونَ عَليْها -أو تَودُّونَها- في الحيَاةِ الدُّنيَا.

قوله: (وعن عاصم: "مَوَدَّةَ بَينَكُم")[١] قال أبو شامة رحمه الله في شرح الشاطبيّ، عند قوله: باب الفتح والإمالة وبين اللفظين:[٢]

> إنّه يجوز في قوله: "وبين اللفظين" فتح النون مِن "بين" على الظرفيّة، أي: والحالة التي هي بين اللفظين، أي: بين لفظي الفتحة والإمالة، ويجوز كسر النون عطفًا على الفتح والإمالة، ولفظ "بين" تارةً يجري بوجوه الإعراب كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف ١٨/٧٨]، وتارةً ينصب على الظرف، والإعراب يجري على ما هي تابعة له، وقرئ بالوجهين قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام ٦/٩٤] بالرفع والنصب.[٣]

اعلم أنّ هذا المذكور[٤] في شرح الشاطبي غير ملائم لظاهر لفظ الكشّاف في هذا الموضع، فإنّه قال: (فتح "بينَكم" مع الإضافة) في "مودّة بينَكم"، فصرّح بأنّه مضاف إليه، وقال في ﴿تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام ٦/٩٤]: (فُتِح مع أنه فاعل)، فصرّح[٥] بأنّه فاعل وأنّه لا حذف في الصورتين. فالصواب في توجيهه أن يقال: جعل مبنيًّا لكونه مضافًا إلى المبنيّ، فإنّهم قد يحكمون[٦] بالبناء لذلك. والحقّ أنّه يمكن حمل ما ذكر في الكتاب على ما ذكر في شرح الشاطبي؛ بل هو الوجه؛ وذلك لأنّ المعنى أنّ الأصل: مودّة ما بينكم، بإضافة "مودّة" إلى "ما"، ثمّ حذف "ما" الموصول وأبقي صلته، وهذا الحذف لا يُنافي تلك الإضافة،

---

١ شاذّة، والصحيح من رواية حفص عن عاصم ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ بنصب ﴿مَّوَدَّةَ﴾ وخفض ﴿بَيْنِكُمْ﴾، ومن رواية شعبة ﴿مَّوَدَّةً بَيْنَكُمْ﴾ بنصب ﴿مَّوَدَّةً﴾ منوّنةً، ونصب ﴿مَّوَدَّةً بَيْنَكُمْ﴾. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٤٣.

٢ إبراز المعاني لأبي شامة، ص ٢٠٤.

٣ قرأ المدنيّان والكسائي وحفص بنصب النون، وقرأ الباقون برفعها. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٢٦٠.

٤ ن: هذه المذكورة.

٥ ن: وصرح.

٦ ن: يحلمون.

﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ﴾ يَقُومُ بَيْنكُم التَّلَاعُنُ والتَّبَاغُضُ والتَّعادِي: يتَلاعَنُ العَبَدَةُ، ويتَلاعَنُ العَبَدةُ والأَصْنَامُ؛ كقوله عزَّ وجَلَّ: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا﴾ [مريم ٨٢/١٩].

﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾

كان لُوطٌ ابنَ أُختِ إبراهيم عليه السلامُ، وهو أوَّلُ مَن آمَنَ له حِينَ رَأى النَّارَ لم تُحرِقْهُ.

﴿وَقَالَ﴾ يَعني إبراهيمَ: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ مِن كُوثَى وهي مِن سَواد الكُوفة إلى حَرَّانَ ثُمَّ منها إلى فِلَسْطِينَ، ....

وكذلك في ﴿تَقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ﴾ [الأنعام ٩٤/٦]، كيف وقد ذكَر المصنِّف في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، وذكَر في البيت أيضًا ما يدلّ على هذا؟ قال الجوهري في صِحاح الصحّة: «البَين: الفِراق،[1] والبَين: الوصل؛ وهو مِن الأضداد، ثمّ قال: قرئ: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ﴾ [الأنعام ٩٤/٦] بالرفع والنصب، فالرفع على الفعل، أي: تقطَّع وصلكم، والنصب على الحذف، أي: ما بينكم».[2]

قوله: (يتلاعن العَبَدَة والأصنام) أي: يلعن بعض العَبَدة بعضًا، وكذا يلعن العبدة الأصنام، والأصنام العبدة.[3]

قوله: (كقوله[4] تعالى: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا﴾) قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزًّا ۝ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا﴾ [مريم ٨١/١٩-٨٢].

قوله: (مِن سواد الكوفة) أي: قُراها.[5]

قوله: (مِنها إلى فلسطين) أي: مِن حرّان.

---

١ ن – البَين الفراق.

٢ الصحاح للجوهري، «بين».

٣ ن – قرئ: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ﴾ [الأنعام ٩٤/٦] بالرفع والنصب، فالرفع على الفعل، أي: تقطّع وصلكم، والنصب على الحذف، أي: ما بينكم». قوله: (يتلاعن العَبَدَة والأصنام) أي: يلعن بعض العَبَدة بعضًا، وكذا يلعن العبدة الأصنام، والأصنام العبدة.

٤ ن: لقوله.

٥ ن – قوله: (مِن سواد الكوفة) أي: قراها. | ووقعت هذه الحاشية في هامش د.

ومِن ثَمَّ قالُوا: لَكُلِّ نبيٍّ هجرَةٌ ولإبرَاهيم هجرَتانِ، وكان مَعه في هِجْرتِه: لُوطٌ وامرأتُه سَارةُ، وهَاجَرَ وهو ابنُ خَمْسٍ وسَبْعِينَ سنةً.

﴿إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾: إلى حَيثُ أَمَرنِي بالهجرة إليه ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الذي يَمنعُني من أعدائِي ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ الَّذي لا يَأمُرنِي إلَّا بما هو مَصْلَحتي.

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾

﴿أَجۡرَهُۥ﴾: الثَّناءُ الحسَنُ، والصَّلاةُ عليه آخِرَ الدَّهْرِ، والذُّرِّيةُ الطَّيِّبَةُ، والنُّبوَّةُ، وأنَّ أَهْلَ المِلَلِ كُلَّهُم يتولَّونَهُ.

فإن قلتَ: ما بَالُ إسماعيل عَليه السَّلامَ لم يُذْكَر وذُكِر إسحاقُ وعَقِبُه؟

قلتُ: قد دَلَّ عليه في قوله: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾ فكفَى الدَّليلُ لشُهْرة أَمْرِه وعُلوِّ قدْرِه.

فإن قلتَ: ما المرادُ بالكتاب؟

قلتُ: قُصِد به جِنسُ الكتابِ حَتَّى دخَل تحتَه ما نزَل على ذُرِّيته من الكُتبِ الأربعة التي هيَ التَّوراةُ والزَّبُورُ والإنجيلُ والقرآنُ.

﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨﴾

﴿وَلُوطًا﴾ معطوفٌ على ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ﴾ [العنكبوت ١٦/٢٩] أَو عَلى ما عُطِف عَليه. و"الفاحشةُ" الفَعْلَةُ البَالِغَةُ في القُبْحِ.

قوله: (وامرأته) أي: إبراهيم.

قوله: (أو ما عُطِف عليه) يعلم مِنه أنَّه[١] إذا قيل: جاء زيد وعمرو وبكر، يجوز أن يقال: "بكرٌ" عطف على "عمرو"، وأن يقال: هو عطف على "زيد".

---

[١] ف – أنّه.

و﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ جُملةٌ مُستأنَفةٌ مُقرِّرةٌ لِفَحاشة تلك الفَعْلَةِ؛ كأنَّ قائلًا قال: لِمَ كانت فاحشةً؟ فقيل: لأنَّ أحَدًا قبلَهُم لم يُقْدِمْ عليها اشمئزازًا منها في طبَاعهم لإفراطِ قُبْحِهَا حَتَّى أقْدَم عليها قومُ لوط لخُبث طينَتِهم وقَذَرِ طبَاعِهِم، قالُوا: لم يَنْزُ ذَكَرٌ على ذكرٍ قَبل قوم لُوطٍ قَطُّ.

وقرئ: ﴿إِنَّكُمْ﴾ بغَير استفهَامٍ في الأوَّل دُون الثَّانِي، قال أبو عُبَيْدٍ: وَجَدْتُه في الإمَام بحَرْفٍ وَاحدٍ بغيْر ياءٍ، ورأيتُ الثَّاني بحَرْفَينِ: الياءِ والنُّون.

قوله: (اشمئزازًا) قال في الصحاح: «اشمأزَّ الرجل اشمئزازًا؛ انقبض»،[١] ولم يذكر لهذا اللفظ أصلًا يكون هذا مأخوذًا مِنه، ولم أرَ أيضًا في شيء مِن كتب اللغة له أصلًا. و"الطينة": الخلقة والجِبِلّة. و"القذَر": ضدُّ النظافة.

قوله: (حتّى أقدم) متعلِّق بقوله: (لم يُقدِم)، وفي كونه غايةً له بعد قوله: / (قبلهم) إشكال، فتأمّل. والوجه أن نقول: قوله: "قبلهم" مقحمة للتأكيد، [٢٥٨ظ]
وأصل التركيب:[٢] لأنّ أحدًا لم يُقدِم، كما قيل في قولهم: "ما جاء زيد إلّا عمرو": الأصل:[٣] ما جاء إلّا عمرو، ثمّ أُقحم زيد لتأكيد نفي المَجيء عنه.

قوله: (قالوا: لم يَنْزُ)[٤] هذا لتحقيق[٥] قوله تعالى: ﴿مَا سَبَقَكُم﴾. وقوله: "لم[٦] يَنْزُ" مِن قولهم: نَزَا الذَّكَر على الأنثى يَنزو نِزاءً[٧] بالكسر، وكأنّ المصنِّف رحمه الله[٨] شبَّههم بالبهائم والسباع في قوله: "لم ينزُ ذكرٌ"، قال في الصِّحاح: "نزا" بهذا المعنى يُستعمل في البهائم والسباع.[٩] واعلم أنّ قوله: "لم يَنْزُ" ليس مِن نزا ينزو[١٠] نَزوًا ونزوانًا؛[١١] وثَب؛ بل هو مِن نَزا نِزاءً بالكسر كما بيّنا.

قوله: (وجدتُه[١٢] في الإمام) يعني بـ"الإمام": المصحف الذي هو بخطِّ

---

[١] الصحاح للجوهري، «شمز».
[٢] ن: التوكيد.
[٣] ف ن: والأصل.
[٤] ن: نتر.
[٥] ف: التحقيق.
[٦] ن: ولم.
[٧] ن: نزوًا.
[٨] د – رحمه الله.
[٩] ن – في قوله: "لم ينزُ ذكرٌ"، قال في الصحاح: "نزا" بهذا المعنى يُستعمل في البهائم والسباع. | الصحاح للجوهري، «نزا».
[١٠] ن: ينزوا.
[١١] ن: نيزوانًا.
[١٢] ن: رحرته.

﴿أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝٢٩﴾

و"قَطعُ السَّبيل": عملُ قُطَّاع الطَّريق مِن قَتْلِ الأنفُسِ وأَخْذِ الأَموال.

وقيل: اعتِرَاضُهم السَّابلةَ بالفَاحشَة.

وعن الحَسن: قَطْعُ النَّسْلِ بإتيَان ما ليس بحَرْثٍ.

و﴿الْمُنكَرَ﴾ عن ابن عبَّاس: هو الخَذْفُ بالحَصى، وَالرَّميُ بالبنَادِقِ، والفَرقَعَةُ، ومَضْغُ العِلْكِ، والسِّواكُ بين الناسِ، وحَلُّ الأَزْرار، والسُّبَابُ، والفُحْشُ في المِزاح.

وعن عائشةَ رضي الله عنها: كانوا يَتحَابقُونَ.

عثمان رضي الله عنه، ويريد بـ"الحرف[١] الواحد": النون بعد الهمزة مِن غير ياء مع النون، هكذا: "أَنكم"،[٢] ويريد بالحرفين: الياء والنون بعد الهمزة، هكذا:[٣] ﴿أَإِنَّكُمْ﴾.[٤]

قوله: (السابلة)[٥] أي: المارّة، و"السابلة":[٦] أبناء السبيل المختلفة في الطرقات.[٧]

قوله: (هو[٨] الخذف بالحصى) بالخاء[٩] المعجمة: الرمي به بالأصابع.[١٠] "الفرقعة": تنقيض الأصابع،[١١] وقد فرقعها فتفرقعت.[١٢] و"العِلْك"[١٣] -بكسر العين وسكون اللام-: الذي يُمضَغ.[١٤]

قوله: (الأزرار) الزِرّ -بالكسر-: واحد أزرار[١٥] القميص والقباء، والزَرُّ -بالفتح- مصدر: زَرَرْتُ القميص عليَّ أَزُرُّه -بالضمّ- زَرًّا إذا شددْتَ أزراره عليك.[١٦]

قوله: (يتحابقون) أي: يتضارطون.

---

١ ن: بالخراف.
٢ ن: ليكم.
٣ ن: هذا.
٤ ن: أنكم.
٥ ن: السابلية.
٦ ن: والسايلة.
٧ الصحاح للجوهري، «سبل».
٨ ف: و.
٩ ف: بالحاء.
١٠ الصحاح للجوهري، «خذف».
١١ ن: الايصابع.
١٢ الصحاح للجوهري، «فرقع».
١٣ ن: العلل.
١٤ بموضع. | الصحاح للجوهري، «علك».
١٥ أزارار.
١٦ الصحاح للجوهري، «زرر».

وقيل: السُّخرِيَةُ بمَن مَرَّ بِهِمْ.

وقيل: المُجَاهَرَةُ في نَادِيهم بذالك العَملِ، وكُلُّ مَعْصِيَةٍ فإظهارُها أَقْبَحُ مِن سَتْرِهَا، ولذلك جاء: "مَن خَرقَ جِلبَابَ الحيَاء فلَا غِيْبَةَ له".

ولا يُقال للمجْلس: "نادٍ" إلَّا ما دَامَ فيه أَهْلُه، فإذا قاموا عنه لم يبقَ نَاديًا.

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيمَا تعِدُنَاهُ مِن نزُول العَذاب.

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٣٠﴾

كانوا يُفْسِدُونَ النَّاسَ بحَمْلِهِم على ما كانوا عليه من المعَاصي والفَواحِش طَوعًا وكَرْهًا، ولأَنَّهُم ابتَدَعُوا الفاحِشَة وسَنُّوهَا فيمَنْ بعْدَهُم، وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ﴾ [النحل ٨٨/١٦] فأرادَ لُوطٌ عليه السلام أن يَشتَدَّ غَضَبُ الله عَلَيْهِم، فَذكَر لِذلك صِفةَ المُفسِدين في دُعَائه.

﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ۝٣١﴾

﴿بِٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ هي البِشَارَةُ بالوَلَد والنَّافِلةِ، وهما إسحاقُ ويعقوبُ، وإضافةُ ﴿مُهۡلِكُوٓاْ﴾ إضافةُ تَخْفيفٍ لا تَعْريفٍ، والمعْنَى الاستقْبَالُ.

والقريةُ: سَدُومُ التي قِيل فيها: أجْوَرُ مِن قاضي سَدُومَ.

﴿كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ مَعناهُ: أَنَّ الظُّلم قد استَمرَّ مِنهُم إيجَادُه في الأيَّام السَّالفَةِ وهُم عليه مُصِرُّون، وظُلْمُهم: كفرُهم وألْوانُ معَاصِيهم.

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ۝٣٢﴾

﴿إِنَّ فِيهَا لُوطٗا﴾ ليس إخبَارًا لهُم بكونهِ فيها، وإنَّما هو جِدَالٌ في شَأنِه؛

قوله: (قد استمرَّ) الاستمرار يستفاد مِن "كان"، كقولهم: كان حاتم يكرم الضيف.

لأنَّهُمْ لَمَّا عَلَّلُوا إِهْلَاكَ أَهْلِهَا بظُلْمِهِم اعتَرَضَ عليهم بأنَّ فيها مَن هو بَرِيءٌ من الظُّلم، وأَراد بالجِدَال: إظهَارَ الشَّفَقَة عليه، وما يجِبُ للمُؤمنِ من التَّحزُّنِ لأَخيهِ، والتَّشمُّرِ في نُصْرَته وحيَاطَتهِ، والخَوفِ مِن أَنْ يَمَسَّهُ أَذًى أو يلحَقَه ضَررٌ، قال قتادةُ: لا يرَى المؤمِنُ أن لا يحُوطَ المُؤمِنَ، ألا تَرى إلى جَوابهم بأنَّهم أَعلَمُ منه ﴿بِمَن فِيهَا﴾ يَعْنُونَ: نَحْنُ أَعْلَمُ مِنك وأَخبَرُ بحَالِ لُوطٍ وحالِ قوْمِه وامتِيازِهِ منهم الامتِيَازَ البيِّنَ، وأنَّه لا يَسْتأهِلُ ما يستَأهِلُون، فخفِّضْ عَلى نفسِكَ وهَوِّنْ عَليكَ الخَطْبَ.

وقرئ ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾ بالتخفيف والتشديد، وكذلك ﴿مُنَجُّوكَ﴾.

﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗاۖ وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ۝٣٣﴾

﴿أَن﴾ صِلةٌ أَكَّدتْ وُجُودَ الفِعْليْن مُترتِّبًا أَحَدُهما على الآخَر في وَقْتين

قوله: (ألا ترى)... إلخ، متعلّق "ليس إخبارًا، وإنّما هو جدال"، فإنّ الملائكة لمّا ذكروا ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾ باللام ونون التوكيد في جواب القسم دلّ على أنّ مراد إبراهيم عليه السلام كان تنجيتَه.

قوله: (وأخبر بحال) معنى "أخبر": أعلم، يقال: مِن أين خَبِرتَ هذا الأمر؟ أي: مِن أين علمْتَ؟ والاسم: الخُبْرُ؛ وهو العلم بالشيء.

قوله: (فخفِّضْ) يقال: خفِّض عليك الأمر، أي: هوِّن.

قوله: (مترتِّبًا) حال مِن "الفعلين"، وقوله: (أحدهما) فاعله، فهو قريبٌ مِن الوصف بحال متعلّق الموصوف، والعامل فيه "الوجود"، لا قوله: (أكّدتْ)،[١] والحاصل: أنّه لو لم يكن "أن" في اللفظ لكان معنى الكلام: وجود الفعلين -أي: المجيء والمساءة- مترتّبًا أحدهما على الآخر، فزيادة "أن" أكّدتْ هذا المعنى، بحيث صار كأنّهما وُجِدا[٢] في جزء واحد مِن الزمان،

---

[١] ن: الرت.

[٢] ن: واحدًا.

مُتجَاوِرينِ لا فَاصِلَ بينَهُما كأنَّهما وُجِدَا في جُزْءٍ وَاحِدٍ من الزَّمانِ؛ كَأنَّه قيل: كما أَحسَّ بمَجِيئِهم فاجَأَتْهُ المسَاءةُ مِن غيرِ رَيْثٍ خِيفةً عليهم من قَومِهِ.

﴿وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا﴾: وضَاقَ بشَأنِهِم وتَدبيرِ أَمْرِهم ذَرْعُه؛ أي: طَاقتُه، وقد جَعَلتِ العَربُ ضِيقَ الذِّراعِ والذَّرْعِ عبَارةً عن فَقْدِ الطَّاقةِ؛ كما قالُوا: ....

ولا يجوز أن يكون العامل في الحال "أكَّدتْ"،[1] لأنّ التأكيد ليس حال ترتّب أحدهما على الآخر، فتأمّل.[2]

قوله: (كأنّه قيل) متعلّق بقوله: "أكَدَتْ".[3]

قوله: (مِن غير رَيْثٍ) حال مِن "المَساءة". راثَ عليّ خبرك يريثُ رَيْثًا؛ أبطأ، وفي المَثل: «ربَّ عجَلةٍ وهبتْ رَيْثًا».[4] وقولهم: أمهلته ريثما فعل[5] كذا، أي: ساعة فعله.[6] وقوله: (خيفةً) مفعول له مِن قوله: (فاجأتْهُ المَساءة)، وإنّما حذف اللام لأنّه في معنى: استاء مِن[7] مجيئهم،[8] فيكون "الخيفة" فعلًا لفاعل[9] الفعل[10] المعلَّل ومقارنًا / للفعل. وقوله: (خيفةً عليهم) إلى قوله: (ذَرْعُهُ) [٢٥٩و] يدلّ على أنّ خوف لوط عليه السلام كان على الرسل بأن يتعرّضهم قومهم ويؤذونهم لطلب فعلهم القبيح، لكن قول الرسل: ﴿لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ﴾ يدلّ على أنّ خوفه عليه السلام كان على نفسه وأهله، والله أعلم. وقوله: (عليهم) أي: على الرسل.

قوله: (ضيقَ الذراع) "الذراع": مِن المِرفق إلى أطراف الأصابع، فمعنى ﴿وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا﴾: لم يُطق تدبير أمرهم، ولم يستطعه.

---

[1] ن: الدثْ.

[2] ف – فتأمّل.

[3] ن: الدت.

[4] الصحاح للجوهري، «ريث». وانظر: مجمع الأمثال للميداني، ٢/٢٩٤، وقال في المَثل: «يضرب للرجل يشتدّ حرصه على حاجة، ويخرق فيها حتّى تذهب كلّها».

[5] ن: فعلى.

[6] المُغرب للمطرّزي، «ريث».

[7] ن: في.

[8] ن: محبتهم.

[9] ن: للفاعل.

[10] ن – الفعل.

"رَحْبُ الذِّراعِ بكذا" إذا كانَ مُطِيقًا له، والأصْلُ فيه: أَنَّ الرَّجُلَ إذا طَالَتْ ذِراعُه نالَ ما لا ينالُه القَصيرُ الذِّراعِ، فضُرِبَ ذلك مثلًا في العَجْز وَالقُدْرَة.

﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾﴾

"الرِّجزُ والرِّجْسُ": العَذَابُ، من قَولهم: ارتَجَزَ وَارتجسَ: إذا اضطَرَبَ؛ لِمَا يَلْحقُ المُعَذَّبَ من القَلقِ والاضطِراب، وقرئ: ﴿مُنزِلُونَ﴾ مُخفَّفًا ومُشَدَّدًا.

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿مِنْهَا﴾: من القرية ﴿ءَايَةًۢ بَيِّنَةً﴾: هي آثَارُ مَنَازِلِهِم الخَرِبَةِ، وقيل: بقيَّةُ الحجارة، وقيل: الماءُ الأَسْوَدُ على وجه الأرض، وقيل: الخَبرُ عمَّا صُنِعَ بهم.

﴿لِقَوْمٍ﴾ يتعَلَّقُ بـ﴿تَرَكْنَا﴾ أو بـ﴿بَيِّنَةً﴾.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَٱرْجُوا۟﴾: وافعَلُوا ما تَرجُون به العاقبَة، فَأُقيمَ المُسبَّبُ مقَام السَّبب،

قوله: (والأصل فيه) أي: في المذكور أو[1] كلِّ واحد.

قوله: (ذلك) إشارة إلى ضيق الذراع ورَحْب الذراع، ففيه لفٌّ ونشر.

قوله: (مِن قولهم) أي: هو مِن قولهم.

قوله: (لما يلحق) متعلِّق بمحذوف، أي: سمّي ﴿رِجْزًا﴾؛ لما يلحق، فكان مِن تسمية السبب باسم المسبَّب، والصواب: أنّه متعلِّق بقوله: مِن قولهم: ارتجز؛[2] لما يلحق. والحاصل: أنّ العذاب سبب القلق والاضطراب، فأُطلق المسبَّب على السبب، فيكون كناية.[3]

---

[1] ن + في.
[2] ن: أو تحر.
[3] ن: كفاية.

أو أُمِروا بالرَّجاءِ والمرادُ: اشتِراطُ ما يُسوِّغُه من الإيمانِ، كمَا يُؤمَرُ الكافِرُ بالشَّرعيَّاتِ على إرادةِ الشَّرط.

وقيل: هو من الرَّجاء بمَعنى الخَوف.

و﴿ٱلرَّجْفَةُ﴾: الزَّلزَلةُ الشَّديدةُ. وعن الضَّحَّاك: صَيْحةُ جبريل؛ لأنَّ القُلوبَ رَجَفَتْ لهَا.

﴿فِي دَارِهِمْ﴾: في بَلَدِهمْ وأرْضِهم، أو: في دِيَارِهم، فَاكتُفِي بالواحِد لأنَّه لا يُلْبِسُ.

﴿جَٰثِمِينَ﴾: بَارِكينَ عَلى الرُّكَبِ مَيِّتِينَ.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ٣٨﴾

﴿وَعَادًا﴾ منصُوبٌ بإضمارِ "أَهْلكنَا"؛ لأنَّ قولـه: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ يَدُلُّ عليه؛ لأنَّه في مَعْنَى الإِهْلاكِ.

قوله: (أو أُمِروا بالرجاء)... إلخ، فعلى الأوّل: يكون كناية. وعلى الثاني: في الكلام حذفٌ، أي: كونوا راجين بسبب الإتيان بالإيمان والطاعة. وقوله:[١] (ما يُسوِّغه) أي: ما يجوِّز[٢] الرجاء وهو الإيمان، فإنّ الرجاء بغير الإيمان غير جائز.

قوله: (وعن الضحّاك: صيحة[٣] جبرائيل) فيكون كناية.

قوله: (بإضمار "أهلكنا") وإنّما جعله منصوبًا بـ"أهلكنا" مضمَرًا؛ لدلالة ما قبله عليه، ولم يجعله عطفًا على الضمير في ﴿فَأَخَذَتْهُمُ﴾؛ على طريقة: "عَلَفْتُه تِبْنًا وماءً باردًا"؛ وذلك لفساد المعنى؛ إذ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ﴾ مسبّب عن قوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾، ولا يصحّ أن يقال: كذّب قوم لوطٍ لوطًا فأخذتهم الرجفة وأهلكنا عادًا.

قوله تعالى: ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم﴾ ففي ﴿تَّبَيَّنَ﴾ ضمير الإهلاك.

---

١ ن: قوله.
٢ ن: نجوز.
٣ ن: صحة.

﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم﴾ ذلك -يَعْني: ما وصَفَه من إهْلاكِهم- ﴿مِّن﴾ جهَةِ ﴿مَّسَٰكِنِهِمْ﴾ إذا نَظرتُم إليْهَا عند مرُورِكُم بها، وكان أَهْلُ مَكَّةَ يَمرُّونَ عليها في أَسفَارِهم فيُبْصِرُونها.

﴿وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ﴾: عُقَلاءَ مُتمَكِّنينَ من النَّظَر والافْتِكار، ولكنَّهم لم يَفعَلُوا، أو كانُوا مُتَبَيِّنينَ أَنَّ العذَابَ نازلٌ بهم؛ لأنَّ الله تَعالى قَدْ بيَّنَ لهُم على أَلْسِنَة الرُّسل ولكنَّهم لَجُّوا حَتَّى هَلكُوا.

﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿سَٰبِقِينَ﴾: فَائِتِينَ، أَدرَكهُم أَمْرُ الله فَلَمْ يَفُوتُوه.

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

"الحاصِبُ": لقَوْم لُوطٍ، وهيَ رِيحٌ عاصِفٌ فيها حَصْبَاءُ، وقيل: مَلَكٌ كانَ يَرْميهِم.

قوله: (عقلاء)... إلخ، "الاستبصار": طلب البصيرة؛ وهو النظر والافتكار، فكأنّه قيل: ناظرين متفكِّرين، ولكنّ المراد: قدرتهم على الاستبصار، أي: على النظر والافتكار، فالمعنى: كانوا قادرين على التفكُّر، ولكن لم يتفكَّروا، فعلى هذا المراد بـ"الاستبصار": الإبصار، مِن البصيرة، أي: كانوا عالمين بأنّ العذاب يلحقهم، وعلى هذا الوجه تكون السين[١] للدلالة على المبالغة، أي: كانوا يعلمون لُحوق[٢] العذاب بهم علمًا يقينيًا مِن غير شبهة لهم،[٣] لكنّهم عاندوا ولجُّوا، وهذا الاستدراك[٤] محذوف على التفسيرين.

قوله:[٥] (وفيها حَصباء) الحَصباء: الحصى.[٦]

---

١ ن: السنن.
٢ ن: بخوف.
٣ ن: يقينًا.
٤ ن: الاستدلال.
٥ ن: وقوله.
٦ ن – الحصى.

و"الصَّيحَةُ": لمَدْيَنَ وثمُودَ، و"الخسْفُ": لِقَارُون، و"الغَرقُ": لقَوم نُوحٍ وفرعَونَ.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ۝٤١﴾

الغَرضُ: تَشبيهُ ما اتَّخَذُوهُ مُتَّكَلًا ومُعتَمَدًا في دِينهم وتَوَلَّوهُ من دُون الله بما هو مَثَلٌ عند النَّاسِ في الوَهْنِ وضَعْفِ القُوَّة، وهو نَسجُ العَنكبُوتِ، ألَا ترى إلى مَقْطَعِ التَّشبيه وهو قَولُه: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾.

فإن قلتَ: ما مَعْنى قَولِه: ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ وكُلُّ أحَدٍ يَعْلمُ وَهْنَ بيْتِ العِنكبُوتِ؟

قوله: (الغرض: تشبيه)... إلخ، فالمضاف[1] محذوف في الموضعين.

قوله: (وهو[2] نَسج) "النسج": بمعنى المنسوج، كالضرب بمعنى المضروب.

قوله: (ألا ترى إلى مقطع التشبيه)[3] أي: إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ﴾، فلو كان المراد تشبيه ذواتهم بـ"العنكبوت" لقال: وإنّ أضعف الهوامّ أو[4] الحيوانات مثلًا العنكبوت.

قوله تعالى: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ يجوز أن يكون "مِن" في قوله تعالى: / ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ لبيان ما اتّخذوا، فيَعمُّ جميع ما اتخذوه إلهًا، ويؤيّده قوله فيما بعد: (وهو نسج) لبيان قوله: (ما هو مثل)، فيه نظر، ويجوز أن يكون "مِن" للابتداء، وهذا[5] هو الصواب، وفي ﴿دُونِ﴾ معنى المجاوزة، كأنه قيل: مجاوزين الله. [٢٥٩ظ]

قوله: (فإن قلتَ: ما معنى قوله)... إلخ؟ جعل في السؤال قولَه: ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ متعلِّقًا بقوله: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾، فأجاب بأنه غير متعلِّق به، وبيَّنه بوجهين،[6] ثمّ أجاب ثالثًا بأنّه متعلِّق به لكن بطريق المَجاز.

---

[1] ن: والمضاف.

[2] ن – هو.

[3] ن: النسبة.

[4] ف ن: و.

[5] ن: هذا.

[6] ن: بحرحهن.

قلتُ: معناه: لو كانُوا يَعلَمُونَ أنَّ هذا مَثَلُهم، وأَنَّ أَمْرَ دِينِهم بالِغٌ هذه الغَايَة مِن الوَهْن.

ووَجْهٌ آخَرُ: وهو أنَّه إذا صَحَّ تَشْبِيهُ ما اعتَمَدُوهُ في دِينِهِم بِبَيْتِ العَنكبُوت -وقد صَحَّ أَنَّ أوْهَن البيوتِ بَيْتُ العنكبُوت- فقَد تبيَّنَ أَنَّ دِينَهُم أَوهَنُ الأَدْيَانِ ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾.

أَو أَخْرَج الكلامَ بَعْدَ تَصْحيحِ التَّشبِيهِ مَخْرَجَ المجَازِ؛ فكَأنَّه قال: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ﴾ ما يُعتَمَدُ عليه في الدِّين عبادةُ الأوثانِ ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾.

ولقائل أَن يقول: مَثَلُ المُشرِك ....

قوله: (قلتُ: معناه: لو كانوا) يجوز أن يكون التقدير: لو كانوا يعلمون أنّ هذا مثلهم، وأنّ... إلخ[١] لَما[٢] اتخذوها آلهةً. وأن[٣] يكون التقدير:[٤] هذا مثلهم، لو كانوا يعلمون أنّ هذا مثلهم، كما نقول: زيد شرّ الناس، لو[٥] علم أنّه شرُّ الناس، ويئول المعنى إلى أنّه لو علم حقيقة حاله لاعترف على نفسه بذلك. وقوله: (مِن الوَهْن) تبعيضيّة أو ابتدائية، لا بيانيّة.

قوله: (ووجه آخر) أي: هنا وجه آخر في الجواب.

قوله: (فقد تبيَّن) يعني: أنّ الكلام السابق دلّ على أنّ دينهم أوهن الأديان، فكأنّه قيل: دينهم أوهن الأديان لو كانوا يعلمون، أي: لو كان لهم علم لَعلموا أنّ دينهم أوهن الأديان.

قوله: (أو أخرج) يعني: بعد[٦] التشبيه الصحيح، وهو: ﴿مَثَلُ﴾ إلى ﴿بَيْتًا﴾، أخرج الكلام بطريق المجاز، يعني قوله: ﴿وَإِنَّ﴾ إلى ﴿ٱلْعَنكَبُوتِ﴾، فالبيوت[٧] مجاز عمّا يُعتمد عليه في الدِّين، وبيت العنكبوت عن عبادة الأوثان.

قوله: (ولقائل أن يقول) عطف على قوله: (الغرض تشبيه).

---

١ ن: الآخرة.
٢ ن: لها.
٣ ن: أن.
٤ ن + لو كان يعلمون أنّ هذا مثلهم وأن... إلخ لما اتخذوها آلهة، وأن يكون التقدير.
٥ ف: ولو؛ ن – لو.
٦ ن – بعد.
٧ ن: فالبيون.

الذي يَعبُدُ الوَثَنَ بالقِيَاس إلى المُؤمنِ الذي يَعْبُدُ الله مَثَلُ عَنكبوتٍ يَتَّخِذ بَيْتًا بالإضافةِ إلى رَجُل يَبْني بيتًا بآجُرّ وجَصّ، أو يَنْحِتُهُ من صَخْرٍ، وكمَا أنَّ أَوْهَنَ البيُوت إذَا استَقْرِيتَها بَيتًا بَيْتًا بيتُ العَنكبُوتِ، كذلك أَضعَفُ الأَدْيانِ إذا استَقْرِيتَها دِينًا دِينًا عِبَادةُ الأَوثانِ ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾﴾

قرئ ﴿تَدْعُونَ﴾ بالتاء والياء، وهذا تَوكيدٌ للمَثَلِ وزيَادَةٌ عليه، حَيْثُ لم يَجْعَلْ ما يدعُونَه شيئًا.

قوله: (بالقياس) أي: بالنسبة، فلذا عدّاه بـ"إلى"، كما أنّ القياس بمعناه اللغويّ يُعدّى بالباء،[1] وبمعناه الشرعيّ بعلى؛[2] لتضمين[3] معنى البناء،[4] ولمّا ضمّن المصنّف المَثل معنى التشبيه عدّاه بـ"إلى"، فإنّ انتقال الصلة[5] للتضمين.[6] ثمّ اعلم أنّ المصنِّف ذكر أوّلًا أنّ المراد: تشبيه ما اعتمد عليه الكافر، وتكلّم في ذلك. ثمّ أشار بقوله: (ولقائل) إلى أنّه يجوز أن يقال: الغرض تشبيه الكافر حال نسبته[7] إلى المؤمن بالعنكبوت حال نسبته إلى مَن يَبني بَيْتًا حصينًا. ثمّ شرَع في تفسير ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ﴾ بقوله: (وكما)، يعني: لمّا شبّه هذا النسبة كأنّه قال: لا شكّ أنّ أوهن البيوت بيت العنكبوت، فيلزم أن يكون أضعف الأديان دين المشركين. وقوله: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ متعلّق بهذا، فكأنّه قال: أضعف الأديان دينهم، لو كانوا يعلمون.

قوله: (بيتًا) بدل مِن الضمير المنصوب، و(بيتًا) الثاني صفة له، أي: بيتًا كائنًا بعد بيتٍ، أو نقول: الأوّل: حال مِن الضمير، والثاني: صفة له[8] كما مرّ.

قوله: (حيث لم يُجعل) لعدم العلم والقدرة.

---

[1] ف ن: بالياء.
[2] ن: يعني.
[3] ن: التضمين.
[4] ن: البنى.
[5] ف + التي؛ ن - الصلة.
[6] ن: التضمين.
[7] ن: نسبيه.
[8] ن - له.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فيه تَجهيلٌ لهم حَيث عبَدُوا ما لَيسَ بشيءٍ؛ لأنه جَمادٌ ليس مَعه مُصَحِّحُ العِلْم والقُدْرَة أَصْلًا، وتَركُوا عبَادةَ القادِرِ القاهِر على كلِّ شيءٍ ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الَّذي لا يَفعَل شيئًا إلَّا بِحكمةٍ وتَدبيرٍ.

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾

كان الجَهلةُ والسُّفَهاء من قرَيْشٍ يقُولونَ: إنَّ رَبَّ محمَّدٍ يَضرِبُ المثَلَ بالذُّبابِ والعَنكبُوتِ، ويَضْحَكُون من ذلك، فلِذلك قال: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ أي: لا يَعْقِلُ صِحَّتَها وحُسْنَها وفائدَتَها إلَّا هم؛ لأنَّ الأَمْثَالَ والتَّشبيهَاتِ إنَّما هي الطُّرقُ إلى المعاني المُحتجَبةِ في الأَسْتَار حتى تُبرِزها وتَكشِفَ عنها وتُصَوِّرَها للأَفهَام كما صَوَّرَ هذا التَّشْبيهُ الفَرْقَ بين حَالِ المُشرِك وحالِ المُوحِّد.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: أنَّه تَلا هذه الآيةَ فقال: «العَالِمُ مَن عَقَلَ عن الله، فعَمِلَ بطَاعَتِه واجْتَنَبَ سَخَطَهُ».

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بالغَرضِ الصَّحيحِ الذي هو حَقٌّ لا بَاطِلٌ، وهو أَنْ تكُونا مَساكنَ عبَادِه، وعِبْرةً للمُعتَبِرينَ منهم، ودلَائلَ على عِظَم قُدْرَتِه، ألا ترى إلى قَوله:

قوله في المتن: (﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾) في محلّ المبتدأ، خبره (فيه تجهيل)، و"حيث" بيان للتجهيل، أي: بيان / أنّ في هذا الكلام تجهيلًا لهم. [٢٦٠و]

قوله: (لأنّ الأمثال) يجوز أن يكون متعلّقًا بقوله: (لا يَعقل)، فكأنّه قال: يجهل صحّتها ويَغفُل عنها[1] غير العالمين؛ لاحتياج معرفة ذلك إلى العلم والنظر، ويجوز أن يكون متعلِّقًا بمحذوف، فإنّه لمّا ذكر أنّ صحّتها وحسنها لا يعلم إلّا العلماء أشار إلى صحّتها وحسنها، فكأنّه قال: هي صحيحة حسَنة مشتملة[2] على فوائد كثيرة؛ لأنّ الأمثال... إلخ.

---

[1] ن - عنها.

[2] ن: مشتمكة.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ونحوُه قولُه تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ [ص ٢٧/٣٨] ثُمَّ قال: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [ص ٢٧/٣٨].

﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾

"الصَّلاةُ" تكونُ لُطْفًا في ترك المَعاصي فكأنَّها ناهِيَةٌ عنها.

فإن قلتَ: كمْ مِن مُصَلٍّ يَرْتَكِبُ ولا تَنهاهُ صَلاتُه؟

قلتُ: الصَّلاةُ التي هي الصَّلاةُ عِنْدَ الله المُستَحَقُّ بها الثَّوابُ: أن يَدخُلَ فيها مُقَدِّمًا للتَّوبة النَّصُوح، مُتَّقِيًا؛ لقوله تَعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة ٢٧/٥]، ويُصَلِّيَها خَاشِعًا بالقَلْبِ والجَوارِحِ، فقَد رُوِيَ عن حَاتِمٍ: "كأنَّ رِجْلِيَّ على الصِّراط، والجنَّةَ عن يَمِيني، والنَّارَ عن يَساري، ومَلكَ الموْت مِن فَوْقي، وأُصَلِّي بَين الخَوفِ والرَّجَاءِ"، ثُمَّ يَحُوطَها بَعد أنْ يُصَلِّيَها فلا يُحْبِطَها، فهيَ الصَّلاةُ التي تَنهَى عَن الفحشاءِ وَالمُنكَرِ.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: مَن لم تَأمُرْهُ صَلَاتُه بالمعروفِ وتَنهَهُ عَن المُنكرِ لم يَزدَدْ بصَلاتِهِ من الله إلَّا بُعْدًا.

وعن الحسن رحمه الله: مَن لم تَنهَهُ صَلاتُه عن الفحشاء والمُنكرِ فَلَيْستْ صَلاتُه بصَلاةٍ، وهيَ وَبالٌ عَلَيْه.

قوله: (ثمّ قال: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [ص ٢٧/٣٨])، فقوله: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ﴾ [ص ٢٧/٣٨] في مقابلة ﴿لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

قوله: (فإن قلتَ: كم مِن مُصَلٍّ يرتكب؟) أي: يرتكب المعاصي، ولا تنهاه الصلاة عنها.

قوله: (أن يدخل) أي: المصلّي.

قوله: (ثمّ يحوطها) أي: يحفظها.

وقيل: مَن كان مُراعِيًا للصَّلاة جَرَّهُ ذلك إِلَى أَنْ يَنتَهِي عن السَّيِّئاتِ يَومًا مَّا، فقَد رُوي أنَّه قيل لرسُولِ الله صلى الله عليه وسلم: إِنَّ فُلانًا يُصَلِّي بالنَّهار ويَسْرقُ باللَّيلِ! فقَال: «إِنَّ صَلاتَه لَتَرْدَعُه».

ورُوِيَ أَنَّ فتًى منَ الأنصَار كانَ يُصَلِّي مَعَهُ الصَّلواتِ ولا يَدَعُ شيئًا مِن الفَواحِشِ إِلَّا رَكِبَهُ، فوُصِفَ له فقَال: «إِنَّ صَلاتَه سَتَنْهَاهُ» فلَم يلبَثْ أنْ تاب.

وعلى كُلِّ حَالٍ فإنَّ المُرَاعِيَ للصَّلاة لا بُدَّ أَنْ يكُونَ أَبعدَ من الفحشَاء والمُنكرِ ممَّن لا يُراعِيها، وأيضًا فكم من مُصَلِّينَ تَنهَاهُم الصَّلاةُ عن الفحشاء والمُنكَر، واللَّفظُ لا يَقتَضِي أنْ لا يَخرُجَ وَاحِدٌ من المصَلِّين عن قَضِيَّتِها؛ كما تقُولُ: "إِنَّ زَيدًا يَنهَى عن المُنكر" فَليْس غَرضُكَ أنَّه يَنهَى عن جميعِ المَنَاكِير، وإنَّما تُريد أَنَّ هذه الخَصْلةَ مَوجُودةٌ فيه وحاصِلةٌ منه من غيرِ اقتضاءٍ لِلعُموم.

﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ يريدُ: ولَلصَّلاةُ أكبَرُ من غيرها من الطَّاعَاتِ، وسمَّاهَا بذِكر الله كما قال: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة ٦٢/٩]، وإنَّما قال: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ﴾ ليَستَقِلَّ بالتَّعْلِيلِ؛ كأنَّه قال: وللصَّلاةُ أكبَرُ لأنَّها ذِكرُ الله.

أو: ولذِكْرُ الله عند الفحشاءِ والمُنكرِ ....

قوله: (فوُصف له) أي: وُصف حال ذلك الفتى الأنصاريّ للنبيّ عليه الصلاة والسلام.

قوله: (وأيضًا)... إلخ، ويرد في خاطري وجه آخر، والله أعلم؛ وهو أنّ ظاهر الآية: أنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء، ولا يقدح في ذلك عدم انتهاء المصلّي، فإنّ الصلاة تنهاه سواء انتهى هو أو لم ينته.

قوله: (وإنّما قال) أي: إنّما عدَل إلى هذه العبارة ولم يقل: وللصلاة؛ ليكون إشارة إلى التعليل.

قوله: (ليَستقِلّ) يقال: استقلّه، أي: حمله، يعني: ليكون فيه تعليل.

وذِكرُ نَهيهِ عنهما ووَعيدِه عليهما أكبَرُ، فكان أَوْلى بأَن يَنهَى من اللُّطفِ الَّذي في الصَّلاة.

وعن ابن عبَّاس وَلَذِكرُ الله إيَّاكُم برَحمته أكبَرُ من ذِكركُم إيَّاهُ بطاعتِه.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ من الخيرِ والطَّاعة فيُثِيبُكم أَحسنَ الثَّواب.

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: بالخَصْلة الَّتي هي أَحسَنُ، وهي مُقابَلةُ الخُشُونةِ باللِّينِ، والغَضبِ بالكَظم، والسَّورَةِ بالأَناةِ؛ كما قال: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون ٢٣/٩٦].

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ فأفرَطُوا في الاعتِدَاءِ والعِنَادِ، ولم يَقْبَلُوا النُّصحَ، ولم يَنفعْ فيهم الرِّفقُ، فاستَعْمِلُوا معهم الغِلْظَة.

وقِيل: إلَّا الَّذِينَ آذَوا رسُولَ الله.

وقيل: إلَّا الذين أثبَتُوا الوَلدَ والشَّريكَ، وقالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة ٥/٦٤].

وقيل: مَعناه: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ﴾ الدَّاخِلينَ في الذِّمَّة المُؤدِّينَ للجِزْيَةِ ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ فنَبذُوا الذِّمةَ ومَنعُوا الجِزْية فإنَّ أُولئكَ مُجادَلَتُهم بالسَّيف.

وعن قتَادَة: الآيةُ مَنسُوخةٌ بقَوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [التوبة ٩/٢٩] ولا مُجَادَلَة أَشَدُّ من السَّيف.

قوله: (وذكرُ نهيه) أي: نهي الله تعالى. وقوله: (فكان أولى) أي: فكان ذكر الله أولى بأن ينهى.

قوله: (والسَّورة بالأناة) سار إليه يسور سُئورًا: وثب، وساوره: واثبه، وسَورة السلطان: سَطوته واعتداؤه، وسَورة الشراب: وُثوبه في الرأس.[١] و"الأناة": الحِلم والوقار، يقال: تأنّى في الأمر واستأنّى؛ إذا اتّأد فيه وتوقّر.

---

[١] الصحاح للجوهري، «سور».

وقوله: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ من جِنسِ المُجَادَلةِ بالتي هي أَحْسنُ.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «ما حَدَّثكُم أهْلُ الكِتَاب فلا تُصَدِّقُوهم ولا تكَذِّبُوهمْ، وقُولوا: آمنَّا بالله وكُتُبه وَرُسُله، فإنْ كان باطِلًا لَم تُصَدِّقُوهم وإن كان حَقًّا لم تُكَذِّبُوهم».

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٧﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: ومِثْلَ ذلك الإِنْزال ﴿أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾؛ أي: أَنْزلنَاهُ مُصَدِّقًا لِسَائرِ الكُتُب السَّماويَّة تَحْقِيقًا لقوله: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾.

وقيل: وكمَا أنْزلنَا الكُتُبَ إلى مَن كان قَبلك أنزلنَا إليكَ الكِتابَ ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ هُم عَبْدُ اللهِ بن سَلَامٍ ومَن آمنَ معَهُ ﴿وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: مِن أَهْلِ مكَّةَ.

وقيلَ: أرَادَ بـ"الَّذين أُوتُوا الكتَابَ": الَّذين تَقدَّمُوا عَهْدَ رسُول الله مِن أَهْلِ الكتاب ﴿وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: ....

قوله: (مِن جنس)[1] فكأنّه قيل: جادِلوا بالتي هي أحسن وقولوا.

قوله: (تحقيقًا) أي: ذكره تحقيقًا، يعني: أنّ قوله تعالى: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ في معنى: أنّ كتابنا مصدّق لسائر الكتب، فقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى هذا المعنى، فكأنّه قيل: أنزلناه إنزالًا مثل ذلك الإنزال؛ وهو تصديق سائر الكتب، فيكون تحقيقًا لما ذكر كما ذكر.

قوله: (وقيل: وكما أنزلنا) فعلى هذا يكون تحقيقًا لقوله: ﴿أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾، لا لقوله: ﴿ءَامَنَّا﴾، فيكون ذلك إشارة إلى الإنزال المذكور، أي: أنزلنا إليك الكتاب إنزالًا مثل إنزال الكتاب إلى مَن كان قبلكم.

قوله: (تقدَّموا[2] عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام) أي: زمان رسول الله عليه الصلاة والسلام، "العهد" هنا بمعنى اللقاء، يقال: عهِدته بمكان كذا،

[1] ن: حلس.

[2] ن: يقدموا.

مِمَّن في عَهْدِه منهم.

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ معَ ظهُورِها وزَوالِ الشُّبْهةِ عنها إلّا المُتوغِّلُون في الكُفرِ المُصمِّمُونَ عليه.

وقيلَ: هُم كَعبُ بن الأَشرَفِ وأصحابُه.

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾

وأنتَ أُمِّيٌّ ما عَرَفك أحَدٌ قَطُّ بتلاوَةِ كِتابٍ ولا خَطٍّ.

﴿إِذًا﴾ لو كانَ شيءٌ من ذلك -أي: مِن التِّلاوةِ والخطِّ- ﴿لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ مِن أهلِ الكتابِ، وقالوا: "الَّذي نَجِدُهُ في كُتبِنَا أُمِّيٌّ لا يَكتُب ولا يَقرَأ وليس به".

أو: لَارتابَ مُشرِكُو مَكَّةَ، وقالوا: "لَعَلَّهُ تَعَلَّمَهُ أو كتَبهُ بيَدِه".

أي: لقيته، وعهدي به قريب. وقوله: (في عهده) أي: زمان النبيّ عليه الصلاة والسلام. وقوله: (منهم) أي: مِن أهل الكتاب.

قوله: (وقيل: هم كعب) عطف على قوله: (المتوغِّلون) مِن حيث المعنى، وكعب[١] بن الأشرف كان يهوديًّا كافرًا.

قوله: (وأنت أمّيّ) أشار المصنِّف بالواو في "وأنت" إلى أنّ الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ﴾ واو[٢] الحال، أي: أنزلنا إليك الكتاب، والحال أنّك أمّيّ، وهذه / الحال أفاد إنكار جحود الكافرين واستبعاده.[٣] [٢٦٠ظ]

قوله: (وليس به) عطف على قوله: (الذي)... إلخ، والباء في "به" زيادة،[٤] والضمير للأمّي،[٥] أي: ليس محمّد أمّيًّا، فكأنّهم قالوا: الذي نجده أمّيّ ومحمّد ليس أمّيًّا، فالذي نجده ليس محمّدًا.

---

١ ن: ولعب.
٢ ن: و.
٣ ن: واستعباده.
٤ ن: زائدة.
٥ ن: الأمّي.

فإن قلتَ: لمَ سمَّاهُم مُبْطِلين ولو لم يكُن أُمِّيًا وقالُوا: "ليس بالذي نَجِدُه في كُتبِنَا" لَكانُوا صَادِقين مُحِقِّين، ولَكانَ أَهلُ مَكَّة أيضًا على حَقٍّ في قولهم: "لَعَلَّه تعَلَّمَه أو كتَبه فإنَّهُ رَجُلٌ قَارِئٌ كَاتِبٌ"؟

قلتُ: سمَّاهُم مُبْطِلينَ لأنهم كفَرُوا به وهو أُمِّيٌّ بَعيدٌ من الرَّيْب؛ فكأنَّه قال: هؤلاء المُبطِلُون في كُفْرِهِمْ به لو لم يكن أُمِّيًا لارْتَابُوا أشدَّ الرَّيْبِ فحِينَ ليس بقَارِئٍ كاتِبٍ فلا وَجْهَ لارْتِيَابِهم.

قوله: (وقالوا:[1] ليس بالذي) أي: قال أهل الكتاب.

قوله: (ولكان)... إلخ، عطف على قوله: (وقالوا)... إلخ، إذ يستقيم أن يقال: لو لم يكن أمّيًا لكان أهل مكّة... إلخ، فإنّ كلّ واحد مِن التركيبين في قوّة الآخر. وقوله: (لعلّه تعلّمه)[2] في مقابلة قوله في الأوّل: (ليس بالذي).

قوله: (فلا وجه لارتيابهم)، واعلم أنّ قوله: "فلا وجه لارتيابهم" ليس كما ينبغي، وكذا اعلم أنّه لا حاجة إلى قوله: (أشدَّ الرَّيب)؛ بل الصواب أن يقال: لو لم يكن أمّيًا بل كان قارئًا لارتابوا في نبوّته،[3] فحين ليس بقارئ بل هو أمّيّ لم يرتابوا في نبوّته؛ بل كابروا وعاندوا مع علمهم بنبوّته، وهذا كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ [البقرة ١٤٦/٢]، وأمّا وجه ارتيابهم لو لم يكن أمّيًا فهو أنّ[4] إظهاره[5] المعجزة على يده كان يدلّ على نبوّته، وكونه غير أمّيّ كان يدلّ على أنّه ليس بنبيّ، فلذلك كانوا يرتابون حينئذٍ يتحيَّرون لتعارض الدليلين عندهم. ويمكن أن يقال في تحقيق كلام المصنِّف وبيان[6] صحّته: إنّه إنّما قال: "أشدَّ الرَّيبِ" لتعارض الدليلين حينئذٍ، وإنّما قال: "فلا وجه" تحقيقًا لعدم ارتيابهم، يعني: لا وجه للارتياب، فلم يرتابوا، يعني: عاندوا، ولا يريد أنّهم ارتابوا ولا وجه لارتيابهم؛ لِيَرِدَ الاعتراض على المصنِّف؛ بل كلام المصنِّف صحيح.

---

١ ن: قالوا.
٢ ن: يعلمه.
٣ ن: تبوته.
٤ ن – أن.
٥ ن: اطاره.
٦ ن: وبيات.

وشيء آخَرُ: وهُو أَنَّ سَائر الأنبياء لم يكُونوا أُمِّيينَ ووجَب الإيمانُ بهم وبما جَاؤُوا بهِ لكَونهِم مُصَدَّقِينَ من جهَةِ الحَكيم بالمُعجزاتِ، فهَبْ أنَّه قَارِئٌ كاتِبٌ فما لهُم لم يُؤمِنوا به من الوَجه الذين آمَنُوا مِنه بمُوسَى وعيسَى، على أنَّ المُنْزَلَيْنِ ليْسَا بمُعجِزَيْنِ وهذا المُنزَلُ مُعجِزٌ، فإذًا هُم مُبْطِلُون حيثُ لم يُؤمِنُوا به وهو أُمِّيٌّ، ومُبْطِلُون لو لم يُؤمِنوا به وهو غيْرُ أُمِّيّ.

فإن قلتَ: ما فَائدةُ قَوله: ﴿بِيَمِينِكَ﴾؟

قلتُ: ذكرُ اليَمين -وهي الجَارحَةُ الَّتي يُزاوَلُ بها الخَطُّ- زيادَةُ تصْويرٍ لِمَا نُفِي عنه مِن كونه كاتِبًا، ألا ترَى أَنَّكَ إذا قُلتَ في الإثبَاتِ: "رَأيتُ الأمِيْرَ يَخُطُّ هذا الكتابَ بيَمِينِه" كان أشَدَّ لإثبَاتِكَ أنَّه توَلَّى كِتْبَتَهُ، فكذلك النَّفيُ.

قوله: (وشيء آخر)... إلخ، وهذا الوجه إنّما يتأتّى[1] إذا أريد مشركو مكّة؛ لأنّ ريب أهل الكتاب إنّما هو لوجدانهم في صفة النبيّ عليه الصلاة والسلام أنّه أمّيّ، فعلى هذا ينبغي أن يكون الضمير مِن قوله: **(فما لهم لم يؤمِنوا)** لمشركي مكّة، ومِن قوله: **(آمَنوا)** لأهل الكتاب، فتأمّل. وقوله:[2] **(مِن جهة الحكيم)**[3] ذِكر الله تعالى بهذه الصفة إشارة إلى أنّ الحكمة تنافي إظهار المعجزة على يد مَن[4] ليس بنبيّ. وقوله:[5] **(على أنّ)** متعلّق بقوله: **(آمنوا)** أي: مع أنّ المنزَلين، والمراد بـ"المنزَلين": التوراة والإنجيل. وقوله: **(وهو غير أمّيّ)** يعني: على تقدير: أن لا يكون أمّيًا.

قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ﴾ يجوز[6] أن يكون إضرابًا عن قوله تعالى: ﴿لَّٱرۡتَابَ﴾ مِن حيث المعنى، فكأنّه قيل: ليس المقام مقام الارتياب، وليس بمفترًى؛ بل هو معجز بيّن الإعجاز، ويجوز أن يكون "بل" لترك الأوّل والأخذ فيما هو أهمّ، فإنّ ظهور معجزته وكونه حقًّا بأنّه آيات بيّنات في صدور الذين... أقوى وأتمّ مِن ظهوره بأنّه ليس قارئًا كاتبًا.

---

[1] ن: ينافي.
[2] ن: قوله.
[3] ن: الحكم.
[4] ن – من.
[5] ن: قوله.
[6] ن: نحو.

﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿بَلْ﴾ القُرآنُ ﴿ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ﴾ العُلماءِ به وحُفَّاظِه، وهُما مِن خصَائصِ القرآنِ: كونُ آيَاتِه بيِّنَاتِ الإعجازِ، وكونُه مَحفوظًا في الصُّدور يَتْلُوه أكثَرُ الأُمَّةِ ظاهِرًا، بخلافِ سَائرِ الكُتبِ فإنَّها لم تكُن مُعجزاتٍ وما كانَتْ تُقرَأُ إلَّا مِن المصَاحِف، ومنه ما جاء في صفةِ هذِه الأمَّة: "صُدورُهم أنَاجِيلُهم".

﴿وَمَا يَجْحَدُ﴾ بآياتِ الله الواضِحَةِ إلَّا المُتوَغِّلونَ في الظُّلم المُكابِرُونَ.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾

قوله: (وهما مِن خصائص) "هما" عائد إلى ما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ﴾، ثمّ بيّن ذلك بقوله: (كونُ) و(كونُه)، فـ"كونُ"... إلخ بدل[١] مِن "هما".

قوله: (يتلوه) أي: يقرؤه.

[٢٦١و] قوله: (ظاهرًا) استظهر الشيء: حفظه وقرأه ظاهرًا. وقوله: / (إلّا مِن المصاحف) أي: إلّا مِن الكُرّاسة، قال المطرّزي في المُغرب: «الصحيفة: قطعة قِرطاس مكتوب، وجمعها: صُحُف، وقد جعلها محمّد بن الحسن الشيبانيّ رحمه الله[٢] اسمًا لغير المكتوب في قوله: 'فإن كانت السرقة صحفًا ليس فيها كتاب'،[٣] أي: مكتوب، والمصحف: الكُرّاسة، وحقيقتها: مجمع الصحف».[٤]

قوله: (أناجيلهم) فكما كان كتاب النصارى مُثبتًا محفوظًا في إنجيلهم، كذلك كتاب المسلمين مُثبَتٌ محفوظ في صدورهم.

---

١ ن: يدل.
٢ د – رحمه الله.
٣ الأصل لمحمّد بن الحسن، ٢٦٢/٧.
٤ المُغرب للمطرّزي، «صحف».

قرئ: ﴿آيةٌ﴾ و﴿ءَايَٰتٌ﴾.

أرَادُوا: هَلَّا أُنزلَ عليه آيةٌ مثلُ ناقةِ صالحٍ ومَائدةِ عيسى ونحوِ ذلك.

﴿إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ يُنْزِلُ أيَّهَا شاء، ولو شاء أنْ يُنْزِلَ ما تَقتَرِحُونَه لَفعَلَ ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ كُلِّفْتُ الإنْذَارَ وإبَانَتَهُ بما أُعْطِيتُ من الآياتِ، وليس لي أنْ أَتخيَّرَ على الله آياتِه فأقُولَ: "أَنْزِلْ عَلَيَّ آية كَذَا دون آيةِ كذَا" مَع عِلمي أَنَّ الغَرض منَ الآيةِ ثبُوتُ الدَّلالة، والآيَاتُ كُلُّهَا في حُكمِ آيةٍ واحِدة في ذلكَ.

ثمَّ قال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ آيةً مُغنِيَةً عن سَائر الآياتِ -إنْ كانُوا طَالِبِينَ للحَقِّ غيْرَ مُتعَنِّتِينَ- هذا القُرآنُ الَّذِي تَدُومُ تِلاوَتُه عَلَيْهم في كلِّ مكانٍ وزَمانٍ، فلا يزَالُ

قوله: (قرئ: ﴿ءَايَٰتٌ﴾ و﴿ءَايَٰتٌ﴾)[1] أي: في قوله: ﴿ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾.

قوله: (أن أتخيَّر) التخيّر والاختيار: الاصطفاء،[2] وإنّما قال: على الله؛ لأنّ في تعيين بعض الآيات في الطلب نوع استعلاء. وقوله: (آيةَ كذا دون آية كذا) أي: هذه المعجزة دون تلك المعجزة. وقوله: (مع علمي) حال مِن الضمير في "أتخيَّر" أو[3] "أقول". وقوله: (في ذلك) أي: في ثبوت الدلالة.

قوله: (أو لم يكفِهم آيةً مُغنيَةٌ) إن قرئ: "آيةٌ" بالرفع فهو فاعل "يَكْفِ"، وقوله: (هذا القرآن) بدل مِنه، وإن قرئ بالنصب فهو حال مِن "هذا القرآن" مقدَّم عليه.

قوله: (إن كانوا) جوابه محذوف، يدلّ عليه قوله: "أوَ لم يَكفهم"؛ لأنّه في معنى: كفاهم، فكأنّه قال: إن كانوا طالبين للحقّ كفاهم القرآن آيةً.

قوله: (فلا يزال) الفاء للسببيّة، فهو مُسبَّب عن قوله: (تدوم)... إلخ، وليس عطفًا عليه، لأنّ "تدوم"... إلخ صلة "الذي"، وهذا لا يصلح[4] أن يكون صِلة له؛ إذ لا ضمير فيه.

---

[1] قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف وشعبة بالتوحيد، وقرأ الباقون بالجمع. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٤٣/٢.

[2] ف: والاصطفاء؛ ن: الاصطفار.

[3] ن: و.

[4] ن: لا يصح.

معَهم آيةً ثابتةً لا تزُولُ ولا تَضمَحِلُّ كما تَزُولُ كُلُّ آيةٍ بَعْد كَونها، وَتكُونُ في مَكانٍ دُونَ مكَانٍ ﴿إِنَّ فِي﴾ مثلِ هذه الآيةِ الموجُودةِ في كُلِّ مكانٍ وزمَانٍ إلى آخِر الدَّهر ﴿لَرَحْمَةً﴾: لنِعْمَةً عَظِيمةً لا تُشكَرُ وتَذكرةً ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

وقيل: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ يَعني: اليهُودَ ﴿أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ بتَحْقِيقِ ما في أيديهم مِن نَعْتِكَ ونَعْتِ دِينِكَ.

وقيل: إنَّ ناسًا من المُسلمين أَتَوا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم بكَتِفٍ قَد كتَبُوا فيها بَعضَ ما يَقُولُ اليهُود، فلمَّا أن نَظَرَ إلَيها ألْقَاهَا وقال: «كفَى بها حمَاقةَ قَوْمٍ -أو: ضَلالةَ قَومٍ- أن يَرغَبُوا عمَّا جَاءهُم بهِ نَبيُّهُم إلى ما جاء به غَيرُ نبيِّهِم» فنَزلَتْ. والوجهُ ما ذَكَرْنَا.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ أَنِّي قَدْ بَلَّغتُكُم ما أُرسِلتُ به إلَيكُم وأَنذَرتُكُم، وأنَّكُم قابَلْتُموني بالجَحْدِ والتَّكذِيبِ.

﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فهو مُطَّلِعٌ على أَمْرِي وأمْرِكُم، وعَالمٌ بحَقِّي وباطِلِكُم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾... إلخ، تحقيقٌ وبيانٌ لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾... إلخ؛ لأنّه في معنى: كفاهم، فكأنّه قيل: كفاهم لأنّ في ذلك. وقوله: (ولا[1] تضمحِلُّ) اضمحلّ الشيء إذا ذهب. وقوله: (بعد كونها)[2] أي: بعد ثبوتها.

قوله: (كفى بها حماقة) "بها" فاعل "كفى"، والباء فيه[3] زائدة، والضمير فيه مبهم، يفسّره[4] قوله: (أن يَرغبوا)... إلخ. وقوله: (حماقة قوم) نصب على التمييز.

قوله: (والوجه) إشارة إلى أنّ المختار هو الوجه الأوّل، دون الوجهين الأخيرين.

قوله: (شهيدًا أنّي) أي: بأنّي، أو على أنّي. وقوله: (مِنكم) بيان "الذين".

---

[1] ف: لا.
[2] ن: لونها.
[3] ن: قيه.
[4] ن: تفسيره.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ منكم وهو ما تعبُدُون من دون اللهِ ﴿وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ﴾ وآياتهِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ المَغبُونونَ في صَفقَتِهم حَيث اشتَرَوا الكُفرَ بالإيمانِ، إلَّا أنَّ الكلامَ ورَد مَوْرِدَ الإنصَافِ كقَوله: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ ٢٤/٣٤]، وكقَول حَسَّان:

فَـشَـرُّكُـمَـا لِـخَـيْـرِكُـمَـا الـفِـدَاءُ

وَرُوي أَنَّ كعْبَ بن الأَشرف وأصحَابَه قالُوا: يا محمَّدُ، مَن يشهَدُ لك بأنَّك رسُولُ اللهِ؟ فنزلَتْ.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

كان استعجالُ العَذاب استهزاءً مِنهُم وتكْذِيبًا، والنَّضرُ بن الحَارث هو الَّذي قال: "اللّٰهُم أَمطِرْ عَلينا حجَارةً من السَّماء" كما قال أصحَابُ الأَيْكَةِ:

قوله: (إلّا أنّ الكلامَ)[1] استثناء منقطع، متعلِّق مِن حيث المعنى بقوله: (مِنكم)، يعني: أنّ التقدير: الذين آمنوا بالباطل مِنكم، لكن لم يذكره؛ بل حذَفَه؛ لوروده مورد الإنصاف، و"مِن" في "مِنكم" للبيان، وهي التي تسمَّى[2] التجريديّة، فالمعنى: أنتم الذين آمنتم بالباطل وكفرتم بالله الخاسرون.

قوله:

(فشـرُّكـمـا لـخَـيـركـمـا الـفِـداءُ)

أوّله:

أتـهـجـوه ولـسـت لـه بـنـدٍّ[3]

"النِّدُّ": المِثل.

قوله: (أصحاب[4] الأيكة) هم قوم شعيب أهل مَدين، وكانوا يسكنون[5] أيكة،

---

[1] ن – أنّي. وقوله: (منكم) بيان "الذين". قوله: (إلا أنّ الكلام).

[2] د: يسمّى.

[3] ديوان حسّان بن ثابت، ١٨/١.

[4] ن: وأصحاب.

[5] ن: يسلنون.

﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الشعراء ٢٦/١٨٧].

﴿وَلَوۡلَآ أَجَلٞ﴾ قد سَمَّاهُ اللهُ وبيَّنَه في اللَّوْحِ لِعَذابِهِم وأَوْجَبَتِ الحكمةُ تأخيرَهُ إلى ذلك الأجَلِ المُسمَّى ﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ عَاجِلًا، والمُرادُ بالأجَلِ: الآخرةُ؛ لِمَا رُوِيَ: أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ وعَدَ رسُولَ اللهِ أَنْ لا يُعَذِّبَ قومَهُ ولا يَسْتأصِلَهُم، وأَن يُؤَخِّرَ عذابَهُم إلى يَوم القيامة.

وقيل: يومُ بَدْرٍ، وقيل: وقتُ فَنائِهِم بآجَالِهِم.

﴿يَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٤ يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٥٥﴾

﴿لَمُحِيطَةُۢ﴾؛ أي: سَتُحيطُ بهم ﴿يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾.

أو: هي مُحيطةٌ بهمْ في الدُّنيا؛ لأنَّ المعَاصيَ التي تُوجِبُهَا مُحِيطَةٌ بهم،

أي: غَيضةً وأَجمةً. و"الكِسْفة": القطعة مِن الشيء، يقال: أعطني كِسْفةً مِن ثوبك، والجمع: كِسْفٌ وكِسَفٌ.[1]

قوله: (بـ"الأجل": الآخرة)[2] أي: الحياة الآخرة، فعلى هذا المراد بـ"الأجل": جميع المدّة مِن وقت دخول أهل الجنةِ الجنةَ وأهل النارِ النارَ إلى ما لا نهاية له، فالمعنى: لولا زمان معيّن قد عيَّنه الله تعالى لعذابهم لجاءهم العذاب / في الدنيا عاجلًا، واللام في "لما روي" متعلِّق بقوله: (المراد)، يعني: والدليل على أنّ المرادَ الآخرة: هذا الحديث.[3] [٢٦١ظ]

قوله: (لأنّ المعاصي) فعلى هذا يكون مِن إقامة المسبّب مُقام السبب؛ لأنّ إحاطة المعاصي[4] سبب إحاطة[5] جهنم.

---

١ ن: لسف ولسف. | الصحاح للجوهري، «كسف».

٢ ن: إلى آخره.

٣ قال الزيلعي: «غريب، ويخالفه ما رواه الحاكم في كتابه المستدرك في الفتن من حديث سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن موسى قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: 'إنّ أمّتي أمّة مرحومة، ليس عليها في الآخرة عذاب، إنّما عذابها في الدنيا الزلازل والقتل والبلاء' انتهى، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرّجاه». تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي، ٣/٥٠. وانظر: المستدرك للحاكم، ٤/٢٨٣ (٧٦٤٩).

٤ ن: الماصي.

٥ ن: إحاطته.

أو لأَنَّها مآلُهم ومَرْجِعُهم لا محَالةَ فكأنَّها السَّاعَةَ مُحيطةٌ بهِم، و﴿يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ﴾ على هذا منصُوبٌ بمُضمَرٍ؛ أي: يوْمَ يَغشاهُم العَذابُ كان كيْتَ وكيْتَ.

﴿مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ﴾ كقوله: ﴿لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٌ﴾ [الزمر ١٦/٣٩].

﴿وَيَقُولُ﴾ قرئَ بالنُّونِ والياءِ.

﴿مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾؛ أي: جَزاءَه.

﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾

مَعنى الآيَة: أَنَّ المُؤمِنَ إذَا لم يَتَسَهَّلْ له العِبَادَةُ في بَلَدٍ هو فيه ولم يتَمشَّ له أَمْرُ دِينه كما يُحِبُّ فَليُهاجِرْ عنه إلى بَلَدٍ يُقَدِّرُ أَنَّه فيه أَسْلمُ قَلْبًا وأَصَحُّ دينًا وأكثَرُ عِبَادَةً وأَحْسَنُ خُشوعًا، ولعَمْري إنَّ البِقَاعَ تَتفاوتُ في ذلك التَّفاوُتَ الكثِيرَ، ولقَد جَرَّبْنَا وجَرَّبَ أَوَّلُونا فلم نَجِدْ فيما دُرْنَا ودَارُوا أَعْونَ عَلى قَهْرِ النَّفسِ وعِصْيَان الشَّهوَةِ، وأَجْمعَ للقَلْبِ المُتَلفِّتِ، وأضمَّ للهمِّ المُنتشِر، وأحَثَّ على القنَاعَةِ، وَأَطْرَدَ للشَّيطَانِ، وأبعَد من كثيرٍ من الفِتنِ، وَأَضبَطَ للأَمْر الدِّينيّ في الجُملَة= من سُكْنَى حَرَم اللهِ، وجوَارِ بَيْتِ اللهِ، فلِلّه الحَمْدُ عَلى ما سَهَّلَ مِن ذلك وقرَّبَ، ورَزَقَ من الصَّبْرِ، وأَوْزَعَ مِن الشُّكر.

قوله: (أو لأنّها مآلهم) عطف على قوله: (لأنّ المعاصي)، فعلى هذا يكون تسمية الشيء بما يئول إليه. وقوله: (على هذا) يعني به: الوجهين الأخيرين، وإنّما أفرده؛ لأنّ المعنى: بهما الإحاطة في الدنيا بأحد المعنيين المذكورين، وأمّا على الوجه الأوّل فقد صرّح بأنّه متعلّق بقوله: "مُحيطة"، حيث قال: (ستحيط بهم يوم يغشاهم).

قوله: (في الجملة) إنّما قال: "في الجملة"؛ لأنّ الكلمات الأولى كانت بطريق التفصيل.[١]

قوله: (وأوزَعَ مِن الشكر) استوزَعْتُ الله فأوزعني، أي: استلهمته فألهمني.

---

١ ف: التفضيل.

وعن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم: «مَن فَرَّ بدِينهِ من أَرْضٍ إلى أرْضٍ وإن كان شبْرًا منَ الأرضِ استَوجَبَ الجَنَّةَ، وكان رفِيقَ إبراهيمَ ومُحمَّدٍ».

وقيل: هي في المُستَضعَفين بمكّةَ الّذينَ نزَلَ فيهم ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ [النساء ٩٧/٤] وإنَّما كان ذلك لأنَّ أمْرَ دِينِهم ما كانَ يَستَتِبُّ لهم بينَ ظَهْرانَي الكَفَرة.

﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ﴾ في المتكلِّم نحوُ: "إيَّاهُ ضَرَبتُه" في الغائب و: "إيَّاكَ عَضَّتْكَ" في المخَاطَب، ....

قوله: (وإن كان شِبرًا) أي: وإن كان ما بين الأرضين شِبرًا.

قوله: (وقيل) عطف على قوله: (معنى الآية).

قوله: (وإنّما كان ذلك) يجوز أن يكون "كان" تامّة، واللام في "لأنّ" متعلِّقًا به، أي: إنّما ثبت وجوب الهجرة أو ورود الأمر بالهجرة؛ لأنّ أمر دينهم، ويجوز أن يكون ناقصة، أي: إنّما كان وجوب الهجرة حاصلًا؛ لأنّ أمر دينهم، والحاصل أنّ المصنِّف قال: "ذكر بعضهم أنّ هذه الآية نزلت في المستضعَفين بمكّة"، ثمّ قال: "وإنّما نزلت فيهم؛ لأنّه لم يتسهّل لهم العبادة فيها"، فيئول معنى الآية إلى ما ذكرنا أوّلًا.

قوله: (يَستَتِبُّ)[١] استتَبَّ له الأمر: تهيّأ واستقام. وقوله:[٢] (بين ظهرانَي الكفرة)[٣] أي: بين الكفرة، و"الظهران" مُقحمة زائدة، يقال: هو نازل بين أظهرهم[٤] وظَهرانَيهم، بفتح النون لا بكسرها.[٥] وأصل ذلك: أنّ القوم إذا أرادوا[٦] حفظ شخص ودفع العدوّ عنه أحاطوا به وتوجّهوا إلى العدوّ، فيكون المحفوظ بين أظهرهم، ثمّ عمَّ استعماله.[٧]

---

١ ن + أي.
٢ ن: قوله.
٣ ن: الكفر.
٤ ن: اظرهم.
٥ الصحاح للجوهري، «ظهر».
٦ ن: رادوا.
٧ في ف ن وقعت هذه الحاشية متقدّمة على سابقتها.

والتقديرُ: فإيَّايَ فَاعبُدُوا فَاعبُدُونِ.

فإن قلتَ: ما معْنَى الفَاء في ﴿فَٱعْبُدُونِ﴾ وتَقْدِيم المفعُولِ؟

قلتُ: الفاءُ جَوابُ شرطٍ محذُوفٍ؛ لأنَّ المعْنَى: إنَّ أَرْضِي واسِعَةٌ فإن لم تُخلِصُوا العبَادةَ لي في أَرْضٍ فاخْلِصُوها لي في غَيْرِهَا، ثمَّ حُذِفَ الشَّرطُ وعُوِّضَ من حَذفهِ تقْديمُ المفعُولِ مع إفَادةِ تقديمهِ مَعنى الاختِصاصِ والإخلاص.

قوله: (ثمّ حذف الشرط) فلمّا حذف الشرط قُدّم مفعول ﴿فَٱعْبُدُونِ﴾ الذي هو الجزاء عوضًا عن الشرط المحذوف، وأدخل الفاء الذي كان في الشرط في هذا المفعول المقدَّم، وأمّا الفاء الذي كان في الجزاء فهو مقدّر مع الجزاء كما ذكره المصنِّف قبل السؤال، فتأمّل. والفاء الثالث لتكرير الجزاء، فتأمّل. واعلم أنّ الفاء في "فإن لم تُخلِصوا" فاء السببيّة، وفي "فأخلصوا" للجزاء، ولمّا حذف الشرط لزم اجتماع الفاءين، فقدّم المفعول عوضًا عن الشرط وفصلًا بين الفاءين، فهو قريب ممّا مرّ في ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [هود ١١/١١١]، حيث زاد "وإمّا" فصلًا بين اللامين، فإنّ اللام الأولى: هي التي تُزاد في خبر "إنّ"، واللام الثانية: هي التي يُتلقّى به القَسم، كما كتبنا[١] قبلُ في سورة هود على الحاشية، بخلاف ما ذكره المصنِّف هناك في[٢] المتن، وقد ذكرنا ضعف ما ذكره هناك، وهذان الفاءان هما اللتان / في قول المصنِّف: (فإيّاي فاعبدوا)، فقوله: [٢٦٢و]
"فاعبدوا" هو جزاء الشرط، وأمّا (فاعبدونِ) فتكرير للجزاء تأكيدًا، ولذا قال المصنِّف: (والتقدير: فإيّاي فاعبدوا[٣] فاعبدونِ)، وإنّما احتيج إلى تقدير الجزاء -وهو "فاعبدوا"- ولم يُستغنَ عنه بقوله: "فاعبدونِ"، إذ لا يمكن نصب "إيّاي" به لأنّه أخذ مفعوله، فظهر لك معنى الفاءات الثلاث بتوفيق الله تعالى، فظهر لك أنّ تقديم[٤] المفعول أفاد ثلاث فوائد: الاختصاص والتعويض والفصل بين الفاءين، والحمد لله على التوفيق.

---

١ ن: لتبنا.
٢ ن: و.
٣ ن: فاعبدو.
٤ ن: تقدّم.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٥٧﴾

لمَّا أمَرَ عبَادَهُ بالحرْصِ على العبَادةِ وصِدْقِ الاهتِمام بها حَتَّى يتَطَلَّبوا لها أوفقَ البلاد وإنْ شَسَعتْ، أتبَعهُ قولَهُ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾؛ أي: وَاجِدَةٌ مَرارَتَهُ وكَرْبَهُ كما يَجِدُ الذَّائِقُ طَعْمَ المَذُوقِ، ومعْناهُ: إنَّكم مَيِّتُونَ فوَاصِلونَ إلى الجزاءِ، ومَن كانت هذه عَاقبَتُه لم يَكُنْ له بُدٌّ مِن التَّزوُّد لها والاستِعدادِ بجُهْدِه.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ۝٥٨﴾

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾: لَنُنزِلَنَّهُم ﴿مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ عَلاليَّ، وقرئ: ﴿لَنُثْوِيَنَّهُم﴾ مِن الثَّواء، وهو النُّزُول للإقامةِ، يُقال: "ثَوَى في المَنْزِلِ وأَثْوَى" و"أَثْوَى غيرَهُ"، و"ثَوَى" غيرُ متعدٍّ، فإذا تَعدَّى بزيَادةِ همزةِ النَّقل لم يتَجاوَزْ مفْعولًا واحدًا نحو: "ذهبَ وأَذهبتُه"،

قوله: (شَسعَت) أي: بَعُدَتْ.

قوله: (أي: واجدةٌ)... إلخ، شبّه وجدان شدّة[1] الموت وكربه بوجدان الذائق طعم المذوق المرّ. ثمّ قال: ﴿ذَآئِقَةُ﴾، وأراد: واجدة الشدّة، وجعل الإضافة قرينة.[2]

قوله: (علاليّ) جمع: عِلّيَة.

قوله: (يقال:[3] ثوى) ثوى بالمكان يَثوي ثَواءً وثُويًا؛ أقام به، مثل: مضى مَضاء[4] ومُضيًا، يقال:[5] ثَويت البصرة وبالبصرة،[6] وأثويت بالمكان لغة في ثَويت، قال الأعشى:

أثــوى وقــصّــر لـيلـه لِـيُــزَوَّدا   فمضـى وأخلَـف مِـن قُتيلـةَ موعـدا[7]

و"أثويت غيري" يتعدّى ولا يتعدّى.[8]

---

[1] ن: شدت.

[2] ن – قرينة.

[3] ن: تعالى.

[4] ن: مضاقًا.

[5] ن: فقال.

[6] ن: بالبصرة.

[7] ديوان الأعشى، ص ٢٢٧.

[8] الصحاح للجوهري، «ثوى».

والوَجهُ في تَعديتهِ إلى ضميرِ المؤمنين وإلى الغُرَفِ: إمَّا إجراؤُه مُجرى: لَنُنزِلَنَّهُم ونُبَوِّئنَهُم، أو حَذْفُ الجارِّ وإيصَالُ الفِعل، أو تشبيهُ الظَّرف المؤقَّت بالمُبهَم.

وقرأ يَحيى بن وَثَّابٍ: "فنِعْمَ" بزيادة الفاء.

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٥٩﴾

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على مُفَارقة الأوْطَانِ والهِجْرة لأَجْلِ الدِّين، وعلى أذى المشْركين، وعلى المِحَن والمصَائب، وعلى الطَّامَات، وعَن المعاصي، ولم يَتوكَّلوا في جميع ذلك إلَّا على الله.

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦٠﴾

لمَّا أمَرَ رسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَن أَسْلمَ بمَكَّةَ بالهجرة خافُوا الفَقْر والضَّيْعَة، فكان يقُول الرَّجلُ مِنهم: كيفَ أَقْدُمُ بلْدَةً ليْسَت لي فيها مَعِيشَةٌ؟! فنزلتْ.

و"الدَّابةُ": كلُّ نفسٍ دَبَّت على وجْه الأرض عَقلَتْ أو لم تَعْقِل.

﴿دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا﴾: لا تُطِيقُ أن تَحمِلَه لِضَعْفِهَا عن حَمْلهِ.

﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡ﴾؛ أي: لا يَرزُقُ تلك الدَّوابَّ الضِّعافَ إلَّا اللهُ، ولا يَرزقُكم أيضًا أيُّها الأَقْوياء إلَّا هُوَ وإنْ كنتُم مُطِيقينَ لحَمْلِ أَرْزاقِكم وكَسْبِهَا؛ لأنَّه لو لم يُقْدِرْكم ولم يُقدِّرْ لكُم أسبَابَ الكَسْبِ لكُنتم أعجزَ من الدَّوابِّ التي لا تَحمِلُ.

وعن الحسن: ﴿لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا﴾: لا تدَّخِرُه إنَّما تُصْبحُ فيَرزُقها اللهُ.

وعن ابن عُيَينةَ: ليس شيءٌ يَخبَأُ إلَّا الإنسانُ والنَّملةُ والفأرةُ.

قوله: (أو تشبيهُ) يريد: أنّ نصب ﴿غُرَفٗا﴾ بتقدير "في" مع أنّه مكان غير مبهم،[1] وإنّما نصب إلحاقًا لغير المُبهم بالمُبهم.[2]

---

[1] ن: منهم.

[2] ن - بالمبهم.

وعن بَعْضهم: رَأيتُ البُلبُلَ يَحتَكِرُ في حِضْنَيْه، ويُقالُ: للعَقْعَقِ مَخابئُ إلّا أنّه يَنسَاها.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لقَولِكُم: نَخشَى الفقرَ والضَّيعَة ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما في ضَمائركم.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾

الضميرُ في ﴿سَأَلْتَهُم﴾ لأَهْل مَكَّة.

﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: فكيْفَ يُصْرَفُون عن تَوْحِيد اللهِ وأَنْ لا يُشرِكُوا به مع إقْرارِهم بأنّه خَالقُ السّماوات والأرْض.

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾

قوله: (يحتكر) احتكار الطعام: جمعه وحبسه يُتربَّص به الغلاء. وقوله:[١] (في حِضنيه) الحِضن:[٢] ما دون الإبط، وحِضنا الشيء: جانباه،[٣] وحَضَن الطائر بيضه حَضْنًا إذا جثم عليه يكنفه[٤] بحضنيه.[٥]

قوله: (مع إقرارهم) أي: كيف يُصرفون عن التوحيد وعدم الإشراك مع إقرارهم بأنّ الله تعالى خالق السماوات والأرض. فقوله: (مع إقرارهم) حال مِن واو "يصرفون"، فأشار المصنِّف إلى أنّ "أنّى" بمعنى "كيف"، والاستفهام فيه للتوبيخ والتقريع، فإنّ الإقرار المذكور صارف قويّ ومانع عظيم عن أن يصرفوا عن التوحيد، فكونهم مصروفين عنه مع المانع القويّ[٦] مظنّة تعجّب وتعجيب وإنكار وتوبيخ، والفاء في قوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ جواب شرط محذوف، كأنّه قيل -والله أعلم-: وإذا أقرّوا بذلك واعترفوا به فكيف صرفوا عنه؟

---

[١] ن: قوله.

[٢] ن: الحصر.

[٣] ن: وجانباه.

[٤] ن: يلنفه.

[٥] ن: بحضنه. | انظر: الصحاح للجوهري، «حضن».

[٦] ن – عن أن يُصرَفوا عن التوحيد، فكونهم مصروفين عنه مع المانع القوي.

قَدَرَ الرِّزْقَ وَقَترهُ بمَعْنًى: إذا ضَيَّقَهُ.

فإن قلتَ: الَّذِي رجَعَ إليه الضَّميرُ في قَولِه: ﴿وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓ﴾ هُو ﴿مَن يشاء﴾ فكأنَّ بَسْطَ الرِّزق وقَدْرَهُ جُعِلَا لِوَاحِدٍ؟

قلتُ: يَحْتملُ الوَجْهيْنِ جَمِيعًا:

أَن يُرِيدَ: "ويَقْدِرُ لمَن يَشاء" فوُضِعَ الضَّميرُ مَوضعَ "مَن يشاءُ"؛ لأنَّ ﴿مَن يشاء﴾ مُبْهَمٌ غيرُ مُعيَّنٍ فكان الضَّميرُ مُبْهَمًا مثلَهُ.

وَأن يُريد تعَاقُبَ الأَمْرَينِ على وَاحِدٍ على حَسبِ المَصْلحةِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ يَعْلمُ ما يُصْلِحُ العبَادَ وما يُفسدُهم.

﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٦٣﴾

استحمَدَ رسولَ الله عليه السلام على أنَّه ممَّن أَقرَّ بنَحو ما أَقرُّوا بهِ، ثُمَّ نفَعَه ذلك في توْحيدِ الله ونفْيِ الأَنْدادِ والشُّركاء عَنْه، ....

قوله: (إذا ضيَّقه) "إذا"[1] ظرف لمحذوف، أي: يقال: قدَر إذا ضيَّق.

قوله: (لأنَّ ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ مُبهم) متعلِّق بقوله: (أن يريد)[2] يعني: يحتمل أن يكون المراد بمَن يبسط له الرزق غير مَن يقدر له الرزق، فيكون أصل الكلام: يبسط الرزق لمَن يشاء ويقدر لمَن يشاء، فكأنَّه قيل: يبسط لبعض مِن الناس ويقدر لبعض آخر مِنهم، ثمَّ حذف "مَن"[3] الثاني، ووضع موضعه الضمير لدلالة الأوَّل عليه مِن حيث اللفظ. ولمّا كان المراد بـ"من يقدر" بعضًا كان الضمير الموضوع موضعه مبهمًا أيضًا، بخلاف الوجه الثاني، فإنَّ الضمير فيه يرجع إلى المذكور،[4] فلا يكون مبهمًا.

قوله: (استحمَدَ) أي: استحمَدَ الله تعالى رسوله، أي: طلب مِنه الحمدَ على.

---

[1] ن: وإذا.
[2] ن: يرى.
[3] ن: في.
[4] ن: المذكورين.

وَلـم يَكُـنْ إقْـرَارًا عَاطِـلًا كإقـرار المُشـركينَ، وعَلـى أنّهـم أقـرُّوا بمـا هُـو حُجَّـةٌ عَلَيْهـم، حَيـثُ نَسَبُوا النِّعمَـةَ إلى الله وقَـد جعَلُـوا العبَـادةَ للصَّـنم، ثـمَّ قـال: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ما يقُولُونَ، وما فيهِ من الدَّلَالةِ على بُطْلانِ الشِّركِ وصحَّةِ التَّوحيدِ، أو: لا يعقِلُون ما تُريدُ بِقولِك: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ولا يَفطُنُونَ لِمَ حَمِدتَ الله عِنْد مَقَالَتِهم.

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿هَٰذِهِ﴾ فيها ازدِرَاءٌ لِلدُّنيا وتَصْغيرٌ لأَمْرِهَا، وكيْفَ لا يُصَغِّرُهَا وهي لا تَزِنُ عِنْدهُ جَناحَ بَعُوضَةٍ، يُريد: ما هي -لسُرعَةِ زَوالهَا عن أَهْلِهَا ومؤتهم عَنها- إلَّا كمَا يلعَبُ الصِّبيَانُ سَاعةً ثمَّ يتفرَّقُونَ.

قوله: (وما فيه) عطف على (ما يقولون)، والضمير المجرور يعود إلى "ما يقولون"، و"مِن" بيان، ثمّ إنّ "بل" للإضراب[١] عن الأوّل، وقد يجيء لترك الأوّل[٢] والأخذ / فيما[٣] هو أهمّ، وههنا كذلك، فالله تعالى بعد ما ذكر أنّهم أقرُّوا بما يدلّ على التوحيد واستحمد النبيّ عليه الصلاة والسلام على ذلك[٤] ذكر: أنّهم لا يعلمون أنّهم أقرُّوا بما يدلّ على التوحيد، فهذا أمر كان النظر فيه أهمّ مِن النظر في إقرارهم المذكور؛ لدلالته[٥] على سخافة عقلهم، وضَعف رأيهم، وغاية جهلهم. [٢٦٢ظ]

قوله: (زوالها عن أهلها) بأن يفوتهم ما في أيديهم وهم باقون، و(موتهم عنها) بأن يموتوا ويتركوا أموالهم.

قوله: (ازدراءٌ) الازدراء: مِن الزِّراية، وهو العيب.[٦]

---

[١] ن: الاضراب.

[٢] ن - وقد يجيء لترك الأوّل.

[٣] ن: فيها.

[٤] ن - ذكر أنّهم أقرُّوا بما يدلّ على التوحيد واستحمد النبيّ عليه الصلاة والسلام على ذلك.

[٥] ن: لذلالته.

[٦] ن - قوله: (ازدراءٌ) الازدراء: مِن الزِّراية، وهو العيب.

﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ﴾؛ أي: ليسَ فيها إلَّا حَياةٌ مُستمرَّةٌ دائمةٌ خَالِدةٌ لا مَوْتَ فيهَا، فكَأنَّها في ذاتِهَا حَياةٌ.

و"الحيَوانُ": مَصْدَرُ حَيِيَ، وقيَاسُه: حَيَيَانٌ، فقُلِبت اليَاءُ الثَّانيَةُ وَاوًا كمَا قالُوا: "حَيْوَةُ" في اسْمِ رَجُلٍ، وبه سُمِّيَ ما فيه حَيَاةٌ: حيَوانًا، قالُوا: "اشتَرِ مَن المَوَتَانِ ولا تَشْتَرِ مِن الحيَوانِ".

وفي بناءِ "الحيَوان" زيادَةُ مَعْنًى ليس في بنَاء "الحَياة"، وهي ما في بنَاء فَعَلانَ من معْنَى الحَركة والاضْطرابِ كالنَّزَوَانِ والنَّغَضَانِ واللَّهَبانِ وما أشبَه ذلكَ، والحَياةُ حَرَكةٌ كما أَنَّ الموْتَ سُكونٌ، فمجيئُه عَلى بنَاءٍ دالٍّ على مَعْنى الحَركة مُبَالغةٌ في مَعنى الحيَاة، ولذلك اختيرَتْ عَلى "الحَياة" في هذا المَوضِع المُقتَضِي للمبَالَغة.

﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ فَلم يُؤْثِرُوا الحَياةَ الدُّنيَا عليها.

قوله: (وقياسه: حَيَيان) لأنَّ عينه ولامه ياء، ولا يجوز أن يكون لامه واوًا؛ إذ ليس في كلام العرب ما عينه ياءٌ ولامه واو.

قوله: (كما قالوا: حَيوة) أصل "حياة": "حَيَيَة" قلبت[1] الياء الثانية واوًا بخلاف[2] القياس.

قوله: (وبه سُمّي) أي: بسبب أنّ "الحيوان" مصدر حَيِيَ.

قوله: (والنَّغَضان) "النَّغَضان":[3] صحّ بالغين المعجمة؛ وهو تحريك الأسنان.

قوله: (اختيرت) أي: لفظة ﴿ٱلْحَيَوَانُ﴾.

قوله: (فلم يُؤْثِروا) عطف على (كانوا)، وجوابه محذوف، أي: لكان خيرًا لهم، ويجوز أن يكون في معنى التمنّي غير محتاج إلى الجواب.

---

[1] ف: قلت؛ ن: قلب.

[2] ن: لخلاف.

[3] ن: (والبغضان) البغضان.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾

فإن قلتَ: بِمَ اتَّصل قولُه: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟﴾؟

قلتُ: بمَحذوفٍ دلَّ عَليه ما وَصَفهُم به وشَرَحَ من أَمْرِهم، مَعْناه: هُم عَلى ما وُصِفُوا به من الشرك والعِناد ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ كائنِينَ في صُورَةِ مَن يُخلِصُ الدِّينَ للهِ منَ المُؤمِنينَ، حَيْثُ لا يَذكُرونَ إلَّا اللهَ ولا يَدْعُونَ معَهُ إلهًا آخَر، وفي تسميَتِهِمْ مُخلِصينَ ضَربٌ من التَّهَكُّمِ.

﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ﴾ وأمِنُوا عَادُوا إلى حَال الشِّرك.

﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾

واللامُ في ﴿لِيَكْفُرُوا۟﴾ مُحْتَمِلةٌ أن تكُونَ لامَ "كَيْ" وَكذلك في ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا۟﴾ فِيمَن قَرأهَا بالكَسْر، والمَعنى: أنَّهم يَعُودُونَ إلى شِركهِمْ ليَكُونُوا بالعَوْدِ إلى شِرْكِهِمْ كافِرِينَ بنعمَةِ النَّجاة، قَاصِدينَ التَّمتُّعَ بهَا والتَّلذُّذَ لا غَيرُ، على خِلاف ما هو عَادة المؤمِنينَ المُخلِصينَ على الحَقيقة إذَا أنْجاهُم اللهُ أن يَشكُروا نعمَةَ اللهِ في إنجَائهِم، ويَجْعَلُوا نِعْمةَ النَّجاةِ ذَرِيعَةً إلى ازدِيادِ الطَّاعَةِ لا إلى التَّمتُّعِ والتَّلذُّذِ، وأن تكُونَ لامَ الأَمرِ، وقِراءةُ مَن قَرأ: ﴿ولْيتَمتَّعُوا﴾ بالسُّكون تَشهَدُ لهُ، ونحوُه قولُه تعالى: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت ٤١/٤٠].

قوله: (دلّ) صفة محذوف.

قوله: (مِن أمرهم) "الأمر" هنا واحد الأمور، أي: شأنهم وصفتهم.

قوله: (كافرين بنعمة) فقوله: ﴿لِيَكْفُرُوا۟﴾ مِن كفران[١] النعمة، لا مِن الكفر بالله.

قوله: (على الحقيقة) وإنّما قال: "على الحقيقة" لأنّ إخلاص أولئك ليس على الحقيقة؛ بل على ظاهر الحال، وتسميتُهم بـ"مخلِصين"[٢] لضَرب مِن التَّهكُّم.

قوله: (أن يشكروا) بدل مِن قوله: (عادة[٣] المؤمنين).

---

١ ن: كقران.
٢ ن: مخلصين.
٣ ن: عاد.

فإن قلتَ: كيفَ جاز أن يأمُرَ اللهُ تعالى بالكُفر وبأنْ يَعْملَ العُصَاةُ ما شَاؤوا وهُو نَاهٍ عن ذلك ومُتوَعِّدٌ عَليه؟

قلتُ: هو مجازٌ عن الخِذلانِ والتَّخلِيَة، وأَنَّ ذلكَ الأَمْرَ مُتَسخَّطٌ إلى غايةٍ، ومِثالُه: أن تَرى الرجلَ قد عَزم على أمْرٍ وعِندك أنَّ ذلك الأمرَ خَطَأٌ وأَنَّه يُؤدِّي إلى ضَررٍ عَظيمٍ، فتُبَالِغُ في نُصْحهِ واسْتِنزالهِ عن رأيهِ، فإذا لم تَرَ منه إلَّا الإِباءَ والتَّصميمَ حَرِدْتَ عليه وقُلتَ: "أنتَ وشَأْنَكَ وافعَلْ ما شِئتَ" فلا تُريد بهذا حقِيقةَ الأَمْر، وكيفَ والآمِرُ بالشيءِ مُرِيدٌ له وأنتَ شَدِيدُ الكراهَةِ مُتحَسِّرٌ؟ وَلكنَّك كأنَّكَ تقولُ له: فإذ قد أبَيْتَ قبُولَ النَّصِيحة فأنتَ أَهْلٌ لِيُقالَ لك: "افعَلْ ما شِئتَ" وتُبعَثَ عَليه؛ ليَتبيَّنَ لكَ إذا فعَلْتَ صحَّةُ رأيِ النَّاصِح وفسَادُ رَأيكَ.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾

كانت العَربُ حَوْلَ مكَّةَ يَغْزُو بَعضُهم بعْضًا ويتغَاوَرُونَ ويتَناهبُونَ، وأَهْلُ مَكَّة قَارُّونَ آمِنُون فيهَا لا يُغزَوْنَ ولا يُغَارُ عَليْهم مع قِلَّتِهِمْ وكَثْرةِ العَربِ، فذَكَّرهُم اللهُ هذِه النِّعمة الخاصَّةَ، ووَبَّخَهُم بأنَّهم يُؤمِنُون بالبَاطِل الَّذي هم عليه،

قوله: (وأنّ ذلك الأمر) واحد الأمور. وقوله: (متسخَّط)[1] تسخَّط عطاءه، أي: استقلّه ولم يقع موقعًا. وقوله: (إلى غاية) التنكير فيها للتعظيم.

قوله: (وعندك أنّ ذلك الأمر) واحد الأمور.

قوله: (حَرِدْتَ) أي: غضبتَ.

قوله: (والآمر بالشيء مريد[2] له) هذا بناء على مذهبه.

قوله: (ولكنّك)[3] هذا استدراك مِن قوله: (فلا تريد).

---

[1] ن: متشخط.

[2] ن: يريد.

[3] ن: ولنك.

ومِثْلُ هذه النِّعمةِ المَكْشُوفةِ الظَّاهِرة وغيرِها من النِّعَم التي لا يَقْدِرُ عليها إلَّا اللهُ وَحْدهُ مَكفُورَةٌ عِنْدهُم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾

افتِراؤهُم على اللهِ كَذِبًا: زُعمُهم أنَّ لله شَرِيكًا، وتكْذِيبُهم بما جَاءهُم من الحقِّ: كُفْرهُم بالرَّسُول والكتابِ، وفي قولهِ ﴿لَمَّا جَآءَهُۥٓ﴾ تَسْفِيةٌ لهُم، يَعْني: لم يَتَلَعْثَمُوا في تكذِيبِهِ وَقتَ سَمِعُوهُ، ولم يَفْعَلُوا كمَا يَفْعَلُ المرَاجيحُ العقُولِ المُتَثَبِّتُونَ في الأمُور: يَسْمعُون الخبرَ فيَستَعملُونَ فيه الرَّوِيَّةَ والفِكْرَ، ويَستَأنُونَ إلى أنْ يَضِحَ لهُم صِدْقُه أو كَذِبُه.

قوله: (ومثل هذه النعمة)... إلخ، يجوز في "مثل" و"غير" في هذه الصورة النصب والرفع، أمّا[1] النصب فبأن[2] يكونا مع خبرهما معطوفين على اسم "أنّ" وخبره، كما تقول: عجبت[3] مِن أنّ زيدًا قائم وعمرًا قاعد، ويجوز فيهما الرفع بأن يكون الجملة عطفًا على خبر "أنّ"، وهو "يؤمنون".

قوله: (لم يتلعثموا) تلعثم في الأمر إذا تمكّث فيه وتأنّى.

قوله: (المراجيح) راجحته فرَجَحتُه، أي: كنت أرجح وأرزَن[4] مِنه[5] وأوزن،[6] وقوم مراجيح في الحلم،[7] الواحد: مِرجاحٌ.[8]

قوله: (يسمعون)[9] بيان لقوله: (كما يفعل)، كأنّ[10] سائلًا يسأل[11] فقال: كيف يفعل المراجيح العقول؟ فأجاب بقوله: "يسمعون".

قوله: (ويستأنون) أي: يتمهّلون، استأنَى في الأمر، أي: انتظر. تأنّى في الأمر

---

[1] ن: وأما.
[2] ن: بأن.
[3] ن: عجيب.
[4] ن: وأوزن.
[5] ف – منه.
[6] ن – وأوزن.
[7] د ن: الحكم.
[8] انظر: الصحاح للجوهري، «رجح».
[9] ن: يرجحون.
[10] ف: وكأنّ.
[11] ن: سادلًا سأل.

﴿أَلَيْسَ﴾ تقرِيرٌ لِثَوائِهِمْ في جَهنَّم كقَوله:

أَلَسْتُم خَيْرَ مَن رَكِبَ المطَايَا

قال بعضُهم: ولو كان استفهَامًا ما أعْطَاهُ الخَليفةُ مِئةً مِن الإبل.

وحَقِيقتُه: أنَّ الهَمزة هَمزةُ الإنكار دَخَلتْ على النَّفيِ فرجَعَ إلى مَعْنى التَّقريرِ، فهُما وَجْهَان:

أحَدُهما: أَلَا يثْوُونَ في جهنَّم وأَلَا يَسْتوجبُونَ الثواءَ فيها وقد افترُوا مِثْلَ هذا الكَذِب على اللهِ وَكذَّبُوا بالحقِّ هذا التَّكذيبَ.

والثَّاني: أَلَم يَصِحَّ عنْدَهُم أنَّ جَهنَّم مَثْوًى للكَافرين حتى اجترؤُوا مِثْلَ هذه الجُرأةِ.

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٦٩﴾

أَطْلَقَ المُجاهَدة ولم يُقيِّدْهَا بمفعُولٍ ليتنَاوَلَ كُلَّ ما يَجبُ مُجاهَدتُه: من النَّفْس الأمَّارَة بالسُّوء، والشيطانِ، وأَعْداءِ الدِّين.

﴿فِينَا﴾: في حَقِّنا، ومِن أَجْلِنا، ولِوَجْهِنا خالصًا.

واستأنَى إذا اتَّأَد[1] فيه وتوقَّر.[2]

قوله:

(ألستُم خيرَ مَن ركِب المطايا)

تمامه:

وأنْدَى العالمين[3] بطونَ راحِ[4]

وقوله: / (ولو كان) أي: البيت. وقوله: (ما أعطاه) أي: الشاعر. [٢٦٣و]

قوله: (فهما) ضمير مبهم، فسّره بقوله: (وجهان)، كما في قوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ [فصلت ١٢/٤١].

---

[1] ن: أراد. | في مطبوع المُغرب: "أناء".
[2] المُغرب للمطرّزي، «أني».
[3] ن: للعالمين.
[4] لجرير في ديوانه، ٨٩/١.

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾: لَنَزِيدَنَّهُم هِدايةً إلى سُبُلِ الخَيْر وتَوفيقًا؛ كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد ١٧/٤٧].

وعن أبي سُليمان الدَّارَانيّ رحمه الله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ﴾ فيما عَلِمُوا ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ﴾ إلى ما لم يَعْلمُوا.

وعن بعضهم: مَن عَمِلَ بما يَعْلمُ وفِّقَ لِمَا لا يَعْلمُ.

وقيل: إنَّ الذي تَرى من جَهْلِنا بما لا نَعْلمُ إنَّما هو مِن تقصيرنَا فيما نَعْلم.

﴿لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: لنَاصِرُهمْ ومُعِينُهم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأَ سُورةَ العَنكبُوتِ كان له من الأَجْرِ عَشْرُ حَسناتٍ بعدَدِ كُلِّ المؤمنين والمُنافقين».

تمّت السورة بحمد الله ومَنّه.[١]

---

[١] ف ن – تمّت السورة بحمد الله ومنه.

سورة الروم

مكيةٌ إلا قولَه: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ [الروم ١٧/٣٠]،
وهي ستُّون آيةً، وقيل: تسعٌ وخمسون.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾

القِراءةُ المشهُورةُ الكثيرةُ: ﴿غُلِبَتِ﴾ بضمِّ الغَين، و: ﴿سَيَغۡلِبُونَ﴾ بفتح الياء، و"الأرْضُ": أرضُ العَرب؛ لأن الأرض المعهُودةَ عند العَربِ أرْضُهم، والمَعنى: غُلِبُوا في أَدْنى أرضِ العَرب مِنهُم وهي أَطْرافُ الشَّامِ، ....

سورة الروم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: (والمعنى: غُلِبوا) أي: الروم. وقوله: (مِنهم) أي: مِن الروم، و"مِنهم" "مِن" صلة "أدنى"، يقال: دنا مِنه.

قوله: (وهي أطراف الشام)[1] أي: المراد بأدنى أرض العرب مِن الروم: أطراف الشام، والمراد بأرض العرب هنا: جزيرة العرب، فيُحتاج في بيان ذلك إلى معرفة حدّ الحجاز وجزيرة العرب.[2] أمّا الحجاز فقد حكى الأصحاب

[1] ن + مِن أراضي العرب.

[2] ن – فيُحتاج في بيان ذلك إلى معرفة حدّ الحجاز وجزيرة العرب.

أو أرَادَ: أَرْضَهُم، على إنَابةِ اللّامِ مَنَاب المُضاف إلَيه؛ أي: في أَدْنى أَرْضِهم إلى عَدُوِّهم.

قال مُجاهدٌ: هي أَرْضُ الجَزيرةِ، وهي أَدْنَى أَرْضِ الرُّوم إلى فارِسَ.

وعن ابن عبَّاس: الأُرْدُنُّ وفِلَسْطِينُ.

وَقُرِئَ: "في أَدَانِي الأرض".

و"البِضْعُ": ما بين الثَّلاث إلى العَشْرِ؛ عَن الأصمعي.

وقيل: احتربَتِ الرُّومُ وفَارِسُ بين أَذْرِعَاتٍ وبُصْرَى، فغَلَبَت فارِسُ الرُّومَ،

عن الشافعيّ رضي الله عنه:[١] أنّ الحجاز: مكّة والمدينة واليمامة ومخاليفُها،[٢] أي: قُراها، قيل: سُمّي حجازًا لأنّه حجز بين نجد وتهامة، وأمّا جزيرة العرب فعن مالكٍ: أنّها الحجاز واليمن وما لم يَبلغه ملكُ فارس والروم، وعن الأصمعيّ: أنّها مِن أقصى العدن إلى ريف العراق طولًا ومِن جُدّة وما والاها مِن الساحل إلى أطراف الشام عرضًا، وسبب تسميتها جزيرة: إحاطة البحار والأنهار العظيمة بها، كبحر حبشة وبحر فارس ودجلة والفرات، وكلمة جمهور الأصحاب متّفقة على أنّ الجزيرة أوسع مِن الحجاز وعلى أنّ اليمن يدخل[٣] في حدّ الجزيرة، ولا يدخل في حدّ الحجاز.

قوله: **(أو أراد)** عطف على قوله: **(و"الأرض" أرض الروم)**،[٤] والضمير مِن قوله: **(أرضهم)** يعود إلى الروم، وقول مجاهد يؤيّد هذا الوجه الأخير، والحاصل: أنّ اللام إمّا للعهد، وإمّا للعِوض مِن المضاف إليه، وتعويض اللام مِن المضاف إليه مذهب الكوفيّين.

قوله: **(قال مجاهد: هي أرض الجزيرة)** هي موضع بعينه، وهي ما بين دجلة والفرات، وليس المراد بها جزيرة العرب، فاعلم.

قوله: **(احتربت)**... إلخ، احتربوا[٥] وتحاربوا بمعنًى، و"أذرِعات": موضع بالشام،

---

١ د – رضي الله عنه.

٢ انظر: المهذّب للشيرازي، ٣٤٠/٥.

٣ ف: تدخل.

٤ في مطبوع الكشّاف: "أرض العرب".

٥ ن: احترلوا.

فبَلغَ الخبرُ مكَّةَ فشَقَّ على رَسولِ الله والمُسلمين؛ لأنَّ فارِسَ مجُوسٌ لا كتابَ لهُم والرُّومُ أهْلُ كِتابٍ، وفَرِح المُشركون وشمِتُوا وقالوا: «أنتم والنصارَى أهلُ كتابٍ، ونَحنُ وفارِسُ أُمِّيُّونَ، وقَد ظهرَ إخوَانُنا على إخوانِكُم، ولنَظْهرَنَّ نحنُ عَليكم» فَنزلَتْ، فقال لهُم أبُو بكرٍ رضي الله عنه: «لا يُقرِرُ اللهُ أعْيُنَكُم، فوَالله لتَظْهَرَنَ الرُّومُ عَلى فارِسَ بَعْد بضع سِنينَ»، فقال لهُ أُبَيُّ بنُ خَلَفٍ: "كذبْتَ يا أبَا فَصِيلٍ، اجعَل بيْننَا أجَلًا أُناحِبْكَ عَليه"، والمُناحَبةُ: المُراهَنةُ، فنَاحَبَهُ على عَشْرِ قَلائِصَ من كلِّ واحِدٍ منهما، وجَعَلَ الأجَلَ ثلاثَ سنينَ، فأخبَرَ أبُو بكرٍ رضيَ الله عنه رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم فقَال: «البِضْعُ ما بَين الثلاث إلى التِّسْعِ، فَزَايِدْهُ في الخَطَرِ ومَادَّه في الأجَلِ»، فجعَلاهَا مئَةَ قَلوصٍ إلى تسع سِنينَ.

وماتَ أُبيٌّ مِن جُرْحِ رسول الله عليه السلام، ....

وبصرى أيضًا[1] موضع بالشام يُعمل بها السيوف، قال الشاعر:

صفائح بصرى أخلَصَتْها قيونها[2]

قوله: (يا أبا فَصيل) يريد به: يا[3] أبا بكر، سمّاه بذلك استهانة بأبي بكر رضي الله عنه،[4] و"البَكر" بحسب أصل اللغة: الفتيّ مِن الإبل، والأنثى: بَكْرة، والجمع: بِكار، مثل: فَرْخ وفِراخ.[5] و"الفصيل": ولد الناقة إذا فُصل مِن أمّه، والجمع فُصلان.[6]

قوله: (قلائص) القَلوص مِن النوق: الشابّة.

قوله: (في[7] الخَطر) الخَطر: ما يُراهن عليه.

قوله: (ومات أُبيّ[8] مِن جرح) أي: أُبيّ بن خلَف، كان ضرَب رسول الله عليه الصلاة والسلام أُبيًا فجرحه، ومات أُبيّ مِن ذلك الجرح.

---

[1] ن: أقصا.

[2] للحصين بن الحمام المرّي في لسان العرب لابن منظور، «بصر»، وتمامه:

ومطّردًا مِن نسج داود مُحكما

[3] ن - يا.

[4] د - رضي الله عنه.

[5] ن: وأفراخ. | الصحاح للجوهري، «بكر».

[6] الصحاح للجوهري، «فصل».

[7] ن - في.

[8] ن: إلى.

وظَهَرت الرُّومُ عَلى فارِسَ يوْمَ الحُدَيبيةِ، وذلك عنْد رَأسِ سبع سِنينَ.

وقيل: كان النَّصْرُ يوْمَ بَدْرٍ للفَريقَين، فأخَذ أبُو بكرٍ الخَطَر من ذُرِّيةِ أُبَيّ، وجاءَ بهِ إلى رسُول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «تَصَدَّقْ بهِ».

وهذه الآيةُ من الآياتِ البَيّنةِ الشّاهدَةِ على صحَّةِ النُّبوَّة، وأنَّ القُرآنَ من عند الله؛ لأنها إنبَاءٌ عن علمِ الغَيْب الَّذي لا يَعْلمُهُ إلَّا اللهُ.

وقرئ: "غَلْبِهم" بسُكون اللام، والغَلْبُ والغَلَبُ مَصْدَران؛ كالجَلْب والجَلَبُ، والحَلْبِ والحَلَبِ.

وقرئ: "غَلَبَت الرُّوم" بالفتح و"سَيُغلَبُون" بالضم، ومَعناه: أنَّ الرُّومَ غَلَبُوا على رِيف الشّام، ....

قوله: (يوم الحدَيبية) "الحدَيبية": موضع قريب مِن مكّة، وعام الحدَيبية: هو العام الذي صَدّ المشركون فيه رسول الله عليه الصلاة والسلام عن العُمرة، وصالحوا / على [٢٦٣ظ] أن يأتي العام القابل، وكان ذلك العام سنة سِتّ مِن الهجرة، وعمرة القضاء سنة سبع، وفيها أسلم أبو هريرة، وفتح مكّة كان سنة ثمانٍ، وفيها أمَّر رسول الله عليه الصلاة والسلام عتّاب بن أَسيد على أهل مكّة، وحجّ أبو بكر رضي الله عنه[١] سنة تسع، أمَّره رسول الله عليه الصلاة والسلام على أهل الموسم،[٢] وكان حجّة الوداع سنة عشر.

قوله: (للفريقين) أحد الفريقين: المؤمنون، نصرهم الله على المشركين يوم بدر، والفريق الثاني: أهل الكتاب، نصرهم الله في ذلك اليوم على أهل الشرك.

قوله: (الخَطر مِن ذريّة)[٣] "الخطر": السَّبَق الذي يتراهن[٤] عليه، وقد أخطر المال، أي: جعله خَطرًا بين المتراهنين.[٥] والسَّبَق -بفتحتين-: الخطر الذي يوضع بين أهل السِّباق.[٦]

قوله: (على ريف) الرّيف:[٧] أرض فيها زَرعٌ وخِصب.

---

١ - رضي الله عنه.
٢ ف - على أهل الموسم.
٣ د ن: ذرّيّه.
٤ ن: يراهن.
٥ الصحاح للجوهري، «خطر».
٦ الصحاح للجوهري، «سبق».
٧ ن: (زيف) الزيف.

وسَيَغْلِبُهُم المُسْلمون في بِضْع سِنينَ، وعِند انقضاءِ هذه المُدَّة أَخَذ المسلمُونَ في جهَاد الرُّوم.

وإضافَةُ ﴿غَلَبِهِمْ﴾ تَخْتَلفُ باختلاف القراءتينِ، فهَي في إِحْدَاهُما إضافةُ المصْدَر إلى المَفعُول، وفي الثانية إضَافتُه إلى الفاعِل، ومِثالُهما ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ [البقرة ٢/٨٥] ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الحج ٢٢/٤٧].

فإن قلتَ: كيْفَ صحَّتِ المُناحَبةُ وإنَّما هي قِمارٌ؟

قلتُ: عن قتَادةَ رحمه الله أنَّه كان ذلك قَبْلَ تحريم القِمار، ومِن مذهب أبي حنيفة ومحمَّدٍ رحمه الله: أنَّ العقُودَ الفَاسِدةَ من عقُود الرِّبا وغَيْرِها جائزةٌ في دارِ الحَرْب بين المُسلمين والكُفَّارِ، وقَد احتَجَّا عَلى صِحَّةِ ذلك بما عقَدهُ أبو بكر رضي الله عنه بَيْنَهُ وبَين أُبيّ بن خَلَفٍ.

﴿مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾؛ أي: في أَوَّلِ الوَقْتين وفي آخِرهما حِينَ غُلِبُوا وحِين يَغْلِبُون؛ كأنَّه قِيلَ: مِن قَبْلِ كونهم غَالِبينَ وهو وَقتُ كَونِهم مَغْلُوبِينَ، ومِن بَعْدِ كَونهم مَغلُوبينَ وهو وقتُ كَوْنِهِم غَالِبينَ، يَعْني: أَنَّ كَونهُم مَغْلُوبِينَ أوَّلًا وغَالِبين آخِرًا ليس إلَّا بأمر اللهِ وقضَائهِ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران ٣/١٤٠].

قوله: (﴿إِخْرَاجُهُم﴾ [البقرة ٢/٨٥]) مضاف إلى المفعول. وقوله: (﴿وَعْدَهُ﴾ [الحج ٢٢/٤٧]) مضاف إلى الفاعل.

قوله: (وقد احتجَّا) يمكن أن يُجاب عن هذا الاحتجاج بأنَّ النبيّ عليه الصلاة والسلام لمَا أمَر أبا بكر رضي الله عنه[1] بأن يتصدّق بذلك الخَطر دلّ[2] ذلك على أنّه لم يكن ذلك الخَطر حلالًا له؛ بل هو مال حربيّ ظفِر به، فيصرِفه إلى الصدقة.

قوله: (ويَحِلُّ) مِن: حلَّ الدَّينُ يَحُلُّ؛ وجب ولزمه أداؤه.

قوله: (حين)... إلخ، بدَل مِن قوله: (في أوّل)... إلخ.[3]

---

[1] د - رضي الله عنه.

[2] ن + على.

[3] ن - قوله: (حين)... إلخ، بدل من قوله: (في أول)... إلخ.

وَقُرِئَ: "مِن قَبْلٍ ومِن بَعْدٍ" عَلى الجَرِّ من غَير تَقديرِ مضَافٍ إليه واقتِطَاعِه، كأنَّه قيل: "قبْلًا وبَعْدًا" بمَعنى: أوَّلًا وآخِرًا.

﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ ويَومَ تَغلِبُ الرُّومُ عَلى فارِسَ ويَحِلُّ ما وعَدهُ اللهُ مِن غلَبتِهم ﴿يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ وتَغْليبهِ مَن له كِتابٌ عَلى مَن لا كِتابَ له، وغَيْظِ مَن شَمِتَ بهم مِن كفَّار مَكَّة.

وقيل: "نصرُ الله": هو إظهارُ صِدْقِ المُؤمِنينَ فيما أَخبَرُوا بهِ المُشرِكينَ من غَلَبةِ الرُّوم.

وقيل "نَصرُ الله": أنَّه وَلَّى بعْضَ الظَّالمينَ بعْضًا وفَرَّقَ بيْنَ كَلِمِهم حَتَّى تفَانَوا وتناقَضُوا وفَلَّ هؤلاء شوْكَةَ هَؤلاء، وفي ذلك قُوَّةٌ للإسلامِ.

وعن أبي سعيد الخُدريِّ رضي الله عنه: وافقَ ذلك يومَ بَدْرٍ، وفي هذا اليَوْمِ نُصِرَ المُؤمنونَ.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ يَنصُر عَليْكُم تارَةً ويَنصُركم أُخرَى.

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ مَصْدَرٌ مُؤكِّدٌ كقَولك: "لكَ عَليَّ أَلْفُ درهَمٍ عُرفًا" لأنَّ مَعْناه: أَعتَرِفُ لكَ بها اعتِرافًا، و: وَعَد اللهُ ذلك وَعْدًا، لأنَّ ما سبَقهُ في مَعنى وَعَد.

ذَمَّهُم اللهُ عزَّ وجلَّ بأنَّهم عُقلاءُ في أمُور الدُّنيَا بُلْهٌ في أمُور الدِّين، وذلك أنهُم كانُوا أصحَابَ تجَارَاتٍ ومَكاسبَ.

قوله: (ولَّى بعض الظالمين) فإنّ أهل الروم وأهل فارس كانوا ظالمين.

قوله: (لأنّ معناه: أعترف)... إلخ، الأولى[١] بيان المثال والثاني بيان الآية، فالضمير في قوله: "معناه" عائد إلى كلٍّ واحد مِن المِثال والآية، فذِكر المثالين بعد الضمير قريب مِن اللفّ والنشر.

---

[١] ن: والأولى.

وعن الحسن: بَلَغ مِن حِذْقِ أَحَدِهم أنّه يأخذُ الدِّرهمَ فيَنقُرهُ بإصْبَعِه فيَعْلَمُ أَرَدِيءٌ هُوَ أَمْ جَيِّدٌ.

وقولُهُ: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ بدلٌ من قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ وفي هذا الإبْدال من النُّكتة: أنَّه أَبْدَلَهُ منه وجَعَلهُ بحيثُ يقُومُ مقامَهُ ويَسُدُّ مسَدَّهُ ليُعْلِمَك أنَّه لا فرْقَ بيْنَ عدَم العِلْم الَّذِي هو الجهلُ وبيْنَ وجُود العلم الَّذي لا يتجَاوَزُ الدُّنيا.

وقَولُه: ﴿ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يُفِيدُ أَنَّ للدُّنيا ظاهرًا وباطِنًا، فظَاهِرُها: ما يَعْرِفُه الجُهَّالُ من التَّمتُّع بِزخَارِفِها والتَّنَعُّمِ بملاذِّها، وباطِنُها وحقيقَتُها: أَنَّها مجَازٌ إلى الآخِرة يُتزَوَّدُ منها إليها بالطَّاعة والأعمال الصَّالحة.

وفي تنكِير "الظَّاهِر": أَنَّهم لا يَعْلمُون إلَّا ظَاهِرًا وَاحِدًا من جُملةِ ظَواهِرِهَا.

و﴿هُمْ﴾ الثانيةُ يجُوزُ أن يكونَ مُبْتدأً و﴿غَٰفِلُونَ﴾ خبَرَهُ والجملةُ خبَرُ ﴿هُمْ﴾ الأولى، وأن تكُون تكريرًا للأُولى و﴿غَٰفِلُونَ﴾ خبَرَ الأُولى، وأيَّةً كانَتْ فذِكرُهَا مُنادٍ على أنَّهم مَعْدِنُ الغَفلةِ عن الآخِرة ومَقرُّهَا ومَعْلَمُها، وأنَّها منهم تَنبُعُ وإليهم تَرجِعُ.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ يحتمِلُ أن يكون ظرفًا؛ كأنَّه قيل: أَوَلم يُحْدِثُوا التَّفكُّرَ في أنفُسِهم؛ أي: ....

قوله: (فيَنْقُره)[١] هو مِن: نقَرت[٢] بالفرس نقرًا؛ وهو صُوَيت تزعجه به، وذلك أن تُلصِق لسانك بحنكك ثمّ تفتح.[٣] والمراد به ههنا: رمي الدراهم بالإصبع في الهواء بحيث يُسمع صوته عند الارتفاع في الهواء والرجوع مِنه.

قوله: (مَجاز) أي: موضع جَواز وعُبور.

---

١ ن: منهره.
٢ ن: تقرب.
٣ الصحاح للجوهري، «نقر».

في قلُوبهم الفَارغةِ من الفِكر، والتَّفكُّرُ لا يكُونُ إلَّا في القُلُوب، ولكِنَّه زيَادةُ تضويرٍ لحَالِ المتفكِّرِينَ؛ كقَولك: اعتَقِدْهُ في قلبِكَ وأضمِرْهُ في نَفْسِك، وأنْ يكُونَ صِلةً للتَفكُّر؛ كقَولك: تفكَّرَ في الأَمْرِ وأجَالَ فيه فِكرَهُ.

و﴿مَا خَلَقَ﴾ مُتعلِّقٌ بالقَول المَحذُوفِ، مَعْناهُ: أوَلم يتفكَّروا فيقُولُوا هذا القَولَ.

وقيل: مَعْناهُ: فيَعْلمُوا، لأنَّ في الكلامِ دَليلًا عَليْه.

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ أي: ما خَلقَها باطلًا وعَبَثًا بغيْر غَرَضٍ صَحيحٍ وحكْمةٍ بالِغَةٍ، ولا لِتَبقَى خالِدةً، وإنما خَلقَها مَقرُونةً بالحقِّ مَصْحُوبةً بالحِكمَة، وبتَقْدِير أجَلٍ مُسَمًّى لا بُدَّ لها مِن أن تنْتَهيَ إليه، وهو قيَامُ السَّاعَةِ وَوَقتُ الحسَابِ والثَّواب والعقَاب، ألا ترى إلى قَوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون ١١٥/٢٣] كيفَ سَمَّى تَرْكَهُم غيرَ رَاجِعين إليه عَبثًا؟

والبَاء في قوله ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ مثلُها في قولك: "دخلتُ عليه بثيَاب السَّفر" و: "اشتَرى الفرسَ بسَرْجِه ولجَامِه" تُريدُ: اشتَراه وهو مُلتَبِسٌ بالسَّرج واللِّجَام غيرُ مُنفَكٍّ عنْهما، وكذلك المَعنى: ما خَلقَها إلَّا وهيَ مُلتَبِسَةٌ بالحقِّ مُقتَرِنَةٌ بهِ.

فإن قلتَ: إذا جعَلتَ ﴿فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ صِلةً للتَّفَكُّرِ فمَا معناه؟

قلتُ: مَعْناه: أوَلم يتفكَّرُوا في أنفُسِهم الَّتي هي أَقرَبُ إليهم من غَيْرِها من المخلُوقاتِ وهم أَعْلمُ وأَخبَرُ بأَحْوالهَا منهم بأحوال ما عَداها، فيَتدبَّرُوا ما أَوْدَعَها اللهُ ....

قوله: (الفارِغة) لمّا فسّر "التفكّر" بإحداث التفكّر دلّ على خلوّ أنفسهم مِن التفكّر.

قوله: (اعتقده في قلبك) ومِنه: كتَبه بيمينه، وأبصَره بعينه.

قوله: (دليلًا عليه) فإنّ الفكر سبب للعِلم.

قوله: (مِن المخلوقات) بيان الغير. وقوله: (وهم أعلم) عطف على صلة "التي".

قوله: (ما أودعها) "أودع" يتعدّى إلى مفعولين، فيجوز أن يكون الضمير

ظَاهِرًا وباطنًا من غرَائبِ الحِكَمِ الدَّالةِ على التَّدبير دون الإهمال، وأنَّه لا بُدَّ لها مِن انتهاءٍ إلى وَقتٍ يُجازيها فيه الحَكيمُ -الَّذِي دَبَّر أَمْرَها- على الإحسَانِ إحسانًا وعلى الإسَاءةِ مثْلَها، حَتَّى يَعْلَمُوا عند ذلك أنَّ سائر الخلائِق كذلك أَمْرُها جَارٍ على الحِكمة والتَّدْبيرِ، وأنَّه لا بُدَّ لها من الانتهاء إلى ذلك الوقت.

والمرَاد بـ"لِقاءِ رَبِّهم": الأجَلُ المُسمَّى.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾ تقريرٌ لسَيْرِهم في البِلادِ ونَظَرِهم إلى آثَارِ المُدَمَّرين مِن عَادٍ وثمُودَ وغَيْرِهم من الأُمَم العَاتِيَةِ.

ثم أخَذ يَصِفُ لهُم أَحوالَهُم وأَنَّهُم ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾ وحَرثوهَا، قال الله تعالى: ﴿لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ [البقرة ٧١/٢]، وقيل لبقَرِ الحَرْثِ: المِيثَرةُ، وقالوا: سُمِّي ثَورًا لإثارَتِهِ الأرضَ، وبقَرةً لأنَّها تَبقُرها؛ أي: تَشُقُّها.

مِن "أودعها" عائدًا إلى النفس، والعائد إلى "ما" محذوف، ويجوز العكس. وقوله: (ظاهرًا وباطنًا) حال مِن "ما".

قوله: (دون الإهمال) في "دون" معنى المجاوزة، كأنّه قال: يدلّ على التدبير مجاوز الإهمال، يعني: يدلّ على أنّ للعالَم صانِعًا مدبّرًا، وليس العالَم مهمَلًا مِن غير مدبّر صانِع. وقوله: (وأنه لا بدّ) أي: وعلى أنّه. وقوله: (لها) أي: للأنفس.[1] وقوله: (يجازيها) أي: الأنفس. وقوله: (حتّى يعلموا) غايةُ ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾، وإشارة إلى تفسير ﴿مَا خَلَقَ﴾.[2] وقوله: (وأنّه لا بدّ لها) أي: للخلائق.

قوله: (يصِف أحوالهم)... إلخ أي: يصف أحوالهم بقوله: ﴿كَانُوا﴾ ﴿وَأَثَارُوا﴾

---

[1] ن: الأنفس.

[2] ن – وقوله: (حتّى يعلموا) غايةُ ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾، وإشارة إلى تفسير ﴿مَا خَلَقَ﴾.

﴿وَعَمَرُوهَا﴾ يَعْني: أولئك المُدمَّرُون ﴿أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾: من عمَارة أَهْلِ مكَّةَ.

وأَهْلُ مكَّةَ أَهْلُ وَادٍ غيْرِ ذِي زَرْعٍ ما لهم إِثَارةُ أرضٍ أَصْلًا ولا عمَارةٌ لها رأسًا، فما هو إلَّا تهَكُّمٌ بهم وبضَعفِ حالِهم في دُنيَاهُم؛ لأنَّ مُعظَمَ ما يَستَظهِرُ به أهلُ الدُّنيا ويَتَبَاهَوْن به أَمْرُ الدَّهْقَنَة، وهم أيضًا ضِعافُ القُوَى، فقَولُه: ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ -أي: عادٌ وثمُودُ وأَضرَابُهم- من هذا القبيل؛ كقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت ١٥/٤١] وإن كان هذا أَبلغَ لأنَّه خالقُ القُوَى والقُدَر، فما كان تَدْميرُهُ إيَّاهُم ظُلْمًا لَهُم -لأنَّ حاله مُنَافيةٌ للظُّلم- ولكنَّهم ظَلموا أنفسَهُم حيْث عَمِلُوا ما أَوْجَب تَدْميرَهُم.

﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ۝١٠﴾

قرئ ﴿عَٰقِبَةَ﴾ بالنَّصب والرَّفع.

[٢٦٤و] / ﴿وَعَمَرُوهَا﴾ ﴿وَجَآءَتْهُمْ﴾. ثمّ إنّ قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ﴾... إلخ مرتَّب على تقرير سَيرهم ونظرهم، فإنّ معنى ذلك: إنّا أهلكناهم، فكان المعنى: أهلكناهم وما ظلمناهم بهذا الإهلاك. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ مرتبط بأوّل الكلام، أي: أهلكناهم في الدنيا، ثمّ نُعذِّبهم في الآخرة، وقوله تعالى: ﴿أَكْثَرَ﴾ منصوب بفعل محذوف، أي: عمرها المدمَّرون عمارة أكثر[1] مما عمروها، أي: مِن عِمارة أهل مكّة.[2] وقوله: (مِن عِمارة أهل مكّة)[3] تفسير ﴿مِمَّا عَمَرُوهَا﴾، يشير إلى أنّ "ما" مصدريّة، أي: عَمروها عِمارةً أكثر مِن عِمارة أهل مكّة.

قوله: (أي: عادٌ)... إلخ، هذا تفسير الواو في ﴿كَانُواْ﴾، أي: كان عادٌ وثمود وأمثالهم أقوى مِن أهل مكّة. وقوله: (مِن هذا القبيل) أي: مِن التهكّم، ووجه التهكّم: أنّ شدّة قوّتهم لمّا كانت ظاهرة فذِكْرها يكون للتهكّم، كما في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ [فصلت ١٥/٤١]. وقوله: (كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ [فصلت ١٥/٤١]) أي: فهو أيضًا للتهكّم.

---

[1] ن: أكبر.

[2] ن + تفسير ﴿مِمَّا عَمَرُوهَا﴾، أي: مِن عمارة أهل مكّة.

[3] ن – أهل مكّة.

و﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ تأنِيثُ الأَسْوأ وهوَ الأَقْبَحُ؛ كما أنَّ الحُسنَى تأنِيثُ الأحسَن، والمَعنى: أَنَّهم عُوقِبُوا في الدُّنيا بالدَّمَار ثم كانت عاقبتُهم السُّوأَى -إلَّا أنه وُضِع المُظهَرُ مَوضِع المُضمَر- أي: العقُوبةَ التي هي أَسوأُ العُقوباتِ في الآخِرة وهي جَهنَّمُ التي أُعِدَّتْ للكافِرين.

و﴿أَن كَذَّبُوا۟﴾ بمَعنى: لِأَنْ كذَبُوا، ويجُوز أَن يكونَ ﴿أَن﴾ بمَعْنى: "أَيْ"؛ لأنَّه إذا كان تفسيرُ الإِسَاءةِ التكذيبَ والاستهزاءَ كانت في مَعْنى القول نحو: نَادَى، وكتَب، وما أَشبَهَ ذلك.

قوله: (والمعنى: أنّهم عُوقِبوا)... إلخ، يعني: أنّ قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ عطف على محذوف، أي: عوقبوا في الدنيا ثمّ أدخلوا جهنّم في الآخرة؛ وذلك لأنّ قوله تعالى: ﴿كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ﴾... إلخ كالمُورِد للسؤال، فكأنّه قيل: ما كان عاقبتهم؟ فأجيب: بأنّهم دُمِّروا في الدنيا، ثمّ أدخِلوا النار في الآخرة.

قوله: (إلّا أنّه[١] وُضِع) هذا الاستثناء المنقطع متعلِّق بقوله: (والمعنى)، أي: المعنى على هذا، لكن وضع الظاهر موضع الضمير.

قوله: (ويجوز أن يكون ﴿أَن﴾)... إلخ، والمعنى على هذا الوجه: ثمّ كان التكذيب آخَر أمرهم، أي: ماتوا على ذلك، كأنّ الله تعالى جازاهم على إساءتهم أن طبَع على قلوبهم حتّى ماتوا على التكذيب والشرك عِقابًا لهم بذنوبهم، ذكره الواحدي رحمه الله[٢] في الوسيط، ثمّ ذكَر بإسناده أن ابن عُيينة قال في هذه الآية: «إنّ[٣] لهذه الذنوب عواقب سوء، لا يزال[٤] الرجل يُذنب فينكُت[٥] على قلبه حتّى يسوَدّ[٦] القلب كلّه فيصير كافرًا».[٧] ويحتمل كلام المصنِّف معنًى آخر؛ وهو أن يكون ﴿أَن كَذَّبُوا۟﴾ تفسيرًا لقوله: ﴿أَسَـٰٓـُٔوا۟﴾، لا لقوله: ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾، فقوله: (تفسير الإساءة) إشارة إلى هذا، أي: كان عاقبة الذين كذّبوا بآيات الله السوأى،

---

١ ن: لنه.
٢ د - رحمه الله.
٣ ن - إن.
٤ ن: تزال.
٥ ن: فيكتب.
٦ د: تسود.
٧ التفسير الوسيط للواحدي، ٣/٤٣٠ (الروم، ٣٠/١٠).

ووجهٌ آخرُ: أَنْ يكُون ﴿أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ بمَعْنى: اقتَرفُوا الخَطيئةَ التي هي أسوَأُ الخطَايا، و﴿أَن كَذَّبُواْ﴾ عَطْفَ بيَانٍ لها، وخَبرُ ﴿كَانَ﴾ محذُوفٌ كما يُحْذَفُ جوابُ "لمّا" و"لو" إرادةَ الإبْهام.

﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَـٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾؛ أي: إلى ثَوابه وعِقَابه، وقرئ بالياء والتاء.

"الإبلاسُ": أنْ يَبقَى بائسًا سَاكتًا مُتحيّرًا، يُقالُ: ناظرْتُه فأَبْلَس، إذا لم يَنبِسْ ويَئِسَ من أَن يَحْتجَّ، ومنه "النَّاقة المِبْلاسُ": التي لا تَرْغُو.

والمناسب لكلام المصنِّف هذا الثاني، لا الأوّل؛[١] لأنّه فسّر قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ﴾... إلخ بعذاب الآخرة؛ ليئول المعنى إلى أنّهم عُذِّبوا بعذاب الدنيا وعذاب الآخرة، وأيضًا تفسير ﴿أَسَٰٓـُٔواْ﴾ بـ﴿كَذَّبُواْ﴾ يحسُن ويصحّ، وأمّا تفسير ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ فغير مناسب، فتأمّل.

قوله: (و﴿أَن كَذَّبُواْ﴾ عطف بيان) "أن" مصدريّة. وقوله: (لها) أي: لـ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾.

قوله: (محذوف) أي: كان عاقبتهم ما لا يُكتَنه[٢] كُنهه ولا يُقادَر قدْره في الفظاعة والشدّة.

قوله: (بائسًا)[٣] أي: حزينًا. "الإبلاس": الانكسار[٤] والحزن،[٥] أبلستِ[٦] الناقة فهي[٧] مِبْلاس؛ إذا لم تَرْغُ مِن شدّة الضَّبعة.[٨] والضَّبعة:[٩] شدّة شهوة الناقة للفحل.[١٠] وقوله:[١١] (لا تَرْغوا) الرُّغاء: صوت ذات الخُفّ، وقد رَغى البعير يَرغو[١٢] رُغاءً إذا ضَجَّ.

---

[١] ن: لأول.
[٢] ن: يلتنه.
[٣] ن: بالسًا.
[٤] ن: والانكسار.
[٥] ن: والجزن.
[٦] ن: أبكست.
[٧] ن: وهي.
[٨] ن: الصبغة. | الصحاح للجوهري، «بلس».
[٩] ن: والصبغة.
[١٠] الصحاح للجوهري، «ضبع».
[١١] ن: قوله.
[١٢] ن: يرغوا.

وقرئ: "يُبْلَسُ" بفتح اللام من "أَبْلسَه": إذا أَسْكتَه.

﴿مِن شُرَكَآيِهِمْ﴾: من الذين عبَدُوهم من دُون الله.

﴿وَكَانُواْ بِشُرَكَآيِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾؛ أي: يكفُرونَ بِإلاهِيَّتِهمْ ويجْحَدُونها، أو: كانوا في الدُّنيا كافرينَ بسبَبِهم.

وكُتبَ ﴿شُفَعَٰٓؤُاْ﴾ في المصْحَفِ بوَاوٍ قبل الألف كما كُتب ﴿عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، وكذلك كُتِبت ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ بالألِفِ قبلَ الياء إثباتًا للهَمْزة على صُورة الحَرْفِ الذي مِنْه حرَكتُها.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۝١٤﴾

الضميرُ في ﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾ للمُسلمين والكافِرين؛ لدلَالة ما بَعْدهُ عَليه، وعن الحسَن: هو تَفرُّقُ المُسلمين والكافِرين: هَؤلاء في عِلِيِّين وهؤلاءِ في أسْفلِ سَافلينَ.

وعن قتادة: فُرقَةٌ لا اجتماعَ بعْدَها.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۝١٥ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ۝١٦﴾

﴿فِي رَوْضَةٍ﴾: في بُستانٍ وهي الجنَّةُ، والتَّنكيرُ لإبْهام أَمْرِهَا وتفخيمه، والرَّوضَةُ عِنْد العَرب: كُلُّ أرضٍ ذاتِ نبَاتٍ ومَاءٍ، وفي أمثَالِهِم: "أحسَنُ من بَيْضَةٍ في رَوْضةٍ" يُريدُون: بَيْضَة النَّعَامة.

قوله: (أي: يكفرون بآلهتهم)[1] فعلى هذا / الوجه: يكون ﴿كَانُواْ﴾ مثل ﴿لَمْ يَكُن﴾ بمعنى الاستقبال، أي: يكونون، والباء صلة ﴿كَٰفِرِينَ﴾. وعلى الثاني: بمعناه المضيّ، والباء للسببيّة، وعلى هذا الوجه لا يكون عطفًا على[2] ﴿لَمْ يَكُن﴾؛ بل يكون عطفًا على جملة قوله:[3] ﴿وَيَوْمَ﴾... إلخ. [٢٦٤ظ]

---

[1] ن: بألهتم. | في مطبوع الكشّاف: "بإلَاهِيَّتِهم".

[2] ن – على.

[3] ن: لقوله.

﴿يُحْبَرُونَ﴾: يُسرُّونَ، يُقال: حَبَرَهُ: إذا سَرَّه سُرُورًا تهَلَّلَ له وجْهُه وَظَهر فيه أثرُهُ، ثم اختَلفَتْ فيهِ الأقَاوِيلُ لاحتِماله وجُوهَ جميعِ المسَارّ:

فعَن مجاهدٍ: يُكْرَمُونَ.

وعن قتادَةَ: يُنعَّمُونَ.

وعن ابن كيسَان: يُحَلَّونَ.

وعن أبي بكر بن عيَّاشٍ: التِّيجَانُ عَلى رُؤسِهم.

وعن وَكيعٍ: السَّماعُ في الجَنة. وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: أنَّه ذكَر الجنَّةَ وما فيها من النَّعيم وفي آخِر القَوم أعْرابيٌّ، فقال: يا رسولَ الله! هل في الجنة من سَماعٍ؟ قال: «نَعَمْ يا أعْرابيُّ، إنَّ في الجنَّة لنَهْرًا حَافَتاهُ الأبْكارُ من كلِّ بيضَاءَ خُوصَانيَّةٍ، يَتغنَّين بأَصْواتٍ لم تَسمَع الخَلائِقُ بمثْلهَا قَطُّ، فذلك أفضَلُ نعيم الجنَّةِ» قال الراوي: فسألتُ أبا الدَّرداء: بِمَ يتغَنَّينَ؟ قال: بالتَّسبيح.

ورُويَ: إنَّ في الجَنَّة لأَشجارًا عليها أَجْراسٌ من فضَّةٍ، فإذا أرادَ أهْلُ الجنَّة السَّماعَ بَعثَ اللهُ رِيحًا من تحْتِ العَرش فتَقعُ في تِلك الأَشجَارِ فتُحرّكُ تلك الأجراسَ بأَصْواتٍ لو سَمِعَها أهلُ الدُّنيا لمَاتُوا طَرَبًا.

قوله: (تهلَّل)[1] تهلَّل السحاب ببرقِه؛ تلألأ،[2] وتهلَّل وجه الرجل مِن فرَحه واستهلّ.[3]

قوله: (ثمّ اختَلفت فيه) أي: في سرورهم.

قوله: (خوصانيَّةٍ) الخَوَص: غئور العين، وبالحاء: ضَيقها، وقد خَوِصَتْ عينه وخَوِصَتْ، وهي خَوصاء، والرَّجل أخوَص، يريد: لينَها ورِقّتها، كخُوص[4] النخل.[5]

قوله: (أجراس) الجرَس: الذي يُعلّق في عُنق البعير.

---

[1] ن: يهلل.

[2] ن: دلالًا.

[3] الصحاح للجوهري، «هلل».

[4] ن: لخوص.

[5] انظر: الصحاح للجوهري، «خوص».

﴿مُحۡضَرُونَ﴾ لا يَغيبُونَ عَنْه ولا يُخفَّفُ عنهُم؛ كقَوله: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَا﴾ [المائدة ٣٧/٥] ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ﴾ [الزخرف ٧٥/٤٣].

﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ۝١٨﴾

لمَّا ذكر الوعْدَ والوَعيدَ أَتْبعَهُ ذِكرَ ما يُوصِلُ إلى الوَعْدُ ويُنجِّي من الوَعيد، والمرادُ بالتَّسبيح: ظاهرُه الذي هو تنزيهُ الله من السُّوء، والثناءُ عليه بالخَيْر في هذه الأوقاتِ؛ لِمَا يتَجدَّد فيهَا من نِعمة الله الظَّاهِرة.

وقيل: الصَّلاةُ، وقيل لابن عبَّاسٍ: هل تجدُ الصَّلواتِ الخَمسَ في القرآن؟ قال: نَعَم، وتلَا هذه الآيةَ.

﴿تُمۡسُونَ﴾: صَلاتَا المغْربِ وَالعشاء، و﴿تُصۡبِحُونَ﴾: صَلاةُ الفجْرِ ﴿وَعَشِيّٗا﴾: صَلاةُ العَصْر، ﴿وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾: صَلاةُ الظُّهر.

وقولُه: ﴿وَعَشِيّٗا﴾ مُتَّصِلٌ بقَوله: ﴿حِينَ تُمۡسُونَ﴾، وقوله: ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ اعتراضٌ بينهما، ومَعناه: أَنَّ على المُميّزينَ كلِّهم من أهل السَّماوات والأرضِ أَنْ يَحمَدُوهُ.

فإن قلتَ: لِمَ ذَهَبَ الحَسَنُ إلى أنَّ هذه الآيةَ مَدنيَّةٌ؟

قلتُ: لأنَّه كان يقولُ: فُرِضَت الصَّلوات الخمسُ بالمَدينة، وكان الواجبُ بمكَّة ركعتَيْن في غيْر وقتٍ معْلوم، والقولُ الأكثَرُ أنَّ الخمسَ إنَّما فُرِضَتْ بمَكَّة.

قوله: (﴿لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ﴾ [الزخرف ٧٥/٤٣]) هذا آية أخرى.

قوله: (متّصل بقوله: ﴿حِينَ تُمۡسُونَ﴾) وإنّما ذكره دون قوله: ﴿وَحِينَ تُصۡبِحُونَ﴾؛ لأنّ الأوّل هو الأصل المعطوف عليه، فذكره[١] دون المعطوف.

قوله: (على المميّزين) يعني: العاقلين.

---

[١] ن: فذلره.

وعن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها: فُرِضَتِ الصَّلاةُ ركعتَيْن، فلمَّا قدِمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدِينةَ أُقِرَّتْ صَلاةُ السَّفر وزِيدَ في صَلاة الحَضرِ.

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُكالَ له بالقَفيز الأَوْفى فليقُل: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ الآيةَ».

وعَنْه عليه السَّلامُ: «مَن قالَ حين يُصبِحُ: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ أَدْركَ ما فاتَهُ من يوْمِه، ومَن قالهَا حينَ يُمْسِي أَدركَ ما فاتَهُ في ليلَتِه».

وفي قراءة عكرمَةَ: "حِينًا تمسُونُ وحِينًا تُصْبِحُونَ"، والمَعْنى: تُمسُونَ فيه وتُصْبِحُون فيه؛ كقَوله: ﴿يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة ٢/٤٨] بمَعْنى: فيه.

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿الحىَّ مِن المَيْتِ﴾: الطَّائرَ من البيْضةِ و﴿المَيْتَ من الحى﴾: البيْضةَ من الطَّائر.

و"إِحْياءُ الأَرضِ": إخراجُ النَّباتِ منها.

﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾: ومِثْلَ ذلك الإِخْراجِ تُخرَجُونَ من القبُور وتُبعَثُونَ.

والمغْنى: أن الإبْداءَ والإعَادةَ متسَاويَان في قدرة مَن هو قَادرٌ على الطَّرْد والعَكس: من إخْراجِ الميّتِ من الحيّ، وإخْراجِ الحيّ من الميّتِ، وإحيَاءِ الميّتِ وإمَاتةِ الحيّ.

وقُرئ: ﴿الميّت﴾ بالتَّشديد، و: ﴿تَخرُجونَ﴾ بفَتح التاء.

﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ لأنَّه خَلَق أَصْلَهُم منه، و﴿إذَا﴾ للمُفاجأةِ، وتقديرُه: ثمَّ فاجأتُم وقتَ كونكُم بَشرًا مُنتَشِرين في الأرض، كقوله: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء ٤/١].

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿مِنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾ لأنَّ حوَّاءَ خُلِقت من ضِلَعِ آدمَ عليه السلام، والنِّساءُ بعدَها خُلِقْنَ مِن أصلاب الرِّجالِ، أو: من شَكْلِ أَنفُسِكم وجنْسِها لا مِن جنْسٍ آخَر، وذلكَ لِمَا بَيْنَ الاثنَيْن من جنسٍ واحدٍ من الإلْف والسُّكُون، وما بين الجنسَين المُختلفَيْنِ من التَّنافُرِ.

﴿وَجَعَلَ بَيۡنَكُم﴾ التَّوادَّ والتَّراحُمَ بعِصْمةِ الزَّواج بَعْد أن لم تكُنْ بَينكم سَابقةُ مَعْرفةٍ ولا لِقَاءٍ، ولا سبَبٍ يُوجبُ التَّعاطُفَ من قَرَابَةٍ أو رَحِمٍ.

وعن الحسن: المَوَدَّة كنَايةٌ عن الجماعِ والرَّحْمةُ عن الولَدِ؛ كما قال: ﴿وَرَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾ [مريم ٢١/١٩]، وقال: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ [مريم ٢/١٩].

ويُقَالُ: سَكنَ إلَيْه: إذا مالَ إلَيه؛ كقَولهم: انقَطَع إلَيْه، واطْمَأنَّ إليْه، ومنه: السَّكَنُ، وهو الإِلْفُ المَسكونُ إليه، فَعَلٌ بمَعنى مَفعُول.

وقيل: إنَّ المَوَدَّة والرَّحمةَ مِن قِبَلِ اللهِ، وإِنَّ الفِرْكَ من قِبَلِ الشَّيطانِ.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾

"الألسِنةُ": اللُّغاتُ، أو أجناسُ النُّطق وأَشكالُه، ....

قوله: (لأنّ حوّاء) لمّا خُلقوا مِن نفس آدم قيل: ﴿مِنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾؛ لأنّ آدم أصل للجميع، والصواب: أنّ قوله: (والنساء بعدَها) مِن تتمّة هذا الكلام لبيان كونِهنّ.

قوله: (وذلك) يعني: إنّما ذكر ذلك وأظهر المنّة به (لِما بَين). قوله: (مِن الإلف) بيان "ما".

قوله: (كما قال تعالى: ﴿وَرَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾ [مريم ٢١/١٩]) قال تعالى في حقّ عيسى عليه السلام: ﴿وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾ [مريم ٢١/١٩].

قوله: (وإنّ الفِرْك) "الفِرْك": البُغض بين الزوجين.

قوله: (أو أجناس النطق) أي: مع اتّحاد اللغة.

خالفَ عزَّ وعَلا بيْنَ هذه الأشياء حتَّى لا تَكادُ تَسْمَعُ مَنْطقَيْنِ مُتَّفقَيْنِ في هَمْسٍ واحِدٍ ولا جهَارةٍ، ولا حِدَّةٍ ولا رَخاوَةٍ، ولا فصَاحَةٍ ولا لُكْنَةٍ، ولا نَظمٍ ولا أُسلُوبٍ، ولا غيْرِ ذلك من صفَاتِ النُّطق وَأَحْوالِهِ، وكذلك الصُّوَرُ وتَخْطِيطُهَا، والأَلْوانُ وتَنويعُها، ولاختلافِ ذلك وقَع التعارُفُ، وإلَّا فلو اتَّفَقتْ وتَشاكلَتْ وكانَتْ ضرْبًا واحدًا لوقَعَ التَّجاهُلُ والالتبَاسُ، ولتَعطَّلَتْ مصَالحُ كَثيرةٌ، ورُبَّما رَأيتَ تَوأمَيْنِ يَشتبهَانِ في الحِلْيةِ فيَعرُوكَ الخطَأُ في التمييز بينَهما، وتَعْرِفُ حِكمَةَ الله في المخالفَةِ بَيْنَ الحِلَى، وفي ذلك آيةٌ بيّنةٌ حيثُ وُلِدُوا من أَبٍ وَاحِدٍ وفُرِّعُوا من أَصْلٍ فَذٍّ، وهُمْ عَلى الكَثْرة الَّتي لا يَعْلمُهَا إلَّا الله مُختلِفُون متَفاوِتُونَ.

وقرئ ﴿لِلْعَٰلِمِينَ﴾ بفتح اللام وكَسْرِهَا، ويَشهَدُ لِلكَسْر قَولُه تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت ٤٣/٢٩].

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾

هذا من باب اللَّفِّ، وتَرتِيبُهُ: ومِن آيَاتِه مَنامُكُم وابتِغاؤكُم مِن فَضْله

قوله: (هذه الأشياء) أي: الأجناس والأشكال.

قوله: (وإلّا) هي "إن" الشرطيّة أدغمت نونها في اللام، وحُذفت الجملتان، أي: الشرط والجزاء، يعني: إن لم[1] يكن الاختلاف لم يحصل التعارف، ثمّ قال: فلو اتّفقت فهي جملة مسبَّبة عمّا قبلها.

قوله: (في الحِلْية) حلية الإنسان: صفته، وما نرى[2] مِن لونٍ وغيره؛ كسواد عين، وبياض لون، وتكلْثُم وجهٍ،[3] وغير ذلك، والجمع: حُلًى بالضمّ والكسر.

قوله: (فَذٍّ) الفذُّ الفرد. وقوله:[4] (على الكثرة) أي: مع كثرتهم.

---

[1] ن - إن لم.

[2] ن: ترى.

[3] الكَلْثَمَةُ: اجتماع لحم الوجه. يقال: امرأةٌ مُكَلْثَمَة، أي ذات وجنتين مِن غير أن تلزمها جهومة الوجه. الصحاح للجوهري، «كلثم».

[4] ن: قوله.

باللَّيل والنَّهارِ، إلَّا أنَّه فُصِلَ بَيْن القَرِينَتَيْنِ الأَوَّلين بالقَرِينَيْنِ الآخِرَين، لأنهما زمَانَانِ والزمانُ والوَاقِعُ فيهِ كشَيءٍ واحدٍ، مع إعَانَةِ اللَّفِّ على الاتِّحَادِ.

ويجوزُ أن يُرادَ: مَنامُكُم في الزَّمَانَيْنِ وابتغَاؤكم فيهما. والظاهرُ هو الأوَّلُ لتَكرُّرِه في القرآنِ، وأسَدُّ المعَانِي ما دَلَّ عليه القرآنُ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: يسمعونه بالآذانِ الوَاعيَةِ.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾

في ﴿يُرِيكُمُ﴾ وجهان: ....

قوله: (على الاتحاد) لأنّه إذا لُفَّ يكون القرينان الأوّلان مثل القرينين الآخرين، فكأنّهما هما، فكأنْ لا فصل، وعلى هذا الوجه ينبغي أن يكون قوله: ﴿بِاللَّيْلِ﴾ متعلّقًا بمحذوف، أي: هذان[1] بالليل والنهار. ولا يجوز أن يكون ﴿بِاللَّيْلِ﴾ متعلّقًا بـ﴿مَنَامُكُم﴾ لعطف ﴿النَّهَارِ﴾ عليه، فكأنّ سائلًا سأل: متى يكون المنام والابتغاء؟ فقيل: بالليل والنهار، فيه نظر؛ لأنّ التقدير كما ذكره: منامكم وابتغاؤكم مِن فضله، فلا يلزم محذور.

قوله: (وأسدُّ[2] المعاني) فإنّ النبيّ عليه الصلاة والسلام قال: «كلام الله تعالى يُفسّر بعضُه بعضًا».[3]

قوله: (يسمعونه بآذانٍ[4] واعيةٍ) جملة مبيّنة لقوله: "أسَدُّ[5] المعاني"... إلخ، أو جملة حاليّة، والصواب: أنّ هذا تفسير ﴿يَسْمَعُونَ﴾، لا جملة مبيّنة ولا حاليّة، والضمير مِن "يسمعونه" يعود إلى ﴿ذَٰلِكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾.

---

[1] ن: هذا أنّ.

[2] ف ن: وأشدّ.

[3] لم أجده بهذا اللفظ؛ وأخرج الطبراني عن عبد الله بن عمرو عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ القرآن يصدّق بعضه بعضًا». المعجم الأوسط للطبراني، ٣٠٢/٥ (٥٣٧٨).

[4] ن: بأد.

[5] ن: أشد.

إضمَارُ "أَنْ"، وإنزالُ الفِعل منزلةَ المَصْدر، وبهما فُسِّر المَثَلُ: "تَسمَعُ بالمُعَيْدِيِّ خَيْرٌ من أن تَراهُ"، وقَولُ القائلِ:

وقَالُوا: ما تَشَاءُ؟ فقُلتُ: أَلْهُو إلَى الإصْبَاحِ آثِرَ ذِي أَثِيرِ

﴿خَوْفًا﴾ من الصَّاعِقةِ أو مِنَ الإخلافِ ﴿وَطَمَعًا﴾ في الغَيْثِ.

وقيل: خَوفًا للمُسَافر وطمعًا للحَاضِر. وهُما منصُوبَانِ على المفعُول له.

فإن قلتَ: من حقِّ المفعُول له أَنْ يكُون فِعْلًا لفاعل الفعلِ المُعلَّل، والخوفُ والطَّمعُ ليسَا كذلك؟

قلتُ: فيه وجهان:

أحَدُهما: أنَّ المفعُولِين فَاعِلُون في المَعنى لأنَّهم رَاؤونَ؛ فكأنَّه قيل: يجعَلُكم رَائين البَرقَ خَوفًا وطمعًا.

[٢٦٥و] قوله: (إضمار "أن") أي: حذف "أن" وهذا هو الوجه / الأوّل. وقوله: (وإنزال) الثاني.

قوله: («تسمع بالمُعَيديّ»)[١] إنّما حسُن حذف "أن" في المثال لدلالة ما بعده عليه.

قوله:

(وقالوا ما تشاء)... البيتَ[٢]

يقال: أَفعَلُهُ آثِرَ ذي[٣] أثير؟، والبيت لعُروة بن الوَرد، ومعناه:[٤] فقلت: أشاء اللّهو[٥] إلى الصبح[٦] آثِرَ كلِّ شيء يؤثَر فِعْله، يقال: آثَرْتُ فلانًا على نفسي مِن الإيثار، وفلان أثيري، أي: خُلْصاني.[٧]

قوله: (أنّ المفعولين فاعلون)...[٨] إلخ، فيه نظر؛ لأن ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ لا يصلح

---

[١] انظر: مجمع الأمثال للميداني، ١/١٢٩، وقال: «يُضرب لمَن خبره خير مِن مرآه».

[٢] لعروة بن الورد في الصحاح للجوهري، «أثر».

[٣] ن: ي.

[٤] ن: معناه.

[٥] ن: للهو.

[٦] ن: والصبح.

[٧] انظر: الصحاح للجوهري، «أثر».

[٨] ن: فاعلمون.

والثانِي: أن يكُونَ على تقْدِير حَذفِ المضاف؛ أي: إرَادةَ خَوفٍ وإرَادةَ طَمعٍ، فحُذِف المضَافُ وَأُقِيم المُضافُ إليه مقامَه.

ويجوز أن يكُونا حَالَيْن؛ أي: خائِفينَ وطَامِعِينَ.

وقرئ: ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ بالتشديد.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ قيامُ السَّماواتِ والأَرض واستِمسَاكُهُما بغَيْرِ عَمَدٍ ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾؛ أي: بقوله: كُونَا قَائِمتَيْنِ، والمرادُ: بإقامَتِه لهما وإرَادَتِهِ لكَونهما عَلى صِفة القِيَام دُون الزَّوالِ.

وقَولُه: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ بِمنْزلة قَوْلِهِ: ....

أن يكون عِلّة للرؤية، ولا أن تكون[١] الرؤية عِلّة لهما، فالوجه ما ذكره ثانيًا، أو أن يكون حالًا، ويمكن أن يقال: الرؤية سبب الخوف، فيستقيم ما ذكره.

قوله: (واستمساكهما)[٢] أي: ثباتهما وقرارهما، هو مِن قولهم: هو[٣] لا يستمسك على الراحلة، أي: لا يقدر على إمساكه نفسه وضبطها والثبات عليها. واستمسك عنه، أي: كفّ عنه وامتنع، ومِنه استمساك البول؛ امتناعه مِن الخروج، وقولهم: لا يستمسك بولَه -بمعنى: لا يُمسكه- خطأٌ، وإنّما الصواب: بولُه بالرفع؛ لأنّ الفعل لازم كما ترى.[٤]

قوله: (والمراد بإقامته) أي: المراد مِن قوله: ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾: بإقامته. فقوله: "والمراد" مبتدأ، و"بإقامته"[٥] خبره.

قوله: (وقوله: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ بمنزلة) فعلى ما ذكر[٦] المصنّف يكون تقدير الآية:

---

١ ن – علّة للرؤية، ولا أن تكون.
٢ ف: واستمساكها.
٣ ف: هؤلاء.
٤ المُغرب للمطرّزي، «مسك».
٥ ن: بإقامته.
٦ ن: ذكره.

﴿يُرِيكُمُ﴾ في إيقاع الجُملَة مَوقعَ المُفرَدِ على المَعنى؛ كأنَّه قال: ومِن آياته قيَامُ السَّماوات والأرض ثم خرُوجُ المَوتى من القُبُور إذا دَعَاهُم دَعوةً واحِدةً: يا أَهْلَ القبُور اخرجُوا، والمراد: سُرْعَةُ وجُودِ ذلك من غَيْرِ تَوقُّفٍ ولا تلَبُّثٍ كمَا يُجيبُ الدَّاعيَ المُطاعَ مَدْعُوُّهُ؛ كما قال القَائل:

دعَوتُ كُلَيْبًا دَعوَةً فكَأنَّما دعَوتُ به ابنَ الطَّوْدِ أو هو أَسْرَعُ

يريدُ بابن الطَّوْدِ: الصَّدَى، أو الحَجَر إذا تدَهْدَى.

ومِن آياته دعوته تعالى إياكم وقت خروجكم، أي: في الوقت الذي قدّر تعالى أنكم تَخرجون مِن الأرض، هذا تقرير كلامه. والأَولى[١] حمله على ظاهره بجعل ﴿إِذَا﴾ شرطيّة، و﴿إِذَآ أَنتُمۡ﴾ جزاؤه، أي: إذا دعاكم فاجأتم زمان خروجكم، أقول: يحتمل عندي -والله أعلم- أن لا يكون بمنزلته فيما ذكر؛ بل هو جملة معطوفة بـ"ثُمّ" المفيدة للتراخي في الزمان على ما هو أصلها؛ لأنّه تعالى أشار بقوله: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ مرارًا[٢] إلى الدلائل الدالّة على القدرة الباهرة؛ ليبيّن القدرة على الحشر وإحياء الموتى، ثمّ عطف على ذلك -لبيان ما هو المقصود- قولَه: ﴿إِذَا دَعَاكُمۡ﴾... إلخ. نحمد الله تعالى على التوفيق، ونستمدُّه مزيد التدقيق.[٣]

قوله: (والمراد: سرعة) إشارة إلى فائدة قوله: ﴿دَعۡوَةٗ﴾ وذكر المَرّة، يعني: لا يحتاج إلى تكرير الدعاء، وتكرير الأمر بالخروج؛ بل يخرجون بأوّل أمرٍ يتوجّه إليهم، كما[٤] ذكر في البيت. وكذا فيه بيان فائدة ﴿إِذَآ﴾ المفاجأة.

قوله: (بابن[٥] الطَّوْد)... إلخ،[٦] "الطَّود": الجبل العظيم، ودهْدَهت الحجَر فتدَهْدَه: دحرجتُه فتدَحرج، وقد يُبدل مِن الهاء ياء، يقال: تدَهْدَى الحجر وغيره تدَهْدِيًا ودَهْدَيْتُه[٧] أنا أُدَهْديه[٨] دَهْداةً.[٩]

---

١ ف: فالأولى.

٢ ن: مرار.

٣ ن: التوفيق.

٤ ن: إلى ما.

٥ ن: بان.

٦ البيت بغير نسبة في لسان العرب لابن منظور، «طود».

٧ ن: ودهديت.

٨ ن: أدهدته.

٩ ن: هداة. | الصحاح للجوهري، «دهده».

وإنَّما عُطِفَ هذا على قيَام السَّماواتِ والأَرضِ بـ﴿ثُمَّ﴾ بيَانًا لِعِظَم ما يكونُ من ذلك الأَمْر واقتِدَارِهِ عَلى مِثله، وهو أن يقُولَ: "يا أهْلَ القبُور قومُوا" فلا تَبقَى نسَمةٌ من الأوَّلِينَ والآخِرين إلَّا قامَتْ تَنظُرُ؛ كمَا قَال عزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر ٦٨/٣٩].

قَولك: "دعَوتُه من مكانِ كذا" كما يجُوزُ أن يكُونَ مكَانَكَ يجُوز أن يكون مكانَ صَاحِبكَ، تقولُ: "دعَوتُ زيدًا مِن أَعلَى الجَبل فنزلَ عَليَّ" و: "دَعَوتُه مِن أسْفَلِ الوادِي فطَلَعَ إليَّ".

فإن قلتَ: بمَ تَعلَّق ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أَبالفعل أَمْ بالمَصْدرِ؟

قلتُ: هيهاتَ؛ إذا جاء نهرُ الله بَطلَ نَهْرُ مَعْقِلٍ.

قوله: (وإنّما عطف بـ"ثُمّ")... إلخ، يريد أنّ "ثمّ" هنا لتراخي[١] الرتبة، وأقول: لا يبعد أن يكون بمعناها الحقيقيّ، فإنّه لمّا ذكر الدلائل على القدرة الربّانيّة، وتبيّن مِنه أنّ الحشر هيّن عليه أشار إلى أنّه سيقع إذا أراد وقوعه.

قوله: (كما قال عزّ وعلا: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ [الزمر ٦٨/٣٩]) ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ [الزمر ٦٨/٣٩].

قوله: (يجوز أن يكون) أي: المكان. / وقوله: (مِن أعلى) و(مِن أسفل) [٢٦٥ظ] كلاهما "مكان صاحبك"، ولم يذكر مثال ما يكون[٢] مكانك؛ لأنّ ذلك كثير معلوم لا يحتاج إلى التمثيل، ولذلك قال: (كما يجوز أن يكون مكانَك جاز أن يكون مكان صاحبك)، فجعل الأوّل معلومًا، وألحَق الثاني به.

قوله: (قلتُ: هيهات) "هيهات":[٣] اسم فعل، وفاعله ضمير مستتر فيه يعود إلى ما دلّ عليه الكلام المتقدّم، كأنّه قال: بعُدَ تعلُّقه بالمصدر مع وجود الفعل. وقوله: (إذا جاء) جملة تمثيليّة أُتي بها لتقرير الكلام المتقدّم، أعني: قوله: "هيهات"، ومَعقِل بن يسار المُزَني هو الذي يضاف إليه النهر بالبصرة، ويُنسب إليه التمر المعقِليّ.[٤]

---

١ ن: للتراخي.
٢ ن: مثل يلون.
٣ ن – هيهات.
٤ نالعقلي.

فإن قلتَ: ما الفرقُ بينَ ﴿إِذَا﴾ و﴿إِذَا﴾؟

قلتُ: الأُولى للشَّرطِ والثانيةُ للمُفاجَأة، وهيَ تنُوبُ منَابَ الفاءِ في جَواب الشرطِ.

وقرئ ﴿تَخْرُجُونَ﴾ بضم التاء وفتحها.

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

﴿قانتون﴾: مُنقَادُونَ لوجُود أفعَالِه فيهم لا يمتنِعُونَ عَليه.

﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ فيما يجِبُ عِندكُم ويَنقَاسُ على أصُولكُم ويقتَضِيه مَعْقُولُكُم؛ لأنَّ مَن أعَادَ مِنكم صَنْعَةَ شيءٍ كانت أسْهلَ عليه وأهوَنَ مِن إنشائِها، وتَعتذِرُونَ للصَّانِع إذا خُطِّئَ في بَعض ما يُنْشئُه بقَولكُم: "أول الغَزْوِ أَخْرقُ"،

قوله: (لا يمتنعون عليه) يجوز أن يعود الضمير مِنه إلى "وجود أفعاله"، أو[1] إلى الله تعالى.

قوله: (فيما يجب عندكم) أي: يثبت ويقع عندكم، وهذا الظرف حال مِن الضمير في "أهون"، أي: الإعادة أهون ثابتًا وواقعًا في الأمور الثابتة الواقعة عندكم، يعني إذا اعتبرتم الأمور الواقعة عندكم مِن المبدآت والمعادات، ونظرتم فيها يكون الإعادة أهون مِن الإبداء. و(ينقاس) عطف على (يجب)،[2] أي: فيما ينقاس، يقال: قسْتُه فانقاس، أي: استقام قياسه، أي: إذا اعتبرتم الإعادة بالقياس إلى الأمور الصحيحة. وقوله: (معقولكم) يجوز أن يكون بمعنى المفعول، أي: فيما يقتضيه الأمور التي عقلتموها وعلِمْتموها، ويجوز أن يكون[3] بمعنى العَقل.

قوله: (وتعتذرون)[4] فيه حذف، أي: ولأنكم تعتذرون.

قوله: (أخرَقُ) الخُرْقُ -بالضمّ- خلاف الرِّفق، ورجل أخرَق،[5] أي: أحمق.

---

[1] ن: و.
[2] ن - يجب.
[3] ن - بمعنى المفعول، أي: فيما يقتضيه الأمور التي عقلتموها وعلِمْتموها، ويجوز أن يكون.
[4] ن: ويعتذرون.
[5] ن: آخرون.

وتُسمُّونَ المَاهِرَ في صِناعَتهِ: "مُعَاوِدًا"، تَعْنُونَ أنّه عَاوَدَهَا كرّةً بعْدَ أُخرَى حتى مَرَنَ عليها وهانت عليه.

فإن قلتَ: لِمَ ذُكِّرَ الضميرُ في قولِهِ: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ﴾ والمُرادُ به الإعادةُ؟

قلتُ: مَعناهُ: وأَن يُعيدَهُ أهوَنُ عليه.

فإن قلتَ: لِمَ أُخِّرت الصِّلةُ في قَوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ وقُدِّمَتْ في قَوله: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ [مريم ٩/١٩]؟

قلتُ: هُنالِك قُصِد الاختصَاصُ وهو مَحَزُّه فقِيلَ: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ وإن كان مُستَضعبًا عِنْدكُم أن يُولَد بَين هِمٍّ وعَاقِرٍ، وأمَّا هاهنا فلا مَعْنَى للاختِصَاص، كيْفَ والأمرُ مَبْنيٌّ على مَا يَعقِلونَ مِن أنَّ الإعادةَ أَسْهلُ من الابتدَاءِ؟ فلو قُدِّمتِ الصِّلةُ لتَغيَّر المَعنَى.

فإن قلتَ: ما بالُ الإعَادة استُعظِمَت في قوله: ....

قوله: (مَرَن) مرَن على الشيء يَمرُن مُرونًا ومَرانةً؛ تعوَّده واستمرَّ عليه، ويقال: مرَنت يده على العمل إذا صَلُبَتْ.[1]

قوله: (وهو مَحَزُّه) أي: قصد الاختصاص مَحزُّ استعمال التقديم.

قوله: (في قوله تعالى: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ [مريم ٨/١٩]) قال تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام قال: ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم ٨/١٩-٩].

قوله: (أن يولد) هذا تفسير "هو" في ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ [مريم ٨/١٩]، أو مفعولٌ قائم مَقام فاعل "مستَضعَبًا". وقوله:[2] (بين هِمٍّ) الهِمُّ: الشيخ الفاني، مِن الهَمِّ؛ الإذابة، أو مِن الهَميم؛ الذبيب.

قوله: (فإن قلتَ: ما بال الإعادة؟)... إلخ يعني: أنّ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً﴾ يدلّ على استعظامه. وقوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ﴾ يدلّ على تهوينه، فكيف التوفيق بينهما؟

---

[1] الصحاح للجوهري، «مرن».

[2] ن: قوله.

﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ حتَّى كأنَّها فُضِّلَتْ على قِيَامِ السَّماواتِ والأرضِ بأَمْرِه ثمَّ هُوِّنَتْ بعدَ ذلك؟

قلتُ: الإعَادَةُ في نَفْسِهَا عَظِيمةٌ، ولكنَّهَا هُوِّنتْ بالقِيَاس إلى الإنشاءِ.

وقيل: الضميرُ في ﴿عَلَيْهِ﴾ للخلق، ومَعناه: أَنَّ البعثَ أَهوَنُ على الخلقِ من الإنشاء؛ لأنَّ تكوِينَهُ في حَدِّ الاستحكامِ، والتَّمامُ أهوَنُ عليه وأَقَلُّ تَعبًا وكَبَدًا مِن أَن يَتنقَّلَ في أَحوالٍ ويتدرَّج فيها إلى أن يَبْلغَ ذلك الحَدَّ.

وقيل: الأهوَنُ بمَعنى الهَيِّن.

ووَجْهٌ آخرُ: وهو أنَّ الإنشاءَ من قَبيلِ التَّفضُّل الذي يَتخيَّرُ فيه الفاعلُ بين أنْ يفعَلَهُ وأَنْ لا يفعَلَه، والإعادةُ مِن قَبيل الواجِبِ الذي لا بُدَّ له مِن فعْلِه؛ لأنَّها لِجزاءِ الأعمالِ وجزاؤُها واجِبٌ، والأَفعَالُ: إمَّا مُحَالٌ والمُحَالُ مُمتنِعٌ أَصْلًا خَارِجٌ عن المَقْدُورِ، وإمَّا ما يَصْرِفُ الحكِيمَ عن فعْلِهِ صَارِفٌ وهو القبيحُ وهُو رَديفُ المُحَال؛ لأنَّ الصَّارفَ يَمنعُ وجود الفِعل كما تَمنَعُه الإحَالةُ، وإمَّا تَفضُّلٌ والتفضُّلُ حالُه بينَ بينَ للفَاعِلِ أَنْ يَفعلَه وأنْ لا يفعَلَه، وإمَّا وَاجبٌ لا بُدَّ من فِعْله ولا سبيلَ إلى الإخْلال به، فكان الواجِبُ أبعَدَ الأفعال من الامتِناع وأَقْربها مِن الحصُولِ.

فلَمَّا كانَتِ الإعَادَةُ من قَبيلِ الواجبِ كانَت أبعَدَ الأفعَال من الامتِناع، وإذا كانَت أبعَدَها من الامتِنَاع كانَتْ أَدخلَهَا في التَّأَنِّي والتَّسهُّلِ فكانَتْ أهْوَن منها، وإذا كانَتْ أَهْوَنَ منها كانت أَهوَن من الإنشَاء.

قوله: (على الخلق) أي: المخلوقات، فإنّ المخلوقات إذا خُلِقت مرّة -أي: بطريق الإعادة- لا يكون في هذا الخلق انتقال[1] مِن الطفولة إلى الكِبَر والاستحكام، فيَقِلُّ تعبُهم.

قوله: (في[2] أحوال) أي: مِن الطفولة إلى المَشيب.

قوله: (ووجه آخر)... إلخ، بنى هذا الوجه على مذهبه.

---

[1] ن: انتق.

[2] ن - الطفولة إلى الكِبَر والاستحكام، فيَقِلُّ تعبُهم. قوله: (في).

﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾؛ أي: الوَصْفُ الأعلى الذي ليسَ لغَيْره مِثلُه، قد عُرِفَ به، ووُصِفَ في السَّماواتِ والأرض على أَلْسِنة الخلائق وأَلْسِنَةِ الدَّلائل، وهُو أنَّه القادرُ الَّذي لا يَعجِزُ عن شيءٍ من إنشاءٍ وإعادةٍ وغيرهما من المقدُورات، ويدُلُّ عليه قولُه: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ أي: القَاهِرُ لكُلِّ مَقدُورٍ ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي يُجرِي كُلَّ فعْلٍ على قضَايَا حِكمَته وعِلْمِه.

وعن مجاهد: ﴿ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ قولُ: "لا إله إلا الله"، ومَعناه: ولهُ الوَصْفُ الأَعْلَى الذي هو الوَصْفُ بالوَحدَانيَّةِ، ويَعضُدُه قولُه: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾.

وقال الزَّجاجُ: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: قولُه: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ قد ضربَهُ لكم مَثلًا فيما يَصْعُبُ ويَسْهُلُ. يُريدُ: التفسيرَ الأوَّلَ.

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

قوله: (ومعناه) أي: معنى قول مجاهد.

قوله: (قال الزجّاج)[1] يعني: ذكر الزجّاج أنّ المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: هو قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾. / وقوله: (قد ضربه مثلًا) مِن تتمّة قول[2] [٢٦٦و] الزجّاج، يعني: قال الزجّاج:[3] ضرب الله تعالى قولَه: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ مَثلًا لكم فيما يصعب ويَسهُل، أي: بيّن به أنّ الإعادة أسهل مِن الابتداء في عقولكم وبالقياس إليكم، فنقول: قول الزجّاج: "قد ضربه لكم" إشارة مِنه إلى تفسير قوله تعالى: ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، أي: هذا المَثل جارٍ في أهل السماوات والأرض[4] على حسب عقولهم، وإلّا فالبَدء والإعادة بالنسبة إليه سواء.

قوله: (التفسير الأوّل) أي: التفسير الأوّل مِن تفاسير قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾،

---

[1] معاني القرآن للزجّاج، ١٨٤/٤.
[2] ن: قوله.
[3] ن - الزجّاج.
[4] ن - أي: هذا المثل جارٍ في أهل السماوات والأرض.

فإن قلتَ: أيُّ فرقٍ بينَ ﴿مِنْ﴾ الأُولى والثانيةِ والثَّالِثةِ في قَوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ ﴿مِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ ﴿مِن شُرَكَآءَ﴾؟

قلتُ: الأُولَى للابتداءِ؛ كأنَّه قال: أخَذَ مثَلًا وانتَزعَهُ من أقْربِ شَيءٍ مِنكُم وهي أنفُسُكُم ولم يُبعِدْ، والثانيةُ للتَّبعيضِ، والثالثةُ مزيدةٌ لتأكيد الاستفهام الجَاري مَجْرى النَّفي، ومعناه: هَل تَرْضَوْنَ لأنفُسِكم وعَبِيدُكُم أَمْثَالُكم بَشَرٌ كبَشَرٍ وعَبيدٌ كعَبيدٍ أن يُشَارِكَكُم بَعضُهم ﴿فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ من الأَموال وغيْرِهَا، تكُونُونَ أَنتُم وَهُم فيه عَلى السَّواءِ -من غَيْرِ تفْضِلَةٍ بيْن حُرٍّ وعبدٍ- تهابُونَ أن تَسْتَبِدُّوا بتَصرُّفٍ دُونَهم وأن تَفتَاتُوا بتَدْبِيرٍ عَليهم كما يَهابُ بَعضكم بَعضًا من الأَحْرارِ، فإذا لم تَرضَوا بذلك لأنفُسكم فكيف ترْضَونَ لرَبِّ الأَرْبابِ ومالكِ الأحرارِ والعَبيدِ أن تجعَلُوا بَعض عَبيدِه لَهُ شُركاءَ؟!

أي: فيما يجب عندكم وينقاس على أصولكم.[١]

قوله: (وعبيدُكم) الواو للحال. وقوله: (بشَر) خبر بعد خبر. وقوله: (كبشَر) صفته، أي: هم مثل أيّ بشرٍ فُرِض، وهم عبيد مثل أيّ عبيد فرض، لا تفاوت[٢] بينهم في البشريّة والعبوديّة.

قوله: (وأن تفتاتُوا) عطف على قوله: (أن تستبِدُّوا)، وهو على وزن تفتعلوا، مِن الفَوت؛ السبق، ومِنه: خشيَ أن يكون افتات[٣] على رسول الله عليه الصلاة والسلام،[٤] وفي حديث عبد الرحمن: «أمِثلي يُفتات عليه في بناته»،[٥] مبنيًّا للمفعول، أي: لا يصلح أمرهنّ بغير إذني،[٦] الافتيات: قيام الرجل بالأمر مِن غير استعانة بغيره.

قوله: (فإذا لم ترضَوا) عطف على (هل ترضَون؟)؛ لأنّه في معنى: لا ترضَون، فكأنّه قيل: لا ترضَون لأنفسكم، فإذا لم تَرْضَوا.

---

١ ن - قوله: (التفسير الأوّل) أي: التفسير الأوّل مِن تفاسير قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾، أي: فيما يجب عندكم وينقاس على أصولكم.

٢ ن: يفاوت.

٣ ف: أفتات.

٤ المغازي للواقدي، ١/١٧٣.

٥ الموطأ للإمام مالك، ٢/٥٥٥ (١٥).

٦ المُغرب للمطرّزي، «فوت».

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: مِثلَ هذا التفصيلِ ﴿نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾؛ أي: نُبيّنُها؛ لأنَّ التَّمثِيلَ ممَّا يَكشِفُ المعَانيَ ويُوضِحُهَا؛ لأنَّه بمَنْزِلة التَّصْوير والتَّشكيلِ لهَا، ألا ترَى كيْفَ صَوَّر الشِّرك بالصُّورةِ المُشَوَّهَةِ.

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾؛ أي: أَشركُوا؛ كقَوله تعَالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان ١٣/٣١].

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؛ أي: اتَّبَعُوا أَهوَاءهُم جَاهِلين؛ لأنَّ العَالِمَ إذا ركِبَ هوَاهُ رُبَّما رَدَعَه عِلمُه وكفَّهُ، وأمَّا الجَاهلُ فَيَهِيمُ على وجههِ كالبَهيمةِ لا يَكفُّهُ شَيءٌ.

﴿مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾: مَن خذَله ولم يَلطُف به؛ لعِلمِه أنَّه ممَّن لا لُطْفَ له، فمَن يَقْدِرُ على هِدَايةِ مِثْله، وقولُه: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾ دَليلٌ عَلى أنَّ المرادَ بالإضْلال الخِذلانُ.

قوله: (لأنّ التمثيل) تعليل لتفسير التفصيل[1] بالتمثيل المتقدّم، أي: إنّما جعل التمثيل تفصيلًا،[2] فقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ﴾؛ لأنّ التمثيل ممّا...

قوله: (المشوّهة)[3] أي: المقبّحة.

قوله: (لأنّ العالِم) متعلّق بمحذوف، أي: إنّما ذُكر قوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لأنّ العالِم...

قوله:[4] (فيَهيمُ على وجهه) "هامَ على وجهه"، أي: ذهَب، مِن العشق وغيره.[5]

قوله: (لا لُطْفَ له) "اللُّطْف" عندهم[6] هي الأمور[7] المقرّبة إلى الطاعة. أي: لا شيءَ له يُقرّبه إلى الطاعة، أي: لا ينفعه شيء مِن اللُّطْف.

---

[1] ن: التفسير التفضيل.

[2] ن: تفضيلًا.

[3] ن: المشوهية.

[4] ف - قوله.

[5] ن - قوله: (فيَهيمُ على وجهه) "هامَ على وجهه"، أي: ذهَب، مِن العشق وغيره. | الصحاح للجوهري، «هيم».

[6] أي: عند المعتزلة. قال أبو البقاء: «اللُّطف: ما يقع عنده صلاحُ العبد آخرَ عمره بطاعة الإيمان، دونَ فساده بكفر وعصيان، هذا مذهب أهل السنّة. وقالت المعتزلة: اللُّطف: ما يختار المكلّفُ عنده الطاعةَ تركًا وإتيانًا، أو يقرّب منهما، مع تمكّنه في الحالَين، ويسمّى الأوّل عندهم لُطفًا محصِّلًا، والثاني لُطفًا مُقرّبًا». الكلّيّات لأبي البقاء، ص ٧٩٧.

[7] ن + قوله: (فيَهيمُ على وجهه) "هامَ على وجهه"، أي: ذهَب، مِن العشق وغيره.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٣٢﴾

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾: فقَوِّمْ وَجْهَك له وعَدِّلْه غَيْرَ مُلتَفِتٍ عنه يمينًا ولا شِمالًا، وهو تَمثيلٌ لإقبالِه عَلى الدِّين واستِقَامتِه عليْه وثَبَاتِه واهتمامِه بأسْبَابه، فإنَّ مَن اهتمَّ بالشيءِ عقَد عليه طَرْفَهُ وسَدَّد إلَيْه نَظَرَهُ، وقَوَّم لهُ وجْهَهُ مُقْبِلًا به عليه.

و﴿حَنِيفًا﴾ حالٌ من المأمُور، أو من "الدِّين".

﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾: الزَمُوا فطرةَ الله، أو: عَليكُم فِطرةَ الله، وإنَّما أَضْمرتُه على خطاب الجماعة لقوله: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾، و﴿مُنِيبِينَ﴾: حالٌ من الضَّمير في "الْزَمُوا"، وقوله: ﴿وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟... وَلَا تَكُونُوا۟﴾ مَعْطُوفٌ على هذا المُضمَرِ.

والفِطرةُ: الخِلْقَةُ، ألا ترى إلى قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾.

والمعْنى: أنَّه خَلقَهم قابِلينَ للتَّوحيد ودينِ الإسلام غيرَ نائِينَ عنه ولا مُنكِرين له؛ لكَونه مُجاوِبًا لِلعقل مُسَاوِقًا للنَّظر الصَّحيح، حتَّى لو تُرِكُوا لَمَا اختارُوا عَليه دِينًا آخَرَ، ومَن غَوَى منهم فبإِغْوَاء شياطين الإنسِ والجنّ، ومنه قولُه عليه السلام

قوله: (وعَدِّلْه) تعديلُ الشيء: تقويمه، يقال: "عَدَّلتُه فاعتَدَلَ"، أي: قَوَّمتُه فاستقام.[١]

قوله: (والمعنى) أي: معنى قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾.

قوله: (مجاوِبًا) يعني: موافِقًا لحكم العقل غيرَ مخالف له، فكأنّه يُجيبه بما يقول ويحكم به. والمُجاوَبة والتجاوُب: التحاوُر.[٢]

قوله: (ومنه قوله عليه الصلاة والسلام)... إلخ.[٣] لمَا قال: (فبإغواء شياطين

[١] الصحاح للجوهري، «عدل».

[٢] في النسخ الخطّيّة: "التجاوز"، والصواب: "التحاور" كما أثبتّه. انظر: الصحاح للجوهري، «جوب»؛ ولسان العرب لابن منظور، «جوب».

[٣] الحديث الأوّل في مسند أحمد، ٣٢/٢٩ (١٧٤٨٤)؛ وصحيح مسلم، ٢١٩٧/٤ (٢٨٦٥). والحديث الثاني في صحيح البخاري، ١٠٠/٢ (١٣٨٥)؛ وصحيح مسلم، ٢٠٤٧/٤ (٢٦٥٨).

عن الله عزَّ وجلَّ: «كُلُّ عبادي خَلَقْتُ حُنَفَاءَ فاجْتَالَتهُم الشَّياطينُ عن دِينهم وأَمرُوهُم أَنْ يُشرِكُوا بي غَيرِي».

وقولُه عليه السلامُ: «كُلُّ مَولُودٍ يُولدُ على الفِطْرة حَتَّى يكُونَ أَبَواه هُمَا اللَّذَانِ يُهوِّدانِه ويُنصِّرانهِ».

﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ما يَنْبَغِي أن تُبدَّلَ تلك الفِطرةُ أو تُغيَّرَ.

فإن قلتَ: لِمَ وُحِّدَ الخِطابُ أوَّلًا ثمَّ جُمِعَ؟

قلتُ: خُوطِبَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم أوَّلًا، وخطابُ الرَّسول خطابٌ لأمَّتِه مع ما فيه من التَّعظيم للإمَام، ثُمَّ جُمعَ بعْدَ ذلك للبيَانِ والتَّلخيصِ.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾ بدَلٌ من ﴿ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

﴿فَارَقُوا دِيۡنَهم﴾: ترَكُوا دينَ الإسْلام، وقُرِئَ: ﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ﴾؛ أي: جَعَلُوه أَدْيانًا مختَلفةً لاختِلافِ أهوَائهم.

﴿وَكَانُواْ شِيَعٗا﴾: فِرقًا كُلُّ واحِدَةٍ تشَايعُ إمَامَها الَّذِي أَضلَّها ﴿كُلُّ حِزۡبِۢ﴾ مِنهم فَرِحٌ بمذْهَبِهِ مَسْرُورٌ يَحسَبُ باطِلَهُ حَقًّا.

الإنس والجنّ) ذَكر حديثًا لبيان إغواء شياطين الإنس، وآخَرَ لبيان شياطين الجِنّ.

قوله: («فاجْتالَتهم») أي: أضَلَّتهم. «اجْتالَتهم»، أي: صَرَفَتهم،[1] مِن "الجَوَلان".

قوله: (فإن قلتَ: لمَ وُحِّد الخطاب؟) أي: في ﴿فَأَقِمۡ﴾. وقوله: (ثمَّ جُمِع) فإنّ التقدير: الزَموا، أو عليكم فطرةَ الله كما بيّن.

قوله: (للبيان والتلخيص) أي: لِيبيّنَ ويلخِّصَ[2] أنّ المراد أمّته.

قوله: (كلّ حزبٍ منهم)... إلخ يجوز أن يكون ابتداءَ كلام لبيان حالهم وصفتهم التي هم عليها، ويجوز أن يكون[3] صلةً بعد الصلة، ولذلك[4] قَدَّر الضمير، وهو "منهم". أو صفةَ (شِيَعًا).

---

[1] ن: ضرفتهم.

[2] ن – أي: لِيبيّن ويلخِّص.

[3] ن – ابتداء كلام لبيان حالهم وصفتهم التي هم عليها، ويجوز أن يكون.

[4] ن: وكذلك.

ويجوز أَن يكُونَ ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾ مُنقَطِعًا ممَّا قَبلَهُ، ومَعناه: "من المُفارِقين دِينَهُم كُلُّ حِزبٍ فَرِحينَ بما لَدَيهِم"، ولكِنَّهُ رفَعَ ﴿فَرِحُونَ﴾ على الوَصفِ لـ﴿كُلُّ﴾؛ كقَولِهِ:

وكُلُّ خَليلٍ غَيرُ هَاضِمِ نفسِه

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾

"الضرُّ": الشِّدَّةُ من هُزالٍ أو مَرضٍ أو قحْطٍ أو غيرِ ذلكَ، والرَّحمَةُ: الخَلاصُ من الشِّدَّة.

قوله: (ولكنّه)... إلخ يعني: كان المناسب بحسب الظاهر أن يُجرَّ ﴿فَرِحُونَ﴾، ولذلك جرَّه / المصنِّف في كلامه ليكون صفة ﴿حِزْبٍ﴾؛ لأنّ الصفة في الأعداد [٢٦٦ظ] وما هو مِن قَبيلها ينبغي أن يكون للمضاف إليه، كقوله تعالى: ﴿سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ﴾ [يوسف ١٢/٤٣]، لكنّه وُصف هنا المضاف؛ لأنّ ذلك أيضًا قد جاء كما ذكر، ولأنّ المقصود هنا أن يُبيِّن أنّ الفرح شامل للكلّ، فكان وصف "الكلّ" أبلغَ، لكونه على المقصود أدلّ. وعلى هذا الوجه يكون ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ مبتدأ، ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ صفته، و"الباء" في ﴿بِمَا﴾ متعلّق بـ﴿فَرِحُونَ﴾، وقولُه: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾ مع صلته خبرُ المبتدأ.

قوله:

(وكلُّ خليلٍ غيرُ هاضِمِ نفسِه)

تمامه:

فبالصَّدِّ والإعراضِ عنه جَديرُ[1]

قوله: "غيرُ" صفة "كلُّ". و"الهاضِم" مِن "هضَمتُ الشيءَ"، أي: كَسرتُه.

---

[1] وهو للشمّاخ بن ضرار، لكن تمامه في ديوانه، ص ١٧٣:

لِوصلِ خليلٍ صارمٌ أو مُعارِزُ

وذكر محبّ الدين أفندي الروايتين، لكن قال: "أو مُصادِرٌ" بدل "أو مُعارِزُ". انظر: شرح شواهد الكشّاف لمحبّ الدين أفندي، ص ١٣٧.

﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣٤ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ۝٣٥﴾

واللَّامُ في ﴿لِيَكْفُرُواْ﴾ مجَازٌ مِثْلُها في ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ [القصص ٨/٢٨].

﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ نظيرُ: ﴿أَعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت ٤١/٤٠] ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وبَالَ تمتُّعِكُم.

وقرأ ابن مسعُودٍ: "ولِيَتَمتَّعُوا".

"السُّلطانُ": الحجَّةُ، وتكلُّمُه مجَازٌ؛ كما تَقُول: "كتَابُه ناطِقٌ بكذَا"، و: "هذا مِمَّا نَطق به القرآنُ"، ومَعْناه: الدَّلالةُ والشَّهادةُ؛ كأنَّه قال: فهو يَشْهَدُ بِشِركهم وبصحَّتِه.

و"ما" في ﴿بِمَا كَانُواْ﴾ مَصْدَرِيَّةٌ؛ أي: بكَوْنِهم بالله يُشرِكُونَ، ويجوزُ أن تكُونَ مَوْصُولةً ويَرْجِعَ الضَّميرُ إليها، ومعناه: فهو يَتكَلَّم بالأمر الَّذي بِسَببِهِ يُشرِكُونَ.

ويَحتمِل أن يكُونَ المَعنى: أَمْ أنزَلنَا عَليهم ذَا سُلطَانٍ؛ أي: مَلَكًا معَهُ بُرهَانٌ، فذلكَ المَلكُ يَتَكَلَّمُ بالبُرهان الَّذي بسَبَبِهِ يُشرِكُونَ.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ۝٣٦ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٖ لِّقَوْمٖ يُؤْمِنُونَ ۝٣٧﴾

قوله: (وهذا ممّا نطَق) أي: وكما تقول. وقوله: (ومعناه) أي: النطق.

قوله: (وبصحّته) عطفٌ على (بشِرْكِهم) بطريق البيان، وهو إشارة إلى أنّ المضاف محذوف قبل "ما" المصدريّة، أي: يتكلّم بصحّة ما كانوا يشركون، أي: بصحّة إشراكهم بالله تعالى، أي: يدلّ على أنّ إشراكهم صحيح جائز.

قوله في الوجه الثاني: (بالأمر الذي بسببه يُشركون) فعلى هذا يكون "ما" في ﴿بِمَا كَانُواْ﴾ عبارة عن الدليل الذي أشرَكوا بسببه، والمعنى: أم أنزلنا عليهم سلطانًا يُبيّن ويُظهر دليلهم الذي يشركون بسبب ذلك الدليل. وعلى هذين الوجهين يكون "التكلّم" مجازًا، وعلى الوجه الثالث حقيقة.

﴿وَإِذَآ﴾ أذقناهم ﴿رَحۡمَةً﴾؛ أي: نِعْمةً من مَطرٍ أو سَعَةٍ أو صحَّةٍ ﴿فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ﴾؛ أي: بَلاءٌ مِن جَدْبٍ أو ضِيقٍ أو مَرضٍ والسَّببُ فيها شُؤمُ معَاصِيهم قنَطُوا مِن الرَّحمةِ.

ثمَّ أنكَر عَليْهم بأنَّهم قد عَلِمُوا أنَّه هُو البَاسِطُ القَابضُ فمَا لهُم يَقنَطُونَ من رَحمتِه، وما لهُم لا يَرْجِعُونَ إليه تَائِبينَ من المعَاصي التي عُوقِبُوا بالشدَّةِ مِن أجْلهَا حتَّى يُعِيدَ إلَيْهم رَحْمتَهُ.

﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٣٨﴾

حَقُّ ذِي القُرْبَى: صِلَةُ الرَّحِم، وحقُّ المسكين وابنِ السَّبيلِ: نَصيبُهما من الصَّدقة المُسمَّاةِ لهما.

وقد احتجَّ أبُو حَنيفةَ رحمه الله بهَذِه الآيةِ في وُجُوب النَّفقةِ للمَحارِم إذا كَانُوا مُحتَاجِين عاجِزِينَ عن الكَسْبِ.

وعِند الشافعيِّ رحمه الله: لا نَفقةَ بالقَرابةِ إلَّا عَلى الوَلَدِ والوَالِدين، قَاسَ سائرَ القَراباتِ على ابن العَمِّ لأنَّه لا وِلادَ بَيْنَهُم.

فإن قلتَ: كيف تعَلَّق قَولُه: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ بما قَبْلَهُ حتَّى جِيءَ بالفَاء؟

قلتُ: لمَّا ذَكرَ أنَّ السَّيِّئةَ أَصَابَتْهُم بمَا قدَّمَتْ أيْدِيهم أَتْبَعَهُ ذِكْرَ ما يجِبُ أن يَفعَل وما يجبُ أن يَتْرُكَ.

قوله: (والسبب فيها)... إلخ حال، أو جملة معترِضة، وهو معنى ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ﴾.

قوله: (قلتُ: لمّا ذَكر)... إلخ، أو لِما ذُكر أنّ الله تعالى هو الباسط القابض قال: "ما لهم يخافون الفقر، ويبخلون، ويمنعون الحقوق". فعلى ما ذَكر المصنِّف يكون "الفاء" في ﴿فَـَٔاتِ﴾ مسبَّبًا عن قوله تعالى: ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾، وعلى ما ورَد في خاطري يكون متعلِّقًا بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾... إلخ.

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ٣٩﴾

﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ يَحتمِلُ أن يُرادَ بوَجهِه ذاتُه، أو جِهَتُه وجَانِبُه؛ أي: يَقْصِدُونَ بمعرُوفِهم إيَّاهُ خالصًا وحَقَّهُ؛ كقَوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل ٩٢/٢٠] أو يَقْصِدُونَ جهةَ التَّقرُّبِ إلى الله لا جهَةً أُخرَى، والمعنيَانِ مُتقَارِبَانِ ولكنَّ الطريقَة مُختلِفةٌ.

هذه الآيةُ في مَعنى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة ٢/٢٧٦] سَوَاءً بسَواءٍ، يُريدُ: ﴿وَمَآ﴾ أعطَيْتُم أَكَلَةَ الرِّبا ﴿مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ﴾ أموالِهم: لِيَزِيدَ ويَزكُوَ في أموالِهم ﴿فَلَا﴾ يزكُو ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ ولا يُبارَكُ فيه ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾؛ أي: صَدَقةٍ تَبْتَغُونَ به وجهَهُ خالصًا لا تَطْلُبُونَ به مكَافَأةً ولا رِيَاءً وسُمعَةً ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾: ذوو الإضعَافِ من الحَسناتِ، ونظيرُ المُضْعِف: المُقْوِي والمُوسِرُ، لذي القُوَّة واليَسار، وقرئ بفتح العين.

وقيل: نَزلَتْ في ثَقِيفٍ وكانُوا يُرْبُونَ.

قوله: (أي: يقصدون) هذا التفسير على تقدير أن يُراد بـ"وَجهه" ذاته. وقوله: (أو يقصِدون) هذا على تقدير أن يراد بـ"وَجهه" جهته.

قوله: (سواءً) حال مِن الضمير المستتر في قوله: (في معنى) العائدِ إلى قوله: (هذه)، أي: حالَ كون الآية سواءً مقابَلةً بسواء. و"سواء" اسم بمعنى الاستواء، وُصف به كما يوصف بالمصادر، ومنه قوله تعالى: ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران ٣/٦٤]، وقوله تعالى: ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت ٤١/١٠].

قوله تعالى: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ أي: فأنتم المضعِفون به.

قوله: (وقيل: نزلَت)[١] سبب النزول.

---

[١] قاله السدّي. انظر: الكشف والبيان للثعلبي، ٢١/١٦٣ (الروم، ٣٠/٣٩).

وقيل: المرادُ أَن يَهَبَ الرَّجُلُ للرَّجُلِ أو يُهْدِيَ لهُ ليُعَوِّضَهُ أكثَرَ ممَّا وهَبَ أَو أَهْدَى، فليسَتْ تِلك الزِّيَادةُ بحَرامٍ ولكنَّ المعوِّضَ لا يُثَابُ عَلى تِلك الزِّيادَةِ.

وقَالُوا: الرِّبَا رِبَوَانِ:

فالحَرامُ: كُلُّ قَرْضٍ يُؤخَذُ فيه أكثرُ مِنْه أو يَجُرُّ منفعَةً.

والذي ليسَ بحَرام: أَن يَسْتَدْعِيَ بهِبَتِه أو بهَدِيَّتِه أكثرَ منْهَا، وفي الحديث: «المُستَغْزِرُ يُثابُ مِن هبَتِه».

وقرئ: ﴿وماأَتيتُم مِن ربًا﴾ بمَعنى: وما غَشِيتُموهُ أو رهِقتُموهُ من إعْطاءِ ربًا.

وقُرئَ: ﴿لِتُربُوا﴾؛ أي: لتَزيدُوا في أموالِهم كقوله: ﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة ٢٧٦/٢]؛ أي: يَزِيدُهَا.

وقَولُه تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ التفاتٌ حَسَنٌ؛ كأنَّه قال لمَلائكتهِ وخواصِّ خَلْقِه: ....

قوله: (لا يُثاب على تلك الزيادة) وهو معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

قوله: (وقالوا) أي: قال الذاهبون إلى هذا القول الثاني.

قوله: («المستَغزِرُ»)[١] يعني: مَن يهَب شيئًا يستدعي بهِبته عوضًا مِن المتَّهِب ليستحقّ العوض. وهو بالغَين المعجمة. وفي بعض النسخ: "المستَعزِرُ"، العَزْرُ: الردّ والمنع.

قوله: (فمُؤتوه) الصواب "فمُؤتَوه" بفتح التاء، والمراد به آخِذوا الزكاة، فيكون المعنى: يُفضِّل آخذي الزكاة على آخذي الربا، ويُظهره عطفُ قوله: (ووجهٌ آخَر) على قوله: (﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ التفات). وأمّا إن كان "مُؤتُوه" بضمّ التاء فلا يَحسن العطف؛ لأنّه أيضًا على هذا التقدير التفات؛

---

[١] لم أجده مرفوعًا. وأخرجه عبد الرزّاق في المصنّف، ١٠٦/٩ (١٦٥٢٣)؛ وابن أبي شيبة في المصنّف، ٤٧٤/٦ (٢٢١٢٧)، مِن قول شُريح، بلفظ: «الجانبُ المستَغزِر تُردّ إليه هِبته أو يُثاب منها». قال ابن الأثير: «أي: إنّ الغريب الطالبَ إذا أهدى إليك شيئًا ليطلب أكثرَ منه فأعطِه في مقابلة هديّته. ومعنى المستغزِر: الذي يطلب أكثرَ ممّا أعطَى». النهاية لابن الأثير، «غزر».

فأولئكَ الَّذينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ الله بصَدقَاتِهم هم المُضْعِفُون، فهُو أَمْدَحُ لهُم مِن أَن يقولَ: فأنتُم المُضْعِفُون.

والمعنى: المُضعِفُون به؛ لِأَنَّهُ لا بُدَّ من ضميرٍ يَرْجِعُ إلى "ما".

ووَجْهٌ آخَرُ: وَهُو أَن يكُونَ تَقْدِيرُه: فمُؤتوهُ أُولئك هُم المُضْعِفونَ، والحَذفُ لِمَا في الكلام مِن الدَّليل عَليه. وهذا أَسْهَلُ مأخذًا والأوَّلُ أَملأُ بالفَائدةِ.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾

لأنّه لو لم يُرَد الالتفات / لقيل: "فأنتم". وأمّا إذا كان بفتح التاء فيكون المراد [٢٦٧و]
بـ"المؤتَون" هم الآخذون للزكاة، فلا يكون فيه التفات؛ لأنّه يكون المعنى على أنّه يخاطب أصحاب الأموال الذين يَصرفون الزكاة بأنّ الذين يأخذون الزكاة هم المضعِفون، فلا يكون فيه التفات كما ترى.

قوله: (والحذف)[١] مبتدأ خبره قوله: (لِما في الكلام) يريد إنّما[٢] حُذف "فمُؤتَوه" لدلالة الكلام عليه.

قوله: (أسهلُ مأخَذًا)[٣] لأنّه لا يحتاج إلى دقيقة الالتفات، والمعنى عليه ظاهر.

قوله: (والأوّل أملأُ بالفائدة) وهي فائدة الالتفات. يريد أنّ فائدته[٤] أكثر للالتفات،[٥] فيجوز أن يكون مِن "مَلأَ الإناءَ ماءً يَمْلَؤه"،[٦] وأن يكون مِن "مَلُؤَ مَلاءةً"، أي: غِنًى، و"هو أملأُ منه" على "أفعَل" التفضيل. و"المَليء": الغنيّ. ومنه قول شُريح: «اختَرْ أمْلأَهم»،[٧] أي: أقدَرَهم.

---

[١] ن: والحدوف.
[٢] ن: إمّا.
[٣] ن: أسهل ما يحلاحدا.
[٤] ن: فائدة.
[٥] ن: الالتفات.
[٦] ن: يملأ.
[٧] المُغرب للمطرّزي، «ملأ». وتمام قول شُريح رواه الشيباني في الأصل، ٤٣٠/١٠، عن أبي عبد الله الجلّاب أنه باعَ قومًا غنمًا على أن يأخذ أيّهم شاء بحقّه، فأتى شُرَيحًا في ذلك، فقال: «اختَر أملأهم فخُذه حتى تستوفي منه حقَّك».

﴿ٱللَّهُ﴾ مُبتَدأٌ وخَبرُهُ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾؛ أي: اللهُ هُو فاعِلُ هذه الأفعَالِ الخاصَّةِ التي لا يَقْدِرُ على شيءٍ منْهَا أَحَدٌ غيرُه، ثمَّ قال: ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ الَّذين اتَّخذتُموهم أَنْدَادًا له من الأَصْنَام وغَيْرها ﴿مَن يَفْعَلُ﴾ شيئًا قَطُّ من تلك الأفعال حَتَّى يَصِحَّ ما ذهَبْتُم إليه، ثمَّ استَبْعَدَ حَالَه من حَال شُركَائهم.

وَيجوز أَن يكونَ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ صِفةً للمُبتدَأ، والخَبرُ: ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾، وقَولُه: ﴿مِن ذَٰلِكُم﴾ هُوَ الَّذي ربَط الجُملةَ بالمُبتدَأ؛ لأنَّ مَعناهُ: مِن أفعالِه.

و﴿مِن﴾ الأُولى والثَّانيةُ والثالثةُ كُلُّ واحدةٍ مِنهنَّ مُستَقلَّةٌ بتَأكيدِ لتَعْجيزِ شُركائِهم وتجْهِيلِ عَبَدتهِمْ.

قوله: (و"مِن" الأولى والثانية والثالثة)... إلخ، "مِن" الأولى والثانية للتبعيض، والثالثة زائدة لتأكيد معنى الاستفهام الذي هو جارٍ مَجرى النفي، وكلّ واحد منها يفيد التأكيد المذكور؛ لأنّ قولك: "هل يفعل بعضَ شركائكم؟" آكَد مِن قولك: "هل يفعل شركاؤكم؟"، وكذا قولك: "هل يفعل بعضَ ذلك؟"، آكَد مِن قولك:[١] "هل يفعل ذلك؟". وأمّا الثالثة فظاهرة.

ثمّ اعلم أنّ قوله: ﴿مَن يَفْعَلُ﴾ فاعل فِعلٍ محذوف يستدعيه[٢] ﴿هَلْ﴾. وقوله: ﴿مِن شُرَكَآئِكُم﴾ حال مِن الموصول نفسِه. ولا يجوز أن يكون حالًا مِن الضمير في ﴿يَفْعَلُ﴾؛ لأنّ معمول[٣] الصلة لا يتقدّم[٤] على الموصول. و﴿مِن شَىْءٍ﴾ مفعول ﴿يَفْعَلُ﴾. و﴿مِن ذَٰلِكُم﴾ حال مِن ﴿شَىْءٍ﴾ مقدَّم عليه، فإنّ حرف الجرّ لا يمنع تقديم الحال على المجرور لزيادتها. والتقدير: هل يوجد مَن يفعل شيئًا مِن ذلكم كائنًا بعضَ شركائكم؟ ثمّ قُدّم قوله: ﴿مِن شُرَكَآئِكُم﴾ لشدّة الاعتناء، فإنّ المقصود نفيُ الشركاء، والإنكارُ متوجِّه إلى الشركاء. وقُدّم أيضًا قوله: ﴿مِن ذَٰلِكُم﴾ على ذي حاله؛[٥] لأنّ القصد إلى[٦] ذكر هذه الأفعال العظيمة، وأنّ مِثلها لا يَقدِر عليها إلّا اللهُ تعالى.

---

[١] ن - "هل يفعل شركاؤكم؟"، وكذا قولك: "هل يفعل بعضَ ذلك؟"، آكَد مِن قولك.
[٢] ن: يستدعنه.
[٣] ن: معوّل.
[٤] ف: بتقدم.
[٥] ن: حالةٍ.
[٦] ن + ما.

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ نحو: الجَدْبِ، والقَحْطِ، وقِلَّةِ الرَّيْع في الزِّراعَاتِ والرِّبْحِ في التِّجارات، وَوُقُوعِ المُوتانِ في النَّاس والدَّوابِّ، وكَثْرةِ الحَرَقِ والغَرَق، وإخفَاقِ الصَّيَّادِين والغَاصَةِ، ومَحْقِ البَركاتِ مِن كلِّ شيء، وقِلَّةِ المنَافِع في الجُملةِ وكَثْرةِ المضَارِّ.

وعن ابن عباسٍ: أَجْدَبتِ الأرضُ وانقطَعت مادَّةُ البَحْر.

وقالُوا: إذا انقطَعَ القَطْرُ عَميَتْ دوابُّ البَحْر.

وأظنّ أنّ هنا وجهًا آخر؛ وهو أن يكون ﴿ٱلَّذِى﴾ صفةً، و﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾... إلى الآخِر الخبرَ، و﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ﴾ جملةً معترِضة، والله أعلم.

قوله:[١] (ووقوع[٢] المُوتان) قال في الصحاح: «'المُوتان' -بالضمّ- موت يقع في الماشية، يقال: 'وقَع في المال مُوتان'».[٣] وقال في المُغرب: «مَوَّتَت البهائم؛ وقع فيها المُوتان، أي: الموت العامّ».[٤] وأقول: قول المصنّف: (وقوع المُوتان في الناس) يخالف ما ذُكر في الصحاح، لكن يوافق ما ذُكر في المُغرب.

قوله: (الحَرَق) "الحَرَق"[٥] اسم مِن "الإحراق"،[٦] كـ"الشَّفَق" مِن "الإشفاق"، ومنه «الحَرَق والغَرَق».[٧]

قوله: (وإخفاق الصيّادِين) يقال: "أخفَقَ الصيّاد" إذا رجع ولم يَصِد.[٨]

قوله: (والغاصة) هي مِن "الغِياصة"؛ وهو النزول في البحر على اللؤلؤ.[٩]

---

١ وفي هامش د: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾.
٢ ن: وقوع.
٣ الصحاح للجوهري، «موت».
٤ المُغرب للمطرّزي، «موت».
٥ ن: الخرق.
٦ ن: الإخراق.
٧ المُغرب للمطرّزي، «حرق». وتمامه فيه: «ومنه: 'الحَرَق والغَرَق والشَّرَق شهادة'». وهو حديث في سنن النسائي، ٥١/٦ (٣١٩٤)، بلفظ: «والبَطْن شهادة، والحَرَق شهادة، والغَرَق شهادة». وفي مسند أحمد، ٣٧٩/٢٥ (١٥٩٩٨)؛ وسنن أبي داود، ٦٤٩/٢ (١٥٥٢)، مِن دعائه صلّى الله عليه وسلّم: «وأعوذُ بكَ مِن الغَرَق والحَرَق».
٨ ن – قوله: (وإخفاق الصيّادين) يقال: "أخفَقَ الصيّاد" إذا رجع ولم يَصِد.
٩ انظر: الصحاح للجوهري، «غوص».

وعن الحسن: أنَّ المرادَ بالبَحْر: مدنَ البَحْر وقُراهُ التي على شَاطِئِهِ.

وعن عِكرِمَةَ: العَربُ تُسَمِّي الأمْصَارَ: البحَارَ.

وقرئ: "في البرِّ والبحُور".

﴿بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾: بسَببِ معَاصِيهم وذُنُوبهم؛ كقَوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى ٣٠/٤٢].

وعن ابن عَبَّاس: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ﴾ بقَتْلِ ابنِ آدمَ أَخاهُ، وفي البَحْر بأنَّ جُلَنْدَى كان يأخُذُ كُلَّ سفينةٍ غصْبًا.

وعَن قتادة: كان ذلك قَبل البَعْثِ، فلمَّا بُعثَ رسولُ الله رجَع راجِعُون عن الضَّلالِ والظُّلْمِ.

ويجُوزُ أن يُريد: ظُهُورَ الشَّرِّ والمعَاصِي بكَسْبِ النَّاسِ ذلك.

فإن قلتَ: ما مَعنى قولِهِ: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾؟

قلتُ: أَمَّا عَلى التَّفسيرِ الأوَّل فَظَاهِرٌ، وهُو أنَّ اللهَ قد أفسَدَ أسبَابَ دُنيَاهُم ومَحقَها ليُذِيقَهُم وبَال بعضِ أعمَالهم في الدُّنيا قَبلَ أن يُعَاقِبَهُم بجميعِهَا في الآخِرةِ لعَلَّهم يرجعُون عمَّا هُم عَليه، وأَمَّا على الثَّاني فاللامُ مَجازٌ عَلى مَعْنَى: أنَّ ظهُورَ الشُّرورِ بسَبَبِهِم ممَّا استَوْجَبُوا بهِ أَن يُذيقَهُم اللهُ وَبَالَ أَعْمَالِهِم إرَادَةَ الرُّجوع، فكأنَّهم إنَّما أفسَدُوا وتَسبَّبُوا لِفُشُوِّ المعَاصي في الأَرضِ لأَجْلِ ذلكَ.

قوله: (وقُراه)[١] "القُرى" جمع "القرية"، مضاف إلى ضمير "البحر". و"شاطئ الوادي": شطّه وجانبه. و"الشَّطّ" بالتضعيف: جانب النهر، والوادي، والسَّنام.[٢]

[٢٦٧ظ] وقوله: (التي) صفة "المُدُن / والقرى".

قوله: (فـ"اللام" مجاز) المجاز: هو اللفظ المستعمل في غير ما وُضِع له، فكأنّه قال: "اللام" مستعمَل في غير ما وُضِع له.[٣]

قوله: (ممّا استوجبوا) خبر "أنّ".

---

١ ن ف: وقراة.

٢ انظر: الصحاح للجوهري، «شطأ»؛ «شطط».

٣ ن – له.

وقُرئ: ﴿لنُذِيقَهُم﴾ بالنون.

﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾

ثُمَّ أكَّدَ تسبُّبَ المعَاصِي لِغَضَب الله ونكاله: حيْثُ أمَرَهُم بأَنْ يسيروا فيَنظُروا كيْف أَهْلك اللهُ الأُمَمَ وأذاقَهُم سُوءَ العَاقبة بمعَاصِيهم، ودَلَّ بقَوله: ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ على أَنَّ الشِّرك وَحْدَه لم يَكُن سَبَبَ تَدْميرِهِمْ، وأَنَّ ما دُونه منَ المعَاصي يكُون سَبَبًا لذلك.

"القيِّمُ": البَلِيغُ الاستِقامةِ، الَّذِي لا يتَأَتَّى فيه عِوَجٌ.

﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾: إمَّا أَن يتعَلَّق بـ﴿يَأْتِىَ﴾ فيَكونَ المَعنى: من قبْلِ أَن يَأتِيَ من الله يومٌ لا يَرُدُّه أحَدٌ؛ كقَوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ [الأنبياء ٤٠/٢١] أو بـ﴿مَرَدَّ﴾ على مَعْنى: لا يَرُدُّه هو بَعْد أَنْ يَجيءَ به ولا رَدَّ له من جهَتِه، والمَرَدُّ: مَصْدرٌ بمعنى الرَّدِّ.

﴿يَصَّدَّعُونَ﴾: يتَصَدَّعُون؛ أي: يتفَرَّقُونَ؛ كقَوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم ١٤/٣٠].

قوله: (كقوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [الأنبياء ٤٠/٢١]) خبر لمبتدأ محذوف، فكأنّه قال: هذا يعني: ﴿لَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ كقوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ [الأنبياء ٤٠/٢١]؛ إذ معنى ﴿لَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ أنّهم لا يقدرون على ردّه.

قوله: (كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الروم ١٤/٣٠]) خبر قوله: (﴿يَصَّدَّعُونَ﴾)، كأنّه قيل: معنى ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾ كمعنى ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ﴾ [الروم ١٤/٣٠]. ويجوز[1] أن يكون خبرَ مبتدأ محذوف، كأنّه قيل: هذا كقوله تعالى... كما مرّ في نظيره آنِفًا.[2]

قوله: (﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم ١٤/٣٠])[3] أي: فريق في الجنّة، وفريق في السعير. معالم.[4]

---

[1] ف - ويجوز.

[2] ن: انعاده.

[3] ن: يتفرلون.

[4] معالم التنزيل للبغوي، ٢٧٥/٦ (فاطر، ٣٩/٣٥).

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ كلمةٌ جَامِعةٌ لِمَا لا غَايةَ ورَاءهُ من المضَارّ؛ لأنَّ مَن كَانَ ضَارَّهُ كُفْرُه فَقد أحَاطَتْ بهِ كُلُّ مَضَرَّةٍ.

﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾؛ أي: يُسوُّون لأنفُسِهم ما يُسَوِّيهِ لنَفْسه الَّذي يَمْهَدُ فِراشَهُ ويُوطِّئُه لئلَّا يُصِيبَه في مضجَعِه ما يُنبِيهِ عليه ويُنغِّصُ عَليه مَرْقَدَهُ: مِن نُتُوٍّ، أو قضَضٍ، أو بعضِ ما يُؤذِي الرَّاقِدَ.

قوله تعالى: ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ أي: وبالُ كُفرِه. معالم.[١]

قوله: (مِن المَضارّ) بيان "ما".

قوله: (الذي يَمْهَد) "يَمْهَد"[٢] بفتح الياء والهاء المفتوحة المخفَّفة هو الصواب؛ ليطابق[٣] لفظ القرآن،[٤] ولاستقامةِ[٥] المعنى أيضًا. قال في **الصحاح**: «المِهاد: الفِراش. ومَهَدتُ الفِراش[٦] مَهْدًا؛ بسَطتُه ووطَّأتُه. وتمهيد الأمور: تَسويتها وإصلاحها».[٧]

قوله: (يُنْبِيه) أي: يجعله نابيًا غيرَ موافق، مِن قولهم: "نَبا المنزلُ" إذا لم يوافِق، قال:

وإذا نَبــا بــك منــزلٌ فتحــوَّلِ[٨]

قوله: (مِن نُتُوٍّ) بيان "ما". "النُّتُوء" مهموز، ويُدغم، كما في "مَقروء". و"نَتَى نَتْأً ونُتُوًّا"،[٩] أي: ارتفع.

قوله: (أو قَضَضٍ) "القَضَض": الحَصا[١٠] الصغار، وهو بالقاف. وفي بعض النسخ:

---

١ معالم التنزيل للبغوي، ٢٧٥/٦ (فاطر، ٣٩/٣٥).
٢ ن – "يَمْهَد".
٣ ف: لتطابق.
٤ يعني: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾.
٥ ن: والاستقامة.
٦ ن – ومَهَدتُ الفِراش.
٧ الصحاح للجوهري، «مهد».
٨ صدره:
واتـرك مَـحَـلَّ السُّـوء لا تَـحُـلَّ بـه
وهو لعبد القيس بن خُفاف البُرجُمي. انظر: المفضّليّات للمفضّل الضبّي، ص ٣٨٥؛ والأصمعيّات للأصمعي، ص ٢٢٩.
٩ ن: بناءً وبنو.
١٠ ن: الحصاءُ.

ويجوز أن يُرِيدَ: فعَلَى أنفُسِهم يُشفِقُونَ، مِن قولهم في المُشفِق: "أُمٌّ فرَشَت فأنامَت".

وتقديمُ الظرف في الموضِعَين للدَّلالة عَلى أن ضرَر الكُفر لا يعُود إلَّا عَلى الكافِر لا يتَعدَّاهُ، ومَنْفعَة الإيمان والعَمل الصَّالح تَرجِعُ إلى المؤمنِ لا تتجَاوَزُه.

﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٥﴾

﴿لِيَجۡزِيَ﴾ متعَلِّقٌ بـ﴿يَمۡهَدُونَ﴾ تغليلٌ له.

﴿مِن فَضۡلِهِۦ﴾: مما يَتفضَّل عليهم بَعد توفيَةِ الواجِب من الثوابِ، وهذا يُشْبِهُ الكِنايةَ؛ لأنَّ الفضْل تَبَعٌ لِلثَّوابِ فلا يكون إلَّا بعْدَ حصُول ما هُوَ تَبَعٌ لَهُ، أو أرَادَ: من عَطَائه وهُو ثوَابُه؛ لأنَّ الفُضُولَ والفَواضِلَ هي الأعْطيَةُ عند العَربِ.

"أو فَضَضٍ" بالفاء. فُضاض الشيء: ما تفرّق منه عند كسرك،[1] وكلُّ شيء تفرّق فهو فَضَضٌ بالفاء.[2]

قوله: (ويجوز أن يريد) عطفٌ على قوله: (يُسَوُّون لأنفسهم). ثمّ اعلم أنّه كان على الأوّل استعارة؛ إذ شُبّه عمل مَن يعمل صالحًا ليصلَ في الآخرة[3] إلى ما يوافقه[4] ويلائمه بعمل مَن يَمْهَد الفراشَ ويوطِّئه على ما ذُكر. وعلى الوجه الثاني كناية؛[5] لأنّ مَهْدَ الفراش وتسويتَه مِن لوازم الإشفاق، فلمّا أُطلقَ اللازم وأُريدَ الملزوم كان كناية.

قوله: (تَوفيةِ الواجب) بناءٌ[6] على مذهبه. وأمّا عند أهل السنّة والجماعة فلا يجب على الله تعالى شيء، وكلّ ما يجزي الله تعالى به عنده فهو فضل منه تعالى. ثمّ قال: (وهذا يُشبه)[7] يعني: يحتمل أن يكون كناية لذِكر اللازم، وهو الفضل، وإرادةِ الملزوم، وهو الثواب. والفضل أيضًا مراد هنا؛ لأنّ الكناية لا تُنافي الحقيقة،

---

١ في الصحاح: "عند كَسرك إيّاه".

٢ انظر: الصحاح للجوهري، «قضض»؛ «فضض».

٣ ن – الأوّل استعارة؛ إذ شُبّه عمل مَن يعمل صالحًا ليصلَ في الآخرة.

٤ ن: يوفقه.

٥ ن: في كتابه.

٦ ن: ثنا.

٧ ن: يشبة.

وتكريرُ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وتَرْكُ الضَّميرِ إلى الصَّريح؛ لتَقْريرِ أنَّه لا يُفْلِحُ عِندهُ إلَّا المُؤمِنُ الصَّالِحُ.

وقَولُه: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ تقْريرٌ بعْدَ تقريرٍ على الطَّرْد والعكس.

وإنّما قال: "يُشبِه" -أي: يَحتمل- لأنّه يحتمل أن لا يكون كناية؛ بل يكون تصريحًا بأن يكون المراد مِن عطائه كما ذَكر آخِرًا.

قوله: (وتكرير)[١] يريد أنّ الأصل "لِنَجزيَهم"،[٢] وعُدِل مِن الضمير إلى الظاهر.

قوله: (تقرير بعد تقرير) أي: تقرير[٣] واقع أو حاصل بعد تقرير. فإنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ تقرير وقع بعد تقريرٍ تقدَّمه، وهو[٤] قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾.

ولمّا حكم المصنّف رحمه الله[٥] على قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فقط بأنّه تقرير بعد تقرير ظهَر أنّ البيان للطرد والعكس بالوجه الذي ذكرنا أوّلًا في الحاشية خيرٌ مِن البيان الذي ذكرناه ثانيًا في الحاشية بتوفيق الله تعالى.

[٢٦٨و] قوله: (على الطَّرد والعَكس) يجوز أن يريد أنّه تعالى في قوله: ﴿مَن / كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾[٦] قدَّم ذكرَ الكافر بقوله: ﴿مَن كَفَرَ﴾، ثمّ ذَكر وعيده بقوله: ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾. وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قدَّم الوعيد، وهو قوله: ﴿لَا يُحِبُّ﴾، ثمّ ذَكر[٧] كفره. ويجوز أن يريد أنّه[٨] تعالى في التقرير الأوّل قدَّم وعيدَ الكافر على وعد المؤمن، حيث قال: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾. وفي التقرير الثاني قدّم وعدَ المؤمن، فقال: ﴿لِيَجْزِيَ﴾... إلى ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. والأوّل أظهَر.

---

١ ن: ويل.

٢ كذا في الأصول الخطّيّة بالنون. والصواب: "ليَجزيَهم" بالياء؛ ليوافق قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾... الآية.

٣ ن - أي: تقرير.

٤ ن - قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ تقرير وقع بعد تقريرٍ تقدَّمه، وهو.

٥ د - رحمه الله.

٦ ف - ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾.

٧ ن - ذكر.

٨ ن: قوله.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿ٱلرِّيَاحَ﴾ هي الجَنُوب والشَّمالُ والصَّبَا وهي رِياحُ الرَّحمةِ، وأمَّا الدَّبُورُ فريحُ العَذاب، ومنهُ قولُه عليه السلام: «اللَّهمَّ اجعَلهَا رِيَاحًا ولا تجعَلها رِيحًا».

وقد عَدَّد الأَغْراضَ في إِرْسَالها وأنَّه أَرْسَلها للبشارة بالغَيْثِ ولإذاقَةِ الرَّحمة، وهي: نزُولُ المَطر وحُصُولُ الخِصْب الَّذي يَتْبَعُه، والرَّوْحُ الَّذي مع هبُوب الرِّيح، وزكاءُ الأرض، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا كَثُرَتِ المُؤتفِكَاتُ زَكَتِ الأرضُ»، وإزالَةُ العُفونَةِ من الهَواء، وتَذرِيَةُ الحُبُوبِ، وغيرُ ذلك.

قوله: (والشَّمال) فيه خمس لغات: "شَمْل" بالتسكين، و"شَمَل" بالتحريك، و"شَمال"، و"شَمْأَل" بالهمز، و"شَأْمَل" مقلوب منه.[1] و"الشَّمال": الريح التي تجيء مِن ناحية القُطْب. و"الجَنوب" يقابله. و"الصَّبا":[2] مِن جانب المَشرق. و"الدَّبُور" يقابله.

قوله: (وأنّه أرسلَها) عطفٌ على (الأغراض). وهو مِن العطف الذي يجيء للبيان. وعلى ما ذكر ابن الحاجِب في شرح بعض مواضع المفصَّل: تقديرُه: وهي أنّه أرسَلها. ويجوز أن يكون التقدير: وذَكر أنّه أرسلَها، وعلى هذا أيضًا يكون مِن العطف الذي يجيء للبيان.

قوله: («المؤتَفِكات»)[3] "الأَفْك" -بفتح الهمزة- مصدر "أفَكَه أفْكًا"؛ لَفَتَه[4] وصرَفه. و"المؤتَفِكات": الرياح تختلف مَهابُّها، قاله في الصحاح، ثمّ قال فيه: «تقول العرب: "إذا كثُرت المؤتَفِكات زَكَت الأرض"».[5] وكذا نُسِب الكلام في مجمل اللغة إلى قول العرب.[6]

---

[1] ن – منه.
[2] ن: الصبا.
[3] قال الزيلعي: «غريب». تخريج أحاديث الكشّاف للزيلعي، ٦٠/٣.
[4] ن: لعنه.
[5] الصحاح للجوهري، «أفك».
[6] مجمل اللغة لابن فارس، «أفك».

﴿وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ﴾ في البَحرِ عند هبُوبها، وإنَّما زادَ ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ لأنَّ الرِّيحَ قد تهُبُّ ولا تكُونُ مُوَاتِيَةً، فلا بُدَّ من إرْساءِ السُّفُنِ والاحتيالِ لحَبْسِها، وربَّما عصَفَتْ فأغرَقَتْهَا.

﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ يُريد تجَارةَ البَحْر، ولِتَشكُروا نعمَةَ الله فيها.

فإن قلتَ: بمَ تَعلَّق ﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾؟

قوله: (مُواتيةً) تقول: "آتيتُه على ذلك الأمر مُواتاةً" إذا وافقتَه وطاوعتَه، والعامّة تقول: "واتَيته".[١]

قوله: (مِن إرساء السفن) أي: إثباتِها. رسا الشيءُ يَرسو؛[٢] ثبَتَ، وأرسيتُه؛ أثبتُّه، قال الله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾[٣] [هود ٤١/١١] مِن "أجرَت" و"أرسَت"، و"مَجْرَاهَا وَمَرْسَاهَا" بالفتح[٤] مِن "جرَت" و"رسَت".[٥]

قوله: (لِحَبْسها)... إلخ، أي: أنّ[٦] جريان الفُلك ليس بالريح؛ بل بأمر الله تعالى، فإذا أراد أن لا يجري[٧] لا يجري،[٨] وربّما غرِق. والحاصل أنّه قد تجري الريح على وجه لا يكون مواتيةً -أي: موافقة- للمراد، فيحتاج[٩] الملّاحون إلى حبس السفن والاحتيال[١٠] لحبس السفن،[١١] فلو كان بطبيعة الريح لَما اختلَف، ولمّا اختلَف عُلم أنّه بإرادة الله تعالى، لا بطبيعة الريح.

---

١ الصحاح للجوهري، «أتى».

٢ ن: يرسوا.

٣ بضمّ الميم فيهما قرأ نافع وأبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن عامر وشعبة عن عاصم. وقرأ بإمالة الألف في ﴿مَجْرٜىٰهَا﴾ خاصّة أبو عمرو وابن ذكوان بخُلف عنه. وقلّلها وَرش فيهما. انظر: النشر لابن الجزري، ٢٨٨/٢؛ والمهذّب لمحمّد سالم المحيسن، ص ٣٠؛ ٣٣.

٤ فتحُ الميم في "مَجْرَاهَا" و"مَرْسَاهَا" معًا قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن وقتادة والأعمش والمفضّل وزيد بن أسلم. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٢٣٥. وقرأ بفتح الميم في ﴿مَجْرٜىٰهَا﴾ وضمّها في ﴿مُرْسَىٰهَا﴾ حمزة والكسائي وخلَف وحفص عن عاصم. وأمال الألفَ فيهما حمزة والكسائي وخلَف. وأمال حفص الألفَ في ﴿مَجْرٜىٰهَا﴾ خاصّة. انظر: النشر لابن الجزري، ٢٨٨/٢؛ والمهذّب لمحمّد سالم المحيسن، ص ٣٠؛ ٣٣.

٥ الصحاح للجوهري، «رسا».

٦ ن – أي: أنّ.

٧ ن: لا تجري.

٨ ن – لا يجري.

٩ ن: فتحتاج.

١٠ ن: والاختياز.

١١ ن – لحبس السفن.

قلتُ: فيه وجهان: أن يكون مغطوفًا على ﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾ على المَعنى؛ كأنَّه قيل: لِيُبشِّركُمْ وليُذيقكُم، وأَنْ يتعَلَّق بمحْذُوف تَقْديرُه: وليُذِيقكم وليَكُونَ كذا وكذا أرْسَلناهَا.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

اختصِرَ الطَّريقُ إلى الغَرَض بأَنْ أُدرِجَ تَحْتَ ذِكْر الانتِصَار والنَّصرِ ذِكرُ الفَريقَينِ وقد أُخليَ الكلامُ أوَّلًا عن ذِكْرهمَا.

وقوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ تعظيمٌ للمؤمنين، ورَفعٌ من شأنِهم، وتَأهِيلٌ لِكَرامةٍ سَنيَّةٍ، وإظهارٌ لفَضلِ سابقةٍ ومَزيَّةٍ، حَيْث جَعَلهم مُستحِقِّين على الله أنْ ينصُرَهم مُستوْجِبينَ عليه أَنْ يُظْهِرَهم ويُظفِرَهم.

وقد يُوقَفُ على ﴿حَقًّا﴾، ومَعْناه: وكان الانْتِقَامُ مِنهم حَقًّا، ثُمَّ يُبتدَأُ: ﴿عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

قوله: (اختُصر) وذلك لأنَّ الغرَض بيان أنَّ بعضهم كفروا، وبعضَهم آمنوا، فتُرك ذلك لدلالة[1] ما بعده عليه. وفي قوله: (ذكرِ[2] الانتصار) شِبه لفٍّ ونَشر؛ لأنَّ المعنى: في ذِكر[3] الانتصار -أي: الانتقامِ- ذِكرُ المجرمين، وفي ذِكر النصر ذِكرُ المؤمنين.

قوله: (وتأهيلٌ) أي: جعلُهم أهلًا لكرامة.[4] يقال: أهَّلَك الله للخير تأهيلًا.

قوله: (وقد يُوقَف) هذا[5] عطفٌ على جملة قولِه:[6] (وقولُه[7] تعالى... تعظيمٌ). وعلى هذا الوجه لا يكون فيه التعظيم المذكور.

---

[1] ن: لذلالة.
[2] ن: ذكوا.
[3] د: ذلك.
[4] ف: للكرامة.
[5] ن - هذا.
[6] ن - قوله.
[7] ن: قوله.

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما مِن امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَرُدُّ عن عِرْضِ أخيهِ إلّا كان حَقًّا على الله أن يَرُدَّ عنهُ نارَ جهنَّم يَوم القيامةِ»، ثم تلَا قوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿فَيَبْسُطُهُۥ﴾ مُتَّصِلًا تارةً ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ -أي: قِطَعًا- تارةً ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ في التَّارَتيْنِ جميعًا.

والمرادُ بالسَّماءِ: سَمْتُ السَّماءِ وشِقُّها؛ كقوله: ﴿وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم ٢٤/١٤] وبإصابة العبَاد: إصَابةُ بلادهِم وأرَاضيهم.

﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾

﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾ من بابِ التَّكرير والتَّوكيد؛ كقوله تعالى: ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا﴾ [الحشر ١٧/٥٩]، ومَعْنَى التَّوكيدِ فيه: الدَّلالةُ على أنَّ عَهْدَهُم بالمَطر قد تطَاوَلَ وبَعُدَ فاستَحكَم يأسُهم وتمَادَى إبْلاسُهمْ، فكان الاستِبشَارُ على قَدْرِ اغتِمامِهم بذلك.

قرئ: ﴿أَثَرِ﴾ و﴿ءَاثَٰرِ﴾ على الوَحْدةِ والجمع.

وقرأَ أبو حَيْوةَ وغيرُهُ: "كيْفَ تُحْيِي"؛ أي: الرَّحمةُ.

قوله تعالى:[١] ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ "الوَدْق": المطر.

قوله: (كقوله: ﴿وَفَرْعُهَا﴾ [إبراهيم ٢٤/١٤]) استشهاد.

قوله: (أي: الرحمةُ) وهو المطر.

---

[١] ن - تعالى.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ يَعني: إنَّ ذلك القادرَ الذي يُحيي الأرضَ بعْدَ مَوْتها هو الذي يُحْيِي الناسَ بَعْد مَوتهم ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من المقْدُوراتِ قادِرٌ، وهذا مِن جُمْلةِ المَقْدُوراتِ بدليلِ الإنشاءِ.

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿فَرَأَوْهُ﴾: فرأَوا أَثَرَ رَحْمةِ اللهِ؛ لأنَّ رحْمَة الله هيَ الغيثُ وأَثرُهَا النَّبَاتُ، ومَن قَرأ بالجَمْع رجَع الضَّميرُ إلى مغْناه؛ لأنَّ معْنَى آثارِ الرحمة: النَّبَاتُ، واسمُ النَّباتِ يَقعُ على القَليلِ والكَثيرِ لأنَّه مَصْدَرٌ سُمِّي بهِ ما يَنْبُتُ.

﴿وَلَئِنْ﴾ هي اللَّامُ الموطِّئةُ للقسَم دَخلتْ على حَرْفِ الشَّرطِ و﴿لَّظَلُّوا﴾ جوابُ القَسَمِ سَدَّ مسَدَّ الجوَابيْنِ، أَعْني: جَوابَ القَسمِ وجوابَ الشَّرطِ، ومَعْناه: لَيَظَلُّنَّ.

ذمَّهُم اللهُ عزَّ وجل بأنَّه إذا حبَسَ عَنْهُم القَطْرَ قَنَطُوا من رَحْمتِه وضَربُوا أذقَانَهمْ على صُدُورِهم مُبْلِسينَ، فإذَا أَصَابَهُم برَحْمتِه وَرَزَقَهُم المطرَ استَبْشَرُوا وابتهجَوا،

قوله: (ومَن قرأ بالجمع) أي: ﴿ءَاثَٰرِ﴾.[1]

قوله: (ومعناه: لَيَظَلُّنَّ)[2] إذ المعنى على الاستقبال.

قوله: (ذمّهم الله تعالى)[3] يعني: بقوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَصَابَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَكْفُرُونَ﴾. / لكنّ المصنّف رحمه الله[4] قدّم تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانُوا﴾ على قوله[5] تعالى:[6] ﴿فَإِذَآ أَصَابَ﴾ نظرًا[7] إلى المعنى؛ لأنّ إبلاسهم قبل إنزال الوَدْق مقدَّم على استبشارهم بعد إصابتهم، ثمّ كفرُهم بسبب الريح والاصفرار[8] بعد ذلك. [٢٦٨ظ]

---

١ قرأ بالجمع ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وحفص عن عاصم. وقرأ بالإفراد باقي العشرة. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٤٥.

٢ ن: ليظللن.

٣ ف: عزّ وجلّ.

٤ د – رحمه الله.

٥ ن – قوله.

٦ ف – ﴿وَإِن كَانُوا﴾ على قوله تعالى.

٧ ن: نظر.

٨ ن: والاصفران.

فإذا أرْسَل ريحًا فضربَ زرُوعَهُم بالصُّفَارِ ضَجُّوا وكفَرُوا بنِعْمة الله، فَهُم في جَميعِ هذه الأَحْوال على الصِّفَة المَذْمُومَةِ، كان عَليهم أن يتَوكَّلُوا على الله وفَضْلِه فَقنِطُوا، وأَنْ يَشْكُروا نعْمتَهُ ويحْمَدُوهُ عليها فلم يَزِيدُوا على الفَرَح والاسْتِبْشَارِ، وأنْ يَصْبِرُوا على بَلائه فكفَرُوا.

والرِّيحُ التي اصْفَرَّ لها النَّباتُ يجُوز أن تكُونَ حَرُورًا وحَرْجَفًا، فكِلْتَاهُما ممَّا يُصَوِّحُ له النَّبَاتُ ويُصْبِحُ هَشيمًا، وقال: ﴿مُصْفَرًّا﴾ لأنَّ تِلك صُفْرةٌ حَادِثةٌ.

وقيل: فَرَأَوا السَّحابَ مُصْفرًّا؛ لأنَّه إذا كان كذلك لم يَمْطُرْ.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾

قرئ بفتح الضَّاد وضمِّهَا، وهُما لُغتَان، والضَّمُّ أَقْوَى في القراءةِ؛ لِمَا رَوى ابنُ عُمر قال: قَرأتُها على رسُول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مِن ضَعْفٍ﴾ فَأَقرأنِي: ﴿مِنْ ضُعْفٍ﴾.

قوله: (كان عليهم)... إلخ بيان أنّهم كانوا على الصفة المذمومة. وقوله: (كان عليهم) يعني: قبل إنزال الوَدْق. وقوله: (وأن يشكروا)[1] يعني: إذا أصابهم الوَدْق. وقوله: (وأن يصبروا) يعني: حين إرسال الريح.

قوله: (وحَرْجَفًا) أي: باردةً. و"الحَرور":[2] الريح الحارّة.

قوله: (يُصَوِّح) "صوَّح له النبات"، أي: يَبِسَ. و"تَصوَّح البقل" إذا يَبِسَ أعلاه وفيه نُدُوَة. و"صوَّحَتْهُ الريح" أيبَسَته.[3]

قوله: (وقال: ﴿مُصْفَرًّا﴾) ولم يقل: أصفر.

قوله: (وهما لغتان) قُرِئا في السبعة.[4]

---

[1] ن - إلخ بيان أنّهم كانوا على الصفة المذمومة. وقوله: (كان عليهم) يعني: قبل إنزال الوَدْق. وقوله: (وأن يشكروا).

[2] ن: والحزور.

[3] الصحاح للجوهري، «صوح».

[4] قرأ بفتح الضاد حمزة وعاصم بخلف عن حفص، وقرأ باقي العشرة بضمّها. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٤٥.

وقولُه: ﴿خَلَقَكُم مِّن ضُعْفٍ﴾ كقَوله: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء ٣٧/٢١] يَعْني: أنَّ أَسَاسَ أَمْرِكُم وما عَليْه جِبِلَّتُكم وبِنْيَتُكم الضَّعْفُ ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء ٢٨/٤]. أي: ابتدَأنَاكُم في أوَّل الأَمْر ضِعافًا وذلك حَالُ الطُّفُولَةِ والنَّشْءِ، حَتَّى بلغْتُم وقتَ الاحْتِلام والشَّبِيبَةِ وتلك حَالُ القُوَّةِ إلى الاكْتِهَالِ وبُلُوغُ الأَشُدِّ، ثمَّ رُدِدتُم إلى أَصْلِ حَالِكُم وهُوَ الضُّعْفُ بالشَّيخُوخَةِ والهَرَمِ.

وقيل: ﴿مِن ضُعْفٍ﴾: منَ النَّطفِ؛ كقَوله: ﴿مِن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة ٨/٣٢].

قوله: (﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء ٢٨/٤]) استشهاد.

قوله: (والنَّشْءِ) "النَّشْأ" مصدر "نشَأَ الغلامُ" إذا شبَّ[١] وأيفَعَ، فهو ناشئ، وحقيقتُه الذي ارتفع على حدّ الصِّبَى، وقَرُب مِن الإدراك، مِن قولهم: "نشَأَ السحابُ" إذا ارتفع. وقد جاء "النُّشُوء" في مصدره أيضًا. وقولهم: "حُرمةُ الرَّضاع إنّما تثبتُ باللبَن الذي يشربه الصغار لمعنى النُّشُوّ والنُّمُوّ"[٢] على القَلب والإدغام في "النُّشُوء" للازدواج[٣] مع "النُّمُوّ".[٤]

قوله: (وبلوغِ الأشُدِّ) قوله تعالى: ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [يوسف ٢٢/١٢]، أي: قوّتَه؛ وهو ما بين ثماني عشرةَ إلى ثلاثين، وهو واحد على بناء الجَمع، مثال: "آنُك"؛ وهو الأُسْرُب،[٥] ولا نظيرَ لهما. ويُقال: هو جمع لا نظيرَ له مِن لفظه، مثل: "أبابيل" و"عَباديد".[٦] وكان سيبويه[٧] يقول: «واحده 'شِدّة'»،[٨] وهو حسن في المعنى؛ لأنّه يقال: "بلغَ الغلامُ شِدَّتَه"، ولكن لا يُجمع "فِعْلة" على "أَفعُل"، وأمّا "أَنْعُم" فإنّما[٩] هو جمع "نُعْمٍ"، مِن قولهم: "يومُ بُؤْسٍ، ويومُ نُعْمٍ"، ويقال: هو جمع الجمع، يُقال: نِعمة، ونِعَم، وأنْعُم.[١٠]

---

[١] ن: شت.

[٢] ن: والثمو.

[٣] ن: الازدواج.

[٤] المُغرب للمطرّزي، «نشأ».

[٥] وهو الرصاص. انظر: لسان العرب لابن منظور، «أنك».

[٦] العباديد: الفِرَق مِن الناس الذاهبون في كلّ وجه، وكذلك "العبابيد". يقال: "صار القوم عَباديدَ وعَبابيدَ". الصحاح للجوهري، «عبد».

[٧] ن: سيبويه.

[٨] الصحاح للجوهري، «شدد».

[٩] ن: قايما.

[١٠] الصحاح للجوهري، «شدد».

وهَذا التَّرديدُ في الأَحْوالِ المُختَلفَةِ والتَّغييرُ من هيئَةٍ إلى هَيئَةٍ وصِفَةٍ إلى صِفَةٍ: أَظْهَرُ دَليلٍ وأَعْدَلُ شَاهِدٍ على الصَّانع العَليم القَديرِ.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ۝﴾

﴿ٱلسَّاعَةُ﴾: القيَامةُ، سُمِّيَتْ بذلك لأَنَّهَا تقُومُ في آخِر ساعَةٍ من ساعَاتِ الدُّنيَا، أو لأَنَّها تقَعُ بَغْتةً وبَدِيهةً، كما تقُول: "في سَاعةٍ" لِمَن تَستَعْجِلُه، وجرَتْ عَلَمًا لها كالنَّجْم للثُّريَّا والكوكَبِ للزُّهَرةِ.

وأرادُوا: لَبْثَهُم في الدُّنيَا، أَو في القبُور، أَو فيما بيْنَ فَنَاءِ الدُّنيا إلى البَعْث، وفي الحديث: «ما بين فناء الدُّنيا إلى وقت البعث أربعُونَ»، قالُوا: لا يُعْلَمُ أَهِيَ أَرْبَعُون سَنةً أمْ أربعُونَ أَلْفَ سَنةٍ؟ وذلك وَقْتٌ يَفْنَونَ فيهِ وينقَطِعُ عَذابُهم، وإنَّما يُقَدِّرُونَ وقْتَ لَبْثِهم بذلك على وَجْه استقْصَارِهم له، أو يَنْسَونَ، أو يَكْذِبُونَ، أو يُخمِّنُونَ.

﴿كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ﴾؛ أي: مِثْلَ ذلك الصَّرفِ كانُوا يُصرَفُونَ عن الصِّدْقِ والتَّحْقيقِ في الدُّنيَا، وهكذا كانُوا يَبْنُونَ أَمْرَهُم على خلافِ الحقِّ.

أو: مثلَ ذلك الإِفْكِ كانُوا يُؤفكُونَ في الاغْتِرَارِ بما تبيَّنَ لهُم الآنَ أنَّه ما كان إلَّا سَاعَةً.

قوله: (في آخر ساعة) فيكون تسمية "القيامة" بـ"الساعة" مِن قَبيل[١] تسمية الشيء باسم محلّه.

قوله: (قالوا) أي: قال رواة الحديث.

قوله: (بذلك) أي: بالساعة.

قوله: (أو مثلَ ذلك الأَفك) عطفٌ على (مِثلَ). ثمّ إنّ "الصَّرف" و"الأَفْك"[٢] بمعنًى واحد. وحاصل المعنيين: أنّ قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى "الأَفْك" و"الصَّرف" الذي دلّ عليه قوله تعالى: ﴿يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾،

---

[١] ن: قبل.

[٢] ن: والافل.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٥٦﴾

القَائلُونَ: هُم المَلائكةُ والأَنبِيَاءُ والمُؤمِنُونَ.

﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: في اللَّوح، أو في عِلْم اللهِ وقَضَائهِ، أو فيما كتَبه؛ أي: أَوْجبَه بحِكْمتِه.

رَدُّوا ما قالُوه وَحَلَفُوا عَليه وأَطْلَعُوهم عَلى الحقيقةِ، ثُمَّ وصَلُوا ذلك بتَقْرِيعهم على إنكار البَعْث بقولهم: ﴿فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أنَّه حَقٌّ لتَفْرِيطِكُم في طَلب الحقِّ واتِّباعه.

فإن قلتَ: ما هذِه الفَاءُ وما حَقِيقتُها؟

قلتُ: هي التي في قوله:

وأنَّ قوله تعالى: ﴿كَانُواْ يُؤْفَكُونَ﴾ عبارة عن أحد الأمرَين: **الأوّل**: كونهم مَصروفين في[١] الدنيا عن الصدق والتحقيقِ إلى الباطل والكذب، وعن بناء الأمر على الحقّ إلى بناءٍ على خلاف الحقّ. والأمر الثاني: اغترارهم بالدنيا الفاني الذي تبيّن لهم يوم القيامة أنّه ما كان إلّا ساعة.

قوله: (رَدُّوا) لأنّ المعنى: ليس الأمرُ كما زعمتم أنكم ما لبثتم غيرَ ساعة؛[٢] بل لبثتم زمانًا طويلًا، وهو مِن وقت موتكم إلى يوم البعث، وهو زمان طويل؛ بل ما يعلم امتداده إلّا الله تعالى، كما قال العلماء المتقنون: «ما ندري[٣] أربعون سنةً أو أربعون ألفَ سنةٍ».[٤]

قوله: (قلتُ: هي التي في قوله:

---

١ ف: عن.

٢ ن + بل لبثتم غير ساعة.

٣ د: يدري.

٤ أخرج البخاري في صحيحه، ٦/١٢٦ (٤٨١٤)؛ ومسلم في صحيحه، ٤/٢٢٧٠ (٢٩٥٥)، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ما بين النفختَين أربعون»، قالوا: «يا أبا هريرة أربعون يومًا؟»، قال: «أبَيت»، قالوا: «أربعون شهرًا؟»، قال: «أبَيت»، قالوا: «أربعون سنةً؟»، قال: «أبَيت».

فـــقَـــد جـــئـــنَـــا خُـــراسَـــانَـــا

وحَقِيقتُهَا: أنَّهَا جَوابُ شَرْطٍ يدُلُّ عليه الكلامُ؛ كأنَّه قال: إنْ صحَّ ما قُلْتُم مِن أنَّ خُراسَانَ أقْصَى ما يُرادُ بِنَا، فقَدْ جِئنَا خُراسَانَ وآنَ لنَا أنْ نَخلُص، وكذلك: إنْ كُنتم مُنكِرينَ البَعْثَ فهذا يومُ البَعْث؛ أي: فقد تَبيَّنَ بُطْلانُ قَولِكُم.

وقَرأ الحَسنُ: "يَوْمُ البَعَث" بالتحريك.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾

فـــقـــد جـــئـــنـــا خُـــراســـانـــا)

قال الشاعر:

قالوا خُراسان أقصى ما يُراد بنا مِن البلاد فقد جِئنا خُراسانا[١]

[٢٦٩و] / اعلم أنّ في هذا البيت التفاتًا وحَذْفَ القول، أي: فقولوا لهم: "قد جئنا خُراسانا". ومعنى البيت: أنّ المخاطَبين وَعَدوا[٢] الشاعر وأتباعَهم أنكم مكلّفون[٣] بالسير للغزو إلى خُراسان، ولا تُكلَّفون[٤] أبعدَ مِن ذلك، فإذا بلغتم خُراسان فليس عليكم مجاوزته للغزو؛ بل[٥] إن أردتم القُفول فلا نمنَعكم ولا نكلِّفكم المجاوزةَ، فيقول الشاعر: إن صحّ قولكم ذلك فنخبركم أنّا بلَغْنا خُراسان، ونطلب منكم أن لا تكلِّفونا مجاوزة ذلك.

قوله: (وكذلك إن كنتم منكرين) أي: إن كنتم[٦] منكرين البعثَ يكن ذلك سببًا لإخباركم بأنّ هذا يومُ البعث، وبأنّه قد تبيّن بطلان قولكم. وفيه مِن اللطيفة والدقيقة أنّهم كأنّهم مع إنكارهم البعث لا يعلمون الآن أنّه يومُ البعث، وأنّه تبيّن بطلان قولهم.

---

١ للعبّاس بن الأحنف في الحماسة للقرشي، ٤٤٥/١، بلفظ:
ثـمّ القُـفـول فقد جِئنا خُراسانا
وهو له في مصارع العشّاق للسرّاج، ١٥٤/١، بلفظ:
قالوا: خُراسان أقصى ما تحاولُه ودونَ ذاك فقد جُزْنا خُراسانا

٢ ن: وعدو.

٣ ف: مكلّفين.

٤ ن: يكلفون

٥ ن: بان.

٦ ن: أنتم.

﴿لَا يَنفَعُ﴾ قُرِئَ بالتاء والياء.

﴿يُسْتَعْتَبُونَ﴾ من قولك: "استَعتبَني فُلانٌ فأعتَبْتُه"؛ أي: استَرضَانِي فَأرضَيْتُه، وذلك إذا كُنتَ جانيًا عَليهِ، وحَقيقةُ "أَعْتَبْتُه": أَزلْتُ عَتْبَهُ، ألَا تَرى إلى قَوله:

غَضِبَتْ تَميمٌ أَنْ يُقتَّلَ عَامِرٌ ... يَومَ النِّسَارِ فأُعتِبُوا بالصَّيْلَم

كَيْفَ جَعلهُم غِضَابًا ثمَّ قال: فَأُعْتبُوا؛ أي: أُزيلَ غضَبُهم، والغضَبُ في مَعْنى العَتْبِ.

والمَعنَى: لا يُقَالُ لهُم: أَرْضُوا رَبَّكُم بتَوْبةٍ وطَاعَةٍ، ومِثْلُه قَولُه تعَالى: ﴿لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الجاثية ٤٥/٣٥].

قوله: (قُرِئ بالياء والتاء) كلا القراءتين مِن السبعة.[١]

قوله: (مِن قولك: اسْتَعْتَبَنِي)... إلخ فحقيقة "اسْتَعتَبَنِي" طلبَ منّي أن أُعتِبَه، أي: أن أُزيلَ عَتْبه وغضبه. وحاصله: طلبَ منّي أن أُرضيَه وأجعلَه راضيًا.

قوله:

(غَضِبَت تَمِيمٌ)... البيتَ[٢]

"النِّسار" -بكسر[٣] النون- ماء لبني[٤] عامر، كان فيه وَقعة. و"يومُ النِّسار": اليومُ الذي كان فيه تلك الوَقعة. و"الصَّيْلَم": الداهية، وسمّي السيف صَيْلَمًا، وهو المراد في هذا البيت. يعني: غضبَتْ[٥] قبيلة[٦] تميمٍ لقتل عامر ذلك اليوم، فأرضيناهم وأزَلنا غضبهم بالسيف، يعني: قتلناهم. فهو استعارة تهكّميّة، نحو:

تحيّةُ بينِهم ضربٌ وجيعُ[٧]

قوله: (والمعنى) أي: معنى الآية.

---

[١] قرأ بالياء عاصم وحمزة والكسائي وخَلف، وقرأ بالتاء باقي العشرة. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٤٦.

[٢] لبِشر بن أبي خازم الأسدي في ديوانه، ص ١٨٠.

[٣] ن: وبكسر.

[٤] ن: للبني.

[٥] ن ف: غضب.

[٦] ن: صلة.

[٧] ن: وجميع. | صدره:

وخيلٍ قد دلَفتُ لها بخيلٍ

وهو منسوب لعمرو بن معد يكرب، وهو في ديوانه، ١٤٩، في المختلَف في نسبته إليه. قال البغدادي: «وهذا البيت نسبه شُرّاح أبيات الكتاب وغيرهم إلى عمرو بن مَعد يكرب الصحابي، ولم أرَه في شعره». خزانة الأدب للبغدادي، ٩/٢٦٥.

فإن قلتَ: كيْفَ جُعِلُوا غيرَ مُستَعتَبينَ في بعض الآياتِ وغيرَ مُعْتَبينَ في بعْضهَا، وهُو قولُه تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت ٢٤/٤١]؟

قلتُ: أمَّا كَونُهم غيْرَ مُسْتَعْتَبينَ فهَذا مَعْناهُ، وأمَّا كَونُهم غيْرَ مُعْتَبينَ فمَعناهُ: أنَّهم غَيْرُ رَاضِينَ بما هُم فيهِ، فشُبِّهتْ حالُهم بحَالِ قَوْمٍ جُنِيَ عَليْهم فَهُم عَاتِبُونَ على الجَاني غَيْرُ رَاضِينَ منه، فإن يَستَعْتِبُوا الله -أي: يَسْألُوه إزَالةَ ما هُم فيه- فمَا هُم مِن المُجَابِينَ إلى إزالَتهِ.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿وَلَقَدْ﴾ وَصَفْنَا لَهُم كلَّ صفةٍ كأنَّها مَثَلٌ في غَرابَتِها، وقصَصْنا عليهم كُلَّ قصَّةٍ عجيبةِ الشَّأنِ؛ كصفَةِ المَبْعُوثينَ يومَ القِيامَة وقصَّتِهم، وما يقُولُونَ وما يُقَالُ لهم،

قوله: (فمعناه) إلى قوله: (منه)[١] ليس تفسيرًا لقوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت ٢٤/٤١]؛ بل هو إشارة إلى ما يدلّ عليه هذا الكلام، فإنّ استِعتابهم إنّما يكون بعد كونهم غيرَ راضين.[٢]

قوله: (فإن يَستَعتِبوا الله)... إلخ هذا معنى ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت ٢٤/٤١]، يعني: إن طلبوا أنْ نرضيهم بأن نخرِجَهم مِن النار وندخِلَهم الجنّة فلا يُجابون إلى ذلك.

قوله: (ولقد وَصَفنا)... إلخ يعني: أنّ "المَثَل" هنا بمعنى الصفة العجيبةِ الشأنِ، و"ضربُ المَثَل" هو ذِكره وبيانه، مِن قولهم: "ضَرب اللَّبِن"، و"ضَرب الخاتم".[٣] وقوله: (كأنّها مَثَل) إشارة إلى وجه استعمال "المَثَل" بمعنى الصفة العجيبة الغريبة، وأنّ ذلك بطريق التشبيه. وتحقيق ذلك أن نقول:[٤] المِثْل والمَثَل والمَثِيل كالشِّبْه والشَّبَه والشَّبِيه لفظًا ومعنًى، ثمّ نُقل مِن هذا المعنى إلى المَثَل المشهور المَضروب؛

---

[١] في بعض مطبوعات الكشّاف: "عنه".
[٢] ن: راضيين.
[٣] ن: ايجابهم.
[٤] ن: يقول.

وما لا يَنفَعُ مِن اعتِذَارِهم ولا يُسمَعُ من استِعْتَابهم، ولكنَّهُم لقَسْوَةِ قُلُوبهِمْ ومَجِّ أَسْماعِهم حديثَ الآخِرةِ إذا جِئتَهُم بآيةٍ من آياتِ القرآن قَالُوا: جِئتَنَا بزُورٍ وبَاطِلٍ.

ثمَّ قال: مِثْلَ ذلك الطَّبْعِ يَطْبَعُ اللهُ عَلى قُلُوبِ الجَهَلَة.

ومَعْنَى طَبْعِ اللهِ: مَنْعُ الأَلْطَافِ الَّتي تَنشَرِحُ لها الصُّدُورُ حَتَّى تَقبلَ الحقَّ، وإنَّما يَمنَعُها مَن عَلِمَ أنَّها لا تُجدِي عليه ولا تُغنِي عنهُ كما يَمْنَعُ الواعِظُ المَوْعِظَةَ مَن يَتَبيَّنُ له أنَّ المَوْعِظَةَ تَلْغُو ولا تَنجَعُ فيه، فوَقعَ ذلك كنَايةً عن قَسْوَةِ قُلُوبهِمْ ورُكُوبِ الصَّدأ والرَّيْنِ إيَّاها؛ فكَأنَّه قال: كذلك تَقْسُو وتَصْدَأُ قلُوبُ الجهَلةِ حَتَّى يُسَمُّوا المُحقِّينَ مُبْطِلينَ وهُمْ أَعْرَقُ خَلْقِ اللهِ في تِلك الصِّفة.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝٦٠﴾

﴿فَاصْبِرْ﴾ على عَدَاوتهِمْ ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنُصْرتِك وإظْهَارِ دِينِكَ عَلى الدِّين كُلِّه ﴿حَقٌّ﴾ لا بُدَّ من إنجَازِه والوفَاءِ به، ولا يَحْمِلُنَّكَ على الخِفَّةِ والقَلَقِ جَزَعًا ممَّا يقُولُونَ ويفعَلُون، فإنَّهم قَوْمٌ شَاكُّونَ ضَالُّون لا يُسْتَبْدَعُ مِنهُم ذلك.

وقرئ بتخفِيف النُّون.

وقَرأ ابنُ أبي إسْحاقَ ويَعقُوبُ: "ولا يَستَحِقَّنَّكَ"؛ أي: لا يَفتِنُنَّكَ فَيَمْلِكوكَ ويَكُونُوا أَحقَّ بكَ من المؤمنينَ.

وهو الكلام المُمثَّل مَضرِبه بمَورده؛ لأنَّ ذلك إنّما يكون بطريق التشبيه، أي: بطريق تشبيه مَضرِبه بمَورده. ثمّ يُطلق المَثَل ويراد به الصفة العجيبة الشأنِ؛ لأنّ المَثَل المضروبَ إنّما صار مَثَلًا لغَرابته وكونه عجيبَ الشأن.

قوله: (مِن اعتذارهم) بيان (ما).

قوله: (مَن علِمَ) هو مفعول ثانٍ لـ"يمنع".

قوله: (الصَّدَأ) "الصَّدَأ" بالهمزة بعد الدال / المفتوحة مِن غير ألف بينهما؛ [٢٦٩ظ]

هو وَسَخ الحديد.

قوله: (وهُم أعرَق) حال، أو جملة معترِضة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرأ سُورة الرُّوم كان له منَ الأَجْر عَشْرُ حَسنَاتٍ بعَدَدِ كُلِّ ملَكٍ سَبَّح الله بيْنَ السَّماء والأَرْض وأَدْرَكَ مَا ضَيَّع في يَوْمِه وليلَتِه».

تمّت السورة.[1]

[1] ن ف – تمّت السورة.

سورة لقمان

مكيَّةٌ إلا ثلاثَ آياتٍ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ﴾ الآيات.

وهي أربعٌ وثلاثون آيةً، وقيل. ثلاثٌ.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾

﴿ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾: ذي الحكْمةِ، أو وُصِفَ بصفة الله عزَّ وجلَّ على الإسناد المجازيِّ.

ويجوز أن يكون الأصْلُ: الحكيمِ قَائلُهُ، فحُذِف المضافُ وأُقيمَ المضافُ إليه مقامَه، فبانقِلابِهِ مَرفُوعًا بَعد الجَرِّ استَكنَّ في الصِّفة المُشَبَّهة.

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾

سورة لقمان

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[1]

قوله: (فبانقلابه) أي: بسبب انقلاب الضمير المجرور مرفوعًا بعد حذف المضاف جاز أن يستتر في الصفة المشبَّهة، فإنَّ الضمير ما لم يكن مرفوعًا لا يستتر في عامله.[2]

---

[1] ن ف – وبه نستعين. | وفي هامش د ف: قوله: (على الإسناد المجازيّ) مِن قَبيل شِعر شاعر؛ لأنّ الكتاب الذي هو الكلام حكمه، وهو ليس بحكيم؛ بل قائله حكيم.

[2] ن – لايستتر في عامله.

﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ بالنَّصب على الحال عن الآيات، والعَاملُ فيهما: ما في ﴿تِلْكَ﴾ من مَعنى الإشَارة، وبالرَّفع على أنّه خَبرٌ بعد خبَرٍ، أو خَبرُ مُبتدأ محذوفٍ.

﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾: للَّذين يَعملون الحَسناتِ، وهي الَّتي ذَكرَهَا: مِن إقامةِ الصَّلاةِ، وإيتاء الزكَاةِ، والإيقَانِ بالآخِرة، ونَظيرُه قولُ أوسٍ:

الأَلْـمـعيُّ الَّــذي يَـظُـنُّ بـكَ الظَّـ ـظَنَّ كـأَنْ قـد رأى وقـد سـمِعَا

حُكيَ عن الأصمعيّ: أنّه سئل عن الأَلْمَعيّ، فَأنشَدَهُ ولم يَزِدْ.

أو: لِلَّذينَ يَعملُونَ جميعَ ما يَحسُنُ من الأعمَال، ثم خَصَّ منهُم القَائمينَ بهذِه الثلاثِ لِفضْل اعتِدَادٍ بها.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦﴾

"اللَّهوُ": كلُّ باطلٍ أَلْهَى عن الخَير وعمَّا يَعْنِي.

قوله: (بالنصب) كلاهما مِن السبعة.[١]

قوله: (للذين يعملون)... إلخ على الأوّل صفة كاشفة، وعلى الثاني صفة مُميّزة. واعلم أنّ جعل هذا صفةً مميّزةً غيرُ صحيح؛ إذ لا تمييزَ في ذلك؛ بل هو مِثل[٢] قوله تعالى: ﴿وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ[٣] وَجِبْرِيلَ﴾ [البقرة ٩٨/٢].

قوله: (وعمّا يَعني) أي: يَهُمُّ.

قوله: (اللهوُ[٤] كلُّ باطل) "اللهو" أعمّ مِن الحديث؛ لأنّ الباطل الذي يَلهو[٥] عن الخير قد يكون حديثًا، وقد يكون غيرَ الحديث، فإضافته إلى الحديث مِن إضافة العامّ إلى الخاصّ للبيان. وقوله:[٦] (أَلْهَى)[٧] يقال: أَلْهاه، أي: شَغَلَه.[٨]

---

[١] قرأ حمزة الزيّات بالرفع، وقرأ باقي العشرة بالنصب. النشر لابن الجزري، ٣٤٦/٢.
[٢] ن: ميل.
[٣] د ف ن - وَرُسُلِهِ.
[٤] ن: اللّهم.
[٥] ن: يلهوا.
[٦] ن: قوله.
[٧] ن: ألهت.
[٨] ن: أشغله.

و﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾: نحوُ السَّمَرِ بالأَساطِير والأَحَاديثِ التي لا أَصْلَ لها، والتَّحدُّثِ بالخُرافَاتِ والمضَاحيكِ وفضُولِ الكلام وما لا ينْبغِي مِن كان وكانَ، ونحوِ الغِناء وتعَلُّمِ المُوسيقَار، وما أشبَه ذلك.

وقيلَ: نزلَتْ في النَّضْر بنِ الحَارِثِ، وكان يَتَّجرُ إلى فارِسَ فيَشتَرِي كتُبَ الأعَاجم فيُحدِّثُ بها قُريشًا، ويقولُ: إن كان محمَّدٌ يُحدِّثُكم بحَديثِ عادٍ وثمودَ فأنَا أُحَدِّثُكم بأحَاديثِ رُستُمَ وبَهرامَ والأَكَاسِرَةِ ومُلوكِ الحِيْرَةِ، ....

وقوله: (بالأساطير) "الأساطير": الأباطيل، الواحد "أُسْطورة". وقوله: (بالخُرافات) "خُرْفة الجَنّة": جَناها، وكذا "الخُرافة"، وحقيقتها ما اختُرف منها، ومنها "الخُرافات" للأحاديث[1] المُستَمْلَحةِ، ومثلُها الفُكاهة[2] مِن الفاكهة، وبها سُمّي خُرافة؛ رجلٌ استَهْوَتْه[3] الجِنّ كما تزعم العرب، فلمّا رجع أَخبرَ بما رأى منها فكذّبوه، حتّى قالوا لِما لا يمكن: "حديثُ خُرافة". وعن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[4] أنّه قال: «وخُرافةُ حَقٌّ»،[5] يعني ما يُحَدِّثُ به عن الجِنّ. مُغرب.[6]

قوله: (والأكاسرةِ) "كِسرى" لقب ملوك الفرس، بفتح الكاف وكسرها، وهو معرَّب "خُسْرَوْ"، والجمع "الأكاسرة" على غير قياس.[7] وقوله:[8] (وملوكِ الحِيرةِ)

---

[1] ن: الأحاذيث.

[2] وفي هامش د: الفكاهة: اللغو واللطيفة. | وفي الصحاح للجوهري، «فكه»: «والفُكاهة -بالضمّ-: المُزاح. والفَكاهة -بالفتح- مصدر 'فَكِهَ الرجلُ' بالكسر، فهو فَكِهٌ، إذا كان طيِّب النفس مَزّاحًا».

[3] وفي هامش د: استَهْوا: جعله حيرانَ. | وفي لسان العرب لابن منظور، «هوي»: «واستَهوَته الشياطين: ذهبت بهَواه وعقله. وقيل: استَهوَته: استهامَته وحيّرَته. وقيل: زيّنَت الشياطين له هواه. ويقال للمُستهام الذي استهامته الجنّ: استهوَته الشياطين. وقال القُتَيبي: استَهوَته الشياطين: هَوَت به وأذهبَته، جعله مِن 'هَوَى يَهوِي'. وجعله الزجّاج مِن 'هَوِيَ يَهوَى'، أي: زيّنَت له الشياطين هَواه».

[4] د: عليه السلام.

[5] كذا في الصحاح للجوهري، «خرف»؛ والمُغرب للمطرّزي، «خرف»، ولم أجده بهذا اللفظ في مصادر الحديث. وفي مسند أحمد، ١٤١/٤٢ (٢٥٢٤٤)، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: حدّث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نساءَه ذاتَ ليلة حديثًا، فقالت امرأة منهنّ: يا رسول الله، كأنّ الحديث حديث خُرافة؟ فقال: «أتدرين ما خُرافة؟ إنّ خُرافة كان رجلًا مِن عُذرة»... الحديثَ.

[6] المُغرب للمطرّزي، «خرف».

[7] الصحاح للجوهري، «كسر».

[8] ن: قوله.

فيَستملحُونَ حَديثَهُ ويَتركُون استمَاع القرآن.

وقيـل: كان يَشـتَري المغنّيَات فـلا يَظفَـرُ بأحَـدٍ يُريـدُ الإسْـلامَ إلّا انطَلـقَ بـهِ إلـى قَيْنَتِـه فيَقُـولُ: أَطْعميـهِ واسْـقيهِ وغَنّيـه، ويقُـول: هـذا خيْـرٌ ممَّـا يدعـوك إلَيـه مُحمَّـدٌ مـن الصَّـلاة والصِّـيام وأَن تُقَاتِـلَ بيـن يَديْـه.

وفي حَديثِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «لا يحَلُّ بَيْعُ المَغنّيَاتِ ولا شِراؤهُنَّ ولا التِّجَارةُ فيهِنَّ ولا أَثْمانُهنَّ».

وعنه عليه السلام: «ما مِن رجُلٍ يَرْفعُ صَوْتَهُ بالغِنَاءِ إلَّا بعَث اللهُ عَليه شيْطَانَيْنِ: أَحَدُهما على هذا المَنكِب والآخَرُ على هذا المَنكِب، فلا يَزالَانِ يَضْرِبَانهِ بأَرْجُلِهما حتى يكُونَ هُوَ الَّذي يَسْكتُ».

وقيل: الغِناءُ مَنفَدةٌ للمَالِ، مَسْخَطةٌ للرَّبِ، مَفسَدةٌ للقَلْبِ.

فإن قلتَ: ما مَعنى إضافةِ اللَّهو إلى الحَدِيثِ؟

قلتُ: مَعناها: التَّبيينُ، وهي الإضافةُ بمَعنى "مِن"، وأن يُضَافَ الشَّيءُ إلى ما هُو مِنه؛ كقولك: ....

"الحِيرة" -بالكسر- مدينة بقرب الكوفة. وقوله:[١] (فيَسْتَمِيحون)[٢] اسْتَمَحْتُه؛ سألتُه العطاء.[٣]

قوله: (إلى قَيْنَتِه) أي: إلى أَمَته.[٤] قال في الصحاح: «القَيْنة: الأَمة، مغنّيةً كانت أو غيرَ مغنّية، والجمع قِيانٌ. قال أبو عمرو: 'كلُّ عبد هو[٥] عند العرب قَيْن، والأَمةُ قَيْنة'. وبعض الناس يظنُّ القَيْنة المغنّية خاصّة، وليس هو كذلك».[٦]

قوله: (وأن تُقاتِلَ) عطفٌ على (الصلاةِ).

١ ن: قوله.

٢ ن: فيستمحيون. | وفي هامش د: فَيستَمِلحُون. نخ [اختصارًا من "نسخة"]. | وفي مطبوع الكشّاف: "فَيستَمِلحُون". وهو كذلك في الكشف والبيان للثعلبي، ٢١/١٧٦ (لقمان، ٣١/٦)؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٦/٢٨٠ (لقمان، ٣١/٦).

٣ الصحاح للجوهري، «ميح».

٤ ن: أمتعه.

٥ ن – هو.

٦ الصحاح للجوهري، «قين».

"صُفَّةُ خَزٍّ" و"بَابُ سَاجٍ"، والمعنى: مَن يَشْتَرِي اللَّهوَ من الحَديث؛ لأنَّ اللَّهوَ يكُون من الحَديثِ ومِن غَيْرِه فبُيِّنَ بالحَديثِ.

والمرادُ بالحديثِ: الحديثُ المُنكرُ؛ كمَا جَاء في الحَدِيث: «الحَديثُ في المسْجد يَأكلُ الحَسناتِ كما تأكلُ البَهيمةُ الحَشِيشَ».

ويجوز أن تكُونَ الإضَافةُ بمَعنَى "مِن" التَّبعيضيَّةِ؛ كأنَّه قيل: ومِن النَّاس مَن يَشتَرِي بَعض الحَديث الذي هو اللَّهوُ منه.

وقوله: ﴿يَشْتَرِى﴾ إمَّا مِن الشِّرَى على ما رُوِي عن النَّضْرِ مِن شِرَى كُتبِ الأعَاجِم، أو من شِرَى القِيَانِ، وإمَّا مِن قَوله: ﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران ١٧٧/٣]؛ أي: استَبْدلُوهُ منه واختَارُوهُ عَلَيْه.

وعن قتادة: اشتِراؤُه: استحبَابُه، يَختَارُ حَديثَ الباطِل على حدِيثِ الحقِّ.

وقرئ ﴿لِيُضِلَّ﴾ بضم الياء وفتحها.

و"سبيلُ الله": دينُ الإسْلام، أو القرآنُ.

فإن قلتَ: القراءةُ بالضم بيِّنةٌ؛ لأنَّ النَّضْر كان غرضُهُ باشتِراء اللَّهوِ أَنْ يَصُدَّ النَّاسَ عن الدُّخول في الإسْلام واستماعِ القرآن ويُضلَّهم عنه، فما مَعْنَى القراءةِ بالفتحِ؟

قوله: ("جُبَّة خَزٍّ") وفي بعض النسخ: "صُفَّةُ خَزٍّ". وصُفَّةُ السَّرجِ: ما غُشِيَ به مِن الأَدَم بين القَرَبُوسَين، وهما مقدَّمهُ ومؤخَّرهُ.[1]

قوله: (و"بابُ ساجٍ") "الساج" ضرب مِن الشجَر. وقوله: (اللهوَ مِن الحديث) أي: اللهوَ الذي هو الحديث، فـ"مِن" للبيان، فلذا قال: (المراد بـ﴿ٱلْحَدِيثِ﴾ الحديثُ المُنكَر)، فإنّ المراد بالحديث المنهيّ في المسجد هو الحديث المُنكَر، فإنّ غيره جائز.

قوله: (بعضَ الحديث) فـ﴿ٱلْحَدِيثِ﴾ على هذا أعمّ مِن المُنكَر وغيرِه، فالممنوع المنهيّ اللهوُ مِن أصناف الحديث، لا جميعُ أنواع الحديث.

---

[1] المُغرب للمطرّزي، «صفف».

قلتُ: فيه معنيَان:

أحدُهما: ليَثبُتَ على ضَلالهِ الَّذي كان عليه ولا يَصْدِفَ عنه ويَزِيدَ فيهِ ويُمِدَّهُ، فإنَّ المَخذُول كان شديدَ الشكِيمة في عَداوة الدِّين وصَدِّ الناس عَنه.

والثاني: أن يُوضَعَ ﴿لِيَضِلَّ﴾ مَوضعَ ﴿لِيُضِلَّ﴾ من قِبَلِ أَنَّ مَن أَضلَّ كان ضَالًّا لا محَالةَ، فدُلَّ بالرَّدِيف على المَردُوفِ.

فإن قلتَ: ما مَعنى قوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؟

قلتُ: لمَّا جعَله مُشْتَرِيًا لهْوَ الحديثِ بالقرآن قال: يَشتَرِي بغيْرِ عِلْمٍ بالتِّجارة وبغيْرِ بصيرةٍ بها، حيثُ يَستَبْدِلُ الضَّلالَ بالهُدَى والبَاطِلَ بالحقِّ، ونحوُه قولُه تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة ١٦/٢]؛ أي: وما كانُوا مُهْتَدِين للتِّجَارة بُصَراءَ بهَا.

وقرئ ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ بالنَّصب والرَّفعِ، عطفًا على ﴿يَشْتَرِى﴾ أو ﴿لِيُضِلَّ﴾، والضَّميرُ للسَّبيل لأنَّها مُؤنَّثةٌ؛ كقوله تعالى: ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف ٨٦/٧].

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧﴾

[٢٧٠و] قوله: (فإنَّ المخذول) تقرير أنَّ غرضه كان الثباتَ على الضلال. / يقال: "صَدَف"،[١] أي: أعرَض، فهو عطفٌ على (يَثبُتَ) بطريق البيان، وأمّا (يزيدَ) فعطفٌ عليه لا بطريق البيان.

قوله: (فدُلّ)... إلخ أي: أُطلِق اللازم على الملزوم، فيكون كناية.

قوله: (قلتُ: لمّا جعله مُشترِيًا)[٢] أي: مُستبدِلًا.[٣] والباء متعلِّق بـ"مُشترِيًا"؛[٤] لأنّه بمعنى مُستبدِلًا، فأدخل المصنّف الباء في المتروك كما هو حقّه.

قوله: (حيث) متعلِّق بقوله: (بغير عِلم) وهو كالتعليل والبيانِ لعدم علمه.

---

[١] ف: صدق.

[٢] ف: مستريًا.

[٣] ن: مسنيدئا.

[٤] ف: بمستريًا.

﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ زَامًّا لا يَعْبَأُ بها ولا يَرْفعُ بها رأسًا، تُشْبِهُ حَالُه في ذلك حالَ مَن لـم يسمَعْها وهُو سَامِعٌ ﴿كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗا﴾؛ أي: ثِقْلًا، ولا وَقْرَ فيهما.

وقرئ بسُكُون الذّال.

فإن قلتَ: ما محَلُّ الجُمْلتين المُصَدَّرتَيْنِ بـ﴿كَأَنَّ﴾؟

قلتُ: الأُولى حالٌ من ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ والثَّانيةُ مِن ﴿لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا﴾، ويجوز أن تكُونا استئنَافيَن.

والأصل في ﴿كَأَنَّ﴾ المخفَّفةِ: كأنَّهُ، والضميرُ: ضميرُ الشَّأنِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ٨ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٩﴾

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗا﴾ مَصْدَرانِ مُؤَكِّدان: الأَوَّلُ مُؤَكِّدٌ لنَفْسِه، والثاني مُؤَكِّدٌ لِغَيْره؛ لأنَّ قولَه: ﴿لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ في مَعْنَى: وعَدهُم اللهُ جنَّاتِ النَّعِيم، فأُكِّدَ مَعْنى الوَعْد بالوَعْدِ.

قوله: (زامًّا) زمّ بأنفه، أي: تكبَّر،[1] فهو زامٌّ.[2] وقوله: (لا يَعْبَأ بها) أي: بالآيات.[3]

قوله: (حال مِن ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾) أي: مِن الضمير في ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾، يدلّ عليه قوله: (والثانيةُ مِن ﴿لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا﴾) فإنّ المعنى:[4] مِن الضمير المستتر في "يسمَع".

قوله: (ويجوز أن تكونا) وهنا وجه ثالث حسن، وهو أن يكون الثانية بيانًا للأولى، كما في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف ١٧٩/٧].

قوله: (فأُكِّدَ معنى الوعد بالوعد) فيكون تأكيدًا لنفسه.

---

١ ن + بأنفه، أي: تكبّر.

٢ الصحاح للجوهري، «زمم».

٣ ف: بالآياب.

٤ ن – مِن الضمير في ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾، يدلّ عليه قوله: (والثانيةُ مِن ﴿لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا﴾) فإنّ المعنى.

وأما ﴿حَقًّا﴾ فدالٌّ على مَعْنى الثباتِ أُكِّدَ به مَعْنَى الوَعْد، ومُؤَكِّدُهما جميعًا قولُه: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الَّذي لا يَغْلِبُه شيءٌ ولا يُعْجِزُه، يَقْدِرُ على الشَّيء وضِدِّه، فيُعْطي النَّعِيمَ مَن يَشاءُ والبُؤْسَ مَن يَشاء، وهُو ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ لا يشاءُ إلَّا ما تُوجِبُه الحِكمةُ والعَدْلُ.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝١٠﴾

﴿تَرَوْنَهَا﴾ الضميرُ فيه لـ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وهو استشهَادٌ برُؤيتِهم لها غيْرَ مَعْمُودةٍ على قوله: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ كما تقُولُ لصَاحِبِك: "أنَا بِلا سَيْفٍ ولا رُمْحٍ ترانِي".

فإن قلتَ: ما مَحلُّها من الإعْرابِ؟

قلتُ: لا محَلَّ لهَا لأنَّها مُستَأنفَةٌ.

أو هيَ في محَلِّ الجَرِّ صفةٌ للعَمَدِ؛ أي: بغيْرِ عَمَدٍ مرئيَّةٍ، يَعْني: أنَّه عمدَها بعَمَدٍ لا تُرَى وهي إمسَاكُها بقُدْرتهِ.

﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝١١﴾

﴿هَٰذَا﴾ إشارَةٌ إلى مَا ذُكِرَ مِن مخلُوقاتِه، و"الخَلْقُ" بمعْنَى: المخلُوقِ.

قوله: (أُكِّد به معنى الوعد) فيكون تأكيدًا لغيره، لأنَّ الوعد مِن حيث هو قد يكون باطلًا، فبيَّن بقوله: ﴿حَقًّا﴾ أنّه وعد حقٌّ، لا وعدُ باطلٍ.

قوله: (ومُؤكِّدُهما) بفتح الكاف. لمَّا ذُكر أنَّ ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ و﴿حَقًّا﴾ كلاهما تأكيد بيّن أنّه أُكّد بهما قوله تعالى: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾.

قوله: (أو هي في محلّ الجرّ)[1] "هي" يعود إلى ﴿تَرَوْنَهَا﴾.[2] وإنّما أنّثها[3] على تأويل الكلمة.

---

[1] ف: الخبر.

[2] في الأصول الخطّيّة: "يرونها" بالياء.

[3] ن: انتهى.

و﴿ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾: آلِهتُهم، بَكَّتَهُم بأنَّ هذِه الأشياءَ العظيمةَ ممَّا خَلَقهُ اللهُ وأنشأَهُ فأَرُونِي ما خَلقَتْهُ آلِهَتُكم حَتَّى استَوْجَبُوا عِنْدكُم العبَادَة، ثُمَّ أَضْرَبَ عن تَبْكيتهم إلى التَّسجيلِ عليهم بالتَّورُّطِ في ضَلالٍ ليس بعْدَه ضَلالٌ.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾

هُو لقمانُ بنُ باعُورا، ابنُ أُختِ أيُّوبَ أو ابنُ خالَتِه.

وقيل: كان من أَوْلادِ آزَرَ، وعاش أَلْفَ سنةٍ، وأَدْرَكَ داوُدَ عليه السَّلامُ وأَخَذ منه العلْمَ، وكان يُفتِي قَبْل مَبْعَثِ داوُدَ، فلمَّا بُعِثَ قَطَعَ الفتوَى، فقيل له، فقَال: أَلَا أَكْتَفِي إذَا كُفِيتُ؟

وقيل: كان قاضِيًا في بني إسرائيل.

وأكثرُ الأقَاويلِ أنَّه كانَ حكيمًا ولم يكن نَبيًّا؛ وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنه: لُقمَانُ لم يكُن نَبيًّا ولا مَلِكًا، ولكن كان راعيًا أَسْوَدَ، فرَزَقَهُ اللهُ العِتْقَ ورَضيَ قولَهُ ووصِيَّتَهُ، فقَصَّ أَمْرَهُ في القرآن ليتمسَّكُوا بوَصِيَّتِه.

وقال عِكْرِمةُ والشَّعبيُّ: كان نبيًّا.

وقيل: خُيِّرَ بينَ النُّبوَّة والحكمة فاختارَ الحِكمَة.

قوله: (بالتورُّط) "الوَرْطة": الهلاك، وأصلها[1] أرض مطمئنّ[2] لا طريقَ فيها. وأورَطه وورَّطَه[3] توريطًا أوقعه في الوَرطة، وتورَّط هو فيها.[4]

قوله: (فاختار الحكمة)[5] وإنّما اختار الحكمة على النبوّة لأنّ تحمّل أعباء النبوّة ثقيل، فخاف أن لا يقوم بها حقَّ القيام، فاختار ما هو أسهل عليه.

---

١ ن: وأرصلها.

٢ في الصحاح: "مطمئنّة".

٣ ن: ووزطه.

٤ الصحاح للجوهري، «ورط».

٥ قال ابن المنير: «وفيه بُعدٌ بيّن، فإنّ الحكمة قطرة مِن بحر النبوّة، وأعلى درجات الحكمة ينحطّ عن أدنى مراتب النبوّة، وليس مِن الحكمة اختيار الحكمة المجرّدة على النبوّة». الانتصاف لابن المنيّر على هامش الكشّاف، ٤٩٣/٣.

وعن ابن المُسيِّبِ: كان أسْودَ من سُودَانِ مِصْرَ خيَّاطًا.

وعن مُجَاهِدٍ: كان عبدًا أسوَدَ غليظَ الشَّفتَيْنِ مُتَشَقِّقَ القَدَميْنِ.

وقيل: كان نجَّارًا، وقيل: كان راعيًا، وقيل: كان يَحْتَطِبُ لمَولاهُ كُلَّ يَوْمٍ حُزْمَةً.

وعنه أنَّه قال لرجُلٍ نظَر إليه: إن كنتَ تَراني غَليظَ الشَّفتيْنِ فإنه يَخرُجُ مِن بينهما كلامٌ رَقِيق، وإن كُنتَ ترانِي أسوَدَ فقَلبِي أبيضُ.

ورُوي: أنَّ رجُلًا وقفَ عليه في مجْلسِه فقال: ألَسْتَ الَّذِي [كنتَ] تَرعَى معِي في مكانِ كذا؟ قال: بَلى، قال: ما بَلغ بِكَ ما أَرَى؟ قال: صِدْقُ الحديثِ، والصَّمْتُ عمَّا لا يَعْنِيني.

ورُويَ: أنَّه دخَل على داودَ عليه السلام وهُو يَسْرُدُ الدِّرْعَ وقد لَيَّنَ اللهُ لهُ الحَدِيدَ كالطِّين، فأرَادَ أن يَسْأَلَه فأدركَتْه الحكمةُ فسَكتَ، فلمَّا أتمَّها لَبِسَها وقال: نِعْمَ لَبُوسُ الحَرْبِ أَنتِ، فقال: الصَّمتُ حُكْمٌ وقليلٌ فاعِلُه، فقال له دَاودُ:

قوله: (حُزمةً) حَزَمت الشيء حَزْمًا؛ شدَدته، و"الحُزْمة" مِن الحَطَب وغيره.

قوله: (فأدركَتْهُ الحكمة) أي: منعتْهُ حِكمتُه عن السؤال، وحَمَلَتْه على أن يصبِرَ[1] حتى يرى مآل أمره.

قوله: (فقال: «الصمت حُكْم»)[2] أي: فقال لقمان. و"الحُكْم": الحِكمة مِن العلم، والحكيم: العالِم، وصاحب الحكمة، والحكيم: المتقِن بالأمور، وقد حَكُمَ إذا صار حكيمًا، قال النَّمِر بن تَولب:

وأَبْغِضْ بَغيضَك بُغضًا رُويدًا إذا أنتَ حاولتَ أن تحكُما[3]

قال الأصمعي: «أي: إذا حاولتَ أن تكون حكيمًا».[4]

---

[1] د ف: يصبر.

[2] في بعض مطبوعات الكشّاف: "حكمة". وهو بلفظ "حُكم" في شعب الإيمان للبيهقي، ٧٣/٧ (٤٦٧١)، مِن قول لقمان موقوفًا على أنس رضي الله عنه. وأخرجه كذلك، ٧٤/٧ (٤٦٧٢)، عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم مِن قوله، لكن غلّط روايةَ الرفع، وصحّح رواية الوقف.

[3] الصحاح للجوهري، «حكم».

[4] الصحاح للجوهري، «حكم».

بحَقِّ ما سُمِّيتَ حَكيمًا.

ورُوِيَ: أنَّ مَولاهُ أمَرهُ بذَبحِ شَاةٍ وبأنْ يُخرِجَ منها أَطْيَبَ مُضْغَتَيْنِ، فأخرَجَ اللِّسانَ والقلْبَ، ثمَّ أمَره بمثلِ ذلك بعد أيَّامٍ وأن يُخرِجَ أخبثَ مُضغَتَيْنِ، فأخرَجَ اللِّسان والقلبَ، فسَألهُ عن ذلك، فقال: هما أطيَبُ ما فيهَا إذا طَابَا وأخبَثُ ما فيها إذا خَبُثَا.

وعن سعيد بن المُسيَّبِ أنَّه قال لِأَسْوَدَ: لا تحزَنْ فإنَّه كان من خيرِ النَّاس ثلاثةٌ من السُّودانِ: بلالٌ ومِهْجَعٌ مَوْلَى عُمَرَ وَلُقمانُ.

﴿أَنِ﴾ هي المُفسِّرةُ؛ لأنَّ إيتاء الحكمة في معنى القولِ؛ وقد نَبَّه اللهُ سبحَانَه على أنَّ الحِكمَة الأَصْليَّة والعلْمَ الحَقيقيَّ: هُو العَملُ بهما وعبَادةُ اللهِ والشُّكرُ لهُ، حَيْث فَسَّر إيتاءَ الحكمةِ بالبَعْثِ على الشُّكْرِ.

﴿غَنِيٌّ﴾: غيرُ مُحتَاج إلى الشُّكر ﴿حَمِيدٌ﴾: حقيقٌ بأن يُحمَدَ وإن لم يَحْمَدْهُ أَحَدٌ.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾

قيل: كان اسمُ ابْنِه: أَنْعَمَ، وقَال الكلبيُّ: أَشْكَمَ.

قوله: (بحقِّ ما) "ما" صفة "حقّ".

قوله: (مِن السودان) صفة ثالثة. وقوله: (بلالٌ)[1] بدل[2] مِن (ثلاثةٌ)، أو عطفُ بيان لها.

قوله: (فسَّر) فكأنّه قيل: قلنا للُقمانَ: اشكر لله،[3] ففسّر الله تعالى إيتاء الحكمة في قوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ بالبعث، أي: بالحمل على الشكر والأمر به في قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾.

---

[1] ن: زلال.
[2] ن: يزل.
[3] ن: الله.

وقيل: كان ابنُه وَامرأتُه كافِرَيْنَ فما زالَ بهما حَتَّى أَسْلَما.

﴿لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لأنَّ التَّسوية بينَ مَن لا نِعمَةَ إلَّا هي مِنْه ومَن لا نِعمةَ مِنه البتَّةَ ولا يتصوَّرُ أَنْ تكونَ مِنه ظُلمٌ لا يُكتَنهُ عِظَمُه.

أي: ﴿حَمَلَتْهُ﴾ تَهِنُ ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ كقولك: رجَعَ عَودًا على بَدْءٍ، بمَعنى: يعُودُ عَوْدًا على بَدْءٍ، وهو في مَوضعِ الحَال، والمَعنى: أنَّهَا تَضعُفُ ضعْفًا فوقَ ضَعْفٍ؛ أي: يتَزايَدُ ضَعْفُها ويتضَاعَفُ؛ لأنَّ الحَمْلَ كلَّما ازدادَ وعَظُم ازدادَتْ ثِقلًا وضعفًا.

قوله: (بهما) خبر[١] (ما زال)، متعلّق بمحذوف، أي: ما زال ملتبِسًا بهما حامِلًا لهما على الإسلام.

قوله: (تَهِن[٢] وهْنًا) فـ﴿وَهْنًا﴾ نصب على المصدر، و﴿عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ صفته، والجملة -أعني: "تَهِن وَهْنًا[٣] على وَهْن"- في محلّ الحال، وأمّا ﴿حَمَلَتْهُ﴾ فلا محلَّ له مِن الإعراب؛ لأنّها جملة مستأنَفة لبيان عِلّة[٤] الوصيّة.[٥]

[٢٧٠ظ] قوله: (على بَدْءٍ) متعلّق بمحذوف، أي: عَودًا[٦] مستقِرًّا على بَدْءٍ،[٧] / أي: حالُه في عَوده[٨] كحالِه[٩] في بَدْئه، يعني:[١٠] لم يحصل له نفع مِن العَود.

قوله: (أي: يتزايَد... ويتضاعَف) إشارة إلى أن ليس المراد بقوله: ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ وَهْنَين اثنين؛ بل المراد التكرّر والكثرة.

قوله: (لأنّ الحَملَ)...[١١] إلخ تحقيق معنى ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾، فإنّ الحَمل يوجب الوَهْن، وإذا ازداد يوجب زيادة الوَهْن، فيحصل وهْنٌ على وهْنٍ.

---

١ ن + ما.
٢ ن: بهن.
٣ ن - فـ﴿وَهْنًا﴾ نصب على المصدر، و﴿عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ صفته، والجملة -أعني: "تَهِن وَهْنًا.
٤ ن: علمه.
٥ ن - الوصيّة.
٦ ن: دعوا.
٧ ن: بدّ.
٨ ن: دعوة.
٩ ن: كحالة.
١٠ ف + إن.
١١ ن: الجمل.

وقرئ: "وَهَنًا على وَهَنٍ" بالتَّحريك عن أبي عَمْرٍو، يُقال: وَهِنَ يَوْهَن، ووَهَنَ يهِنُ.

وقرئ: "وفَصْلُهُ".

﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ﴾ تَفسيرٌ لـ"وَصَّينا".

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٥﴾

﴿مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ﴾ أراد بنفيِ العلم به نَفْيَه؛ أي: لا تُشرِكْ بي ما ليس بشيءٍ، يُريدُ الأصنَامَ كقوله تعالى: ﴿مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٍ﴾ [العنكبوت ٤٢/٢٩].

﴿مَعۡرُوفٗا﴾: صِحَابًا -أو: مُصَاحَبًا- مَعروفًا حَسَنًا بخُلقٍ جميلٍ وحِلْمٍ واحتمالٍ وبرٍّ وصِلَةٍ، وما يَقتضِيه الكرمُ والمُروَّةُ.

قوله: (وقُرئ: "وَهَنًا") شاذّ.[١]

قوله: (﴿لَكَ بِهِۦ﴾) الضمير يعود إلى ﴿مَا﴾.

قوله: (ما ليس بشيء) فإنّه لو كان شيئًا لكان العِلم متعلّقًا به، وإذ ليس العلم متعلِّقًا به فلا يكون شيئًا، وهذا بطريق الكناية.

قوله: (﴿مَا[٢] يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٍ﴾ [العنكبوت ٤٢/٢٩]) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ﴾... [العنكبوت ٤٢/٢٩].

قوله: (مُصاحِبًا) "مصاحِبًا"[٣] اسم فاعل مِن "المصاحَبة"، يريد أنّ ﴿مَعۡرُوفٗا﴾ صفة موصوف محذوف، وذلك المحذوف إمّا مصدر، أو حال مِن الضمير المستتِر في ﴿صَاحِبۡهُمَا﴾.

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن الثقفي وأحمد بن موسى عن أبي عمرو. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٣٧٨.

٢ وفي هامش د ف: نفي. | قال البيضاوي: «﴿مَا﴾ استفهاميّة منصوبةٌ بـ﴿يَدۡعُونَ﴾، و﴿يَعۡلَمُ﴾ معلّقة عنها، و﴿مِن﴾ للتبيين. أو نافيةٌ، و﴿مِن﴾ مزيدة، و﴿شَيۡءٍ﴾ مفعول ﴿يَدۡعُونَ﴾. أو مصدريّة، و﴿شَيۡءٍ﴾ مصدر. أو موصولةٌ مفعول لـ﴿يَعۡلَمُ﴾، ومفعول ﴿يَدۡعُونَ﴾ عائدها المحذوف». أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣٧/٣ (العنكبوت، ٤٢/٢٩).

٣ ن – مصاحِبًا.

﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ يُرِيدُ: واتَّبِع سبيلَ المُؤْمنينَ في دِينكَ ولا تَتَّبِع سبيلَهُمَا فيه وإن كُنْتَ مَأمُورًا بحُسْنِ مُصَاحَبَتِهما في الدُّنيا ﴿ثُمَّ إِلَيَّ﴾ مرجعُكَ ومَرْجِعُهمَا فأُجازِيكَ على إيمَانِك وأُجازِيهما على كفرِهما.

عَلَّم بذلك حُكْمَ الدُّنيَا وما يجِبُ على الإنسانِ في صُحْبتِهما ومُعَاشَرتهِما: من مُراعَاة حَقِّ الأُبوَّة وتَعظيمِه، وما لَهُما من المَوَاجِب التي لا يَسُوغُ الإخْلالُ بها، ثُمَّ بَيَّنَ حُكمَهُما وحالَهُما في الآخِرة.

ورُوِي: أنَّها نزَلتْ في سَعْدِ بن أبي وقَّاصٍ وأُمِّه، وفي القصَّةِ: أنَّها مَكثَتْ ثلاثًا لا تَطْعَمُ ولا تَشْربُ حَتَّى شجَرُوا فَاها بعُودٍ.

وروي أنَّه قال: لو كانت لها سَبْعونَ نفْسًا فخرجَتْ لَمَا ارتَدْدتُ إلى الكُفر.

قوله: (سبيلَهما) أي: الوالدَين.

قوله: (وإن كنتَ مأمورًا) هذا[1] مِن الشروط التي يُحذف[2] جوابُها، ويكون[3] المراد بها المبالغة والتأكيد.

قوله: (حُكمَ الدنيا)... إلخ بيَّن حُكم الدنيا بقوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعۡهُمَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّ﴾، وحُكمَ[4] الآخرة بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ[5] إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ﴾... إلخ. وقوله: (في صُحبتهما) أي: الوالدَين. وقوله: (مِن مراعاة) بيان (ما يَجب). وقوله: (مِن المَواجِب) "المَواجِب" جمع "مَوْجِبٍ"،[6] أي: موضع وجوبٍ، وهو الواجِب، فـ"المَواجِب" هي الواجبات.

قوله: (حتّى شَجَروا) "الشَّجْرُ": ما بين اللَّحْيَين، يريد فتَحوا فاها بعود ليُطعموها شيئًا. وقوله: (ورُوي أنّه) أي: أنّ سَعْدًا.[7] وقوله: ("لها") أي: لأُمّه.

---

[1] ن: هكذا.
[2] ن: تحذف.
[3] ن: فيكون.
[4] ن + إلى.
[5] ن – ثمّ.
[6] ن – موجب.
[7] انظر: جامع البيان للطبري، ٥٥٢/١٨ (لقمان، ١٥/٣١)؛ والتفسير الوسيط للواحدي، ٤١٤/٣ (العنكبوت، ٨/٢٩). والقصّة في صحيح مسلم، ١٨٧٧/٤ (١٧٤٨)، بغير هذا السياق.

فإن قلتَ: هذا الكلامُ كيفَ وَقَع في أثنَاء وصيَّةِ لقمَانَ؟

قلتُ: هو كلامٌ اعتُرِضَ به على سبيلِ الاستِطراد تأكيدًا لِمَا في وصيَّةِ لقمانَ من النَّهي عن الشِّرك.

فإن قلتَ: فقَوله ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ كيف اعتُرِض بهِ بين المفسَّر والمفَسِّر؟

قلتُ: لمَّا وَصَّى بالوَالِديْن ذَكَر ما تُكَابِدُه الأُمُّ وتُعَانِيه من المشَاقِّ والمتَاعِبِ في حَمْلِه وفِصَالِه هذه المُدَّةَ المتطَاوِلةَ؛ إيجَابًا للتَّوصيَةِ بالوالدَةِ خصُوصًا، وتَذكيرًا بحقِّهَا العَظِيم مُفْرَدًا، ومِن ثَمَّ قال رسُول الله صلى الله عليه وسلم لمَنْ قال لَه: مَنْ أَبَرُّ؟ «أمَّكَ ثمَّ أُمَّكَ ثمَّ أُمَّكَ» ثمَّ قال بعد ذلك: «ثمَّ أباكَ».

وعن بعض العَرب: أنَّه حَمل أُمَّهُ إلى الحَجِّ على ظَهْرِه ....

قوله: (قلتُ: هو كلام)... إلخ يريد بهذا الكلام قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿تَعْمَلُونَ﴾، فأجاب بأنّه لتأكيد[1] النهي عن الشرك؛ لأنّ المعنى أنّ حقّ الأبوَين وإن كان واجبَ الرعاية يَضمحِلّ مع رِعاية حقّ الله تعالى، وهو التوحيد الذي هو الأصل في باب الدِّين.

قوله: (ما تُكابِدُه) "الكَبَد": الشِّدّة، يقال: "كابَدتُ الأمرَ"، أي: قاسَيْتُ شِدّتَه.

قوله: (مِن المَشاقِّ) بيان "ما".

قوله: (مفردًا) يجوز أن يكون حالًا مِن قوله: (ما تُكابِدُه)، أي: ذَكرَ ما تُكابِدُه[2] الأُمُّ مفردًا. ويجوز أن يكون حالًا مِن (حقِّها). والصواب أن يقال: هو صفة تذكير، أي: إيجابًا خُصوصًا، وتذكيرًا مفردًا.

قوله: (ومِن ثَمَّ قال) أي: ومِن أجل إيجاب التوصية بالوالدة خُصوصًا والتذكيرِ بحقِّها مفردًا قال...

---

[1] ن: لتأليد.

[2] ن: يكابده.

وهُو يقُول في حُدائهِ بنَفْسِه:

أَحْـمِـلُ أُمِّـي وهـيَ الحمَّالـهْ ترضعُنِي الـدِّرَّةَ والعُلالَـهْ

ولا يُجَـازَى وَالـدٌ فَعَالَـهْ

فإن قلتَ: ما معنى تَوْقِيتِ الفِصَال بالعامينِ؟

قلتُ: المعنَى في توقيتِه بهذه المُدَّة: أنَّها الغَايَةُ التي لا تُتجَاوَزُ، والأمرُ فيما دُون العَامَيْن مَوكُولٌ إلى اجتهَاد الأُمِّ: إنْ عَلِمَتْ أنَّه يَقْوَى على الفِطَامِ فلها أَنْ تَفْطِمَهُ، ويَدُلُّ عليه قَولُه عز وعلا: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة ٢/٢٣٣]، وبه استشهَد الشَّافعيُّ رحمه الله على أن مُدَّة الرَّضاع سنَتان لا تَثبتُ حُرْمةُ الرَّضَاعِ بعْدَ انقضَائهما، وهو مَذهَبُ أبي يوسُف ومُحمَّدٍ رحمهما الله، وأمَّا عِنْدَ أبي حنيفة رحمه الله فمُدَّةُ الرَّضاع ثلاثُونَ شهرًا، وعن أبي حنيفةَ: إنْ فَطَمَتْه قَبْلَ العَامَيْن فاسْتَغْنَى بالطَّعَام ثُمَّ أَرضَعَتْهُ لم يكُن رَضاعًا، وإنْ أكَل أكْلًا ضَعيفًا لم يَسْتَغنِ به عنِ الرَّضَاع ثُمَّ أَرْضَعتْه فهُو رَضاعٌ مُحَرِّمٌ.

﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ١٦﴾

قوله: (في حُدائه) "الحَدْوُ":[١] سَوقُ الإبل، حَدْوًا وحُداءً.[٢] كأنّه جعل نفسه كالبعير الحامِل لها، فيَحْدو[٣] بنفسه.

قوله: (الدِّرَّةَ والعُلالة)[٤] "الدِّرَّة": كثرة اللبَن وسَيلانه.[٥] و"العُلالة":[٦] بقيّةُ اللبَن، و"الحَلْبَة"[٧] بين الحَلْبَتَين،[٨] وبقيّة جَرْيِ الفرَس.[٩]

---

١ ن: الحد.
٢ انظر: الصحاح للجوهري، «حدو».
٣ ن: فيحدف.
٤ ن: والغلالة.
٥ الصحاح للجوهري، «درر».
٦ ن: والغلالة.
٧ ن: والحبة
٨ ن: الحبلتين؛ ف: الحلنبتن.
٩ الصحاح للجوهري، «علل».

قرئ ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ بالنَّصْبِ والرَّفع، فمَن نصَبَ كان الضَّميرُ للهَنَةِ من الإسَاءةِ أو الإحْسَانِ؛ أي: إن كانَتْ مَثَلًا في الصِّغَر والقمَاءةِ كحبَّةِ الخَردلِ، فكانَتْ معَ صِغَرها في أَخْفَى مَوضِعٍ وأَحْرَزِه كجَوفِ الصَّخْرة، أو حَيثُ كانَتْ في العَالم العلويّ أو السفليّ ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ يومَ القيَامة فيُحَاسِبُ بها عَامِلها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ يتوَصَّلُ عِلْمُه إلى كُلِّ خفيّ ﴿خَبِيرٌ﴾ عالِمٌ بكُنْهِه.

وعن قتَادةَ: ﴿لَطِيفٌ﴾ باستِخراجهَا ﴿خَبِيرٌ﴾ بمُستَقَرِّهَا.

ومَن قَرأ بالرَّفعِ: كان ضَمِيرَ القصَّةِ، وإنَّما أنثَ المِثقَالَ لإضَافتِه إلى الحَبَّةِ كمَا قال:

قوله: (كان الضمير) أي: في ﴿إِنَّهَا﴾، فيرجع الضمير مِن ﴿تَكُ﴾ إليها، فلذلك أُنِّث. وقوله: (لِلْهَنة) "الهَنَةُ":[1] تأنيث "الهَنِ"، وهو كناية عن كلّ اسم جنسٍ، ومعناه: شيء.[2]

قوله: (والقَماءة)[3] قَمُؤَ الرجلُ قَماءةً؛ / صار قَميئًا، وهو الصغير الذليل.[4] [٢٧١و]
و"القَماءة": القصير.[5]

قوله: (كان ضميرَ القصّة) أي: الضمير في ﴿إِنَّهَا﴾. ولا ضميرَ في ﴿تَكُ﴾ على هذا؛ لأنّ فاعله "المِثقال". قال الشيخ في الكَواشي: «القراءة ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ﴾ رفعًا،[6] فـ'كان' تامّة، وأُنِّث لأنّ 'المِثقال' بمعنى السيّئة أو الحسَنة، ونَصْبًا،[7] فـ'كان' ناقصة، أي: إن تَكُ السيّئةُ أو الحسنةُ قَدْرَ مثقالِ حبّةٍ مِن خَردلٍ، أي: زِنةَ حبّةٍ مِن حبّ الخَردل».[8]

قوله:

---

[1] وفي هامش د ف: الهَنَة: الشيء اليسير.
[2] الصحاح للجوهري، «هنو».
[3] ن: القَماءة.
[4] الصحاح للجوهري، «قمأ».
[5] كذا في الأصول الخطّيّة، ولعلّ الصواب: "القِصَر". وفي لسان العرب لابن منظور، «قمأ»: «قَمَأَت المرأة قَماءة، ممدود: صَغُر جِسمُها».
[6] أي: ﴿مِثْقَالُ﴾. قرأ بها نافع وأبو جعفر. النشر لابن الجزري، ٣٢٤/٢.
[7] أي: ﴿مِثْقَالَ﴾. وهي قراءة باقي العشرة. النشر لابن الجزري، ٣٢٤/٢.
[8] تفسير الكواشي، ٤٠٧ظ.

كـمَـا شَـرِقَـتْ صَــدْرُ الـقَـنَـاةِ مـن الـدَّمِ

ورُوِيَ أنَّ ابنَ لقمانَ قال له: أرَأيتَ الحَبَّةَ تكُونُ في مَقْلِ البَحْر -أي: في مغَاصِهِ- يَعْلمُهَا اللهُ؟ فقال: إنَّ الله يَعْلمُ أَصْغَرَ الأشيَاء في أَخفَى الأَمْكِنَة؛ لأنَّ الحبَّةَ في الصَّخرة أخفَى منْها في الماءِ.

وقيل: الصَّخرةُ هيَ الَّتي تحتَ الأَرْضِ، وهي السِّجِّينُ يُكْتَبُ فيهَا أعمَالُ الكُفَّارِ.

وقرئ: "فَتَكِنْ" بكسر الكاف، مِن وَكَنَ الطَّائرُ يَكِنُ: إذا استقرَّ في وُكْنَتِه، وهيَ مَقرُّهُ لَيْلًا.

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾

﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ يجُوزُ أن يكونَ عَامًّا في كُلِّ ما يُصيبُه مِن المحَنِ،

(كمـا شَـرِقت صـدْرُ القنـاةِ مِـن الـدمِ)

أوّل[1] البيت:

وتَـشْــرَقُ[2] بـالـقـول الــذي قـد أذعـتَـه[3]

"الشَرَقُ": الشجَى والغُصّة، وقد شَرِقَ بريقِهِ،[4] أي: غَصَّ به.[5] وذاع الخبرُ يَذِيعُ ذَيْعًا وذُيُوعًا، أي: انتشر، وأذاعَه غيرُه. يَذُمُّ[6] شخصًا أذاع خَبرًا، وكان مِن حقّه أن يستُره،[7] قال الشاعر مُضمِّنًا:

وإنَّ قَرِيـن[8] السَّـوْءِ يُعـدِي وشـاهدي   كمـا شَـرِقتْ صـدرُ القنـاة مِـن الـدمِ[9]

قوله: (في مَقْلِ البحر) مَقَلَهُ في الماء مَقْلًا؛ غَمَسَه.[10]

---

[1] ن: أو.

[2] ن: ويشرق.

[3] للأعشى في ديوانه، ص ١٢٣.

[4] ن: ريقه.

[5] ن ف – به.

[6] ن: بدم.

[7] ن: يسيره.

[8] ن: قرن.

[9] لابن حزم الظاهري، في مغني اللبيب لابن هشام، ص ٦٦٧، بلفظ:
فإن صديقَ السُّوء يُزري وشاهدي...

[10] الصحاح للجوهري، «مقل».

وأن يكُونَ خاصًّا بما يُصيبُه فيما أُمِرَ به من الأَمْر بالمعْرُوفِ والنَّهي عن المُنكَرِ: مِن أذى مَن يَبْعَثُهُم على الخَيْرِ ويُنكِرُ عليهم الشَّرَّ.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ ممَّا عَزمَهُ اللهُ من ﴿ٱلْأُمُورِ﴾؛ أي: قَطَعَه قَطْعَ إيجَابٍ وإِلْزامٍ، ومِنه الحَديثُ: «لا صيَامَ لمَن لم يَعزم الصِّيام مِن اللَّيل»؛ أَي: لم يَقطَعْهُ بالنِّيَّة، ألَا ترى إلى قَولهِ: «لمن لم يَبُتَّ الصِّيَام».

ومنه: «إنَّ اللهَ يُحبُّ أن يُؤخَذ برُخَصِه كما يُحبُّ أن يُؤخَذَ بعزائمِهِ».

وقَولهُم: «عَزْمَةٌ من عَزَمَاتِ رَبِّنا».

ومنه: عزَماتُ المُلوك، وذلك أَنْ يقُولَ المَلكُ لبَعضِ مَن تحتَ يَدِه:

قوله: (أي: قطعه) فعلى ما ذكره "العَزمُ" بمعنى "المَعزوم"، أي: المقطوع، ثمّ أضيف إلى ﴿ٱلْأُمُورِ﴾ للبيان، كما في "ثوب[١] خَزٍّ"،[٢] أي: المقطوعِ مِن الأمور، أعني: الأمورَ المقطوعة.

قوله: (ألَا يُرى)[٣] إلى قوله: («لِمَن لم[٤] يَبُتُّ[٥] الصيامَ»)،[٦] فإنّه دلّ على أنّ "العَزْم" المراد به القَطع، فإنّ "البَتَّ" القَطع.

قوله: (بِرُخَصِه)[٧] قال المطرّزي في المُغرب: «ابن مسعود رضي الله عنه: 'إنّ الله يحبّ أن يُؤتى بِرُخَصِه كما يحبّ أن يؤتى بعزائمه'،[٨] أي: بفرائضه التي عَزَم سبحانه على العباد وجوبَها».[٩]

---

١ ن: بيت.

٢ ن: حر.

٣ ن ف: ترى. | في مطبوع الكشّاف: "ترى".

٤ سقطت "لم" في الأصول الخطّيّة.

٥ في بعض مطبوعات الكشّاف: "يُبَيِّتَ". وانظر تخريج الحديث.

٦ أخرجه النسائي في السنن، ١٩٦/٤ (٢٣٣١)؛ والبيهقي في السنن الكبرى، ٤١٠/٨ (٧٩٨٦)، بلفظ: «مَن لم يُبيّت الصيام قبل الفجر فلا صيامَ له». وذكره بلفظ: "يبُتّ" ابن قتيبة في المسائل والأجوبة، ص ٤٠٥. ولم أجده مسنَدًا بهذا اللفظ.

٧ ن: برخصة.

٨ مصنّف ابن أبي شيبة، ٣١٧/٥ (٢٦٤٧٢)؛ السنن الكبرى للبيهقي، ١٤١/٦ (٥٤٨٣)، بلفظ: «إنّ الله يحبُّ أن تُؤتى رُخَصه، كما يُحبّ أن تُؤتى عزائمه». ورُوي كذلك بهذا اللفظ عن عبد الله بن عمر مرفوعًا إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في صحيح ابن حبّان، ٣٣٣/٨ (٣٥٦٩)؛ والسنن الكبرى للبيهقي، ١٤١/٦ (٥٤٨١).

٩ المُغرب للمطرّزي، «عزم».

"عَزمْتُ عَليك إلَّا فَعلتَ كذا" إذَا قال ذَلِك لم يكُنْ للمعْزُوم عَليْه بُدٌّ مِن فِعْله وَلا مَنْدُوحَةٌ في تَرْكهِ.

وحقيقَتُه: أنّه مِن تَسْميةِ المفعُولِ بالمَصْدر، وأَصْلُهُ: مِن مَعزُوماتِ الأُمُور؛ أي: مِن مَقْطُوعَاتِها ومَفْرُوضَاتِها.

ويجوز أن يكون مصْدرًا في معنى الفَاعل؛ أَصْلهُ: من عازماتِ الأمُور، من قَوله تَعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ [محمد ٢١/٤٧] كقولك: "جَدَّ الأمْرُ" و: "صَدقَ القتَالُ".

وناهيكَ بهذه الآيةِ مُؤذِنةً بِقِدَم هذه الطَّاعات، وأنَّها كانتْ مَأمُورًا بها في سائر الأُمم، وأنَّ الصَّلاة لم تَزَلْ عَظِيمَةَ الشَّأنِ سَابقةَ القَدَم على ما سوَاها مُوَصًّى بها في الأَدْيانِ كُلِّها.

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝١٨﴾

﴿تُصَاعِرْ﴾، و: ﴿تُصعِرْ﴾ بالتشديد والتخفيف، ....

قوله: (إلّا فعلتَ) أي: إلّا فِعْلَك، فهو ما وقع فيه الفعلُ موضع الاسم، والمعنى: ما أطلبُ[١] منك[٢] إلّا فِعلَك، وقد مرّ تحقيقه.

قوله: (ولا مندوحةٌ) "المَندوحةُ": السَّعةُ، مِن "المَنْدَح"،[٣] وهو المكان الواسع.

قوله: (وناهيك بهذه الآية) أي: كافيكَ هذه الآيةُ، و"الباء" زائدة في المبتدأ، يقال: هذا رجل ناهيك مِن رجلٍ. وتأويله: أنّه بِجِدّه وعنايته يَنهاك[٤] عن طلب غيره.

قوله: (﴿تُصَاعِرْ﴾) سبعة.[٥] وقوله: (و﴿تُصَعِّرْ﴾)[٦] سبعة.

---

[١] ن: أنعم.
[٢] ن: مثل.
[٣] ن: المندوح.
[٤] ن: ينهال.
[٥] قرأ بها نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف. النشر لابن الجزري، ٣٤٦/٢.
[٦] وفي هامش د: معًا [أي: بالقراءتين معًا؛ بفتح الصاد وتشديد العين، وبإسكان الصاد وتخفيف العين]. | أمّا ﴿تُصَعِّرْ﴾ بفتح الصاد وتشديد العين فقرأ بها ابن كثير وأبو جعفر وابن عامر وعاصم ويعقوب. وأمّا "تُصْعِرْ" بإسكان الصاد وتخفيف العين فقراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن والجحدري. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٤٦/٢؛ وشواذّ القراءات للكرماني، ص ٣٧٨.

يُقَالُ: أَصْعَر خَدَّهُ وصَعَّرهُ وصَاعَره، كقولك: أَعْلاهُ وعَلَّاهُ وعَالاهُ: بمَعْنًى، والصَّعَرُ والصَّيَدُ: داءٌ يُصيبُ البَعيرَ يَلوِي مِنه عُنقَهُ.

والمغنى: أَقْبِلْ على النَّاسِ بوَجْهِكَ توَاضُعًا ولا تُولِّهِم شِقَّ وَجْهِكَ وصَفْحتَه كمَا يفعَلُ المُتكبِّرُونَ.

أرَادَ: ﴿وَلَا تَمْشِ﴾ تمْرَحُ ﴿مَرَحًا﴾، أو أوْقعَ المصْدَرَ مَوقع الحَالِ بمَعْنى: مَرِحًا.

ويجوز أَن يُرِيد: لا تَمْشِ لأَجْلِ المَرحِ والأَشَرِ؛ أي: لا يكُن غَرضُك في المشي البِطالَةَ والأَشَرَ كما يَمْشِي كَثيرٌ من النَّاسِ لذلك، لا لِكفَايةِ مُهِمٍّ دينيٍّ أو دُنَياويٍّ، ونحوُه قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنفال ٨/٤٧].

وَالمختَالُ: مُقَابلٌ للمَاشِي مَرَحًا، وكذلك الفَخُورُ للمُصعِّر خَدَّهُ كِبْرًا.

﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ١٩﴾

﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾: وَاعْدِلْ فيه حتى يكُونَ مَشيًا بيْنَ مشيَيْنِ: ....

قوله: (تَمْرَح مَرَحًا) فيكون حالًا.

قوله: (لأجل المَرَح) فيكون مفعولًا له.

قوله: (والأشر) "الأشَرُ": البَطَر، وهو شدّة المرَح.[١] وقيل: البَطَر: الطغيان الذي يحصل مِن الغِنَى.[٢]

قوله: (وكذلك "الفَخُور"[٣] لِلمُصَعِّر)[٤] أي: مقابل للمُصعِّر،[٥] ويريد بمقابَلته أنّه قيل بإزائه، فيكون في الآية لفّ ونشر.

قوله تعالى: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾ أصل "القَصد" ما بين الإسراف والتقصير.

---

١ الصحاح للجوهري، «أشر».
٢ انظر: النهاية لابن الأثير، «بطر».
٣ ن: العجور.
٤ ن: للمصغر.
٥ ن: للمصغر.

لا تَدِبَّ دَبيبَ المُتَماوِتِينَ ولا تَثِبْ وَثِيبَ الشُّطَّارِ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سُرْعَةُ المَشْيِ تُذْهِبُ بهَاء المُؤمن»، وأمَّا قولُ عائشةَ في عُمرَ رضيَ الله عنهما: «كان إذا مشَى أسْرَع» فإنَّما أرَادَت السُّرعَةَ المُرتفِعةَ عن دَبيب المُتمَاوتِ.

وقرئ: "وأَقْصِدْ" بقطع الهمزة؛ أي: سَدِّدْ في مَشْيِك، مِن أَقصَدَ الرَّامِي: إذا سَدَّدَ سَهْمَه نحوَ الرَّمِيَّةِ.

﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَ﴾: وانقُصْ مِنه واقْصُرْ، منْ قولك: "فُلانٌ يغُضُّ من فُلانٍ" إذا قَصَّر بهِ ووَضعَ مِنْهُ.

﴿أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ﴾: أَوْحَشَها، مِن قَولك: "شَيءٌ نُكُر": إذَا أَنكَرَتْهُ النُّفُوسُ واستَوحَشَتْ منْهُ ونَفرَت.

والحِمَارُ مَثَلٌ في الذَّمِّ البَليغِ وَالشَّتِيمَةِ، وكذلك نُهَاقُه، ومِن استفحَاشِهِم لذكْرِهِ مُجَرَّدًا وتفَادِيهم من اسْمِه: أَنَّهم يَكْنُون عنه ويَرغبُونَ عن التَّصْريح به -فيقُولون: "الطَّويلُ الأُذُنَيْنِ"- كما يُكنَى عن الأشياءِ المُستقْذَرةِ، وقَد عُدَّ في مَسَاوِئ الآدابِ

قولـه: (المتماوِتِين)[١] "المُتماوِت"[٢] مِن صِفة الناسك المرائي،[٣] وكأنّه يُظهر مِن نفسه أنّه ميّت، أي: كالميّت؛ لسقوط قُواه بكثرة العبادات والرياضات.[٤]

وقوله: (وَثِيبَ[٥] الشُّطّار) "الوَثْبُ والوَثيب": الطَّفْرُ. و"الشاطر": الذي أعيا أهله خُبْثًا.[٦] و"الشاطر" بالفارسيّة: "بى باك".[٧]

قولـه: (ووَضَع منه) أي: حطَّ مِن درجته، يقال: وَضُعَ الرجلُ -بضمّ الضاد- يَوضَع[٨] ضَعةً وضِعةً، أي: صار / وَضيعًا، أي: دَنِيًّا، ووضَعَ فلانٌ[٩] إذا حطّ [٢٧١ظ]
مِن درجته.[١٠]

---

١ ن: المتماوبين. | في بعض مطبوعات الكشّاف: "للمُتماوت".

٢ ف: المُتاوِتُ.

٣ ن: والمرائي.

٤ انظر: الصحاح للجوهري، «موت»؛ وتاج العروس للزبيدي، «موت».

٥ ن: وثين.

٦ الصحاح للجوهري، «شطر».

٧ ن: بال.

٨ د: يُوضَع؛ ف: يُوضُع. الصواب ما أثبتّه. انظر: لسان العرب لابن منظور، «وضع».

٩ في الصحاح: "ووَضَعَ منه فلانٌ".

١٠ الصحاح للجوهري، «وضع».

أَن يُجْرَى ذِكرُ الحمار في مجلسِ قومٍ من أُولي المُروَّةِ، ومِن العَربِ مَن لا يَركب الحمارَ استِنكافًا وإن بَلَغَتْ منه الرُّجْلَةُ.

فتَشبيهُ الرَّافِعِينَ أَصْوَاتهم بالحَمِير، وتمثيلُ أَصْواتِهِم بالنُّهاقِ، ثُمَّ إخلاءُ الكلام من لفظِ التَّشْبِيهِ، وإخراجُه مخرَج الاستعَارة وأَنْ جُعلُوا حَمِيرًا وصَوتُهم نُهاقًا= مبَالغةٌ شديدةٌ في الذَّم والتَّهجِين، وإفراطٌ في التَّثبيطِ عن رَفع الصَّوت والتَّرغيبِ عنه، وتَنبيهٌ على أَنَّه مِن كراهةِ الله بمكانٍ.

فإن قلتَ: لِمَ وُحِّدَ صوتُ الحمير ولم يجمَعْ؟

قلتُ: ليسَ المرادُ أَن يُذكَر صَوْتُ كلِّ واحدٍ من آحَاد هذا الجِنس حَتَّى يُجْمَع، وإنَّما المراد أَنَّ كُلَّ جنس من الحيَوان النَّاطِق له صَوتٌ، وأنكَرُ أَصواتِ هذه الأَجْناسِ صوْتُ هذا الجنسِ، فوجَبَ تَوحيدُهُ.

قوله: (الرُّجْلةُ) بالضمّ مصدر "الراجل"، يعني: وإن أصابه الوَهْنُ والضَعفُ، مِن المشي راجلًا.

قوله: (ومِن العرب مَن لا يركب الحمار) وأمّا ما نُقل أنّه عليه السلام ركب الحمار[1] فلِمخالفة عادتهم وإظهارِ التواضُعِ من نفسه صلّى الله عليه وسلّم.[2]

قوله: (فتشبيه)... إلخ "الفاء" في "فتشبيه" فيه معنى السببيّة، وهو مرتَّب على قوله: (والحمار مَثَل)... إلخ، فكأنّه قيل: إذا عرفت ما ذكرنا ظهر لك أنّ تشبيه الرافعين مبالغة.

قوله: (والتهجينِ) أي: التقبيح.

قوله: (مِن الحيوان الناطق) لو لم يُكتب "الناطق" في هذا الموضع كما كان في أصل نسختنا لكان أنسب، والصواب ضرب الخطّ عليه كما فعلنا.

---

[1] في صحيح البخاري، ٥٦/٨ (٦٢٥٤)؛ وصحيح مسلم، ١٤٢٢/٣ (١٧٩٨)، عن أسامة بن زيد أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ركِب حمارًا عليه إكاف تحته قطيفة فدكيّة، وأردَف وراءه أسامة بن زيد، وهو يعود سعدَ بن عبادة... الحديث.

[2] د: عليه السلام.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾

﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: الشَّمسُ والقَمرُ والنجومُ والسَّحابُ وغيرُ ذلك.

﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: البحَارُ والأنهارُ والمعَادنُ والدَّوابُّ وما لا يُحصَى.

﴿وَأَسْبَغَ﴾ قُرِئَ بالسِّين والصَّادِ، وهكذا كُلُّ سِينٍ اجتَمع مَعه الغَينُ والخاء والقافُ، تقول في سَلَخ: صَلَخ، وفي سَقَر: صَقَر، وفي سَالِغ: صَالِغ.

وقرئَ: ﴿نِعَمَه﴾ و: ﴿نِعمةً﴾، و: "نعمتُهُ".

فإن قلتَ: ما النِّعمةُ؟

قلتُ: كُلُّ نفْعٍ قُصِد به الإحسَانُ، واللهُ عزَّ وعلا خَلَق العَالَمَ كُلَّه نِعمةً؛ لأنّه: إمَّا حيَوانٌ وإمَّا غيرُ حيَوانٍ، ....

قوله: (﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الشمس)...[١] إلخ يجوز أن يُقال: ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مبتدأ، و"الشمس"... إلخ خبره، فيكون مرفوعًا، ويجوز أن يقال:[٢] هو منصوب المحلّ على حكاية لفظ القرآن، وما بعده تفسيره، فتكون منصوبةً مثله، وكذى[٣] الكلام: (و﴿مَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ البحارُ)... إلخ.

قوله: (وفي سالِغ: صالِغ) سَلَغَت البقرة والشاة تَسلَغُ سُلوغًا إذا أسقطَتْ السِّنّ التي خلف السَّدِيس، وصَلَغَت،[٤] فهو سالِغ[٥] وصالِغ، وكذلك الأنثى بغير الهاء، وذلك في السنة السادسة.[٦]

قوله: (لأنّه إمّا حيوان)... إلخ دليل على قوله: (العالَمَ كُلَّه نِعمة)، وتقريره أن نقول:[٧] كلّ العالَم إمّا مُؤَدٍّ إلى الانتفاع، أو مُصَحِّحٌ للانتفاع،[٨] وكُلّ ما كان مُؤدِّيًا

---

١ ن ف: والشمس.

٢ ن - "ما في السماوات" مبتدأ، و"الشمس"... إلخ خبره، فيكون مرفوعًا، ويجوز أن يقال.

٣ ن: وكلا.

٤ ف: وصلّغت.

٥ ن - إذا أسقطَتْ السِّنّ التي خلف السَّدِيس، وصَلَغَت، فهو سالغ.

٦ الصحاح للجوهري، «سلغ».

٧ ن: يقال.

٨ ن: الانتفاع.

فما ليس بحيَوانٍ نعمةٌ على الحيَوان، والحَيَوانُ نِعمةٌ من حيثُ إنَّ إيجَادَهُ حَيًّا نعمةٌ عليه، لأنَّه لولا إيجَادُه حَيًّا لَمَا صَحَّ منه الانتفاعُ، وكُلُّ ما أَدَّى إلى الانتِفاع وصَحَّحهُ فهُوَ نعمةٌ.

فإن قلتَ: لم كان خَلقُ العَالَمِ مَقصُودًا به الإحسانُ؟

قلتُ: لأنَّه لا يخلُقُه إلَّا لغَرضٍ وإلَّا كان عَبَثًا، والعَبَثُ لا يجُوز عَليه، ولا يجُوز أَن يكون لغَرضٍ رَاجعٍ إلَيه مِن نَفْعٍ لأنَّه غنيٌّ غيرُ مُحتَاجٍ إلى المنَافِع، فلم يَبْقَ إلَّا أَنْ يكُونَ لغَرضٍ يَرْجعُ إلى الحَيَوان وهُو نفعُه.

للانتفاع به أو مُصحِّحًا للانتفاع[1] فهو نعمة، فالعالَم[2] كلّه[3] نعمة. أمّا المقدّمة الأولى فإليها[4] أشار بقوله: (لأنّه إمّا حيوان) إلى قوله: (الانتفاعُ)، وأمّا المقدّمة الثانية فإليها أشار بقوله: (وكلُّ ما أدّى)... إلخ، فالوجه نصب "كلّ"؛ لأنّه عطف على الضمير في قوله: "لأنّه".

قوله: (فما ليس بحيوان) فهو مُؤدٍّ إلى الانتفاع. وقوله: (والحيوان نعمة) فهو مُصحِّحٌ للانتفاع.[5]

قوله: (لَما صحّ الانتفاع منه)[6] "منه" متعلّق بقوله: "صحّ"، أي: لَما صدَر منه الانتفاع بشيء، ولَما أمكن له الانتفاع بشيء. ولا يجوز أن يكون متعلّقًا بـ"الانتفاع"؛ لأنّ اللفظ والمعنى يأباه؛ أمّا اللفظ فلأنّ معمول[7] المصدر لا يتقدّم عليه، وأمّا المعنى فلأنّ المعنى أنّ ما لا يكون حيًّا لا يمكن[8] أن ينتفع بشيء. وليس المعنى أنّ ما لا يكون حيًّا لا يُنتفع به.[9]

قوله: (وإلّا كان عَبَثًا) أي: وإن لم يكن خلقه لغَرَض كان عبثًا. وهذا بناء على مذهب المعتزلة مِن أنّ أفعاله تعالى يجب أن تكون لغَرَض. وجواب ما ذكره

---

[1] ف + به.
[2] ن ف: والعالم.
[3] ن: كلّ؛ ف: كُلة.
[4] ف: وإليها.
[5] ن – وقوله: (والحيوان نعمة) فهو مُصحِّحٌ للانتفاع.
[6] في مطبوع الكشّاف: "لَما صحّ منه الانتفاع".
[7] ف: مغمول.
[8] ن + حيًّا لا يمكن.
[9] ن + وقوله: (والحيوان نعمة) فهو مُصحِّحٌ للانتفاع.

فإن قلتَ: فمَا مَعْنى الظَّاهرةِ والبَاطِنة؟

قلتُ: الظَّاهِرةُ: كلُّ ما يُعْلَمُ بالمُشَاهَدةِ، والباطِنَة: ما لا يُعْلَمُ إلَّا بدَليلٍ، أو لا يُعْلَمُ أصْلًا، فَكَمْ في بدَنِ الإنسانِ من نعمةٍ لا يَعْلَمُهَا ولا يَهتَدي إلى العِلم بها وقَد أكثَرُوا في ذلك:

فعَن مجَاهِدٍ: ظُهورُ الإِسْلام والنُّصرةُ على الأعداء، والبَاطنةُ: الإمدَادُ منَ الملائِكَةِ.

وعنِ الحسَنِ: الظَّاهِرَةُ الإِسلامُ والبَاطِنةُ السَّتْرُ.

وعن الضَّحَّاك: حُسْنُ الصُّورةِ، وامتدادُ القَامةِ، وتسوِيَةُ الأَعضاء، والباطنةُ: المَعرفةُ.

وقيل: الظَّاهرةُ: السَّمعُ والبَصرُ واللِّسانُ وسَائرُ الجَوارحِ الظَّاهِرةِ، والبَاطنة: القَلبُ والعَقْلُ والفَهْم وما أشبَه ذلك.

ويُروى في دُعَاء مُوسى صلوات الله عليه: إلهي دُلَّنِي على أَخْفَى نِعمَتِكَ على عبَادِكَ، فقَال: أَخفَى نِعْمَتي عَلَيْهم النَّفَسُ.

ويُروَى أَنَّ أَيْسَر ما يُعَذَّبُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ: الأَخْذُ بالأنفاسِ.

أن نقول: أيش[١] تريد بالعبَث؟ فإن أردتَ به أن يكون لا لِغرَض فنمنَع[٢] امتناعه، وهو أوّل المسألة، وإن أردتَ شيئًا آخر فعليكم البيان حتّى ننظر فيه أهو[٣] جائز أم لا.

قوله: (السَّتْر) "السَّتْر" بفتح السين، وهو سَتر المَعايب[٤] وسَتْر الذنوب عن نظَر الخلائق، فإنّ السِّتر -بالكسر- واحد السُّتور والأستار، والسَّتر -بالفتح- مصدر "سترتُ الشيءَ أسترُه" إذا غطّيتَه.[٥]

---

١ أيش: أصله "أيّ شيء"، ثمّ خُفّفت الياء وحُذفت الهمزة تخفيفًا وجُعلا كلمة واحدة، فقيل: أيش، قاله الفارابي. المصباح المنير للفيّومي، ١/٣٣٠.

٢ ن: فتمنع.

٣ ن: أو هو.

٤ ن – ستر المعايب.

٥ الصحاح للجوهري، «ستر».

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾

معناه: أيتَّبعونهم ولو كان الشيطانُ يَدعُوهم؛ أي: في حالِ دُعَاءِ الشَّيطان إيَّاهُم إلى العَذابِ.

قرأ عَليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه: "ومَن يُسَلِّم" بالتَّشديد، يُقَالُ: أَسْلِم أَمْركَ وسَلِّم أَمْركَ إلى اللهِ.

فإن قلتَ: ما لَه عُدِّيَ بـ﴿إِلَى﴾ وقَد عُدِّيَ باللَّام في قوله: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [البقرة ١١٢/٢]؟

قلتُ: مَعْناهُ معَ اللَّام: أنَّه جعَلَ وَجْهَهُ -وهو ذاتُه ونَفْسُه- سالِمًا لله؛ أي: خالِصًا لهُ، ومَعناهُ مَع ﴿إِلَى﴾: أنَّه سَلَّم إليه نَفسَهُ كما يُسلَّمُ المتَاعُ إلى الرَّجُلِ إذا دُفِعُ إليْه، والمرادُ: التَّوكُّل عليه والتَّفويضُ إليه.

﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ من باب التمثيلِ: مُثِّلَتْ حالُ المتُوكِّل بحالِ مَن أرَادَ أن يتَدلَّى مِن شاهقٍ ....

قوله: (معناه: أيتَّبعون؟)...[1] إلخ أي: / أيتَّبعون[2] آباءَهم ولو كان الشيطان [٢٧٢و] يدعو آباءَهم إلى العذاب؟ وقول المصنِّف: "أيتَّبعونهم"[3] إشارة إلى أنَّ مدخول[4] الهمزة محذوف، وهو "يتّبعوهم".[5] وقوله: (ولو كان الشيطان) حال مِن الضمير المنصوب في "يتّبعوهم".[6]

قوله: (يَتدلَّى) يقال: دلَّاهُ مِن سطحٍ بِحَبل،[7] أي: أرسله فتدلَّى، ومنه حديث ابن المُغَفَّل: «دُلِّيَ عليّ جِراب مِن شَحم مِن بعض حصون خيبر».[8]

[1] ن: أيبتغون. | في مطبوع الكشّاف: "أيتبعونهم".
[2] ن: أيبتغون.
[3] ن: أيبتغونهم.
[4] ن: ندخول.
[5] ن: يبتغونهم.
[6] ن: يبتغونهم.
[7] ن: الجبل.
[8] المُغرب للمطرّزي، «دلو». وحديث عبد الله بن المغفّل في مسند أحمد، ٣٤٧/٢٧ (١٦٧٩١)؛ وسنن أبي داود، ٣٣٨/٤ (٢٧٠٢)؛ وسنن النسائي، ٢٣٦/٧ (٤٤٣٥).

فاحتاطَ لنَفسِه بأن استمْسَك بأَوْثَقِ عُرْوَةٍ من حَبْلٍ مَتينٍ مَأمُونٍ انقِطَاعُه.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾؛ أي: هي صَائرةٌ إليه.

﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾﴾

قُرِئ: ﴿يَحْزُنكَ﴾ و: ﴿يُحْزِنكَ﴾ من حَزَن وأَحْزَنَ، والَّذي عليه الاستِعمال المُستَفيضُ: أَحْزَنه ويُحْزِنُهُ.

والمَعنى: لا يُهِمَّنَّك كُفْرُ مَن كفَر وَكَيْدُه للإسْلام فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ دافِعٌ كَيْدَهُ في نَحْرِهِ ومُنْتَقِمٌ مِنهُ ومُعَاقِبُه عَلى عمَلِه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ يَعْلمُ ما في صُدُور عبَادِه فيَفْعلُ بهِمْ على حَسَبهِ.

﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾

﴿نُمَتِّعُهُمْ﴾ زمانًا ﴿قَلِيلًا﴾ بدُنْياهُم ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ شُبّه إلزامُهُم التَّعذيبَ وإرْهَاقُهُم إيَّاهُ باضطِرارِ المُضطَرِّ إلى الشَّيءِ الذي لا يَقْدِرُ على الانفِكاكِ منه، والغِلَظُ مُستَعَارٌ من الأَجْرام الغَليظةِ، والمرادُ: الشِّدَّةُ والثِّقَلُ على المُعَذَّبِ.

قوله: (مِن حَبل)[١] بيان (عُروة).

قولـه:[٢] (وإرهاقُهـم) رَهِقَـهُ -بالكسـر- يَرهَقُـه رَهَقًـا؛ غَشِـيَهُ، قـال تعالـى: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس ٢٦/١٠]، ويقـال: "أرهَقـه طغيانًـا"،[٣] أي: أغشـاه إيّـاه، و"أرهَقـه عُسـرًا"؛ كلّفـه إيّـاه، يقـال: "لا تُرهقنـي لا أرْهَقَـك اللهُ"،[٤] أي: لا تعسرني لا أعسَرك الله.[٥]

١ ن: جبل.

٢ ن: قال.

٣ ن: طعنًا.

٤ ن - أي: أغشاه إيّاه، و"أرهَقه عُسرًا"؛ كلّفه إيّاه، يقال: "لا تُرهقني لا أرْهَقَك الله".

٥ الصحاح للجوهري، «رهق».

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلزامٌ لَهُم على إقرارِهم بأنَّ الَّذي خلقَ السَّماواتِ والأرْضَ هُو اللهُ وَحْدَهُ، وأنَّه يجبُ أن يكُون له الحَمدُ والشُّكرُ، وأنْ لا يُعْبَدَ مَعه غَيرُه، ثُمَّ قال: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ ذلك يَلزمُهم وإذا نُبِّهوا عَليه لم يَنتَبِهُوا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن حَمدِ الحامدين، المُستحقُّ للحمدِ وإن لم يَحْمدُوه.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾

قرئ: ﴿والبَحْرَ﴾ بالنَّصب عَطفًا عَلى اسْم ﴿أَنَّ﴾، وبالرفع عَطفًا على محلِّ ﴿أَنَّ﴾ ومَعمُولِها على: ولو ثبَتَ كونُ الأشجَارِ أَقْدَامًا وثبَت البَحرُ ممْدُودًا بسَبْعةِ أبْحُرٍ، أو عَلى الابتداء والواوُ للحَالِ عَلى مَعْنى: ولو أنَّ الأشْجَار أَقْلَامٌ في حَال كَونِ البَحْرِ مَمْدُودًا.

قوله:[١] (ثمّ قال) عطفٌ على جملة قوله: (﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلزام)، فكأنّه قال: ألزمهم بهذا الكلام، ثمّ قال...

قوله: (عطفًا على مَحلّ) المراد بالعطف على مَحلّ "أنّ" واسمِها هو العطف على محلّ اسم "أنّ" على تقدير عدم "أنّ"، فمرجع الكلام على الوجهين إلى[٢] معنًى واحد.

قوله: (وثبَتَ البحر) تحقيقه: وثبَتَ كون البحر ممدودًا، لِما ذكرنا مِن أنّ المعنى لا يختلف على الوجهين، فإنّ معنى العطف على محلّ "أنّ" واسمها هو العطف على اسم "أنّ" بتقدير عدم "أنّ".

---

[١] ن – قوله.

[٢] ف: على.

وفي قراءةِ ابن مسْعُودٍ: "وبَحْرٌ يَمُدُّهُ" على التَّنكير، ويَجبُ أن يُحْملَ هذا على الوجْه الأوَّل.

وقرئَ: "يُمِدُّهُ" و: "تُمِدُّه" بالياء والتاء.

فإن قلتَ: كان مُقتضَى الكلامِ أن يُقَال: ولو أنَّ الشَّجَر أقْلَامٌ والبَحرَ مِدَادٌ؟

قلتُ: أَغْنَى عن ذِكْر المِدادِ قَولُه: ﴿يَمُدُّهُۥ﴾ لأنَّه من قَولك: مَدَّ الدَّواةَ وأمدَّهَا، جَعل البَحْر الأَعْظَم بمَنْزِلةِ الدَّواةِ، وجعلَ الأبحُرَ السَّبْعَةَ مَمْلُوَّةً مِدادًا، فَهيَ تَصُبُّ فيهِ مِدَادَها أبدًا صَبًّا لا يَنقطِعُ، والمَعنَى: ولو أَنَّ أشجَارَ الأَرْضِ أَقلامٌ والبَحْر مَمْدُودٌ بسَبعَةِ أَبحُرٍ، وَكُتِبَتْ بتِلك الأَقْلَامِ وبذلك المِدادِ كَلمَاتُ الله، لَمَا نَفِدَتْ كَلمَاتُه، ونَفِدَتِ الأقلامُ والمدَادُ، كقَوله عَزَّ وجَلَّ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾ [الكهف ١٠٩/١٨].

فإن قلتَ: زَعمْتَ أن قولَه: ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ﴾ حَالٌ في أحَدِ وَجْهَي الرَّفْعِ، وليس فِيه ضَمِيرٌ راجِعٌ إلى ذِي الحَال؟

قلتُ: هُو كقَوله:

قوله: (على الوجه الأوّل) وهو أن يكون عطفًا على محلّ "أنّ" ومعمُولها، ليكون فاعلًا للفعل المحذوف، ولا يجوز أن يكون مبتدأ؛ لأنّه نكِرة.[١]

قوله: (قلتُ: أغنى)... إلخ فكأنّه قيل: والبحرُ مِدادٌ يَمُدُّه سبعةُ أبحُر، لكن حُذف "المِداد" لِما ذُكر.

قوله: (صبًا لا ينقطع) لأنّ الفعل المضارع[٢] يدلّ على الاستمرار كما ذُكر في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة ١٥/٢].

قوله: (وكُتبت)[٣] إشارة إلى أنّ في الكلام حذفًا، والتقدير ما ذكره.

قوله:

---

١ ن: يكره.

٢ ن: المضار.

٣ ن: وكتب.

وقَـد أَغـتَـدِي وَالـطَّـيـرُ فـي وُكـنَـاتِـهَـا

و: "جئتُ والجيشُ مُصْطَفٌّ"، وما أشبَهَ ذلك من الأَحْوالِ الَّتي حُكمُهَا حُكمُ الظُّرُوفِ.

(وقــد أغتَــدي والطيــرُ فــي وُكُناتهــا)[١]

تمامه:

بِـمُـنْـجَـرِدٍ قَـيْـدِ الأوابـــدِ هَـيـكَـلِ[٢]

يقول:[٣] أغتَدي في السَّحَر للصيد، والحال أنّ الطير بعدُ في أوكارها، بفرَس مُنجرِد، أي: قصيرِ الشعر، قيَّدَ[٤] الوحوشَ[٥] بحيث لا تقدر أن تَفِرَّ منه، عظيمِ الجسمِ. و"الوُكْنَة" و"الأُكْنَة" -بالضمّ- مواقع الطير حيث ما وقَعت، والجمع "وُكُناتٌ" و"وُكُنٌ".[٦] و"فرسٌ أجرَدُ" بَيِّنُ الجَرَد، وذلك إذا دَقّت[٧] شعرُه وقصُرَت.[٨] و"أبَدَتِ البهيمةُ"؛ توحَّشَتْ، و"الأوابد": الوحوش.[٩]

قوله: (حُكمُ الظروف) يشير بذلك إلى أنّ الحال كالخبر مِن حيث المعنى، فلذلك إذا حذف العامل مِن ذي الحال يصير الحال مع ذي الحال مبتدأً وخبرًا، كقولك: "جاء زيد راكبًا"، وأيضًا يكون حكمها حكم الصفة، أي: هو مِن حيث المعنى صفة، فلذلك يحتاج إلى الضمير كالخبر والصفة، وقد تجري الحال مَجرى الظروف،[١٠] لأنّه في تقدير الجارّ، فقولك: "جاء زيد راكبًا" معناه: في حال رُكوبه، فلذا يُستغنى عن الضمير.

---

١ ن: ولناتها.

٢ لامرئ القيس في ديوانه، ص ١٩.

٣ د: تقول.

٤ ن: قيل.

٥ وفي هامش د: معًا. [أي: "قَيَّدَ النفوسَ" و"قَيْدُ النفوسِ"].

٦ الصحاح للجوهري، «وكن».

٧ في الصحاح: "رقّت".

٨ الصحاح للجوهري، «جرد».

٩ انظر: شرح شواهد الكشّاف لمحبّ الدين أفندي، ص ٢٤٦. | وفي هامش د ف: قوله: (مِن الأحوال التي)... إلخ هذه الصفة للتخصيص، فإنّ بعض الأحوال يشابه الظرف في مجرّد الاقتران، لا في بيان الهيئة، وإن كان الجمع مشابهًا له في تقديرها بـ"في"، فإنّ "جاء زيد راكبًا" في تقدير: في حال الركوب.

١٠ ن: الظرف.

ويجُوز أَن يكونَ المعْنَى: وبَحْرُهَا، والضميرُ لـ﴿ٱلْأَرْضِ﴾.

فإن قلتَ: لم قيلَ ﴿مِن شَجَرَةٍ﴾ على التَّوحِيدِ، دونَ اسم الجنس الذي هُو: شجَرٌ؟

قلتُ: أُرِيدَ تَفصيلُ الشَّجر وتَقَصِّيها شجَرةً شجَرةً حَتَّى لا يَبْقَى مِن جنسِ الشَّجرِ ولا وَاحِدَةٌ إلّا قَد بُرِيَتْ أَقْلَامًا.

فإن قلتَ: الكلماتُ جمعُ قلَّةٍ والموضعُ مَوضعُ التكثير لا التقليل، فهَلَّا قيل: كَلِمُ اللهِ؟

قلتُ: مَعناه: أنَّ كلمَاتِه لا تَفِي بكِتْبَتِها البحَارُ فكيفَ بكَلِمِهِ.

وعن ابن عبَّاس: أنَّها نزلَتْ جَوابًا لليَهُود لمَّا قالُوا: قَدْ أُوتِينَا التَّوراةَ وفيهَا كُلُّ الحِكمةِ.

وقيل: إنَّ المُشرِكينَ قالوا: إنَّ هذا -يَعْنُون الوَحيَ- كلامٌ سَيَنْفَدُ، فأَعْلَمَ اللهُ أنَّ كلامَهُ لا يَنفَدُ.

قوله: (ويجوز أن يكون المعنى: وبَحْرُها،[1] والضمير لـ﴿ٱلْأَرْضِ﴾) وجهُه أن نقول: معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾: الأرضُ شَجَرُها أقلامٌ، وإذا كان في معناه فعَود الضمير إلى ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ بمثابة عَودِه إلى ذي الحال في الآية، وهو كون ما في الأرض.

قوله: (وتَقَصِّيها) أي: بلوغ أقصاها.

قوله: (ولا واحدةٌ) عطفٌ على محذوف، أي: لا[2] يبقى أفراد كثيرة ولا شجرةٌ واحدة. وهذا المعنى / إنّما استفيد مِن إفراد الشجرة، ولو قيل: "شجَر" لدلّ على [٢٧٢ظ] أنّه لا يبقى مِن جنس الشجر إلّا بُرِيَت أقلامًا، ولم يدلّ على تناول الحُكم لكلّ فرد. وهذا المعنى يؤيَّد بما مرّ مِن أنّ استغراق المفرد أشمل مِن استغراق الجمع. والمناسب للفظ المصنّف أن يقال: تقدير لفظه: لا يبقى مِن جنس الشجر جنسٌ ما، ولا مِن أفرادها شجرة واحدة.

---

[1] ن - ويجوز أن يكون المعنى: وبَحْرُها.
[2] ن - لا.

وهذه الآيةُ عند بَعْضِهم مَدَنِيَّةٌ وأنَّها نزلَتْ بَعد الهجرةِ.

وقيل: هي مَكِيَّةٌ، وإنَّما أَمَر اليهُودُ وَفْدَ قُرَيْشٍ أن يَقُولُوا لِرسُولِ الله: ألَستَ تَتْلُو فيما أُنزِلَ عَليك: أنَّا قَدْ أُوتينَا التَّوراةَ وفيها عِلمُ كُلِّ شيءٍ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يُعْجِزهُ شيءٌ ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يَخرُج مِن علْمِه وحِكْمتِه شَيءٌ، ومِثلُه لا تَنفَدُ كَلماتُه وحِكَمُه.

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝٢٨﴾

﴿إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾: إلَّا كَخلقِها وبَعْثِها؛ أي: سَواءٌ في قُدرتِه القليلُ والكثيرُ والواحِدُ والجميعُ لا يتَفَاوَتُ، وذلك أنَّه إنَّما كانت تَتفاوَتُ النفسُ الواحِدةُ وَالنُّفوس الكثيرَةُ العَددِ أَنْ لَو شَغله شَأنٌ عن شَأنٍ وفِعْلٌ عن فعْلٍ وقَد تعَالى عن ذلك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ يَسْمَعُ كُلَّ صَوْتٍ ويُبْصِرُ كُلَّ مُبْصَرٍ في حَالةٍ وَاحِدةٍ لا يشغَلُه إدْراكُ بعْضِها عن إدراكِ بَعضٍ، فكذلك الخَلْقُ والبَعْثُ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٢٩﴾

كُلُّ واحِدٍ من الشمس والقمر يَجْرِي في فَلَكِه وَيقطَعُه إلى وقت معلوم: الشمسُ إلى آخِر السَّنة، والقَمرُ إلى آخرِ الشَّهْر.

وعن الحسن: الأجَل المُسَمَّى: يَومُ القيامة؛ لأنَّه لا يَنقطِعُ جَرْيُهما إلَّا حِينئذٍ، دلَّ أيضًا بالليل والنَّهارِ وتَعَاقُبِهما وزيادتِهما ونُقصانِهما وجَرْيِ النَّيِّرين في فَلكَيْهما ....

قوله: (ومِثلُه) أي: مثلُ هذا العزيز الحكيم، أي: مَن كان بهذه المثابة مِن العِزَّة والحِكمة.

قوله: (وقد تعالَى عن ذلك) أي: قد ارتفع وعلا عن أن يشغله شأن عن شأن.

كُلُّ ذلك على تقديرٍ وحِسَابٍ، وبإحَاطتِه بجَميعِ أَعْمالِ الخَلْقِ= على عِظَمِ قُدرتِه وحِكمتِه.

فإن قلتَ: ﴿يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرعد ١٣/٢، فاطر ٣٥/١٣، الزمر ٣٩/٥] و﴿يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: أَهُوَ من تعَاقُبِ الحَرْفَين؟

قلتُ: كَلَّا، ولا يَسْلكُ هذه الطَّرِيقَةَ إلَّا بَليدُ الطَّبعِ ضَيِّقُ العَطَنِ، ولكن المَعنَيين -أَعنِي: الانتهَاءَ والاختصَاصَ- كُلُّ واحِدٍ منهُما مُلائمٌ لِصحَّةِ الغَرضِ؛ لأنَّ قَولك: ﴿يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ مَعناه: يَبْلغُه ويَنتهِي إليه، وقَولَك: ﴿يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ تُرِيدُ: يَجْرِي لإدْراك أَجلٍ مُسَمًّى، تجعَلُ الجَرْيَ مُختصًّا بإِدْراكِ أجَلٍ مُسَمًّى، ألَا تَرى أنَّ جرْيَ الشَّمس مُختصٌّ بآخِرِ السَّنةِ، وجَرْيَ القَمر بآخر الشهر، فكِلَا المَعْنيَينِ غَيرُ نابٍ به مَوضعُهُ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٣٠﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي وُصِف من عجائب قُدرتِه وحِكمتِه -التي يَعجزُ عنها الأَحْيَاءُ القَادرُونَ العَالِمُونَ فكيفَ بالجمادِ الذي تَدْعُونه من دُون اللهِ- إنَّما هُو بسَبَبِ أنَّه هُو الحقُّ الثَّابتُ إلاهِيَّتُه، وأنَّ مَن دُونه باطِلُ الإلهيَّةِ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ الشَّأنِ ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ السُّلطَانِ.

أو: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الَّذي أُوحِيَ إلَيك من هذه الآياتِ بسَببِ بيَانِ أَنَّ اللهَ هو الحَقُّ وأنَّ إلهًا غيرَهُ باطِلٌ ﴿وأَنَّ ٱللَّهَ هوالعليُّ الكبيرُ﴾ عن أَنْ يُشرَكَ به.

قوله: (كلُّ ذلك) جملة معترِضة.

قوله: (ضَيّق العَطَن) "ضِيق العَطَن" عبارة عن قلّة المَحَالِّ في باب العلم.

قوله: (ذلك الذي وُصِف) مبتدأ، (إنّما هو) خبره، وهو تفسير ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾.

قوله: (مِن عجائب) بيان "ذلك".

قوله: (فكيف بالجماد)[1] الباء في "بالجماد" زائدة، لتضمّن[2] الكلام معنى الاستفهام.

---

[1] ن: بالجمال.

[2] ن: لتضمين.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾﴾

قرئ: "الفُلُك" بضم اللام، وكُلُّ "فُعْلٍ" يجُوز فيه "فُعُلٌ" كمَا يجُوز في كُلِّ "فُعُلٍ" "فُعْلٌ" على مذهَب التَّعويض.

و: "بِنِعْماتِ اللهِ" بسُكون العَين، وعَيْنُ فِعلاتٍ يجُوز فيها الكسْرُ والفَتح والسُّكونُ.

﴿بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾: بإحسَانه ورَحمتِه ﴿صَبَّارٍ﴾ عَلى بلائِهِ ﴿شَكُورٍ﴾ لنعَمائهِ، وهما صِفتَا المُؤمِنِ؛ فكَأنَّه قال: إنَّ في ذلك لآياتٍ لكُلِّ مُؤمنٍ.

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾

يَرتفِعُ المَوجُ ويَتراكبُ فيَعُودُ مِثْلَ الظُّلَلِ، والظُّلَّةُ: كُلُّ ما أظَلَّكَ من جَبلٍ أو سحَابٍ أو غيْرِهما.

وقرئ: "كالظِّلال" جَمْع ظُلَّةٍ، كقُلَّةٍ وقِلالٍ.

﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾: مُتوَسِّطٌ في الكُفْر والظُّلم؛ ....

قوله: (وقُرئ: "الفُلُكَ") شاذّ.[1]

قوله: (بسكون العين) أي: القراءة وردت بالسكون، وإن جاز غيره مِن حيث اللغة.[2]

قوله: (فكأنّه قال)... إلخ فيكون كناية، وهو الكناية التي يُراد بها الموصوف.

---

[1] قراءة شاذّة، مرويّة عن موسى بن الزبير. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٣٧٩؛ والبحر المحيط لأبي حيّان، ٤٢٣/٨ (لقمان، ٣١/٣١).

[2] رُوي في الشاذّ عن الأعرج والأعمش وابن يعمر وابن أبي عبلة: "بِنِعْمَاتِ الله" بكسر النون وسكون العين جمعًا، وعن ابن يعمر والمطّوّعي: "بِنَعَمَاتِ الله" بفتح النون والعين، وعن ابن أبي عبلة: "بِنَعِمَاتِ الله" بفتح النون وكسر العين. انظر: المحتسب لابن جنّي، ١٧٠/٢؛ وشواذّ القراءات للكرماني، ص ٣٧٩؛ والبحر المحيط لأبي حيّان، ٤٢٣/٨ (لقمان، ٣١/٣١)؛ وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي، ص ٤٤٨.

خَفَّض من غُلَوَائهِ وانْزَجَر بعضَ الانْزِجار، أو: مُقتَصِدٌ في الإخلاصِ الَّذي كان عليه في البَحْر، يَعْنِي: أنَّ ذلك الإخلاصَ الحَادثَ عند الخَوف لا يَبْقَى لأحَدٍ قَطُّ، والمُقتَصِدُ قَليلٌ نادِرٌ.

وقيل: مُؤمِنٌ قد ثبَتَ على ما عَاهَد عَليه اللهَ في البَحْر.

و"الخَتْرُ": أشَدُّ الغَدْر، ومنه قَولُهُم: "إنَّكَ لا تُمِدُّ لنَا شِبْرًا من غَدْرٍ إلَّا مدَدْنَا لَكَ بَاعًا مِن خَتْرٍ"، قال:

وإنَّـــكَ لـو رَأيـــتَ أبـا عُـميرٍ مَــلَأتَ يـدَيـكَ مـن غَـــدْرٍ وَخَـتْـرِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾

﴿لا يجزى﴾: لا يَقضِي عنه شَيئًا، ومنه قِيل للمُتَقَاضي: المُتجَازِي، وفي الحَديثِ في جَذَعَةِ بنِ نِيار: "تَجزِي عَنك ولا تَجزِي عن أحَدٍ بَعْدكَ".

قوله: (في[1] غُلَوائه) "الغُلَواء": الغُلوّ.

قوله:

(وإنّـك لـو رأيـتَ أبـا عُمَيـرٍ)... البيـتَ[2]

يريد الشاعر بقوله: "ملأتَ يدَيكَ" المبالغة في وصفِ غدرٍ[3] أبي عُمَير.

قوله: (ومنه قيل للمتقاضي: المتجازي)... إلخ "المتقاضي": هو الذي يطلب قضاء الدين، و"المتجازي": هو الذي يطلب جزاء الدين، أي: قضاءَه. و"جزى عنه" بمعنى "قضى" غير مهموز، ومنه: «ولا تَجزي عن أحدٍ بَعدك»، أي: لا تؤدّي عنه ولا تقضي. و"أبو بُردة بن نِيار" رجل مِن قُضاعة مِن الصحابة، واسمه هانئ: و"الجَذَعة" مِن الشاة ما أتى عليها سنة، وجَذَعة ابن نِيار كانت مِن المَعَز،[4]

---

[1] في مطبوع الكشّاف: من.
[2] لعمرو بن معديكرب في ديوانه، ص ١٢٣.
[3] ن ف: عذب.
[4] ن: المغز.

وقرئ: "لا يُجْزِئُ": لا يُغْنِي، يُقَال: أَجْزأتُ عَنك مُجْزَأَ فُلانٍ.

والمعنى: لا يَجْزِي فيه، فحُذف.

و﴿ٱلْغَرُورُ﴾ الشَّيطَانُ، وقيل: الدُّنيَا، وقيل: تمَنِّيكُم في المعصيَةِ المَغفرَةَ.

وعن سعيد بن جُبَيرٍ: الغِرَّةُ باللهِ: أَنْ يتمَادَى الرَّجُلُ في المعْصيَةِ ويتَمنَّى على اللهِ المغفرةَ.

وقيل: ذِكرُكَ لحَسنَاتِكَ ونِسيَانُكَ لسَيِّئاتِكَ غِرَّةٌ.

وهي لا تَجزي في الأُضحية، وإنّما تَجزي فيها الجَذَعة مِن الضأن، أو الثنيّة مِن المَعَز،[1] وخصّه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[2] بهذا الحكم فقال صلّى الله عليه وسلّم:[3] «تَجزي عنك، ولا تَجزِي عن أحد بعدك».[4]

قوله: (قُرئ: "لَا يُجْزِئُ")[5] يعني: مهموزًا، مِن "الإجزاء"، يقال: جَزَأَتِ الإبلُ بالرَّطْب عن الماء واجتزَأَتْ، أي: اكتفَتْ، وأَجْزَأَني الشيءُ؛ كفاني، وهذا يُجزئُ عن هذا، أي: يقضي، أو ينوب عنه، ومنه: "البَدَنة تُجزِئُ عن سبعة".[6] و"ابن نِيار" اسم رجل.

قوله: (في المعصية) في محلّ الحال، أي: تمنّيكم مُنغَمِرين في المعصية واقعين فيها.

قوله: (أن يتمادى الرجل) "المَدَى" -بفتحتين- الغاية، ومنه "التمادي في الأمر"، وهو بلوغ المَدَى.

---

[1] ن: المغز.

[2] د: عليه السلام.

[3] د: عليه السلام.

[4] ن: بعدكم. | انظر: صحيح البخاري، ٢/١٧ (٩٥٥)؛ وصحيح مسلم، ٣/١٥٥٢ (١٩٦١).

[5] في الأصول الخطّيّة: "لا تُجزئ" بالتاء، ولم أجد هذه القراءة، والذي في مطبوع الكشّاف ومصادر القراءات: "لا يُجزِئُ" بالياء، وهي قراءة شاذّة، مرويّة عن أبان بن تَغلب وأبي السّمّال وأبي السوار. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٣٧٩؛ والبحر المحيط لأبي حيّان، ٨/٤٢٤ (لقمان، ٣١/٣٣)؛ والدرّ المصون للسمين الحلبي، ٩/٧٤.

[6] المُغرب للمطرّزي، «جزأ».

وقرئ بضمِّ الغَيْن، وهو مَصْدَرُ غَرَّهُ غُرُورًا، جُعِل الغُرورُ غارًّا كما قِيلَ: جَدَّ جِدُّهُ، أَو أُرِيد زِينةُ الدُّنيا لأَنَّها غُرُورٌ.

فإن قلتَ: قَولُه: ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ وَارِدٌ عَلى طريقِ من التَّوكيد لم يَرِدْ عَليه ما هُوَ مَعْطوفٌ عليه؟

قلتُ: الأَمرُ كذلِك؛ لأنَّ الجُمْلةَ الاسميَّةَ آكَدُ من الفعليَّة، وقد انضمَّ إلى ذلِكَ قَولُه: ﴿هُوَ﴾ وقَولُه: ﴿مَوْلُودٌ﴾ والسَّبَبُ في مَجِيئهِ على هذا السَّنَن: أَنَّ الخِطَاب للمؤمنينَ وعِلْيَتُهم قُبِضَ آباؤُهم عَلى الكُفْرِ وعَلى الدِّينِ الجَاهليِّ، فأُرِيدَ حَسْمُ أَطْمَاعِهِم وأَطماعِ النَّاسِ فيهم: أَنْ يَنفَعُوا آباءهُم في الآخِرة، وأن يَشفَعُوا لَهُم، وأَن يُغْنُوا عَنْهُم من الله شَيئًا، فلذلك جيء بهِ على الطَّريقِ الآكَدِ.

ومَعْنَى التَّوكيدِ في لَفْظِ المَولُود: أَنَّ الواحِدَ مِنْهُم لَو شَفَعَ للأَب الأَدْنَى الَّذِي وُلِدَ مِنه لم تُقبَل شفاعتُه فَضْلًا أَن يَشفَع لِمَنْ فوقَهُ من أَجْدَادِه؛ لأنَّ الوَلَد يقعُ على الوَلدِ ووَلَدِ الوَلدِ بخلافِ المَولُود فإنَّه لِمَن وُلِدَ مِنك.

قوله: (وقُرئ بضمِّ الغين) شاذٌ.[١]

قوله: (قلتُ: الأمر كذلك) يعني: هو وارد[٢] على طريق التوكيد.

قوله: (وقوله: ﴿مَوْلُودٌ﴾) كما يُبيّنُه عن قريب بعد ذلك.[٣]

قوله: (وعِلْيَتهم) "فلان مِن عِلْية[٤] الناس"، وهو جمع "رجلٌ عَلِيٌّ"، أي: شريف رفيع، مثل: صَبيّ وصِبْية.

قوله: (لأنّ الولد يقع على الولد)... إلخ هذا الذي ذكره المصنّف في الولد ممّا اختلف العلماء فيه، قال الإمام الرافعي رحمه الله[٥] في الشرح الكبير:

إذا قال القائل: "وَقَفْتُ هذا على أولادي" هل يدخل فيه أولاد الأولاد؟ فيه وجهان؛ أصحّهما: لا؛ لأنّ الولد حقيقةً / يقع على ولد الصُّلب، ألا يُرى[٦] [٢٧٣و]

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن سِماك بن حرب وأبي حَيوة وابن أبي عبلة وأبي السَّمّال. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٣٨٠.

٢ ف: وإن دلّ.

٣ ن – ذلك.

٤ ف: عِليّة.

٥ د – رحمه الله.

٦ ن ف: ترى.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤﴾

رويَ أنَّ رَجُلًا من مُحَارِبٍ وهو الحارثُ بنُ عَمرو بن حارثةَ أَتَى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أَخْبِرني عن السَّاعة مَتَى قِيَامُها؟ وإنِّي قد ألقَيْتُ حَبَّاتِي في الأرْض وقَد أبطَأتْ عَنَّا السماءُ فمَتى تُمْطِرُ؟ ....

أنّه ينتظم أن يقال: ليس هذا ولدَه، وإنّما هو ولد ولدِه. والثاني: نعم؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الأعراف ٢٦/٧]، وقولِه صلّى الله عليه وسلّم[١] للحسن بن عليّ رضي الله عنهما:[٢] «إنّ ابني هذا سيّدٌ».[٣]

وأمّا التفرقة التي ذكرها بين الولد والمولود فلم نرَها في شيء مِن كتب الفقه ولا اللغة، غير أنّ المطرّزي ذكر في المُغرب أنّه يقال للصغير: مولود، وإن كان الكبير مولودًا أيضًا لِقُرب عهده مِن الوِلادة، كما يقال: لبن حليب، ورُطَب جَنيّ، للطريّ منهما.[٤]

وأنا أقول: بناءً على المعنى الذي ذكره المطرّزي يمكن أن يكون المراد بـ"المولود" الطفل، أي: الذي لم يبلغ الحِنْث، وأنّهم لا يشفعون يوم القيامة لآبائهم الكفّار، وإن كان الأطفال يشفعون يوم القيامة لآبائهم فإنّ ذلك مشروط[٥] بإسلام الآباء.

قوله: (عَنّا[٦] السماءُ) أراد بـ"السماء" المطر، قال الشاعر:

---

١ د: عليه السلام.

٢ ن: عنه.

٣ صحيح البخاري، ١٨٦/٣ (٢٧٠٤)؛ سنن أبي داود، ٥٨/٧ (٤٦٦٢). | انظر: العزيز شرح الوجيز للرافعي، ٢٧٨/٦.

٤ المُغرب للمطرّزي، «ولد».

٥ ن: مشروطًا.

٦ وفي هامش د: عنها. نخ [أي "نسخة"]. | وهذا الأثر ورد في كتب التفسير بألفاظ مختلفة مع اختلافٍ في اسم السائل؛ ففي أسباب النزول للواحدي، ص ٣٥٩: "الحارث بن عمرو بن حارثة بن محارب بن حفصة، مِن أهل البادية". وفي الكشف والبيان للثعلبي، ٢٥٢/٢١ (لقمان، ٣٤/٣١): "الوارث بن عمرو بن حارثة بن محارب بن حفصة، مِن أهل البادية". وفي الدرّ المنثور للسيوطي، ٥٣٠/٦ (لقمان، ٣٤/٣١): "الوارث، مِن بني مازن بن حفص بن قيس بن عيلان". وفي البحر المحيط لأبي حيّان، ٤٢٥/٨ (لقمان، ٣٤/٣١): "الحارث بن عمارة المحاربي".

وأَخْبرنِي عن امرأَتِي فقد اشتَمَلَتْ مَا في بَطْنِهَا أَذكَرٌ أَمْ أُنثى؟ وإِنّي عَلِمْتُ ما عَمِلتُ أَمْسِ فمَا أَعْمَلُ غدًا؟ وهَذا مَوْلِدي قَد عَرفتُه فأَيْنَ أَمُوتُ؟ فنزَلَتْ.

وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «مفاتِحُ الغَيْب خَمْسٌ» وتلا هذه الآيَة.

وعن ابن عباس: مَن ادَّعَى عِلْم هَذه الخمسَة فقد كَذَب، إيَّاكُم والكَهَانةَ فإن الكهانةَ تَدْعُو إلى الشِّرك والشِّركُ وأَهْلُه في النَّارِ.

وعن المنصُور: أَنَّه أهمَّهُ مَعرفَةُ مدَّةَ عُمْرِهِ، فرأَى في مَنامِه كأنَّ خيَالًا أَخرَج يدَهُ من البَحْرِ وأشَار إليه بالأَصَابع الخمْسِ، فاستفتَى العُلمَاءَ في ذلك فتَأَوَّلُوهَا بخمْسِ سنينَ وبخمسَة أشهُرٍ وبغَيْر ذلك، حتى قال أبو حنيفة رحمه الله: تأوِيلُهَا أنَّ مَفاتحَ الغيْبِ خمْسٌ ولا يَعْلمُها إلَّا اللهُ وأَنَّ ما طلبْتَ مَعرِفتَهُ لا سبيلَ لك إليه.

إذا نـــزل الســـماءُ بـــأرضِ قـــوم رَعيناهـــا وإن كانـــوا غِضابَـــا[1]

قوله: (اشتَملَتْ) أي: حَبِلَتْ، قال في **الصحاح**: «الشَّمَلُ -بالتحريك- مصدر 'شَمِلَتْ ناقتُنا لِقاحًا مِن فَحل فلان' إذا لَقِحَت».[2] وفي بعض النسخ: "استَهَلّ"، واستهلالُ الصبيّ أن يرفع صوتَه بالبكاء عند ولادته، والمراد به في الحديث على هذه الرواية: تحرُّكه في البطن وقُربُ ولادتِه، أُقيم ذلك مُقام الاستهلال. وفي "استَهلّ" ضمير يرجع إلى ما دلّ عليه الكلام، أي: استهلّ ولدها. وقوله: (ما في بطنها) "ما" استفهام.

قوله: (حتى قال أبو حنيفة رحمه الله) يجوز أن يكون متعلّقًا بقوله: (تأوّلوا)، أي: انتهى تأوُّلهم بتأوُّل أبي حنيفة، فإنّه لمّا تأوّل هذا التأويل أيقَن المتأوّلون أنّه الحقّ، فما تأوّلَهُ أحدٌ بعد ذلك، ويجوز أن يكون متعلّقًا بـ(استفتى)،[3] فكأنّه كان يستفتي العلماء، ولا يرضى بتأوّل واحد منهم حتّى يُأوّلها[4] أبو حنيفة رحمه الله،[5] فرضِيَ ذلك، وما استفتى أحدًا بعده.

---

[1] لمعاوية بن مالك في المفضّليّات للمفضّل الضبّي، ص ٣٥٩؛ ولسان العرب لابن منظور، «سما».

[2] الصحاح للجوهري، «شمل».

[3] ن: باستغنى.

[4] ف: تأوّلها.

[5] د - رحمه الله.

﴿عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أيَّان مُرساها.

﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ في إِبَّانِه من غيْر تَقْدِيمٍ ولا تأخِيرٍ، وفي بَلَدٍ لا يتجَاوَزُه به.

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾: أَذَكرٌ أَمْ أُنثى، أتامٌ أم ناقصٌ؟ وكذلِك ما سوى ذلك من الأَحْوال.

﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ﴾ بَرَّةٌ أو فَاجِرَةٌ ﴿مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ من خَيْرٍ أو شرٍّ، ورُبَّما كانَتْ عَازِمةً على خَيْرٍ فعَمِلَتْ شرًّا، وعَازِمَةً على شَرٍّ فعَمِلَتْ خَيْرًا.

﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ﴾ أَيْنَ ﴿تَمُوتُ﴾ وَرُبَّما أَقَامَتْ بأرضٍ وضَربت أوتَادَها وقالَتْ: "لا أبرَحُهَا" أو: "أُقبَرُ فيهَا"، فتَرْمِي بها مَرامِي القَدرِ حتَّى تمُوتَ في مكانٍ لـم يَخْطُر ببَالها ولا حَدَّثتْها به ظُنُونُها.

وروي أنَّ ملك الموت عليه السلام مَرَّ على سُليمان صلوات الله عليه فجَعلَ ينظُرُ إلى رَجُلٍ من جُلسَائه يُدِيمُ النَّظَر إلَيه، فقال الرَّجُل: مَن هذا؟ قال: مَلك المَوتِ، فقال: كأنَّهُ يُرِيدُنِي، وسأل سُليمانَ أن يَحْمِله عَلى الرِّيح ويُلقيَهُ ببِلاد الهِنْد، ففعَل، ثـم قال ملك المَوت لسُليمَان عليه السلام: كانَ دَوامُ نَظرِي إليه تعجُّبًا مِنه لِأَنِّي أُمِرْتُ أن أَقبِضَ رُوحَه بالهِنْد وهُو عِندك.

قوله: (﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [الأعراف ١٨٧/٧]) رسَت السفينة تَرسو رَسْوًا ورُسُوًّا؛[١] وقفَت في البحر، والمِرساة التي تُرسى بها السفينة، يُسمِّيها الفُرس "لَنْكَرْ". وقوله: ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [الأعراف ١٨٧/٧]، أي: متى إرساؤها، أي: إقامتها؟ أرادوا متى يقيمها الله تعالى ويُثبتها ويكوِّنها؟ وقيل: أيّان منتهاها ومستقرّها؟ كما أنّ مَرسى السفينة مستقرّها حيث ينتهي[٢] إليه.

قوله: (في إبَّانه) أي: في وقته. وقوله: (في بلد) عطفٌ على قوله: "في إبّانه".

قوله: (بَرَّةٌ أو فاجرة)[٣] هذا معنى التنكير.

قوله: (وسأل) أي: الرجل.

---

١ ن – ورُسُوًّا.

٢ ف: تنتهي.

٣ د: فاخرة.

وجُعِل العِلْمُ لِلهِ والدِّرايةُ للعَبْدِ لِمَا في الدِّراية من مَعْنى الخَتْلِ والحيلَة.

والمَعنى: أنَّها لا تَعْرِفُ وإن أَعْملَتْ حِيَلهَا ما يَلصَقُ بها ويختَصُّ ولا يتخَطَّاها، ولا شيءَ أخَصُّ بالإنسان من كسْبِه وعاقبَتِه، فإذا لم يكن له طريقٌ إلى مَعْرفتهما كانَ من مَعْرِفةِ ما عَدَاهما أَبْعَدَ.

وقرئ: "بأيَّةِ أَرْضٍ"، وشبَّهَ سيبَويْه تأنِيثَ "أيّ" بتأنِيث "كُلّ" في قولهم: "كُلَّتُهُنَّ".

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرَأ سُورَة لقمانَ كان له لُقمَانُ رفيقًا يومَ القيامة، وأُعطيَ من الحَسناتِ عَشْرًا عَشْرًا بعَدَدِ مَن عَمِل بالمَعرُوف ونَهَى عن المُنكرِ».

قوله: (الخَتْلُ) الخَدْعُ.

قوله: (شبّه سيبويه)... إلخ وجه الشبَه أنّ كلًّا منهما متَّحِد مع ما بعده ذاتًا، وإن تغايرَا بحسب المفهوم، فإلحاق التاء فيهما لدلالة تأنيث ما بعده.[1]

قوله: (والمعنى أنّها) أي: النفس.

قوله: (وإن أعملَتْ) جملة معترضة. وقوله: (ما[2] يُلصق) مفعول (تعرِف). وقوله: (ولا شيء) جملة معترِضة.

تمّت السورة.[3]

---

[1] ن - قوله: (الختْلُ) الخدْعُ. قوله: (شبه سيبويه)... إلخ وجه الشبَه أنّ كلًّا منهما متَّحِد مع ما بعده ذاتًا، وإن تغايرَا بحسب المفهوم، فإلحاق التاء فيهما لدلالة تأنيث ما بعده.

[2] ن: وما.

[3] ن - تمّت السورة.

سورة السجدة

مكيةٌ، وهي ثلاثون آيةً، وقيل: تسعٌ وعشرون.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣﴾

﴿الٓمٓ﴾ على أنَّها اسمُ السُّورةِ مُبتَدأٌ خبرُه ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾، وإنْ جعلْتَها تعْديدًا للحرُوف ارْتفعَ ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ....

سورة السجدة

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين[١]

قوله: (﴿الٓمٓ﴾) مبتدأ، خبره قوله: (مبتدأ). وإذا جُعلت اسمَ السورة و﴿تَنزِيلُ﴾ خبرَه[٢] فلا بُدَّ مِن أحد أمرين ليستقيم المعنى؛[٣] الأوّل: أن يكون "التنزيل" بمعنى المُنزَّل، / وأصله:[٤] الكتاب المُنزَّل، ثمّ حُذف الموصوف وأُقيم الصفة مُقامها، ثمّ أُضيف للبيان، كما في قولهم: "جَرْدُ قَطِيفة".[٥] والثاني: أن يكون المضاف محذوفًا مِن الأوّل، أي: تنزيل ﴿الٓمٓ﴾ تنزيلُ الكتاب. [٢٧٣ظ]

قوله: (تَعدِيدًا للحروف) يعني بـ"الحروف" الكلماتِ؛ لأنّها أسماء. وقد سبق في أوّل الكتاب وجه تسميتها حروفًا.

---

١ ن ف – وبه نستعين.

٢ ف: خبرُه.

٣ ن: االعنى.

٤ ف: وأصله.

٥ الجَرْد: الخَلَق مِن الثياب، وانجَرَد الثوب، أي: انسَحَق ولَانَ، وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه: «ليس عندنا مِن مال المسلمين إلّا جَرْد هذه القطيفة»، أي: التي انجَرَد خَملها وخَلَقَت. لسان العرب لابن منظور، «جرد».

بأنه خبرُ مُبتَدأ محذُوفٍ، أو هُو مُبتَدأٌ خَبرُه ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

والوَجْهُ: أَن يَرتفِعَ بالابتِداء وخَبرُه ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ و﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ اعتراضٌ لا محَلَّ له، والضميرُ في ﴿فِيهِ﴾ راجعٌ إلى مضمُون الجُمْلةِ؛ كأنَّه قيل: لا ريْبَ في ذلك؛ أي: في كوْنِه مُنزَّلًا من رَبِّ العَالمين.

ويَشْهَدُ لوَجَاهَتِه قَولُه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ لأنَّ قَوْلَهُم: "هذا مُفْتَرًى" إنكارٌ لأَنْ يكُون من ربِّ العَالَمين، وكذلك قولُه: ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ وما فيه من تَقْرِيرِ أَنَّه من اللهِ.

وهذا أُسْلُوبٌ صَحيحٌ مُحْكَمٌ: أثبَتَ أوَّلًا أنَّ تنْزِيلَه من ربِّ العَالمين، وأَنَّ ذلك ما لا ريْبَ فيه، ثم أَضْربَ عن ذلك إلى قولِهِ: ....

قوله: (بأنّه خبر مبتدأ محذوف) أي: هذا تنزيلُ الكتاب، فيكون "هذا" المحذوف إشارة إلى ما[1] فُهم مِن قوله: ﴿الٓمٓ﴾، فإنّ تعديد هذه الحروف إشارة إلى كون القرآن مُعجزًا، فكأنّه قيل: هذا الكلام المُعجِز تنزيلُ الكتاب.

قوله: (والضمير في ﴿فِيهِ﴾) أي: على هذا الوجه.

قوله: (لِوَجاهَته)[2] أي: لوَجاهة الوَجه الأخير، وهو أن يرتفع بالابتداء، خبره ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، والصواب أن نقول: إنّما قال: "لِوَجاهَته" لقوله: "والوَجه".

قوله: (أنّ تنزيله) أي: تنزيلَ الكتاب.

قوله: (ثمّ أضْربَ عن ذلك) أي: عن إثبات أنّ تنزيله مِن ربّ العالمين. و"الإضراب" هنا بمعنى ترك[3] الأوّل والأخذ فيما هو أهمّ، فكأنّه قيل: اترك هذا الذي ذكرنا مِن كونه مِن ربّ العالمين، وانظر في كلمتهم الحَمقاء، وتعجَّبْ منه، ثمّ أضرِبْ عن ذلك أيضًا، فكأنّه قال: بل لا تلتفت إلى قولهم، وانظُر[4] إلى كونه حقًّا، وتبجَّح به، واستغرِقْ أوقاتك في التفكّر فيه، وتبليغه والعمل بما فيه.

---

[1] ف + إلى.
[2] ن: لِوُجاهته.
[3] ن: تر.
[4] ن: وابطر.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُ﴾ لأنَّ ﴿أَمۡ﴾ هيَ المُنقَطعةُ الكائنةُ بمَعْنى "بَلْ" والهَمزةِ؛ إنكارًا لقَولهم وتَعجيبًا مِنه؛ لظهُور أَمْرِهِ في عجز بُلغَائِهم عن مِثْل ثلاثِ آياتٍ منه، ثم أضربَ عن الإنكار إلى إثباتِ أنّه ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾.

ونظيرُه: أَنْ يُعَلِّلَ العَالِمُ في المَسألَة بعِلَّةٍ صحِيحةٍ جَامِعةٍ قد احترَز فيها أَنواعَ الاحترَازِ؛ كقول المتكلّمين: "النَّظَرُ أوّلُ الأَفعال الواجبَةِ على الإطلاق الَّتي لا يَعْرَى من وُجُوبها مُكلَّفٌ"، ثمَّ يُعتَرَض عَليْه فيها ببَعْضِ ما وَقع احترازُه منه، فيَردُّهُ بتَلخيصِ أنَّه احترَز مِن ذلك، ثُمَّ يَعُود إلى تقْريرِ كلامِه وَتمْشِيَتِه.

وبيانُ هذه الدقائق ممّا وفّقنا الله تعالى، فأحمدُه[١] على ذلك، وأسأله زيادةَ التوفيق.

قوله: (لأنّ ﴿أَمۡ﴾ هي المنقطعة) بيان الإضراب. وقوله: (أمرِه) أي: أمرِ التنزيل. وقوله: (في عجز) متعلّق بقوله: (ظهور).

قوله: (ثمّ أُضرِب عن الإنكار) أي: عن الإنكار والتعجيب.[٢]

قوله: (كقول المتكلّمين)... إلخ كما قالوا: النظر أوّل الواجبات؛ لأنّ سائر الواجبات الشرعيّة فرع على معرفة الله تعالى بتوحيده وعدله، ومعرفتُه فرع على النظر، فكان النظر مقدَّمًا على الكلّ. فإن قيل: ردُّ الوديعة، وقضاءُ الدين، وتركُ الظلم، وشكرُ نِعم العباد واجبة عند كمال العقل، فلم يكُن النظر أوّل الواجبات،[٣] قلنا: نحن لا ندّعي ذلك على الإطلاق، ولكِنّا نقول: النظر أوّل الأفعال الواجبة المقصودة التي لا ينفكُّ عنها كلُّ عاقل، وبهذه القيود اندفع جميع النقوض،[٤] لانتفائها فيها. عن كتاب الصفوة في الكلام تصنيف نجم الدين الخوارِزمي رحمه الله.[٥]

---

١ ن: فأحدُه.
٢ ن: والتعجب.
٣ ن: الواجباب.
٤ ف: المنقوض.
٥ د – رحمه الله. | انظر: فتوح الغيب للطِّيبي، ١٢/٣٣٠؛ وحاشية القونوي على تفسير البيضاوي، ٢٤٣/١٥.

فإن قلتَ: كيْفَ نَفَى أَنْ يُرتابَ في أَنَّه من الله، وقد أثبَت ما هُو أطَمُّ من الرَّيْبِ وهُو قَولُهُم: ﴿ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾؟

قلتُ: مَعْنى ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِۛ﴾: أَنْ لا مَدْخَل للرَّيب في أنَّه تنْزِيلُ الله؛ لأنَّ نَافيَ الرَّيبِ ومُمِيطَه مَعَه لا يَنفكُّ عَنْه، وهُو كَونُه مُعْجزًا للبَشر، ومِثْلُه أبْعَدُ شيءٍ من الرَّيبِ، وأمَّا قولُهم: ﴿ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾ فإمَّا قولُ مُتعَنِّتٍ مَع علمِه أنَّه من الله لظُهُور الإعجَاز لهُ، أو جَاهِلٍ يَقُولُه قبلَ التَّأمُّلِ والنَّظرِ؛ لأنَّه سَمِعَ النَّاس يَقُولُونه.

﴿مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾ كقَوله: ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ﴾ [يس ٣٦/٦]، وذَلك أَنَّ قُرَيْشًا لم يَبعثِ الله إليْهم رَسُولًا قبلَ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم.

فإن قلتَ: فإذا لم يأتِهمْ نذيرٌ لم تَقُمْ عليهم حُجَّةٌ؟

قوله: (أَطَمُّ) أي: أغلب وأعلى، وذلك لأنّ قولهم: ﴿ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾ جزمٌ وقطعٌ بأنّه ليس مِن ربّ العالمين، فهو أعظم مِن الارتياب.

قوله: (ومُمِيطَه) يقال: أمَطْتُه، أي: نحَّيْتُه.

قوله: (معه) خبر "أنّ"، أي: مع الكتاب. وقوله: (لا ينفكّ عنه) إمّا خبر لـ"أنّ"، أو حال مِن الضمير المستتر في الخبر. وقوله: (عنه) أي: عن الكتاب. وقوله: (وهو) أي: "نافي الرَّيْب".

قوله: (ومثله أبعدُ شيء) أي: ومثل ما يكون نافي الرَّيب معه أبعد شيء، و"المِثل" زائد، أي: هو أبعد شيء، كما تقول: مثلك لا يفعل كذا، أي: أنت لا تفعل.

[٢٧٤و] قوله: (وأمّا قولهم)... إلخ والحاصل أنّ بعضهم / كانوا يعلمون أنّه حقّ غيرُ مفترًى، لكنّهم يقولون: إنّه مفترًى؛ لتَعنُّتهم، وبعضهم كانوا جاهلين مقلِّدين للمُتعنِّتِين. وقوله: (قولُ مُتَعَنِّت) "العَنَت": المشقّة، يقال: تعنَّتَه، أي: سأله للإيقاع في المشقّة. وقوله: (مع علمه أنّه) أي: أنّ الكتاب.

قلتُ: أمَّا قيامُ الحُجَّة بالشَّرائِع الَّتي لا يُدْرَكُ عِلمُهَا إلَّا بالرُّسلِ فلا، وأمَّا قيَامُها بمَعرفة اللهِ وتوحيدِه وحِكمتِه فَنَعَمْ؛ لأنَّ أدلَّةَ العَقْل المُوصِلةَ إلى ذلك مَعهُم في كلِّ زَمانٍ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ فيهِ وَجْهان: أن يكون على التَّرجِّي من رسُول الله كما كان ﴿لَعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ [طه ٢٠/٤٤] عَلى التَّرجِّي من مُوسَى وهارُون، وَأَنْ يُستعَار لفْظُ التَّرجِّي للإرَادةِ.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤﴾

فإن قلتَ: ما مَعنى قولِه: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾؟

قلتُ: هو على مَعْنيين:

قوله: (قلتُ: أمّا قيام الحجّة)...[١] إلخ هذا الجواب على مذهب المعتزلة ظاهر، وأمّا على مذهب أهل السنّة والجماعة فالجواب أن نقول: نعم، لا تقوم الحُجّة على الذين لم يأتهم نذير، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء ١٧/١٥]، فإذا أتاهم النذير فعليهم القبول والانقياد. وقوله: (وأمّا قِيامُها) أي: قيام الحُجّة. وقوله: (معهم)[٢] خبر "أنّ".

قوله: (أن يكون على الترجّي) فيكون متعلّقًا بقوله: ﴿لِتُنذِرَ﴾، أي: لِتُنذِر على رجاء هِدايتهم.

قوله: (وأن يُستعار) فيكون[٣] مِن الله تعالى، ويتعلّق بقوله: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾.

قوله: (قلتُ: هو على معنَيين)... إلخ على الوجه الأوّل: يكون ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ حالًا مِن "كُم" في ﴿لَكُم﴾، كأنّه قيل: لا يَثْبُت لكم إذا جاوزتم رضاه وامتثالَ أمره وليٌّ ولا شفيعٌ، ويكون فيه حذف، أي: مِن دون رضاه. وعلى الوجه الثاني:

---

[١] ف: الخجة.

[٢] ن - معهم.

[٣] وفي هامش د: ترجّي.

أحَدُهما: أنّكم إذا جَاوَزْتُم رضَاهُ لم تَجِدُوا لأنفُسِكم وَليًا -أي: ناصرًا يَنْصُركم- ولا شفيعًا يَشفَعُ لكم.

والثاني: أنَّ اللهَ وَلِيُّكُم الَّذي يتوَلَّى مصَالحَكُم وشفيعُكُم؛ أي: ناصرُكم على سبيل المجاز؛ لأنَّ الشفيعَ ينصُرُ المَشفُوعَ له، فهُو كقَوله: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة ١٠٧/٢] فإذَا خَذَلكُم لم يبْقَ لكُم وليٌّ ولا نَصيرٌ.

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝﴾

﴿ٱلْأَمْرَ﴾: المَأمُورَ بهِ من الطَّاعات والأَعمال الصَّالحةِ، يُنْزِلهُ مُدَبَّرًا ﴿من السماء إلى الأرض﴾ ثُمَّ لا يُعْمَلُ به ولا يَصْعَد إليه ذلك المَأمُورُ به خَالِصًا كما يُرِيدُه ويَرتَضيه ....

﴿مِن دُونِهِۦ﴾ حال مِن ﴿وَلِيٍّ﴾ أو ﴿شَفِيعٍ﴾ مقدَّم على ذي الحال، وإن كان ذو الحال مجرورًا؛ لأنّ حرف الجرّ زائد لا اعتداد به، أو حال مِن الضمير في ﴿لَكُم﴾ العائدِ إلى ﴿وَلِيٍّ﴾ و﴿شَفِيعٍ﴾.

قوله: (على سبيل المجاز) لأنّ الشفاعة تستلزم النُّصرة، فأُطلق الشفاعة، وأريدَ النُّصرة، فيكون مجازًا.

قوله: (يُنزِّله مُدَبِّرًا) يشير به إلى أنّه ضمَّن "التدبير" معنى التنزيل، فلذلك عُدّي تعديتَه، وصار في المآل ﴿يُدَبِّرُ﴾ في معنى الحال، أي: ينزِّله مدبِّرًا. فعلى هذا يكون قوله: "مدبِّرًا" بكسر الباء أحسن مِن الفتح. ثمّ إنّ قوله: ﴿فِي يَوْمٍ﴾ متعلّق بقوله: ﴿يَعْرُجُ﴾ دون قوله: ﴿يُدَبِّرُ﴾ في جميع الوجوه التي ذكرها سوى الوجه الثالث، فإنّه فيه متعلّق بهما فتدبّر،[1] ويحتمل ذلك في الثاني أيضًا.[2]

قولـه: (كمـا يريـده) طريقـة مذهـب المعتزلـة. وأمّـا قولـه: (ويَرتضيـه) فموافق لمذهبنا.

[1] د ف: فيدبّر.

[2] وفي هامش د ف: فيه نظر.

إِلَّا في مُدَّة متَطاوِلةٍ؛ لقلَّة عُمَّالِ الله والخُلَّصِ من عبَاده وقِلَّةِ الأعمال الصَّاعدة؛ لأنَّه لا يُوصَفُ بالصُّعُود إلَّا الخالصُ، ودَلَّ عليه قولُه عَلى أثَرِهِ: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.

أو: يُدبِّرُ أَمْرَ الدُّنيا كُلِّهَا من السَّماء إلى الأَرْضِ لكُلِّ يومٍ من أيَّامِ الله وهو أَلْفُ سَنةٍ كما قال: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج ٤٧/٢٢] ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾؛ أي: يَصِيرُ إلَيْه ويثْبتُ عنْدهُ ويُكتَبُ في صُحُفِ مَلائكتِه كُلَّ وقْتٍ من أوْقَاتِ هذه المُدَّةِ ما يَرتَفِعُ من ذلِك الأَمْر ويَدْخُلُ تحتَ الوُجُود إلى أن تَبلُغَ المُدَّةُ آخِرَها، ثُمَّ يُدبِّرُ أيْضًا ليومٍ آخَر وهَلُمَّ جَرًّا إلى أَن تَقُوم السَّاعةُ.

قوله: (إلّا في مدّة متطاوِلة) أي: مقداره ألف سنةٍ.[1]

قوله: (لأنّه لا يوصف) متعلّق بقوله: (ولا يَصعَد) يعني: لمّا قال: ﴿يَعْرُجُ﴾ عُلِم أنّ المراد الخالص.

قوله: (أو يدبّر أمر الدنيا) فعلى هذا لا يكون ﴿ٱلْأَمْرَ﴾ بمعنى المأمور به، ولا المرادُ به الطاعات؛ بل المراد به أمر الدنيا، أي: شأنها وحالها والأمورُ التي تقع[2] فيها. وقوله: (لكلّ يوم مِن أيّام الله) ويكون هذا اللفظ -وهو قوله: (لكلّ يوم مِن أيّام الله)- محذوفًا مِن لفظ القرآن، لدلالة[3] ما بعده عليه. وتقدير قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ﴾: في كلّ وقت مِن أوقات يومٍ كان مقداره ألفَ سنةٍ.

وقوله: (ما يرتفع) فاعل (يَعرُج)، ويشير المصنّف بهذا إلى أنّ الضمير مِن قوله تعالى: ﴿يَعْرُجُ﴾ وإن كان عائدًا إلى ﴿ٱلْأَمْرَ﴾، لكن فيه حذف، أي: يَعرُجُ مرفوعُ الأمرِ، أي: ما يرتفع مِن الأمر. وقوله: "ما يرتفع" أي: يحصل ويوجد، ومنه الارتفاع للغَلّة التي تحصل مِن الأراضي، فالعطف في / قوله: (ويدخل تحت الوجود) للبيان.[4] قال في الصحاح: «رفعُ الغَلّة[5] أن تُحمَل بعد الحَصاد إلى البَيدَر، يقال: هذه أيّام رَفاع ورِفاع».[6] [٢٧٤ظ]

---

[1] وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ هذا على سبيل التمثيل، لا على سبيل التحقيق.

[2] ن: يقع.

[3] ن: الدلالة.

[4] ن: للسان.

[5] في الصحاح: "رفع الزرع".

[6] الصحاح للجوهري، «رفع».

وقيل: يُنزل الوحيَ معَ جبريل من السَّماء إلى الأرض، ثم يَرْجِعُ إلَيْه ما كان مِن قبُولِ الوَحْيِ أو رَدِّه مَع جبريل، وذلك في وقتٍ هوَ في الحقِيقةِ أَلْفُ سَنَةٍ؛ لأنَّ المسَافة مَسيرةُ أَلْفِ سَنةٍ في الهُبوطِ والصُّعُود؛ لأنَّ ما بيْنَ السماء والأرض مَسيرةُ خمْسِ مئةِ سنَةٍ، وهو يَومٌ من أيَّامِكُم لسُرعةِ جبريل لأنَّه يَقْطع مسيرةَ ألفِ سَنةٍ في يَومٍ واحدٍ.

وقيل: يُدبِّرُ أَمْر الدُّنيَا من السماء إلى الأرض إلى أن تقوم الساعةُ، ثم يَعْرُجُ إليْه ذلك الأمرُ كلُّهُ؛ أي: يصيرُ إليه ليَحْكم فيه.

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ وهو يومُ القيَامة.

وقرأ ابن أبي عَبْلةَ: "يُعْرَجُ" عَلى البناء للمفعول.

وقرئ: ﴿تَعُدُّونَ﴾ بالتاء والياء.

قوله: (وقيل:[١] يُنزِّل[٢] الوحيَ) وعلى هذا يكون المراد بـ﴿ٱلْأَمْرَ﴾ الوحيُ.

قوله: (ما كان) فاعل (يَرجع). ويشير به إلى أنّ الضمير مِن ﴿يَعْرُجُ﴾ يعود إلى ﴿ٱلْأَمْرَ﴾ بمعنى الوحي، لكنّ المضاف محذوف، أي: مقبولَ الوحي أو مَردودَه.

قوله: (وذلك في وقت) أي: ذلك النزول والرجوع.

قوله: (وهو يوم مِن أيّامكم) هذا الضمير عائد إلى (وقتٍ)، أي: الوقت الذي هو في الحقيقة ألفُ سنةٍ يومٌ مِن أيّامكم، فإنّه يُقطع في يوم مِن أيّامكم مسيرة ألفِ سنةٍ. وقوله: (وهو يوم مِن أيّامكم) عطفٌ على قوله: (هو في الحقيقة ألف سنة)، ثمّ بيّن كونه في الحقيقة كذا بقوله: (لأنّ المسافة)... إلخ. وقوله: (لِسرعة) متعلّق مِن حيث المعنى بقوله: (يُنزِّل... ثمّ يرجع)، فكأنّه قال: يقطع المسافة الكثيرة في المدّة القليلة لسرعته، ثمّ حقَّق سرعته بقوله: (لأنّه يقطع). وقوله: (في وقت هو في الحقيقة ألف سنة... وهو يومٌ مِن أيّامكم) اعلم أنّ هذا المعنى يُفهم مِن ﴿كَانَ﴾ في قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ﴾، فتأمّل، فإنّه لطيفٌ.

---

[١] ن – وقيل.

[٢] ن: ينزّ.

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧﴾

﴿أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ﴾: حَسَّنَهُ؛ لأنَّه ما مِن شيءٍ خلَقَهُ إلَّا وهو مُرَتَّبٌ على ما اقتضَتْهُ الحِكْمةُ وأوْجَبَتْهُ المصْلحةُ، فجميعُ المَخلوقَاتِ حَسَنةٌ وإن تفاوَتَتْ إلى حَسنٍ وأحسَنَ، كما قال: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ [التين ٩٥/٤].

وقيل: عَلِمَ كيفَ يَخلُقُه، من قَوْله: "قِيمةُ المَرْءِ ما يُحْسِنُ"، وحقيقَتُه: يُحسِنُ مَعْرفتَهُ؛ أي: يَعْرِفُه مَعْرِفةً حَسنةً بتحقيقٍ وإتْقانٍ.

وقرئ: ﴿خَلْقَهُ﴾ على البَدَلِ؛ أي: أَحْسَن خلْقَ كُلِّ شيءٍ، و: ﴿خَلَقَهُۥ﴾ على الوصْفِ؛ أي: كُلُّ شَيءٍ خَلَقَهُ فقَد أَحْسَنه.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٩﴾

سُمِّيت الذُّريَّةُ نَسْلًا لأنَّها تَنْسَلُّ منه؛ أي: تنفَصِلُ منهُ وتَخرُج مِن صُلْبِه، ونحوُه قَولُهم للولَدِ: سَلِيلٌ ونَجْلٌ.

قوله: (لأنَّه ما مِن شيءٍ) بيان أنّه حسَّنَه، فهو متعلّق بمحذوف، فكأنّه قال: إنّما قيل: حسَّنه لأنّه.

قوله: (كما قال تعالى) يجوز أن يكون متعلّقًا بقوله: (وأحسَنَ)، ويجوز أن يكون متعلّقًا بقوله: (حَسَنٍ وأحسَن)؛ لأنّه تعالى لمّا قال: ﴿فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ [التين ٩٥/٤] دلّ على أنّ في غيره حُسْنًا أيضًا.

قوله: ("قيمةُ المرء ما يُحسِنُ").

وقَدْرُ كلِّ امرِءٍ ما كان يُحسِنُه   والجاهلون لأهل العلم أعداءُ[١]

قوله: (ونَجْلٌ) نَجَلَ الشيءَ: رَمَى به.

---

١ ينسب إلى عليّ رضي الله عنه. انظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البرّ، ١/٢١٨؛ والفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي، ٢/١٥٠.

و﴿سَوَّىٰهُ﴾: قَوَّمَهُ؛ كقوله: ﴿فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ [التين ٩٥/٤].

ودلَّ بإضافةِ الرُّوحِ إلى ذاتِه على أنَّه خَلْقٌ عَجيبٌ لا يَعْلمُ كُنْهَهُ إلَّا هو؛ كقوله: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ الآية [الإسراء ٨٥/١٧]؛ كأنَّه قال: ونَفَخَ فيه مِن الشيء الذي اختَصَّ هو به وبمَعرفتِه.

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۢۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ١٠﴾

﴿وَقَالُوٓاْ﴾ قيل: القائلُ أُبَيُّ بنُ خَلَفٍ، ولِرِضَاهُم بقَولِهِ أُسنِد إلَيْهم جَميعًا.

وقرئ: ﴿أَءِنَّا﴾ و: ﴿إِنَّا﴾ على الاستفهام وتركِهِ.

و﴿ضَلَلۡنَا﴾: صِرنَا تُرابًا وذهَبْنَا مُختلِطِينَ بتُرابِ الأَرض لا نَتميَّزُ مِنه كما يَضِلُّ الماء في اللَّبنِ، أو: غِبْنَا ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالدَّفنِ فيها، من قوله:

وآبَ مُضِلُّوهُ بعَيْنٍ جَلِيَّةٍ

وقرأ عَليٌّ وابنُ عبَّاسٍ: "ضَلِلْنَا" بكسر اللَّام، يُقالُ: ضَلَّ يَضِلُّ وضَلَّ يَضَلُّ.

قوله:

(وآبَ مُضِلُّوه بعيـنٍ جَليَّةٍ)

تمامه:[1]

وغُودِرَ بالجَوْلانِ حَزْمٌ ونائلُ[2]

أي: آبَ الذين غيَّبوه[3] في الأرض بالدفن بعُيونٍ قريرةٍ مِن موته شَماتةً. النابغة يَرثي نعمان بن المنذر. و"الجَولان" اسم جبل بالشام. وقوله: "حَزْم ونائل"، أي: الحَزامة والعطاء تُركا بدفن المَرثيِّ في الجَولان. وقوله: "جليَّةٍ"، أي: قريرةٍ، فرحوا بموته، أو المعنى: بَقُوا على ما كانوا عليه مِن جلاء البصر وغيره.

---

[1] ن: تما.

[2] للنابغة الذبياني في ديوانه، ص ١٢١. بلفظ: "وآبَ مُصَلّوه"، بالصاد. وهو بلفظ المؤلّف في الصحاح للجوهري، «ضلل»؛ ومجمل اللغة لابن فارس، «ضلل»؛ ولسان العرب لابن منظور، «ضلل».

[3] ف: غيِّبوه.

وقرأ الحسَنُ: "صَلَلْنَا" من صَلَّ اللَّحمُ وأصَلَّ: إذَا أنْتَنَ، وقيل: صِرْنَا من جنْسِ الصَّلَّةِ وهيَ الأرْضُ.

فإن قلتَ: بمَ انتصَبَ الظَّرْفُ في ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا﴾؟

قلتُ: بمَا يدُلُّ عَليه: ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وهو: نُبْعَثُ، أو: يُجَدَّدُ خَلقُنَا.

"لِقَاءُ رَبِّهم": هُو الوُصُولُ إلى العَاقبة من تَلَقِّي ملكِ المَوتِ ومَا ورَاءهُ، فلمَّا ذكَر كُفْرَهُم بالإنشاء، أَضْرَبَ عَنْه إلى ما هُوَ أَبْلغُ في الكُفْرِ وهو أنَّهم كافرُونَ بجَميعِ ما يكُونُ في العَاقبةِ لا بالإِنْشاءِ وَحْدَهُ، ألَا تَرى كيْفَ خُوطِبُوا بتَوفِّي مَلكِ المَوْتِ وبالرُّجُوعِ إلى رَبِّهِم بعْدَ ذلك مَبْعُوثِينَ للحساب والجزاء، وهذا مَعْنى لقَاءِ الله على ما ذكرنَا.

﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾

و"التَّوفِّي": استيفاءُ النَّفس وهي الرُّوح، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾ [الزمر ٤٢/٣٩] وقال: ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام ٩٣/٦]، وهُو أَنْ تُقبَضَ كُلُّهَا لا يُترَكَ منها شَيءٌ، مِن قَولك: "توَفَّيتُ حَقِّي من فُلانٍ" و"اسْتَوفَيتُه": إذا أَخَذْتَه وَافيًا كَملًا مِن غَيْر نُقصَانٍ، والتَّفعُّلُ والاستِفعالُ يَلتَقِيَانِ في مَواضِعَ؛ منها: تقَصَّيْتُهُ واستقصَيْتُه، وتعجَّلْتُه واستعْجلْتُه.

وعن مجاهد: حُوِيَتْ لمَلَكِ الموْتِ الأرْضُ وجُعِلَتْ لهُ مِثلَ الطَّستِ يتَناوَلُ منْها حيث يَشَاءُ.

وعن قتَادة: يتَوفَّاهُم ومَعه أَعْوانٌ من الملائكةِ.

وقيل: ملكُ الموْتِ يَدْعُو الأَرْواح فتُجِيبُه، ثُمَّ يَأْمُر أَعْوانَهُ بقَبْضِهَا.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾

قوله: (تقَصَّيتُه) أي: بلغتُ أقصاه.

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ﴾ يجُوز أَن يكُون خطَابًا لرسُولِ الله، وفيه وجْهَانِ:

أَن يُرادَ بِهِ التَّمَنِّي؛ كأنَّه قال: وَلَيْتَكَ تَرى؛ كقَولِهِ عليه السلامُ للمُغيرَة: "لَو نَظرْتَ إليهَا"، والتَّمنِّي لرسُولِ الله كما كان التَّرجِّي له في ﴿لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [السجدة ٣/٣٢] لأنَّه تجرَّعَ مِنهم الغُصَصَ ومِن عَداوَتِهم وضِرارهِم، فجَعلَ اللهُ له تَمَنِّيَ أَنْ يَراهُم على تِلك الصِّفة الفظيعَةِ من الحيَاء والخِزْيِ والغمِّ ليَشمَتَ بهم.

وأَن تكُونَ "لَو" الامتِناعِيَّةَ قَدْ حُذِفَ جَوابُها، وهو: لرأيتَ أمرًا فظيعًا، أو: لرأيتَ أَسْوأَ حالٍ تُرَى.

ويجوز: أَن يُخاطَبَ به كُلُّ أَحَدٍ، كمَا تقُولُ: "فُلانٌ لئيمٌ؛ إنْ أكرمْتَه أهَانكَ وإن أَحسنْتَ إليه أسَاءِ إليك" فَلا تريدُ بِهِ مُخاطَبًا بعَيْنه، وكَأنَّك قُلْتَ: إنْ أُكْرِمَ وإنْ أُحسنَ إلَيْه.

و"لو" و"إذْ" كلَاهُما للمُضيّ، وإنَّما جازَ ذلك لأنَّ المُترقَّبَ من الله بمَنْزِلة المَوجُودِ المقطُوعِ به في تحَقُّقِه، ولا يُقَدَّرُ لِـ﴿تَرَىٰٓ﴾ ما يتَنَاوَلُه؛ كأنَّه قيلَ: ولو تكُونُ مِنْك الرُّؤيَةُ، و﴿إِذِ﴾ ظَرفٌ له.

قوله: (تُرى) صفة حالٍ.

قوله: (وإنّما جاز ذلك) أي: وقوع "لو" و"إذ" في هذا المقام مع أنّ المعنى الاستقبال.

قوله: (مِن الله) متعلّق بمحذوف، أي: مُخبَرًا[١] مِن الله تعالى، أي: المُترقَّب الذي يُخبِر اللهُ عن إيقاعه وإيجاده.

قوله: (ما يتناوله) أي: ما يكون مفعولًا به لـ﴿تَرَىٰٓ﴾. وإنّما قال المصنّف كذلك إشارة إلى أنّه لو ذكر مفعوله أو قُدّر شيء معيّن لظُنّ أنّ المفعول مقصور عليه ومنحصر فيه، فلم يُذكر ولا يُقدّر أيضًا لِيَتحقّق العموم.

---

[١] ن: مخبر.

يستغيثُونَ بقولهم: ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا﴾ فلا يُغاثُونَ، يَعْني: أَبصَرْنا صِدْقَ وَعْدِكَ ووَعيدِكَ وسَمِعْنا منك تصْديقَ رسُلِك، أو: كُنَّا عُميًا وصُمًّا فأبصَرْنا وسَمِعْنا ﴿فارجعنا﴾: هي الرجعَةُ إلى الدُّنيا.

﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾ على طريقِ الإلْجاءِ والقَسْر، ولكنَّا بَنَيْنا الأمْرَ على الاختِيَار دون الاضطِرار، فاستحَبُّوا العمَى على الهُدَى فحَقَّتْ كلمةُ العَذاب على أهْلِ العَمى دُون البُصَراء، ألا تَرى إلى مَا عقَّبَهُ به مِن قَوله: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ﴾ فجعَل ذَوْقَ العَذابِ نتيجَةَ فِعْلِهِم: من نسيَانِ العاقبةِ وقلَّةِ الفِكْر فيها وتَركِ الاستِعداد لها.

والمُرادُ بالنسيَانِ: خِلافُ التَّذكُّر، يَعني: أَنَّ الانْهمَاك في الشَّهَواتِ أَذْهَلكُم وأَلْهَاكُم عن تذَكُّر العَاقبة وسَلَّط عَليكم نِسْيَانَها، ثمَّ قال: ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمۡ﴾، على المُقَابَلةِ؛ أي: جَازَيْناكُم جَزاء نسيَانِكُم.

قوله: (يستغيثون) هذا استئناف كلام مِن المصنِّف لبيان تفسير: ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا﴾.

قوله: (أبصَرنا صِدْقَ وعدِكَ) الصِدق لا يُبْصَرُ، فالمعنى: أنه ظهَر ظهورَ / المحسوس، أو نقول: لمّا أبصروا ما عُلم منه صدقُ الوعد -كالصراط، [٢٧٥و]
والميزان، وتطاير الكتب، والجنّة، والنار- فكأنّهم[١] رأَوا صدق الوعد، فلِذا قال المصنّف: "رأَوا صدقَ وَعْدِك".[٢]

قوله: (أو كنّا عُمْيًا) وعلى هذا الوجه الثاني لا يُقدّر لـ﴿أَبۡصَرۡنَا﴾ مفعولٌ؛ بل يُجرى مُجرى اللازم، كأنّه قيل: صِرنا ذا بَصَرٍ وسمع.

قوله: (﴿فَذُوقُواْ﴾) هذا يعني: أنّ قوله تعالى: ﴿هَٰذَآ﴾ مفعول "ذُوقُوا".

---

١ ن: وكأنّهم.

٢ وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿نُزُلٗا﴾ [آل عمران ١٩٨/٣] قد ذكر في آل عمران.

وقيل: هُو بمَعْنَى التَّرك؛ أي: تركتُم الفِكر في العَاقبةِ فَتركْنَاكم مِن الرَّحمةِ.

وفي استئنافِ قَوله: ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ وبنَاءِ الفِعْلِ على "إنَّ" واسْمِها، تَشديدٌ في الانتِقام مِنهُم، والمَعْنَى: فَذُوقُوا هذا -أي: ما أنتُم فِيه من نكْسِ الرُّؤوسِ والخِزْيِ والغمِّ- بسَببِ نسيَانِ اللِّقاء، وذُوقوا العذابَ المُخلَّد في جَهنَّم بسَببِ ما عَمِلتُم من المَعاصي والكبَائر المُوبِقَةِ.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾﴾

﴿إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا﴾ -أي: وُعِظُوا- سجَدُوا تواضُعًا لله وخشُوعًا وشكرًا عَلى ما رزَقهُم من الإِسْلام.

﴿وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: ونزَّهُوا الله من نسبَة القبَائح إليه وأثْنَوا عَليه حَامِدين له.

﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ كما يفعَلُ مَن يُصِرُّ مُستكبرًا كأَنْ لم يسمعهَا، ومِثلُه قولُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ [الإسراء ١٧/١٠٧-١٠٨].

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿تَتَجَافَىٰ﴾: تَرتَفِعُ وتَتنحَّى ﴿عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾: عن الفُرُشِ ومَواضِع النَّوم؛ دَاعِينَ ربَّهم عَابدِين له لأَجْل خَوْفِهِمْ مِن سخَطِه وطمَعِهِمْ في رَحْمتِه، وهُم المُتَهجِّدُونَ.

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسيرها: قِيَامُ العَبْد من اللَّيل.

وعن الحَسن: أنَّهُ التهجُّدُ.

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا جَمع اللهُ الأوَّلِيْنَ والآخِرِينَ يَوم القِيَامة جَاء مُنَادٍ يُنَادِي بصَوتٍ يُسمِعُ الخلائقَ كُلَّهم: سَيَعْلَمُ أهلُ الجَمعِ اليوْمَ

قوله: («سيعلمُ أهل الجَمْع»)[١] مقول قول مقدَّر، أي: ينادي قائلًا: سَيعلم.

---

١ الحديث في المستدرك للحاكم، ٤٣٢/٢ (٣٥٠٧)؛ والكشف والبيان للثعلبي، ٢٩٣/٢١ (السجدة، ١٦/٣٢).

مَن أَوْلَى بالكَرم، ثـمَّ يَرجِعُ فيُنادِي: لِيَقُم الَّذِين كانت تتجَافى جُنُوبهم عن المضَاجِع، فيَقومُونَ وهُم قَليلٌ، ثـمَّ يَرجعُ فيُنَادِي: لِيَقُم الَّذِينَ كانُوا يَحْمَدُونَ اللهَ في البأساءِ والضَّرَّاء، فيَقُومونَ وهُم قليلٌ، فيُسَرَّحُونَ جَميعًا إلى الجنَّةِ ثـم يُحَاسَبُ سَائرُ النَّاسِ».

وعن أنس بن مالكٍ: كان أُنَاسٌ من أصحَابِ رسُولِ الله يُصَلُّونَ من صَلاةِ المَغْرب إلى صَلاة العِشاءِ الآخرة فَنزلَتْ فيهم.

وقيل: هُم الذين يُصَلُّونَ صَلاةَ العَتَمة لا ينامُون عنهَا.

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿مَّآ أُخْفِىَ لَهُم﴾ عَلى البناء للمفعُول، "ما أَخْفَى لهُم" على البناء للفاعل، وهُو الله سبْحَانَه، ﴿ماأُخْفِيْ لَهُم﴾، و: "ما نُخْفِي لَهُم"، و: "ما أَخْفِيتُ لهُم" الثَّلاثَةُ للمُتكَلِّم وهُو الله سبحَانه، و﴿مَا﴾ بمَعنى "الَّذي" أو بمَعْنَى "أَيّ".

وقرئ: ﴿مِن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ و: "قُرَّاتِ أَعيُن".

هذا على مذهب البصريّين، وأمّا عند الكوفيّين فهو متعلّق بقوله: «ينادي»؛ لأنّه في معنى القول.

قوله: (صلاةَ العَتَمة) أي: العِشاء.

قوله: (﴿مَّآ أُخْفِىَ لَهُم﴾[١] على البناء) هو فعلٌ ماضٍ مجهول.

قوله: ("ما أَخفَى لهم"[٢] على البناء) هو ماضٍ معلوم. وقوله:[٣] (﴿مَّآ أُخْفِى لَهُم﴾)[٤] مضارع.

قوله: (أو بمعنى "أيّ") فيكون استفهاميًا.

---

١ قرأ بها نافع وأبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم والكسائي وخلف. النشر لابن الجزري، ٣٤٧/٢.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن محمّد بن كعب. البحر المحيط لأبي حيّان، ٤٣٧/٨ (السجدة، ١٧/٣٢).

٣ ن: قوله.

٤ قرأ بها حمزة ويعقوب. النشر لابن الجزري، ٣٤٧/٢.

والمَعنى: لا تَعْلَمُ النُّفوسُ كلُّهنّ ولا نَفسٌ واحِدةٌ منهنّ لا مَلَكٌ مقرَّبٌ ولا نَبيٌّ مُرسَلٌ أيَّ نوْعٍ عَظِيمٍ من الثَّوابِ ادَّخَرَ الله لِأُولئكَ وأخفاه مِن جميع خَلائقِهِ لا يَعْلمُه إلّا هو ممّا تَقَرُّ به عُيُونُهم، ولا مَزِيد على هذه العِدَة ولا مَطمَح وراءهَا.

ثم قالَ: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ فحسَمَ أَطْماع المُتَمَنِّينَ، وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «يقول اللهُ تعالى: أعدَدتُ لعبَاديَ الصَّالحين ما لا عَيْنٌ رَأتْ ولا أُذُنٌ سَمِعتْ ولا خَطَر على قلبِ بَشَرٍ بَلْهَ ما أَطْلَعتُهم عليه»، اقرؤوا إن شِئتُم: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾.

وعن الحَسن: أَخفَى القومُ أعمَالًا في الدُّنيا فأخفَى اللهُ لَهُم ما لا عَيْنٌ رأتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ۝١٨ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٩ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢٠﴾

قوله: (لا يعلمه إلّا هو) جملة مقرِّرة لقوله: (لا تعلم النفوسُ)... إلخ.

قوله: (فحَسَمَ) الحَسْم: القَطعُ.

قوله: («بَلْهَ ما أطلعتُهم») قوله صلّى الله عليه وسلّم حكايةً عن الله تعالى: «بَلْهَ ما أطلعتُهم عليه»،[1] يجوز أن يكون "ما أطلعتهم"[2] منصوب المحلّ، ويجوز أن يكون مجرورَه،[3] فـ"بَلْهَ" على ضربين: اسم فعل، ومصدر، فإذا كان اسم فعل فهو بمعنى "دَعْ"، وإذا كان مصدرًا فبمعنى "الترك"، قال كعب بن مالك في صفة السيف:

---

[1] صحيح البخاري، ٦/١١٦ (٤٧٨٠)؛ صحيح مسلم، ٤/٢١٧٤ (٢٨٢٤). ولفظ البخاري: "ما أُطْلِعتم". ولفظ مسلم: "ما أطلَعَتكم".

[2] ن: أطلعتم. | انظر: تخريج الحديث في التعليق السابق.

[3] ن: مجرورة.

﴿كَانَ مُؤْمِنًا﴾ و﴿كَانَ فَاسِقًا﴾ مَحمولانِ على لفظ "مَنْ" و﴿لَا يَسْتَوُۥنَ﴾ محمُولٌ عَلى المَعنى بدليلِ قَولِهِ: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ﴾، ونحوُه قولُه تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ﴾ [محمد ١٦/٤٧].

و﴿جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾: نَوعٌ من الجِنَانِ؛ قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۞ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۞ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم ١٣/٥٣-١٥] سُمِّيتْ بذلك لِمَا رُوي عن ابن عبَّاس قال: تأوي إليهَا أَرْواحُ الشُّهَداء.

وقيلَ: هِيَ عَن يمين العَرش.

وقُرئ: "جَنَّةُ المَأوَى" على التَّوحيدِ.

﴿نُزُلًا﴾: عطَاءً بأعمَالهم، والنُّزُلُ: عَطاءُ النَّازل، ثمَّ صَارَ عَامًّا.

﴿فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾؛ أي: مَلجَؤهُم ومَنْزِلُهُم، ويجوز أن يُرادَ: فَجنَّةُ مأواهُم النارُ؛ أي: النَّارُ لَهُم مكانَ جَنَّةِ المأوى للمؤمنين؛ كقَوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران ٢١/٣].

تَـذَرُ الـجـمـاجـمَ ضـاحـيًـا هـامـاتُـهـا   بَـلْـهَ الأكُـفِّ كـأنَّـهـا لـم تُـخـلَـقِ[1]

أنشده أبو عُبيد منصوبًا ومجرورًا.[2]

قوله: (بدليل) يَدفع به ظنَّ مَن يَظُنُّ أنّ المراد بـ"مَن" مفرد معنًى، لكن جُمع في ﴿يَسْتَوُۥنَ﴾ إطلاقًا للفظ الجمع على التثنية في "مَن كان" و"مَن كان"، فقال المصنّف: إنّ قوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ﴾ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ﴾ دلّ على أنّ المراد به الجمع. ولمّا تقرَّر ذلك قال: نظيره في اعتبار لفظ "مَن" ومعناه قولُه تعالى: ﴿وَمِنْهُم﴾... إلخ [محمد ١٦/٤٧].

قوله: (كقوله: ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ [آل عمران ٢١/٣]) شبَّهه المصنّف بقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران ٢١/٣]، بمعنى[3] أنّه استعارة تهكّميّة، شُبِّهت النار التي يَصلونها بجنّة المأوى التي يدخلها المؤمنون كما شُبّه الإنذار بالبِشارة تهكّمًا.

---

[1] ديوان كعب بن مالك، ص ٢٤٥.
[2] انظر: غريب الحديث لأبي عبيد، ١٧٦/١.
[3] ف: معنى.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢١﴾

﴿ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾: عَذاب الدُّنيا من القَتْلِ والأَسْر وما مُحِنُوا به من السَّنَةِ سَبْعَ سِنِينَ -وعن مجاهد: عذابُ القبر- و﴿ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾: عذاب الآخِرة؛ أي: نُذِيقُهم عَذابَ الدُّنيَا قبلَ أَنْ يصِلُوا إلى الآخرة ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾؛ أي: يَتُوبُونَ عن الكُفْرِ.

أو: لعَلَّهُم يُرِيدُونَ الرُّجُوعَ ويَطْلُبُونه، كقَوله: ﴿فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا﴾ [السجدة ١٢/٣٢] وسُمِّيت إرَادةُ الرُّجوع رُجُوعًا كما سُمِّيتْ إرَادةُ القيَام قيَامًا في قَوله تعالى: ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة ٦/٥]، وتَدُلُّ علَيْه قراءةُ مَن قرأَ: "يُرْجَعُونَ" على البناء للمفعول.

فإن قلتَ: من أين صحَّ تفسيرُ الرُّجُوع بالتَّوبة و"لعلَّ" من الله إرَادَةٌ،

قوله: (﴿ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾) أي: الأقرب. (أي: يتوبون) هذا على تقدير أن يُراد بـ﴿ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾ عذاب الدنيا.

قوله: (أو لعلّهم يريدون) هذا على تقدير أن يُراد بـ﴿ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾ عذاب القبر.

قوله: (فإن قلتَ: مِن أين صحّ) أي: كيف يصحّ تفسير الرجوع بالتوبة مع أنّ "لعلّ" ههنا لم يمكن حمله على معناه الحقيقي، وهو الترجّي، فإنّ ذلك على الله تعالى مُحال؟ فلا بدَّ مِن اعتبار الاستعارة فيه ليكون بمعنى الإرادة، فيصير المعنى: إنّ الله تعالى يريد توبتَهم، ولو أراد الله تعالى توبتَهم لكان لا بدَّ مِن وقوعها؛ لأنّ خلاف إرادته تعالى مُحال، لكن لم يقع توبتهم؛ إذ لو وقع توبتهم لم يكونوا ممّن يذوقُ العذابَ الأكبرَ، أي: عذابَ الآخرة، / وهم ذائقوها؛ لأنّهم ماتوا على الكفر. [٢٧٥ظ]

وحاصل الجواب: أنّا لا نُسلّم[١] أنّ كلّ ما أراده[٢] الله تعالى يجب أن يقع، وإنّما يكون كذلك لو لم يكن ممتنعًا، وأمّا إذا كان ممتنعًا فلا، وفيه إشارة إلى مذهبه كما بيّنّا.

---

[١] د: نم [اختصار "نُسلّم"].

[٢] ن: أراد.

وإذا أرَادَ اللهُ شَيئًا كان وَلـم يمتَنِعْ، وتَوبتُهـم ممَّا لا يكُون، ألا تَرى أنَّها لو كانتْ ممَّا يكونُ لـم يكُونُوا ذائِقِينَ العذابَ الأكبرَ؟

قلتُ: إرادةُ الله تتَعلَّقُ بأَفْعَالِه وأفعَالِ عبَادِه، فإذا أرادَ شَيئًا مِن أفْعَالِه كان ولم يمتَنِع؛ للاقتدَار وَخُلُوص الدَّاعي، وأمَّا أفعَالُ عبَاده: فإمَّا أنْ يُريدَها وهم مُخْتَارُونَ لها أو مُضطَرُّون إليها بقَسْرِه وإلجَائه، فإن أرَادهَا وقد قسرَهُم فحُكْمُهَا حُكمُ أفعَاله، وإن أرَادها على أن يختَارُوها وهو عَالِم أنَّهُم لا يختَارُونَها لم يَقْدحْ ذلك في اقتِدارِه؛

قال الواحدي في الوسيط:

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾ قال مقاتل: يعني: "ما ابتُلوا به مِن الجوع سبعَ سنين". وقال ابن مسعود رضي الله عنه:[1] "يعني: القتل ببدر"، وهو قول قتادة والسدّي ﴿دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾ يعني: عذابَ الآخرة ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ إلى التوحيد والإيمان، يعني مَن بقي منهم بعد بدر وبعد القَحْط.[2]

وقال الشيخ في الكواشي: «﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ يتوبون، أي: يتوب مَن بقي منهم».[3]

هذا هو المذكور في هذين التفسيرين، ويظهر لك مِن هذا أنّ الجواب الحقَّ عمّا ذكره المصنّف مِن السؤال أن نقول: إذا كان المراد بـ﴿ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾ -أي: الأقربِ- عذابَ الدنيا -كما هو قول الأكثر- فمعنى ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾: لعلّ مَن بقي منهم بعد بدر والقحطِ يرجع، وقد رجَع بعضهم وتاب. وإن كان المراد بـ﴿ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾ عذابَ القبر، فمعنى ﴿يَرۡجِعُونَ﴾: يريدون الرجوع ويطلبونه. وبهذا الجواب يُستغنَى عن الجواب الاعتزالي الطويل الذي ذكره المصنّف ممّا لا طائلَ تحته؛ بل هو مشتمل على أنواع مِن الخَبْط لا يخفى على المتأمّل المتقِن الذي وفّقه الله تعالى.

قوله: (وإن أرادها على أن يختاروها) هذا القسم الأخير مبنيّ على أصل فاسد اعتقده[4] المعتزلة؛ وهو أنّ العبد خالق أفعال نفسه. ثمّ إنّ التشبيه

---

[1] د - رضي الله عنه.
[2] التفسير الوسيط للواحدي، ٣/٤٥٤ (السجدة، ٣٢/٢١).
[3] تفسير الكواشي، ٤١١و.
[4] ف: اعتقدها.

كما لا يَقْدَحُ في اقتِدارك إرادتُكَ أَن يختَار عَبْدُك طَاعَتك وهُو لا يَختارُها؛ لأنَّ اختيَارَه لا يتعَلَّقُ بقُدرتِك، وإذا لم يتعَلَّق بقُدرَتِك لم يكُنْ فقْدُهُ دالًّا على عَجزك.

ورُوي في نزُولهَا: أنَّه شَجَر بَيْنَ عليّ بن أبي طالب والوَليدِ بن عُقْبَة بن أبي مُعَيْطٍ يومَ بَدْرٍ كلامٌ، فقال له الوَليدُ: اُسْكُتْ فإنَّكَ صَبيٌّ؛ أنا أَشَبُّ مِنْك شبَابًا، وأَجْلَدُ مِنك جَلَدًا، وأَذْرَبُ مِنك لسَانًا، وأحَدُّ مِنك سِنَانًا، وأَشجَعُ مِنك جَنانًا، وأَملأُ مِنك حَشوًا في الكَتيبة، فقال له عليٌّ: اسكُتْ فإنَّك فاسِقٌ، فنَزلتْ عامَّةً للمُؤمنينَ والفَاسِقين، فتنَاولتهُما وكُلَّ مَن في مِثل حَالهِمَا.

الذي أوردَه[١] مبنيّ على ذلك الأصل الفاسد أيضًا، فإنّ اختيار عبدي ليس مقدوري، لكن اختياري، واختيارُ عبدي واختيارُ جميع المختارين مِن عباد الله تعالى مقدور له تعالى مخلوقُه مِن جميع مخلوقات الله تعالى.

قوله: («وأَجْلَدُ منك»)... إلخ "الجَلَدُ": الصلابة والجَلادة، تقول منه: جَلُدَ الرجل -بالضمّ- فهو جَلْدٌ وجَليدٌ بيّنُ الجَلَدِ والجَلادة.[٢] و"الذَّرِبُ": الحادّة[٣] مِن كلّ شيء، ولسان ذَرِبٌ وفيه ذَرابة.[٤] و"الجَنان": القلب. وقول عليّ رضي الله عنه[٥] للوليد: «اسكُتْ»[٦] إشارة إلى أنّ تَنطُّقَه بهذه الكلمات[٧] وتَفَيهُقَهُ بهذا الكلام المزخرَف لا يفيده ولا يُجديه، ثمّ قال: «فإنّك فاسق»، وهذا العيب وتلك النقيصة لا يَنجَبِر بنحو ذلك. ويجوز أن يكون مراده رضي الله عنه أنّ تَنطُّقَه وتَفَيْهُقَه إنّما ذلك في الدنيا، وأمّا في الآخرة فلا[٨] يَقدر[٩] على شيء مِن ذلك، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [البقرة ٢/٢٠٤]، وقال تعالى أيضًا: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات ٧٧/٣٦].

---

١ ف: أورد.
٢ الصحاح للجوهري، «جلد».
٣ في الصحاح: "الحادّ".
٤ الصحاح للجوهري، «ذرب».
٥ د - عنه.
٦ الأثر في جامع البيان للطبري، ١٨/٦٢٥ (السجدة، ٣٢/١٨)؛ والكشف والبيان للثعلبي، ٢١/٢٩٧ (السجدة، ٣٢/١٨).
٧ ف: الكلل.
٨ ن: ولا.
٩ ن: نقدر؛ ف: تقدر.

وعن الحسَن بن عَليّ: أنّه قال للوَليد: كيْف تَشتِمُ عَليًا وقَد سمَّاه اللهُ مؤمنًا في عَشْر آياتٍ وسمَّاك فاسِقًا.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿ثُمَّ﴾ في قَوْله: ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ للاستبعَادِ، والمعْنَى: أنَّ الإعرَاضَ عن مِثل آيَات الله في وُضُوحهَا وإنارتها وإرْشَادِهَا إلى سَواء السَّبيل والفَوزِ بالسَّعادة العُظمَى بعْدَ التَّذكير بهَا مُستَبْعَدٌ في العَقل والعَدْل؛ كما تقُولُ لصَاحِبك: "وجَدْتَ مِثلَ تلك الفُرْصَةِ ثُمَّ لم تَنْتَهِزْها" استبْعَادًا لِتركهِ الانتهَازَ.

ومنه "ثُمَّ" في بيت "الحماسَةِ":

لا يَكشِفُ الغَمَّاءَ إلَّا ابْنُ حُرَّةٍ   يَرَى غمَراتِ المَوتِ ثم يَزُورُها

استَبعَدَ أَنْ يَزُورَ غمَراتِ المَوْتِ بَعد أَنْ رَآهَا واستَيقَنَهَا واطَّلَع عَلى شِدَّتهَا.

فإن قلتَ: هَلَّا قِيل: إنَّا منه مُنتَقِمُونَ؟

قلتُ: لمَّا جعَله أَظلَمَ كُلِّ ظالمٍ، ثمَّ توَعَّدَ المُجرمِين عامَّةً بالانتِقام مِنهم، فقَد دَلَّ على إصَابة الأَظْلَم النَّصيبَ الأَوْفَرَ مِن الانتقام، ولو قَاله بالضَّمِير لَم يُفِدْ هذه الفائدةَ.

قوله: (في وضوحها) إشارة إلى وجه التشبيه بين ما هو مثل آيات الله وبين آيات الله.

قوله: (الانتهازَ) "النُّهْزة": الفرصة، وانتهزها: اغتنمها.[١] والفرصة: الشِّرب والنَّوبةُ، يقال: جاء / فرصتك مِن البشر، أي: نَوبتك.[٢] [٢٧٦و]

قوله: (قلتُ: لمَا جعله) في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾؛ لأنّ معناه: لا أحدَ أظلم منه، أي: هو أظلم مِن الجميع.

قوله: (الأوفر) لأنه لمَا بيّن الانتقام مِن المجرمين عُلِمَ أنّ الانتقام ممَن هو أشدّ إجرامًا أوفى وأوفر.

---

[١] الصحاح للجوهري، «نهز».

[٢] الصحاح للجوهري، «فرص».

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ للجِنْس، والضميرُ في ﴿لِقَآئِهِۦ﴾ له، ومَعناه: إنَّا آتينا مُوسَى مِثْلَ ما آتيْنَاكَ من الكتاب ولقَّيناه مِثْلَ ما لقَّيناك من الوَحْي، فلَا تَكُن في شَكٍّ مِن أنَّك لُقِيتَ مثْلَه ولَقِيتَ نَظيرَهُ؛ كقَوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس ١٠/٩٤]، ونَحوُ قولهِ: ﴿مِن لِّقَآئِهِۦ﴾ قولُه: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل ٢٧/٦]، وقولُه: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء ١٧/١٣].

وجعلنَا الكتابَ المُنْزَل على مُوسَى ﴿هُدًى﴾ لقَوْمِه ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ﴾ النَّاسَ ويَدْعُونَهُم إلى ما في التَّوْراة من دِين الله وشَرائعِه؛ لِصَبْرهم وإيقَانهم بالآياتِ، وكذلك لنَجعَلنَّ الكتابَ المُنزلَ إليك هُدًى وَنُورًا، ولنَجعلنَ من أُمَّتِك أئمَّةً يهْدُون مِثْلَ تلك الهِدَايةِ؛ لِمَا صبَرُوا عَليه مِن نُصْرَةِ الدِّين وثبُتُوا عَليه من اليَقين.

وقيل: مِن لقائكَ مُوسَى ليْلةَ الإسراء أو يومَ القِيامَة.

وقيل: من لقَاء مُوسَى الكتابَ؛ أي: مِن تَلَقِّيهِ لهُ بالرِّضَا والقبُول.

وقُرِئَ: ﴿لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ و: ﴿لِمَا صَبَرُوا﴾؛ أي: لِصَبْرِهم.

قوله: (ونحو قولِه: ﴿مِن لِّقَآئِهِۦ﴾) يعني: ذِكر اللقاء بمعنى إيتاء الكتاب.

قوله: (لصبرِهم) فسّر قوله تعالى: ﴿لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ بقوله: "لصبرِهم" إشارة منه إلى أنّ كلمة الظرف يُقام مُقام التعليل، فإنّه قد يُقام الظرف مُقام التعليل كثيرًا، كقولك: "أكرمتُك إذ أكرمتَ زيدًا"، وذلك لأنّ الظرف يُقارِن المظروف، كما أنّ العلّة تُقارِن المعلول، فشُبّه بها، وأُقيم مُقامها، هذا إذا قُرئ: ﴿لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ بالتشديد، وأمّا إذا قُرئ: ﴿لِمَا صَبَرُوا۟﴾[١] فهو ظاهر.

قوله: (مِن نصرة) بيان "ما".

[١] قرأ بها حمزة والكسائي ورويس. وقرأ باقي العشرة بالتشديد. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٤٧.

وعن الحسن: صبَرُوا عنِ الدُّنيا.

وقيل: إنما جَعل الله التوراةَ هُدًى لبَنِي إسرائيل خَاصَّةً ولم يَتعبَّدْ بما فيها ولَدَ إسماعيلَ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾: يَقْضِي فيُميِّزُ المُحِقَّ في دينهِ من المُبْطِل.

الواوُ في ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ للعَطفِ عَلى مَعْطُوفٍ عَليه مَنْوِيٍّ من جِنْسِ المعْطوفِ، والضَّميرُ في ﴿لَهُمْ﴾ لأَهْلِ مكَّة. وقرئَ بالنُّونِ والياء.

والفَاعِلُ ما دلَّ عليه: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ -لِأَنَّ "كَمْ" لا تقَعُ فاعِلةً، لا يُقَالُ: "جَاءني كَم رجُلٍ"- تَقْديرُه: أَوَ لم يهْدِ لهُم كَثْرَةُ إهْلاكِنا القُرونَ، أو هذا الكلامُ كما هُو بمضمُونه ومَعناهُ كقَولك: "تعْصِمُ لا إلهَ إلَّا اللهُ الدِّماءَ والأموالَ".

ويجُوز أَن يكُونَ فيه ضميرُ "الله" بِدَلالة القراءة بالنُّون.

و﴿ٱلْقُرُونِ﴾: عَادٌ وثمُودُ وقومُ لُوطٍ ﴿يَمْشُونَ﴾ يَعني: أَهْلَ مكَّة يَمُرُّونَ في مَتَاجِرهم على دِيَارهم وبلادهم، وقُرئ: "يمشُّونَ" بالتشديد.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ٱلْجُرُزِ﴾: الأَرْضُ التي جُرِزَ نبَاتُها؛ أي: قُطِعَ: إمَّا لِعَدم الماء، وإمَّا لأَنَّه رُعِيَ وأُزيلَ، ولا يُقالُ للَّتي لا تُنْبِتُ كالسِّبَاخِ: جُرُزٌ، ويَدُلُّ عَليه قوله: ﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا﴾.

وعن ابن عباس: إنَّها أرضُ اليَمنِ، ....

قوله: (مِن جنس المعطوف) كأنَّه قيل: أبَقُوا على الكفر ولم يَهْدِ لهم؟

قوله: (إنَّها أرض اليمن)[1] أي: إنّ ﴿ٱلْجُرُزِ﴾.

---

[1] جامع البيان للطبري، ٦٤١/١٨ (السجدة، ٢٧/٣٢)؛ الكشف والبيان للثعلبي، ٣٠٦/٢١ (السجدة، ٢٧/٣٢).

وعن مجاهِدٍ: هيَ أَبْيَنُ.

﴿بِهِۦ﴾: بالماء ﴿تَأْكُلُ﴾ من الزَّرع ﴿أَنْعَٰمُهُمْ﴾ من عَصْفه ﴿وَأَنفُسُهُمْ﴾ من حَبّه.

وقرئ: "يأكلُ" بالياء.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾﴾

"الفتحُ": النَّصرُ، أو الفَصْلُ بالحُكُومةِ مِن قَوله: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا﴾ [الأعراف ٨٩/٧]، وكان المُسلِمُونَ يقُولُون: إنَّ الله سيَفْتَحُ لنا على المُشْركينَ، أو يَفتَحُ بينَنا وبيْنَهُم، فإذا سَمِعَ المُشركُون قالُوا: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾؛ أي: في أيِّ وَقتٍ يَكُونُ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أنَّه كائنٌ؟

﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾

و"يومُ الفتح": يومُ القيامة، وهو يَومُ الفَصْل بَين المُؤمنينَ وأَعدائهم، ويَومُ نَصْرِهم عَلَيْهم.

وقيل: هو يَومُ بَدْرٍ.

وعن مجاهدٍ والحسَنِ: يومُ فتحِ مكَّةَ.

فإن قلتَ: قد سَألُوا عن وقت الفَتح فكيف يَنْطَبِقُ هذا الكلامُ جَوابًا عن سُؤالِهِمْ؟

قلتُ: كان غرَضُهم في السُّؤال عن وَقت الفَتح استعجَالًا مِنهُم على وَجْه التَّكذيب والاستهزاء، فأُجِيبُوا عَلى حَسَب ما عُرِفَ من غرَضِهم في سُؤالهم،

قوله: (وعن مجاهد: «هي أَبْيَنُ»)[١] "أَبيَنُ" اسم أرض بعَدَن. وقوله: (مِن عَصْفِه) "العَصْف": بَقْلُ الزرع، يقال: أعصَف الزرع، وقوله تعالى: ﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل ٥/١٠٥]، أي: كزَرْع أُكِلَ حَبُّه وبقي تِبْنُه.[٢] وقوله: (إنّ الله سيفتح) أي: ينصر. وقوله: (أو يَفتح بيننا) أي: يفصل.

---

١ جامع البيان للطبري، ٦٤٢/١٨ (السجدة، ٢٧/٣٢)؛ الكشف والبيان للثعلبي، ٣٠٦/٢١ (السجدة، ٢٧/٣٢).

٢ الصحاح للجوهري، «عصف».

فقِيل لَهُم: لا تَستَعجِلُوا بهِ وَلا تَسْتَهزِؤُوا فكَأنِّي بكُم وقد حَصَلْتُم في ذلك اليوم وآمَنْتُم فَلم ينفَعْكم الإيمانُ، واستَنظَرْتُم في إدْراك العذاب فَلم تُنظرُوا.

فإن قلتَ: فمَن فَسَّرهُ بيَوم الفَتح أو بيَوم بَدْرٍ كيف يَستقيمُ عَلى تَفْسِيره أنْ لا ينفَعَهُم الإيمانُ وقد نفعَ الطُّلَقَاءَ يومَ فتْحِ مكَّة وناسًا يومَ بدرٍ؟

قلتُ: المراد أنَّ المَقتُولين منهم لا يَنفعُهم إيمَانُهم في حالِ القتلِ كما لم ينفَعْ فِرعَونَ إيمانهُ عند إدراك الغَرَقِ.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ۝٣٠﴾

﴿وَٱنتَظِرْ﴾ النُّصرةَ عَليهم وهَلاكَهم ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ الغَلبةَ عَليكُم وهَلاكَكُم؛ كقَوله: ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة ٩/٥٢].

وقَرأَ ابن السَّميفَع: "مُنتَظَرُونَ" بفَتح الظَّاء، ومَعْنَاهُ: وانْتَظِرْ هَلاكَهُم فإنَّهُم أَحِقَّاءُ بأَن يُنتَظَر هَلاكُهم، يَعني: أَنَّهم هَالِكُونَ لا محَالةَ، أَو: وانتَظِرْ ذلك فإنَّ المَلائكَة في السَّماء ينتَظِرُونَهُ.

قال رسُول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرأَ الَم تَنْزيلُ وَتَباركَ الَّذي بيَدِه المُلكُ أُعْطِيَ من الأجر كأنَّما أحيَا ليلةَ القَدْر».

قوله: (واستنظَرتم) أي: استَمْهَلتُم.

قوله: (فإن قلتَ: فمَن فسَّره بيوم الفتح) أي: بيوم فتح مكّة.

قوله: (الطُّلَقاء) "أطلقتُ الأسيرَ" إذا حَلَلْتَ إسارَهُ[١] وخَلَّيتَ[٢] عنه.[٣] والطليقُ: الأسير الذي أُطلِق عنه إسارُهُ وخُلِّيَ سبيلُه.[٤] وسُمّي أهلُ مكّة طُلقاء لأنّه صلّى الله عليه وسلّم أطلقَهم -أي: أعتقَهم- وخلَّى عنهم يوم فتحَ مكّة.

قوله: (في حال القتل) يريد بـ"حال القتل" حالَ اشتغال المؤمنين بقتلهم وتوجّههم إلى قتلهم.

---

[١] ن: إشارة.
[٢] ن: وحلّيت.
[٣] المُغرب للمطرّزي، «طلق».
[٤] الصحاح للجوهري، «طلق».

وقال: «مَن قَرأَ ﴿الٓمٓ ۝ تَنزِيلُ﴾ في بَيْتِه لم يدخُلِ الشَّيطانُ بَيْتَهُ ثلاثَةَ أيَّامٍ».

تمّت السورة بحمد الله تعالى ومَنّه.[١]

[١] ف – تمّت السورة بحمد الله تعالى ومنّه.

سورة الأحزاب

مدنيةٌ، وهي ثلاثٌ وسبعون آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

عن زِرٍّ قال: قال لي أُبيُّ بنُ كعبٍ: كَمْ تَعُدُّونَ سورةَ الأَحزاب؟ قلتُ: ثلاثًا وسبعين آيةً، قال: فوالَّذي يَحْلِف بهِ أُبيُّ بنُ كَعْب إن كانَت لتَعْدِلُ سُورَةَ البَقرة أَو أَطوَلَ، ولقد قَرأنا منها آيَةَ الرَّجم: الشَّيخُ والشيخةُ إذا زَنيا فارجمُوهُما البَتَّة نكالًا من الله والله عَزيزٌ حكيمٌ.

أرَادَ أبيٌّ رضي الله عنه أنَّ ذلك من جُملة ما نُسِخَ من القرآن.

وأمَّا ما يُحكَى: أنَّ تلك الزِّيادَة كانت في صَحيفةٍ في بَيتِ عائشةَ فأكلتْها الدَّاجِنُ، فمِن تأليفَاتِ الملاحَدة والرَّوافِض.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١﴾

جعَل نِداءهُ بالنَّبيِّ والرَّسُولِ في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب ١/٣٣]

سورة الأحزاب

بسم الله الرحمن الرحيم[١]، وبه نستعين[٢]

قوله: (قلتُ: ثلاثًا وسبعين)[٣] أي: نَعُدُّه ثلاثًا وسبعين.

قوله: (الدَّواجِن)[٤] شاة دَاجن ورَاجِن[٥] إذا أَلِفَتِ البيوت،[٦] وكذلك غيرُ الشاة.[٧]

١ وفي هامش د: مِن هنا ابتداء الحاشية.
٢ ن ف – وبه نستعين.
٣ ن: وتسعين.
٤ في مطبوع الكشّاف: "الداجِن".
٥ ن – وراجن.
٦ ن: النبوت.
٧ الصحاح للجوهري، «دجن».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ [التحريم ١/٦٦] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ [المائدة ٦٧/٥]، وترَكَ نِدَاءهُ باسْمِه كما قال: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ﴾ ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾ ﴿يَٰعِيسَىٰٓ﴾ ﴿يَٰدَاوُۥدُ﴾ كَرامةً له وتشريفًا ورَبْئًا بمَحلِّه وتَنْوِيهًا بفضلِه.

فإن قلتَ: إنْ لم يُوقِع اسمَه في النِّداء فقد أَوقعَه في الإخبار في قوله: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح ٢٩/٤٨]، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ﴾ [آل عمران ١٤٤/٣]؟

قلتُ: ذلك لتعليم الناسَ بأنَّه رسُولُ الله وتلقينٌ لهم أنْ يُسمُّوه بذلك ويَدْعُوه به، فلا تفَاوتَ بين النداء والإخبَار، ألا تُرى إلى ما لم يَقصِد به التعْليمَ والتلقِينَ من الأَخبَار كيفَ ذكرهُ بنحو ما ذَكرهُ في النداء: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ [التوبة ١٢٨/٩]، ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ﴾ [الفرقان ٣٠/٢٥]، ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ [الأحزاب ٢١/٣٣]، ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ [التوبة ٦٢/٩]، ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الأحزاب ٦/٣٣]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب ٥٦/٣٣]، ﴿وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ﴾ [المائدة ٨١/٥].

قوله: (ورَبْأً بمحلِّه) أي: رفعًا إلى مراتبَ عاليةٍ.[١] قال في الصحاح: «إنّي لأرْبَأُ[٢] بك عن هذا الأمر، أي:[٣] لأرفَعُكَ عنه».[٤] وأقول: في كلام المصنّف حذف، أي: رفعًا بمنزلة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[٥] ومحلِّه[٦] عن محلِّ[٧] سائر الأنبياء عليهم السلام. وقوله: (وتَنويهًا) ناهَ الشيءُ يَنُوهُ، أي: ارتفع، ونوَّهتُه تنويهًا، أي: رفعتُه.[٨]

قوله: (فلا تفاوُتَ بين النداء والإخبار) لأنّه كما ناداه بالنبيّ والرسول فكذلك[٩] أخبر بأنّه رسول، يعني: يعلّمهم أنّه رسول الله، ويقول لهم: إذا ناديتُموه فقولوا: يا رسول الله، ويا نبيّ الله.

---

١ ن: عليه.
٢ ن: لإربأ.
٣ ن – أي.
٤ الصحاح للجوهري، «ربأ».
٥ د: عليه السلام.
٦ ن: ومجلّه.
٧ ن: محله.
٨ الصحاح للجوهري، «نوه».
٩ في الأصول الخطّية: "فلذلك".

﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾: واظِبْ على ما أنتَ عَليه من التَّقوى وَاثبُتْ عَليْه وازدَدْ منْه، وذلك لأن التَّقوى بابٌ لا يُبْلغُ آخرُه.

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾: لا تُسَاعِدْهُم على شيءٍ، ولا تَقبَلْ لهُمْ رأيًا ولا مَشورةً، وجَانِبْهُم وَاحتَرِسْ مِنْهم، فإنَّهم أعداءُ الله وَأعداءُ المؤمنِين لا يُرِيدُونَ إلَّا المُضَارَّةَ والمُضَادَّةَ.

ورُوي: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لمَّا هاجَر إلى المَدِينة وكانَ يُحِبُّ إسْلامَ اليهُود: قُرَيْظةَ والنَّضِيرِ وبَنِي قَينُقَاعَ، وقَد بَايعَه ناسٌ مِنهم على النِّفاق، فكان يُلِينُ لهُم جَانبَه وَيُكرِمُ صَغيرَهم وكبيرَهم، وإذا أتَى مِنهم قبِيحٌ تجَاوَز عنه، وكان يسمَع مِنهم، فنَزلت.

ورُوي: أنَّ أبا سفيان بن حَرْبٍ وعِكرمة بن أبي جهل وأَبَا الأعْوَر السُّلَميَّ

قوله: (وذلك لأنّ التقوى) إشارة إلى ما دلّ[1] عليه الكلام المتقدّم، أي: أمرُه بالتقوى إنّما كان لأنّ التقوى.

قوله: (قُرَيظةَ) عطف بيان، أو بدل.

قوله: (وقد بايعه) يريد بالمبايَعةِ المبايَعةَ على الإسلام، / أي: أظْهَروا الإسلام مع نفاقهم. وقوله: (ناسٌ منهم) إشارة إلى أنّ بعضهم أظهروا الكفر ولم يُنافقوا، وبعضَهم كانوا منافقين، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾. وقوله: (على النفاق) أي: على استقرارهم وثَباتهم على النفاق. فـ"على" بمعنى "مع". [٢٧٦ظ]

قوله: (فكان[2] يُلين) "الفاء" زائدة في "فكان"؛[3] لأنّه جواب "لمّا". ويجوز أن يقال: جوابه محذوف لدلالة قوله: "فكان"...[4] إلخ عليه، أي: حافَظَهم وداراهم فكان يُلين. وقوله: (يَسمع منهم) أي: يَقبل قولهم.

---

[1] ن: ما ول.
[2] ن: وكان.
[3] ن: مكان.
[4] ن: وكان؛ ف: مكان.

قَدمُوا عَليه في المُوادَعةِ التي كانت بَيْنهُ وبَينهُم، وقَام معَهُم عبدُ الله بن أُبيّ ومُعَتِّبُ بنُ قُشَير والجَدُّ بنُ قَيْس، فقَالوا لرسُول الله صلى الله عليه وسلم: أُرفُضْ ذِكر آلهتِنَا، وقُل: إنَّها تشفَعُ وتنفَعُ، ونَدَعُكَ ورَبَّكَ، فشقَّ ذلك على رسُول الله وعلى المؤمنين وهَمُّوا بقَتْلِهم، فنَزلتْ. أي: اتقِّ اللهَ في نقض العَهْد ونَبْذِ المُوادَعة، ولا تُطعِ الكافِرين من أَهْل مكَّةَ والمنافقين من أهْلِ المَدينة فيمَا طَلَبُوا إليك.

ورُويَ: أنَّ أَهْلَ مَكَّة دعَوْا رسُول الله صلى الله عليه وسلم إلى أَنْ يَرْجِعَ عن دينِه ويُعْطوهُ شَطْرَ أَموالهم، وَأن يُزَوِّجهُ شيْبَةُ بنُ ربيعةَ بِنتَهُ، وَخوَّفَهُ مُنَافِقُو المَدِينة أَنَّهم يَقتُلُونه إن لَم يَرجِعْ، فنَزلت.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالصَّواب من الخطإِ والمصْلحَةِ من المفسَدة ﴿حَكِيمًا﴾ لا يَفعَلُ شيئًا ولا يَأمُرُ به إلَّا بدَاعي الحِكمةِ.

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢﴾

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ في تركِ طاعةِ الكافِرين والمنافِقين وغيرِ ذلك ﴿إن الله﴾ الذي يُوحِي إليْك خبيرٌ بما تعمَلُونَ فمُوحٍ إِلَيْكَ بما تَصْلُح به أَعمالُكم، فلا حَاجَة بكُم إلى الاستماع منَ الكَفرة.

وقرئ: ﴿يَعملُونَ﴾ بالياء؛ أي: بما يَعملُ المُنافقُونَ من كيْدِهم لَكم ومَكْرِهم بكُم.

قوله: (في الموادَعة) "الموادَعة": المتارَكة، والمراد بها الصلح. كأنّه يقول: تَدَعُني وأَدَعُكَ.

قوله: (بالصواب[١] مِن الخطأ) "الباء" و"مِن" متعلِّقان بقوله: (عليمًا)، فكأنّه[٢] قال: يُمَيِّز الصواب مِن الخطأ.

---

١ ن: مِن الصواب.

٢ ن: وكأنّه.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ۝٤ ٱدْعُوهُمْ لِأٓبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥﴾

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: وأسنِدْ أمْرَكَ إليْه وكِلْهُ إلى تَدْبيرِه.

﴿وَكِيلًا﴾: حَافِظًا مَوكُولًا إليه كُلُّ أَمْرٍ.

ما جمَع اللهُ قلبَيْنِ في جَوفٍ، ولا زَوجِيَّةً وأُمُومةً في امرأةٍ، ولا بُنوَّةً ودعوةً في رَجُلٍ، والمَعنى: أنَّ الله سبحانه كما لم يَرَ في حِكمته أن يجعَل للإنْسانِ قلبَيْنِ؛ لأنَّه لا يخلُو: إمَّا أن يَفعَلَ بأحَدهما مثلَ ما يفعَلُ بالآخَرِ من أفعَال القُلوب فأحَدُهما فَضْلةٌ غيرُ مُحتَاجٍ إليهَا، وإمَّا أنْ يَفعَل بهذا غيرَ ما يَفعَلُ بذاك فذلك يُؤدِّي إلى اتِّصَاف الجُملة بكَونه مُريدًا كارهًا، عَالمًا ظَانًّا، مُوقِنًا شَاكًّا، في حَالَةٍ واحدَةٍ= لم يرَ أيضًا أنْ تكُونَ المرأةُ الواحِدةُ أُمًّا لِرجُلٍ زَوجًا له؛ لأن الأمَّ مَخدُومةٌ مخفوضٌ لها جَناحُ الذُّلِّ والزَّوجَةَ مُستخدَمةٌ مُتَصرَّفٌ فيها بالاستِفراش وغيره كالمَمْلُوكَة، وهُما حَالتَانِ مُتنافِيتَانِ، وأن يكُونَ الرَّجُلُ الواحِدُ دَعيًّا لرَجُلٍ وابنًا له؛ لأنَّ البُنوَّةَ أصَالَةٌ في النَّسب وعَراقَةٌ فيه، والدِّعوةَ إلْصَاقٌ عَارِضٌ بالتَّسمِيَة لا غيْرُ، ولا يَجتمِعُ في الشيء الواحِد أنْ يكونَ أصِيلًا غيرَ أصيلٍ.

وهَذا مَثَلٌ ضرَبه اللهُ تعالى في زَيْدِ بن حارثَة، وهُو رجُلٌ من كَلْبٍ سُبِيَ صَغيرًا، وكانَتْ العَربُ في جَاهليَّتِها يتغَاوَرُون ويَتسابَوْنَ، فاشتَراه حكيمُ بن حزامٍ لعَمَّته خديجةَ، فلمَّا تزوَّجَها رسُول الله صلى الله عليه وسلم وَهَبَته له، وطَلَبَهُ أبوهُ وعَمُّه ....

قوله: (مِن كَلْب) أي: مِن قبيلة بني كَلْب.

قوله: (وطلَبه) أي: طلبَ زيدًا.

فخُيِّر فاختار رسولَ الله فأعتقَه، وكانوا يقُولُون: زيدُ بن محمَّد، فأنزل الله عزَّ وجلَّ هذه الآيةَ، وقولَه: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب ٤٠/٣٣].

وقيل: كان أبُو مَعْمَرٍ رجُلًا من أحفَظِ العَرب وأرْوَاهُم، فقِيل له: ذُو القَلبَيْن.

وقيل: هُو جَميلُ بن أَسَد الفِهريُّ، وكان يَقُول: إنَّ لي قلبَين، أَفهَمُ بأحَدهما أكثرَ ممَّا يَفهمُ مُحمَّدٌ، فرُوي أنَّه انهَزم يومَ بَدْر فمرَّ بأَبِي سُفيَانَ وهو مُعَلِّقٌ إحدَى نعْلَيه بيَده والأُخرَى في رِجْله، فقال له: ما فَعل النَّاسُ؟ فقال: هُم ما بيْنَ مَقتُول وهارِبٍ، فقال: ما بالُ إِحْدى نَعليكَ في رِجْلكَ والأُخرَى في يَدك؟ فقال: ما ظَنَنْتُ إلَّا أنهما في رِجْليَّ، فأكْذَب اللهُ قولَه وقوْلَهم، وضَربَهُ مَثلًا في الظِّهَار والتَّبنِّي.

وعن ابن عبَّاس: كان المنافِقُون يقولُونَ: لمُحمَّدٍ قَلبَان، فأكذَبَهُم اللهُ.

وقيل: سَهَا في صَلاتهِ فقالت اليهُود: له قلبَان؛ قلبٌ مع أصحَابه وقلبٌ مَعكم.

وعن الحَسن: نَزلَتْ في أن الواحدَ يقُول: نَفسٌ تأمُرني وَنفسٌ تنهَانِي.

وَالتنكيرُ في "رجُلٍ" وإدْخالُ ﴿مِن﴾ الاستِغراقيَّةِ على ﴿قَلْبَيْنِ﴾ تأكيدَانِ

قوله: (فخُيِّر) أي: فخَيَّر[١] رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم[٢] زيدَ بن حارثة بين أن يذهب مع أبيه وعمّه،[٣] وبين أن يُقيم ويَثْبُت عند[٤] النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.[٥] وقوله: (فاختار) أي: اختار زيد.

قوله: (مِن أحفَظِ العرب وأرواهم) "أحفَظ" و"أروى" مِن "الحفظ" و"الرواية"، أي: أكثرِهم روايةً وحِفْظًا للوقائع والحوادث.

قوله: (قولَه وقولَهم) "قولَه" يعني: قولَ[٦] جميل حيث قال: «إنّ[٧] لي[٨] قلبين». و"قولَهم" يعني: قولَ القائلين في أبي مَعْمَر: «ذو قلبين».

---

[١] في الأصول الخطّيّة: "فخيّره".
[٢] د: عليه السلام.
[٣] ف: وعمّته.
[٤] د ف ن – عند ["صح" في هامش د].
[٥] د: عليه السلام. | انظر: الاستيعاب لابن عبد البرّ، ٥٤٥/٢؛ والإصابة لابن حجر، ٤٩٥/٢.
[٦] ن: قوله.
[٧] ف – إنّ.
[٨] ف: بي.

لمَا قُصِد من المَعنى؛ كأنَّه قال: ما جعَلَ اللهُ لأُمَّةِ الرِّجال ولا لواحدٍ مِنهُم قَلبَيْن البتَّة في جَوفِه.

فإن قلتَ: أيُّ فائدةٍ في ذِكْر الجَوف؟

قلتُ: الفَائدةُ فيه كالفائدةِ في قَوله: ﴿ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج ٤٦/٢٢]، وذلك ما يَحصُل للسَّامِع من زيَادة التَّصوُّر والتَّجلِّي للمَدلُول عليه؛ لأنَّه إذا سَمِع به صَوَّر لنَفسِه جَوفًا يَشتمِلُ على قَلْبينِ فكان أَسْرعَ إلى الإنكار.

قرئ: ﴿اللَّاى﴾ ....

قوله: (في قوله تعالى: ﴿ٱلْقُلُوبُ﴾) قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج ٤٦/٢٢].

قوله: (وذلك ما يحصُل) يعني: أنّ تلك الفائدة هي زيادة التصوّر. وإنّما قال: "ذلك"، ولم يقل: "تلك"؛ باعتبار المذكور.

قوله: (وقُرئ: ﴿ٱلَّٰٓـِٔي﴾) قال الشيخ في الكواشي: «القراءة ﴿ٱلَّٰٓـِٔي﴾ جمع 'التي': بياء ساكنة،[١] وبكسرها،[٢] وبهمزة مكسورة بدل الياء،[٣] وبهمزة مكسورة وياء ساكنة بعدها؛[٤] لغاتٌ كلّها. وكذلك التعليل والاختلاف في المجادلة[٥] والطلاق».[٦] هذا هو المذكور في الكواشي. ويُعلم منه أنّ المصنّف ذكر مِن القراءات الأربعة للسبعة ثلاثَ قراءات، وترك قراءةً رابعة، وهي بياء ساكنة بعد الألف.

---

١ أي: مِن غير همز مع المدّ المشبَع في الألِف. قرأ بذلك وصلًا ووقفًا أبو عمرو والبزّي بخُلف عنهما. وقرأ بذلك وقفًا أبو جعفر وورش. انظر: النشر لابن الجزري، ٤٠٤/١؛ والمهذّب لمحمّد سالم محيسن، ٢٦٤/٢.

٢ لم أجد مَن قرأ بياء خالصة مكسورة، والظاهر أنّ المراد ما يُشبه الياء وهو الهمزة المسهَّلة مكسورةً. وقرأ بذلك أبو جعفر وورش وصلًا، وهو الوجه الثاني لأبي عمرو والبزّي. انظر: النشر لابن الجزري، ٤٠٤/١؛ والمهذّب لمحمّد سالم محيسن، ٢٦٤/٢.

٣ قرأ بها قالون وقُنبل ويعقوب. انظر: النشر لابن الجزري، ٤٠٤/١؛ والمهذّب لمحمّد سالم محيسن، ٢٦٤/٢.

٤ قرأ بها ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخَلف. انظر: النشر لابن الجزري، ٤٠٤/١؛ والمهذّب لمحمّد سالم محيسن، ٢٦٤/٢.

٥ المجادلة، ٢/٥٨.

٦ الطلاق، ٤/٦٥. | تفسير الكواشي، ٤٢٢ظ.

بياءٍ وهَمزةٍ مكسُورَتيْنِ، و﴿ٱلَّـٰٓـِٔى﴾ بيَاءٍ ساكنَة بَعد الهَمزة.

و: ﴿تُظَٰهِرُونَ﴾ من ظَاهَـر، و: ﴿تَظَّاهَرُونَ﴾ مِـن اظَّاهـرَ بمعنـى: تَظَاهَـرَ، و: ﴿تَظَّهَّرون﴾ مـن: اظَّهَّـر، بمعنـى: تَظَهَّـر.

قوله: (بياء وهمزةٍ مكسورتَين) أي: بياءٍ مكسورة، نحو: ﴿ٱلَّـٰٓـِٔى﴾،[1] وبهمزة مكسورة نحو: ﴿ٱلَّـٰٓـِٔ﴾، فهما قراءتان.[2]

قوله: (و﴿تَظَّٰهَرُونَ﴾ مِن "اظَّاهَرَ" بمعنى "تَظاهَرَ") بيانه أن نقول: هذا مِن باب التفاعل، وأصل ماضيه "تَظاهَرَ" بفتح التاء والهاء، ثمّ أُدغمت التاء في الظاء وأُتي بهمزة الوصل، فصار "اظّاهَرَ" بمعنى "تَظاهَرَ"، أي: أصله "تَظاهَرَ"، ومضارعه "تتَظاهَرُ" بتاءين، أُدغمت التاء الثانية في الظاء فصار "تَظّاهَرُ".

وقوله: (﴿تَظَّهَّرُونَ﴾ مِن "اظَّهَّرَ" بمعنى "تَظَهَّر") بيانه أنّه مِن باب التفَعُّل، فماضيه "تَظَهَّرَ" بفتح التاء وفتح الظاء وفتح الهاء المشدّدة، أدغِمت التاء في الظاء وأُتِيَ بهمزة الوصل فصار "اظَّهَّرَ" بالظاء والهاء المفتوحتَين المشدّدتَين بعد همزة الوصل، ومضارعه "تَتَظهَّر" بتاءين مفتوحتين بعدهما ظاء مفتوحة، أُدغمت التاء الثانية في الظاء فصار "تَظَّهَّر" بفتح التاء والظاء والهاء المشدّدة.

ثمّ اعلم أنّ ههنا أربعَ قراءات مِن السبعة، ذَكر المصنّف منها ثلاثًا:

[٢٧٧و] الأولى: ﴿تُظَٰهِرُونَ﴾[3] / مِن باب المُفاعلة.

والثاني:[4] ﴿تَظَّٰهَرُونَ﴾[5] مِن باب التفاعُل بإدغام التاء في الظاء.

والثالث:[6] ﴿تَظَّهَّرُونَ﴾[7] مِن باب التفَعُّل بإدغام التاء في الظاء.

وهي مِن قوله: (﴿تُظَٰهِرُونَ﴾) إلى قوله: (بمعنى "تَظَهَّرَ"). وتركَ القراءةَ الرابعةَ؛

---

[1] تقدّم ما فيها.

[2] ن – قوله: (بياء وهمزةٍ مكسورتَين) أي: بياءٍ مكسورة، نحو: ﴿ٱلَّـٰٓـِٔى﴾، وبهمزة مكسورة نحو: ﴿ٱلَّـٰٓـِٔ﴾، فهما قراءتان.

[3] قرأ بها عاصم. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٤٧/٢.

[4] كذا في الأصول الخطّيّة بالتذكير.

[5] قرأ بها ابن عامر. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٤٧/٢.

[6] كذا في الأصول الخطّيّة بالتذكير.

[7] قرأ بها نافع وأبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٤٧/٢.

و: "تُظَهّرون" من: ظَهَّر، بمعنى: ظاهر، كعقَّد بمَعنى: عَاقَد، و: "تَظْهَرُوَنَ" مِن "ظَهَر" بلَفظ "فعَلَ" من الظُّهُور.

ومَعنى "ظاهَر من امرَأته": قال لهَا: "أنتِ عليَّ كظَهْر أُمِّي"، ونحوُه في العبَارة عن اللفظ: "لَبَّى المُحرِمُ" إذا قال: لَبَّيكَ، و"أَفَّف الرَّجُلُ" إذا قال: أُفِّ، وأخواتٌ لهُنَّ.

فإن قلتَ: فمَا وَجْهُ تَعْدِيتهِ وأَخواتِه بـ"مِن"؟

قلتُ: كان الظِّهارُ طَلاقًا عِند أَهْلِ الجاهِليَّة، فكانُوا يَتَجَنَّبُونَ المرأَةَ المُظَاهَرَ منها كما يتجنَّبُون المُطلَّقةَ، فكأنَّ قَولَهم: "تظَاهَر مِنْها": تَباعَد منها بجهَةِ الظِّهار، و"تَظهَّر منها": تحرَّز منها، و"ظَاهَر منها": حَاذَر منها، و"ظَهَّر منها": وَحَّش منها؛

وهي ﴿تَظَٰهَرُونَ﴾[١] بفتح التاء والظاءِ المخفَّفة مِن باب التفاعل بحذف إحدى التاءين.

وذَكر القراءتَين الشاذّتَين:[٢]

الأولى: "تُظَهِّرُونَ"[٣] بضمّ التاء وفتح الظاء والهاء المشدّدة مِن باب التفعيل.

والثانية: "تَظْهَرُونَ"[٤] بفتح التاء والظاء الساكنة، ثلاثيّ مجرّد.

قوله: (ونحوُه في العبارة عن اللفظ) يعني: أنّ الأصل والأكثر في الاستعمال أن يُعبَّر بالألفاظ عن المعاني، لا عن اللفظ، وهنا مدلوله اللفظ. ومنه "أَمَّنَ" إذا قال: "آمين".

قوله: (وأخَواتِه بـ"مِن") عطفٌ على الضمير المجرور بلا إعادة الجارّ.

قوله: (تباعَد منها بجهة الظِّهار) أي: تباعد منها متظاهرًا.

قوله: (وَحَّشَ منها) في "وَحَّشَ" معنى الهَرَب والبُعد مِن الشيء بالمبالغة والإمعان، أي: بَعُدَ منها بُعدًا شديدًا.

---

[١] قرأ بها حمزة والكسائي وخلف. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٤٧/٢.

[٢] ن: الشاذّين.

[٣] قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٣٨٢.

[٤] قراءة شاذّة، مرويّة عن هارون عن أبي عمرو. انظر: البحر المحيط لأبي حيّان، ٤٥٢/٨ (الأحزاب، ٤/٣٣).

أي: بَعُدَ منها، و"ظهَر منها": خَلَص منها.

ونظيرُه: "آلى مِن امرأتِه" لمَّا ضُمِّن مَعْنَى التباعُد عُدِّي بـ"مِن"، وإلَّا فـ"آلَى" في أصله الذي هُو مَعنى: حَلفَ وأَقسَم، ليس هذا بحُكْمِه.

فإن قلتَ: ما مَعْنى قَولهم: "أنتِ عَليَّ كظَهْر أُمِّي"؟

قلتُ: أرَادُوا أَنْ يقُولُوا: أَنْتِ عَليَّ حَرامٌ كبَطْنِ أُمِّي، فكَنَوا عَن البَطْن بالظَّهر لئلَّا يذكُروا البَطْن الذي ذِكْرهُ يُقَارِبُ ذِكْرَ الفَرج، وإنَّما جَعَلُوا الكِنايةَ عن البَطْنِ بالظَّهر لأَنَّه عمُودُ البَطْنِ، ....

قوله: (وظَهَر منها: خَلَص منها) فسّر "ظَهَر" بقوله: "خَلَص"؛ لأنّ أصل الظُّهور خِلاف الخَفاء، وقد يُعَبَّرُ به عن الخروج والبُروز؛ لأنه يَرْدَفُ ذلك.[1] ففسّره بقوله: "خَلَصَ"؛ لأنّ مَن خرَج مِن الشيء وبَرَزَ منه فقد خَلَص منه.

قوله: (ليس هذا بِحُكمه) أي: ليس حكم "آلَى" أن يُعدَّى بـ"مِن".

قوله: (لِئلّا يَذْكُروا البَطن) وقيل: للمبالغة في التحريم، فإنّ ذِكر الظَّهر للتعرّض في الحُرمة في هذا المعنى أشدّ، فإنّ ظَهر النساء مُجتَنَبٌ في غير الأُمّ، فكيف فيها؟

قوله: (لأنّه عَمود البَطن) "العَمود": ما يُتّخَذُ مِن الحديد فيُضرب به، وجَمعه "أعمِدة". و"العَمود" أيضًا عَمود الخيمة. وفي حديث عمر رضي الله عنه: «أيُّما جالِبٍ جَلَبَ على عَمود بَطْنِه فإنّما يَبيع أنّى شاء ومتى شاء»،[2] يعني: الظَّهر؛ لأنّه قِوامُ البطن ومِساكه. وعن الليث: «هو عِرْق يمتَدُّ مِن الرَّهابة إلى السُّرّة». قال أبو عبيد: «هذا مَثَل، والمراد أنّه يأتي به في تعَب ومشقّة، لا أنّه يحملُه على الظَّهر أو على هذا العِرق»،[3] أي: إذا تحمّل مشقّته فله التصرّف فيه كيف شاء متى شاء. و"الرَّهابة" على وزن "السَّحابة": عَظْم في الصدر مُشرِف على البطن كاللسان.[4]

---

[1] المُغرب للمطرّزي، «ظهر».

[2] المُغرب للمطرّزي، «عمد». وسيأتي لفظه في الموطّأ لمالك، ٩٤٢/٤ (٢٣٩٨).

[3] غريب الحديث لأبي عبيد، ٣٩١/٣. ومِن قوله: "العمود" إلى هنا في المُغرب للمطرّزي، «عمد».

[4] انظر: لسان العرب لابن منظور، «رهب».

ومنْهُ حَدِيثُ عُمَرَ: "يَجِيء بِهِ أحَدهم على عمود بَطْنه" أرادَ: على ظَهْره.

ووجهٌ آخرُ: وهو أنَّ إتيان المرأة وظَهرُها إلى السَّماء كان مُحرَّمًا عنْدهُم مَحظُورًا، وكان أَهْلُ المدينةِ يَقُولُونَ: إذا أُتِيتِ المَرأةُ ووَجْهُهَا إلى الأَرْض جاء الوَلدُ أحْوَلَ، فلِقَصْد المُطَلِّق منهم إلى التَّغْليظ في تحْرِيم امرأتِه عليه شبَّهَها بالظَّهْر، ثُمَّ لَم يَقنَعْ بذلك حَتَّى جَعله ظَهْرَ أُمِّه فَلم يَتْرِكْ.

فإن قلتَ: الدَّعيُّ "فعيلٌ" بمَعنى "مَفعُولٍ" وهُو الَّذي يُدْعَى وَلدًا، فما لَهُ جُمِعَ على "أَفعِلاءَ" وبَابُه: ما كانَ منه بمَعنَى "فاعِلٍ"؛ كَتقيٍّ وأتقيَاءَ، وشَقيٍّ وأشقيَاءَ، ولا يكُون ذلك في نحْو: رَميٍّ وسَميٍّ.

قلتُ: إن شُذوذه عن القيَاس كشُذوذ قُتَلاءَ وأُسَراءَ، والطَّريقُ في مِثل ذلك التشبيهُ اللَّفظي.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ النَّسبُ هو ﴿قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾: "هذا ابْنِي" لا غيْرُ، ....

قوله: (ومنه حديث عمر رضي الله عنه: «يجيء به أحدهم»)[١] أي: يَجيء بالغَلّة أحد التجّار على ظهره، وأنتم تَخرُجون، وتتلقَّونَهم لِتشتَروها منهم أرخصَ مِن سعر البلد.

قوله: (فلم يَتَّرِك) أي: فلم يَتَّرِك شيئًا مِن التحريم إلّا ذكره.

قوله: (وبابُهُ) يعني: باب أفعِلاء، ويريد بـ"باب أفعِلاء" الكلمات التي تُجمَعُ على "أفعِلاء"، فقال: "هو مِن فَعيل"، يعني: أنّ "فَعِيلًا" بمعنى "فاعل" هو الذي يُجمَع على "أفْعِلاء". وقوله: (ما كان منه) أي: مِن "فعيل".

قوله: (كشُذوذ "قُتَلاء") قَتيل بمعنى مقتول، وأصله أن يُجمَعَ على "فَعْلى"، كجريحٍ وجَرْحى، وإنّما يُجمعُ على فُعَلاءَ إذا كان بمعنى فاعل، نحو: كريم وكُرَماء.

---

[١] تقدم لفظه في المُغرب للمطرّزي، «عمد»، في كلام الشارح. وفي الموطأ لمالك، ٢/٦٥١ (٥٦)، بلاغًا أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «أيُّما جالِب جلَبَ على عمود كَبِده في الشتاء والصيف فذلك ضَيف عمر، فليبع كيف شاء الله، وليمسك كيف شاء الله».

من غيْرِ أن يُواطئه اعتِقَادٌ لِصِحَّتِه وكوْنِه حَقًّا، واللهُ عزَّ وجَلَّ لا يقُولُ إلَّا ما هو حَقٌّ ظَاهِرُه وباطنُه، ولا يَهْدِي إلَّا سبيلَ الحقِّ، ثمَّ قال ما هو الحَقُّ وهَدَى إلى ما هُوَ سبيلُ الحقِّ، وهُو قوله: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾ وبيَّنَ أنَّ دُعَاءهم لآبائهم هو أدْخلُ الأمْرينِ في القِسْطِ والعَدْلِ.

قوله: (ثمّ قال ما هو الحقّ) أي:[١] شيئًا هو الحقّ، أو الذي هو الحقّ.

قوله: (والله عزّ وجلّ لا يقول إلّا ما هو)... إلخ فسّر المصنّف قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ / بما يقتضي الحصر، ووجهه أن نقول: بناء [٢٧٧ظ]
الكلام فيه على المبتدأ يقتضي التأكيد، وهو مناسب لأن تُضمّن معنى الحصر، لِما ذكر الفاضل العلّامة سراج الدين السكّاكي رحمه الله[٢] في المفتاح حيث قال:

> ترى أئمّة النحو يقولون: "إنّما" يأتي إثباتًا لِما يُذكر بعدها، ونفيًا لِما سواه، ويَذكرون لذلك وجهًا لطيفًا يُسنَد إلى علي بن عيسى الرَّبعي رحمه الله،[٣] وأنّه كان مِن أكابر أئمّة النحو ببغداد؛ وهو أنّ كلمة "إنّ" لمّا كانت لتأكيد إثبات المسنَد للمسنَد إليه ثمّ اتّصلت بها "ما" المؤكِّدة -لا النافيةُ على ما يظُنّه مَن لا وُقوفَ له بعلم النحو- ضاعفَ تأكيدها، فناسَب أن يضمّن معنى القصر، لأنّ قصر الشيء على الشيء ليس إلّا تأكيدًا للحُكم على تأكيد، ألَا تراكَ متى قلت لِمخاطب يُرَدِّدُ[٤] المجيء الواقعَ بين زيد وعمرو: "زيدٌ جاء لا عمرٌو"، كيف يكون "زيدٌ جاء" إثباتًا للمجيء لـ"زيد" صريحًا، وقولك: "لا عمرٌو" إثباتًا ثانيًا للمجيء لـ"زيد" ضِمنًا؟[٥]

هذا كلامه، وأنا أقول: ههنا شيء آخر، وهو ذِكر الفعل المضارع بعد المبتدأ، ومثله يفيد الاستمرار والدوام، نحو: "الزاهد يَشرَبُ ويَطْرَبُ". وأمّا قوله: (ظاهرًا وباطنًا)[٦] فلأنّ اللام في ﴿ٱلْحَقَّ﴾ للجنس، فيكون شاملًا للظاهر والباطن.

قوله: (وهو قوله: ﴿ٱدْعُوهُمْ﴾) هو عائد إلى ما دلّ عليه قوله: (قال)، أي: قولُه الحقّ هو قوله: ﴿ٱدْعُوهُمْ﴾.

---

١ ف وهامش د + مصنّف.

٢ د - رحمه الله.

٣ د - رحمه الله.

٤ ن: يرد؛ ف: تُرَدِّد.

٥ مفتاح العلوم للسكّاكي، ١/٢٩١.

٦ في مطبوع الكشّاف: "ظاهره وباطنه".

وفي فَضلِ هذِه الجُمَلِ ووَصْلِها مِن الحُسن والفصاحةِ ما لا يَخْفَى على عَالِمٍ بطُرُقِ النَّظْم.

وقَرأ قتَادةُ: "وهُو الَّذي يَهْدِي السَّبيلَ".

وقيل: كان الرَّجُلُ في الجَاهليَّة إذا أَعجبَهُ جَلَدُ الرَّجُلِ وظَرْفُه ضمَّه إلى نفسِه وجَعَل لهُ مِثْلَ نَصِيب الذَّكَرِ مِن أَولادِه مِن ميرَاثِه، وكان يُنسَبُ إليه فيُقَالُ: فلانُ بنُ فُلانٍ.

﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ﴾ لهم آباءً تَنسُبونَهُم إِلَيْهِم ﴿فَـ﴾هُم ﴿إِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ وَأولياؤُكُم في الدِّين، فقُولُوا: هذا أخي، و: هذا مَولايَ، و: يا أَخِي، و: يا مَولايَ، يُرِيدُ الأُخوَّةَ في الدِّين والوَلَايةَ فيه.

﴿مَّا تَعَمَّدَتْ﴾ في مَحلِّ الجرّ عَطفًا على ﴿ماأَخْطأْتُم﴾، ويجوزُ أَن يَكُونَ مُرْتفِعًا على الابتداء والخبَرُ مَحذُوفٌ، تقديرُه: ولكِنْ ما تعمَّدَتْ قُلوبُكُم فيه الجُنَاحُ،

قوله: (وفي فَصل هذه الجُمَل)... إلخ المراد بـ"الفَصل" تركُ العطف، وبـ"الوصل" العطفُ، وقد وقع الفَصل في بعض هذه الجُمل، والوصلُ في بعضها، فأشار المصنّف إلى أنّ جميع ذلك حَسَنٌ واقع في موقعه.

قوله: (وظَرْفُهُ) "الظَّرف": الظَّرافة، و"الظَّرف": الكِياسة، وقال ابن الأعرابي: «الظَّرفُ[1] في اللسان»، ومنه حديث عمر رضي الله عنه:[2] «إذا كان اللِّصُّ ظَرِيفًا لا يُقطع»،[3] أي: إذا كان كيِّسًا جيّدَ الكلام يَدْرَأُ الحدَّ عن نفسه باحتجاجه.[4] ويقال: رجل جَلْدٌ وجَليد، أي: غيرُ بَليد.[5]

قوله: (في محلّ الجرّ) هذا ضعيف؛ لأنّ المعطوف المجرور لا يُفصل بينه وبين ما يُعطف عليه. ذكر ذلك سيبويه،[6] وبه استدلّ في قولهم: "ما مِثل عبد الله يقول ذاك ولا أخيه"، على أنّ المضاف حُذف،[7] وأقيمَ المضاف إليه على إعرابه؛

---

[1] ن: الظرَف.

[2] د - رضي الله عنه؛ ن - عنه.

[3] المُغرب للمطرّزي، «ظرف». وأخرجه الشاشي في مسنده، ٩٨/٢ (٦٢٣) مِن قول عبيدة.

[4] المُغرب للمطرّزي، «ظرف».

[5] المُغرب للمطرّزي، «جلد».

[6] انظر: الكتاب لسيبويه، ٦٦/١.

[7] ف: حدف.

والمَعنى: لا إثـمَ عَلَيكم فيما فَعلْتُموهُ مِن ذلك مُخطئينَ جَاهِلينَ قَبْلَ وُرُودِ النَّهي ولكن الإثـمَ فيما تعمَّدْتُمُوه بَعد النَّهي، أو: لَا إِثـم عَلَيكُم إذا قُلتُم لوِلَدِ غيْرِكُم: "يا بُنيَّ" على سَبيلِ الخطَأ وسَبْقِ اللِّسانِ ولكنْ إذا قُلتمُوه مُتَعمِّدينَ.

ويجوز أَنْ يُرَاد العَفوُ عن الخطَأ دُونَ العَمْد على طريقِ العُموم؛ كقَوله صلى الله عليه وسلم: «ما أَخْشَى عَلَيْكم الخطَأَ ولكِن أَخشَى عَليكم العَمْدَ» وقَوله: «وُضِعَ عَنْ أُمَّتِي الخطأُ والنِّسْيانُ وما أُكرِهُوا عَليه» ثـمَّ تنَاوَلَ لعُمومهِ خطَأَ التَّبنِّي وعمْدَه.

فإن قلتَ: فإذا وُجِد التَّبنِّي فما حُكْمُه؟

قلتُ: إذا كان المُتبَنَّى مَجهُولَ النَّسَب وأَصْغَرَ سنًّا من المُتَبنِّي ثَبتَ نسَبُه مِنه، وإن كان عبْدًا له عَتقَ مَع ثبُوتِ النَّسبِ، وإن كان لا يُولَدُ مِثْلُه لمِثْله لم يَثبُتِ النَّسبُ ولكنَّه يَعتِقُ عِنْد أبي حنيفة، وعند صَاحبَيْه لا يعتِق، وأمَّا المَعرُوفُ النَّسبِ فلا يثبُت نسَبُه بالتَّبنِّي وإن كان عبدًا عَتقَ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ لِعَفوِه عن الخطإِ وعن العَمد إذا تَابَ العَامِدُ.

إذ لا يجوز أن يكون "أخيه" عطفًا على "عبد الله" للفصل المذكور، إلّا أن يُقال: لا فصلَ هنا بالحقيقة؛ لأنّ ﴿أَخْطَأْتُم﴾ صلة "ما"، فهو مِن تتمّته، و﴿لَٰكِن﴾ حرف عطفٍ زِيد معه الواو، فيكون العطف فصيحًا[1] غيرَ ضعيف، وهو الوجه.

قوله: (أصغرَ سِنًّا) يعني: بقدر يُتصوّر أن يكون ابنَه.

قوله: (وعند صاحبَيه لا يَعتِق) وكذا عند الشافعي رضي الله عنه.[2] فأبو يوسف ومحمّد بن الحسن وافَقا الشافعيَّ رضي الله عنهم أجمعين[3] في هذه المسألة، وخالَفا أبا حنيفة رضوان الله عليهم.[4]

---

[1] ف: صحيحًا.

[2] د - رضي الله عنه.

[3] د - رضي الله عنهم أجمعين.

[4] د - رضوان الله عليهم. | انظر: الهداية للمرغيناني، ٢٩٨/٢؛ وبدائع الصنائع للكاساني، ٥١/٤؛ وروضة الطالبين للنووي، ١٥٥/١٢.

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ۝٦﴾

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في كلِّ شيءٍ من أمُورِ الدِّين والدُّنيا ﴿مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ولهذا أُطلِقَ ولم يُقيَّدْ، فيجبُ عَليهم أن يكونَ أحَبَّ إليهم من أنفُسهم، وحُكمُه أنفذَ عَليْهم مِن حُكمها، وحَقُّهُ آثرَ لدَيْهم مِن حُقُوقها، وشفقَتُهم عَليه أقدَمَ مِن شَفقتِهم عليها، وأنْ يَبْذُلُوهَا دُونَه ويَجْعَلُوها فِدَاءَه إذا أعْضَلَ خَطْبٌ، ووِقَاءَهُ إذَا لَقِحَتْ حَرْبٌ، وأَن لا يَتَّبِعُوا مَا تَدْعُوهم إليه نُفوسُهم ولا ما تَصْرِفُهم عَنه، ويَتَّبعوا كُلَّ ما دَعَاهُم إليه رسُولُ اللهِ وصَرَفهُم عنه؛ لأنَّ كُلَّ ما دعَا إليه فهُو إرْشَادٌ لَهُم إلى نَيْلِ النَّجاةِ والظَّفرِ بسعَادةِ الدَّارَين، وما صَرَفهم عنه فأَخْذٌ بحُجَزِهِم لِئلَّا يَتَهافَتُوا فيما يَرْمِي بهم إلى الشَّقَاوَة وعذاب النَّارِ.

قوله: (﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ﴾) مِن "الوَلْيِ"،[1] وهو القُرْب.

قوله: (ولهذا أُطلِق) أي: لأجل أنّه كان المعنى: في كلّ شيء.

قوله: (آثَرَ) مِن "الإيثار" مصدر / "آثَرَ" على "أَفْعَل"، فبِناء اسم التفضيل منه [٢٧٨و] على "أَفْعَل" بخلاف القياس، نحو: أعطاهم للدينار والدرهم.

قوله: (إذا أعضَلَ) يقال: أعضلَنِي فلان، أي: أعياني أمرُه، وقد أعضَل الأمرُ، أي: اشتَدَّ واستغلَقَ.[2]

قوله: (ووِقاءَهُ)[3] الوِقاء كلّ ما وَقَيتَ به شيئًا. وقوله: (إذا لَقِحَتْ حَرْب) أي: اشتدَّت.

قوله: (فأَخْذٌ بِحُجَزِهم) إشارة إلى قوله صلّى الله عليه وسلّم:[4] «مَثَلي كمَثَل رجل استَوقد نارًا فلمّا أضاءَت ما حولها جعَلَ الفَراشُ وهذه الدوابُّ التي يَقَعْنَ في النار يقَعْنَ فيها، وجعل يَحجُزُهُنّ ويَغْلِبْنَه فيَتَقَحَّمْنَ فيها، فذلك مَثَلي ومَثَلُكم،

---

[1] د: الوَلِيّ. | انظر: غريب الحديث للخطّابي، ١/٧٢٥. [3] ن: ووِقاءِ.
[2] الصحاح للجوهري، «عضل». [4] د: عليه السلام.

أو: "هو أولى بهم" على مَعنى: أنه أرأَف بهم وأَعطفُ عَليهم وأنفعُ لهُم؛ كقوله تعالى: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة ٩/١٢٨].

وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «ما مِن مُؤمنٍ إلّا أنَا أَوْلى بهِ في الدُّنيا والآخِرة، اِقرؤُوا إن شئتُم: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ فَأيُّما مُؤمنٍ هَلك وترك مَالًا فلْيَرِثْه عَصَبَتُه مَن كانوا، وإن ترَكَ دَيْنًا أو ضَياعًا فإليَّ».

وفي قراءةِ ابن مسعُود: "النبيُّ أَوْلَى بالمؤمنين من أنفُسهم وهو أبٌ لَهُم"، وقال مجاهدٌ: كلُّ نبيّ فهُو أبُو أمّتِه. ولذلك صَار المؤمنُون إخْوةً لأنَّ النّبيَّ عليه السلام أبُوهم في الدِّين.

أنا آخذ بِحُجَزِكم عن النار؛ هَلُمَّ عن النار، هَلُمَّ عن النار، فتَغلِبوني تقَحَّمُونَ فيها».[1] و"الحُجَزُ" بفتح الجيم جمع "حُجْزة"؛ وهي ما يُدخَل فيه التِّكّة مِن الإزار. ومَن أراد أن يأخذ أحدًا بقوّة ويُبَعِّدَه عن شيء يأخُذ بحُجَزتِه ويجُرُّه حتّى يُبَعِّدَه عن ذلك الشيء.[2] يعني: أنا أُبالِغُ في إبعادكم عن النار. ومعنى "تَقَحَّمُون": تُلْقُون أنفسَكم فيها، والتقَحُّم: الدخول في الأمر الضَّيّق لَجاجًا.[3] وهَفَتَ الشيءُ هَفْتًا وهُفاتًا؛ تَطايَرَ لخِفّتِه، وتَهافَتَ الفَراشُ في النار؛ تساقَطَ.[4]

قوله: (مَن كانوا) "مَن" موصول بدل مِن (عَصَبَتُه)، و"كان" تامّة.

قوله: (أو ضَياعًا) جمع "ضايع"، أي: أيتامًا ضِياعًا.[5] و"الضَّياع" بالفتح مصدر، يقال: ضاع الشيء يَضِيع ضَيعةً وضَياعًا. و"الضِّياع"[6] بالكسر جمع الضَّيعة، وهو العَقار.[7] فالمعنى: ذا ضَياع، أي: ذا هَلاك، يعني: الأطفال. فقوله: "ضَياعًا" بفتح الضاد.

---

١ صحيح البخاري، ٨/١٠٢ (٦٤٨٣)؛ صحيح مسلم، ٤/١٧٨٩ (٢٢٨٤).

٢ المفاتيح في شرح المصابيح للمُظهري، ١/٢٥٠.

٣ مطالع الأنوار لابن قُرقول، ٥/٣٠٧.

٤ الصحاح للجوهري، «هفت».

٥ وفي هامش د ف: ضَياعًا، أي: عِيالًا. | وفي لسان العرب لابن منظور، «ضيع»: «والضَّياع: العِيال نفسُه. وفي الحديث: "فمَن ترَك ضَياعًا فإليّ"، قال ابن الأثير: "وأصله مصدر ضاع يَضيع ضَياعًا، فسُمّي العِيال بالمصدر، كما تقول: مَن مات فترك فَقرًا، أي: فقراء"».

٦ ن: والضِيا.

٧ الصحاح للجوهري، «ضيع».

﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ تشبيهٌ لهنَّ بالأمَّهاتِ في بَعضِ الأحكام، وهُو وجوبُ تعظيمِهنَّ واحتِرامهنَّ، وتحريمُ نِكاحهنَّ؛ قال الله تعالى ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الأحزاب ٥٣/٣٣]، وهُنَّ فيما وراء ذلك بمَنْزلةِ الأجنبيَّاتِ، ولذلكَ قالت عَائشةُ رضي الله عنها: لسْنَا أُمَّهاتِ النِّساء.

تَعْني: أنهنَّ إنَّما كُنَّ أمَّهاتِ الرِّجالِ لِكونهنَّ مُحَرَّماتٍ عَليهم كتَحْرِيم أُمَّهاتِهم، والدَّليلُ على ذلك: أنَّ هذا التحريمَ لم يتعَدَّ إلى بنَاتِهنَّ، وكذلك لم يثبُتْ لهُنَّ سَائرُ أحكام الأُمَّهاتِ.

﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ كان المُسلمُون في صَدر الإسلام يَتوارثونَ بالوِلَاية في الدِّين وبالهِجْرة لا بالقَرابةِ، كما كانت تُتألَّفُ قلوبُ قومٍ بإِسْهامٍ لهُم في الصَّدَقَاتِ، ....

قوله: (تَشْبِيهٌ) إشارة إلى أنّه حُذف حرفُ التشبيه ههنا للمبالغة في التشبيه، نحو: "زيد أسد".

قوله: (قال الله تعالى: ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ﴾) ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ﴾ [الأحزاب ٥٣/٣٣].

قوله: (قالت عائشة رضي الله عنها: «لَسْنا») رُوي أنّ امرأة قال لعائشة رضي الله عنها:[1] «يا أُمَّهْ»، فقالت: «لَسْنا أمَّهاتِ النساء».[2]

قوله: (بالوَلاية في الدين) "الوِلاية" بالكسر: السلطان، و"الوَلاية" و"الوِلاية":[3] النُّصرة. وقال سيبويه: «'الوَلاية' بالفتح المصدر، و'الوِلاية' بالكسر الاسم».[4]

قوله: (كما كانت تُتألّف) "كما كانت" صفةُ مصدر محذوف يدلّ عليه قوله: (يَتوارثون)، فكأنّه قال: يَتألّفون بالإرث تألُّفًا كما كانت، أي: مثلَ تألُّف قلوب.

قوله: (بإسهامٍ) أي: بإعطاء سَهْم؛ وهو النصيب. واعلم أنّ "السهم" بمعنى

---

[1] د – رضي الله عنها.

[2] أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى، ٦٤/٨؛ والبيهقي في السنن الكبرى، ٥٦١/١٣ (١٣٥٥٠)، بلفظ: «أنا أمّ رجالكم، لست بأمّكِ».

[3] ف – والوِلاية.

[4] الصحاح للجوهري، «ولي».

ثم نُسِخ ذلك لمَّا دجَا الإسْلامُ وعزَّ أَهْلُه وجُعِل التَّوارُثُ بحقِّ القرابة ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ في اللَّوح، أو: فيما أَوحى الله إلى نبيِّهِ وهو هذه الآيةُ، أَو: في آيةِ المَواريث، أو: فيمَا فرضَ اللهُ؛ كقَوله: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء ٢٤/٤].

﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ يجُوز أَن يكون بيَانًا لـ"أُولي الأَرْحَام"؛ أي: الأقرباءُ مِن هؤلاء بَعضُهم أَوْلَى بأَن يَرِثَ بَعْضًا من الأجانب، ويجوز أن يكُون لابتِداء الغَاية؛ أي: ....

النصيب شائع في استعمالهم كثيرًا، وأمّا "الإشهام" بمعنى إعطاء النصيب فلم أطّلِع عليه في شيء مِن كتب اللغة. وإنّما الإسْهام بمعنى الإقراع، يقال: أسهَمَ بينهم، أي: أقرَعَ.[١] ويمكن أن يقال في الإقراع: إعطاء السهم،[٢] أي: النصيب، فهو أيضًا مِن هذا الباب، فلذا جاء الإسْهام بمعنى الإقراع، فأصله إعطاء السهم. ويجوز أن يكون "الأسهام" بفتح الهمزة، بمعنى الأنصِباء.

قوله: (دَجَا[٣] الإسلام) أي: غَلَب على سائر الأديان. مِن قولهم: دَجَا الليل، أي: ألبَس كلَّ شيء بظُلمتِه، مِن "الدُّجَى"، وهو الظُّلمة.[٤]

قوله: (بحقّ القَرابة) الأَولى أن نقول: "بحقّ القَرابة"[٥] مفعول ثانٍ لـ(جُعِل)، وقوله: (﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾) لفظُ القرآن، فسّره بقوله: (في اللَّوح)... إلخ.

[٢٧٨ظ] قوله: (﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾) مفعول / ثانٍ لـ(جُعِل). وقوله: (في اللَّوح) تفسيره.

قوله: (كقوله تعالى: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء ٢٤/٤]) أي: فرَض الله فَرْضًا.

قوله: (ويجوز أن يكون لابتداء الغاية) فـ﴿مِن﴾ على هذا متعلّق بـ﴿أَوۡلَىٰ﴾، فهي "مِن" التي تُستعمل بها "أفعل" التفضيل، وعلى الأوّل كان "مِن" محذوفًا

---

١ انظر: الصحاح للجوهري، «سهم».

٢ في شمس العلوم للحميري، «سهم»: «أسهَمَ له، أي: جعَلَ له سهمًا. وفي حديث ابن عمر 'أنّ النبيّ عليه السلام أسهَمَ يومَ بدر للفارس سهمَين، وللراجِل سهمًا واحدًا'».

٣ وفي هامش د: "دَجَا"، أي: كَثُرَ. | دَجا الإسلام، أي: شاعَ وكثُر. النهاية لابن الأثير، «دجا».

٤ انظر: الصحاح للجوهري، «دجا».

٥ ف: القراة.

أُولُو الأَرْحَام بحقِّ القَرابةِ أَوْلَى بالميراثِ من المؤمنينَ بحقِّ الوِلاية في الدِّين ومن المُهَاجرين بحقِّ الهجرة.

فإن قلتَ: مِمَّ استُثْنِي ﴿أَن تَفۡعَلُوٓاْ﴾؟

قلتُ: من أعمِّ العَامِّ في مَعْنى النَّفْعِ والإحسان؛ كما تقُولُ: "القريبُ أَوْلى من الأَجنبيِّ إلَّا في الوصيَّةِ"، تُريدُ: أنَّه أَحَقُّ منه في كلِّ نفعٍ من ميراثٍ وهِبَةٍ وهَدِيَّةٍ وصَدقةٍ وغيرِ ذلك إلَّا في الوصيَّة.

والمرادُ بفعْلِ المَعرُوف: التَّوصيةُ؛ لأنَّه لا وصيَّةَ لوَارِثٍ، وعُدِّيَ ﴿تَفۡعَلُوٓاْ﴾ بـ﴿إِلَىٰٓ﴾ لأنَّه في مَعنَى: تُسْدُوا وتُزِلُّوا، والمرادُ بالأولِيَاء: المؤمنُونَ والمُهاجِرُون؛ للوَلاية في الدِّين.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشَارةٌ إلى ما ذُكِر في الآيتَين جَميعًا، وتفسيرُ ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾: ما مرَّ آنِفًا، والجُملةُ مُستأنَفةٌ كالخَاتِمةِ لِمَا ذُكرَ مِن الأحْكام.

كما في "الله أكبر". والباء في "بحقّ" متعلّق بـ"أَولى"، وهو للسببيّة، وفي (الميراث)[1] متعلّق بـ"أَولى" صِلة له، فهو مفعول به بواسطة حرف الجرّ.

قوله: (وغيرِ ذلك) كالمُحاباة في المعاملات.[2]

قوله: (لا وصيّةَ لِوارثٍ)[3] فلا يكون الوارث فيها أولى مِن المهاجرين والمؤمنين.

قوله: (تُسْدُوا وتُزِلُّوا) "الإسداء" و"الإزلال" بمعنى "أَزْلَلتُ إليه نعمةً" إذا أَسْدَيتَها، وفي الحديث: «مَن أُزِلَّتْ إليه نعمةٌ فليَشكرها».[4]

قوله: (والمراد بـ"الأولياء" المؤمنون) وإنّما ذكَرهم بلفظ "الولاية" للترغيب في الإحسان إليهم بالوصيّة لهم.

---

[1] في مطبوع الكشّاف: "بالميراث".

[2] المُحاباة: البيع بدُونِ ثمَن المِثل. تحرير ألفاظ التنبيه للنووي، ص ٢٤١.

[3] لفظ حديث في سنن الترمذي، ٥٠٤/٣ (٢١٢٠)؛ وسنن النسائي، ٢٤٧/٦ (٣٦٤١)؛ وسنن ابن ماجه، ٩٠٦/٢ (٢٧١٤).

[4] الصحاح للجوهري، «زلل». والحديث في مسند الشهاب للقضاعي، ٢٣٨/١ (٣٧٦).

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ۝٧﴾

﴿وَ﴾اذكُرْ حينَ ﴿أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ جَميعًا ﴿مِيثَـٰقَهُمْ﴾ بتبليغِ الرِّسَالة والدُّعاءِ إلى الدِّين القيّم، ﴿وَمِنكَ﴾ خصوصًا ﴿وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى﴾.

﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٨﴾

وإنما فعَلْنا ذلك ليَسألَ اللهُ يوم القيامة عِند تَواقُفِ الأَشهاد المؤمنينَ الَّذينَ صَدَقُوا عَهْدَهُم ووَفَوْا به من جُملَة مَن أَشهَدَهُم على أنفُسِهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف ١٧٢/٧] ﴿عَن صِدْقِهِمْ﴾ عَهْدَهُم وشهَادَتَهُم، فيَشْهَدُ لهُم الأنبيَاءُ بأَنَّهم صَدَقُوا عهْدَهُم وشهَادَتَهم وكانوا مؤمنينَ، أو: ليَسأل المصَدِّقين للأنبيَاء عن تَصْدِيقهم، لأنَّ مَن قال للصَّادقِ: صَدقْتَ، كان صَادقًا في قَوله،

قوله: (المؤمنين الذين صدقوا عَهدَهم) أي: صدَقوا الله في عهدهم. فحذف الجارّ كما في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا﴾ [الفتح ٢٧/٤٨]، أي: في الرؤيا، وكقوله تعالى: ﴿صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب ٢٣/٣٣]، أي: فيما عاهدوا. وقوله: (مِن جملة) حال مِن الضمير في "صدَقوا"، أو في "وَفَوْا". وقوله: (عن صِدقِهم عَهْدَهم[1] وشهادتَهم) وإنّما قال كذلك لأنّ قولهم: "بلى" شهادةٌ منهم على ربوبيّته، وعهْدٌ على الثبات عليها. وقوله: (فيَشهَدَ) عطفٌ على قوله: (ليسألَ) أي: ليسألَهم عن صِدقهم فيَدّعوا أنّهم صدَقوا، فيَشهدَ لهم الأنبياء، فيتبيَّن[2] صِدقُهم، فيَنفعهم حينئذ صِدقُهم المستمِرُّ. وهو مثل قوله تعالى: ﴿هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة ١١٩/٥]، أي: ينفع الصادقين الصدقُ المستمرُّ بهم في دنياهم وأُخراهم.

قوله: (﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف ١٧٢/٧]) أي: يقول: ألستُ بربِّكم؟

قوله: (لأنّ مَن قال) يعني: لأنّ تصديق الصادق مستلزِم للصدق، فهو كناية.

---

[1] ف: وعهدهم.

[2] ن: فتبيّن.

أو: ليَسأل الأنبياءَ: ما الَّذي أجَابَتْهُم بِهِ أُمَمُهم؟

وتأويلُ مَسألة الرسُلِ: تَبكيتُ الكافِرين بهم؛ كقوله: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة ١١٦/٥].

فإن قلتَ: لِم قُدِّم رسولُ الله على نُوحٍ فمَن بَعْدَه؟

قلتُ: هذا العَطْفُ لبيَان فضيلةِ الأنبيَاءِ الَّذين هُم مَشَاهيرهُم ودَرَارِيُّهم، فلمَّا كان محمَّدٌ صلى الله عليه وسلم أفضَلَ هؤلاء المُفَضَّلينَ قُدِّم عليهم لبيَانِ أنَّه أَفضَلُهُم، ولَولا ذلك لقُدِّم مَن قدَّمه زمَانُه.

قوله: (أو ليسأَلَ الأنبياءَ) فعلى هذا فالتقدير: ليسأَلَ الأنبياءَ الصادقين عن حال صدقهم: هل قَبِل الأمم مِن الأنبياء صدقَهم وصَدَّقوهم[١] في ذلك أو لم يقبلوا وكذَّبوهم؟

قوله: (قلتُ: هذا العطف) يريد عطفَ قوله: ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾...[٢] إلخ على ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾. يعني: قوله: ﴿مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ شامل لجميع الأنبياء، وإنّما عُطفَ بعض الأنبياء على ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ لبيان فضل الأنبياء[٣] الذين[٤] هم أشهر وأنْوَه،[٥] فلمّا كان كذلك قُدِّم مَن هو أفضل. وقوله: (هم مشاهيرهم) اعلم أنّ "هم"[٦] الأوّل[٧] عائد إلى (الذين)، وهو صفة "الأنبياء" في قوله: (فضيلة الأنبياء). وأمّا "هم" في (مشاهيرهم ودراريّهم)[٨] فعائد إلى جميع الأنبياء المذكورين في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾. و"المشاهير" جمع المَشهور، يقال: شَهَرَه بكذا، وشهَّرَه[٩] به،[١٠] وهو مشهور ومشهَّر.[١١] وأشهَرَه بمعنى شهَّرَه غير ثَبَتٍ.[١٢]

---

١ ن: وصدَّقوا.

٢ ن: خوح.

٣ ف + على النبيّين لبيان فضل الأنبياء.

٤ ن: الذ.

٥ أنْوَه، أي: أرفَع. مِن ناهَ الشيء يَنوه: ارتفَع، فهو نائِهٌ. ونَوَّهْتُهُ تَنويهًا؛ إذا رفعتَه. ونَوَّهْتُ باسمه؛ إذا رفعتَ ذِكرَه. الصحاح للجوهري، «نوه».

٦ ف – هم.

٧ ف + هو.

٨ ف: وذراريّهم. | في بعض مطبوعات الكشّاف: "وذراريّهم".

٩ كذا في الأصول الخطّيّة، وفي الصحاح "وشهر" ولعلّه الصواب.

١٠ ف + وهو صفة.

١١ ن: ومُشْتَهر.

١٢ المُغرب للمطرّزي، «شهر».

فإن قلتَ: فقَد قُدِّم عَليْه نوحٌ في الآيَة الَّتي هيَ أُخْتُ هذِه، وهي قَولُه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [الشورى ١٣/٤٢] ثم قُدِّم على غيره؟

قلتُ: مَوْرِدُ هذِه الآيَة على طريقَةٍ خِلافِ طريقةِ تلك، وذلك أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ إنَّما أوْرَدها لِوَصْفِ دِينِ الإسْلام بالأصَالة والاستِقامةِ؛ فكأنَّه قال: شرَع لكم الدِّينَ الأَصِيلَ الَّذي بُعِث عليه نوحٌ في العَهد القَديم وبُعث عَليه مُحمَّدٌ خَاتمُ الأنبيَاءِ في العَهد الحَديثِ وبُعِث عَليه مَن توسَّط بيْنَهما من الأَنبيَاء المشَاهير.

فإن قلتَ: فماذا أرَاد بالميثَاقِ الغَليظِ؟

قلتُ: أرَاد بهِ ذلك المِيثاقَ بعَيْنِه، مَعْناه: وأخَذْنا مِنهُم بذلك الميثَاقِ ميثَاقًا غَليظًا، والغِلَظُ: استعَارةٌ من وَصْفِ الأَجْرام، والمراد: عِظَمُ الميثاقِ وجَلالةُ شَأنِه في بَابهِ.

وقيل: المِيثاقُ الغَليظُ: اليَمينُ بالله على الوَفاء بمَا حُمِّلُوا.

فإن قلتَ: عَلامَ عُطِف قولُه: ﴿وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾؟

قلتُ: على ﴿أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ لأنَّ المعْنَى: أنَّ اللهَ أكَّدَ على الأنبيَاء الدَّعوةَ إلى دينِه لأجْلِ إثَابَةِ المؤمنِين، وأعَدَّ للكافرين عَذَابًا أليمًا.

وقوله: "ودَراريّهم"[١] "الدرارِيّ"[٢] جمع الدُّرِّيّ، والكوكب الدُّرِّيّ: الثاقِب المُضيء، نُسب إلى الدُّرّ لبياضه.[٣]

قوله: (﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾) ﴿وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى ١٣/٤٢]. وقوله: (ثمّ قُدِّم) أي: النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم.[٤]

[٢٧٩و] قوله: (قلتُ: مَورِد هذه الآية) "مَورِد" / مصدر ميميّ[٥] بمعنى الورود.

قوله:[٦] (قلتُ: على ﴿أَخَذۡنَا﴾)... إلخ فعلى الوجه الأوّل لا يكون ﴿أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ داخلًا في مفهوم لام الغرَض، بخلاف الوجه الثاني. والثاني أصوب

---

١ ف: وذراريّهم.
٢ ف: الذراريّ.
٣ الصحاح للجوهري، «درر».
٤ د: عليه السلام.
٥ ف – ميميّ.
٦ ن – قوله.

أو عَلى ما دَلَّ عليه ﴿لِيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ كأنَّه قال: فأثابَ المؤمنينَ وأَعَدَّ للكافِرِينَ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩﴾

﴿ٱذْكُرُوا۟﴾ ما أنعَم اللهُ به عَليْكُم يوم الأحزاب وهُو يومُ الخَنْدَقِ ﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ وهم الأحزابُ، فأرْسَل الله تعالى عَلَيْهم ريحَ الصَّبا، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «نُصِرْتُ بالصَّبا وأُهْلكَتْ عَادٌ بالدَّبُورِ».

﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ وهُم المَلائكةُ وكانوا أَلْفًا، بَعث اللهُ عَليهم صَبًا بَارِدَةً في ليْلَةٍ شَاتيَةٍ فأَخصَرتْهُم وسَفَتِ التُّرابَ في وُجُوهِهِمْ، وأَمَر المَلائكةَ فَقَلعَتِ الأَوتادَ وقطَعتِ الأَطنابَ وأَطْفَأتِ النِّيرانَ وأكفَأتِ القُدُورَ، ومَاجَتِ الخَيْلُ بَعضُها في بَعْضٍ، وقذفَ في قلُوبهم الرُّعْبَ، وكبَّرتِ المَلائكةُ في جَوانبِ عَسْكَرِهم،

لفظًا ومعنًى. و"اللام" هنا للعاقبة، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص ٨/٢٨]، أو هو على أصله.

قوله: (ريحَ الصَّبا) وهي ريح تجيء[١] مِن قِبَل المَشرِق. و"الدَّبُور" مِن قِبَل المَغرب.

قوله: (وكانوا) أي: الملائكة.

قوله: (فأخصَرَتْهم) أي: أبْرَدَتْهم. والخَصَر -بالتحريك-: البَرْدُ، وقد خَصِرَ الرجلُ إذا آلَمَه البَرْد.[٢]

قوله: (وسفَتِ الترابَ) سفَتِ الريحُ الترابَ إذا ذَرَتْهُ.[٣]

قوله: (وأكْفأتِ القُدورَ) كَفَأتُ الإناء؛ كَبَبْتُه وقَلَبْتُه، فهو مَكفوء. وزعَم ابنُ[٤] الأعرابي أنّ "أكفَأتُه" لغة فيه. مِن الصحاح.[٥]

---

١ د: يجيء.
٢ الصحاح للجوهري، «خصر».
٣ الصحاح للجوهري، «سفى».
٤ ن: أن.
٥ الصحاح للجوهري، «كفأ».

فقَال طُلَيْحةُ بنُ خُويلدٍ الأَسَديُّ: أمَّا مُحمَّدٌ فقد بَدأَكُم بالسِّحْر فالنَّجَاءَ النَّجَاءَ، فَانهزَمُوا مِن غيْرِ قتَالٍ.

وحينَ سمِعَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم بإقبالِهم ضَربَ الخنْدقَ على المَدِينةِ، أشَار عليه بذلِكَ سَلمَانُ الفَارِسيُّ رضي اللهُ عنه، ثُمَّ خرَج في ثلاثة آلافٍ من المُسلِمين فضَربَ مُعَسْكَرَهُ والخَندقُ بيْنَهُ وبين القومِ، وأمرَ بالذَّرارِيِّ والنِّساء فرُفعُوا في الآطَامِ، واشتَدَّ الخَوفُ، وظَنَّ المؤمِنُونَ كُلَّ ظَنٍّ، ونَجم النِّفاقُ منَ المُنافقينَ، حتى قال مُعتِّبُ بن قُشَيْرٍ: كان مُحمَّدٌ يَعِدُنَا كنُوزَ كِسْرَى وقيْصَرَ، لا نَقْدِرُ أَنْ نَذْهَب إلى الغَائطِ، وكانَتْ قُرَيْشٌ قَدْ أقبَلَتْ في عشَرة آلافٍ من الأحَابِيشِ وبَنِي كِنَانَة وأَهْلِ تِهَامَة وقَائدُهم أبُو سفيَان، وخَرج غَطَفَانُ في أَلْفٍ ومَن تابَعَهُم من أهْلِ نجدٍ وقَائدُهم عُيَينةُ بن حِصْنٍ، وعَامِرُ بنُ الطُّفَيْلِ في هَوازِنَ، وضَامَّتْهم اليَهُودُ من قُرَيْظةَ والنَّضِير، ومَضَى على الفريقَينِ قريبٌ مِن شَهْرٍ لا حَرْبَ بيْنَهُم إلَّا التَّرامِيَ بالنَّبْل والحجَارة حتى أَنزل اللهُ النَّصْرَ.

﴿تَعْمَلُونَ﴾ قرئ بالتاء والياء.

قولـه: (فالنَّجاءَ)[١] أي: الزموا النَّجاءَ. نجَوتُ نَجاءً؛ أسرعتُ،[٢] والهمزة منقلِبة عن الواو، كما في "كِساء".

قوله: (في الآطام) أي: الحصون. "الآطام" جمع الأُطُم، وهو الحِصن مِن الحجارة.

قوله: (ونجَمَ النفاق) نَجَمَ الشيء يَنجُمُ نُجُومًا؛ ظَهَر.[٣]

قوله: (مِن الأحابيش) "الأحابيش" جمع أُحْبُوش؛ وهي العساكر المجتمعة مِن طوائف شتّى.[٤]

قوله: (غَطفان) أبو قبيلة، وهو غَطفان بن سعد بن قيس عَيلان. و(مَن تابَعهم) عطفٌ على (أَلْفٍ).

---

١ ن: فالنجاءُ.

٢ الصحاح للجوهري، «نجا».

٣ الصحاح للجوهري، «نجم».

٤ وقال الجوهري: «الحُباشة -بالضم-: الجماعة مِن الناس لَيسوا مِن قبيلة واحدة. وكذلك الأحبوش والأحابيش». الصحاح للجوهري، «حبش».

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾﴾

﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾: من أَعْلى الوَادِي من قبَلِ المشرقِ: بنُو غَطَفان ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾: مِن أسْفَلِ الوَادي من قِبَلِ المَغْرب: قريشٌ، تحَزَّبُوا وقَالُوا: سنكُونُ جُملةً وَاحِدةً حتَّى نستَأْصِلَ مُحمدًا.

﴿زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾: مالَتْ عن سَنَنِها ومُستَوى نظَرِها حَيْرَةً وشُخُوصًا.

وقيل: عَدَلَتْ عَن كُلِّ شيءٍ فلَم تلتَفِتْ إلَّا إلى عَدُوِّها لِشِدَّة الرَّوع.

الحَنْجَرةُ: رأسُ الغَلْصَمَةِ، وهيَ مُنتَهَى الحُلقُوم، والحُلقُوم: مَدْخَلُ الطَّعَامِ وَالشَّراب.

قَالُوا: إذا انتفَخت الرِّئةُ من شدَّة الفَزعِ أو الغضَب أو الغَمِّ الشَّديد ربَتْ وارْتَفع القَلْبُ بارتفَاعِها إلى رَأسِ الحَنجرةِ، ومِن ثَمَّ قيلَ لِلجبَان: انتَفخَ سَحْرُه.

ويجوز أَنْ يكُونَ ذلك مَثَلًا في اضطِراب القُلوبِ ووَجيبهَا وإنْ لم تَبلُغِ الحناجِرَ حَقيقةً.

﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ خطابٌ للَّذِين آمنُوا، ومِنهم الثُّبَّتُ القُلوبِ والأَقدَامِ، والضِّعَافُ القُلوبِ الَّذين هُمْ عَلى حَرْفٍ، والمُنَافِقُونَ الَّذِين لم يُوجَدْ مِنهم الإيمانُ إلَّا بألْسِنَتِهِمْ، فظَنَّ الأوَّلُونَ بالله أنَّه يَبْتَليهِم ويَفْتِنهُم فخَافُوا الزَّلَل وضَعفَ الاحتمالِ، وأمَّا الآخِرُونَ فظَنُّوا بالله ما حَكَى عَنْهم.

قوله: (الحَنجَرة: رأس الغَلصَمة) و"الحَنجَرة" على ما ذكره غير الحُلقُوم. وهذا مخالف لِما ذُكر في الصحاح؛ قال: «الحَنجَرة والحَنجور: الحُلقُوم. والغَلصَمة: رأس الحُلقُوم، وهو الموضع الناتِئ منه».[1]

قوله: (ومنهم الثُّبَّتُ)... إلخ، فهؤلاء الأصناف الثلاثة مِن الذين آمنوا؛ لأنَّ المراد الذين أظهروا الإيمان.[2]

---

[1] الصحاح للجوهري، «حجر»؛ «غلصم».

[2] وفي هامش ف: قوله تعالى: ﴿طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾، أي: مِن المنافقين.

وعَن الحسَن: ظَنُّوا ظُنُونًا مُخْتَلِفةً: ظَنَّ المُنافقُونَ أَنَّ المُسلِمين يُستَأصَلُونَ، وظَنَّ المؤمنون أنّهم يُبتَلَونَ.

وَقُرِئَ: ﴿الظُّنُونَ﴾ بغَيرِ أَلِفٍ في الوَصل والوقفِ، وهو القيَاسُ، وبزيَادةِ أَلِفٍ في الوَقف، زَادُوهَا في الفَاصِلةِ كمَا زادَها في القافيَةِ مَن قال:

أَقِــلِّــي الـلَّــومَ عــاذِلَ والـعِـتَـابَـا

وكذلك ﴿ٱلرَّسُولَا۠﴾ و﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾، وقرئَ بزيادتِهَا في الوَصْلِ أيضًا إجراءً له مُجْرَى الوقْفِ، قال أبو عبيْدٍ: وهُنَّ كلُّهنَّ في الإمامِ بألِفٍ.

﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾

وعن أَبي عمرٍو: إشمامُ زَايِ "زلزِلُوا"، وقرئ: "زَلزَالًا" بالفَتح.

والمَعنى: أَنَّ الخوْفَ أزعجَهُم أشَدَّ الإزعَاج.

قوله:

(أقِــلِّــي الـلَّــومَ عــاذِلَ والـعِـتَـابَـنْ)[1]

تمامه:

وقــولــي إن أصــبْــتُ لــقــد أصــابــا[2]

قوله: (وكذلك ﴿ٱلرَّسُولَا۠﴾) أي: في قوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾. وقوله: (و﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾) أي: في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾. وقوله: (في الإمام) أي: مصحف عثمان رضي الله عنه.

---

[1] في ديوان جرير: "والعتابا" بالألف. وهو كذا في مطبوع الكشّاف. والشاهد في إثبات الألف. وهو بنون الترنّم في الخصائص لابن جنّي، ٢/٩٨؛ والمفصّل للزمخشري، ٤٥٥؛ والإنصاف للأنباري، ٢/٥٣٩.

[2] لجرير في ديوانه، ص ٨١٣.

﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ قيلَ: قائلهُ: مُعَتِّبُ بن قُشَيْرٍ، حِينَ رأى الأحْزَابَ قال: يَعِدُنا محمَّدٌ فتحَ فارِسَ والرُّومِ وأحَدُنا لا يَقْدرُ أَنْ يَتبرَّزَ فَرَقًا؟! ما هذا إلَّا وَعْدُ غرورٍ.

﴿طَآيِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ هُم أَوْسُ بن قَيْظِيٍّ ومَن وَافَقهُ على رَأيِهِ.

وعن السُّدِّي: عبدُ الله بن أُبيٍّ وأصحَابُه.

ويَثْرِبُ: اسمُ المَدينَة، وقيل: أرضٌ وَقعَتِ المدينةُ في ناحيَةٍ مِنها.

﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ قُرئ بضم الميم وفتحِها؛ أي: لا قَرارَ لكُم هاهُنا ولا مَكانَ تقُومُونَ فيه -أو: تُقيمُونَ- ....

قوله: (مُعَتِّب)[١] أي: مُعَتِّب بن قُشَير.

قوله: (أن يَتَبرَّزَ) أي: يخرجَ إلى البِراز. وقوله: (فَرَقًا)[٢] أي: خَوفًا.

قوله: (قُرئ بضمِّ الميم وفتحِها)... إلخ أشار المصنِّف رحمه الله[٣] إلى أنَّ ﴿مُقَامَ﴾ هنا يجوز أن يكون مصدرًا ومكانًا على كِلتا القراءتين. قال الشيخ رحمه الله[٤] في الكواشي: «القراءة ﴿لَا مُقَامَ﴾ بضمِّ الميم[٥] اسم مكان، أي: لا مَوضعَ قيام، أو مصدر، أي: لا إقامةَ،[٦] وبفتحها[٧] مصدر قامَ قيامًا ومَقامًا».[٨] هذا كلامه، ولو قال: "لا مَوضعَ إقامة" بدل "لا موضعَ قيام" لكان أَولى؛ لأنَّ المضموم مِن الإقامة لا مِن القيام. ثمَّ إنَّ قول[٩] المصنِّف: (لا قرارَ)[١٠] على تقدير المصدر سواء مِن المضموم أو المفتوح. وقوله: (مكانَ تقيمون)[١١] على تقدير الضمِّ. وقوله: (تَقومون) على تقدير الفتح. وقوله: (ههنا) في هذا المعسْكَر.

[١] في مطبوع الكشّاف: "مُعتّبُ بن قُشَير".
[٢] انظر: المعجم الكبير للطبراني، ٣/١٦٦ (٣٠١٧).
[٣] د - رحمه الله.
[٤] د - رحمه الله.
[٥] هي رواية حفص عن عاصم. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٤٨.
[٦] ن: لإقامة.
[٧] هي قراءة جميع العشرة غير رواية حفص عن عاصم. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٤٨.
[٨] تفسير الكواشي، ٤١٤و.
[٩] ن - قول.
[١٠] في النسخ الخطّيّة: "لا قراره". وأثبتُّ ما في مطبوع الكشّاف.
[١١] في النسخ الخطّيّة: "يقيمون". وأثبتُّ ما في مطبوع الكشّاف.

فارْجِعُوا إلى المَدينة، أمَرُوهم بالهَرَبِ من عَسكر رسُولِ الله.

وقيل: قالُوا لَهُم: ارجِعُوا كُفَّارًا وأَسْلِمُوا مُحمَّدًا، وإلَّا فلَيْست يثْرِبُ لَكُم بمكانٍ.

قرئ ﴿عَوْرَةٌ﴾ بسُكون الوَاوِ وكسرها، فالعَوْرَةُ: الخلَلُ، والعَوِرةُ: ذاتُ العَوْرَة؛ يُقَالُ: عَوِرَ المكانُ عَوَرًا: إذا بدَا فيه خَلَلٌ يُخاف منه العَدُوُّ والسَّارقُ، ويجوز أَنْ تكُون "عَوْرةٌ" تخفيفَ "عَوِرة".

اعتَذَرُوا أنَّ بُيُوتَهُم مُعَرَّضَةٌ للعَدُوِّ مُمْكِنَةٌ للسُّرَّاقِ لأنَّها غيرُ مُحْرَزَةٍ ولا مُحصَّنةٍ، فاستَأْذَنُوهُ ليُحصِّنوهَا ثمَّ يَرجِعُوا إليه، فأكذبَهم اللهُ بأنَّهُم لا يَخَافونَ ذلك وإنما يُريدون الفِرارَ.

﴿وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا ١٤﴾

﴿وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم﴾ المَدِينةُ، وقيل: بُيُوتُهم، من قَولك: دخَلْتُ عَلى فلَانٍ دارَه.

قوله: (فارجعوا إلى المدينة) فعلى هذا يكون معنى "الفاء" في ﴿فَٱرۡجِعُواْ﴾ ظاهرًا. وأمّا قوله: (ارجعوا كُفّارًا) فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتأخير، كأنّه قيل: ارجعوا عن الإسلام، وإلّا فلا مُقامَ / لكم بالمدينة، أي: ارتدُّوا، وإلّا لا نُقِرّكم بالمدينة. وهو قريب مِن معنى "ولئن رجعنا إلى المدينة لَنُخْرِجَنَّ[١] الأعزَّ[٢] منها الأذلَّ". وقوله: (وأسلِموا) مِن قولهم: أسلَمَه، أي: خَذَله. [٢٧٩ظ]

قوله: (وإلّا) أي: وإن لم تَرتدُّوا[٣] ولم تَترُكوا محمّدًا فلا نُمَكِّنكم الإقامة بيثْرب.

قوله: (إذا بدَا) أي: ظهَرَ.

قوله: (مُعرَّضةٌ) التعريض للشيء: النَّصب له.

قوله: (﴿وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم﴾) ﴿عَلَيۡهِم﴾ حال مِن فاعل "دُخِل" الذي حُذف

---

١ وفي هامش د: قراءة الحسن. | كذا في الأصول الخطّيّة بالنون ونصب "الأعزّ"؛ قراءة شاذّة. والقراءة المشهورة: ﴿لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ﴾ [المنافقون ٨/٦٣]. قال الدمياطي: «وعن الحسن: 'لَنُخْرِجَنَّ' بنون العظمة وكسر الراء، ونصبِ 'الأعزَّ' مفعولًا به، ونصبِ 'الأذلَّ' حينئذ على الحال بتقدير مضاف، أي: كخروج، أو كإخراج». إتحاف فضلاء البشر للدمياطي، ص ٥٤٣.

٢ وفي هامش د: رسول.

٣ ن: ترتدّو.

﴿مِنْ أَقْطَارِهَا﴾: مِن جَوانبها، يُريد: ولو دَخَلَتْ هذه العَساكرُ المُتَحزِّبةُ التي يَفِرُّونَ خَوْفًا مِنْها مَدِينَتَهُم وبُيوتَهُم من نَواحِيها كلِّها، وانْثَالَتْ على أهَالِيهِم وأولادِهم ناهِبين سَائِبِينَ ثمَّ سُئِلُوا عند ذلك الفَزَعِ وتِلك الرَّجفةِ ﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾؛ أي: الرِّدَّةَ، والرَّجْعَةَ إلى الكُفر، ومُقَاتلةَ المُسلمين ﴿لَأَتَوْهَا﴾: لجَاؤُوها وفعَلُوهَا، وقرئ: ﴿لَآتَوْهَا﴾: لأَعْطَوها.

﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا﴾: ....

وأُقيم "المدينة" مُقامه، أي: لو دخلوا المدينة متصبين عليهم، أو مستقرِّين عالِين عليهم. وقد أشار المصنّف إلى هذا المعنى في تفسير الآية حيث قال: (يريد)... إلخ.

قوله: (المُتحزِّبة) تحزَّبوا، أي: تجمَّعوا. ومعنى "المُتحزِّبة": المتَجَمِّعة حِزْبًا حِزْبًا. والحِزب: الجماعة، ومنه قولهم: "قرَأ حِزبه مِن القرآن"، أي: وِرْدَه ووظيفته.[1]

قوله: (يَفِرُّون) أي: يَفِرُّ هؤلاء القائلون: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾.

قوله: (وانْثالَتْ)[2] انْثالَ عليه التراب، أي: انصَبَّ، يقال: انْثالَ عليه الناس[3] مِن كلّ وجه؛ إذا انصَبّوا.[4]

قوله: (﴿لَأَتَوْهَا﴾)[5] أي: الفتنة. وقوله: (لجاءُوها وفعلوها) يعني: يجوز[6] أن يكون الإتيان بمعنى المَجيء، وهو ظاهر، ويجوز أن يكون بمعنى الفِعل، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ [مريم ٦١/١٩]، أي: مفعولًا.

قوله: (وقُرئ: ﴿لَآتَوْهَا﴾)[7] قال الشيخ في الكواشي: «﴿لَأَتَوْهَا﴾ قصرًا، أي: لَجاءوا الفتنة، ومَدًّا، أي: لأعطَوها السائلين».[8] وقوله: (﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا﴾) أي: بالفتنة.

---

[1] المُغرب للمطرّزي، «حزب».

[2] ن: قالت.

[3] ن: الباس.

[4] الصحاح للجوهري، «ثول».

[5] بالقصر قراءة نافع وأبي جعفر وابن كثير وابن ذَكوان بخُلف عنه. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٤٢/٢.

[6] ف: يجب.

[7] بالمدّ قراءة أبي عمرو ويعقوب وعاصم حمزة والكسائي وخَلف، وهو الوجه الثاني لابن ذكوان. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٤٢/٢.

[8] تفسير الكواشي، ٤١٤و.

وما أَلْبَثُوا إعطاءها ﴿إِلَّا يَسِيرًا﴾ رَيثمَا يكُون السُّؤالُ والجَوابُ من غيْرِ توقُّفٍ، أو: وَما لبِثُوا بالمَدينَة بعدَ ارتِدَادهم إلّا يسيرًا فإن الله يُهلِكُهم.

والمَعْنَى: أنَّهُم يتَعلَّلُونَ بِإعْوَارِ بيُوتِهِم ويتَمَحَّلُونَ ليَفِرُّوا عن نُصرَة رسول الله والمؤمِنينَ، وعن مُصَافَّة الأَحزاب الَّذِينَ مَلؤُوهم هَولًا ورُعْبًا، وهؤلاءِ الأَحزابُ كما هُم لو كَبَسوا عليهم أَرضَهُم ودِيَارَهُم وعُرِضَ عَلَيْهِم الكُفرُ وقيل لهم: «كُونوا عَلى المُسلمين» لسَارَعُوا إلَيْه وما تعَلَّلُوا بشَيءٍ، وما ذاك إلّا لِمَقْتِهم الإِسْلامَ وشِدَّةِ بُغضِهم لأَهْله، وحُبِّهم الكُفرَ وتهَالُكِهِم على حِزْبه.

﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾

وقوله: (وما أَلْبَثوا إعطاءَها)[١] أي: "الباء" في "بها" للتعدية، فلذا قال: "أَلْبَثوا"، فأتى بهمزة التعدية، ثمّ أشار إلى أنّ المضاف محذوف، أي: ما تلَبَّثوا بإعطائها. والضمير في "بها" للفتنة على هذا الوجه.

قوله: (رَيثما) تفسير ﴿يَسِيرًا﴾، أي: مقدارًا مِن الزمان يقع فيه السؤال والجواب. وبيانه أنّه مصدر "راثَ عليَّ خَبرُك يَرِيثُ رَيْثًا"، أي: أبْطَأَ.[٢] و"ما" مصدريّة، و"كان" تامّة. فالمعنى: زمانَ حصول السؤال والجواب. وقوله: (أو: وما لَبِثوا بالمدينة) فـ"الباء" بمعنى "في".

قوله: (ويتَمحَّلون) يقال: تمَحَّل، أي: احتالَ، فهو متمحِّل.[٣]

قوله: (لو كبَسوا) كبَسوا دارَ فلانٍ، أي: أغاروا عليها فجأةً.[٤]

قوله: (وتهالُكهم) مِن قولهم: "تهالَكَ الرجل على الفِراش"، أي: سقَط.[٥] وهو عبارة عن المحبّة للشيء حتى يُسقِط نفسه عليه ليحفظه عن العدوّ وعمّا يُصيبُه.

---

[١] وفي هامش د: الفتنة.
[٢] الصحاح للجوهري، «ريث».
[٣] الصحاح للجوهري، «محل».
[٤] الصحاح للجوهري، «كبس».
[٥] الصحاح للجوهري، «هلك».

عن ابن عبَّاس: عاهَدُوا رسولَ الله عليه السلام ليلةَ العَقَبةِ أن يَمنعُوه ممَّا يمنَعُون مِنه أنفُسَهُم.

وقيل: هُم قومٌ غَابُوا عن بَدْرٍ فقالُوا: لَئِنْ أشْهَدنَا اللهُ قتالًا لنُقَاتِلنَّ.

وعن محمَّد بن إسحاق: عاهَدُوا يومَ أُحُدٍ أن لا يَفرُّوا بعْدما نَزل فيهِمْ ما نَزلَ.

﴿مَسْـُٔولًا﴾: مَطْلُوبًا مُقتضًى حَتَّى يُوفَّى به.

﴿لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ﴾ ممَّا لا بدَّ لكُم مِن نُزولِهِ بكُم مِن حَتْفِ أَنْفٍ أو قتْلٍ، وإِن نَفعكُم الفِرارُ -مثَلًا- فمُتِّعتُم بالتَّأخِيرِ لم يكُن ذلك التَّمتيعُ إلَّا زَمانًا قليلًا.

وعن بعض المرْوَانيَّةِ: أنَّه مَرَّ بحَائطٍ مائلٍ فأَسْرَع، فتُلِيَتْ له هذِه الآيةُ، فقَال: ذلك القَليلَ نَطْلُبُ.

قوله: (أشهَدَنا الله) أي: أحضَرَنا الله.

قوله: (مقتضًى) هو اسم مفعول مِن "اقتضيتُ الدَّين"، أي: طلبتُ قضاءَه.

قوله: (ممَّا لا بدَّ لكم) "ممَّا" متعلِّق بـ"الفِرار"، و"لكم" خبرُ "لا"، و"مِن" متعلِّق بـ"لكم"؛ لأنَّه حال مِن الضمير المستتِر فيه العائدِ إلى "بُدَّ". ولا يجوز أن يكون شيء مِن هذين الجارَّين متعلِّقًا بقوله: "بُدَّ"، وإلَّا لكان شِبه مضاف، فكان[1] يجب نصبه، فتأمَّل. و(مِن حَتْفِ) بيان "ما لا بُدَّ".

قوله: (وإن نَفَعكم الفِرارُ)... إلخ إشارة إلى أنَّ في الكلام حذفًا، و"إذَن" جواب وجزاء لذلك المحذوف. وقوله: (مثلًا) إشارة إلى وجه ذلك المحذوف، وإلى أنَّه لمَّا قال تعالى: ﴿لَّن يَنفَعَكُمُ﴾ كيف يجوز أن يكون التقدير: وإن نفعَكم؟ / فأشار إلى أنَّه يجوز أن يُذكَر أو يُقدَّر ليُبنَى عليه المطلوب، كما [٢٨٠و]
قد يُفرض المُحالاتُ إذا تعلَّق بفَرضها غرَض، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ [الحشر ١٢/٥٩]. وقوله: (لم يكن) جواب "إنْ".

---

[1] ن: وكا.

﴿قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٧﴾

فإن قلتَ: كيفَ جُعِلَتِ الرَّحمةُ قرينةَ السُّوء في العِصمةِ ولا عِصْمَةَ إلَّا من السُّوء؟

قلتُ: مَعناه: "أَو يُصيبُكم بِسُوءٍ إنْ أرَادَ بكُم رحْمةً" فاختُصِر الكلامُ وَأُجري مُجْرَى قَوله:

مُـتَـقـلِّـدًا سـيـفًـا ورُمـحًـا

أو حُمِل الثَّاني عَلى الأوَّلِ لمَا في العِصْمَةِ من معْنى المَنْعِ.

﴿قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا ١٨﴾

﴿ٱلۡمُعَوِّقِينَ﴾: المُثبِّطِينَ عن رسُول الله صلى الله عليه وسلم وهُم المُنَافقُون، كانوا يقُولُون ﴿لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾ ....

قوله: (ولا عِصْمةَ) أي: ولا يقال: عَصَمَه مِن الرحمة.

قوله:

(مُـتَـقـلِّـدًا سـيـفًـا ورُمـحًـا)

يـا لـيـت بَـعْـلَـكِ قـد غـدا مـتـقـلِّـدًا سـيـفًـا ورُمـحًـا[1]

أي: حاملًا رُمحًا.

قوله: (مِن معنى المَنْع) كأنّه قيل: مَن ذا الذي يمنَعُكم مِن أمر الله، أو ممّا قدَّر الله تعالى؟

قوله: (المُتَثَبِّطين)[2] ثَبَّطه عن الأمر، أي: شغَله عنه.[3]

---

[1] بغير نسبة في الصحاح للجوهري، «قلد»؛ ولسان العرب لابن منظور، «قلد»، بلفظ: "زوجكِ" بدل "بعلكِ".

[2] وفي هامش ف: "المُثَبِّطين" ثَبَّطَه. | في مطبوع الكشّاف: "المُثبِّطين".

[3] الصحاح للجوهري، «ثبط».

من سَـاكِنِي المَدينةِ من أنصَار رسُول الله: ما مُحَمَّدٌ وأصحَابُه إلَّا أَكَلَةُ رَأسٍ، وَلو كانوا لحمًا لالتهمهُم أبو سفيَانَ وأصحَابُه، فخَلُّوهم و﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾؛ أي: قَرِّبُوا أنفُسَكم إلَيْنَا، وهي لُغَةُ أهْل الحجَاز يُسَوُّونَ فيه بَين الواحِد والجماعَةِ، وأمَّا تميمٌ فيقُولون: "هَلمَّ يا رَجُل" و"هَلمُّوا يا رجالُ"، وهو صَوتٌ سُمِّي بهِ فِعْلٌ مُتعَدٍّ مثل: أَحْضِرْ وقَرِّبْ: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ [الأنعام ٦/١٥٠].

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: إلَّا إتْيانًا قليلًا، يَخرجُونَ معَ المؤمِنِينَ يُوهِمُونَهُم أنهم معهم، ولا ترَاهُم يُبَارِزُونَ ويقَاتِلُون إلَّا شيئًا قليلًا إذا اضطُرُّوا إليه؛ كقوله: ﴿مَّا قَـٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب ٣٣/٢٠].

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ في وَقْتِ الحرْبِ؛ أضنَّاءُ بِكُم، ....

قوله: (مِن أنصار) بدل مِن (ساكني).

قوله: (إلّا أَكَلَةُ) يقال: هم أكَلَةُ رأس، أي: هم قليلون يُشبِعهم رأسٌ واحد.[١]

قوله: (لَالْتَهمَهُم) أي: ابتَلعَهُم. اللَّهْمُ: الابتلاع،[٢] وقد لَهِمهُ،[٣] أي: ابتلَعَه.[٤]

قوله: (أي: قَرِّبوا أنفسكم) إشارة إلى أنّه متعدٍّ حُذف مفعوله.

قوله: (وهي لغة) يعني: قوله تعالى: ﴿هَلُمَّ﴾، فإنّ هذه اللفظة في القرآن ههنا بلفظ المفرد، وعبَّر عنه المصنِّف بقوله: (هَلُمّوا).

قوله: (يَخرُجون) بيان الإتيان القليل.[٥] وقوله: (يُوهمونهم) حال.

قوله: (أَضِنَّآءَ) جمع "ضَنِين"؛ وهو البخيل، نحو: تقيّ وأتقياء، وشقيّ وأشقياء.

---

١ الصحاح للجوهري، «أكل».
٢ ن: ابتلاع.
٣ وفي هامش د ف: "لَهِمَ يَلْهَمُ".
٤ الصحاح للجوهري، «لهم».
٥ ن: العليل.

يترفرَفُونَ عَليكم كما يفعَلُ الرَّجل بالذَّابِّ عنه المُنَاضِل دُونَه عند الخَوف.

﴿يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ﴾ في تلك الحالةِ كمَا يَنْظُر المغشيُّ عَليه من مُعَالَجةِ سَكَراتِ المَوْت حَذَرًا وخَوَرًا ولِوَاذًا بكَ، فإذا ذهَب الخَوفُ وحيزَتِ الغَنائمُ ووقَعتِ القِسمة، نقَلُوا ذلك الشُّحَّ وتِلك الضِّنَّةَ والرَّفرَفَةَ عَلَيْكم إلى الخَيْرِ وهو المالُ والغَنيمَةُ، ونَسُوا تلك الحَالةَ الأُولَى، واجتَرؤُوا عَلَيْكم وضَربُوكُم بألسِنَتِهم،

وقوله: (يَترفْرَفون) رَفرَف الطائر إذا حرَّك جناحَه حول الشيء يريد أن يقع عليه.[١]

وقوله: (في تلك الحالة) أي: عند الخوف.

قوله: (وحِيزَت الغنائم) أي: جُمِعت. والحَوزُ: الجَمع. وكلّ مَن ضمّ إلى نفسه شيئًا فقد حازَه حَوْزًا وحِيازة، واحتازَه أيضًا.[٢]

قوله: (إلى الخير) وهو المال؛ لأنّهم كانوا أشحّة على المؤمنين، بأن كانوا يَدورون حولهم يتمنَّون نُصرتهم، ويريدون ظَفَرهم على الكافرين ليَسلَموا، فإنّهم يعلمون أنّه لو لَحِقَ المؤمنين ضررٌ وهلاكٌ مِن قِبَل أعدائهم لسَرى ذلك فيهم وهَلكوا، فمِن خَوفهم وجُبنهم كانوا يريدون ظَفَرَ المسلمين وقوّتَهم، لا للإيمان والإسلام. وهذا حالُهم عند إتيان البأس، فإذا انقضى الحرب وأمِنوا زال عنهم ذلك[٣] الشُّحُ على المؤمنين، وصاروا يَشُحُّون على المال والغنيمة. والحاصل أنّ همَّهم[٤] معقود بحظّ أنفسهم مِن سلامتهم أو جمع المال، فيلتجئون إليهم تارةً بإظهار المحبّة، ويطلبون نصيبهم مِن الغنيمة تارةً.

وإنّما فسّر المصنّف رحمه الله[٥] قولَه تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡ﴾ بما فسّر ليطابق[٦] مِن حيث المعنى قولَه تعالى بعد ذلك: ﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾، ولأنَّ استعمال هذا اللفظ لا يقتضي إلّا ذلك، فإنّ الشحّ على الشيء هو أن يُريدَ[٧] بقاءَه له،

١ الصحاح للجوهري، «رفف». | وفي هامش د ف: قوله: (المناضِل) المناضَلة: المراماة.
٢ الصحاح للجوهري، «حوز».
٣ ف – عنهم ذلك.
٤ وفي هامش د: "هِمَمَهُم" أصحّ.
٥ د – رحمه الله.
٦ ف: لتطابق.
٧ ن + أن.

وقالوا: وَفِّروا قِسمتَنا، فإنَّا قَدْ شَاهَدْناكُم وقَاتَلْنَا مَعكم، وبمَكانِنَا غَلَبْتُم عَدُوَّكم، وبنَا نُصِرتُم عَليه.

ونُصِبَ ﴿أَشِحَّةً﴾ على الحالِ، أو على الذَّمِّ.

ولا يريدَ أن يفوته. قال في الصحاح: «تَشاحَّ الرجلان على الأمر؛ لا يريدان[1] أن يَفوتهما، وفلان يُشاحّ[2] على فلان، أي: يَضِنُّ به».[3]

هذا تقرير كلام المصنّف وبيانه، وقال الواحدي في الوسيط: «﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ بُخلاءَ بالنفقة في سبيل الله والنصرة، والمعنى: لا ينصرونكم».[4] وقال في الكواشي: «المعنى: / لا يأتون الحرب إلّا بُخلاء بالظفَر للمسلمين، وبما يصِل إليهم مِن الغنيمة، وبقتالهم معهم».[5] [٢٨٠ظ]

وأنا أقول: لا يساعد استعمال اللفظ ما ذُكر في الوسيط والكواشي. ولمّا كان هذا المقام دقيقًا ذكرتُ ذلك ليتأمّل فيه، والله الموفّق.

قوله: (شاهَدْناكم) يقال: شهِدتُ الجُمَعَ، أي: أدركتها. والمَشهَد: مَحضَر الناس.[6] و"شاهدناكم": أي: أدركنا معكم المَشهد، أي: المعركةَ وموضعَ الحرب ومقاتلةَ الناس.

قوله: (وبمكانِنا) لفظ "مكان" زائد، أي: بِنا، يعني: بسبَبِنا. وقد مرّ فيما مرّ أنّ زيادة لفظ "المكان" يفيد معنى الكناية.

قوله: (ونُصب ﴿أَشِحَّةً﴾) "الأشحّة" جمع الشحيح؛ وهو البخيل. وقوله: (أو على الذمّ) وإذا كان منصوبًا على الذمّ كان المعنى: اذكُرْ أشحّةً على الخير، وكان إشارةً إلى أنّهم بهذا الاسم أشهَر وأعرَف منهم بغيره ممّا هو اسمهم وصفتهم. وهذا هو الغرَض في كلّ ما يَنتصب على المدح أو الذمّ.

---

١ ن: يريدون.

٢ ن: شاحّ؛ ف: تشاحّ.

٣ الصحاح للجوهري، «شحح».

٤ التفسير الوسيط للواحدي، ٤٦٣/٣ (الأحزاب، ١٩/٣٣).

٥ ن: منهم. | تفسير الكواشي، ٤١٤ظ.

٦ الصحاح للجوهري، «شهد».

وقرئ: "أشحّةٌ" بالرَّفعِ، و: "صَلَقُوكم" بالصَّاد.

فإن قلتَ: هَل يَثبُت للمُنافِق عَمَلٌ حَتَّى يَرِدَ عليه الإحْبَاطُ؟

قلتُ: لا، وَلِكنَّه تَعْليمٌ لمَن عسَى يَظُنُّ أنَّ الإيمانَ باللِّسان إيمانٌ وإن لم يُواطِئْه القَلبُ، وأنَّ ما يعمَلُ المنافقُ من الأَعْمَال يُجْدِي عليه، فبُيِّنَ أنَّ إيمانَهُ ليْسَ بإيمانٍ، وأنَّ كُلَّ عَملٍ يُوجَدُ مِنْه باطلٌ.

وفيه بَعْثٌ على إتْقَان المُكَلَّف أسَاسَ أمْره وهُو الإيمانُ الصَّحيحُ، وتَنْبِيهٌ عَلى أَنَّ الأَعْمالَ الكثيرةَ من غير تَصحِيح المَعْرفة كالبناء على غَيْر أسَاسٍ، وأنَّها ممَّا يَذْهَبُ عند اللهِ هبَاءً مَنْثُورًا.

فإن قلتَ: ما مَعْنى قَوله: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ وكُلُّ شيءٍ عليه يَسِيرٌ؟

قلتُ: مَعْناه: أنَّ أعمَالهم حقيقةٌ بالإحْبَاطِ تَدعُو إليه الدَّواعِي ولا يَصْرِفُ عنْهُ صَارِفٌ.

قوله: (بالصاد)[١] قال الفرّاء: «﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ و'صَلَقُوكُم' لغتان».[٢]

قوله: (وفيه بَعث) يعني: لمَا رَتّب قولَه: ﴿فَأَحْبَطَ﴾... إلخ على قوله: ﴿لَمْ يُؤْمِنُواْ﴾ كان ذلك بعثًا على إتقان الأساس، وتنبيهًا على أنّ العمل مِن غير المعرفة كالبناء مِن غير الأساس. والإتقان: الإحكام.[٣]

قوله: (هباءً منثورًا) "الهَباء": دُقاق التراب، والشيءُ المنْبَثُّ الذي تراه في ضوء الشمس.[٤]

قوله: (وكلّ شيء عليه يسير) جملة معترِضة.[٥]

قوله: (حقيقةٌ) أي: جديرة وخَليقة.

---

[١] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن أبي عَبلة. انظر: المحرّر الوجيز لابن عطيّة، ٣٧٦/٤ (الأحزاب، ١٩/٣٣)؛ وشواذّ القراءات للكرماني، ص ٣٨٤.

[٢] الصحاح للجوهري، «صلق».

[٣] ن: الإحكان.

[٤] مجمل اللغة لابن فارس، «هبو».

[٥] وفي هامش د ف: قوله: (قلتُ: معناه أنّ أعمالهم)... إلخ حاصل الجواب: أنّ المراد بـ"اليسير" ليس معناه الحقيقي، وإنّما المراد مَلزومه، وهو وجود المقتضي انتفاء المانع، فإنّهما مستلزمان لليُسر والسهولة، فيكون كناية، كأنّه قال: فأحبط الله أعمالَهم للمقتضي وانتفاءِ المانع.

﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿يَحْسَبُونَ﴾ أنَّ ﴿ٱلْأَحْزَابَ لَمْ﴾ يَنهزِمُوا وقد انهزَمُوا، فانصَرَفُوا عن الخَندَقِ إلى المدِينة راجِعينَ؛ لِمَا نزلَ بهمْ من الخَوف الشَّدِيدِ ودَخَلهم مِن الجُبْنِ المُفْرِطِ.

﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ﴾ كَرَّةً ثانِيةً تَمنَّوا لِخَوفهم مِمَّا مُنُوا به هذه الكرَّةَ أنَّهم خَارِجُونَ إلى البَدْوِ حَاصِلُون بيْنَ الأَعْراب ﴿يَسْـَٔلُونَ﴾ كُلَّ قادِمٍ مِنْهُم مِن جانب المَدينةِ عن أخبَاركُم وعمَّا جَرَى عَلَيْكُم.

﴿وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم﴾ ولم يَرْجعُوا إلى المَدِينةِ، وكان قِتَالٌ، لم يُقَاتِلُوا إلَّا تَعِلَّةً رِياءً وسُمعَةً.

وقُرِئَ: "بُدًّى" عَلى فُعَّلٍ جمعُ بادٍ؛ كغَازٍ وغُزًّى، وفي روَايةِ صَاحبِ الإقْليد: "بَدِيًّا" بوَزْن عَدِيّ.

و: ﴿يَسَّاءلُونَ﴾؛ أي: يتساءلُونَ، وَمَعْناه: يقُولُ بَعضُهم لبَعضٍ: ماذا سَمِعْتَ؟ ماذا بَلغكَ؟ أو يتَساءلُونَ الأعْرابَ، كما تَقُول: رأيتُ الهِلالَ وتراءيْنَاهُ.

قوله: (وقد انهزموا) معترِضة، أو حال مِن (يَحسِبون). وقوله: (فانصرفوا) عطفٌ على "يَحسَبون"، أي: يحسَب المُعوِّقون أنّ الأحزاب لم ينهزموا، وقد انهزَم الأحزاب، فانصرف المُعوِّقون بناء على ذلك الحُسبان. فأشار المصنّف إلى أنّ في الكلام حذفًا.

قوله: (مُنُوا به) أي: ابتُلوا، مِن قولهم: مَنَوْتُهُ ومَنَيْتُه إذا ابتليتَه.[1]

قوله: (إلّا تَعِلّةً) يشير[2] بقوله: (تَعِلّةً ورياءً)[3] أنّ ذلك لمّا كان برياءٍ كان قليلًا، ولو كان عن إيمان وإخلاص كان كثيرًا. ويقال: عَلَّله بالشيء، أي: ألْهاهُ به، كما يُعلَّلُ الصبيُّ بشيء مِن الطعام يتجزَّأ به عن اللبَن. يقال: فلان يُعلِّل نفسَه بتَعِلّة.[4]

قوله: (أو يتساءلون الأعرابَ) أي: يجوز أن يكون "تفاعلَ" بمعنى "فَعَلَ".

---

[1] الصحاح للجوهري، «منا».
[2] ف: يُشر.
[3] في مطبوع الكشّاف: "تعِلّة رياءً" بغير واو.
[4] الصحاح للجوهري، «علل».

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾

كان عَليكُم أن تُوَاسُوا رسُول الله بأنفُسِكم فتُؤازِرُوهُ وتَثْبُتُوا مَعهُ كَما آسَاكم بنَفْسِه في الصَّبر عَلى الجهَادِ والثَّباتِ في مَرْحَى الحَرْبِ حَتَّى كُسرَتْ ربَاعِيَتُه يومَ أُحُدٍ وشُجَّ وَجْهُهُ.

فإن قلتَ: فمَا حَقِيقَةُ قَوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ -وقرئ: ﴿أُسْوَةٌ﴾ بالضـم-؟

قلتُ: فيه وجهَان:

أحَدُهما: أنَّه في نفسِه أسْوةٌ حسنَةٌ؛ أي: قِدْوَةٌ، وهو المُؤتَسَى به؛ أي: المُقتَدَى به، كما تقُول: في البَيْضَةِ عشرونَ منَا حَديدٍ؛ أي: هيَ في نَفْسِهَا هذا المَبلَغُ مِن الحَدِيدِ.

والثَّاني: أَنَّ فيه خصْلَةً من حَقِّها أَنْ يُؤتَسى بهَا وتُتَّبعَ، وَهي المُواسَاةُ بنَفْسِه.

﴿لِّمَن كَانَ﴾ بَدَلٌ منْ ﴿لَكُمْ﴾؛ كقَولـه: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف ٧/٧٥].

قوله: (كان عليكم أن تُواسُوا) أي: تجعلوا أنفسَكم مُقتديًا برسول الله صلّى الله عليه وسلّم؛[١] إذ[٢] كُسِرت رَباعِيَتُه، وشُجّ حاجِبُه، وقُتل عمُّه، فواساكم مع ذلك بنفسه، فهلّا فعلتم مثلَ ما فعل. وسيط.[٣] قال في المُغرب: «يقال: آسَيْتُه بمالي، أي: جعلتُه إسْوةً أقتدي به ويَقتدي هو بي. وواسَيتُ لغة ضعيفة».[٤]

قوله: (مَنَا حديدٍ) "المَنَا" -مقصور-: الذي يوزَن به، ومَنَوان وأمْناء، وهو أفصحُ مِن "المَنّ".[٥]

---

١ د: عليه السلام.
٢ ن: إذا.
٣ التفسير الوسيط للواحدي، ٤٦٤/٣ (الأحزاب، ٢١/٣٣).
٤ المُغرب للمطرّزي، «أسو». | وفي هامش د ف: قوله: (مَرْحى الحرب) رَحَوتُ الرَّحا ورَحَيتها إذا أدرتَها. صحاح. | الصحاح للجوهري، «رحى».
٥ الصحاح للجوهري، «منا».

﴿يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ مِن قَولك: رجَوْتُ زيْدًا وفَضْلَه، أي: فضْلَ زيْدٍ، أو: يرجُو أيَّامَ اللهِ واليَومَ الآخِرَ خصُوصًا، والرَّجاءُ بمَعنى الأمَلِ أو الخَوفِ.

﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ وقرَنَ الرَّجاءَ بالطَّاعَات الكَثِيرَةِ والتَّوفُّرِ على الأعمال الصَّالِحَةِ، والمُؤتَسي برَسُول الله مَن كان كذلك.

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾

وعَدهُم اللهُ أَنْ يُزلزَلُوا حَتَّى يَسْتَغِيثُوهُ ويَستنْصِرُوهُ في قَوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم﴾ [البقرة ٢/٢١٤]، فلمَّا جاءَ الأحزابُ وشُخِصَ بهم واضطربُوا ورُعِبُوا الرُّعْبَ الشَّدِيدَ ﴿قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ وأيقَنُوا بالجنَّة والنَّصْر.

وعن ابن عبَّاسٍ: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم لأصحَابهِ: «إنَّ الأحْزَابَ سَائرُونَ إليْكم تِسْعًا أو عَشرًا»؛ أي: في آخِر تسْعِ ليَالٍ أو عَشْرٍ، فلمَّا رَأوهُم قَد أقبَلُوا للميعَاد قالُوا ذلِك.

و﴿هَٰذَا﴾ إشارةٌ إلى الخَطْبِ أو البَلاء ﴿إِيمَٰنًا﴾ بالله وبمَواعِيدِه ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ لقضَاياه وأَقْدَارِه.

قوله: (والمُؤتسي) مبتدأ، و(مَن كان) خبره. فمعنى الآية: إنَّ المقتدي بالرسول صلّى الله عليه وسلّم[١] مَن يرجو[٢] ويعمل، فمَن لم يجمع بين الرجاء والعمل الصالح فليس مقتديًا بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم.[٣]

/ قوله: (وشُخِص بهم) شَخَص بَصَرُه، فهو شاخصٌ؛ إذا فتح عينيه وجعل لا يَطرِفُ. يقال للرجل إذا ورَد[٤] عليه أمرٌ: شُخِصَ به.[٥] [٢٨١و]

---

١ د: عليه السلام.

٢ ف: يرجوا.

٣ د: عليه السلام.

٤ ن: أورد.

٥ الصحاح للجوهري، «شخص».

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾

نَذرَ رِجَالٌ من الصَّحَابة أنَّهم إذا لَقُوا حَرْبًا مع رسُول الله ثَبتُوا وقَاتَلُوا حتَّى يُستَشهَدُوا، وهُم: عثمانُ بن عفَّانَ، وطلحةُ بن عُبَيد الله، وسَعيدُ بنَ زيد بن عَمرو بن نُفَيْلٍ، وحَمْزةُ، ومُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ وغَيْرُهم.

﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ يَعني: حَمْزَة ومُصْعَبًا.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ يَعْني: عثمانَ وطَلحةَ، وفي الحَديثِ: «مَن أحَبَّ أن يَنظُر إلى شَهيدٍ يَمشِي عَلى وَجه الأرْض فَليَنظرْ إلى طَلْحةَ».

فإن قلتَ: ما قضَاءُ النَّحْبِ؟

قلتُ: وَقعَ عِبَارةً عن المَوْتِ؛ لأنَّ كلَّ حَيٍّ لا بُدَّ لَهُ مِن أن يمُوتَ، فكأنَّه نَذْرٌ لازِمٌ في رَقبَتهِ فإذا ماتَ فقَد قضَى نحْبَهُ؛ أي: نَذْرَهُ، وقولُه: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ يَحْتمِلُ مَوْتَه شهِيدًا، ويَحْتمِلُ وفاءَهُ بنَذْرِه من الثَّباتِ مَع رسُول الله.

فإن قلتَ: فما حَقِيقةُ قَوله: ﴿صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾؟

قلتُ: يُقالُ: صَدَقنِي أَخُوكَ وكَذَبنِي، إذا قَالَ لكَ الصِّدْقَ والكذِبَ، وأمَّا المثَلُ: "صَدَقني سنَّ بَكْرِه"، فمعْنَاه: في سِنِّ بَكْرِه، بطرحِ الجَارِّ وإيصَالِ الفِعْل،

قوله: (إذا لَقُوا حِزبًا)[١] أي: إذا لقُوا وهُم مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.[٢]

قوله: («سِنَّ بَكْرِهِ»)[٣] البَكر: الفَتيُّ مِن الإبل. قال أبو عُبيد:[٤] «البَكر مِن الإبل بمنزلة الفتى مِن الناس».[٥]

١ في مطبوع الكشّاف: "حربًا".

٢ د: عليه السلام.

٣ «صدَقني سِنَّ بَكره» يُضرب مَثلًا في الصدق. وأصله أنّ رجلًا ساوَم رجلًا في بَكر، فقال: «ما سِنّه؟»، فقال صاحبه: «هِدَع هِدَع»، وهذه لفظة يسكَّن بها الصغار مِن الإبل، فلمّا سمع المشتري هذه الكلمة، قال: «صدَقني سِنَّ بَكره». ونصب "سِنَّ" على معنى: عرّفني سِنَّ. ويجوز أن يقال: أراد: صدَقني خبرَ سِنّ، ثمّ حُذف المضاف. ويُروى: "صَدَقني سِنُّ" بالرفع، جُعل الصدق للسنّ توسّعًا. مجمع الأمثال للميداني، ٣٩٢/١.

٤ في مطبوع الصحاح: "أبو عبيدة".

٥ الصحاح للجوهري، «بكر».

فلَا يَخْلُو ﴿مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ إمَّا أن يكُون بمنْزلةِ السِّنِّ في طرْحِ الجَارِ، وإما أَنْ يُجْعَل المُعَاهَدُ عَليه مَصْدُوقًا عَلى المجَازِ؛ كَأَنَّهم قالُوا للمُعَاهَدِ عَليه: "سَنَفِي بكَ"، وهُم وَافُونَ به، فقَد صَدقُوهُ، ولو كانُوا ناكِثِينَ لكَذَبُوه ولَكَانَ مكذُوبًا.

﴿وَمَا بَدَّلُواْ﴾ العهْدَ ولا غَيَّرُوهُ، لا المُسْتَشهَدُ ولا مَن يَنْتَظِرُ الشَّهادَة، ولقد ثبت طَلْحةُ مَع رسُولِ الله يومَ أُحُدٍ حَتَّى أُصيبَتْ يَدُه، فقَال رسُول الله صلى الله عليه وسلم: «أَوْجَبَ طَلْحةُ».

وفيه تعْرِيضٌ بمَنْ بَدَّلُوا من أَهْلِ النِّفَاقِ ومَرَضِ القُلُوبِ، جُعِل المُنافِقُونَ كأنَّهم قصَدُوا عَاقبةَ السُّوء وأرَادُوهَا بتَبْدِيلِهم كما قصَد الصَّادِقُونَ عاقبةَ الصِّدْقِ بوفَائِهم؛ لأنَّ كِلَا الفَرِيقينِ مَسُوقٌ إلى عَاقبَتِهِ من الثَّوابِ والعقَابِ فكأنَّهما استوَيا في طَلَبِهَا والسَّعْيِ لتَحصيلها.

قوله: (لا المُستَشهَدُ) أي: الذي جُعل شهيدًا.

قوله: («أوجَبَ طَلحةُ»)[1] أي: أوجَب الجنّةَ لنفسه.

قوله: (جُعِل المنافقون)... إلخ، ولمّا كان في قوله تعالى: ﴿وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ تعريض بِمَن بدّلوا كان المُبدِّلون كأنّهم مذكورون، فلذلك أشار المصنّف إلى أنّ قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ﴾... إلخ متعلِّق بالفريقين، فقال: "جُعل المنافقون"... إلخ، ثمّ بيّن أنّ "اللام" أصله الغرَض والعِلّيّة، وقد يُستعمل بطريق المجاز لمجرَّد الترتّب،[2] وهنا كذلك؛ لأنّه وإن أمكن تحقيق الغرَض والعِلّيّة في ﴿لِيَجْزِيَ﴾ لا يمكن في ﴿يُعَذِّبَ﴾، فيجب أن يُفسَّر بمجرّد الترتيب؛ لئلّا يلزم استعمال اللفظ في معنَيَين مختلفين. وهذا الكلام مِن المصنّف إشارة إلى جواب سؤال سائل يقول: إنّ صِدقَ ما عاهد الرجال يكون سببًا وعلّة[3] لجزائهم بصدقهم، فيظهر معنى "اللام" في قوله: ﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، ولا يصحّ أن يكون سببًا لعذاب المنافقين، فكيف قيل: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾؟

---

[1] الكشف والبيان للثعلبي، ٣٧٥/٢١ (الأحزاب، ٢٣/٣٣). وقوله: «أوجَبَ طلحة» في مسند أحمد، ٣٣/٣ (١٤١٧)؛ وسنن الترمذي، ٢٥٣/٣ (١٦٩٢)، بغير هذا السياق.

[2] ف: الترتيب.

[3] ف: وعلّته.

﴿لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾

ويُعَذِّبَهُم ﴿إِن شَآءَ﴾ إذا لم يتُوبُوا ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ إذا تَابُوا.

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: الأَحْزابَ ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾: مَغِيظِين؛ كقَوله: ﴿تُنْبِتُ بالدهن﴾ [المؤمنون ٢٠/٢٣]، ﴿لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا﴾: غَيرَ ظَافِرِينَ، وهُمَا حَالانِ بتدَاخُلٍ أو تعَاقُبٍ، ويجوز أن تكُونَ الثَّانِيَةُ بيَانًا لِلأُولَى أو استِئنَافًا.

﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾: بالرِّيحِ والمَلائكةِ.

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ﴾ ظَاهَرُوا الأَحْزَابَ ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ﴾: من حُصُونهم، والصِّيصِيَةُ: ما يُتَحصَّنُ به، يقَال لقَرْنِ الثَّورِ والظَّبي: صِيصِيَةٌ، ولشَوْكَةِ الدِّيكِ، وهي مِخْلَبُه الَّتي في سَاقِه لأنَّه يَتَحصَّنُ بها.

رُوي: أنَّ جبريل عليه السلام أَتَى رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم صَبِيحَةَ اللَّيْلة التي انهَزَم فيهَا الأَحْزَابُ ورَجَعَ المُسْلِمُونَ إلى المَدِينةِ ووَضعُوا سِلاحهُم عَلى فرَسِه الحيْزُومِ والغُبَارُ على وَجْهِ الفرسِ وعَلى السَّرْجِ فقَالَ: «ما هَذا يا جبريلُ؟»

قوله: (﴿بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون ٢٠/٢٣]) أي: ملتبسًا بالدُّهن.[١]

قوله: (فقال: «ما هذا»)[٢] أي: ما هذا الغُبار؟ فقال جبريل: "هذا الغبار على وجه الفرس حصل مِن متابعة".

---

[١] وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾، أي: عاونوا الأحزاب من قريش وغَطفان على رسول الله عليه السلام والمؤمنين، وهم بنو قريظة.

[٢] انظر: سيرة ابن هشام، ٢٣٣/٢؛ ودلائل النبوّة لأبي نعيم، ص ٥٠٣.

قال: مِن مُتَابعَةِ قُرَيْشٍ، فجَعل رسُولُ الله يَمسَحُ الغبَارَ عن وجْه الفَرسِ وعَن سرْجهِ، فقَالَ: يا رسُولَ الله، إنَّ الملائكة لم تضَعِ السِّلاحَ، إنَّ الله يَأمُركَ بالسَّيْرِ إلى بَنِي قُرَيْظَةَ وأَنا عَامِدٌ إليْهم، فإن الله دَاقُّهم دَقَّ البَيْضِ على الصَّفَا، وإنَّهُم لكُم طُعْمَةٌ، فأَذِّنْ في النَّاسِ: أنَّ مَن كان سَامِعًا مُطِيعًا فلا يُصَلِّ العَصْرَ إلَّا في بني قريظة، فما صَلَّى كثيرٌ من النَّاسِ العَصْرَ إلا بعدَ العِشَاء الآخِرةِ؛ لِقَولِ رسُولِ الله. فحَاصَرَهُم خمسًا وعِشرين ليْلةً حَتَّى جَهَدَهُم الحصَارُ، فقالَ لَهُم رسُول الله: «تَنزِلُونَ على حُكْمِي؟» فَأَبوا فقَال: «عَلى حُكْمِ سَعد بن مُعَاذٍ؟» فَرَضُوا به، فقَال سَعْدٌ: حَكمْتُ فيهم أَن تُقتَلَ مُقَاتِلَتُهمْ وتُسْبَى ذرَارِيُّهُم ونِسَاؤُهم، فكَبَّر النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم وقال: «لقَد حَكمتَ بحُكمِ الله مِن فَوقِ سَبْعَةِ أَرقِعَةٍ»، ثُمَّ اسْتَنْزلَهُم وخَنْدَقَ في سُوْقِ المَدينةِ خَنْدَقًا، وقَدَّمَهُم فضَربَ أعْنَاقهُم وَهُمْ من ثمانِ مئةٍ إلى تِسعِ مئة، وقيل: كانُوا سِتَّ مئةِ مُقَاتِلٍ وسَبْعَ مئةِ أَسِيرٍ.

قوله: («دَقَّ البيضِ») أراد بـ"البيض" بيضَ الطائر، فإنّه إذا دُقَّ على الحصا[1] -وهو الحجَر- لا يبقى سالمًا.

قوله: (فقال لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:[2] «تَنْزِلون») يجوز أن يكون «تَنْزِلون» بمعنى الاستفهام حُذف منه حرف الاستفهام، ويجوز أن يكون خبرًا في معنى الطلب، أي: انزِلوا.

قوله: («أرْقِعة»)[3] الرَّقِيعُ: سماء الدنيا، وكذلك سائر السماوات؛ لأنّ كلَّ طَبَق رَقيع للآخر، وفي الحديث: «مِن فوق سبعة أرْقِعة». جاء به على لفظ التذكير كأنّه ذُهب به إلى السقف.[4] والمعنى: أنّ هذا الحُكم مكتوب في اللَّوح المحفوظ، وهو فوق السماوات.

---

١ كذا في الأصول الخطيّة، والعبارة في الكشّاف: "دقَّ البيضِ على الصفا". و"الصفا" جمع صَفاة؛ وهي الصخرة المَلساء. انظر: الصحاح للجوهري، «صفا».

٢ د: عليه السلام.

٣ انظر: جامع البيان للطبري، ٧٨/١٩ (الأحزاب، ٢٦/٣٣)؛ والكشف والبيان للثعلبي، ٣٩٢/٢١ (الأحزاب، ٢٥/٣٣).

٤ الصحاح للجوهري، «رقع».

وقُرئ ﴿ٱلرُّعْبَ﴾ بسكون العينِ وضَمِّهَا، و: "تَأْسُرُونَ" بضمِّ السِّين.

ورُوي: أنَّ رسُول الله جعَل عَقَارَهُم للمُهَاجِرينَ دون الأَنصَار، فقَالَتْ الأنصَار في ذلك فقَال: «إنّكُم في منَازِلكُم»، وقال عُمَر: أمَا تَخمُسُ كمَا خَمَسْتَ يَومَ بَدْرٍ؟ قال: «لا؛ إنَّما جُعِلَتْ هَذه لي طُعْمةً دُون النَّاس»، قَالُوا: رَضِينَا بما صَنع اللهُ ورسُولُه.

﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ عن الحَسن: فارِسُ والرُّومُ. وعن قتادةَ: كنَّا نُحدَّثُ أنَّها مَكَّةُ.

وعن مُقاتلٍ: هيَ خيبرُ.

وعن عِكرمة: كُلُّ أرْضٍ تُفْتَحُ إلى يَوم القِيَامةِ.

ومن بدَع التَّفاسِير: أنَّه أرَاد نساءَهُم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾

أرَدْنَ شيئًا مِن الدُّنيا مِن ثِيَابٍ وزيَادةِ نفقَةٍ وتغَايَرْنَ فغمَّ ذلك رسُولَ الله فنزَلتْ. فبَدأ بعَائِشةَ وكانت أَحَبَّهُنَّ إليه فخيَّرها وقرأ عليها القرآنَ فاختارَت اللهَ ورسولَهُ والدَّارَ الآخرةَ، فَرُؤِيَ الفَرحُ في وَجْه رسُول الله، ثم اختَارتْ جميعُهُنَّ اختيَارَها،

قوله: (أَرَدْنَ شيئًا) أي: أرادت نساء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.[١]

قوله: (وتغايَرنَ)[٢] أي: غارتْ بعضُهُنَّ على بعض.

قوله: (فرُئِيَ الفرحُ) "فرُئيَ" فِعلٌ ماضٍ مجهول مِن الرؤية. يعني: فَرِح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[٣] بذلك حتى ظهر البِشْر وآثار الفرح في وجهه صلّى الله عليه وسلّم.[٤]

---

[١] د: عليه السلام.

[٢] وفي هامش د ف: مِن "الغيرة".

[٣] د: عليه السلام.

[٤] د: عليه السلام.

فشكَرَ اللهُ لهنَّ ذلك فأنْزلَ: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ [الأحزاب ٣٣/٥٢].

ورُوِيَ أنّه قال لعائشةَ: «إنِّي ذَاكِرٌ لكِ أمْرًا ولا عَليْكِ أن لا تَعْجَلي فيه حَتَّى تَسْتَأمِري أَبَويكِ» ثمَّ قَرأ عَليْها القرآنَ، فقَالت: أَفِي هذا أَستَأمِرُ أَبوَيَّ؟ فَإنِّي أُرِيدُ اللهَ ورَسُولَه والدَّارَ الآخِرَة.

ورُوي أنَّها قالَتْ: لا تُخْبِرْ أزوَاجَكَ أنِّي اختَرْتُكَ، فقال: «إنَّما بَعثَني اللهُ مُبَلِّغًا وَلم يَبْعَثْنِي مُتَعَنِّتًا».

فإن قلتَ: ما حُكمُ التَّخييرِ في الطَّلاق؟

قلتُ: إذا قال لها: اختَارِي، فقالَتْ: اختَرْتُ نَفْسِي، أو قال: اختارِي نفسَكِ، فقالَتْ: اختَرتُ، -لا بُدَّ من ذِكر النَّفسِ في قولِ المُخيِّرِ أو المُخيَّرَةِ- وقعَتْ طَلْقةٌ بَائنةٌ عند أبي حنيفة وأصحَابِه رحمهم الله، وَاعتَبرُوا أنْ يكُونَ ذلك في المجْلسِ قبلَ القيَام أو الاشتِغالِ بما يَدُلُّ على الإعْرَاضِ.

واعتَبر الشَّافعيُّ رحمه الله اختِيَارَهَا على الفَوْر، وهي عِندهُ طَلْقةٌ رَجْعيَّةٌ، وهُو مَذهبُ عُمَر وابنِ مَسْعُودٍ.

وعن الحسن وقتادةَ والزُّهْريِّ: أمْرُهَا بيَدِهَا في ذلك المجْلسِ وفي غيْرِه.

وإذا اختَارَتْ زوْجَها لم يَقعْ شَيءٌ بإجْماع فُقهَاء الأمْصَار.

قوله: (فشَكَر) أي: جزاهم[١] الله تعالى جزاءَ فِعلهم، فنزل: ﴿لَا يَحِلُّ[٢] لَكَ ٱلنِّسَآءُ﴾.

قوله: («ولا عليكِ») أي: لا بأس عليكِ.

قوله: («حتّى تستأمري»)[٣] الاستئمارُ والتآمر: المشاوَرة. فمعنى "تستأمِري": تُشاوري.

قوله: (لا بُدَّ) جملة معترِضة.

قوله: (في المجلس) أي: في مجلس التخيير، ولا يشترط أن يكون على الفور.

---

١ ن ف: جازاهم.

٢ في الأصول الخطّيّة: ﴿لَا تَحِلُّ﴾ بالتاء، وهي قراءة أبي عمرو ويعقوب. وقرأ باقي العشرة بالياء. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٤٩.

٣ انظر: صحيح البخاري، ٣/١٣٣ (٢٤٦٨)؛ صحيح مسلم، ٢/١١٠٣ (١٤٧٥).

وعن عائشةَ رضي الله عنها: خيَّرَنا رسُولُ الله فاختَرْناهُ وَلم يَعُدَّهُ طَلاقًا، ورُوِيَ: أفكَانَ طَلاقًا؟

وعن عليّ رضي الله عنه: إذا اختَارَتْ زوْجَها فواحِدَةٌ رَجْعِيَّةٌ، وإن اختارَتْ نفسَها فواحِدَةٌ بائنةٌ.

ورُوي عَنْهُ أيضًا: أنَّها إن اختَارَتْ زوْجَهَا فليْسَ بشَيءٍ.

أصْلُ "تعَالَ": أنْ يقُوله مَن في المكانِ المُرتفعِ لِمَن في المَكان المُستَوطِئِ، ثمَّ كثُرَ حَتَّى استَوتْ في استِعمَاله الأمكنَةُ، ومَعنى "تعَالَيْنَ": أقبِلْنَ بإرَادَتِكُنَّ واختيَارِكُنَّ لأحدِ أمْرَينِ، ولم يُرِدْ نهُوضَهُنَّ إليه بأنفُسِهِنَّ، كمَا تقُولُ: أقبَلَ يُخَاصِمُنِي، و: ذَهبَ يُكَلِّمني، و: قامَ يُهَدِّدُني.

﴿أُمَتِّعْكُنَّ﴾: أُعْطِكُنَّ مُتعَةَ الطَّلاقِ.

فإن قلتَ: المُتعَةُ في الطَّلاق واجبَةٌ أم لا؟

قلتُ: المُطَلَّقة التي لم يُدْخَلْ بها ولم يُفرَضْ لها في العَقْدِ مُتْعَتُها واجِبَةٌ عند أبي حنيفة وأصحَابهِ رحمه الله، وأمَّا سَائرُ المُطَلَّقَاتِ فمُتْعَتُهُنَّ مُسْتَحبَّةٌ.

وعن الزُّهريِّ: مُتْعَتَان: إحْدَاهُما يَقضِي بها السُّلطانُ: مَن طَلَّقَ قَبْلَ أن يَفرِضَ ويَدْخُلَ بها، والثانيةُ حَقٌّ على المُتقِين: مَن طَلَّقَ بَعْدَ ما يَفرِضُ ويَدخُلُ.

قوله: («أفَكَانَ طلاقًا؟»)[1] هذا بطريق الإنكار، يعني: لم يكن طلاقًا.

[٢٨١ظ] قوله: (بإرادتكنّ) "الباء" في "بإرادَتكنّ" للتعدية، / والأَولى أن نقول للملابسة. وقوله: "بإرادَتكنّ" حال، أي: أقْبِلْنَ مُريداتٍ مختاراتٍ غيرَ مجبَراتٍ؛ بل طائعاتٍ.

قوله: (وعن الزُّهري: «متعتان»)... إلخ[2] معنى كلام الزُّهري: أنّ المُتعة الأولى واجبة، والثانية مستحبّة. وقوله: (مَن طَلَّق) بدل مِن (إحداهما)، والمضاف محذوف، أي: إحدى المُتعتين متعة مَن طلّق. وكذا قوله ثانيًا: (مَن طلّق) بدل مِن (الثانية).

---

١ انظر: صحيح البخاري، ٤٣/٧ (٥٢٦٣)؛ صحيح مسلم، ١١٠٤/٢ (١٤٧٧).

٢ جامع البيان للطبري، ٢٩٨/٤ (البقرة، ٢٣٦/٢)؛ تفسير عبد الرزّاق، ٩٥/١ (البقرة، ٢٣٦/٢).

وخَاصمت امرأةٌ إلى شُرَيحٍ في المُتعَةِ فقال: مَتِّعْهَا إن كُنْتَ من المُتَّقِينَ ولم يُجْبِرْهُ.

وعن سعيد بن جُبَيْرٍ: المُتعَةُ حَقٌّ مَفرُوضٌ.

وعن الحَسن: لِكُلِّ مُطَلَّقَةٍ مُتْعَةٌ إلَّا المُختَلِعةَ والمُلاعِنَةَ.

والمتعَةُ: درْعٌ وَخِمارٌ ومِلْحَفَةٌ عَلى حَسَبِ السَّعةِ والإقتَارِ، إلَّا أَنْ يكُونَ نصْفُ مَهْرِها أقَلَّ من ذلك فيَجب لها الأقَلُّ منهُما، ولا يُنقَصُ مِن خمسَةِ دَراهِمَ؛ لأنَّ أقَلَّ المَهْرِ عشرَةُ دَراهِمَ فَلا يُنقَصُ مِن نصْفِها.

فإن قلتَ: ما وَجْهُ قراءة مَن قَرأ: "أُمتِّعُكنَّ وأُسَرِّحُكُنَّ" بالرَّفعِ؟

قلتُ: وَجْهُه الاستِئنافُ.

﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ من غَيْر ضِرارٍ طَلَاقًا بالسُّنَّةِ.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾

قوله: (والمتعةُ: دِرْع)... إلخ ما هو المختار في مذهب الشافعي رضي الله عنه[1] أنّ المتعةَ لمفارَقةٍ يكون مفارَقتها لا بسببها، ولا يكون لها مَهر أصلًا لكونها مُفوِّضةً غيرَ مدخول فيها، ولِمُفارَقةٍ لا بسببها ولها كلّ المَهْر لكونها مدخولًا بها. وأمّا المفارَقةُ التي يكون الفِراق بسببها فلا يجب لها المتعة، وكذا التي لها نصف المهر، لكونها غيرَ مفوّضة ولم يدخل بها، فلا يجب لها المتعة.[2] وقَدْرُ المتعة ما يرى القاضي لائقًا بالزوجين، سواء زاد على نصف المهر أو لم يَزِد.[3]

---

[1] د - رضي الله عنه.

[2] انظر: الحاوي للماوردي، ٩/٤٧٥؛ ومغني المحتاج للخطيب الشربيني، ٣٩٨/٤.

[3] انظر: الحاوي للماوردي، ٩/٤٧٧؛ ومغني المحتاج للخطيب الشربيني، ٣٩٩/٤.

﴿مِنكُنَّ﴾ للبيَان لا للتَّبعيضِ.

"الفاحِشةُ": السَّيِّئةُ البَليغَةُ في القُبْحِ وهيَ الكَبيرةُ، و"المُبيِّنةُ": الظَّاهِرُ فُحْشُهَا، والمُرادُ: كُلُّ ما اقتَرَفنَ من الكبَائرِ.

وقيل: هي عِصْيَانُهُنَّ رسُولَ الله ونُشُوزُهُنَّ، وطَلَبُهُنَّ منه مَا يَشُقُّ عَليه، أو ما يَضِيقُ به ذَرْعُهُ ويَغْتَمُّ لأَجْلِه.

وقيل: الزِّنَا، واللهُ عَاصِمٌ رسُولَه مِن ذلك كمَا مَرَّ في حَديثِ الإفك.

وإنَّما ضُوعِفَ عَذابُهنَّ لأنَّ ما قَبُحَ مِن سَائر النِّسَاء كان أقبَحَ مِنهُنَّ وأقبَحَ؛ لأنَّ زيَادَةَ قُبحِ المعْصيَةِ تتبَعُ زيادةَ الفَضْلِ والمرْتَبة، وزيَادةَ النِّعمة على العَاصي من المَعْصيّ، ولَيس لأحَدٍ مِن النسَاءِ مثْلُ فَضْلِ نسَاء النبيّ، ....

قوله: (لا للتبعيض) يعني: أنّ "مِن" في قوله تعالى: ﴿لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ﴾ للبيان، ولا يجوز أن تكون للتبعيض؛ لأنّ جميعهنّ مُحسِنات، لا بَعضهنّ دون بعض.

قوله: (و"المُبَيّنة": الظاهرُ فُحشُها) يعني: أنّ "بيّن" ههنا بمعنى "بانَ" و"تَبيّنَ"، يقال: بانَ الشيء بيانًا، وأبانَ واسْتبانَ وبيّنَ وتبيَّنَ إذا ظهر.[1]

قوله: (وما[2] يَضيق به ذَرْعُهُ) يقال: ضِقْتُ بالأمر ذَرْعًا؛ إذا لم تُطِقْهُ ولم تَقْوَ،[3] وأصل الذَّرع إنّما هو بَسْط اليد، فكأنّك تريد: مَدَدْتُ يدي إليه فلم تَنَلْهُ، وربّما قالوا: ضِقْتُ به ذِراعًا.[4]

قوله: (والله عاصم) كالردّ لهذا الوجه. ويحتمل أن يكون هذا على طريق الفرض، مع أنّه لا يقع أصلًا. وقد مرّ مثله.

قوله: (وإنّما ضُوعِف عَذابُهنّ)... إلخ بيّن سبب مضاعفة عذابِهنَّ بمقدّمتين: الأولى: أنّ المعصية منهنّ أقبحُ منها مِن غيرهنّ، وهي مِن قوله: (لأنَّ) إلى قوله: (مِن النعمة). والثانية: أنّه متى كان كذلك كان استحقاقهنّ أشدّ،

---

[1] المُغرب للمطرّزي، «بين».
[2] في مطبوع الكشّاف: "أو ما".
[3] في الصحاح: "ولم تقْوَ عليه".
[4] الصحاح للجوهري، «ذرع».

ولا عَلى أَحَدٍ مِنهُنَّ مِثْلُ ما للهِ عَليهنَّ من النِّعْمةِ، والجَزاءُ يَتْبَعُ الفِعْلَ، وكَونُ الجزاء عِقَابًا يَتْبَعُ كونَ الفِعْل قبيحًا، فمَتى ازدَادَ قُبحًا ازدادَ عقَابُه شِدَّةً، ولِذلك كان ذَمُّ العقَلاء للعَاصي العَالِم أشَدَّ منه للعَاصِي الجَاهِل؛ لأنَّ المعصيَة من العَالِمِ أقبَحُ، ولذلك فُضِّل حَدُّ الأَحْرار على حَدِّ العَبيدِ، حتى إنَّ أبا حنيفةَ وأصحابَهُ رحمه الله لا يرَوْنَ الرَّجْمَ على الكافِر.

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ إيذَانٌ بأنَّ كونَهُنَّ نسَاءَ النَّبيِّ لَيس بمُغنٍ عَنْهُنَّ شيئًا، وكيْفَ يُغنِي عنهُنَّ وهو سَبَبُ مضَاعَفةِ العَذاب، وكانَ داعيًا إلى تشديد الأَمْر عَليْهنَّ غيرَ صَارفٍ عَنه.

قُرِئ ﴿يَأْتِ﴾ بالتاء والياء، ﴿مُبَيِّنَةٍ﴾ بفتح الياء وكسرِهَا من بيَّنَ بمَعْنى تبيَّنَ.

﴿يُضَاعَفْ﴾، و: ﴿يُضَعَّفْ﴾ عَلى البنَاء للمَفعُولِ، و: "يُضاعِف" و: "يُضَعِّف" باليَاء والنُّونِ.

وقرئ ﴿يَقنُتْ﴾ ﴿وتَعْمَلْ﴾ بالتَّاء والياء، و﴿نُؤتِهَا﴾ بالياء والنُّون.

و"القُنوتُ": الطَّاعةُ، وإنَّما ضُوعِفَ أجرُهُنَّ لطَلَبِهِنَّ رِضَا رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم بحُسنِ الخُلقِ وطِيبِ المُعَاشَرة والقنَاعةِ، وتوفُّرِهِنَّ على عبَادة اللهِ والتَّقوى.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾

وهي مِن قوله: (والجزاء يَتبع)... إلخ. وقوله: (منهنّ) أي: مِن النساء. وقوله: (عليهنّ) أي: على نساء النبيّ عليه السلام.[1] وقوله: (والجزاءُ يَتبَعُ) يعني: إن كان الفعل طاعةً كان الجزاءُ ثوابًا، وإن كان معصيةً كان عقابًا. ثمّ قال: (وكون الجزاء) يعني: إذا كان الفعلُ قبيحًا كان الازدياد في العقاب بحسب ازدياد القُبح. وفسّر هذا المعنى بقوله: (فمتى)... إلخ.

[1] ن ف – عليه السلام.

"أحَدٌ" في الأَصْلِ بمَعْنى: وَحَدٍ، وهُو الوَاحِدُ، ثمَّ وُضِعَ في النَّفي العَامِّ مُستويًا فيه المُذكَّر والمؤنَّثُ والواحِدُ وما ورَاءه، وَمَعْنَى قَولِه: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾: لستُنَّ كجمَاعَةٍ واحدةٍ منَ جماعات النِّسَاء؛ أي: إذا تُقُصِّيَتْ أمَّةُ النِّسَاء جمَاعةً جماعةً لم توجَدْ مِنهنَّ جماعةٌ واحِدةٌ تُساوِيكُنَّ في الفَضْل والسَّابقَة، ومِثْلُه قولُه عزَّ وجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ [النساء ١٥٢/٤] يُرِيدُ: بَيْنَ جَماعةٍ واحِدَةٍ منهُم تَسْوِيَةً بين جميعِهم في أنَّهم على الحقِّ المبين.

﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾: إن أرَدْتُنَّ التَّقوَى، وإن كُنتُنَّ مُتَّقيَاتٍ.

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾: فلا تَجِئْنَ بقَولِكُنَّ خَاضِعًا؛ أي: لَيِّنًا خَنِثًا مِثلَ كلام المُرِيبَاتِ والمُومِسَاتِ ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾؛ أي: رِيبةٌ وفجُورٌ.

وقرئ بالجَزْم عَطْفًا على محَلِّ فِعْل النَّهي على أنَّهُنَّ نُهِينَ عن الخُضُوع بالقَول، ونُهِيَ المَرِيضُ القلب عَن الطَّمعِ، كَأنَّه قِيل: لا تَخضَعْنَ فلا يَطْمَعْ.

قوله: (إذا تُقصِّيَتْ)[١] تَقصَّاه، أي: بلغَ أقصاه.

قوله: (والسابقةِ) يقال: لفلانٍ سابقةٌ في هذا الأمر، إذا سبق الناسَ إليه.

قوله تعالى: (﴿وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ [النساء ١٥٢/٤]) أي: بين جماعة مِن جماعات الرسل.

قوله: (تَسويةً) مفعول له، والعامل فيه (يريد).

قوله: (خَنِثًا) الانْخِناثُ: التثَنِّي والتكسُّر، وخَنَّثْتُ الشيءَ فتخنَّثَ، أي: عطَّفته فتَعَطَّف، ومنه سُمِّي المُخنَّث. وتخنَّثَ في كلامه. والخَنِثُ -بكسر النون-: المسترخي المُتثنِّي.[٢] و"المُريبات": اللاتي يُوقِعْنَ[٣] الرجال في الرِّيبة والتُهمَة مِن حالهنَّ. يقال: رابَهُ رَيْبًا؛ شَكَّكَهُ. والرِّيبة: الشكُّ / والتُّهمة.[٤] و"المُومِسة": الفاجرة، مِن "الوَمْس"؛ الاحتكاك.[٥] [٢٨٢و]

---

١ ن: تُقُصِّت.

٢ الصحاح للجوهري، «خنث».

٣ وفي هامش د: يقع.

٤ المُغرب للمطرّزي، «ريب».

٥ المُغرب للمطرّزي، «ومس».

وعن ابن مُحيْصنٍ أنّه قرأ بكسْر الميمِ، وسَبيلُه: ضَمُّ اليَاء مَع كسْرها وإسْنَادِ الفعْلِ إلى ضمير القَولِ؛ أي: فيُطْمِعَ القَولُ المُرِيبَ.

﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: بَعِيدًا مِن طَمَع المُريبِ، بجدٍّ وخُشُونةٍ من غَيْرِ تخنيثٍ، أو: قَوْلًا حسَنًا مع كَونه خَشِنًا.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾

﴿وقِرْنَ﴾ بكَسر القافِ من وَقَرَ يَقِرُ وَقَارًا، أو: مِن قَرَّ يَقِرُّ حُذِفَت الأُولى مِن رَائَي: "اقرِرْنَ" ونُقِلَتْ كَسْرتُهَا إلى القافِ، كما تقُولُ: ظِلْنَ، و: ﴿وَقَرْنَ﴾ بفتحها، وأَصْلُهُ: "اقرَرْنَ" فحُذِفت الرَّاءُ وأُلْقِيَتْ فَتحتُها على مَا قبلَها، كقَولك: ظَلْنَ، وذَكَر أَبُو الفَتْح الهَمْدَانيُّ في كتاب التِّبْيَانِ وجْهًا آخرَ قال: قَارَ يَقَارُ: إذا اجتَمعَ، ....

قوله: (وسبيلُه) أي: وجه هذا المروي أن يكون الياء مضمومًا والميم مكسورًا،[1] مِن "الإطماع".

قوله: (بعيدًا مِن طَمع المُريب)... إلخ إشارة[2] إلى وجهين: الأوّل: أن يكون المراد بـ"القول المعروف": أن لا يكون فيه خضوع، فأكّد بالأمر ما أشار بالنهي إليه. والثاني: أن يكون الأوّل نهيًا عن الخضوع، والثاني أمرًا بكونه قولًا حسنًا جميلًا، أي: لا يكون فيه إيذاء ولا سَبّ، ولذلك أتى المصنّف بلفظه مع إشارة إلى أنّهما أمران متغايران؛ أُمِرْنَ بانضمام أحدهما مع الآخر.

قوله: (نُقلت كسرتُها إلى القاف) وإذا نُقلت حركة الراء إلى القاف استغنى عن همزة الوصل.

---

[1] وهي قراءة شاذّة. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، (الأحزاب، ٣٣/٣٢). ص ٣٨٥؛ والبحر المحيط لأبي حيّان، ٨/٤٧٦

[2] ف: أشار.

ومِنه: القَارَة، لاجتِماعِهَا، ألا تَرى إلى قَولِ عَضَلٍ والدِّيشِ: اجتَمِعُوا فكُونُوا قارَةً.

و"الجاهليةُ الأولى" هي القَديمَةُ التي يُقَالُ لهَا: الجَاهليَّةُ الجَهْلاءُ، وهيَ الزَّمنُ الذي وُلِدَ فيه إبراهيمُ: كانتِ المرأةُ تَلبَسُ الدِّرْعَ منَ اللُّؤلؤ فتَمْشِي وَسْطَ الطَّريق تَعْرِضُ نفسَها عَلى الرِّجَالِ.

وقيل: ما بيْنَ آدمَ ونُوحٍ، وقيل: بَيْن إدريسَ ونُوحٍ، وقيل: زمَنُ داوُد وسُليمان، والجَاهِليَّةُ الأُخرَى: ما بينَ عيسَى ومُحمَّدٍ صلى الله عليهما.

ويجُوز أَنْ تكُون الجَاهِليَّةُ الأُولَى: جَاهِليَّةَ الكُفْرِ قبْلَ الإسْلامِ، والجَاهِليَّةُ الأُخْرَى جاهِليَّةَ الفسُوق والفجُور في الإسْلام، فكَأَنَّ المَعنَى: ولا تُحْدِثْنَ بالتَّبرُّج جَاهِليَّةً في الإسْلام تَتشبَّهْنَ بها بأَهْل جَاهليَّةِ الكُفْر.

ويَعْضُدهُ ما رُوِيَ: أنَّ رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قال لأبِي الدَّرْداء: «إنَّ فِيكَ جَاهِليةً» قال: جَاهِليَّة كُفْرٍ أَمْ إسْلامٍ فقَال: «بل جَاهليَّة كُفْرٍ».

﴿وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ أمَرهُنَّ أَمْرًا خاصًّا بالصَّلاة والزَّكَاة، ثمَّ جَاء به

قوله: (ومنه القارة) أي: الأكَمة.[1]

قوله: (إلى قول عَضَلٍ والدِّيْشِ: «اجتمِعوا فكونوا قارةً») "عَضَلٍ والدِّيش" بفتح الدال وكسرها: ابنا الهُون بن[2] خُزيمة، يقال لهما جميعًا: "القارة". قوله: "والدِّيْشِ" عطفٌ على "عَضَلٍ"، والمَقول هو: "اجتمِعوا فكونوا قارةً".

قوله: (الجاهليّةُ الجَهْلاءُ) قال في الصحاح: «قولهم: 'كان ذلك في الجاهليّة الجَهْلاءِ' هو توكيد الأوّل لِيَستَولِدَ مِن اسمه ما يُؤكَّد[3] به، كقولهم:[4] ليلةٌ لَيلاء، ويومٌ أَيْوَمُ».[5]

قوله: (الدِّرعَ) دِرع المرأة: قَميصُها.

---

[1] ن: للأكمة.
[2] ف: مِن.
[3] ن: تؤكد.
[4] ف: لقولهم.
[5] الصحاح للجوهري، «جهل».

عَامًّا في جميعِ الطَّاعاتِ؛ لأنَّ هاتيْنِ الطَّاعَتَيْنِ البَدنِيَّةَ والمَالِيَّةَ هُما أَصْلُ سائرِ الطَّاعَاتِ، مَن اعتَنَى بهمَا حَقَّ اعتِنائه جَرَّتاهُ إلى ما ورَاءهُما، ثمَّ بيَّنَ أنَّه إنَّما نهَاهُنَّ وأمَرَهُنَّ ووَعَظهُنَّ لئلًا يُقارِفَ أَهْلُ بيْتِ رسُولِ اللهِ المآثِمَ وليتَصَوَّنُوا عنها بالتَّقْوَى.

واستَعَارَ للذُّنُوبِ: الرِّجْسَ، وللتَّقوَى: الطُّهْرَ؛ لأنَّ عِرْضَ المقْتَرِفِ للمُقبَّحاتِ يتَلوَّثُ بها ويتَدنَّسُ كما يَتلوَّثُ بَدَنهُ بالأَرْجَاسِ، وأمَّا المُحَسَّنَاتُ فالعِرْضُ معها نَقيٌّ مَصُونٌ كالثَّوْب الطَّاهر، وفي هَذه الاستِعَارة ما يُنفِرُ أُولِي الألبَابِ عمَّا كرِهَهُ اللهُ لعبَادِهِ ونهَاهُم عنه، ويُرغِّبُهم فيمَا رَضيَهُ لَهُمْ وأمرَهُمْ به.

و﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ نَصبٌ عَلى النِّداء، أو عَلى المَدْح، وفي هذا دَليلٌ بيِّنٌ على أَنَّ نِسَاء النَّبي من أَهْلِ بَيْتِه.

﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ۝٣٤﴾

ثُمَّ ذَكَّرهُنَّ أَنَّ بُيُوتهُنَّ مَهَابِطُ الوَحْي، وأمَرهُنَّ أَنْ لا يَنسَيْنَ ما يُتْلَى فيهَا مِن الكِتاب الجامِع بَيْن أَمْرينِ: هُوَ آياتٌ بيِّناتٌ تَدُلُّ على صدْقِ النُّبوَّةِ لأنَّهُ مُعْجزةٌ بنَظْمِه، وهو حِكمَةٌ وعُلُومٌ وشَرائعُ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ حِينَ عَلِمَ ما يَنفعُكم ويُصْلِحُكم في دِينكم فَأَنْزَلَهُ عَلَيْكم، أو عَلِم مَن يَصْلُح لِنبُوَّتِه ومَن يَصْلُح لأَن يكُونوا أَهْلَ بيْتِه، أو حَيْثُ جَعل الكلامَ الواحِد جَامعًا بين الغرضَيْنِ.

قولـه: (لِئـلّا يُقـارِف) أي: لئـلّا يُدانـي. يقـال: قارَفَـه: أي: قاربَـهُ وخالطَـهُ مُقارَفـةً وقِرافـًا.[1]

قوله: (لأنّ عرض)...[2] إلخ أي: لأنّ عرض[3] مَن يكتسب الأفعال المُقَبّحات.

قوله: (وأمّا) أي: وأمّا الأفعال المُحسِّنات.

قوله: (هو آيات) الأوّل، وقوله: (وهو حكمة) الثاني.

---

[1] المُغرب للمطرّزي، «قرف».
[2] د ن: غرض.
[3] د ن: غرض.

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾

رُوي: أن أَزْواجَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قُلْنَ: يا رسُول الله، ذَكَر اللهُ الرِّجالَ في القرآنِ بخَيْرٍ، أَفَمَا فينَا خَيْرٌ نُذكَرُ به؟ إنَّا نخَافُ أَنْ لا تُقْبَلَ منَّا طَاعَةٌ.

وقيل: السَّائِلةُ أُمُّ سَلَمَةَ.

ورُوي: أنه لَمَّا نَزل في نساءِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ما نَزلَ، قال نسَاءُ المُسلمينَ: فمَا نَزلَ فِينَا شَيءٌ؟ فنزلَتْ.

و"المُسْلِمُ": الدَّاخِلُ في السِّلم بَعْدَ الحَرْب، المُنقَادُ الَّذِي لا يُعَانِد، أو: المُفوِّضُ أَمْرَهُ إلى الله المُتوكِّلُ عَليه، مِن: أَسْلَم وَجْهَهُ إلى الله.

و"المؤمِنُ": المُصَدِّقُ باللهِ ورَسُولهِ وبما يجبُ أَنْ يُصَدَّقَ بهِ.

و"القانِتُ": القَائمُ بالطَّاعَةِ الدَّائمُ عَلَيْها.

و"الصَّادِقُ": الَّذِي يَصْدُقُ في نِيَّته وقَولهِ وعَملهِ.

و"الصَّابرُ": الَّذي يَصْبرُ عَلى الطَّاعَات وعَن المعَاصِي.

و"الخَاشِعُ": المُتَواضِعُ للهِ بقَلْبهِ وَجَوارِحهِ، وقيل: الذي إذا صَلَّى لم يَعْرف مَن عَن يَمينِه وشمالهِ.

و"المُتصَدِّقُ": الَّذِي يُزَكِّي مالَه ولا يُخِلُّ بالنَّوافلِ.

وقيل: مَن تصَدَّقَ في أُسْبُوعٍ بِدِرْهمٍ فَهُو مِن المُتصَدِّقِينَ، ومَن صَام البِيضَ من كُلِّ شَهْرٍ فَهو مِن الصَّائمين.

قوله: (ومَن صامَ البِيضَ) أي: أيَّامَ البِيضِ، فحُذف المضاف. وإذا قيل: "أيَّامَ البِيضِ" كان التقدير: أيَّامَ الليالي البِيضِ؛ على حذف الموصوف وإقامةِ الصفة مُقامه.

و"الذَّاكِرُ اللهَ كثيرًا": مَن لا يكادُ يَخلُو مِن ذكْر الله بقَلْبِهِ أو لسَانِه أو بهِما، وقراءةُ القرآنِ والاشتِغَالُ بالعِلم مِن الذِّكْرِ، وقَال رسُول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن استَيقَظَ مِن نَومهِ وأيقَظَ امرَأتَهُ فصَلَّيا جميعًا رَكعَتيْن كُتِبَا مِن الذاكِرين اللهَ كثيرًا والذَّاكِراتِ».

والمَعْنَى: والحَافظَاتِها والذَّاكراتِه، فحُذِفَ لأنَّ الظَّاهرَ يدُلُّ عليه.

فإن قلتَ: أيُّ فرْقٍ بيْن العَطْفَيْنِ، أعْني: عَطْفَ الإنَاثِ على الذُّكُور، وعَطفَ الزَّوْجَيْنِ على الزَّوجَيْنِ؟

قلتُ: العَطفُ الأوَّلُ نحوُ قَولِهِ: ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾ [التحريم ٦٦/٥] في أنَّهُما جِنْسَانِ مُختلفانِ إذا اشتَرَكَا في حُكْمٍ لَم يكُنْ بُدٌّ من تَوْسيطِ العَاطِف بَيْنهُما، وأمَّا العَطْف الثَّاني فمِن عطْفِ الصِّفة على الصِّفة بِحَرْفِ الجمْعِ؛ فكأنَّ مَعْنَاه: إنَّ الجَامِعين والجَامِعَاتِ لهذه الطَّاعَاتِ ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم...﴾.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ٣٦﴾

قوله: (لا يكاد[1] يَخلو) أي: يكون ذاكرًا إمّا بقلبه أو بلسانه أو بهما، وذلك لأنّ الخلوّ عن أحد هذه الأشياء أن لا يكون معه شيء منها أصلًا، لا الأوّل ولا الثاني ولا الثالث، فعدم الخلوّ عنها أن يكون معه واحد منها، أيَّ واحد كان.

قوله: (أعني: عطفَ الإناث)... إلخ يريد بـ"عطف الإناث على الذكور" عطفَ ﴿ٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾ على ﴿ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾، وعطفَ ﴿ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ على ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، وعلى هذا... إلخ. ويريد بـ"عطف الزوجَين" عطفَ هذين الصِّنفين، أعني: ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ على مجموع قوله: ﴿ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾.

قوله: (فكان[2] معناه)... إلخ ولمّا عَطف الإناث على الذكور، ثمّ عَطف الزوجين على الزوجين عشرَ مرّات صار المعنى: الجامعين والجامعات لهذه الطاعات العشرة.

---

[1] ن: ولا يكاد.

[2] ن: وكان. | في مطبوع الكشّاف: "فكأنّ".

خطبَ رَسُولُ الله زينَبَ بنْتَ جَحْشٍ بنتَ عَمَّتِه أُمَيْمةَ بنتِ عبد المُطَّلبِ عَلى مولاه زيْدِ بن حارثة، فأَبَتْ وأبَى أخُوهَا عبْدُ الله فنَزلَتْ، فقالَا: رضِينَا يا رسولَ الله، فأنكحَها إيَّاهُ، وسَاق عنه إلَيْها مَهرَهَا سِتِّينَ دِرْهمًا وخمَارًا ومِلْحفةً ودرْعًا وإِزَارًا وخمسْينَ مُدًّا مِن طعَام وثلاثين صَاعًا مِن تمرٍ.

وقيل: هيَ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنتُ عُقْبَة بن أبي مُعَيْطٍ، وهيَ أَوَّلُ مَن هَاجَر من النِّساء، وهَبتْ نفسَها للنَّبيِّ فقال: «قدْ قَبِلْتُ» وزوَّجها زيدًا، فَسَخِطَتْ هيَ وأخُوهَا وقَالا: إنَّما أرَدنَا رسُولَ الله فزَوَّجَنا عبْدَهُ.

قوله: (خطَب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم)[1] مِن "الخِطْبة" بكسر الخاء، يقال: "خَطَبتُ المرأةَ خِطبة" بالكسر، و"خَطَبتُ على المِنبر خُطبة" بالضمّ.[2]

قوله: (فنزلَت)[3] الآية نزلَت في عبدِ الله بن جَحْش وأختِه زينب بِنْتِ جَحْش ابني عمّةِ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.[4] وقوله: (عبدُ الله) أي: عبد الله بن جَحْش.

[٢٨٢ظ] قوله: / (ومِلْحفةً) "المِلحفة": ما تَلْتَحِفُ به المرأةُ، واللِّحاف: كلُّ ثوب تَغطِّيتَ به.[5] ودِرْع[6] المرأة: قَميصُها.

قوله: (مُدًّا مِن الطعام)[7] أي: بُرّ.

قوله: (وقيل: هي أمّ كُلثوم) "هي" عائد إلى ما دلّ عليه سياق الكلام، أي: التي خطبها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[8] أمُّ كلثوم.

قوله: («فَزوَّجَنا[9] عبدَه»)[10] أصله: أنّ أمّ كلثوم قالت: «زوِّجْني»، وأخاها قال: «زوِّجَ أختي»، فعُبّر عن القولين بـ"زوِّجَنا".[11]

---

[1] د – صلّى الله عليه وسلّم.

[2] الصحاح للجوهري، «خطب».

[3] جامع البيان للطبري، ١١٣/١٩ (الأحزاب، ٣٦/٣٣)؛ الكشف والبيان للثعلبي، ٤٤٩/٢١ (الأحزاب، ٣٦/٣٣).

[4] د: عليه السلام.

[5] المُغرب للمطرّزي، «لحف».

[6] ن: درع.

[7] في مطبوع الكشّاف: "طعام".

[8] د: عليه السلام.

[9] د: فزوّجْنا.

[10] جامع البيان للطبري، ١١٤/١٩ (الأحزاب، ٣٦/٣٣)؛ الكشف والبيان للثعلبي، ٤٥١/٢١ (الأحزاب، ٣٦/٣٣).

[11] د: بـ"زوّجْنا" [بسكون الجيم].

والمعْنَى: ومَا صحَّ لرجُلٍ ولا امرأةٍ من المؤمنينَ ﴿إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾؛ أي: رسُولُ الله، أو لأنَّ قضَاءَ رسُولِ الله هُو قضَاءُ الله ﴿أَمْرًا﴾ مِنَ الأمُور، أن يختَارُوا مِن أَمْرِهم ما شَاؤُوا، بل مِن حقِّهِم أن يجعَلُوا رَأيهُم تَبَعًا لرأيه واختِيارَهُم تِلْوًا لاختيَارِه.

فإن قلتَ: كان من حقِّ الضَّمير أن يُوَحَّد؛ كما تَقُولُ: ما جاءني من رَجُلٍ ولا امرأةٍ إلَّا كان من شأنِهِ كَذا؟

قلتُ: نعَم، ولكنَّهُما وقعَا تحْتَ النَّفي فعمَّا كُلَّ مُؤمنٍ ومُؤمنةٍ، فرجَع الضميرُ على المعنى لا على اللَّفظ.

قوله: (أي: رسولُ الله عليه السلام)...[١] إلخ، والفَرق بين المعنيين: أنَّ المراد بالأوّل أن يُقال: إذا قضى رسول الله، وجُعل ذِكر الله تعالى كالتمهيد لِذِكر النبيِّ تشريفًا له وتعظيمًا. والمراد بالثاني أن يُقال: إذا قضى الله، فذُكر اسمه تعالى أوّلًا، ثمّ أُكّد ذلك بقوله: ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾؛ لأنّ القاضي والحاكم هو الله تعالى، وإنّما الرسول المُبلِّغ.

وقوله: (أن يَختاروا مِن أمرهم) أشار المصنّف بقوله: "أن يَختارُوا" إلى أنّ ﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾ في الآية بمعنى الاختيار، فإنّ "أنْ" مع الفعل في معنى المصدر، قال المطرّزي في المُغرب: «الخِيَرة: الاختيار في قوله صلّى الله عليه وسلّم: 'فأهله بين خِيَرتَين'،[٢] كما في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص ٦٨/٢٨]. وفي قوله:[٣] 'محمّدٌ خِيَرة الله' بمعنى المختار، وسُكون الياء لغة».[٤]

قوله: (فإن قلتَ: كان مِن حقّ الضمير) أي: ﴿لَهُم﴾.

قوله:[٥] (قلت: نعَم) أي: حقّه التوكيد، لكنّ الجمع ههنا بمثابة التوحيد في ذلك الموضع؛ لأنّ النكرة لمّا عمّت في سياق النفي اعتُبر معناه، وفي السؤال الذي ذكر في السؤال اعتُبر لفظه، وإلّا فالطريقة واحدة.

---

١ ن ف – عليه السلام.
٢ سنن أبي داود، ٥٥٦/٦ (٤٥٠٤)؛ سنن الترمذي، ٧٣/٣ (١٤٠٦).
٣ في مطبوع المُغرب: "قولك".
٤ المُغرب للمطرّزي، «خير».
٥ ن: قولهم.

وقرئ ﴿يَكُونَ﴾ بالتاء والياء.

و﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾: ما يُتخيَّر.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾

﴿لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالإسلام الَّذي هو أجَلُّ النِّعم، وبتَوْفيقِك لعِتْقِه ومحَبَّتِه واختِصاصِه ....

قوله: (و﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾: ما يُتخيَّر) يدلّ على أنّ ﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾ بمعنى المختار. وقوله:[١] "أن يختاروا" دلّ على أنّه بمعنى الاختيار كما ذكرنا. وقال الواحدي في الوسيط: «﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾ الاختيار، أعلمَ الله تعالى أنّه لا اختيار على ما قضاه الله ورسوله».[٢] هذا هو المذكور في الوسيط، فأقول هذا المذكور في الوسيط، وقول المصنّف: "أن يختاروا"، وما نقلنا عن المُغرب في الهامش يدلّ على أنّ ﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾ في الآية بمعنى الاختيار. وقول المصنّف آخِرًا: "و﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾ ما يُتخيَّرُ" إشارةٌ إلى أنّ ﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾ قد تكون بمعنى المُختار، كما في قوله صلّى الله عليه وسلّم:[٣] «محمّد خِيَرة الله». وأمّا المعنى في الآية فهو الذي ذُكر أوّلًا.

قوله: (وبتوفيقك) عطفٌ على "الإسلام"، فتوفيقُ الله تعالى للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم[٤] لهذه الأمور إنعامٌ مِن الله تعالى على زيد؛ لأنّه تعالى لمّا وفّقه صلّى الله عليه وسلّم للأمور العائدة على زيد صار ذلك إنعامًا على زيد. ثمّ قال المصنّف:

---

١ ن: قوله.

٢ التفسير الوسيط للواحدي، ٤٧٢/٣ (الأحزاب، ٣٦/٣٣).

٣ لم أجده مِن قوله صلّى الله عليه وسلّم، وهو في الصحاح للجوهري، «خير»، بعبارة: "يقال"؛ وفي المُغرب للمطرّزي، «خير»، بعبارة: "وفي قولك". وفي المستدرك للحاكم، ١١٧/٤ (٧٠٧٢)، مِن قول عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: «يا رسول الله، أنت نبيّ الله وصَفوته وخِيَرته مِن خَلقه».

٤ د: عليه السلام.

﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بما وَفَّقَك اللهُ فيه، فهُو مُتقَلِّبٌ في نِعمة الله ونعمَةِ رسُوله، وَهو زيد بنُ حارِثةَ.

﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ يعْني: زينبَ بنتَ جَحْشٍ، وذَلك أَنَّ رسُولَ الله أبصَرهَا بعْدَما أنكحهَا إيَّاهُ فوقَعتْ في نفْسِه فقال: سُبْحَان الله مُقَلِّبِ القُلوب، وذلك أَنَّ نفَسه كانَتْ تَجفُو عَنها قبلَ ذلك لا تُريدُهَا ولَو أرَادَتْها لاختَطَبها، وسَمِعَتْ زَينبُ بالتَّسبيحَةِ فذكَرتْهَا لزَيْدٍ ففَطِنَ، وألْقى اللهُ في نفْسه كراهَةَ صُحْبتِها والرَّغْبةَ عنها لِرَسُولِ الله، فقال لرسُول الله صلى الله عليه وسلم: إِنِّي أُريدُ أَنْ أُفارِقَ صَاحِبَتي، فقال: «ما لك، أرَابَكَ منْها شَيءٌ؟» قال: لا، واللهِ ما رأيتُ منها إلَّا خيرًا، ولكِنَّها تَتعظَّمُ عَليَّ لِشَرَفهَا وتُؤذِيني، فقال له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾.

(﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بما وفّقك الله فيه)، فـ"ما" في قوله: "ما وفّقك" موصولة، وهي عبارة عن الإعتاق والمحبّة والاختصاص الصادرةِ مِن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم،[1] ولا شكَّ أنّ ذلك نعمة مِن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[2] على زيد، وإن كان بتوفيق الله تعالى. والحاصل: أنّ توفيق الله تعالى للنبيّ عليه السلام[3] / فيها إنعام مِن الله تعالى على زيد، وما وفّقه فيه إنعام للنبيّ على زيد. [٢٨٣و]

قوله: (لَاخْتَطَبَها) أي: خَطبَها لنفسه لا لزيد.

قوله: (ففَطِن) أي: علِمَ زيد وأدرك أنّ محبّة زينبَ وقعت في قلب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.[4] وقوله: (في نفسه) أي: في نفس زيد.

قوله: («أرابَكَ»)[5] يجوز أن يكون الهمزة فيها للاستفهام، ويجوز أن لا يكون للاستفهام؛ بل مِن أجزاء الكلمة، كهمزة "أكرَمَ وأخرَجَ". يقال: رابَهُ الدهر وأرابَه، أي: أقلقَهُ.

قوله: (وتؤذيني) أي: باللسان.

---

[1] د: عليه السلام.
[2] د: عليه السلام.
[3] ن ف – عليه السلام.
[4] د: عليه السلام.
[5] انظر: جامع البيان للطبري، ١٦/١٩ (الأحزاب، ٣٧/٣٣)؛ والكشف والبيان للثعلبي، ٤٥٢/٢١ (الأحزاب، ٣٧/٣٣).

ثمَّ طَلَّقَها بعدُ، فلما اعتدَّتْ قال رسُول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أَجدُ أَحدًا أَوثَقَ في نفْسي مِنكَ، اُخْطُب عَليَّ زَيْنبَ»، قال زيدٌ: فانْطَلَقْتُ فإذا هِيَ تَخْمُرُ عجينتها، فلمَّا رَأيتُها عَظُمَت في صَدْري حتى ما أستَطيعُ أَن أنظُر إليْهَا حِين علِمتُ أنَّ رسُول الله ذكرها، فَولَّيْتُها ظَهْري وَقُلْتُ: يا زَيْنبُ، أَبْشِري أَنَّ رسُول الله يخَطُبُكِ، فَفرِحَتْ وقالت: ما أَنا بصَانعةٍ شيئًا حَتَّى أُؤامِرَ رَبِّي، فقامَتْ إلى مسْجِدهَا ونزلَ القرآنُ.

﴿زَوَّجْنَـٰكَهَا﴾ فتزَوَّجَها رسُولُ الله ودَخل بها، وما أَوْلَم على امرأةٍ من نسَائه ما أَوْلَم عَليْها: ذبحَ شَاةً وأطْعَمَ الناسَ الخُبْزَ واللَّحمَ حَتَّى امتَدَّ النهارُ.

فإن قلتَ: ماذا أرادَ بقَوله ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾؟

قلتُ: أرَادَ: واتَّقِ اللهَ فلا تُطَلِّقْها، وقصَد نهْيَ تَنْزِيهٍ لا تحْريمٍ؛ لأنَّ الأَوْلَى أَن لا يُطلِّق.

وقيل: أرادَ: ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ فلا تَذُمَّهَا بالنِّسبة إلى الكِبْرِ وأَذَى الزَّوجِ.

فإن قلتَ: ما الَّذي أخفى في نفسِه؟

قلتُ: تعَلُّقَ قَلْبه بها، وقيل: موَدَّةَ مفَارقةِ زيْدٍ إيَّاها.

قوله: (حين علمتُ) متعلّق بقوله: (عظُمت)، أو بقوله: (لا أستطيع)[١] بطريق التنازع. وهو هنا بمعنى التعليل، فإنّ العِظَمَ وعدمَ الاستطاعة لذكرها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.[٢]

قوله: (وما أَوْلَمَ) "ما" نافية. وقوله: (ما أَوْلَمَ)[٣] أي: مثلَ ما.

قوله: (فإن قلتَ: ماذا أراد)[٤] أي: ماذا أراد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم؟[٥]

قوله: (مودّةَ مُفارَقةِ) "مَودّة" مضاف إلى المفعول، أي: مودّةَ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[٦] مفارَقةَ زيدٍ زينبَ.

---

[١] في مطبوع الكشّاف: "ما أستطيع".

[٢] د: عليه السلام. | وفي هامش د ف: قوله: («حتّى أُؤامِر ربّي») آمرتُه في أمري مؤامرةً إذا شاورتَه، والعامّة تقول: وَامَرتُه. صحاح. | الصحاح للجوهري، «أمر».

[٣] ف – ما نافية، وقوله: (ما أولَمَ).

[٤] في بعض مطبوعات الكشّاف: "ما أرادَ".

[٥] د: عليه السلام.

[٦] د: عليه السلام.

وقيل: عِلْمُه بأنَّ زيدًا سَيُطَلِّقها وسيَنْكِحُهَا لأن الله قد أعلمه بذلك.

وعن عائشةَ رضي الله عنها: لو كتمَ رسُولُ الله شيئًا ممَّا أُوحيَ إليْه لكَتم هذه الآية.

فإن قلتَ: فماذَا أرادَ الله منهُ أَن يقُولَه حينَ قال لهُ زيدٌ: أُرِيدُ مُفارَقتَهَا، وكان من الهُجْنَةِ أَن يقُول له: افعَلْ فإنِّي أُريدُ نكاحَهَا؟

قلتُ: كأنَّ الَّذي أرَاد منه عزَّ وجلَّ أَن يَصْمُتَ عندَ ذلك، أو يَقُولَ له: أَنْت أَعلم بشَأنكَ، حتَّى لا يُخالِفَ سِرُّهُ في ذلك عَلانيَتَهُ؛ لأنَّ الله يُريد من الأنبيَاء تسَاوِيَ الظَّاهِر والبَاطِن، والتَّصلُّبَ في الأمُور، والتَّجاوُبَ في الأَحوال، والاستمرارَ على طريقةٍ مُبيّنَةٍ كما جاء في حديثِ إرادةِ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم قتْلَ عبدِ الله بنِ أبي سَرْحٍ واعتِراضِ عثمانَ رضي الله عنه بشفاعَتِه لهُ: أنَّ عُمر قال لهُ: لقَد كان عَيْني إلى عَيْنِكَ هَل تُشيرُ إليَّ فأَقْتُلَه؟ فقال: «إنَّ الأنبياء لا تُومِضُ،

قوله: (فإن قلتَ: فماذا أراد الله منه؟) أي: لِمَ ردَّ الله تعالى وأنكرَ على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[١] قولَه لزيد: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾؟ وأيَّ قول طلب مِن النبي صلّى الله عليه وسلّم[٢] أن يقوله، والحال أنّه كان مِن الهُجْنة أن يقول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[٣] لزيدٍ: طلِّقْها فإنّي أُريدُ نكاحها؟ و(أن يقول)... إلخ مبتدأ، و(مِن الهُجْنة) خبره. وقوله: "مِن الهُجْنة"، أي: مِن اللُّؤم وضِدِّ الكرم، قال في المُغرب: «الهَجين: الذي ولدَته أَمَةٌ أو غيرُ عربيّة».[٤]

قوله: (مُسْتَتِبَةٍ)[٥] اسْتَتَبَّ له الأمر، أي: تهيَّأَ واستقام.[٦]

قوله: («لا تُومِضُ»)[٧] وَمَضَ البَرق وأَومَض، أي: لَمَعَ. و"الإيماض" أيضًا:

---

١ د: عليه السلام.
٢ د: عليه السلام.
٣ د: عليه السلام.
٤ المُغرب للمطرّزي، «هجن».
٥ في مطبوع الكشّاف: "مبيّنة".
٦ الصحاح للجوهري، «تبب».
٧ معنى الحديث في سنن أبي داود، ٣١٩/٤ (٢٦٨٣). وفيه: فقال: «أما كان فيكم رجل رشيدٌ يقوم إلى هذا حيثُ رآني كَفَفتُ يدِي عن بيعتِه فيقتُلَه؟» فقالوا: «ما ندري يا رسولَ الله ما في نفسِك، ألا أومأتَ إلينا بعينك»، قال: «إنَّه لا ينبغي لنبيّ أن تكونَ له خائنةُ الأعيُن». وليس فيه ذكر عمر رضي الله عنه. وانظر: تخريج أحاديث الكشّاف للزيلعي، ١١٤/٣.

ظاهرُهم وباطنُهمْ وَاحدٌ».

فإن قلتَ: كيف عاتبَه الله في سَتْر ما استَهْجَن التَّصريحَ به، ولا يَسْتَهجِنُ النَّبيُّ التَّصريحَ بشيءٍ إلّا والشَّيءُ في نفسِه مُستَهجَنٌ، وقالةُ النَّاسِ لا تتعلَّقُ إلَّا بما يُسْتَقبَحُ في العُقولِ والعَادَاتِ؟ وما لهُ لم يُعَاتبهُ في نفسِ الأمْرِ ولم يَأمرهُ بقَمْعِ الشَّهوةِ وكفِّ النَّفس أنْ تُنازِعَ إلى زيْنَب وتَتَبُّعَها ولم يَعْصِم نَبِيَّهُ عن تعَلُّق الهُجْنَة به وما يُعَرِّضُه لِلقَالة؟

قلتُ: كم من شيءٍ يتَحفَّظ منه الإنسَانُ ويَستحيِي من اطِّلاع النَّاس عليه وهو في نفْسِه مُبَاحٌ مُتَّسِعٌ وحَلالٌ مُطْلَقٌ لا مقَال فيه ولا عيْبَ عِند الله، ورُبَّما كان الدُّخُولُ في ذلك المُبَاحِ سُلَّمًا إلى حصُولِ واجبَاتٍ يَعْظُمُ أثرُها في الدِّين ويَجِلُّ ثوابُها، ولو لم يتَحفَّظْ منه لأَطْلَق كثِيرٌ من الناسِ فيه ألسِنَتَهُم إلَّا مَن أُوتِي فضلًا وعلْمًا ودِينًا ونَظَرًا في حَقائق الأمُور ولُبُوبها دُون قشُورهَا.

ألا ترَى أنَّهم كانُوا إذا طَعِمُوا في بُيُوت رسُول الله بَقُوا مُرتكِزينَ في مجَالسِهمْ

مُسارَقة النظر.[1] يعني: أنّ خائنة الأعيُنِ حرام عليهم. وقوله: («ظاهِرُهم») مبتدأ، وقوله: («واحد») خبره.

قوله: (في نفس الأمر) يريد بـ"نفس الأمر" ذاتَ الشيء الذي كان واقعًا وعينَه ونفسَه، وهو[2] المَيل والنظر والطموح. ولا يريد بـ"نفس الأمر" ما يقال: أنّه في نفس الأمر كذلك، أو في الواقع كذلك، فتأمّل.

قوله: (قلتُ: كم مِن شيء)... إلخ جواب عن قوله: (لا يَسْتَهجن[3] النبيُّ إلّا وذلك الشيء مُستَهْجَنٌ). والحاصل: أنّ ذلك لم يكن في نفسه مُستهجَنًا، ولكنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[4] امتنعَ منه حذَرًا عن قالة الناس، والله تعالى أراد منه موافقة الظاهرِ الباطنَ.

قوله: (مُرتكِزين) ركَزتُ الرُّمح: غَرَزتُه بالأرض.

---

[1] الصحاح للجوهري، «ومض».
[2] ن: هو.
[3] ف: لا تستهجن.
[4] د: عليه السلام.

لا يَريمُونَ مُستَأنِسينَ بالحَدِيث، وكان رسُول الله صلى الله عليه وسلم يُؤذِيه قعُودهُم ويُضيِّقُ صَدْرَهُ حديثُهم، والحَيَاءُ يَصُدُّهُ أَنْ يأمُرَهمْ بالانتِشَار حتَّى نزَلتْ: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب ٥٣/٣٣] ولَو أبْرَز رسُولُ اللهِ مَكنُونَ ضميرِهِ وأمَرهُم أنْ ينتَشِرُوا لشَقَّ عَليهم وَلكان بَعْضُ القَالة.

فهذا مِن ذاك القبيلِ؛ لأنَّ طُمُوحَ قَلْب الإنسان إلى بَعْضِ مُشتهَيَاتِه مِن امْرأةٍ أو غَيْرِها غيْرُ مَوصُوفٍ بالقُبْح في العقلِ ولا في الشَّرع؛ لأنه ليس بفعلٍ للإنسَان، ولا وجُودُه باختياره، وتَناولُ المبَاحِ بالطَّريق الشَّرعيّ ليس بقبيحٍ أيضًا، وهو خِطْبَةُ زينبَ ونكاحُها من غيْرِ استِنْزالِ زَيْدٍ عنها، ولا طَلَبٍ إليْه -وهُو أقربُ إلَيه من زرِّ قَميصِه- أَن يُواسِيَهُ بمُفارَقتِهَا، مع قُوَّة العِلم بأنَّ نفْسَ زَيْدٍ لم تكُنْ مِن التَّعلُّق بها في شيءٍ، بل كانَت تَجْفُو عنها، ونفسُ رسُولِ الله مُتعَلِّقَةٌ بها! ولم يكُن مُستَنْكَرًا عنْدهُم أَن يَنْزِل الرجُل عن امرأتِه لِصَديقِهِ، ولا مُستهجَنًا إذا نَزل عنْهَا أَن يَنكِحَها الآخَرُ، فإنَّ المُهَاجرين حِين دَخلوا المدينة آسَتْهُم الأنصَارُ بكُلِّ شيءٍ، حَتَّى إنَّ الرَّجُل منهم إذا كانَتْ له امرأتَانِ نَزلَ عن إِحْدَاهُما وأنكحَها المُهَاجِرَ.

قوله: (وهو أقرب) يجوز أن يكون ضميرًا مُبهَمًا يُفسّره[١] قوله: (أن يواسِيَه).
وقوله: (مع قوّة) يجوز أن يتعلّق بقوله: "وهو أقرب"... إلخ، ويجوز أن يتعلّق بقوله: (وتناوُلُ المباح)... إلخ.

قوله: (ولا طلَبٍ) عطفٌ على (استنزال). وقوله: (أن يُواسيَهُ) مفعول "طلَب". وقوله: (وهو أقرَب) إلى قوله: (قميصِه) جملة معترِضة، وهو عائد إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم،[٢] والضميرُ في "منه" لِزيد، أو بالعكس. وقوله: (مع قوّة) متعلّق بقوله: "لا طلَبٍ". وهذا أصوب ممّا كُتب وقيّد ممّا يُغايره.[٣]

/ قوله: (نزَل عن إحداهما) أي: ترَكَها وفارَقَها بالطلاق وأعرَض عنها. [٢٨٣ظ]

---

[١] ف: تفسيره.
[٢] د: عليه السلام.
[٣] وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ أي: قضاءً مَقضِيًا كائنًا ماضيًا. معالم. | معالم التنزيل للبغوي، ٣٥٨/٦ (الأحزاب، ٣٨/٣٣).

وإذا كان الأمرُ مباحًا مِن جَميع جهَاتِه، ولـم يكُن فيه وَجْهٌ مِن وجُوه القُبْحِ ولا مَفسَدَةٌ ولا مَضَرَّةٌ بزيدٍ ولا بأحدٍ، بل كان مُسْتَجِرًّا مصَالِحَ ناهيكَ بواحدةٍ مِنها أنَّ بنت عَمَّةِ رسُول الله عليه السلام أمِنَتْ الأَيْمَةَ والضَّيْعَة، ونالَتِ الشَّرفَ، وعادَتْ أُمًّا مِن أُمَّهَاتِ المُسلمين، إلى ما ذكَر اللهُ عزَّ وجلَّ من المصْلحةِ العَامَّةِ في قَوله: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾= فبالحَرِيِّ أن يعَاتِبَ اللهُ رَسُولَهُ حين كتمَهُ وبَالَغ في كَتْمه بقَوله: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾، وأَن لا يَرْضَى لهُ إلَّا اتِّحادَ الضَّمير والظَّاهِر والثَّباتَ في مَواطِن الحقِّ حَتَّى يَقْتديَ به المؤمِنُونَ فلا يَسْتحيُوا من المكافَحة بالحقِّ وَإنْ كان مُرًّا.

فإن قلتَ: الواوُ في ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ﴾ ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ﴾ ما هِيَ؟

قلتُ: وَاوُ الحالِ؛ أي: تقُولُ لزَيدٍ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ مُخْفِيًا في نفْسِك إرادَةَ أَنْ لا يُمْسِكها، وتخفِي خاشِيًا قالَةَ النَّاس، وتخشَى الناسَ حقيقًا في ذلك بأَنْ تَخشَى الله، أو وَاوُ العطفِ كأنَّه قيلَ: ....

ومنه ما في حديث عمر رضي الله عنه أنّه فتح أرضَ العراق، وقسَمَها بين الغانِمين، ثـمّ استنزَلَهم عنها،[1] أي: سألَهم أن يَنزِلوا عنها.

قوله: (ناهيك) أي: كافيك واحدة مِن تلك المصالح، ثـمّ بين تلك الواحدة بقوله: (أنّ بِنتَ)... إلخ. يقال: هذا رجل ناهيكَ مِن رَجل. وتأويله: أنّه بجِدّه وعِنايته ينهاك عن تطلُّبِ غيره. وقوله: (أنّ بِنتَ) بيان (واحدة). وقوله: (مِن المكافَحة) أي: المشافَهة.

قوله: (مُخفِيًا... إرادةَ) إشارة إلى أنّ "الواو" في ﴿وَتُخْفِى﴾ للحال مِن الضمير في ﴿تَقُولُ﴾. و"الواو" في ﴿وَتَخْشَى﴾ حال مِن الضمير في ﴿وَتُخْفِى﴾.[2] و"الواو" في ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ﴾ للحال مِن الضمير في ﴿تَخْشَى﴾. فتكون هذه الأحوال مِن الأحوال المتداخلة، ثـمّ إنّ دخول الواو في المضارع المُثبَت إنّما يكون بتقدير مبتدأ محذوف،

---

[1] انظر: السنن الكبرى للبيهقي، ١٨٢/١٣ (١٢٩٦٠)؛ والبيان للعمراني، ٣٣٦/١٢.

[2] ف – للحال مِن الضمير في ﴿تَقُولُ﴾. و"الواو" في ﴿وَتَخْشَى﴾ حال مِن الضمير في ﴿وَتُخْفِى﴾.

وإذ تجمَعُ بينَ قولِك: ﴿أَمْسِكْ﴾ وإخفَاءِ خلافِه وخشيَةِ النَّاسِ، واللهُ أحَقُّ أن تخشَاهُ حَتَّى لا تفعَلَ مثلَ ذلك.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ إذا بلغَ البَالِغُ حَاجتَهُ مِن شيءٍ له فيهِ هِمَّةٌ قِيل: قضَى مِنْه وَطرَهُ، والمَعنى: فلمَّا لم يبْقَ لزيْدٍ فيها حَاجَةٌ، وتقَاصَرتْ عنها هِمَّتُهُ، وطَابَتْ عَنها نفسُه وطَلَّقَها وانقضَتْ عِدَّتُها ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾.

وقِرَاءةُ أَهْلِ البَيْتِ: "زوَّجْتُكَهَا"، وقيل لجَعفر بن مُحمَّدٍ: أَلَيْس تُقرَأُ عَلى غيْر ذلك؟ فقال: لا، والَّذي لا إله إلَّا هُو ما قرأتُها عَلى أَبِي إلَّا كذلك، ولا قَرأَهَا الحَسنُ بنُ عَليّ على أَبيهِ إلَّا كذلِك، ولا قرأَهَا عليُّ بن أبي طالبٍ على النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم إلَّا كَذلك.

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ جُملَةٌ اعتراضِيَّةٌ، يَعني: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ الَّذِي يُريدُ أَن يُكوِّنَه ﴿مَفْعُولًا﴾: مُكوَّنًا لا محَالةَ، وهُو مَثَلٌ لِمَا أَرَادَ كونَه من تزويج رسُول الله زينبَ،

أي: وأنت تُخفي، كما مرّ مرارًا. قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ جملة معترِضة، لا حالٌ، يدلّ عليه قول المصنّف: (حتّى لا تفعَل).

قوله: (فيه هِمّة) أي: نوع قَصْدٍ.

قوله: (ولا قرأها الحسن) اعلم أنّ قبل هذا الكلام حذفًا تقديره: ولا قرأها أبي على الحسن إلّا كذلك، ولا قرأها الحسن.

قوله: (يعني: وكان أمرُ الله) "الأمر" هنا: واحد الأمور.

قوله: (وهو مَثل) هو عائد إلى (مفعولًا) أو (مكوَّنًا)، يعني: شبّه ما أراده الله تعالى بما يكون مُكوَّنًا لتحقّق كونه، فكأنّه مكوَّن.[1]

قوله: (مِن تزويج) مصدر مضاف إلى المفعول، أي: مِن تزويج اللهِ رسولَ الله زينبَ.

---

[1] وفي هامش د ف: أي: سمّي المكوَّن، أي: غرَضه أنّ تسمية المكوَّن بـ"الأمر" مِن قَبيل تسمية الشيء باسم سببه. ما في الهامش ليس بظاهر، فعلى الوجه الثاني مِن قَبيل المجاز المرسل، وعلى الوجه الأوّل مِن قَبيل الاستعارة؛ استعارةِ الموجود للمعدوم بجامع التحقّق؛ استُعير المكوَّن لِما يكون لِما ذكرنا، تأمّل.

ومِن نفيِ الحرَج عن المؤمنينَ في إجْراء أزواجِ المُتبَنَّينَ مَجْرى أزواج البَنِينَ في تَحرِيمهِنَّ عليهم بَعد انقطاعِ عَلائقِ الزَّواج بيْنهُم وبينَهُنَّ.

ويجوز أن يُرادَ بأَمْر اللهِ: المُكوَّنُ؛ لأنَّه مَفعُولٌ بـ"كُنْ" وهُو أَمرٌ.

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾

﴿فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾: قَسَم لهُ وأَوجَبَ، مِن قولهم: فُرِضَ لفُلانٍ في الدِّيوان كَذا، ومِنه: "فرُوضُ العَسْكر" لِرزَقَاتِهِم.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ اسْمٌ مَوضُوعٌ مَوْضِعَ المَصْدر -كقَولهم: تُرْبًا وجَنْدلًا- مُؤكِّدٌ لقَوله: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ﴾ كأنَّه قيل: سَنَّ اللهُ ذلك سُنَّةً في الأنبيَاء الماضِين، وهُو أن لا يُحرِّجَ عَليْهم في الإقْدام عَلى ما أَبَاحَ لهم ووَسَّعَ عَليهم في بابِ النِّكاح وَغيْره، وقد كانَتْ تحتَهُم المهَائرُ والسَّرارِيُّ، وكانتْ لداوُدَ مئةُ امرأةٍ وثلاثُ مئةِ سُرِّيَةٍ، ولسُليمان ثلاثُ مئةٍ وسبْعُ مئةٍ.

﴿فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾: في الأنبياء الَّذين مَضَوا.

و﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ﴾ يَحْتمِلُ وجُوهَ الإعرابِ: الجرَّ على الوصْف للأنبياء، والرَّفعَ والنَّصبَ على المَدْح، على: هُم الَّذين يُبلِّغُونَ، أو على: أَعْنِي الَّذِين يُبَلِّغُونَ.

وقُرئ: "رِسَالةَ الله".

قوله: (لأنّه مفعول بـ"كن") "كُن" أمرٌ، فالمفعول بـ"كُن" مفعول بالأمر، فسمّاه "أمرًا"، أي: مأمورًا، فيكون "الأمر" بمعنى المأمور، وأصله: "الأمر" الذي هو واحد الأوامر. والمعنى: ما أمر الله تعالى به بقوله: "كن" فإنّه يكون[1] لا محالةَ.

قوله: (على الوصف للأنبياء) أي: للذين خلَوا، فإنّ المراد بهم الأنبياء، فيكون هذا صفة بعد صفة؛ لأنّ التقدير في الأنبياء الذين خَلَوا.

---

[1] ف: فيكون.

﴿قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾: قضاءً مَقضِيًّا وحُكمًا مَبتُوتًا.

ووصْفُ الأنبيَاء بأنَّهم لا يَخشوْنَ إلَّا اللهَ تعريضٌ بَعد التَّصريح في قَوله: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾.

﴿حَسِيبًا﴾: كافيًا للمَخاوِف، أو: مُحَاسبًا على الصَّغيرة والكبيرة، فيَجبُ أنْ يكُونَ حقُّ الخشيةِ من مِثلِه.

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾؛ أي: لم يكُن أبَا رَجُلٍ مِنْكم على الحقيقةِ حَتَّى يثبُتَ بَيْنَهُ وبَينه ما يَثبُتُ بيْن الأبِ ووَلدِه من حُرْمةِ الصِّهر والنِّكاح.

﴿وَلَٰكِن﴾ كان ﴿رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ وكُلُّ رسُولٍ أبُو أُمَّتِه فيمَا يَرْجعُ إلى وجُوبِ التَّوقير والتَّعظيم لهُ عليهم، وَوجُوبِ الشَّفقَة والنَّصيحةِ لهُم عَليه، لا في سائر الأحكام الثَّابتة بيْنَ الآباء والأبْنَاء، وزَيْدٌ واحِدٌ من رجالِكم الذين ليسُوا بأوْلادِه حقِيقةً، فكان حُكمُه حُكْمَكُم، والادِّعاءُ والتَّبنِّي من باب الاختِصَاص والتَّقريبِ لا غَيرَ.

﴿و﴾ كان ﴿خاتمَ النَّبيِّين﴾ يَعنِي: أنَّه لو كان له وَلَدٌ بالِغٌ مبلَغَ الرِّجال لكانَ نبيًّا ولـم يَكُنْ هـو خاتَمَ الأنبيَاء كما يُروَى: أنَّه قال في إبراهيـم حين تُوفِّي: «لو عَاشَ لكان نبيًّا».

فإن قلتَ: أمَا كان أبًا للطَّاهر والطَّيِّبِ والقاسِمِ وإبراهيمَ؟

قلتُ: قد أُخرِجُوا مِن حُكم النَّفي بقَوله: ﴿مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ من وجْهين:

أحدُهما: أنَّ هؤلاء لم يبْلغُوا مَبْلغَ الرِّجال.

والثاني: أنَّه قد أَضاف الرِّجَالَ إليهم، وهؤلاء رجَالُه لا رجالُهم.

فإن قلتَ: أمَا كان أبًا للحَسَنِ والحُسيْنِ؟

قلـتُ: بَلـى، ولكِنَّهمـا لـم يكُونـا رَجُليْـنِ حينئـذٍ، وهُمـا أَيْضًـا مـن رجالِـه لا من رجالهم.

وشَيءٌ آخَرُ: وهو أنّه إنّما قصَد وَلَدَهُ خاصَّةً لا وَلَدَ ولدِهِ؛ لقَوله: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ألَا ترى أنَّ الحسَن والحُسيْنَ قد عَاشَا إلى أن نَيَّفَ أَحَدُهما على الأَرْبَعِين والآخَرُ على الخمسِين.

قرئ: ﴿وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ بالنَّصب عَطْفًا على ﴿أَبَآ أَحَدٍ﴾، وبالرفعِ على: ولكِن هُو رسُولُ الله.

"ولكنَّ" بالتَّشديد على حذف الخَبر، تقديرهُ: ولكنَّ رسولَ الله مَن عرَفتُمُوه؛ أي: لـم يَعِشْ له وَلدٌ ذكَرٌ.

و﴿وَخَاتَمَ﴾ بفتح التاء بمَعنى الطَّابَع، وبكسْرهَا بمَعنى الطَّابع وفاعِل الخَتْم، وتُقوِّيهِ قراءةُ ابن مَسْعُودٍ: "ولكن نبيًّا خَتَمَ النَّبِيِّينَ".

فإن قلتَ: كيف كان آخرَ الأَنبياء وعيسَى يَنْزِلُ في آخِر الزَّمان؟

قلتُ: مَعنى كونِه آخرَ الأَنبيَاءِ: أنَّه لا يُنبَّأُ أَحَدٌ بَعْدَه، وعيسى ممَّن نُبِّئَ قَبله، وحين يَنزلُ عامِلًا على شَريعةِ مُحمَّدٍ مُصَلِّيًا إلى قبلتِه فكأنَّه بعْضُ أُمَّتِهِ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾

قوله: (وشيء آخر) أي: وهنا شيء آخر.

قوله: (نَيَّفَ) أي: زاد.

قوله: (أي: لـم يَعِشْ)... إلخ يعني: لو عاش له ولَدٌ ذَكَرٌ بعده لَكان ذلك الولد خاتم النبيّين، لكنّه لـم يَعِشْ فيكون خاتم النبيّين هو الذي عرفتموه، وهو النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.[1]

قوله: (﴿وَخَاتَمَ﴾ بفتح التاء)... إلخ الخاتَم والطابَع بالفتح: ما يُختَمُ ويُطبَع به، وبالكسر: الذي يَفعل الخَتْمَ والطبع.

قوله: (وتُقَوِّيه) أي: الكسرَ.

---

[1] د: عليه السلام.

﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾: أثْنُوا عَليه بِضُروبِ الثَّناء من التقْدِيس والتمجِيد والتَّهلِيل والتَّكبِير ومَا هُو أَهْلُه، وأكْثِرُوا ذلك.

﴿بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾؛ أي: في كافَّة الأوقاتِ، قال رسُول الله صلى الله عليه وسلم: «ذِكْرُ اللهِ على فمِ كُلِّ مُسْلمٍ»، ورُوِيَ: «في قلْبِ كُلِّ مُسلمٍ».

وعن قتادَةَ: قُولُوا: سبْحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلهَ إلا الله، والله أكْبَر، ولا حَولَ ولا قوة إلَّا باللهِ.

وعن مُجاهِدٍ: هذه كلِمَاتٌ يَقُولُهَا الطَّاهِرُ والجُنُب.

والفِغْلانِ: أَعْني ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ و"سَبِّحُوا" مُوجَّهانِ إلى البُكرة والأَصيلِ؛ كقَولك: «صُمْ وصَلِّ يَومَ الجمعَةِ» والتَّسبيحُ من جُملَة الذِّكر، وإنَّما اختَصَّه مِن بين أنوَاعِه اختصَاصَ جبريل ومِيكائيل من بين الملائكةِ ليُبيِّنَ فَضْلَه على سَائر الأذكار؛ لأنَّ مَعناه: تَنزيهُ ذاتِهِ عمَّا لا يجُوز عَليه من الصِّفاتِ والأَفعالِ، وتَبْرِئتُه من القَبائح، ومِثالُ فضْلهِ عَلى غَيْره من الأَذكار: فضْلُ وَصْفِ العبد بالنَّزاهَةِ من أَدْناسِ المعَاصي والطُّهرِ من أرْجَاس المَآثِم على سَائر أوصَافِه من كثْرةِ الصَّلاة والصِّيام والتَّوفُّرِ على الطَّاعَاتِ كلِّها، والاشْتِمالِ على العُلُوم، والاشتِهَارِ بالفَضائل.

ويجوز أَن يُريدَ بالذِّكْر وإكثَارِه: تَكْثيرَ الطَّاعَاتِ والإِقْبالَ على العبَاداتِ، فإنَّ كلَّ طاعةٍ وكلَّ خَيْرٍ من جُملة الذِّكر، ثُمَّ خُصَّ من ذلكَ التَّسبيحُ بُكرةً وأصِيلًا وهي الصَّلاةُ في جميع أَوقَاتها لِفضْلِ الصَّلاة على غيْرهَا، أو صَلاةُ الفجر والعشاءينِ لأنَّ أَدَاءها أَشقُّ ومُراعاتَها أَشَدُّ.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾

لمَّا كان من شَأنِ المُصَلِّي أن يَنعَطِفَ في ركُوعِه وسُجُودِه استُعير لمَنْ يَنعَطِفُ على غيْره حُنُوًّا عَليه وتَرَؤُّفًا، ....

قوله: (لمَّا كان مِن شأن المُصلِّي)... إلخ، تحقيق هذا الموضع أن نقول:

كعَائد المريضِ في انعطَافِه عليه، والمَرأةِ في حُنُوِّهَا على وَلَدها، ثمّ كَثُرَ حَتَّى استُعمِلَ في الرَّحمةِ والتَّرؤُّفِ، ومنه قولُهم: "صلى اللهُ عَليك"؛ أي: تَرحَّمَ عليكَ وترَأَّفَ.

فإن قلتَ: قَولُه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾ إنْ فسَّرتهُ بـ: يَترحَّمُ عَلَيْكُم ويتَرأَّفُ، فما تَصنَعُ بقَولِهِ: ﴿وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ﴾ وما مَعْنى صَلاتِهِم؟

قلتُ: هي قولُهم: "اللَّهُمَّ صَلِّ على المُؤمنينَ" جُعِلُوا لكَوْنهم مُستجَابي الدَّعْوةِ كأنَّهم فاعِلُونَ الرَّحْمَةَ والرَّأفَة، ....

الصَّلا: العظمُ الذي عليه الأَليَتان، وقيل للثاني مِن خَيل السِّباق: المصلِّي؛ لأنّ رأسه على صَلَوَي السابق، ثمّ نُقل هذا اللفظ -وهو الصلاة، التي هي "فَعلة" مِن "صَلَى"، أي: حرَّك الصَّلَوَين- إلى الأركان المَعهودة والأذكار المخصوصة؛ لأنّ المصلِّي ينعطِف[١] ويتحرَّك في ركوعه وسجوده ويُحرِّك صَلوَيه فيهما. فإطلاق الصلاة على هذا الفعل الشرعيّ مجاز، ثمّ نُقل إلى مَن يَترحّم على غيره لانعطافه وانحنائه عليه، / فيكون هذا مجازًا في المرتبة الثانية، ثمّ نُقل [٢٨٤و] منه إلى الترحّم والترؤُّف وإن لم يكن ثمّةَ[٢] انحناءٌ وانثناءٌ، فقيل: "صلّى الله عليه"، أي: رَحِمَه، فمعنى صلاةِ الله تعالى:[٣] الرحمة، فيكون مجازًا في المرتبة الثالثة، ثمّ قيل: صلّى الملائكة، والملائكة يُصلُّون؛ لأنّه جُعل دُعاءُهم بالرحمة كالرحمة، فإذا دَعَوا للمؤمنين بأن يَرحَمهم الله تعالى فكأنّهم رَحِموا المؤمنين بناء على أنّ دعاءهم مستجاب، فإذا دَعَوا بشيء فكأنّهم فَعَلوا ذلك، فيصير مجازًا في المرتبة الرابعة.

قوله: (كعائد) مثالُ مَن ينعطف حُنوًّا وترؤّفًا.

قوله: (ثمّ كَثُرَ) أي: كَثُرَ استعمال لفظ "الصلاة" في الانعطاف حُنوًّا وتَرحُّمًا حتّى استُعمل لفظ الصلاة في الرحمة والترؤّفِ وإن لم يكن معه انعطاف.

قوله: (أي: ترحَّمَ) فيكون "الصلاة" هنا مجازًا في المرتبة الثالثة.

---

١ ن ف: يتعطف.

٢ ن ف: ثمّ.

٣ ف - تعالى.

ونَظيرُه قولكَ: "حيَّاك اللهُ"؛ أي: أَحْيَاك وأَبْقاك، و: "حَيَّيتُك"؛ أي: دعَوْتُ لكَ بأَنْ يُحْيِيَكَ اللهُ؛ لأنَّكَ لاتِّكالِكَ على إجَابةِ دَعوتكَ كأنَّكَ تُبْقِيه على الحقيقةِ، وكذلك: عَمَّركَ اللهُ وعَمَّرتُكَ، وسَقَّاكَ اللهُ وسَقَّيتُكَ، وعَليْه قَولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ﴾ [الأحزاب ٥٦/٣٣]؛ أي: ادْعُوا اللهَ بأن يُصَلِّيَ عَليه.

والمَعنى: هو الَّذي يترَحَّمُ عَليْكُم ويترأَّف حَيثُ يَدْعُوكُم إلى الخيْر ويأمُرُكم بإكثَار الذِّكْر والتَّوفُّرِ عَلى الصَّلاة والطَّاعَةِ ﴿لِيُخۡرِجَكُم﴾ من ظُلُمات المعصِيَةِ إلى نُور الطَّاعة.

﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ دليلٌ على أنَّ المراد بالصَّلاة الرَّحْمةُ.

ويُروَى أنَّه لمَّا نَزلَ قولُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ قال أبُو بكر: ما خصَّكَ الله يا رسُولَ الله بشَرفٍ إلَّا وقَد أَشْركَنا فيه، فَأُنزِلَتْ.

﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا ٤٤﴾

قوله: (حيَّاك الله)... إلخ فقولك:[١] "حيَّاك الله" مثلُ "صلَّى الله عليك"، وقولك: "حَيَّيتُك" مثلُ "صلَّتِ الملائكة عليك".

قوله: (أي: ادعوا الله) فالمؤمنون إذا دعَوا بأن يُصلِّي[٢] الله تعالى[٣] على النبيِّ عليه السلام[٤] فكأنّهم صلُّوا عليه.

قوله: (والمعنى) أي: معنى الآية التي نحن فيها.

قوله: (دليل على أنّ المراد) لأنّ مِن شأن الجملة المعترِضة أن تكون مقرِّرة ومؤكِّدة لِما سبقها مِن حيث المعنى.

قوله: (فأُنزلت)[٥] أي: هذه الآية، وهي قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي﴾... إلخ.

---

١ ن: فقوله.
٢ ن: يصلَّى.
٣ ن ف - تعالى.
٤ ن ف - عليه السلام.

٥ أسباب النزول للواحدي، ص ٣٧٦؛ الدرّ المنثور للسيوطي، ٦٢٢/٦. قال السيوطي: «أخرجه عبد بن حُميد وابن المنذر عن مجاهد».

﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ مِن إضَافة المصْدَر إلى المفعُول؛ أي: يُحَيَّونَ يَوم لِقائهِ بسَلام، فيجُوز أَنْ يُعَظِّمَهُم اللهُ بسَلامِه عَليهم كما يَفعَلُ بهم سَائرَ أَنواعِ التَّعظيم، وأن يكونَ مَثَلًا كَاللِّقاءِ على مَا فسَّرنا.

وقيل: هُو سَلامُ مَلَكِ المَوْتِ والملائكةُ مَعه عَلَيْهم وبِشارتُهم بالجنَّة.

وقيل: سَلامُ الملائكةِ عند الخرُوج من القبُور.

وقيل: عِند دُخول الجنَّةِ: كما قال: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد ١٣/٢٣-٢٤].

و"الأجرُ الكريمُ": الجنَّةُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦﴾

﴿شَٰهِدًا﴾ على مَن بُعِثْتَ إلَيْهم وعَلى تَكْذِيبِهِم وتصديقِهم؛ أي: مقبُولًا قولُكَ عندَ الله لَهُم وعَليهم كما يُقبَلُ قولُ الشَّاهِدِ العَدْلِ في الحُكم.

فإن قلتَ: وكيْفَ كان شاهدًا وَقْتَ الإرْسَال، وإنما يكُون شاهدًا عند تَحمُّلِ الشَّهادة أو عِند أَدائها؟

قلتُ: هي حالٌ مُقَدَّرةٌ كمَسألة الكتابِ: "مَررْتُ برَجُلٍ معَه صَقْرٌ صَائدًا به غدًا"؛ أي: مُقَدِّرًا به الصَّيْدَ غَدًا.

قوله: (وأن يكون مثلًا كاللقاء) وذلك بأن شبّه إكرامه تعالى بإثابتهم للمؤمنين وإدخالِهم الجنّة بالسلام، كما شبّه الوصول إلى الثواب باللقاء.

قوله: (وقيل) عطف على قوله: (فيجوز).[1]

قوله: (صائدًا) يجوز أن يكون حالًا مِن (رَجُل)؛ لأنّه لمّا وُصِف قَرُب مِن المعرفة، فجاز تأخير الحال عنه. ويجوز أن يكون مِن الضمير في (معه)؛

---

[1] وفي هامش د ف: قوله: (شاهدًا على مَن بُعِثتَ)... إلخ الشهادة مِن توابع كونه مقبولَ القول بسبب الحرّيّة والعقل والبلوغ والعدالة وغيرها، فيكون كناية. ويحتمل أن يكون مِن قبيل المجاز المرسَل، فإنّ الشهادة بسبب الشرائط مستلزمة لِقبول قوله، فذُكر الملزوم وأُريدَ اللازم.

فإن قلتَ: قد فُهِم من قوله: "إنَّا أرْسَلناك داعِيًا": أنَّه مَأذُونٌ له في الدُّعاء، فما فائدةُ قَوله: ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾؟

قلتُ: لَم يُرَدْ بِهِ حقيقَةُ الإِذْن، وإنَّما جُعل الإِذْنُ مستعَارًا للتَّسهِيل والتَّيسير؛ لأنَّ الدُّخُولَ في حَقِّ المالِك مُتَعذِّرٌ، فإذا صُودف الإِذْنُ تَسهَّل وتيسَّر، فلمَّا كانَ الإِذْنُ تسهيلًا لِمَا تعَذَّر من ذلك وُضِعَ مَوْضِعَه، وذلك أنَّ دُعاءَ أَهل الشِّرك والجَاهليَّة إلى التَّوحيدِ والشَّرائعِ أَمرٌ في غَايَةِ الصُّعُوبةِ والتَّعذُّر فقِيل: ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ للإِيذانِ بأنَّ الأَمْرَ صَعْبٌ لا يَتَأتَّى ولا يُستطَاعُ إلَّا إذَا سَهَّلَهُ اللهُ ويسَّرهُ.

ومنه قولُهم في الشَّحيحِ: "إنَّه غيْرُ مأذُونٍ له في الإِنفاقِ"؛ أي: غيْرُ مُسهَّلٍ له الإِنفاقُ لكَونه شَاقًّا عَليه دَاخِلًا في حدِّ التَّعذُّرِ.

﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ جَلَّى به اللهُ ظُلماتِ الشِّرك وَاهْتدَى بِهِ الضَّالُّونَ كما يُجَلَّى ظَلَامُ اللَّيلِ بالسِّراجِ المنيرِ ويُهتَدَى.

أو: أَمَدَّ اللهُ بنُور نبُوَّتهِ نورَ البصَائرِ كما يُمَدُّ بنُور السِّراج نُورُ الأَبْصَار.

ووَصَفه بالإِنَارة لأنَّ من السُّرُجِ ما لا يُضِيءُ إذا قَلَّ سَليطهُ ودَقَّتْ فَتِيلَتُه،

لأنّه مفعول مِن حيث المعنى. ولا يَبعُد أن يكون مِن الضمير المستتر في "معه" العائدِ إلى "الصقر"؛ لأنّ الضمير مِن (به) يعود[1] إلى "الصقر".

قوله: (فإذا صُودِف) أي: الدخول. وقوله: (مِن ذلك) "مِن" للبيان،[2] و"ذلك" إشارة إلى الدخول.

قوله: (وذلك)... إلخ إشارة إلى وجه حُسن استعارة الإذن للتيسير[3] ههنا.[4]

قوله: (سَلِيطُه) أي: زَيْتُهُ.

---

[1] ن: نعود.

[2] ن: للشأن.

[3] ف: للتفسير.

[4] وفي هامش د ف: والجامع كونُ كلّ منهما سببًا لحصول الفعل، ويحتمل أن يكون المراد بالاستعارة اللغويّة أي: استعمال اللفظ في غير ما وُضع له، ويكون مِن قَبيل المجاز المرسل مِن قَبيل ذِكر السبب وإرادة المسبَّب، أو مِن قَبيل ذِكر المَلزوم وإرادة اللازم، فإنّ الإذن مستلزم للتيسير والتسهيل، ويحتمل أن يكون استعارةً اصطلاحيّة، والجامع ما ذكرنا.

وفي كلام بعضِهم: "ثلاثةٌ تُضْنِي: رَسُولٌ بَطِيء، وسِراجٌ لا يُضِيء، ومَائدةٌ يُنتَظَرُ لها مَن يَجيء".

وسُئِل بَعضُهم عن المُوحِشَيْن فقال: "ظلامٌ سَاتِر وسِراجٌ فَاتِر".

وقيل: وذَا سراجٍ مُنيرٍ، أو: وتالِيا سِراجًا مُنِيرًا، ويجُوز على هذا التَّفسير أَنْ يُعطَف على كافِ ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾

"الفَضْلُ": ما يُتفَضَّلُ به عَليهم زيَادةً على الثَّواب، وإذا ذَكرَ المُتفَضَّلَ بهِ وكَبَّرَهُ فما ظَنُّكَ بالثَّوابِ؟

ويجوز أَن يُريد بالفَضْل: الثَّوابَ، من قَوْلهم للعَطَايَا: فضُولٌ وفَواضِلُ، وأَن يُريدَ: أَنَّ لَهُم فَضْلًا كبِيرًا على سَائر الأُمَمِ، وذلك الفضلُ من جهَةِ الله وأنَّه آتاهُمْ ما فضَلُوهُم بهِ.

قوله: (تُضْنِي) يقال: أَضْناه المرض، مِن "الضَّنَى"؛[1] وهو الهُزال.[2]

قوله: (عن المُوحِشَيْنِ) والوَحشة: الخَلْوة[3] والهمُّ، يقال: أَوْحَشْتُ[4] الرجل.[5]

قوله: (وأن[6] يُعطَف على "كاف" ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾) وإذا كان عطفًا على "كاف" ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾ كان المعنى: أرسلناك وأرسلنا سِراجًا منيرًا. فعلى الوجه[7] الأوّل شُبّه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[8] بالسِّراج للوجهين المذكورين هناك. وعلى هذا الوجه الثاني شبّه القرآن بالسِّراج لِذَينك الوجهين أيضًا. وقوله: (أو وَتاليًا) أي: قارئًا.

قوله: (ما فَضَلُوهم به) أي: فضَلَ المؤمنون[9] سائرَ الأمم.

---

[1] ف: الضنا.

[2] المُغرب للمطرّزي، «ضنو».

[3] ن: الخلَوة.

[4] ن: وحشتُ.

[5] الصحاح للجوهري، «وحش».

[6] في مطبوع الكشّاف: "أن".

[7] ف – الوجه.

[8] د: عليه السلام.

[9] في النسخ الخطّيّة: "المؤمنين".

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ مَعناه: الدَّوامُ والثباتُ على ما كان عَليه، أو التَّهييجُ.

﴿أَذَىٰهُمْ﴾ يَحتمِلُ إضَافتَه إلى الفاعل والمفعُول، يَعني: وَدَعْ أن تُؤذِيَهم بضَرَرٍ أو قَتْلٍ وَخُذْ بظَاهِرهم وحسَابُهم على الله في باطِنهم، أو: وَدَعْ ما يُؤذُونكَ به ولا تُجَازِهم عليه حَتَّى تُؤمَرَ.

وعن ابن عبَّاسٍ: هي مَنسُوخةٌ بآيةِ السَّيْفِ.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فإنَّه يَكفِيكهُم، وكفَى بهِ مُفوَّضًا إليه.

ولِقائل أَن يقُولَ: وصَفَه اللهُ بِخمْسةِ أَوْصَافٍ، وقابَلَ كُلًّا منهَا بخِطابٍ مُنَاسِبٍ له:

قابَلَ الشَّاهِدَ بقَوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لأنَّه يكُونُ شاهِدًا على أُمَّتِه، وهم يكُونون شُهَداءَ على سَائرِ الأُمَمِ، وهُو الفَضْل الكبيرُ.

والمُبشِّرَ بالإعْراضِ عن الكافِرين والمنافِقين؛ لأنَّه إذا أعْرضَ عنهم أَقْبَلَ جميعَ إقبَالهِ على المؤمنينَ وهو مُناسِبٌ للبِشارة.

والنَّذِيرَ بـ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ لأنَّهُ إذا ترك أذَاهُم في الحاضِر ....

قوله: (حتّى تُؤمَر) أي: بالقتال والمُجازاة.

قوله: (ولقائلٍ أن يقول) يعني: يجوز أن يكون في الآية لفّ ونشر لطيف على الوجه الذي بيَّنهُ.

قوله: (والنذيرَ بِـ﴿دَعْ﴾) فعلى هذا يكون ﴿أَذَىٰهُمْ﴾ مضافًا إلى المضاف. / ويجوز أن يكون مضافًا إلى المفعول، فإنّه إذا لم يؤذِهم ولم يُجازِهم على فِعلهم -ولا بُدّ لأفعالهم القبيحة مِن الجزاء- فيكون ذلك في الآخرة، لكن قوله: (والأذى)... إلخ يدلّ على أنّه مضاف إلى الفاعل. [٢٨٤ظ]

قوله: (في الحاضر) ظرف لقوله: (ترَكَ)، أي: إذا ترك النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم[١]

---

[١] د: عليه السلام.

-والأذَى لا بُدَّ له من عقابٍ عاجلٍ أو آجِلٍ- كانُوا مُنْذَرين بِهِ في المُستقْبَل.

والدَّاعِيَ إلى الله بتَيسيرِهِ بقَوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ لِأنَّ مَنْ توَكَّل على الله يَسَّر عليه كُلَّ عسيرٍ.

والسراجَ المُنِيرَ بالاكتِفاءِ بهِ وكيلًا؛ لأنَّ مَن أنَارهُ اللهُ بُرهَانًا على جميع خَلقِه كان جديرًا بأن يُكتَفَى بهِ عن جميع خلقِه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٤٩﴾﴾

"النِّكاحُ": الوَطْءُ، وتَسمِيتُه العَقْدَ نِكَاحًا لمُلابَستِه له مِن حَيْثُ إنَّه طَرِيقٌ إلَيه، ونَظِيرُه: تَسْمِيَتُهم الخَمْرَ إِثْمًا؛ لأنَّها سبَبٌ في اقْتِرافِ الإثْمِ، ونحوُه في عِلْم البَيانِ قولُ الرَّاجِز:

أَسْـنِـمَــةُ الآبَـــالِ فـي سـحَـابـِهِ

سَمَّى المَاءَ بأَسْنِمَةِ الآبالِ لأنَّه سَبَبُ سِمَن المالِ وارتفَاعِ أَسْنمَتِهِ.

فـي الدنيـا مـا يُؤذونـه بـه كان جزاؤهـم فـي الآخـرة. وقولـه: (والأذى لا بُـدّ) جملة معترِضة.

قوله: (بُرْهانًا) حال.[1]

قوله: (تَسميتُهم الخَمْرَ إثْمًا) قال:

شَـرِبـتُ الإثـمَ حتّى زال عَقْلِي كــذاك الإثــم يَـذهَـبُ بـالـعـقـولِ[2]

قوله: (سُمّي الماءُ بـ"أسْنِمةِ الآبالِ") "الأسْنِمة" جَمع "السَّنام"؛ وهو اللحم المرتفع فوق ظهر الإبل، فالسَّنام في الإبل بمنزلة الألْيةِ في الضَّأن. وقوله: "سُمّي الماءُ" أي:[3] الماء الذي في السحاب. وقوله: (سِمَن المالِ) أي: الإبل.

---

[1] وفي هامش د ف: قوله: (وتسمية العقد)... إلخ في الجميع سمّي السبب باسم المسبَّب، يعني: مِن قَبيل إطلاق اسم المسبَّب وإرادة السبب.

[2] بغير نسبة في الصحاح للجوهري، «أثم»؛ ولسان العرب لابن منظور، «أثم».

[3] د - أي.

ولـم يَرِدْ لفظُ النِّكاحِ في كِتاب الله إلَّا في مَعْنَى العَقْدِ؛ لأنَّه في مَعْنَى الوَطْءِ من باب التَّصْرِيح بهِ، ومن آدابِ القُرآنِ: الكِنَايةُ عنه بلَفْظ المُلامَسةِ والمُمَاسَّةِ والقِرْبَان والتَّغشِّي والإِتْيَانِ.

فإن قلتَ: لـمَ خَصَّ المُؤمناتِ والحُكْمُ الَّذي نَطَقتْ به الآيةُ تسْتَوِي فيه المؤمِناتُ والكتَابيَّاتُ؟

قلتُ: في اختِصَاصِهنَّ تنبيهٌ على أنَّ أَصْل أَمْر المُؤمِن والأَوْلَى بهِ أن يَتَخيَّر لنُطْفَتِه، وأَنْ لا يَنْكِحَ إلَّا مؤمِنةً عفِيفةً، ويَتنزَّهَ عن مزاوجة الفَواسِق فما بالُ الكَوافِر؟ ويَسْتَنكِفَ أَنْ يَدْخُلَ تَحْتَ لحَافٍ واحدٍ عَدُوَّةُ اللهِ ووَلِيُّهُ، فَالَّتي في سُورةِ المائدَةِ تَعْليـمُ ما هو جائزٌ غيرُ مُحرَّمٍ مِن نِكاحِ المحْصَناتِ من الَّذين أُوتُوا الكِتابَ، وهذه فيها تعْلِيمُ ما هُو الأَوْلى بالمؤمِنِ مِن نِكاح المؤمِناتِ.

فإن قلتَ: ما فائدَةُ ﴿ثُمَّ﴾ في قَوْله: ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾؟

قلتُ: فَائدتُه: نَفيُ التَّوهُّم عَمَّنْ عَسَى يَتَوهَّمُ ....

قوله:[1] (في معنى الوَطْء) حال. وقوله: (مِن باب التصريح) خبر "أنّ".

قوله: (أن يتخيَّر) التخيّر: الاختيار.

قوله: (في سورة المائدة) قال تعالى في سورة المائدة:[2] ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ [المائدة ٥/٥].

قوله: (مِن نكاح المحصَنات) بيان "ما". وقوله: (مِن الذين) للتبعيض. وقوله: (مِن نكاح المؤمنات) بيان "ما".

قوله: (قلتُ: فائدته)... إلخ.

---

[1] ن – قوله؛ ف: وقوله.

[2] ف – قال تعالى في سورة المائدة.

تفَاوُتَ الحُكْم بيْنَ أَنْ يُطَلِّقَها وهي قريبَةُ العَهْد مِن النِّكاح وبَيْنَ أن يَبْعُدَ عَهْدُها بالنِّكاح ويَتراخَى بها المُدَّةُ في حِبَالَةِ الزَّوْج ثُمَّ يُطَلِّقَها.

فإن قلتَ: إذا خَلا بها خَلوةً يُمْكِنُه معها المَسَاسُ هل يَقُومُ ذلك مقَامَ المَساسِ؟

قلتُ: نعَمْ، عِند أبي حنيفة وأصْحابِهِ حُكْمُ الخَلْوَةِ الصَّحيحةِ حُكْمُ المَساس، وقَولُه: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ دَليلٌ عَلى أَنَّ العِدَّةَ حَقٌّ واجبٌ على النِّساءِ للرِّجال.

﴿تَعْتَدُّونَهَا﴾: تَسْتَوفُونَ عَدَدهَا، مِن قَولك: "عَدَدتُ الدَّراهِمَ فاعتَدَّهَا" كقَولك: "كِلْتُه فاكتَالهُ" و"وَزَنْتُه فاتَّزنَهُ".

وقُرئ: "تعْتَدُونهَا" مُخففًا؛ أي: تَعتَدُونَ فيها؛ كقوله:

ويــــــــــومٍ شــــــهــــــدنــــــاهُ

قوله:[1] (تفاوُتَ الحكمِ) فيه حذف، أي: تفاوُتَ الحكم بين هذين الأمرين في عدم لُزوم العِدّة. و"التفاوُت" مِن "الفَوت" و"الفَوات"، يقال: فاتَه الشيءُ. وتفاوَتَ الشيئان؛ تباعَد بينهما.[2]

قوله: (في حِبالة الزوج) أي: في نكاحه، فالمصنّف شبّه النكاح بالحِبالة التي يُصاد بها.

قوله: (الصحيحةِ) يريد بـ"الصحيحة" أنْ تُمَكِّنه ولا يكون هناك مانع مِن قِبَلِها.

قوله: (مِن قولك: عَددتُ) أي: هو "افتِعال" مِن "العَدّ".

قوله: (وقُرئ: "تَعْتَدُونَهَا" مُخففًا)[3] مِن الاعتداء؛[4] الظلم. والمراد بالاعتداء أن يمنعها الزوج المُطلِّق مِن أن تَنكِحَ زوجًا آخر. وقوله: (أي: تَعتَدون فيها) يعني: هذا ممّا يُذهب فيه بالظرف عن أن يُقدّر فيه معنى "في" اتّساعًا، فيجري[5] لذلك مَجرى المفعول به، نحو: "الذي سِرْتُهُ يومُ الجمعة"، ونحو قول الشاعر:

---

[1] ن – قوله.

[2] انظر: الصحاح للجوهري، «فوت».

[3] قراءة شاذّة، مرويّة عن الحدّاد عن البزّي. انظر: الكامل للهذلي، ص ٦٢٠.

[4] ن: الاعتداد.

[5] ف: فنجري.

والمرادُ بالاعتِداءِ: ما في قَولِهِ: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْ﴾ [البقرة ٢/٢٣١].

فإن قلتَ: ما هذا التَّمتيع أواجِبٌ أَمْ مَندوبٌ إلَيْه؟

قلتُ: إنْ كانت غيرَ مفرُوضٍ لهَا كانت المتعَةُ واجِبةً، ولا تجِبُ المُتْعَةُ عِند أبي حنيفَة إلَّا لها وَحْدهَا دُونَ سَائر المطلَّقاتِ، وإن كانَتْ مَفرُوضًا لها فالمُتعَةُ مختَلَفٌ فيها: فبَعْضٌ على النَّدب والاستحبَابِ ومنهُم أبو حنيفةَ، وبعْضٌ على الوجُوب.

﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ من غيْرِ ضِرارٍ ولا مَنْعِ واجِبٍ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾

﴿أُجُورَهُنَّ﴾: مُهُورَهنَّ؛ لأنَّ المَهْر أَجْرٌ على البُضعِ، وإيتَاؤهَا: إمَّا إعْطَاؤُهَا عَاجِلًا، وإمَّا فرضُهَا وتَسْمِيَتُها في العَقْد.

ويــومٍ شَـهِـدْنـاه سُـلَـيـمًـا وعـامِـرًا   قليـلٍ سِـوى الطَّعْـنِ الـدِّراك نَوافِلُـهْ[1]

"الدِّراك": المُتتابع.

قولـه: (قلـتُ: إن كانـت غيـرَ مَفـروض لهـا) يعنـي:[2] تكـون مُفوّضـة بـأن قالـت المالِكـةُ لنفسـها لِوَليِّهـا: زوِّجْنِي بـلا مَهْرٍ، فنفَى الولـيّ المهر، أو سكَت عنه في العَقْـد.

قوله: (لأنَّ المَهْرَ) متعلّق بمحذوف، أي: سُمّي المَهر أجْرًا لأنَّ....

---

[1] عن رجل من بني عامر في الكتاب لسيبويه، ١/١٧٨، بلفظ: "النِّهال" بدل "الدِّراك". و"النِّهال": المرتَّوية بالدم. وأصل النَّهل: أوّل الشرب. و"سُليم وعامر": قبيلتان مِن قيس بن عَيلان. و"النوافل" هنا: الغنائم. يقول: لم نغنم إلّا النفوس بما أوليناهم مِن كثرة الطعن. والشاهد فيه أنّه جعل الضمير في "شهدناه" مفعولًا به على التوسّع بإسقاط حرف الجرّ، والأصل: "ويومٍ شهدنا فيه". انظر: شرح كتاب سيبويه للسيرافي، ١/٣٧٨؛ وشرح المفصّل لابن يَعيش، ٢/٤٦.

[2] ن: معنى.

فإن قلتَ: لمَ قال ﴿ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ﴾ و﴿مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ﴾ و﴿ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ﴾ ومَا فائدةُ هذه التَّخصيصَاتِ؟

قلتُ: قد اختَارَ اللهُ لرَسُولِهِ الأَفضَلَ الأَوْلى، واستحبَّهُ بالأَطْيَب الأَزْكَى، كمَا اختصَّهُ بغَيْرِها مِن الخصَائصِ وآثَرهُ بما سِواهَا منَ الإِثَرِ، وذَلك أنَّ تسميَةَ المَهْر في العقْدِ أَوْلى وأفضَلُ من ترك التَّسميَة وإنْ وَقعَ العقْدُ جَائزًا، ولهُ أَنَّ يُماسَّهَا وعليه مَهرُ المِثل إنْ دَخلَ بها والمُتعَةُ إنْ لم يَدْخُلْ بهَا، وسَوقُ المَهْر إليْهَا عَاجِلًا أفضَلُ من أن يُسمّيَهُ ويُؤجِّلَهُ، وكان التَّعْجيلُ ديدَنَ السَّلَفِ وسُنَّتَهُم ومَا لا يُعْرَفُ بينَهُم غَيرُه.

وكذلك الجَارِيَةُ إذَا كانتْ سَبِيَّةَ مالِكِهَا وخِطْبَة سيْفِه ورُمْحِه ومِمَّا غَنَّمهُ اللهُ من دارِ الحَرْب أَحَلُّ وأطيَبُ ممَّا يُشْتَرَى مِن شِقِّ الجَلَبِ.

قوله: (قلتُ: قد اختارَ)... إلخ يريد: أنّه تعالى أوجب عليه رعاية هذه القيود ليكون مختارًا لِما هو الأفضل، ويؤيّده ما نُقل عن أُمّ هانئ: «لم أَحِلَّ له لأنّي لم أُهاجِر».[1] وكأنّ ذلك كان شرطًا ثمّ نُسِخ. قال الواحدي في الوسيط: «هذا إنّما كان قبل تحليل غير المُهاجِرات، ثمّ نُسِخَ شرط الهجرة في التحليل».[2] وممّا يدلّ على أنّه أراد وجوب رعاية القيود / قوله [٢٨٥و]
بعد ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ﴾ [الأحزاب ٥٢/٣٣]: "قيل: معناه: لا يحِلُّ لك النساء بعد النساء اللاتي نُصَّ إحلالهنّ لك مِن الأجناس الأربعة".

قوله: (بالأطْيب) أي: استحبَّ الله رسولَه ملتبسًا بالأطيب.

قوله: (مِن الإِثَر) "الإِثْر": خُلاصة السَّمْن.[3]

قوله: (وإن وقع العَقد جائزًا) أي: مع ترك التسمية.

---

[1] سنن الترمذي، ٢٠٨/٥ (٣٢١٤)؛ المستدرك للحاكم، ٤٥٦/٢ (٣٥٧٤).

[2] التفسير الوسيط للواحدي، ٤٧٧/٣ (الأحزاب، ٥٠/٣٣).

[3] الصحاح للجوهري، «أثر».

والسَّبيُ على ضَربيْنِ: سَبْيُ طِيبَةٍ، وَسَبْيُ خِبْثَةٍ، فَسَبْيُ الطِّيبَة: ما سُبِيَ من أَهْلِ الحَرْب، وأمَّا مَن كان له عَهْدٌ فالمَسْبيُّ مِنهُ سَبْيُ خِبْثَةٍ، ويدُلُّ عَلَيْه قولُه تَعالى: ﴿مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ﴾ لأنَّ فيءَ اللهِ لا يُطْلَقُ إلَّا عَلى الطَّيِّب دُون الخبيثِ كما أَنَّ رِزقَ الله يجِبُ إطْلاقُه على الحَلالِ دُون الحَرامِ.

وكذلك اللَّاتِي هَاجَرْنَ معَ رسُول اللهِ من قَرابتهِ غيْرِ المحَارم أفضَلُ من غَيْرِ المُهَاجِرَاتِ معَهُ.

وعن أُمِّ هَانِئٍ بنتِ أبي طَالبٍ: خَطَبَني رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم فاعتَذرْتُ إلَيه فعَذرَني، ثمَّ أنزَل اللهُ هذه الآيَة فَلم أَحِلَّ لهُ لأنِّي لم أُهَاجِرْ معَه كنتُ من الطُّلَقَاء.

﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾: وأَحلَلْنا لك مَن وَقَع لها أن تهَبَ لكَ نفسَها ولا تطلُبَ مَهرًا من النِّسَاءِ المُؤمِناتِ إن اتَّفقَ ذلك، ولذلك نكَّرهَا، واختُلِف في اتِّفاقِ ذلك، فعنِ ابن عبَّاسٍ: لم يكُنْ عنْد رسُولِ الله أحَدٌ مِنْهُنَّ بالهبَةِ.

قوله: (والسَّبْي على ضربَين) هذا إشارة إلى فائدة ذكر اسم الله تعالى في قوله تعالى: ﴿أَفَآءَ ٱللَّهُ﴾، وهذا قريب مِن قول المعتزلة: "الحرام لا يكون رِزْقًا".

قوله: (كما أنّ رزق الله) هذا بناء على مذهبه.

قوله: (مِن الطُّلَقاء) الطَّليق: الأسير الذي أُطلِق عنه إسارُه.[1] والإسار: القَيد. ولمّا فتح النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم[2] مكّة عُنوة صار أهلُها مِلْكًا، فأعتقهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم[3] فسُمُّوا طُلَقاء.

قوله: (إن اتّفق) متعلّق بقوله: (وأحْلَلْنا).[4]

قوله: (ولذلك) أي: لأجل أنّ الإحلال كان على تقدير أن يتّفق الهبة نكَّرَ ﴿ٱمۡرَأَةً﴾؛ إذ لو كانت الواهبة معيَّنةً لكان المناسب التعريف.

---

[1] الصحاح للجوهري، «طلق».
[2] د: عليه السلام.
[3] د: عليه السلام.
[4] وأجللنا.

وقيل: المَوهُوبَاتُ أَرْبعٌ: مَيْمُونةُ بِنتُ الحَارثِ، وزيْنبُ بنتُ خُزيْمةَ أُمُّ المَساكينِ الأَنْصَاريَّةُ، وأُمُّ شَرِيك بنتُ جَابرٍ، وخَولَةُ بنتُ حَكيم.

قرئ: ﴿إِن وَهَبَتْ﴾ عَلى الشَّرط، وقَرأَ الحسنُ: "أَنْ" بالفتح عَلى التَّعْليلِ بتقدير حَذفِ اللَّام، ويجُوز أَن يكُونَ مَصْدرًا محذُوفًا معَهُ الزَّمانُ كقَولك: "أَجْلِسُ ما دامَ زيْدٌ جَالِسًا" بمَعنى: وَقْتَ دوامِه جالسًا، و: وَقْتَ هبَتِهَا نفسَها.

وقرأ ابنُ مسعُود بغَيرِ ﴿إن﴾.

فإن قلتَ: ما مَعنى الشَّرط الثاني معَ الأوَّل؟

قلتُ: هُو تَقييدٌ له؛ شَرَطَ في الإِحلال: هبَتَها نفسَها، وفي الهِبَة: إرَادةَ استِنكاح رسُول الله، كأنَّه قال: أَحْللنَاها لكَ إِنْ وَهبَتْ لكَ نفسَها وأنتَ تُريدُ أن تَستنكِحَها؛ لأنَّ إرَادَتَه هي قبُولُ الهبَة ومَا به تَتِمُّ.

قوله: **(وقيل: المَوهوبات)** عطفٌ مِن حيث المعنى على قوله: **(فعن ابن عبّاس)**.

قوله:[1] **(قلتُ: هو تقييد له)** أي: الشرط الثاني تقييد للشرط الأوّل. ثمّ استأنف المصنّف الكلام لبيان كيفيّة التقييد فقال: **(شرط)**، يعني: أنّ الهبةَ شرط الإحلال. والحاصل: أنّ قوله: ﴿إِن وَهَبَتْ﴾ شرطٌ لا بُدّ له مِن جزاء بعده لفظًا أو تقديرًا، فيُقدَّر مِن جنس ما تقدّم، فيُقدَّر:[2] إنْ وهَبتْ أحلَلنا. ثمّ إنّ قوله: ﴿إِنْ أَرَادَ﴾ أيضًا شرط، فلا بدّ أنْ يُقدَّر له جزاء مِن جنس ما تقدّمه، والذي تقدّمه[3] هو جملة شرطيّة، فيُقدَّرُ لجزاء هذا الشرط الأخير جملة شرطيّة، فيكون التقدير: إن أراد النبيُّ أن يستنكحها إن وَهَبت أحلَلْنا. ثمّ ذكر لتقرير أنّ إرادة استنكاحها شرط لكون الهِبة مفيدة للحِلّ أنّ المراد بإرادة الاستنكاح القَبول، ولا شُبهةَ في أنّه عليه السلام ما لم يَقبل لا تَحِلُّ له. وفيه إشارة إلى أنّ الإرادة أمر خفيّ لا تُجعل مِن حيث هي شرطًا؛ بل لا بُدّ مِن أمرٍ ظاهرٍ يدلّ عليه يكون كالضابط له وهو القبول، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ﴾ [النساء ٢٩/٤]، فالمراد بالتراضي هو الإيجاب والقبول.

---

[1] ن – قوله.
[2] ن: فتقدّر.
[3] ن: معدّمه.

فإن قلتَ: لم عُدِل عن الخطابِ إلى الغَيْبة في قوله: ﴿نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ﴾ ثم رجَع إلى الخِطاب؟

قلتُ: لِلإيذانِ بأنَّه ممَّا خُصَّ به وأُوثِرَ، ومَجِيئُه على لفظِ "النَّبيِّ" للدَّلالة على أن الاختِصاصَ تكرِمَةٌ له لأَجْلِ النُّبوة، وتكرِيرُه تَفخيمٌ له وتقريرٌ لاستحقَاقِه الكرامَةَ لِنبُوَّتِه.

واستِنكاحُها: طلبُ نكاحِهَا والرغبَةُ فيه، وقد استَشهَد به أبو حنيفةَ رحمه الله على جواز عقد النكاحِ بلَفظ الهبَة؛ لأنَّ رسولَ الله وأُمَّتَهُ سَواءٌ في الأحْكام إلَّا فيما خَصَّه الدَّليلُ.

وقال الشافعي: لا يصحُّ، وقد خُصَّ رسولُ الله بمَعنى الهبَةِ ولَفظِهَا جميعًا؛ لأنَّ اللفظ تابعٌ للمَعنى، والمُدَّعِي للاشتِراك في اللَّفْظِ يَحتاجُ إلى دليلٍ.

وقال أبو الحَسن الكرخيُّ: إنَّ عقد النِّكاح بلفظ الإجَارةِ جائزٌ؛ لقَوله: ﴿ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ﴾.

وقال أبُو بكرٍ الرَّازيُّ: لا يصحُّ؛ لِأنَّ الإجَارةَ عَقْدٌ مُؤقَّتٌ وعقدُ النكاح مُؤبَّدٌ فهُما متَنافيَانِ.

قوله: (﴿لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ﴾) أي: ولم يقل لك: إنْ أردتَ.

قوله: (وتكريرُه) يريد بتَكريره وضع الظاهر موضع الضمير في قوله تعالى: ﴿إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ﴾؛ إذ حقّه بحسب الظاهر: إن أراد أن يستنكِحها؛ لِتقدّم ذِكر النبيّ.

قوله: (واستِنْكاحُها: طلب نِكاحها والرغبةُ فيه) فيه نظَر؛ إذ يئول معنى الآية إلى قولك: أراد طلبَ نِكاحها، وأراد الرغبة في نِكاحها. فالصواب أن يقال: "الاستنكاح" هنا بمعنى النكاح، وأن يُفسَّر "أراد أن يستنكِحَها" بقولك: أراد أن ينكِحها، كما قال في الوسيط: «﴿إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ إن آثَرَ النبيُّ نكاحها / وأراد».[1] [٢٨٥ظ]

---

[1] التفسير الوسيط للواحدي، ٣/٤٧٧ (الأحزاب، ٥٠/٣٣).

﴿خَالِصَةً﴾ مَصْدرٌ مؤكِّدٌ -كـ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ [الزمر ٢٠/٣٩] و﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة ١٣٨/٢]-؛ أي: خَلَصَ لكَ إحْلالُ ما أحْلَلْنا لك ﴿خَالِصَةً﴾ بمَعْنى: خُلوصًا، والفاعِلُ والفَاعِلةُ في المَصادرِ غَيْرُ عَزيزَيْنِ؛ كالخارج والقَاعِد والعَافيَةِ والكاذِبة، والدَّليلُ على أنَّها وَردتْ في أثَرِ الإحْلالاتِ الأَرْبَعِ مَخْصُوصَةً برسُولِ الله على سبيلِ التَّوكيدِ لها قَولُه: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ بعد قولِهِ: ﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وهي جُملةٌ اعتراضِيَّةٌ، وقَولُه: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ مُتَّصلٌ بـ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ومَعنى هذِه الجملةِ الاعتراضيَّةِ: أنَّ الله قد عَلِم ما يَجِبُ فَرْضُه على المؤمِنين في الأَزْواج والإماءِ، وعلى أيِّ حَدٍّ وصِفةٍ يَجبُ أن يُفرَضَ عَليْهم، ففَرضَه، وعَلِم المَصْلحةَ في اختِصاص رسُولِ الله بما اختصَّهُ به ففعَلَ.

قوله: (إحلال ما أحلَلْنا) أي: مِن الأصناف الأربعة المذكورة بعد قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ﴾. ووجه اختصاص تلك بالنبيّ أنّ القيود المذكورة مِن إيتاء الأجور والإفاءة والهجرة مختصّة به كالهبة. وصاحب الوسيط يجعل قوله تعالى: ﴿خَالِصَةً﴾[١] مختصًّا بقوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً﴾... إلخ.[٢] ثمّ استدلّ المصنّف على أنّ ﴿خَالِصَةً﴾ لتأكيد الإحلالات الأربع بقوله: (والدليل)... إلخ، وهذا هو المختار المطابق للّفظ، والملائمُ للمعنى.

قوله: (والدليل على أنّها) أي: أنّ "الخالصة". وقوله: (﴿قَدْ عَلِمْنَا﴾)... إلخ، فإنّه تعالى لمّا قال بعد قوله: ﴿خَالِصَةً﴾: ﴿قَدْ عَلِمْنَا﴾... إلخ؛ عُلِم أنّ قوله: ﴿خَالِصَةً﴾ متعلّق بالأصناف الأربعة مِن الأزواج والواهبةِ، غيرُ مختصّة بالواهبة.

قوله: (وهي جملة اعتراضيّة) أي: ﴿قَدْ عَلِمْنَا﴾ إلى ﴿أَيْمَٰنُهُمْ﴾.

قوله: (قد عَلِمَ ما يجب) "ما" استفهاميّة، أي: أيُّ شيء يجب فَرْضه؟ والدليل عليه عطفُ جملة استفهاميّة أخرى عليه، وهو قوله: (على أيِّ حَدٍّ؟).

قوله: (ففعلَ) أي: ففعلَ الاختصاصَ.

---

١ ف + مخلصةً.

٢ انظر: التفسير الوسيط للواحدي، ٤٧٧/٣ (الأحزاب، ٥٠/٣٣).

ومَعْنى ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾: لئلا يكونَ عليكَ ضِيقٌ في دِينك: حيثُ اختصَصْنَاك بالتَّنزيهِ واختيَارِ ما هُو أَوْلى وَأَفْضلُ، وفي دُنْياك: حَيْثُ أَحْلَلنا لك أَجناسَ المنكُوحَاتِ وزِدْنا لك الواهِبَة نفسَها.

وقُرِئ: "خالصةٌ" بالرفع؛ أي: ذاك خلُوصٌ لكَ وخُصُوصٌ من دُون المؤمنينَ.

ومَن جَعل ﴿خَالِصَةً﴾ نَعْتًا للمرأة فعَلى مَذهَبِه: هذه المرأةُ خالصَةٌ لكَ من دُونهم.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ للوَاقِع في الحَرجِ إذا تابَ ﴿رَحِيمًا﴾ بالتَّوسعَةِ على عِبَادِه.

﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾

رُوي أَنَّ أمَّهاتِ المُؤمنينَ حين تغَايَرْنَ وابتَغَيْنَ زيَادَة النَّفقَةِ وغِظْنَ رسُولَ الله

قوله: (ما هو أولى) مِن إيتاء الأجور، وإيفاء الله عليه، ومُهاجَرتهِنَّ معه على ما مرّ.

قوله: (أي: ذاك)[1] يعني: إحلال الأصناف الأربعة خُلوص. فهو متعلّق بالجميع، كما في قراءة النصب.

قوله: (ومَن جَعل) أي: ومَن جَعل ﴿خَالِصَةً﴾ في قراءة النصب صفةَ المرأة في قوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً﴾ ولم يُعلِّقْهُ بالأصناف الأربعة، فعلى مذهبه إذا قُرئ: "خَالِصَةٌ" بالرفع[2] يكون تقديره: هذه المرأة -أي: الواهبةُ- خالصةٌ لك مِن دون المؤمنين.

قوله: (حين تَغايَرْنَ) مِن "الغَيرة"، أي: غارَت بعضُهنّ على بعضٍ. وقوله: (وابْتغَينَ) أي: طلَبْنَ. وقوله: (وغِظْنَ) الغَيظُ: غضب كامِنٌ للعاجز، وقد غاظَه ذلك فهو مَغِيظ، ولا يقال: أغاظه.[3]

---

[1] ن: ذلك.

[2] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن أبي عبلة. الكامل للهذلي، ص ٦٢١؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٣٨٦.

[3] الصحاح للجوهري، «غيظ».

هَجرَهُنَّ شهرًا ونَزَلَ التخيير، فَأشفَقْن أن يُطلِّقهنَّ فقُلنَ: يا رسُولَ الله، افرِضْ لنا مِن نفسكَ ومَالِك ما شئتَ.

وروي أن عائشةَ قالت: إنّي أرى ربَّكَ يُسَارِعُ في هَواكَ.

﴿تُرجِئ﴾ بهَمزٍ وغير هَمْزٍ: تُؤخِّرُ ﴿وَتُئْوِى﴾: تَضُمُّ.

يَعني: تَترك مُضَاجَعة مَن تشَاءُ منهنَّ، وتُضَاجِعُ مَن تشَاء.

أو: تُطلِّقُ مَن تشاء وتُمسِكُ مَن تشاء.

أو: لا تَقْسِمُ لِأيَّتِهنَّ شئتَ وتقسِمُ لمن شِئتَ.

أو: تَترُكُ تَزوُّجَ مَن شئتَ من نسَاء أُمَّتِك وتَتزوَّجُ مِن شِئتَ.

وعن الحَسَن: كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا خَطبَ امرأةً لم يَكن لأحَدٍ أن يخطُبَها حَتَّى يَدعَها.

وهذه قسمةٌ جامعةٌ لِمَا هو الغَرض؛ لأنَّه إمَّا أَنْ يُطلِّق وإمَّا أن يُمسِكَ، فإذا أمسَك ضاجَعَ أو تركَ وقسَم أو لم يَقسِمْ، وإذا طَلَّقَ وعَزلَ فإمَّا أن يُخلِّيَ المَعْزُولَةَ لا يَبتغِيها أو يبتَغِيها.

قوله: (وعن الحسن)[1] قول الحسن يؤيّد التفسير الأخير.

قوله: (وهذه قِسمة جامعة) أي: القسمة المشار إليها بقوله تعالى: ﴿تُرْجِئُ﴾...[2] إلخ قِسمة حاصِرة[3] كما ذكره المصنّف. ثمّ اعلم أنّ التفسير الأخير الذي اختاره الحسن خارج عن القسمة التي ذكرها المصنّف. فالوجه أن نقول: إمّا أنْ يتزوَّج أو يترُك، فإن تزوَّج فإمَّا أن يُطلِّق... إلى آخر ما ذُكر. ويمكن أن يقال: تركَ المصنّف ذلك[4] القِسم لظهوره، فإنّ الطلاق والإمساك إنّما يكون بعد التزوّج، لكنّا نقول: هما قِسمان: التزوّجُ، وتركُ التزوُّج، فلا بدّ مِن ذِكرهما.

---

١ جامع البيان للطبري، ١٤٠/١٩ (الأحزاب، ٥١/٣٣)؛ الكشف والبيان للثعلبي، ٤٩٨/٢١ (الأحزاب، ٥١/٣٣).

٢ كذا في النسخ الخطّيّة بهمزة مضمومة، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر ويعقوب وشعبة. انظر: النشر لابن الجزري، ٤٠٦/١.

٣ ف: حاضرة.

٤ ف: حكم.

ورُوي: أنّه أَرْجَأَ مِنهنَّ سَوْدةَ وجُوَيْرِيةَ وصَفِيَّة وميْمونَةَ وأمَّ حبيبة فكان يَقْسِمُ لهنَّ ما شَاء كما شاء، وكانت مِمَّن آوَى إليه عَائشةُ وحفصَةُ وأمُّ سَلمةَ وزينبُ، أَرْجَى خمسًا وآوَى أَرْبعًا.

ورُوي: أنّه كان يُسَوِّي معَ ما أُطْلِقَ له وخُيِّر فيه، إلَّا سَوْدَةَ فإنَّها وهَبت ليْلَتَها لعَائشةَ وقالت: لا تُطَلِّقْني، حَتَّى أُحْشَر في زُمْرة نسَائكَ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ التفويضُ إلى مَشيَّتِك ﴿أَدْنَىٰٓ﴾ إلى قُرَّة عيُونهنَّ وقِلَّةِ حُزْنهنَّ، ورضاهُنَّ جميعًا؛ لأنَّه إذا سَوَّى بَينهُنَّ في الإيواء والإرْجاء والعَزلِ والابتغاءِ، وارتفَع التفاضُلُ، ولم يكُنْ لإحداهُنَّ ممَّا تُرِيدُ وممَّا لا تُرِيدُ إلَّا مِثْلُ مَا لِلأُخرَى، وعَلِمْن أنَّ هذا التفويضَ من عِند الله وبوَحْيِهِ، اطمأنَّتْ نفُوسُهنَّ وذهَب التَّنافُسُ والتَّغاير وحَصَل الرِّضا وقرَّت العيونُ وسَلَت القلوبُ.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فيه وَعِيدٌ لمَن لم ترْضَ منهنَّ بما دبَّر الله من ذلك وفَوَّض إلى مَشيَّة رسُوله، وبَعثٌ على تَواطُؤ قلُوبِهنَّ والتَّصافِي بَيْنَهُنَّ، والتَّوافُقِ على طَلَبِ رضا رسُولِ الله وما فيهِ طِيبُ نَفْسِه.

قوله: (أرْجى خَمْسًا)... إلخ لبيان الجملة المتقدّمة، أو إجمالٌ بعد التفصيل، وهو مِن قَبيل إجمال الحساب، كما في قوله عليه السلام: «ثمّ أُجْمِلَ على آخِرهم».[1]

قوله: (وسَلَت) مِن "السُّلوّ".[2]

---

[1] مسند أحمد، ١٢٢/١١ (٦٥٦٣)؛ سنن الترمذي، ١٧/٤ (٢١٤١). وتمامه: خرج علينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وفي يده كتابان، فقال: «أتدرون ما هذان الكتابان؟» فقلنا: «لا يا رسول الله إلّا أن تخبرنا»، فقال للذي في يده اليمنى: «هذا كتاب مِن ربّ العالمين فيه أسماء أهل الجنّة وأسماءُ آبائهم وقبائلهم، ثمّ أُجمِلَ على آخرهم، فلا يُزاد فيهم ولا يُنقص منهم أبدًا»... الحديث. | وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ﴾ أي: ذلك التخيير أقرب إلى رِضاهُنّ. معالم. | معالم التنزيل للبغوي، ٣٦٦/٦ (الأحزاب، ٥١/٣٣).

[2] وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿كُلُّهُنَّ﴾ بالرفع على تأكيد الضمير في ﴿يَرْضَيْنَ﴾، والنصبِ على توكيد المنصوب في ﴿ءَاتَيْتَهُنَّ﴾. أبو البقاء. | التبيان لأبي البقاء العكبري، ١٠٥٩/٢. | وقراءة النصب شاذّة، مرويّة عن أبي إياس جُوبَة بن عائذ. انظر: المحتسب لابن جنّي، ١٨٢/٢؛ وشواذّ القراءات للكرماني، ص ٣٨٦.

وقرئ: "تُقِرُّ أَعيُنَهن" بضم التاء ونصب الأَعْيُنِ، و: "تُقَرَّ أَعينُهنَّ" على البناء للمفعول.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بذاتِ الصُّدور ﴿حَلِيمًا﴾ لا يُعَاجِلُ بالعقابِ فهو حقِيقٌ بأنْ يُتَّقى ويُحْذَر.

و﴿كُلُّهُنَّ﴾ تأكيدٌ لنُون ﴿يَرۡضَيۡنَ﴾.

وقرأ ابنُ مسعُودَ: "ويَرْضَيْنَ كلُّهنَّ بما أَتيتَهُنَّ" على التقديم.

وقرئ: "كُلَّهُنَّ" تأكيدًا لِـ"هُنَّ" في ﴿ءَاتَيۡتَهُنَّ﴾.

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ۝٥٢﴾

﴿لا تحل﴾ وقرئ بالتَّذكير؛ لأن تأنيث الجمع غيرُ حقيقيّ، وإذا جازَ بغَير فصلٍ في قَوله: ﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ﴾ [يوسف ١٢/٣٠] كان معَ الفصل أَجْوَزَ.

﴿مِنۢ بَعۡدُ﴾: من بعدِ التِّسع؛ لأنَّ التِّسع نِصَابُ رسُول الله منَ الأزواجِ كما أنَّ الأربعَ نصابُ أُمَّتِه مِنهُنَّ، فلا يَحِلُّ له أن يتجاوَز النِّصَابَ.

﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ﴾: ولا أَنْ تستَبدِلَ بهؤلاء التِّسعِ أزواجًا أُخَرَ بكُلِّهِنَّ أو بعْضِهِنَّ.

أراد اللهُ لهنَّ كرامةً وجَزاءً على ما اختَرْنَ ورَضِين، فقَصَر رسولَ الله عليْهِنَّ، وهُنَّ التِّسعُ اللَّاتي ماتَ عَنْهُنَّ: عائشةُ بنتُ أبي بكر، حفصَةُ بنتُ عمرَ، ....

قوله: (فهو حَقيق) بعد تفسير ﴿حَلِيمًا﴾ بأنّه لا يُعاجِلُ؛ إشارةٌ إلى أنّه لا ينبغي أن يُغترَّ بترك التعجيل؛ بل ينبغي أن يُخاف، لأنّه إذا لم يَعجَلْ ولا بُدَّ مِن الجزاء فيكون العقاب مترقَّبًا لا محالةَ.

قوله: (بكُلِّهِنّ أو بعضِهِنّ) بدل مِن (بهؤلاء).[١]

---

١ وفي هامش د ف: قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتۡ﴾ يجوز أن يكون في موضع رفع بدلًا مِن ﴿ٱلنِّسَآءُ﴾، وأن يكون في موضع نصب على الاستثناء، وهو مِن الجنس. أبو البقاء. | التبيان لأبي البقاء العكبري، ١٠٦٠/٢.

أمُّ حبيبَة بنتُ أبي سُفيان، سَوْدَةُ بِنتُ زَمْعَةَ، أُمُّ سَلمةَ بنتُ أبي أُميَّةَ، صَفيَّةُ بنتُ حُيَيِّ الخَيْبَرِيَّةُ، مَيْمونةُ بنتُ الحَارِثِ الهِلاليَّةُ، زينبُ بنتُ جحشٍ الأَسديَّةُ، جُويْرِيَةُ بنتُ الحَارث المُصْطَلِقيَّةُ.

﴿مِنْ﴾ في ﴿مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ لتأكيدِ النَّفي، وفائدتُه: استغراقُ جنسِ الأزواج بالتَّحريم.

وقيل: مَعْناه: لا تحِلُّ لك النِّساءُ من بَعْدِ النِّساءِ اللاتي نُصَّ إحلالُهنَّ لك من الأَجناس الأَربعةِ من الأَعْرابيَّاتِ والغَرائبِ، أو من الكتابيَّاتِ، أو من الإِماءِ بالنِّكاحِ.

وقيل: في تحريم التَّبدُّل، هو مِن البَدل الَّذي كان في الجَاهِليَّة، كان يقول الرَّجُلُ للرجُلِ: بادِلْني بامرأتِكَ وأُبادلُكَ بامرأتي، فيَنزِلُ كُلُّ واحِدٍ منهما عن امرأته لِصَاحِبه.

ويُحكى: أنَّ عُيَينةَ بنَ حصْنٍ دخَلَ على النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وعِنده عَائشةُ من غير استِئذانٍ، فقال رسولُ اللهِ: «يا عُيَينةُ، أينَ الاستئذانُ؟» قال: يا رسولَ الله، ما استأذنتُ على رَجُلٍ قطُّ ممَّن مضى مُنْذُ أدركْتُ، ثمَّ قال: مَن هذه الجَميلَةُ إلى جَنْبكَ؟ فقال عليه السلامُ: «هذه عائشةُ أُمُّ المؤمنينَ»، قال عُيَيْنَةُ:

قوله: / (مِن الأعْرابيّات) يريد بـ"الأعرابيات" غيرَ المُهاجرات. [٢٨٦و]

قوله: (كان يقول الرجل) جملة مبيِّنة للتبدُّلِ.

قوله: («ما استأذنتُ على رجل قطُّ»)[١] قول عُيَيْنة: «ما استأذنتُ» يدلّ على أنّه مُتأدِّبًا[٢] بآداب الكرام؛ بل كان خليع العِذار، لا يُبالي بما يأتي به مِن أفعال اللئام.

قوله: («أدركتُ») أي: صِرتُ بالغًا.

قوله: («أمُّ المؤمنين») وإنّما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:[٣] «أمُّ المؤمنين» إشارة إلى حُرمة نسائه على غيره؛ لئلّا يتفوَّه عُيَينةَ بالعظيمة التي تفوَّه بها، وكأنّه صلّى الله عليه وسلّم[٤] علِم أنّه أراد أن يقول ذلك، فمنَعه بهذا الكلام،

---

[١] مسند البزّار، ١٥/٢٧٥ (٨٧٦١)؛ سنن الدارقطني، ٤/٣٠٩ (٣٥١٣).

[٢] كذا العبارة في النسخ الخطيّة، والظاهرُ أنّ فيها سقطًا، وتمامها: "يدلّ على أنّه لم يكن مُتأدِّبًا".

[٣] د - صلّى الله عليه وسلّم.

[٤] د: عليه السلام.

أفلا أَنْزِلُ لكَ عن أَحْسَنِ الخَلْق؟ فقال عليه السلام: «إنَّ اللهَ قد حَرَّم ذلك»، فلمَّا خرَج قالت عائشةُ: مَن هذا يا رسول الله؟ قال: «أَحْمَقُ مُطَاعٌ، وإنَّه عَلى ما تَرَيْنَ لسَيِّدُ قَوْمِه».

وعن عائشة رضي الله عنها: ما ماتَ رسُولُ الله حتَّى أُحِلَّ له النِّساء. تَعنِي: أنَّ الآيةَ قد نُسِختْ، ولا يخلُو نَسخُها: إمَّا أن يكونَ بالسُّنَّةِ، وإمَّا بقوله: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ وترتِيبُ النُّزول ليس على تَرتيب المصحَف.

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾ في مَوضع الحالِ من الفاعِل وهو الضَّميرُ في ﴿تَبَدَّلَ﴾، لا مِن المفعول الذي هو ﴿مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ لأنَّهُ مُوغِلٌ في التَّنكير، وتقديرُه: مَفرُوضًا إعجابُكَ بهنَّ.

وقيل: هي أَسْماءُ بنتُ عُمَيسٍ الخَثعميَّةُ امرأةُ جعفرِ بن أبي طالبٍ، والمُراد: أنَّها مِمَّن أَعجبَه حُسنُهنَّ، واستُثنِي ممَّن حُرِّمَ عليه: الإمَاءُ.

﴿رَّقِيبًا﴾: حافظًا مُهَيْمِنًا، وهو تَحذيرٌ عن مجاوَزةِ حُدُودهِ وتَخَطِّي حَلالِه إلى حَرامِه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾

لكنّ عُيَينة لجفائه وغِلظته ما فَهم ذلك، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:[1] «إنّ التبدّل حرام».

قوله: (وإمّا بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا﴾ [الأحزاب ٣٣/٥٠]) فنسخها الآية المتقدّمة.[2]

قوله: (لأنّه موغِل) فيه نظر؛ لأنّه[3] إذا كان في الحال "واو" جاز تأخيرها

[1] د: عليه السلام.
[2] ف: المذكورة.
[3] ف - لأنّه.

﴿أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ في معنَى الظَّرف، تقديرُه: وقتَ أنْ يُؤذَن لكُم، و﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ﴾ حالٌ من ﴿لَا تَدْخُلُواْ﴾ وَقعَ الاستِثناءُ على الوَقْتِ والحالِ معًا، كأنَّه قيل: لا تَدْخلُوا بيُوتَ النَّبي إلَّا وقْتَ الإذْن، ولا تدْخلُوها إلَّا غيرَ ناظِرينَ، وهؤلاء قومٌ كانوا يَتحيَّنُون طعامَ رسُولِ الله فيَدْخلُون ويقعُدون مُنتَظِرين لإدْراكه، ومعناه: لا تَدْخُلوا يا هؤلاء المُتَحيِّنُونَ للطَّعامِ إلا أن يُؤْذَن لكُم إلى طعَامٍ غيرَ ناظِرين إناهُ، وإلَّا فلو لم يَكُن لهؤلاء خصُوصًا لَمَا جازَ لأحَدٍ أن يَدخُلَ بيُوت النَّبيِّ إلَّا أَن يُؤذَنَ لهُ إذنًا خاصًّا، وهو الإذنُ إلى الطَّعام فحَسْبُ.

وعن ابن أبي عبلة أنَّه قرأ: "غيْرِ ناظِرين" مجرورًا صفةً لِـ﴿طَعَامٍ﴾ وليس بالوجه؛ لأنه جرَى على غيرِ ما هُوَ له، فمِن حقِّ ضميرِ ما هُوَ له أن يَبْرُزَ إلى اللفظ فيقالَ: غيرِ ناظِرينَ إناهُ أَنتُم؛ كقولك: هندٌ زيْدٌ ضارِبَتُه هي، ....

عن ذي الحال النكرة، لأنَّ الواو تدفع التباسها بالصفة، بناءً على أنَّه لا يجوز توسيط الواو بين الصفة والموصوف.

قوله: (وهؤلاء قوم) يعني المخاطَبين بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

وقوله: (يَتحيَّنونَ) تحيَّن الوارِش؛ إذا انتظر وقتَ الأكل ليدخل.[١] والوَارِشُ: الداخل على القوم وهم يأكلون ولم يُدْعَ، مثل: الواغِل في الشراب.[٢]

قوله: (لإدراكه) يقال: أدرك الثَمرُ، وأدرك الطعام،[٣] أي: بلَغَ.

قوله: (وإلّا فلو لم يكن) "إلّا" حرف الشرط دخل على حرف النفي، وجوابه محذوف، دلّ عليه وقامَ مقامَه قوله: "فلو لم يكن"... إلخ، فكأنّه قال: وإن لم يكن معناه ما ذكرنا لم يستقم، فإنّه لو لم يكن لهؤلاء... إلخ.[٤]

قوله: (غيرِ ناظرين إناه أنتم) في هذا المثال نظَرٌ حيث جمع "ناظرين"، وصوابه: "غيرِ ناظرِ إناهُ أنتم" بإفراد "ناظر"؛ لأنّ الصفة إذا لم يكن فيها ضمير فلا وجهَ لتَثنيتها وجَمعها. ويؤيّده قول المصنّف في المفصّل: «الهِندان الزَّيدان

---

١ الصحاح للجوهري، «حين».

٢ الصحاح للجوهري، «ورش».

٣ في الصحاح للجوهري، «درك»: "وأدرَكَ الغلام".

٤ وقعت هذه الحاشية في د ف متأخِّرةً عن تاليتها.

وإِنَى الطَّعَامِ: إدراكُهُ، يُقَالُ: أَنَى الطعَامُ إِنًى؛ كقولك: قَلَاهُ قِلًى، ومنه قولُه: ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن ٤٤/٥٥]: بالغٍ إناهُ.

وقيل: ﴿إِنَىٰهُ﴾: وقته؛ أي: غيرَ ناظِرين وقتَ الطَّعَام وساعةَ أَكْلِه.

ورُوِي: أنَّ رسول الله أَوْلَم على زيْنبَ بتمْرٍ وسَويقٍ وشاةٍ وأَمَر أَنسًا أَنْ يَدْعوَ بالنَّاسِ، فتَرادَفُوا أَفْواجًا يأكلُ فَوْجٌ فيَخْرُج ثمَّ يدْخلُ فوجٌ، إلى أَن قال: يا رسُول الله، دعَوْتُ حَتَّى ما أَجِدُ أحدًا أَدْعُوه، فقال: «ارْفعُوا طعَامكم» وتَفرَّقَ النَّاسُ، وبَقِيَ ثلاثةُ نفَرٍ يتحَدَّثُونَ فأطَالُوا، فقَام رسولُ الله لِيَخْرُجُوا فانْطَلَق إلى حُجْرةِ عائشةَ فقال: «السَّلامُ عَليكم أَهْلَ البَيْت»، فقَالُوا: وعَليك السَّلامُ يا رسُولَ الله كيف وَجَدْتَ أَهْلكَ؟ وطَاف بالحُجُراتِ فسَلَّم عَلَيْهِنَّ ودَعَوْنَ لَهُ، ورَجع فإذا الثلاثةُ جُلوسٌ يتحَدَّثُون، وكان رسولُ الله شَديدَ الحيَاء فتولَّى، فلمَّا رَأوهُ مُتَولِّيًا خَرَجُوا فرجَع، وَنَزلتْ: ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ نُهُوا عَن أَنْ يُطِيلُوا الجلوسَ يَستأنِسُ بَعضُهُم ببَعضٍ لأجْلِ حديثٍ يُحَدِّثُه به، أو عَن أَن يَستأنِسوا حديثَ أَهْلِ البيت، واستئناسُه: تَسمُّعُه وتَوَجُّسُه.

وهُو مجرُورٌ مَعْطوفٌ على ﴿نَٰظِرِينَ﴾.

ضارِبَتُهما[١] هما»،[٢] حيث لم يقل: ضارِبَتاهما؛ بل قال:[٣] ضارِبَتُهما. وقوله: (إدراكُه) أي: نُضجه.

قوله: (وروي أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم)[٤] سبب النزول.

قوله: (وتوجّسُه) الوَجْس: الصوت الخفيّ، والتوجُّس: التسمُّع إلى الصوت الخفيّ.[٥]

---

١ ف: ضاربتها.

٢ المفصّل للزمخشري، ص ١٧٢.

٣ ف: يقال.

٤ د: عليه السلام. | جامع البيان للطبري، ١٦٢/١٩ (الأحزاب، ٥٣/٣٣)؛ الكشف والبيان للثعلبي، ٥١٣/٢١ (الأحزاب، ٥٣/٣٣). وهو بألفاظ مختلفة في صحيح البخاري، ١١٨/٦ (٤٧٩١)؛ وصحيح مسلم، ١٠٤٨/٢ (١٤٢٨).

٥ الصحاح للجوهري، «وجس».

وقيل: هو منصوبٌ على: ولا تَدْخُلوهَا مُستأنِسينَ.

لا بُدَّ في قوله: ﴿فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ﴾ من تقدير المضاف؛ أي: من إخراجِكُم، بدَليلِ قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ يَعني: أن إخراجَكم حَقٌّ ما يَنبغِي أن يُستَحيَى مِنه، ولمَّا كان الحَياء ممَّا يَمنعُ الحَيَّ مِن بعض الأفعال قيل: ﴿لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ بمَعْنى: لا يَمْتنِعُ مِنه ولا يَتْركهُ ترْكَ الحَيِّ منكم، وهذا أَدَبٌ أدَّبَ اللهُ به الثُّقَلاءَ.

وعن عائشةَ رضي الله عنها: حَسْبُك في الثُّقَلاء أَنَّ اللهَ تعالى لم يَحْتمِلْهُم وَقال: فإذا طَعِمتم فانتشِرُوا.

وقُرِئَ: "لا يَسْتحِي" بيَاءٍ واحدةٍ.

الضميرُ في ﴿سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ لنِسَاء النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، ولم يُذْكرْنَ لأنَّ الحال ناطِقَةٌ بذكرِهنَّ ﴿مَتَٰعًا﴾ حاجةً ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ﴾: فَسلُوهُنَّ المتاعَ.

قيل: إنَّ عمر رضي الله عنه كان يُحِبُّ ضَرْبَ الحجابِ عَلَيْهِنَّ محبَّةً شديدةً، وكانَ يَذْكُرهُ كثيرًا ويَوَدُّ أَنْ يَنزِلَ فيه، وكان يقُول: لَو أُطَاعُ فِيكُنَّ ما رَأتكُنَّ عَيْنٌ، وقال: يا رسولَ الله، يَدْخُلُ عَليك البَرُّ والفاجرُ فلو أَمَرتَ أمَّهات المؤمنينَ بالحجابِ، فنَزلتْ.

قوله: (وقيل: هو منصوب) وإذا كان نصبًا فهو حال مِن "الواو" في قوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا۟﴾، أي: لا تدخلوها مستأنسين، و﴿لَا﴾ زائدة. والتحقيق أنَّه يكون عطفًا على ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ﴾، و﴿لَا﴾ زائدة، لِما في الكلام مِن النفي، فلذلك قال: (التقدير: لا تدخلوا مستأنسين)، فكأنَّه قيل: لا تدخلوا إلَّا غيرَ ناظرين، وإلَّا لا مستأنسين.

قوله: (ولم يُذْكَرْنَ)[1] حال. وقوله: (حاجةً) أي: ما يُحتاج إليه وما يُنتفع به. وقال في الصحاح: «المتاع: السلعة، والمتاع أيضًا: المنفعة، وما تمتَّعتَ به».[2]

---

[1] ن: ولم يُذكر.

[2] الصحاح للجوهري، «متع».

وروِيَ: أنَّه مَرَّ عَلَيْهِنَّ وهُنَّ معَ النِّساء في المسْجِدِ فقال: لئن احتَجَبْتُنَّ فإنَّ لكُنَّ على النِّساء فَضْلًا كما أَنَّ لِزَوْجِكُنَّ على الرِّجال الفَضْلَ، فقالت زَيْنَبُ: يا ابنَ الخطَّابِ، إنَّك لتَغارُ عَلَيْنا والوَحْيُ يَنْزِلُ في بُيوتنا! فلم يلْبَثُوا إلَّا يسيرًا حَتَّى نزلَتْ.

وقيل: إنَّ رسول الله كان يَطْعَمُ ومعَه بعضُ أَصْحابِهِ فأصابَتْ يدُ رجُلٍ منهم يَدَ عَائِشَة فَكَرِهَ النَّبِيُّ عليه السلام ذلك فَنزلت آيةُ الحجاب.

وذُكر أَنَّ بَعضَهم قال: أَنُنْهَى أَنْ نُكَلِّم بَناتِ عمِّنا إلَّا مِن وراء حجابٍ؟ لئن ماتَ مُحمَّدٌ لأتزَوَّجَنَّ فُلانةَ، فأَعْلَمَ اللهُ أنَّ ذلك مُحرَّمٌ.

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾: وما صَحَّ لكُم إيذاءُ رسُولِ الله ولا نِكاحُ أزواجِه من بعْدِه، وسَمَّى نِكاحَهُنَّ بعْدَه عظيمًا عِنْده وهُو مِن أَعْلامِ تعظيم الله لرسُوله وإيجَابِ حُرْمتِه حَيًّا وميِّتًا، وإِعْلامُه بذلك ممَّا طيَّبَ به نفسَه وسَرَّ قَلبَهُ واستَغْزرَ شكْرَهُ، فإنَّ نحوَ هذا ممَّا يُحدِّثُ به الرَّجُلُ نفسَه ولا يُخْلِي مِنْه فكرَهُ، ومِن الناسِ مَن تُفرِطُ غيْرتُهُ على حُرْمتِه حَتَّى يتمنَّى لها الموتَ لئَلَّا تُنكَحَ مِن بَعْدِه.

وعن بعْضِ الفِتيانِ: أنَّه كانتْ له جَارِيةٌ لا يرَى الدُّنيا بها شَغفًا ....

قوله: (لئن احتجبتُنّ)[1] جوابه محذوف، أي: لكان خيرًا. وقوله: (فإنَّ) عِلَّةٌ لهذا الجواب المحذوف.

قوله: (وسمَّى نكاحَهُنّ) أي: سمَّى الله تعالى. وقوله: (بعدَه) أي: بعد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.[2] وقوله: (عنده) أي: عند الله تعالى. وقوله: (فإنّ نحو هذا) أي: نكاحَ زوجِ الرجل / بعدَه ممّا يتفكّر فيه الرجل ويغتمّ ويتأذّى به، [٢٨٦ظ] فصانَ الله تعالى رسوله عن مثل ذلك بأن يقع له التفات إلى ذلك في بعض الأوقات، وهو قوله: (فَصِينَ).

قوله: (لا يَرى الدنيا بها) الباء في "بها" كما في قولك: "بِعتُ هذا بهذا".

---

١ ن: اجتحبتُنّ.

٢ د: عليه السلام.

واستهْتَارًا، فنَظر إليها ذاتَ يوم فتَنفَّس الصُّعَداءَ وانتحَبَ فَعَلَا نَحيبُهُ ممَّا ذهب بِهِ فكرُه هذا المذهبَ، فلم يَزلْ بِهِ ذلك حتَّى قَتلَهَا تَصوُّرًا لمَا عسَى يتَّفِقُ من بقائِها بعْدَهُ وحصُولها تحتَ يَدِ غيْرِه.

وعن بعض الفقهَاء: أنَّ الزَّوجَ الثَّاني في هَذم الثلاثِ يَجْري مَجْرَى العُقوبةِ، فصِينَ رسولُ اللهِ عمَّا يُلاحِظُ ذلك.

﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾

﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا﴾ من نكاحِهنَّ على ألْسِنَتِكُم ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ في صُدُوركم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ يَعْلمُ ذلك فيُعَاقِبُكُم بِهِ، وإنَّما جاءَ به على أثرِ ذلك عَامًّا لِكُلِّ بادٍ وخافٍ لِيَدْخُلَ تَحْتَهُ نكاحُهُنَّ وغيرُه، ولأنَّه على هذه الطَّريقةِ أهْوَلُ وأجزَلُ.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾

قوله: (واستِهْتارًا) يقال: فلان مُسْتَهتِرٌ بالشراب، أي: مولَع به لا يُبالي ما قيل فيه.[1]

قوله: (الصُّعَداء) "الصُّعَداء": تنفّسٌ ممدودة،[2] وهو بالفارسيَّة "انكروده". وقوله: (وانتَحَب) النَّحيب[3] والانتحاب: رفع الصوت بالبكاء.[4]

قوله: (فلم يزل به ذلك) أي: فلم يزل النحيب بذلك الفتى. وهذا الذي ذكره المصنّف مِن الغَيرة التي يُبغضها الله تعالى، فحَقُّ مِثلِه أن لا يُكتب في الكتب ولا يُنقَل ولا يُذكَر.

قوله: (فَصِينَ) عطفٌ على قوله: (فإنّ نحو)... إلخ. وقوله: (يُلاحِظ) يريد: يُشبِه. والملاحظة: النظر.

---

[1] الصحاح للجوهري، «هتر».

[2] في الصحاح للجوهري، «صعد»: "ممدود".

[3] ف: النخيب.

[4] الصحاح للجوهري، «نحب».

رُوي: أنّه لمّا نزلَتْ آيةُ الحجَابِ قال الآباءُ والأَبْناءُ والأَقارِبُ: يا رسولَ الله أونَحْنُ أيْضًا نكَلِّمُهنَّ من وراءِ حجَابٍ؟ فنزلَتْ: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ﴾؛ أي: لا إِثْم عَليْهِنَّ في أَنْ لا يَحْتَجِبْنَ من هؤلاء، وَلم يَذكُرِ العَمَّ والخَالَ لأَنّهما يَجْرِيانِ مَجْرَى الوالدَيْنِ، وقد جَاءتْ تسميةُ العمِّ أبًا، قال الله تعالى: ﴿وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [البقرة ٢/١٣٣] وإسماعيلُ عمُّ يعقُوبَ.

وقيل: كُرِهَ تركُ الاحتجابِ عنهما لأنّهما يصِفَانِها لأبنائهما وأبناؤُهما غيرُ مَحارمَ.

ثُمَّ نُقِلَ الكلامُ من الغيبة إلى الخطابِ، وفي هذا النَّقْلِ ما يَدُلُّ على فضْلِ تَشْديدٍ فقيل: ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ فيمَا أُمِرتنَّ بهِ من الاحتجابِ وأُنْزلَ فيهِ الوَحْيُ من الاستِتار، واحتَطْنَ فيهِ وفيما استُثْنِي مِنه ما قَدَرْتُنَّ، واحفَظْنَ حُدُودَهُما، واسْلُكنَ طَرِيقَةَ التَّقوَى في حِفْظِهِمَا، وليَكُن عَملُكُنَّ في الحُجُبِ أَحسَنَ ممَّا كان وأَنتُنَّ غيرُ مُحتجِبَاتٍ لِيَفْضُلَ سِرُّكُنَّ عَلَنَكُنَّ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من السِّرِّ والعَلَنِ وظَاهِرِ الحجابِ وباطِنِه ﴿شَهِيدًا﴾ لا يَتفاوَتُ في عِلْمِه الأَحْوالُ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾

قرئ: "وملائكتُه" بالرَّفع عَطْفًا على مَحلِّ ﴿إِنَّ﴾ واسْمِهَا، وهُو ظَاهِرٌ على مذهَب الكوفيِّينَ، ووَجْهُه عند البصريِّين: أَنْ يُحذَف الخَبرُ لدلَالةِ ﴿يُصَلُّونَ﴾ عليه.

﴿صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟﴾؛ أي: قُولُوا الصَّلاةُ على الرَّسُول والسَّلامُ، ومَعْنَاه: الدُّعَاءُ بأَنْ يَترَحَّمَ عَليه اللهُ ويُسَلِّمَ.

فإن قلتَ: الصَّلاةُ على رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم واجِبَةٌ أَمْ مندوبٌ إليْها؟

قوله: (حدودهما) أي: حدود المَنهيّ والمستثنى.

قلتُ: بل واجِبةٌ، وقد اختلفُوا في حَالِ وُجُوبِهَا، فمِنْهم مَن أوْجَبها كُلَّمَا جَرَى ذِكْرُه، وفي الحَديث: «مَن ذُكِرْتُ عنْدَهُ فلم يُصَلِّ عليَّ فدَخل النَّارَ فأبْعَدَهُ اللهُ».

ويُروى: أنَّه قِيل: يا رسول الله، أرأيتَ قولَ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ فقال عليه السلامُ: «هذا من العِلْم المَكنُونِ، ولَولا أنَّكُمْ سَألتُمونِي عَنْه ما أَخْبَرْتكُم بهِ، إنَّ اللهَ وَكَّلَ بِي مَلَكَيْنِ فلا أُذكرُ عنْدَ عَبْدٍ مُسْلم فيُصَلِّي عليَّ إلَّا قال ذانِكَ المَلكانِ: غَفَر اللهُ لك، وقَال اللهُ ومَلائكتُه جَوابًا لِذَيْنك المَلكين: آمينَ، ولا أُذكَرُ عِنْد عَبْدٍ مُسلمٍ فلا يُصَلِّي عَليَّ إلَّا قال ذانِك المَلكان: لا غَفَر اللهُ لك، وقال اللهُ ومَلائكتُه لذَيْنك المَلكين: آمين».

ومِنهم مَن قال: تجِبُ في كلِّ مجْلِسٍ مَرَّةً وإنْ تكرَّرَ ذِكرُه؛ كما قيلَ في آية السجدة وَتشمِيت العَاطِسِ، وكذلك في كلِّ دُعَاء في أوَّله وآخِرِه.

ومنهم مَن أَوْجبَها في العُمر مرَّةً، وكَذلك قال في إظهَار الشَّهادَتيْنِ.

والَّذي يَقتضِيه الاحتيَاطُ: الصَّلاةُ عَليه عند كُلِّ ذكْرٍ لِمَا ورَد من الأخبَار.

فإن قلتَ: فالصَّلاةُ عَليه في الصَّلاةِ أهيَ شَرطٌ في جَوازِهَا أَمْ لا؟

قلتُ: أبُو حنيفةَ وأصحابُه لا يَرَوْنَها شرطًا، وعن إبراهيم النَّخعيِّ: ....

قولـه: (فدخَل النار)... إلخ "فدخَلَ" "فأبعَدَ"[١] كلاهما بمعنى الدعاء. ومعنى "أبعَدَ": أهلَكَ. والأصوب أن يكون "فدخَلَ" عطفًا على الشرط، وقوله: "فأبعَدَ" جزاءً.

قوله: (أرأيت)... إلخ أي: أَخْبِرْنا عن معنى هذه الآية.

قوله: (وكذلك في كلّ دعاء) أي: يجب أن يُصلّى على النبيّ في أوّل كلّ دعاء وآخرِه.

قوله: (عند كلّ ذِكر) أي: كُلّما جرى ذِكره.

---

١ ف: ما بعد.

كانوا يَكتَفُونَ عَن ذلك -يَعني: الصَّحابةَ- بالتشَهُّدِ، وهُو: «السَّلام عَلَيْكَ أيُّها النَّبيُّ»، وأمَّا الشَّافعيُّ فقَدْ جَعلهَا شَرْطًا.

فإن قلتَ: فمَا تقُول في الصَّلاة عَلى غيْرِه؟

قلتُ: القيَاسُ جَوازُ الصَّلاة على كلِّ مُؤمنٍ؛ لقَوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾ وقوله: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة ١٠٣/٩] وقَوْلهِ عَليه السَّلامُ: «اللّٰهم صَلِّ على آلِ أبي أوفَى».

ولكِنَّ للعلماء تَفصيلًا في ذلك: وهو أنَّها إنْ كانَتْ على سبيل التَّبَعِ كقَولك: «صلَّى الله على النبيِّ وآله» فَلا كلامَ فيها، وأمَّا إذا أُفْرِد غيرُه من أهل البَيْتِ بالصَّلاة كما يُفرَدُ هُو فمَكروهٌ؛ لأنَّ ذلكَ صارَ شِعَارًا لذكر رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم، ولأنَّه يُؤدِّي إلى الاتِّهامِ بالرَّفضِ، وقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «مَن كان يُؤمِنُ باللهِ وباليَوم الآخِر فلا يقِفنَّ مَواقِفَ التُّهم».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾

﴿يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فيه وجهان:

أحَدُهما: أَنْ يُعبَّر بإيذائهما عَن فِعْلِ ما يَكْرهَانِه ولا يَرضيَانِه -من الكُفر، والمعَاصِي، وإنكار النُّبوَّةِ، ومُخَالفَةِ الشَّريعةِ، وَما كانوا يُصِيبُونَ به رسُولَ الله من أنواع المَكرُوه- على سَبيلِ المجازِ، وإنَّما جَعَلْتُه مجَازًا فِيهما جميعًا

قوله: (وأمّا الشافعي رضي الله عنه)[1] هذا ركن عند الشافعي رضي الله عنه.[2] ومراد المصنّف بـ"الشرط" هنا ما يتوقّف صحّة الصلاة عليه.

قوله: (مِن أهل البيت) بيان (غيرُه). وقوله: (كما يُفرَدُ هو) أي: النبيّ عليه السلام.

---

[1] د - رضي الله عنه.
[2] د - رضي الله عنه.

-وحقِيقةُ الإِيذاء صَحيحةٌ في رسُول الله- لئلَّا أَجْعَلَ العبَارةَ الواحِدةَ مُعْطِيةً مَعْنَى المجازِ والحقيقةِ.

والثاني: أنْ يُرادَ يُؤذُون رسُولَ الله.

وقيل في أَذَى الله:

هُو قَولُ اليهُود والنَّصارى والمشركين: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة ٥/٦٤] و: ﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة ٥/٧٣] و: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة ٩/٣٠] و: "المَلائكةُ بنَاتُ الله وَالأصنَامُ شُرَكاؤهُ".

وقيل: قولُ الَّذين يُلْحِدُون في أسمائه وصفاتِه.

وعن رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فيما حَكَى عن ربِّه: «شَتَمني ابنُ آدمَ ولَمْ يَنْبغِ له أن يَشتمَني، وآذانِي ولم يَنبَغِ له أَنْ يُؤذِيَني، فأَمَّا شَتْمُه إِيَّايَ فقَولُه: إِنِّي اتَّخَذتُ وَلدًا، وأمَّا أذَاهُ فقَولُه: إنَّ اللهَ لا يُعِيدُني بَعْدَ أَنْ بدَأني».

وعن عكرمة: فِعْلُ أصحَاب التَّصَاوير الَّذين يرُومُونَ تكوينَ خَلْقٍ مثْلِ خلقِ الله.

وقيل في أَذَى رسُول الله:

قولُهم: ساحِرٌ، شاعِرٌ، كاهِنٌ، مجنُونٌ.

وقيل: كَسرُ رَبَاعِيَتِه وشجُّ وَجْهِه يومَ أُحُدٍ.

وقيل: طعْنُهم عَليْه في نِكاحِ صفِيَّةَ بنتِ حُيَيٍّ.

وأَطْلَق إيذاء الله ورَسُوله وقيَّدَ إيذاء المُؤمنينَ والمؤمنَاتِ؛ لأنَّ أَذَى اللهِ ورَسُولِهِ لا يكُونُ إلَّا غيرَ حقٍّ أبدًا، وأمَّا أذَى المؤمِنِينَ والمؤمنَاتِ فمِنه ومِنْهُ، ومَعْنَى: ﴿بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾: بغَيْر جِنايَةٍ واستحقَاقٍ للأذى.

وقيل: نزلَتْ في ناسٍ من المُنافِقينَ يُؤذُونَ عليًّا رضيَ اللهُ عنه ويُسْمِعُونَه.

وقيل: في الَّذين أَفَكُوا عَلى عائشةَ رضيَ اللهُ عنها.

وقيل: في زُنَاةٍ كانوا يَتَّبِعُونَ النِّسَاء وهُنَّ كارِهَاتٌ.

قوله: (فمنه ومنه) "فمنه"، أي: مِن غير حقّ، "ومنه"، أي: مِن حقّ.

وعن الفُضَيل: لا يَحلُّ لك أن تُؤذِيَ كَلبًا أَوْ خِنْزيرًا بغَيْر حَقٍّ فكيْف؟

وكان ابنُ عَوْنٍ لا يُكْرِي الحَوانيتَ إلَّا مِن أهل الذِّمَّة؛ لِمَا فيه من الرَّوعَةِ عِنْد كَرِّ الحَوْلِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾

"الجِلْبابُ": ثَوبٌ واسِعٌ أَوْسَعُ من الخِمار ودُون الرِّداء، تَلْوِيه المرأةُ على رأسِها وتُبْقِي مِنه ما تُرسِلُه عَلى صَدْرِها.

وعن ابن عبَّاس: الرِّداء الذي يَسْتُرُ من فَوقَ إلى أسْفَلَ.

وقيل: المِلْحَفَةُ وكُلُّ ما يُستَّر به مِن كسَاءٍ أو غيْرِه، قال أبو زُبَيْدٍ:

مـجَلْبَبٌ مـن سَـوادِ الـلَّيلِ جِلْبَابًا

ومَعْنى ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾: يُرْخِينهَا عَلَيهِنَّ ويُغَطِّينَ بهَا وُجُوهَهُنَّ وأَعْطَافَهُنَّ، يُقَالُ إذا زَلَّ الثَّوبُ عن وَجْه المرأة: "أَدْنِي ثوبَكِ على وَجْهكِ".

وذلك أنَّ النِّساء كُنَّ في أوَّلِ الإسلام عَلى هِجِّيراهُنَّ في الجَاهِلية مُتَبذِّلات تبْرُزُ المرأةُ في درْعٍ وخِمارٍ لا فَضلَ بيْنَ الحُرَّةِ والأَمَةِ، وكان الفِتيَانُ وأَهْلُ الشَّطَارَةِ يَتعرَّضُونَ إذا خَرجْنَ باللَّيلِ إلى مَقاضِي حَوائِجهنَّ في النَّخيلِ والغِيطَانِ للإماءِ، ورُبَّما تعرَّضُوا للحُرَّة بعلَّةِ الأَمةِ يقولُونَ: حَسِبْتُها أَمةً، فأُمِرنَ أن يُخالِفْنَ بزِيِّهِنَّ عن زِيِّ الإماءِ بلُبْسِ الأَرْدِيَة والمَلاحِف وسَتْر الرُّؤوسِ والوُجُوهِ لِيُحتَشِمْنَ ويُهَبْنَ فلا يَطْمَعَ فيهنَّ طامِعٌ، وذلك قولُه: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ﴾؛ أي: أوْلَى وأجْدَرُ بأَن يُعْرَفنَ فلا يُتعرَّضَ لهُنَّ ولا يَلقَيْنَ ما يَكْرَهْنَ.

قوله: (فكيف؟) تَمّ كلام الفُضَيل.[1]

قوله: (مُتبذِّلاتٍ) التَبذُّل: ترك التصاوُن.[2]

---

[1] كأنّ مراده أنّه مِن تمام كلام الفُضيل. انظر: مكارم الأخلاق للخرائطي، ص ١٣٥ (٣٩٣).

[2] الصحاح للجوهري، «بذل».

فإن قلتَ: ما مَعْنى ﴿مِن﴾ في ﴿مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾؟

قلتُ: هو للتَّبعيضِ، إلَّا: أَنَّ مَعْنَى التبعيض محتَمِلٌ وجْهين:

أَحدُهما: أَنْ يَتَجَلبَبْنَ ببَعْضٍ ما لَهُنَّ من الجَلابيب، والمرادُ أَن لا تكُونَ المَرأةُ مُتبَذِّلةً في درْعٍ وخِمارٍ كالأَمَةِ والمَاهِنَةِ، ولها جِلبَابَانِ فصَاعدًا في بيْتها.

والثاني: أن تُرْخِيَ المرأةُ بعضَ جِلْبَابها وفَضْلَه عَلى وَجْهِها تَتقَنَّعُ حَتَّى تَتَميَّزَ من الأَمةِ، وعن ابن سيرينَ: سألتُ عَبيدةَ السَّلمانيَّ عن ذلك فقال: أن تضَع رِداءهَا فَوق الحَاجِب ثمَّ تُدِيرَهُ حتَّى تضعَهُ عَلى أَنْفِهَا.

وعن السُّدِّي: أَنْ تغطِّيَ إحْدَى عَيْنَيها وجَبْهتَها والشِّقَّ الآخَرَ إلَّا العَيْنَ.

وعن الكِسَائيّ: يتقَنَّعنَ بملَاحفِهِنَّ مُنضَمَّةً عَليْهِنَّ. أرَادَ بالانضمامِ مَعْنَى الإِدْناءِ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ لِمَا سَلفَ منهنَّ من التفريط معَ التَّوبة؛ لأنَّ هذا ممَّا يُمكنُ مَعْرفتهُ بالعَقْل.

﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾

"الذين في قلوبهم مرض" قَومٌ كانَ فيهم ضِعْفُ إيمانٍ وقِلَّةُ ثَباتٍ عليه، وقيلَ: هُم الزُّناةُ وأَهْلُ الفُجور من قَوله تَعالى: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب ٣٣/٣٢].

﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ﴾ نَاسٌ كانُوا يرجِفُونَ بأَخْبَارِ السَّوء عن سَرايَا رَسُولِ الله فيَقُولُونَ: هُزِمُوا وقُتِلُوا وجَرى عَلَيْهم كيْتَ وكيْتَ، فيَكْسِرُون بذلك قُلوبَ المؤمِنينَ،

قوله: (لأنّ هذا ممّا يمكن) متعلّق بمحذوف، أي: إنّما قال: ﴿غَفُورًا﴾ أي: لِما مضى مع أنّه لم يتقدّمه نهي لأنّ ذلك ممّا يُعرف بالعقل، فكان[1] عليهم التحفّظ واجبًا بدليل العقل، وذلك بناء على مذهبه.

[1] ف: فكانَ.

يُقَال: "أَرْجَفَ بكذا": إذا أَخبَر به عَلى غيْرِ حَقيقةٍ؛ لكَونه خَبرًا مُتزلْزِلًا غيرَ ثابِتٍ، مِن الرَّجْفَةِ وهيَ الزَّلزَلُة.

والمَعنَى: لَئِن لم ينتَهِ المُنَافِقُونَ عَن عَدَاوتهِمْ وكيْدِهم، والفَسَقةُ عن فجُورهم، والمُرجِفُونَ عمَّا يُؤلِّفونَ من أَخبَارِ السُّوء، لَنَأمُرنَّكَ بأنْ تَفْعَل بهم الأفاعيلَ التي تسُوؤهُم وتَنُوؤهُم، ثُمَّ بأَنْ تَضطَرَّهم إلى طَلَبِ الجَلاء عن المَدينةِ وإلى أَن لا يُسَاكِنُوكَ فيها ﴿إِلَّا﴾ زمَانًا ﴿قَلِيلًا﴾ رَيْثما يَرْتَحِلُونَ ويَتَلقَّطُونَ أَنفُسَهُم وعِيَالاتِهِم، فسُمِّي ذلك إغراءً -وهُو التَّحريشُ- على سَبيلِ المجاز.

﴿مَلْعُونِينَ﴾ نصْبٌ على الشَّتم أَو الحال؛ أي: لا يُجَاوِرُونك إلَّا مَلعُونينَ، دَخَلَ حَرْفُ الاستِثناء على الظَّرفِ والحال معًا كمَا مَرَّ في قَوله: ﴿إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ﴾ [الأحزاب ٥٣/٣٣]، ولا يَصِحُّ أن ينتَصِبَ عن ﴿أُخِذُوٓاْ﴾ لأنَّ ما بَعْد كلِمة الشَّرط لا يَعْملُ فيما قبلَهَا.

وقيل في ﴿قَلِيلًا﴾: هو مَنصُوبٌ على الحال أيضًا، ومَعْناه: لا يُجَاوِرُونك إلَّا أَقِلَّاءَ أَذِلَّاء مَلْعُونِينَ.

فإن قلتَ: ما مَوقعُ ﴿لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾؟

قلتُ: ﴿لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾ عَطْفٌ عَلى ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ﴾ لأنَّه يجُوز أن يُجابَ به القَسَمُ، أَلَا ترى إلَى صِحَّةِ قولِكَ: لئنْ لم ينتَهُوا لا يُجَاوِرونكَ.

فإن قلتَ: أَمَا كان من حقِّ ﴿لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾ أَنْ يُعطَف بالفاء، وأَنْ يُقالَ: لَنُغرينَّكَ بهِمْ فلا يُجَاورُونك؟

قوله: (تَسُوءُهم وتنوءُهم) ابن السِّكِّيت: يقال: له عندي ما ساءَه وناءَه، أي: أثقَلَه، وما يَسُوءُه ويَنُوءُه. وقال بعضُهم: أراد: ساءَه وأناءَه، وإنّما قال: "ناءَه" وهو لا يتعدَّى لأجل "ساءَه"، لِيَزدوِج الكلام، كقولهم: إنِّي لَآتيه الغَدايا والعَشايا، و"الغَداة" لا تُجمَعُ على "غَدايا".[١]

---

[١] الصحاح للجوهري، «نوأ». | وفي هامش د ف: قوله: (على سبيل المجاز) أي: الاستعارةِ، والجامعُ بين الإغراءِ والأمرِ كونُ كلّ منهما سببًا لتوجّه الشخص إلى تحصيل المطلوب. قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ﴾، أي: وُجِدوا.

قلتُ: لو جُعِلَ الثَّاني مُسبَّبًا عن الأوَّل لكانَ الأمْرُ كما قُلتَ، ولكنَّهُ جُعِلَ جوابًا آخَر للقَسَم مَعْطوفًا على الأوَّل، وإنما عُطِف بـ﴿ثُمَّ﴾ لأنَّ الجَلاء عن الأَوْطانِ كان أَعْظَمَ عَلَيهِم وأعظَمَ مِن جميعِ ما أُصِيبُوا بهِ، فتَراخَتْ حَالُه عن حالِ المعطوفِ عليه.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ في مَوضِعِ مَصْدرٍ مؤكِّدٍ؛ أي: سَنَّ اللهُ في الَّذِين يُنافِقون الأنبياءَ أن يُقتَّلُوا حيثُما ثُقِفُوا، وعن مُقاتِلٍ: يَعني: كما قُتِل أَهْلُ بدرٍ وأُسِرُوا.

كان المشرِكُونَ يَسألُونَ رسُولَ الله عن وقتِ قيامِ السَّاعَةِ استِعْجالًا على سبيل الهُزْء، واليَهُودُ يَسألُونَهُ امْتِحَانًا؛ لأنَّ الله تَعالى عَمَّى وقتَهَا في التَّوراةِ وفي كُلِّ كتَابٍ، فأمَر رسُولَ الله أن يُجيبَهُم بأنه عِلمٌ قد استأثرَ اللهُ بهِ لم يُطْلِعْ عَليه مَلَكًا ولا نَبيًّا، ثمَّ بيَّنَ لرسُولهِ أنَّها قَرِيبَةُ الوُقوعِ تَهْدِيدًا للمُستَعْجِلينَ وإسْكاتًا لِلمُمتَحِنينَ.

﴿قَرِيبًا﴾: شَيئًا قريبًا، أو لِأنَّ السَّاعَة في مَعنى اليَوم، أو: في زَمانٍ قريبٍ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾

"السَّعيرُ": النَّارُ المَسعُورةُ الشَّديدةُ الإيقادِ.

قوله: (استأثر الله) أي: استبدَّ وتفرَّد.

قوله: (أو لأنّ ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾) عطفٌ مِن حيث المعنى على قوله: (شيئًا قريبًا)؛ لأنه صفة موصوف مذكّر محذوف. (أو ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾ في معنى اليوم) لأنّهما بمعنى الزمان. وقوله: (أو في زمان) يعني ما ذكرنا إنّما كان على تقدير أن يكون المراد بـ"القريب" هو "الساعة"، ويجوز أن لا يكون المراد به ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾؛ بل يكون ظرفًا لها.

وقرئ: ﴿تُقَلَّبُ﴾ عَلى البناء للمفعُول، و: "تَقَلَّبُ" بمَعْنَى: تتَقَلَّبُ، و: "نُقَلِّبُ"؛ أي: نُقلِّبُ نَحْنُ، و: "تُقَلِّبُ" على أنَّ الفِعْلَ للسَّعير.

ومَعْنى تَقْليبِها: تصْريفُهَا في الجِهاتِ؛ كما تَرى البَضْعَةَ تَدُورُ في القِدْرِ إذا غَلَتْ فتَرامَى بهَا الغَلَيَانُ مِن جِهةٍ إلى جِهة، أو: تَغْييرُها عن أَحْوالِهَا وتَحْويلُها عن هَيئاتِهَا، أو: طَرْحُهَا في النار مَقْلُوبِينَ مَنكُوسِينَ، وخُصَّت الوجُوهُ بالذِّكر لأنَّ الوَجْهَ أكْرمُ مَوضعٍ على الإنسانِ من جَسَدِهِ، ويجوز أَنْ يكُونَ الوَجْهُ عبَارةً عن الجُملة.

وناصِبُ الظَّرفِ ﴿يَقُولُونَ﴾ أو مَحْذُوفٌ وهُو "اُذكُر"، وإذا نُصِبَ بالمَحذوفِ كانَ ﴿يَقُولُونَ﴾ حَالًا.

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ٦٨﴾

وقُرئ: ﴿سَادَتَنَا﴾ و: ﴿سَاداتِنا﴾: وهُم رؤوسَاءُ الكُفر الَّذِين لَقَّنُوهُم الكُفرَ وزَيَّنُوه لهم، يقال: ضَلَّ السَّبيلَ وأَضَلَّه إيَّاهُ، وزيادةُ الأَلِفِ لإطْلاقِ الصَّوتِ، جُعِلَتْ فَواصِلُ الآيِ كقَوافِي الشِّعر، وفَائدتُها: الوقْفُ والدَّلالةُ على أَنَّ الكلامَ قد انقَطعَ وأَنَّ ما بَعْدهُ مُستأنَفٌ.

وقرئ: ﴿كثِيرًا﴾ تكثيرًا لأَعْدادِ اللَّعائِن، و: ﴿كَبِيرًا﴾ ليدُلَّ على أشَدِّ اللَّعْن وَأَعْظمِه.

﴿ضِعْفَيْنِ﴾ ضِعفًا لِضَلالهِ وضِعْفًا لإضْلالهِ، يَعْتَرِفُونَ ويَستغِيثُونَ ويَتَمَنَّونَ ولا يَنفَعُهُم شَيءٌ مِن ذلك.

قوله: (البَضعةَ) قِطعةُ لَحْم.

قوله: (وإذا نُصِب) أي: الظرف.

قوله: (ضِعفًا لِضلاله،[1] وضِعفًا لإضلاله) يشير به إلى أنّ ضِعْفَ الشيء مِثلُه، وضِعْفاه: مِثلاه. قال الجوهري في الصحاح: «ذكَر الخليل أنّ التضعيف أن يُزادَ

[1] ن: الضلاله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ۝٦٩﴾

﴿لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ﴾ قيل: نزلَتْ في شَأنِ زيدٍ وزَيْنبَ وما سُمِع فيه مِن قالَةِ بَعْضِ النَّاسِ.

وقيل: في أَذَى مُوسى عليه السلام: ....

/ على أصل الشيء، فيُجعلَ مِثلين أو أكثر، وكذلك الإضْعاف والمضاعفة، يقال: ضَعَّفتُ الشيءَ وأضعَفتُه وضاعَفتُه بمعنًى، وضِعْفُ الشيء: مِثلُه، وضِعْفاه: مِثلاه، وأضعافه: أمثاله». [1] [٢٨٧و]

قال المطرّزي في المُغرب:

ذكر في مختصر الكرخي عن أبي يوسف: "عَليَّ لفلان دراهمُ مُضاعَفة"، فعليه ستّة دراهم، وإن قال: "أضعافٌ مضاعَفة"، فعليه ثمانية عشر؛ لأنّ أضعاف الثلاثةِ ثلاثةٌ ثلاثَ مرّات، ثمّ أضْعَفْناها مرّة أخرى لقوله: "مُضاعَفة". [2] وعن الشافعي رضي الله عنه: [3] رجل أوصى فقال: "أعطُوا فلانًا ضِعف ما يُصيب ولدي"، يُعطَى مِثلَهُ مرّتين، ولو قال: "ضِعْفَي ما يُصيبُ ولدي"؛ يُنظَر، إنْ أصابَه مئة أعطيتَه ثلاثَ مئة. [4] ونظيره ما روى أبو عمرو عن أبي عبيدة في قوله تعالى: ﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ﴾ [الأحزاب ٣٠/٣٣]، قال: معناه: يُجعل الواحد ثلاثةً، أي: يُعذَّبُ ثلاثةَ أعْذِبةٍ. وأنكره الأزهري، وقال: «هذا الذي يستعمله الناس في مجاز [5] كلامهم وتعارُفهم، وإنّما الذي قال حُذّاق النحويّين أنّها تعذَّب مِثلَي عذابِ غيرِها، لأنّ الضِّعف في كلام العرب المِثلُ إلى ما زادَ، وليست تلك الزيادة بمقصورة على مِثلَين، فيكونَ ما قاله أبو عُبيدة صوابًا». [6]

---

[1] الصحاح للجوهري، «ضعف».
[2] انظر: المبسوط للسرخسي، ١٨/٩٧؛ وتبيين الحقائق للزيلعي، ٥/٦.
[3] د – رضي الله عنه.
[4] انظر: الأمّ للشافعي، ٥/١٨٩.
[5] وفي هامش د: مَجارِ. نخ [اختصارًا من "نسخة"]. | في مطبوع المُغرب وتهذيب اللغة: "مَجاز".
[6] المُغرب للمطرّزي، «ضعف». وانظر: تهذيب اللغة للأزهري، باب العين والضاد مع الفاء، «ضعف»، ١/٤٨٠.

هُوَ حَديثُ المُومِسَةِ الَّتي أرادَها قارُونُ على قَذْفِه بنَفسِهَا.

وقيل: اتِّهامُهم إيَّاهُ بقَتْلِ هَارُونَ، وكان قد خرَجَ معَه إلى الجبَلِ فمات هُناك، فحمَلتْه الملائكةُ ومَرُّوا به عليهِمْ مَيّتًا، فأبْصرُوهُ حَتَّى عَرفُوا أنّه غيْرُ مَقتُولٍ.

وقيل: أَحْيَاه اللهُ فأخبَرهُم ببرَاءةِ مُوسَى عليه السلام.

وقيل: قَرفُوه بعَيْبٍ في جسَدِهِ مِن برصٍ أو أُدْرَةٍ فأَطْلَعهُم اللهُ عَلى أنّه بَرِيءٌ منه.

﴿وَجِيهًا﴾: ذا جَاهٍ ومَنْزِلَةٍ عِنْده، فلِذلك كان يُميطُ عَنه التُّهَم ويَدْفعُ الأَذَى عَنه، ويُحَافِظُ عَليه لئلا يَلحقَهُ وَصْمٌ ولا يُوصَفَ بنَقيصَةٍ؛ كما يَفْعَلُ المَلِكُ بمَن له عندَهُ قُربَةٌ ووَجَاهَةٌ.

وقَرأ ابنُ مسعُودٍ والأَعمشُ وأبو حيوَةَ: "وكان عبدًا لِلهِ وَجيهًا".

قال ابنُ خَالويهِ: صَلَّيْتُ خَلْفَ ابنِ شَنْبُوذَ في شهْرِ رَمضان فسَمعْتُهُ يَقرؤهَا.

وقِراءةُ العَامَّة أَوْجَهُ؛ لأنَّهَا مُفْصِحَةٌ عن وَجَاهَتِه عند الله كقوله: ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير ٨١/٢٠] وهَذِه لَيْسَتْ كذلك.

قوله:[١] (أرادها قارونُ) يقال: أراده على[٢] هذا، أي: حمَلَه عليه وبعثَهُ.

قوله: (وقيل: اتّهامُهم إيّاه) أي: اتّهام بني إسرائيل موسى.

قوله: (فمات هناك) أي: فمات هارون.

قوله: (ومَرُّوا به عليهم) الباء في "به" للتعدية. و"عليهم"، أي: على بني إسرائيل.

قوله: (وقيل: قَرفُوهُ) القَرَف: الاتّهام، يقال: هو يُقْرَفُ بكذا، أي: يُرْمَى به ويتّهم به، فهو مَقروف.[٣] و"الأُدْرة": نفخة في الخُصْية، يقال: رجل آدَرُ، أي: بيّنُ الأُدْرَةِ والأَدَرَةِ،[٤] والفِعل أَدِرَ يأدَرُ أدَرًا.[٥]

قوله: (وَصْمٌ) الوَصْمُ: العَيب والعار.[٦]

---

١ وقعت هذه الحاشية في النسخ الخطّيّة بعد تاليتها.

٢ ف – على.

٣ الصحاح للجوهري، «قرف».

٤ ن: والأُدْرة.

٥ انظر: الصحاح للجوهري، «أدر»؛ ولسان العرب لابن منظور، «أدر».

٦ الصحاح للجوهري، «وصم».

فإن قلتَ: قَولُه: ﴿مِمَّا قَالُوا﴾ مَعْناه: مِن قَولهم، أو: مِن مَقُولهم؛ لأنَّ "ما" إمَّا مَصْدرِيَّةٌ أو مَوْصُولةٌ، وأيُّهما كانَ فكيْفَ تَصِحُّ البراءةُ مِنْهُ؟

قلتُ: المراد بالقَول أو المقول: مُؤدَّاهُ ومَضمُونُه وهُوَ الأمْرُ المَعيبُ، ألا تَرى أَنَّهُم سَمَّوا السُّبَّة بالقَالَةِ، والقَالةُ بمَعْنَى القَولِ؟

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾

﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾: قَاصِدًا إلى الحَقِّ، والسَّدادُ: القَصْدُ إلى الحَقِّ والقَوْلُ بالعَدْلِ، يقُال: "سَدَّدَ السَّهْمَ نَحو الرَّمِيَّةِ": إذا لم يَعْدِلْ بهِ عن سَمْتِهَا، كمَا قالُوا: "سَهمٌ قَاصِدٌ".

والمُرادُ: نَهْيُهُم عمَّا خَاضُوا فيهِ من حَدِيث زينبَ من غيْرِ قَصْدٍ وعَدْلٍ في القَول، والبَعْثُ على أنْ يَسِدَّ قَولُهم في كُلِّ بابٍ؛ لأنَّ حِفْظ اللِّسَانِ وسَدادَ القَول رَأسُ الخَيْرِ كُلِّه، والمعنَى: رَاقِبُوا اللهَ في حِفْظِ ألسِنَتِكُم وتَسْدِيدِ قَولِكم، فَإنَّكُم إنْ فَعَلْتُم ذلك أَعْطَاكُم اللهُ ما هُو غايَةُ الطَّلِبَةِ: مِن تَقَبُّلِ حَسنَاتِكُم والإِثَابةِ عَليهَا، ومن مغْفِرةِ سيِّئاتِكم وتكفِيرها.

وقيل: إصْلاحُ الأَعمالِ: التَّوفِيقُ في المَجيءِ بها صَالحةً مَرْضِيَّةً.

وهذه الآيةُ مُقرِّرَةٌ لِلَّتي قَبلها، بُنِيَت تلك على النَّهي عمَّا يُؤذِي رَسُولَ الله، وهذِه على الأَمر باتِّقاءِ اللهِ في حِفظ اللِّسانِ؛ ليَترادَفَ عليْهم النَّهيُ والأمرُ،

قوله: (الأمر المَعِيب) يقال: عابَ المتاعُ إذا صار ذا عَيب، وعِبْتُهُ أنا، يتعدّى ولا يتعدَّى، فهو مَعِيب، ومَعْيُوب أيضًا على الأصل.[1]

قوله: (إذا لم يَعْدِل به) أي: لم يَصْرِفه عنها، أي: عن الرميّة.

قوله: (مِن غير قَصد) حال مِن الضمير في (خاضوا).[2]

---

[1] الصحاح للجوهري، «عيب».

[2] وفي هامش د ف: قوله: (على أن يَسِدَّ) سَدَّ قولُه، يَسِدُّ، بالكسر، أي: صار سديدًا. صحاح. | الصحاح للجوهري، «سدد».

معَ إتبَاعِ النَّهيِ ما يَتضمَّنُ الوَعيدَ مِن قصَّة مُوسَى، وإتبَاعِ الأَمْرِ الوَعْدَ البَلِيغَ، فيَقْوَى الصَّارِفُ عن الأذَى والدَّاعِي إلى تَركهِ.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾

لمَّا قَال ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وعَلَّقَ بالطَّاعةِ الفَوزَ العَظيمَ أتبعَهُ قولَه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ وهو يُريد بالأمانة الطَّاعةَ، فعَظَّم أمْرَها وفخَّم شَأنَها، وفيه وجْهان:

أحَدُهما: أنَّ هذه الأجرامَ العِظَامَ من السماوات والأرض والجبَالِ قد انقَادَتْ لأمْر اللهِ عزَّ وعَلا انقيَادَ مِثْلهَا وهو ما يَتأتَّى مِن الجمادَاتِ، وأطَاعَتْ لَهُ الطَّاعَةَ التي تَصحُّ منها وتَليقُ بها، حيْثُ لم تمتَنِعْ على مَشِيَّتِه وإرَادتهِ إيجَادًا وتكوينًا وتسْويةً على هَيئاتٍ مُختلِفَةٍ وأشكالٍ مُتَنوِّعَةٍ كمَا قال: ....

قوله: (مِن قِصَّة) بيان "ما"، فإنّ الإشارة[1] إلى قِصَّة موسى إشارةٌ إلى أن سيلحقهم ما لَحِق مَن آذاه.

قوله: (وهو يريد) حال.

قوله: (فعَظَّم) يعني بتسميته[2] "أمانة".

قوله: (مِن السماوات) بيان.

قوله: (انقيادَ مِثلِها) أي: مِثلِ هذه الأجرام.

قوله: (وهو ما يَتأتّى) أي: انقيادُ مثلِها انقيادٌ يتأتّى مِن الجَمادات، فكأنّه قال: انقادت له الانقيادَ الذي يتأتّى مِن الجمادات. و"حيث" ظرف "انقادت وأطاعت"، مفيدٌ للعِلّيّة، فكأنّه قال: انقادت لأنّه لم يمتنع على مشيئته وإرادته؛ بل كما شاء وأراد إيجادها وتكوينها وُجِدَت وتكوَّنَت.

قوله: (وتسْوِيةً) يعني: لمّا أراد أن يُكوِّنها على هيئاتٍ وأشكالٍ مختلفةٍ،

---

[1] ن: الإساءة.
[2] ن: بتسمية.

﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت ٤١/١١] وأمَّا الإنسَانُ فلم تكُن حَالُه فيما يَصِحُّ مِنه من الطَّاعة ويلِيقُ به من الانقيَاد لِأوَامر اللهِ ونَواهيهِ -وهُو حَيَوانٌ عَاقِلٌ صَالِحٌ للتَّكلِيفِ- مثلَ حالِ تلك الجماداتِ فيما يصحُّ منها ويَليقُ بهَا من الانقيادِ وعَدم الامتناعِ، والمُرادُ بالأمَانة: الطَّاعةُ؛ لأنَّهَا لازمةُ الوُجُود كما أنَّ الأمَانَة لازِمَةُ الأَدَاء، وعَرْضُهَا عَلى الجمَاداتِ وإباؤُهَا وإشفَاقُها: مجَازٌ.

وأمَّا حَمْلُ الأمانَة فمِن قَولك: "فُلانٌ حَامِلٌ للأَمانَةِ ومُحتَمِلٌ لها"، تُريدُ: أنَّه لا يُؤدِّيها إلى صَاحِبها حتَّى تزُولَ عَن ذمَّتِه ويَخرُجَ عَن عُهْدَتِها؛ لأنَّ الأَمانة كأنَّها راكبَةٌ للمُؤتَمَنِ عَليها وهُو حَامِلُها، ....

[٢٨٧ظ] بأن يكون هَيْئةُ كلٍّ منها / وشَكلُها على هيئةٍ وشَكْلٍ مُخالِفةٍ لهيئة الآخَر وشَكلِه تكوَّنت على تلك الهيئة وذلك الشكل.[١]

قوله: (وأمّا حمل الأمانة) يقال: حمَله على ظهره، ومنه "الحِمْل" بالكسر.

قوله: (وهو حامِلُها) أي: المؤتَمَن.

[١] وفي هامش د ف: قوله: (مجاز) أمّا قوله: ﴿عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ﴾ فمِن قبيل ذكر المسبَّب وإرادة السبب؛ لأنّ الإرادة سبب العَرض، فكأنّه قال: أردنا الانقياد. وأمّا قوله: ﴿فَأَبَيۡنَ﴾ فبالعكس، يعني: مِن قَبيل ذِكر السبب وإرادة المسبَّب؛ لأنّ إباء التحمّل سبب للأداء والانقياد، فكأنّه قال: أردنا الانقياد فانقادَت. وأمّا قوله: ﴿وَأَشۡفَقۡنَ﴾ مِن قَبيل الاستعارة بالكناية؛ شُبّهت السماوات والأرض والجبال بشخص يخاف مِن تحمّل الأمانة بناءً على أنّ صاحب الأمانة شخص عظيم الشأن، والجامع بينهما عدم التأخّر[(١)] والتواني في الأداء، كما أنّ ذلك الشخص يرُدّ الأمانة مِن غير تقصير وتأخر،[(٢)] كذلك السماوات والأرض والجبال تكوّنت على وفق إرادته مِن غير امتناع وتأخير. فعلى الوجهين الأوّلين يكون المجاز مِن المجاز المرسَل، وعلى الثالث مِن الاستعارة، فعلى هذا الوجه المجاز يكون[(٣)] في المفردات، وعلى الوجه الثاني استعارة تمثيليّة ما يلاحظ فيه المفردات؛ بل الاستعارة في المركّب. والأولى أن يُقال: استعارة تمثيليّة؛ شبّه حال السماوات والأرض والجبال بحال مأمور مطيع، والجامع الانقياد والطاعة، كما أنّ المأمور المطيع ينقاد للآمر المُطاع ويمتثل له كذلك السماوات والأرض والجبال تنقاد لأمر الله تعالى، وتَتكوّن على وفق إرادة الله تعالى. وعلى الوجه الثاني المشبّه حال التكليف الذي لنا، والمشبّه به حال التكليف المفروضة، لأنّه حال عن التكلّف،[(٤)] تأمّل. وعلى الوجه الأوّل المشبّه حال السماوات والأرض والجبال، والمشبّه به حال المأمور المُطيع، تأمّل. | [(١)] ف: التأخير. [(٢)] ف: التأخير. [(٣)] د - يكون. [(٤)] د - لأنّه حال عن التكلّف.

أَلَا تراهُم يقُولُون: "رَكِبَتْهُ الدُّيُون وَلِي عليه حَقٌّ"، فإذا أَدَّاهَا لم تبقَ رَاكِبةً لهُ ولا هو حَاملًا لها، ونحوُه قَولُهم: "لا يَمْلِكُ مَوْلًى لِمَولًى نصرًا"، يُرِيدُونَ: أنَّه يَبذُلُ له النُّصرَةَ ويُسَامحُه بها ولا يُمْسِكُها كما يُمْسِكُها الخاذِلُ، ومنه قولُ القَائل:

أَخُوكَ الَّذي لا تَمْلِكُ الحِسَّ نفسُه وتَرْفَضُّ عند المُحْفِظَاتِ الكَتَائِفُ

أي: لا يُمْسِكُ الرقَّةَ والعَطفَ إمسَاكَ المالِك الضَّنِينِ ما في يَدِه، بَل يَبْذُلُ ذلك ويَسْمَحُ بهِ، ومِنه قَولُهم: "أَبْغِضْ حَقَّ أخيكَ" لأنَّه إذَا أَحَبَّه لم يُخرِجْه إلى أَخِيهِ وَلم يُؤَدِّه، وإذا أَبْغَضهُ أخرجَه وأَدَّاهُ.

قوله: (لم تبقَ راكبةً) ضُمِّن "بَقِي"[١] معنى "كان"، أي: فإذا أدّى الأمانة لم تكن[٢] الأمانة راكبةً للمُؤتَمَن باقيةً على حالها الأُولى، وهو كونها راكبةً للمُؤتَمَن.

قوله: (ولا هوَ) أي: ولم يكن المؤتَمَن حاملًا للأمانة[٣] باقيًا على حاله الأُولى مِن كونه حامِلًا. والحاصل: أنّه بعد الأداء لا يبقى الحال الأُولى مِن الركوب والحَمل.[٤]

قوله:

(أخوكَ الذي لا تملِكُ)... البيتَ[٥]

"الحِسُّ" مصدر قولك: حَسَّ له، أي: رَقَّ له. و"ارفِضاضُ الدمع": ترشُّشه، وكلّ متفرّق[٦] ذاهب مُرفضَضٌ.[٧] و"الحفيظة": الغضب والحَمِيّة، وكذلك الحِفْظة بالكسر، وقد أحفظتُه فاحتفَظَ، أي: أغضَبتُه فغضِب.[٨] و"الكَتيفة": الضَّغينة. يقول:[٩] هو الذي إذا رآك مظلومًا رَقّ لك وذهَب حِقْده.

قوله: (الضَّنينُ) أي: البخيل. وقوله: (ما في يده) مفعول "الإمساك". و(ذلك) إشارة إلى الرِّقّة والعطفِ بتأويل المذكور. والضمير في (به) يعود إليهما أيضًا بالتأويل المذكور.

---

١ ن – بقي.

٢ ف: يكن.

٣ ن: الأمانة.

٤ ن: والحمْل.

٥ للقطامي في ديوانه، ص ٢٣٨.

٦ ن: مفرّق.

٧ ف: مُرفُضض؛ وفي هامش د: مُرْفَضٌّ. نخ [نسخة]. | وفي مطبوع الصحاح للجوهري، «رفض»: "مُرْفَضٌّ".

٨ الصحاح للجوهري، «حفظ».

٩ ن: يقوله؛ ف: قوله.

فمَعنى ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا... وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾: فأَبَيْنَ أن لا يُؤَدِّينَها وأبى الإنسَانُ إلَّا أَنْ يكون مُحتَمِلًا لها لا يُؤَدِّيهَا، ثم وصَفَهُ بالظُّلم لكَونه تارِكًا لأداء الأمانَة، وبالجَهل لإخطَائه ما يُسْعِدُه مَع تمَكُّنِه منه وهو أَداؤهَا.

والثاني: أَنَّ ما كُلِّفَهُ الإنسَانُ بلغَ مِن عِظَمهِ وثِقَل محْملِهِ: أنَّه عُرِضَ على أعْظَمِ ما خلَق اللهُ من الأَجْرام وَأقوَاهُ وأشَدِّه أَنْ يتحَمَّلَه ويَستقِلَّ به، فَأَبى حَملَهُ والاستِقلالَ به وأشفَق منه، وحَمَلهُ الإنسانُ على ضَعْفِه وَرَخَاوَة قُوَّتهِ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ حَيثُ حَمل الأَمَانة ثم لمْ يَفِ بها، وضَمِنَها ثمَّ خَاسَ بضمانِه فيها.

ونحْوُ هذا من الكلام كثيرٌ في لسَان العَرب، وما جاء القُرآنُ إلَّا عَلى طُرُقهمْ وأسَاليبِهم، من ذلك قولُهم: "لو قيل للشَّحمِ: أينَ تَذهَبُ؟ لَقَالَ: أُسَوِّي العَوَجَ"، وكَمْ وكَم لَهُم من أَمْثَالٍ على أَلسِنَةِ البَهائم والجمَاداتِ، ....

قوله: (فمعنى ﴿فَأَبَيْنَ﴾) متعلّق بقوله: (وأمّا حمل الأمانة فمِن قولك: فلان)... إلخ، و"معنى" مبتدأ مضاف إلى ﴿فَأَبَيْنَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾. وأمّا قوله ثانيًا: ﴿فَأَبَيْنَ﴾ خبر المبتدأ، أي: فأَبَيْن جميعُ الأشياء إلّا التأدية، وأبى الإنسان إلّا الاحتمال، فهو[1] استثناء مُفرَّغ. وجاز ذلك لِما في ﴿أَبَيْنَ﴾ مِن معنى النفي، أي: ما فَعَلْنَ إلّا التأدية، وما فعل الإنسان إلّا الاحتمالَ وعدمَ تأديتها. فقوله: (لا يؤدِّيها) إمّا خبر بعد خبر لـ(يكون)، أو بيان لقوله: (محتمِلًا لها). وقوله: (ثمّ وصَفه) عطف مِن حيث المعنى على قوله: "فمعنى[2] ﴿فَأَبَيْنَ﴾"... إلخ، فكأنّه[3] قال المصنّف: قال تعالى: أَدَّيْنَ الأمانةَ ولم يُؤدِّها الإنسان.[4] ثمّ وصَف اللهُ تعالى الإنسان بالظلم.

قوله: (ويَستقلّ[5] به) استقلّه، أي: حمَله، وأقلَّ الجرّةَ: أطاقَ حملها.[6]

---

[1] ف: وهو.

[2] ف - فمعنى.

[3] ن: وكأنّه.

[4] وفي هامش د ف: أي: حالهُ المفروضة.

[5] ن: ويَسقلّ.

[6] الصحاح للجوهري، «قلل».

وتَصوُّرُ مقَاوَلَة الشَّحْم مُحَالٌ، ولكنَّ الغَرضَ أنَّ السِّمَنَ في الحيَوانِ مما يُحسِّنُ قَبيحَهُ كما أنَّ العَجَفَ مما يُقبِّحُ حَسَنهُ، فصُوِّرَ أثرُ السِّمن فيه تصْويرًا هو أوْقَعُ في نفسِ السَّامِع، وهيَ بهِ آنَسُ، وَلهُ أقبَلُ، وعلى حقيقتِهِ أوقَفُ، وكذلك تَصويرُ عِظَمِ الأمانةِ وصُعُوبةِ أمْرِها وثِقَل مَحْملِها والوَفاء بها.

فإن قلتَ: قد عُلِم وَجْهُ التمثيل في قولهِم للَّذي لا يَثبُتُ عَلى رأيٍ واحِدٍ: "أرَاكَ تُقَدِّمُ رجْلًا وتؤخِّرُ أُخرَى"؛ لأنَّه مُثِّلَتْ حَالهُ في تَميُّلِه وتَرجُّحه بين الرأيَيْن وتركِه المُضيَّ على أحَدهما بحالِ مَن يتَردَّدُ في ذهَابهِ فلا يَجمَعُ رِجْلَيه لَلمُضيِّ في وَجْهِه، وكلُّ واحِدٍ مِن المُمثَّلِ والمُمثَّل بهِ شيءٌ مستقيمٌ داخِلٌ تحتَ الصِّحَّة والمَعرفة، وليس كذلك ما في الآية، فإنَّ عَرْضَ الأَمانة على الجَماد وإبَاءَهُ وإشفَاقَهُ مُحَالٌ في نفسِه غير مُستَقيم، فكيْفَ صَحَّ بناءُ التمثِيل على المُحَالِ، وما مِثالُ هذا إلَّا أن تُشبِّه شيئًا والمُشبَّهُ به غيرُ معقول؟

قلتُ: المُمثَّلُ به في الآية وفي قولهِم: "لو قيل للشَّحْم: أين تذهَبُ" وفي نظَائره مَفروضٌ، والمَفروضاتُ تُتخَيَّلُ في الذِّهن كما المُحقَّقاتُ، مُثِّلت حالُ التكليفِ في صُعوبتهِ وثِقَلِ مَحْملهِ بحالهِ المفروضةِ لو عُرِضَتْ على السَّماوات والأرضِ والجبَالِ فأبيْنَ أن يحمِلنَها وأشفَقْن منهَا.

قوله: (أنَّ العَجَفَ) "العَجَفُ" بالتحريك: الهُزال.[1]

قوله: (أثرُ السِّمَن فيه) أي: في الحيوان.[2]

قوله: (لو عُرِضت) أي: الأمانة.

---

١ الصحاح للجوهري، «عجف».

٢ وفي هامش د ف: قوله: (قلتُ: الممثَّل به)... إلخ حاصل الجواب: أنَّ الممثَّل به لا يلزم(١) أن يكون أمرًا متحققًا؛ بل قد يكون أمرًا متخيَّلًا مفروضًا، كما في تشبيه الجَمر ببحرٍ مِن المِسك مَوجُه الذهب. فنقول: لنا(٢) تكليف مفروض متخيَّل في غاية الصعوبة بحيث لو عُرض على السماوات والأرض والجبال أبَيْنَ(٣) حمله وأشفَقْن منه، ولنا تكليف متحقِّق واقع، وهو الذي تعلَّق بنا مِن التكاليف، فشُبِّه هذا بذاك، واستُعمل فيه ما يُستعمَل في ذاك. | (١) ف: يلزمه. (٢) ف: إمّا. (٣) ف: فأبين.

﴿لِيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٣﴾

واللام في ﴿لِيُعَذِّبَ﴾ لامُ التَّعليل على طريق المجاز: لأنَّ التعذيبَ نتيجةُ حَمْلِ الأَمانة كما أن التأديبَ في "ضَرَبتُه للتَّأديبِ" نتيجةُ الضَّرْب.

وقرأ الأعمش: "ويَتوبُ" ليجعَل العِلَّة قَاصرةً على فِعل الحامِل وَيبْتَدئ: "ويتُوبُ الله".

ومَعنى قراءةِ العَامَّة: لِيُعذِّبَ اللهُ حاملَ الأَمانة ويتوبَ على غيره ممَّن لم يَحْمِلهَا؛ لأنَّه إذا تِيبَ على الوَافِي كان ذلك نَوعًا مِن عذاب الغَادِرِ والله أعلم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأَ سُورةَ الأحزابِ وعَلَّمهَا أَهْلَه ومَا مَلكتْ يَمينُهُ أُعْطِيَ الأمانَ من عذابِ القبر».

قوله: (على فعل الحامل) أي: الذي حمَل الأمانة، وهو الإنسان. فالمصدر هنا مضاف إلى المفعول، أي: على ما يُفعَل بالحامل، وهو التعذيب.

قوله: (ومعنى قراءة العامّة: لِيُعذِّب الله) أي: كان مِن نتيجة حمل الأمانة والغدر أن[1] عذَّب الله تعالى الحامل الغادر، وتاب على عدوّه وغفره ورحِمَه. وإنّما جُعل غفرانه مِن نتيجة غَدر الغادر، لأنّه تعالى إذا غفر الوافي كان ذلك نوعًا مِن عذاب الغادر، فلزم مِن غَدْره[2] أن الله تعالى أحسن إلى عَدُوّه.

تمّت السورة بحمد الله ومنّه.[3]

---

[1] د: أي.
[2] ن: غدر.
[3] د ف - بحمد الله ومنّه.

Türkiye Diyanet Vakfı Yayınları
Yayın No. 1431
İSAM Yayınları 267
Klasik Eserler Dizisi 62

TETİMMETÜ'L-KEŞŞÂF (HÂŞİYETÜ'L-ÇÂRPERDÎ ale'l-KEŞŞÂF)
Fahreddin el-Çârperdî
Cilt 8
Tahkik
Ziyâüddin el-Kaliş, Muhammed İmâd el-Nabulsî

Tetimmetü'l-Keşşâf (Hâşiyetü'l-Çârperdî ale'l-Keşşâf)
TDV İslam Araştırmaları Merkezi (İSAM)
Tahkik/Tenkitli Neşir Birimi ilmî kontrolünde hazırlanmıştır.
İcadiye-Bağlarbaşı Cad. 38 Üsküdar/İstanbul
Tel. 0216. 474 08 50
www.isam.org.tr yayin@isam.org.tr

Editör Okan Kadir Yılmaz
İlmî kontrol Mehmet Taha Boyalık, Abdurrahman Rıdvan Haraş
İnceleme kısmı son okuma Sait Kayacı (Arapça), Mustafa Demiray (Türkçe)
Tashih (Arapça) Abdulnasır Hakimi (İmla, İndeks ve Bibliyografya), Nour Alhila (İmla)
Ali Haydar Ulusoy (İmla ve İndeks), Azat Sarsanbaev (İmla)
(Türkçe) İsa Kayaalp (İmla), İsmail Özbilgin (Bibliyografya)
Tasarım Ali Haydar Ulusoy, İbrahim Dervişmüezzin (Uygulama),
Hasan Hüseyin Can (Kapak), Ramzi Haj Mustafa (Kapak Hattı)

Bu eser
TDV İslam Araştırmaları Merkezi'nin (İSAM)
İkinci Klasik Dönem Projesi
kapsamında yayımlanmıştır.

Bu kitap
İSAM Yönetim Kurulu'nun
27/12/2024 tarihli ve 2024/11 sayılı kararıyla basılmıştır.

Birinci Basım: İstanbul, Aralık 2024 m. / 1446 h.
ISBN 978-625-428-633-9 (Tk.)
978-625-428-643-8 (8. Cilt)

Basım Yayın ve Dağıtım
TDV Yayın Matbaacılık ve Tic. İşl.
Ostim OSB Mahallesi, 1256 Cadde, No. 11
Yenimahalle/Ankara
Tel. 0312. 354 91 31 Faks. 0312. 354 91 32
bilgi@tdv.com.tr
Sertifika No. 48058

Fahreddin el-Çârperdî
Tetimmetü'l-Keşşâf (Hâşiyetü'l-Çârperdi ale'l-Keşşâf) [تتمة الكشاف (حاشية الجاربردي على الكشاف)]
/ Fahreddin el-Çârperdî ; tahkik Ziyâüddin el-Kaliş, Muhammed İmâd el-Nabulsî. İstanbul ;
Ankara : İslam Araştırmaları Merkezi (İSAM) ; Türkiye Diyanet Vakfı, 2024.
8. c. (672 s.) ; 24 cm. – (Türkiye Diyanet Vakfı Yayınları ; 1431. İSAM Yayınları ; 267. Klasik
Eserler Dizisi ; 62)

Dizin ve kaynakça var.
ISBN 978-625-428-633-9 (Tk.) 978-625-428-643-8 (8. Cilt)

İSAM
TÜRKİYE DİYANET VAKFI
İSLAM ARAŞTIRMALARI MERKEZİ
مركز البحوث الإسلامية

Tetimmetü'l-Keşşâf

(Hâşiyetü'l-Çârperdî ale'l-Keşşâf)

Fahreddin el-Çârperdî
(ö. 746 h. / 1346 m.)

Tahkik
Ziyâüddin el-Kaliş
Muhammed İmâd el-Nabulsî

Proje Yürütme
Mehmet Taha Boyalık

Sekizinci Cilt

TÜRKİYE DİYANET VAKFI YAYINLARI